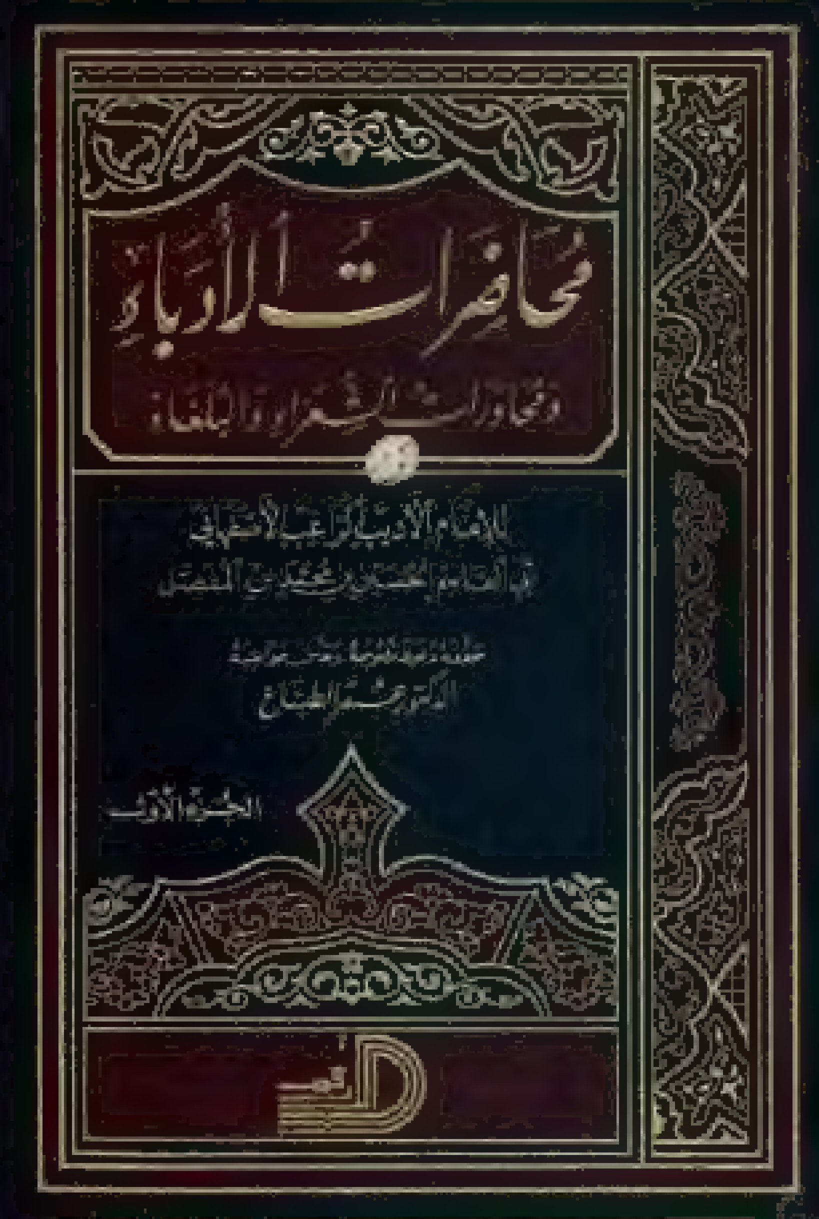
محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء
للإمام الأديب الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل
الدكتور عمر الطباع
الجزء الأول

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ

وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَغَاءِ

للإمام الأديب الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

حققه وضبط نصوصه وعلق حواشيه
الدكتور عمر الطباع

الجزء الأول

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

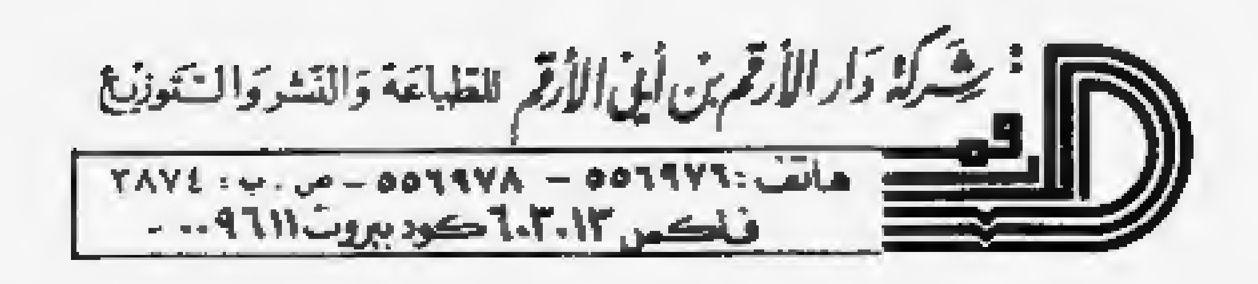

بسم الله الرحمن الرحيم

الراغبُ الأصفهانيّ

وكتابهُ «محَاضرات الأدباء»

بقلم: الدكتور عمَر الطبّاع

•

تعدّدت ينابيع عرفانه، وتنوّعت مناهل علومه وموارد آدابه، وتشعّبت مذاقاته الفكريّة، حتّى شملت جملةَ ثقافاتِ عصره الأصيلة والدخيلة، فكان طويل الباع في آداب العربية ـ لغة وبياناً ورواية وقصصاً وشعراً ومثلاً ـ كما كانَ عميق الاطلاع في المعارف الدينيّة الإسلاميّة ـ حديثاً وفقهاً وعقيدة وتفسيراً ـ.

ولئن توزّعت ملكاته بين هذين الاتجاهين الرئيسين من اتجاهات التراث فقد كان مشدوداً إلى جداول شتّى من ثقافات اليونان والهند وفارس، والتي كانت قد تآلفت بأسباب التمازج الحضاري والتفاعل البيئي، وبفضل النقلة وحركة النقل الواسعة، لتنساب بقوّة وزخم في خضم نهر المعارف العربية الدافق والذي كان يتسع ويمتد ويعمق غوره، وتصطخب أثباجه ولججُه، منذ مشارف دولة العبّاسيين على اختلاف أعصرها، وتمتد أصقاعها، حتّى زمن السلاجقة وحملةِ الصليبيين، بين بدايات القرن الخامس ونهايات القرن السابع الهجريين.

ذاك هو العلاّمة الفذّ الباحث والمؤلف والمصنّف المعروفُ بـ «الراغِب الأصفهانيّ».

•

هو الحسين بن محمّد بن المفضل، باتفاق جلّ المؤرخين، أو المفضل في بعض النصوص والروايات.

وذهب السيوطي إلى أن اسمه هو المفضل بن محمّد. وقد اشتهر بلقبه الراغب الأصفهانيّ في المصادر والمراجع القليلة التي عنيت بأخباره وآثاره، كما كنّي بأبي القاسم.

ولعلّ السيوطي في «بغية الوعاة»، والذهبي في «طبقات المفسّرين»، في القديم، وبروكلمن في «دائرة المعارف الإسلامية» وجرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية» حديثاً، هم الذين ألقوا الضوء على شخصية الراغب ونتاجه مما دفعنا إلى التساؤل عن أسباب إغفال سيرته ودرسه من قبل مؤرخين مرموقين كبار، من أمثال ياقوت وابن العماد

الحنبلي وغيرهما، في الوقت الذي رحُبت فيه موساعاتهم أو معاجمهم بأعلام أقلّ منه نباهة وأقصر، في حقل التأليف، باعاً.

بسبب هذا الصدوف عن احتضان الراغب الأصفهاني الرجل والعالم، وجدنا أنفسنا نفتقر إلى كثير من الأرقام والأخبار التي من شأنها تحديد المحطّات الهامة في تاريخ حياته، والخطوط الرئيسة من سيرته، بين الولادة وعهد الطلب وعهد الأستاذية، لمعرفة كبار شيوخه وبالتالي تلامذته، وغير ذلك من وقائع تلك الحياة وروابطها الاجتماعية والسياسية.

وأياً كانت طبيعة المعطيات الكامنة وراء افتقادنا آثار أقدام الراغب الأصبهانيّ فوق رمال عصره، فنحن نستطيع أن نرسم صورة لكثير من معالم تلك الأقدام الضائعة في ضوء أحداث القرن الخامس الهجري والإحاطة بظروفه وأحواله على كافة الصعد سياسياً واجتماعياً وفكرياً:

لقد شهد عصر الراغب الأصفهانيّ، من الناحية السياسية حدثين كبيرين في فترتين متباعدتين: أما الأول فهو ظهور مملكة السلاجقة في أواسط تركستان والغرب لتشتمل منذ نهاية العقد الثالث من القرن الخامس أي حوالي سنة ٤٣٠هـ (١٠٣٨م) على رقعة واسعة من البلدان، من أرض الصين وأفغانستان في شرقي آسيا إلى كردستان والعراق والشام لجهة الغرب.

أما الحدث الثاني الذي أشرنا إليه فهو حملة الصليبيين التي انطلقت من أوروبا غرباً إلى بيت المقدس في فلسطين مكتسحة الشام من أعاليها وصولاً إلى مصر.

ويتضح للمتأمل في حياة الراغب أنها ظللت جميعاً بحكم السلاجقة ولكنها لم تعاصر حرب الصليبيين إلا في السنوات الاثني عشرة التي سبقت وفاته، ومعلوم أن الراغب مات سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م)، وأن دولة الصليبيين أرسيت مدامكها الأولى سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٨م).

●

ولئن كان التمهيد لكتاب من آثار الراغب لا يسمح لنا بأن نتبسط في درس ظروف بيئته العامّة والخاصّة إبّان القرن الخامس الهجري، إلا أننا نقف عند بعض الوقائع الكبرى في سياق العصر انطلاقاً من بدايات العقد الخامس أي في حدود السنة ٤٤٤هـ، ولا ندري هل كان الراغب آنذاك قد أبصر نور الحياة أم أن ولادته كانت بعد هذا التاريخ؟

ففي السنة المذكورة كما يذكر الذهبي في تاريخه[1] ذرّت الفتن المذهبية قرنها في بغداد، ولا سيما في الكرخ، وجرت تصادمات بين فئات متناوئة فكان قتال وحملات ومناوشات وشبّت نيران ووقعت الضحايا من كل فريق.

وفي هذا العام بالذات لم تقتصر الفتن على داخل البلاد بل بدأت الغارات على جهات

(١) الحافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر: خبر سنة ٤٤٤هـ (الجزء الثالث).

شتى من العراق بين السلاجقة الغز وأنصار الغزنوي. وكان من نتائج هذه الحروب تقدّم الطلائع السلجوقية نحو الحواضر العراقية.

وفي العام ٤٤٠ رافق وفاة أبي العلاء في المعرّة دخول المصريين إلى حلب بعد أن عجز صالح بن مرداس عن الثبات، والبلاد تعاني قحطاً وأزمات اجتماعية، كما حصدت الأوبئة في بلاد ما وراء النهر نحو مليون ونصف من أهاليها.

وفي حدود السنة ٤٥٦ بسط السلطان طغرلبك السلجوقي ملكه على العراق بعد بلاد الريّ ونيسابور، وانتصر للشافعية، كما حلّ ألب أرسلان من سلاطين سلجوق على هراة وتقدّمت جيوشه إلى أذربيجان كما غزا العديد من حصون الروم قبل عودته إلى أصبهان.

ومن أبرز مظاهر الفكر في سياق حياة الراغب الأصفهاني قيام المدرسة النظامية ببغداد وانتداب مشاهير العلماء للتدريس فيها. ونظامية بغداد، هي التي احتضنت الغزالي يافعاً في عهد الطلب وعالماً قطباً في عهد الأستاذية.

وفي السياق عينه امتدت الحركة الإسماعيلية إلى الشام واشتد الصراع بينهم وبين السلاجقة بين كرّ وفرّ في العديد من النواحي والمدن، بينما كانت جيوش الفرنج تستولي على مدن الساحل بين طرابلس وبيروت.

وفي السنة التي مات فيها الراغب كان الملك بغدوين يحاصر مدينة صور. وصادف موته موت الإمام أبي حامد الغزالي.

ولئن كان عصر الراغب قاتماً في العديد من النواحي العامّة السياسية والإدارية والاجتماعية ولا سيما من حيث اتساع رقعة الفتن الدينية، فهو في جانب آخر كان عصر ازدهار علمي وأدبي، من أبرز معالمهما قيام المدارس النظامية ونبوغ عدد كبير من العلماء والباحثين واهتمام الأدباء بالتأليف في شتى حقول الأدب، وظهور المعاجم التاريخية والجغرافية والأدبية.

●

عاصر الراغب الأصبهاني من الشعراء أبا العلاء المعري (٤٤٩هـ = ١٠٥٧م) وابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ = ١٠٧٣م)، وابن حيوس (٤٧٣هـ = ١٠٨٠م) من شعراء الشام؛ والطغرائي (٥١٤هـ = ١١٢٠م) من شعراء العراق وأعالي الجزيرة، وابن الهبارية (٥٠٩هـ = ١١١٥م) وأبو إسحاق الغزالي (٥٢٤هـ = ١١٢٩م) وابن عبدون (٥٢٠هـ = ١١٢٦م)، وابن خفاجة من شعراء الأندلس.

ومن معاصريه الذين كانوا أقطاب العلوم اللغوية والأدبية: التبريزي (٥٠٢هـ = ١١٠٨م)، والحريري صاحب المقامات (٥١٦هـ= ١١٢٢م)، وابن الشجري الشريف أبو السعادات (٥٤٢هـ = ١١٤٧م)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ = ١٠٧٨م)، والزوزني شارح المعلّقات (٤٨٦هـ = ١٠٩٣م)، والميداني صاحب مجمع الأمثال (٥١٨هـ =

١١٢٤م)، وأبو القاسم الزمخشري الموسوعي (٥٣٨هـ = ١١٤١م) صاحب التصانيف البارعة في اللغة والبيان والتفسير والحديث، وغير هؤلاء العشرات من المؤرخين وأرباب اللغة وكبار النحاة في أقطار العالمين العربي والإسلامي، وهو ما لا يتسع هذا المجال لتعدادهم والتنويه بآثارهم ومآثرهم.

•

كان من الطبيعي أن يتحفنا الراغب الأصفهاني بمدد لا يستهان به من المؤلفات والتصانيف في العديد من حقول الفكر والأدب، بمؤثرات شتى تمخضت عن التفاعل العميق، بين الأقاليم الإسلامية آنذاك، وهو الامتزاج الذي كان يتجاوز نطاق الإدارة والسياسة إلى ضرب من التلاقي الثقافي النشيط والتكامل الحضاري الدائب، اللذين تمخض عنهما العدد الهائل من الدراسات والأبحاث والمختصرات، فضلاً عن المعاجم، وبالتالي دوائر المعارف والموسوعات.

•

ليس بعيداً أن يكون الزمن قد أضاع في ثناياه عدداً من تآليف الراغب، لأنه إذا فات أقطاب التاريخ الأدبي الالتفات إلى شخصيته أو حملهم على إهماله باعثٌ من عصبية أو ذريعة من حمية مذهبية أو دينية، فليس ببعيد أن تطمس أعماله بجريرة الرغبة في تقليص أثره وحجمه. ولم يكن التأريخ في أي حقبة من الزمن في منأى عن مثل تلك الأهواء والميول والأغراض، المخالفة للتاريخ كعلم، والتي هي من أغلاط المؤرخين التي نبه إليها العلماء وعلى رأسهم ابن خلدون في مقدمته الشهيرة.

وفي اعتقادي أن الراغب الذي نُسب عند فريق إلى مذهب المعتزلة، قد أُجحِفَ حقه من قبل الدارسين الذين كانوا يرفعون راية السلفية ويحاربون ما اعتبروه بدعة في الاجتهاد وحكموا عليه بالبطلان، ولا ينفي ما ذهبنا إليه كون بعض العلماء أمثال الرازي في كتابه «أساس التقديس» قد قال بأن الراغب من المحافظين وأنه كان من أهل السنة.

وبعد جلاء هذه الظاهرة والتنبه إلى احتمال وقوع الراغب ضحية مغالطات المؤرخين وخروجهم عن أسس الموضوعية والصدق، نشير إلى أن ما ذكر من آثار أبي القاسم موضوع هذه التوطئة يمكن إدراجه في جدولين من جداول مفردات التراث الأدبي والديني، عنيت ما هو ملحوظ في باب المخطوطات، وما هو موصوف في باب المطبوعات.

فمن كتبه التي لا تزال مخطوطة:

أ ـ حلّ متشابهات القرآن.

ب ـ تحقيق البيان وهو كتاب في اللغة والحكمة[1].

---

(١) انظر الأعلام الزركلي: (٢/ ٢٥٥).

د ـ كتاب في الاعتقاد

هـ ـ كتاب في أدب الشطرنج، محفوظ في تاشان، تحت عنوان: [Menzel - ia١٧٠ / ٩٤].

أما كتب الراغب المطبوعة، كما وردت في قاموس تراجم «الأعلام» للزركلي، فهي:

أ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة.

ب ـ جامع التفاسير.

ج ـ المفردات في غريب القرآن.

د ـ تفصيل النشأتين.

هـ ـ كتاب «محاضرات الأدباء» الذي تجدّد دار الأرقم اليوم طبعته، بعد مرور نحو قرن على نشر مختصره بالقاهرة عام ١٩٠٢، ولنا عودة ثانية إلى هذه المطبوعة.

•

وبالرجوع إلى ترجمة الراغب في دائرة المعارف الإسلامية، يطلعنا بروكلمن على تفاصيل أشمل وأكثر دقّة تتصل بمجموعة هذه المؤلفات، حرصنا على إثبات ما رأيناه ضرورياً منها، لمزيد من الإحاطة بعلم الراغب وأدبه. ولهذا نحن نضع بين يدي الباحث الإلماعات التالية:

أ ـ يعتبر بروكلمن أن طليعة الدراسات التي قام بها الراغب كانت تدور حول تفسير القرآن الكريم وتعاليمه في التهذيب وهي «رسالة منبهة على فوائد القرآن» قيل إن البيضاوي نقل عنها في التفسير المعروف باسمه.

ويرجح بروكلمن أن الرسالة المذكورة هي عينها التي طبعت بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ذيلاً لكتاب «تنزيه القرآن عن المطاعن» لعبد الجبار، وهي كذلك الرسالة التي تعرف باسم «مقدّمة التفسير».

ب ـ أما كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» فهو من المعاجم التي تُرتّب القرآن على حروف الهجاء، ولهذا الكتاب مخطوطات شتى في استانبول [(Le Monde Oriental)(٧/ ١٠٦ ـ ١٢٧)]، وفي بنكيبور برمز Cat (١٨/ ١٤٨٤). وهذا الكتاب مطبوعٌ في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٧م) بعنوان «مفردات في غريب القرآن»، على هامش كتاب ابن الأثير المعروف باسم «النهاية».

ويشير إلى بروكلمن إلى أن الراغب أشار في مقدمة كتابه هذا إلى كتاب آخر كان يخطط له بعنوان: «في مترادفات القرآن».

ج ـ ويفهم من سياق ترجمة الراغب في دائرة المعارف الإسلامية أن كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة هو المعني بكتاب الراغب الكبير في الأخلاق وأنه لنفاسته وأهمية مضامينه، كان الإمام أبو حامد الغزالي «يحمل دائماً نسخة» منه. ولهذا الكتاب مخطوطات

محفوظة في المتحف البريطاني وفي مكتبة استانبول[1]، فضلاً عن طبعته الصادرة في القاهرة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م).

د ـ ويعتقد بروكلمن أن كتاب «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» ـ الذي طبعه طاهر الجزائري في القاهرة، نقلاً عن مخطوط بيت المقدس الموجود في المكتبة الخالدية (تحت رقم ٧٢)، مماثل في موضوعه، وبالتالي غير بعيد في مضمونه عن الكتاب أعلاه، وهو الذريعة إلى مكارم الشريعة

وتبقى لنا إلمامة وافية بكتاب الراغب الذي نقدّم له وهو «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»

●

كان الراغب الأصفهاني، مثقفاً متوازن الأبعاد الثقافية والفكرية، وكانت شخصيته كمؤلف ذات مرتكزات ثلاثة فهو في الآن نفسه لفقيه والمتكلّم والأديب. ولهذا خاض في مسائل الشريعة والعقيدة والأخلاق، ومزج الأدلة الدينية بالأدلة العقلية وكتابه «تحقيق البيان» المنوّه به في مقدّمة «كتاب الشريعة» كما يقول بروكلمن يعتبر كتاباً في اللغة والكتابة والأخلاق والعقائد والفلسفة وعلوم الأوائل

إلا أن أهم أثر للراغب الذي من شأنه الكشف عن شخصية الأديب الناقد فهو كتابه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» وهو أشبه بالكتاب الموسوعي الغني بالشفافية الأدبية والذوق الشعري، وروح الكاتب الذي يجيد أساليب التصنيف وطرق العرض والتبويب، والذي لا تعوجه المنهجية الملمة ولا أداة التقسيم المنطقي؛ يستمدها ـ ولا ريب ـ من زاد معرفي واسع، وإلمام بمصادر شتى أدبية وفلسفية

وخير دليل على هذه المقولة ما أورده الراغب نفسه في مقدّمة كتابه ذاكراً أنه استجاب في وضعه لرغبة من ينعته بقوله «سيدنا»، دونما تحديد أو تركيز أو وصف. ولا نستطيع نحن التكهن بصاحب السيادة الذي أحبّ أن يختار له الراغب هذه الفصول «في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» من «نكت الأخبار وعيون الأشعار»، ليغدو الكتاب «صيقل الفهم ومادة العلم».

●

والدّارس للمقدمة التي صدّر بها الراغب كتابه، والمتأمل في أبواب الكتاب وفصوله والتي استعاض فيها عن التقسيم المألوف بمصطلح «الحدّ»، مجمل كتابه «خمساً وعشرين حدّاً» جامعة لمسائل العقل والعلم والجهل والسيادة والعدل والأخلاق والقرابة وأنواع المروءات والعرفان والعقوق، انطلاقاً إلى الصناعات ومسائل الإيمان ومرابع العطاء والجود،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٤٧٤

وما يدور في فلكها من الكلام على الأطعمة والمشارب، تخلصا إلى الندماء ومجالس اللهو والغناء، انعطافاً إلى مراتع الوجدان في دائرة الغزل والهوى والعشق، دون أن يسقط من ثنايا كتابه فضيلة الشجاعة وما كان يدور في فلكها من مواقف الحرب والصلح والثأر ودفع الديات عند العرب، معرّجاً إلى موضوع الزواج وحيثياته وسياسة الرجل المرأة ومسائل الغيرة والطلاق.

ويستكمل الراغب فيما تبقى من هاتيك لحدود كلّ ما يمسّ واقع الإنسان في بيته وديانته فيتحدث عن الرياش والملابس والعبادات ويخوض في مسائل العقيدة فيشتمل عرضه على قضايا الإيمان والزهد والتصوف والنبوة مروراً بالإسلام والقرآن وأسباب التنزيل

ويتبع شؤون الحياة بالكلام على الموت، ويجول عبر الزمان والمكان فيلوّن كتابه بزخارف شيّقة تنساب عبر فصول الطبيعة ونباتها وأزاهرها وحيوانها من وحش وطير وهوام، ثم تراه يذهب بعيداً فيتحدث عن الأفلاك والنجوم والسحب انتهاء إلى جملة من النوادر والحكم.

فكتاب «المحاضرات» وجه يكاد يكون فريداً في بابه بين كتب الطرائف والحكايات، لأنه يمتاز بالشمولية والعمق وتلفّه روح الحكيم وتهيمن عليه هواطل من معطيات الوجدان والعقل. إنه سفر جامع بين الجدّ واللهو والأخبار والملح الأدبية وكأن الراغب يحدّد به صفات النديم وثقافته إذ يقول

«ومن لا يتحلّى في مجلس اللهو إلا بمعرفة النغمة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو بهيمة مهملة. ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائل المحفوظة على ألسنة الأوائل كان ناقص العقل فالعقل نوعان مطبوع ومسموع، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر».

●

وكأني بكتاب المحاضرات كما أراده الراغب، قمة أدب المؤانسة والمجالسة حتى عصره وفي ضوئه وضع شهاب الدين الأبشيهي كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» وفي بابه نجد «طرف الألباب وتحف الأحباب» لليافعي و «طرف المجالسة وملح المؤانسة» لابن المرابط وعشرات التصانيف المماثلة.

والكتاب فضلاً عمّا تقدّم معرض فكري شيّق لم يدع مفردة من مفردات الواقع الإنساني، إلا تتبعه في دواوين الشعراء وكتب الأمثال وخواطر الحكماء والأدباء، وهو يتميز بالطلاوة والإيجاز والبعد عن الهذر، مع أمانة في العرض، وروح واقعية، تجعله في منأى عن أي إسفاف أو تبذل، وبعيداً أيضاً عن التلفيق أو التصنع فهو لا يتستر على عيب، ولا يتردد في سوق الشواهد على ما فيها أحياناً من الركة أو السخرية أو الابتذال والبذاءة، ما دامت ترمي إلى الإمتاع والمصارحة والمكاشفة.

●

إن كل إسهاب في وصف مضامين كل حدّ من مدميات تلك الفصول يصبح ضرباً من اللغو والإطالة الباعثة على الإملال، ما دام لكتاب بين أيدينا وهو خير مترجم عن أدب صاحبه وأسلوبه وذائقته الفنية وعلو كعبه في العلوم والآداب والخبرة في طبائع الإنسان وملكاته وما فيه من الكياسة والظرف والملاحظة النفسية

■

إن النسخة التي انطلقنا منها في تحقيق جزئي هذا الكتاب ترتقي إلى العام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وقد تكبّدنا في قراءتها وتصويبها والتغلّب على عثرات الطبع فيها ـ وهنات الطباعة القديمة وإهمال الضوابط على اختلافها ـ الكثير من العناء، وإلى درجة الإعياء، وبالرغم من المثابرة والمصابرة والرجوع إلى عشرات المصادر الخاصّة بالشعر لتذليل مواطن الإبهام والغموض المتفشية في نسخة الكتاب، لا يسعنا مع ذلك، إلا الاعتذار عمّا يكون قد فاتنا من تقصير أو ضبط أو تحديد لبعض العبارات والشواهد وفيما خلا ما تقدّم يبقى كتاب المحاضرات في حلّته الجديدة ـ وإخراجه وطريقة عرضه وتقسيم كل حدّ من حدوده وإبراز مقاطع كل منها وعناوينها تحمل منه ـ ملاذ كلّ قارىء محبّ للأدب ومتذوّق لفنون القول وضروب الكلم وأغراضه

إنّ هذا الكتاب الموسوعة، هو بحق نزهة للعقل والقلب على السواء وزاد لا ينضب من علم الأوّلين وأشعارهم وحكمهم وأمثالهم ومعارفهم

ولئن كانت ألف ليلة وليلة إحدى قمم سرد الشيق والحكايات الطريفة الحاصلة بين الواقع والخيال فكتاب الراغب ـ «المحاضرات» ـ رحلة مماثلة ولكنها في عالم الوعي والحقائق والأمثولات والعبر، فهو يضع بين يدينا الأشياء وأضدادها والفكر ونقائضها، ويترك لنا البحث عمّا هو أكثر صدقاً وواقعية

●

لعلّ أمثل ما نقوله في ختام هذا التصدير لتبرير عدم ترددنا عن إحياء قديم التراث الذي يظلّ قادراً على مواكبة الحداثة بما فيه من الإبداع والأصالة على ما في هذه الرسالة من صعاب كلمة العماد الأصفهاني إذ يقول رأيت إنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

إن الكمال لله وحده، وحسب المرء أن يكون صادقاً فيما يعمل وفي هذا كلّ الرضى والعزاء، لأن العطاء مشفوعاً بالطموح إلى الأفضل، أجدى من النكوص مع التزمّت، وهذا هو معيار الارتقاء الحقيقي، ولله الحمد وعليه التكلان

بيروت في: ١٨/ ٢/ ١٩٩٩م

٢/ ١٠/ ١٤١٩هـ

فاتحةُ الكتاب

بقلم: الراغب الأصفهاني

قال الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد المفضّل الراغب، رحمه الله تعالى

الحمدُ لله الذي تقصر[1] الأفطارُ أن تحويه، وتعجز الأستارُ أن تخفيه، حمداً يقتضي تضاعف نعمائه[2] ويمتري ترادف آلائه[3].

وصلّى الله على من أوضح به الإعلام، وشرع بلسانه الإسلام، منار الهدى وخيار الورى[4].

وبعد، فإن سيدنا ـ عمّر اللهُ بمكانه مربع الكرم، ومجامع النعم ـ، أحبَّ أن أختار له ممّا صنّفتُ من نُكتِ[5] الأخبار، ومن عيون الأشعار، ومن غيرهما من الكتب، فصولاً في محاضرات الأدباء، ومُحاوراتِ الشعراء والبُلغاء، بجعلهُ صيقلَ الفهم[6] ومادة العلم فعملتُ ذلك رجاءاً له إذْ قد حمل مراعاة الأدب شعارَه ودثاره[7]، ومحاماة الفضل إيثاره[8] واختياره، وجعل زمام حسبه بكفّ أدبه، وسلكَ في زماننا طريقاً قلّ سالكوه ـ طرق العلاء قليلةُ الإيناس[9]

(١) تقصر: خلاف تطول، من القصْر والقِصر وهما خلاف الطول، والقصير خلاف الطويل، والقصْر الكفّ أو كف النفس عن أمر، لذا تقول: قصرت نفسي عن هذا أقصرها قصراً. وقال ابن السكّيت: أقصر عن الشيء إذا نزع عنه وهو يقدر عليه وقصر عنه إذا عجز عنه ولم يستطعه، وهذا هو المعنى المقصود من قوله: تقصُر الأفطار أن تحويه.

(٢) يقتضي تضاعف نعمائه: النعماء: اليد البيضاء الصالحة، جمع أنعم.

(٣) ترادف آلائه: الآلاء: جمع الإلَى والألى أي النعمة.

(٤) الورى: الخلْق.

(٥) نكت الأخبار: النكت جمع النكتة وهي في هذا السياق الجملة اللطيفة تؤثر في النفس انبساطاً، والنكتة أيضاً المسألة الدقيقة أخرجت بدقة نظر وإمعان.

(٦) صيقل الفهم: الصّيقل: مبالغة صاقل من صقل الشيء إذا جلاه ومسّه وكشف صدأه، والفهم: تصوّر الشيء وإدراكه.

(٧) دثاره: الدثار: ما يتغطّى به وهو أيضاً الثوب الذي يستدفأ به من فوق الشّعار والدثار هنا من باب المجاز.

(٨) إيثاره: الإيثار: التفضيل.

(٩) الإيناس: مصدر آنس الشيء أبصره وعلمه، والصوت سمعه وأحسّ به.

وقد ضمّنتُ ذلك طرفاً من الأبيات الرائقة، والأخبار الشائقة، وأوردت فيه، ما إذا قيس بمعناه:

يكونُ منهُ مكانَ الروحِ من جسَدٍ والصدرِ من فلكٍ والنجمِ من قطُبِ

فإنه ظَرْفٌ[1] مُليء طُرَفاً[2]، ووعاء حشي[3] جدًا وسُخفًا، من شاء وجدَ منه ناسكاً[4] يعظهُ ويبكيهِ، ومن شاء صادف منه فاتكاً[5] يضحكهُ ويُلهيه.

فالجِدّ والهَزْلُ في تَوْشيحِ لُحمتِها والنبلُ والسّخفُ والأشجانُ والطربُ

وأعوذُ بالله أن أكونَ ممّن مدح نفسَه وزكّاها[6]، فعابَها بذلك وهجاها، وممّن أزرَى[7] بعقله، لإعجابه بفعله، فقدْ قيل لا يزالُ المرءُ في فسحةٍ من عقْله، ما لم يقُلْ شعراً أو يصنِّفْ كتاباً.

وأوْلَى من يصرف همّتَه إلى مراعاة مثل هذا الكتاب، من تحلّى بطرفٍ من الآداب، فيصيرَ به طليقَ اللسان، ذليق البيان[8]، فكم من أديبٍ تتقاعدُ بداهة المقال[9]، في كثيرٍ من الأحوال، فلا يجدُ من فهمهِ مساجلة[10]، ولا من علمه مكافأة[11]، فيُرى في العيِّ مثلَ باقل[12]، وإن كانَ في الغزارة سحبانَ وائل[13]

وقد قيل خيرُ الفقه ما حاضرت به، ومن لا يتحلّى في مجلس اللهو، إلا بمعرفة

---

(١) الظَّرف (صا) الوعاء، والظَّرف أيضاً الكياسة، والظرف كل ما يستقر فيه مثل الحين واليوم وهما من ظروف الزمان، وأمام ووراء وهما من ظروف المكان
(٢) الطُّرَف جمع طرفة وهي الملحة والحديث المستحسَن أو الجديد، أي الغريب
(٣) حشي مليء
(٤) الناسك العابد المتزهّد الذي صفّى نفسه لله من دنس الآثام، من نسك نُسكاً ونُسكاً ونسكاً تقشّف وتزهد وتعبّد
(٥) الفاتك: الجريء الشجاع الذي يلجّ في الأمر أو الخبث
(٦) زكّى (النفس)· مدحها وزكّاه اللهُ طهره
(٧) أزرى بعقله: تهاون به ووضع من حقه أو عابه
(٨) ذليق البيان الذليق الفصيح والبليغ، يقال لسان ذلق أي طلق وذو حدّة، والبيان البلاغة والوضوح في الكلام.
(٩) البداهة في اللغة المفاجأة والبداهة أيضاً عدم طول التفكّر والبديهي من الأمور ما يفهم ويدرك من دون روية
(١٠) المساجلة (صيغة مفاعلة) مصدر ساجله يساجله مساجلة أي مبارزة ومفاخرة
(١١) المكافأة· المعاضدة والمعاونة.
(١٢) باقل. رجل ضرب به المثل في العي والعجز عن البيان بخلاف سحبان وائل
(١٣) سحبان وائل من خطباء العرب وفصحائهم يضرب به المثل في البيان والبلاغة. خطب في مجلس معاوية ساعات فقال له معاوية أنت أخطب العرب (انظر بهامش السابق)

اللغة والنحو، كان من الحصر[1] صورةً مثيلة، أو بهيمةً مهملة. ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائل، المخلّدة عن ألسنةِ الأوائل، كان ناقصَ العقل.

فالعقلُ نوعان: مطبوع ومسموع، ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر. وقد تحرّيتُ فيما أخرجتُه من كلّ باب غايةَ الاختصارِ والاقتصار، وأعفيتُه من الإكثار والإهدار[2]، لئلا تعافَ ممارستَه ومدارستَه، لكن عظُمَ هذا الكتابُ بعض العظم، لكثرة فصوله وتحقيق تفاصيله.

●

وقد جعلت ذلك حدوداً وفصولاً وأبواباً. وذكرت جملة الحدود والفصول في أوّل الكتاب، ليسهلَ طلبُ كل معنى في مكانه. ووضعتُ كلّ نكتةٍ في الباب الذي هو أليقُ بها، وإن كان كثيرٌ من ذلك يصلح استعماله في أمكنةٍ سهّل اللّهُ علينا ما يحمدُ عقباه[3]، ووفّقنا في جميع أمورنا لما يرضاه، وجعل خير أعمالنا ما قرب من آجالنا، إنه عليم قدير، نعم المولى ونعم المصير.

●

● الحدّ الأول: في العقل والعلم والجهل، وما يتعلق بها.

الأول: العقلُ والحمْق وذمُّ اتباع الهوى[4].

الثاني: الحزمُ والعزم وما يضادّهما، والظنّ والشكّ والتثبت[5]، والعجلة.

الثالث: المشاورةُ والاستبدادُ بالرأي.

الرابع: العلمُ والعلماء مدحاً وذمّاً، والحفظ والنسيان.

الخامس: التعليمُ والتعلّم، وما يتعلق بهما.

السادس: البلاغةُ[6] وما يضادّها.

السابع: النطقُ والسماعُ والمقالُ والسكوت.

الثامن: المذاكرةُ والمجادلةُ[7].

التاسع: الشعرُ والشعراء.

---

(١) **الحصر**: مصدر حصِر (فلان) حصراً: أي عيي في النطق وأصله من الحصر أي الضيق.

(٢) **الإهدار**: الهذر من هذر وأهذر الرجل في كلامه أي خلط وتكلّم بما لا ينبغي، والهذر سقط الكلام الذي لا يعبأ به.

(٣) **العقبى**: العاقبة.

(٤) **الهوى (هنا)**: إرادة النفس وميلانها إلى ما تستلذه، وغلب استعمال الهوى في غير المحمود من الميول والجمع أهواء. يقال اتبع هواه أي زاغ عن الصواب أو صار من أهل البدع.

(٥) **التثبت**: التحقق من الأمور وهو نقيض التشكيك وعدم الجزم في الأمور.

(٦) **البلاغة في الاصطلاح**: البيان والتعبير عن مقتضى الحال.

(٧) **المجادلة**: المخاصمة أو المهارة في الخصومة.

العاشر: الكِتابةُ والكُتّاب.
الحادي عشر: التَّصحيفاتُ[1].
الثاني عشر: آلاتُ الكتابة.
الثالث عشر: الصِّدقُ والكَذب.
الرابع عشر: السِّرّ.
الخامس عشر: النُّصح.
السادس عشر: المواعظةُ والمتعظون، والآمرون بالمعروف، والقصّاص والممتون
السابع عشر: الخطباءُ وقرّاء القرآن
الثامن عشر: الفِراسةُ[2] والقِيافةُ[3].
التاسع عشر: تأويلُ الرؤيا[4]
العشرون: جملُ علومِ الأمم ورموز العرب

• الحدُّ الثاني: في السِّيادة وذويها وأتباعهم

الأول: السيادة والولاية.
الثاني: أحوال أتباع السلاطين
الثالث: القضاءُ[5] والشهادة
الرابع: الحجابُ والحجّابُ والعلماء.

• الحدُّ الثالث: في الإنصاف والظُّلم، والحلم، والعفو، والعقاب، والعداوة، والحسد، والتواضع والتكبّر.

الأول: الإنصافُ والظُّلم
الثاني: مدحُ الحلمِ وكظمُ[6] الغيظ، والرحمةُ والعفو، والاستغفارُ والاعتذار

(1) التصحيفات: التصحيف من صحّف الكلام إذا أخطأ في قراءته وروايته، والتصحيف في الكلمة نقل الحرف إلى ما يشبهه مثل رؤية نحل في موضع نخل بنقل الخاء إلى حاء والنون إلى ياء، أو قولنا شرح في موضع سرح. وربما اعتمد الكتاب والشعراء التصحيف في الذم والهجاء ومن الذين برعوا في هذا الضرب ابن الرومي كما هو معروف.
(2) الفراسة: إدراك الباطن من النظر في الظاهر، يقال هو فارس بكذا أي عالم به، والفارس الألمعي الحاذق الذكاء.
(3) القيافة: تتبع الأثر.
(4) تأويل الرؤيا: تفسيرها، والرؤيا ما تراه في المنام.
(5) القضاء: مصدر قضى يقضي قضاء وقضْياً وقضيّة بين الخصمين، أي حكم وفصل بينهما.
(6) كظم الغيظ: الكظم: مصدر كظم (غيظه مثلاً) أي حبسه وأمسك على ما في نفسه منه، يقال: فلان =

الثالث: ذمّ الحِلم ومدحُ العِقاب.

الرابع: العَداوات.

الخامس: الحَسَدُ.

السادس: التّواضع والتكبّر.

●

● الحدّ الرابع في النّصرة والأخلاق، والمزح والحياء، والأمانة والخِيانة، والرفعة والنذالة

الأول: الجوارُ والنصرة

الثاني: الأخلاقُ الحسنةُ والقبيحة.

الثالث: المزحُ والضّحِكُ حمْداً وذمّاً

الرابع: الحياء[1] والوقاحة.

الخامس: الأمانةُ والخيانة

السادس: المسابقةُ إلى المعالي، والرفعةُ والمجد

السابع: النّذالة والتأخّر عن المكارم والمثالب[2]، وصيانةُ النّفس والفتوّة والمروءة

●

● الحدّ الخامس. في ذكرِ الأبوّة والبنوّة ومدحُهما وذمُّهما والأقارب

الأول: البنون والبنات.

الثاني: ممادح[3] الأبوة ومذامها ووصف القبائل.

الثالث: الدعوة.

الرابع: الأقارب

●

● الحدّ السادس: في الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية

الأول: في الشّكر

الثاني: المدحُ ومستحقوه، والهجْو ودوُره.

= لا يكظم على حزنه أي لا يسكت عن ما في جوفه بل يتكلّم به وهو مأخوذ من كظم البعير كظوماً أي كفّ عن الاجترار.

(١) **الحياء** الاحتشام وهو من مفاعيل الإرادة لأن المحيي هو الذي يقبض نفسه عن الشيء ويتركه مخافة اللوم

(٢) **المثالب** العيوب جمع مثلبة، ومثالب الناس معايبها من ثلبه أي عابه ولامه واغتابه.

(٣) **الممادح:** ضدّ المقابح، وضدّ المذام أيضاً

الثالث: الغيبةُ[1] والنميمةُ[2].

الرابع: التحيّةُ والأدعيةُ والتهنئة

الخامس: الدّعاء على الإنسان

السادس: الهَدايا.

السابع: الطبُّ والمرَض والعِيادة[3].

- **الحدّ السابع: في الهِمَم والجِدّ والآمال**

الأول: الهمم[4] الرفيعةُ والوضيعة.

الثاني: الجِدّ.

الثالث: الأماني والآمال.

- **الحدّ الثامن: في الصّناعات والمكاسب، والتقلّب والغنى والفقر.**

الأول: الحِرَف[5]

الثاني: المبايعة

الثالث: الدَّين ومتعلّقاته

الرابع: الإيمان.

الخامس: الاكتسابُ والإنفاق

السادس: مدحُ الغنى وذمّ الفقر

السابع: الزهدُ ومدحُ الفقر وذمّ الغنى

- **الحدّ التاسع في العطاء والاستعطاء[6]**

الأول: قصدُ أولي الأفضال.

الثاني. السّؤال

الثالث. الوعْدُ والإنجازُ والمطْل[7].

---

(١) **الغيبة** الاغتياب وهو أن يعيب فلان فلانا ويعيبه بالسوء وهو غائب، **والغيبة** من مقابح أو رذائل النفس

(٢) **النميمة**. الوشاية وإظهار الحديث بالوشاية على وجه الإشاعة و الإفساد

(٣) **العيادة**. مصدر عاد عوداً وعياداً وعيادة لمريض زاره فهو عائد والجمع عوّد والمريض مَعُود

(٤) **الهمم**: جمع همة وهي العزم على الشيء وقصده

(٥) **الحرفة** جمع حرف اسم من الاحتراف ومن معانيه الصناعة، **والحرفة** طريقة الكسب **يقال**. حرف لعياله أي كسب

(٦) **الاستعطاء** مصدر استعطى أي سأل العطاء ومن معاني الاستعطاء الاستجداء

(٧) **المطل**. خلاف الإنجاز وهو مصدر مطل (ه) حقه ويمطله، أي سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى.

الرابع: الشّفاعات.

الخامس: البُخلُ بالأموال.

●

- **الحدّ العاشر: في الأطعمة والأكلة[1]، والقِرى[2] وأوصاف الأطعمة**

الأول: ما جاء في أوصاف الأطعمة

الثاني: أحوال الأكل والأكلة والتطفّل[3].

الثالث: الدّعاء إلى الدعوات.

الرابع. الأجواد بالقِرى.

الخامس: في الجودوالأجواد

السادس: البُخلاء بالقِرى.

●

- **الحدّ الحادي عشر: في الشرْب والشراب وأحوالهما وآلاتهما**

الأول: الشرب والشراب.

الثاني: النِدامُ والنّدماء[4] والسقاة.

الثالث: وصفُ المجالسِ وأمكنةِ الشربِ.

الرابع: آلاتُ الشربِ والمجالسُ

الخامس: القيان والمغنّون والملاهي.

السادس: آلات الملاهي.

السابع: آلات القمر

●

- **الحدّ الثاني عشر: في الإخوانيات**

الأول: الإخوان وأحوالُهم

الثاني: صحبة المعاشرين.

الثالث: الزيارةُ والمرور

●

- **الحدّ الثالث عشر: الغزل ومتعلقاته**

الأول: أوصافُ الهَوى وأحوالُ العشّاق

---

(١) **الأكلة**: الطُعْمة.

(٢) **القِرى** ما يقدّم للضّيف

(٣) **التطفّل** مصدر تطفّل أي صار طفيلياً والطفيلي الذي يحضر وليمة ولم يدع إليها وهو منسوب إلى رجل اسمه طفيل

(٤) **النِدام** والمنادمة مصدر نادم (ه) على الشراب أي جالسه عليه، والندماء أو الندمان جمع نديم وهو الرفيق والصاحب على الشراب

الثاني: التذكُّر.
الثالث: التوديع والفراق.
الرابع: الهُجْران.
الخامس: البُكا ووصفُ الدّموع.
السادس: الشوقُ والحنين[1].
السابع: السهرُ وطولُ الأزمنة.
الثامن: الوِشايةُ[2] والعذْل[3].
التاسع: سترُ الهوى وكشفهُ.
العاشر: معاشرةُ الحبيب ومكاتبتهُ.
الحادي عشر: مزاورةُ المحبوب وملاقاتهُ، والنظرُ إليه والأمنيةُ فيه.
الثاني عشر: الطَّيف[4].
الثالث عشر: السلوّ[5].
الرابع عشر: فنونٌ مختلفةٌ من الغزل.

●

● **الحدّ الرابع عشر: الشجاعة وما يتعلق بها**

الأول: الشجعانُ وأحوالُهم.
الثاني: التهدُّد[6].
الثالث: الأسلحةُ والمتسلحة.
الرابع: طلبُ الثأرِ والدِّيَة[7].
الخامس: التحذيرُ من الحربِ وطلبُ الصلح.
السادس: الهزيمةُ.
السابع: التلصصُ[8].
الثامن: الحبْسُ والقيْد والضَّرْبُ ونحوُها.

●

---

(١) **الحنين**: مصدر حنّ إليه أي اشتاق.
(٢) **الوشاية**: النميمة.
(٣) **العذل**: الملامة مصدر عذله أي لامه فهو عاذل والجمع عذّل وعذّال وعذَلة.
(٤) **الطَّيف**: الخيال الطائف في النوم.
(٥) **السلوّ**: النسيان وهو مصدر سلا يسلو سلواً وسلوّاً وسلواناً الشيء وعنه: أي نسيه.
(٦) **التهدّد**: التوعّد بالعقوبة، والتخويف. يقال هدده ويهدّده تهدداً وتهديداً أي خوّفه وتوعّده بالعقوبة.
(٧) **الدِّية**: من وَدى يَدي وَدْياً ودِيَةً القاتلَ القتيلَ أعطى وليّه ديته، فالدية ما يعطى من المال بدل نفس القتيل والأصل في اللفظة الودي والتاء عوض الواو المحذوفة.
(٨) **التلصّص**: التخلّق بأخلاق اللصوص و تفعل ملصص أي صار لصّاً.

- **الحدّ الخامس عشر: في التزوج والأزواج، والطّلاق والعفّة والتدييث**[1]

الأول: النكاحُ والطّلاقُ، وأحوالُ الأزواج وسياستهنّ.

الثاني: العِفّة

الثالث: الغيرةُ والتّدييث

●

- **الحدّ السادس عشر: في المجونات**[2] **والسُّخف**[3]

الأول: الإجازةُ واللواطة[4]

الثاني: الأبنة[5] والتخنث[6] والدبيبُ[7] والقيادة[8]

الثالث: ذكرُ السوءتين[9] والجماع[10]

الرابع: السحْق[11] والدّلْك[12].

الخامس: الضراطُ والفسْو.

●

---

(١) **التدييث:** التذلّل مصدر ديّث (ه)، أي ذلّله

(٢) **المجونات:** من مجن مجوناً أي مزح وقلّ حياؤه فهو ماجن والمجون أصلاً الصلابة والصلابة فكأن الماجن صار صلب الوجه بسبب قلة الحياء.

(٣) **السخف:** ضعف العقل خاصة من سَخُف يسخُف سخفاً وسخافة كان ضعيف العقل، وسخّفه جعله سخيفاً

(٤) **الإجازة:** مصدر أجاز (إجازة) الموضع سلكه وخلّفه، وأجازه أعطاه الإجازة وهي الإذن والترخيص وأجاز إجازة البيع صيّره ماضياً. **اللواطة:** من لاط الرجل لواطاً ولاوط أي عمل عمَل قوم لوط ولوط نبيّ بعثه الله إلى قومه فكذبوه وأحدثوا ما أحدثوا فاشتق الناس من اسمه فعلاً لمن فعل فعل قومه، ولوط ولاط في اللغة طلا الحوض بالطين ومن معاني لوط اللصوق يقال لاط حبّه بقلبي إذا لصق به (انظر لسان العرب مادة لوط)

(٥) **الأبنة:** العيب، الحقد

(٦) **التخنث أو الخنث:** هو أن يكون أحدهم على صورة الرجال وأحواله أحوال النساء

(٧) **الدبيب:** المشي كالحيّة أو على اليدين والرجلين كالطفل والمراد بالدبيب هنا الانسياب إلى خدور النساء

(٨) **القيادة:** مصدر قاد يقود قوداً (الدابة) مشى أمامها آخذاً بقيادها، والمراد هنا قيادة النساء العواهر اللواتي يمارسن الفجور والعمل المنكر.

(٩) **السوءتان والسوءتين:** مثنى سوءة وهي العورة، والسوءة أيضاً الفاحشة

(١٠) **الجماع والمجامعة:** النكاح، من جامعها مجامعة وجماعاً أي نكحها

(١١) **السحق:** السحق في اللغة الدق، يقال سحقه سحقاً أي دقّه أشد الدقّ، والسحق في الاصطلاح

(١٢) **الدلك:** الفرْك والدعك، يقال دلك وجهه بالطيب أي صفحه وطلاه

- **الحدّ السابع عشر: خلق الناس وأسماؤهم**

الأول: خِلقةُ[1] الإنسانِ مستحسنُها ومستقبحُها.

الثاني: محاسنُ المحبوب.

الثالث: مقابحُ خلقِ النّسوة

الرابع: الشّيب والشباب وذكرُ المعمّرين[2].

الخامس: الأسامي والكِنى والألقاب[3]

●

- **الحدّ الثامن عشر: في الملابسِ والفرش**

الأول: الملابسُ ودورها

الثاني: البسطُ والفرشُ وآلاتُ المنزل

●

- **الحدّ التاسع عشر: في ذمّ الدنيا، وانكشافِ النوب**

الأول: ذمّ الدنيا ونوبها[4]

الثاني: انكشافُ[5] الشدائد

■

- **الحدّ العشرون: في الدّيانات والعبادات**

الأول: الوحدانيةُ والتقوى، والإيمانُ والتوبةُ، والورعُ[6] والتصوّفُ[7] ومتعلّقاتها

الثاني: المذاهبُ[8] المختلفةُ.

---

(١) **الخلقة:** الهيئة والخلقة أيضاً الفطرة

(٢) **المعمّرون والمعمّرين**: جمع معمّر وهو الرجل الذي عاش زماناً طويلاً

(٣) **الكنى:** جمع كنية وهي الاسم العلم المصدّر بلفظ الأب أو الأم نحو: **أبو عمرو وأم عمرو ـ الألقاب**: جمع لقب وهو اسم يسمّى به الإنسان سوى اسمه الأول مثل لقب الجاحظ الذي أطلق على الكاتب العباسي عمرو بن بحر. واللقب قد يحمل صفة **والجاحظ** لقب أطلق على هذا الكاتب لجحوظ عينيه أي بروزهما وهكذا يشعر اللقب بالمدح أو الذم

(٤) **نوب الدنيا أو الأيام**: مصائبها وصروفها التي تنتاب الإنسان

(٥) **انكشاف الشدائد:** زوالها أو انفراجها

(٦) **الورع:** التقوى وصدق العبادة والخشية من غضب الله

(٧) **التصوّف:** ضرب من ضروب العبادة له قواعده وأصوله ومذاهبه، والصوفيّ هو من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى.

(٨) **المذاهب:** جمع مذهب وهو المعتقد أو الطريقة، والمذهب الأصل

الثالث: الأنبياءُ والمتنبئون[1].

الرابع: أحوالُ القرآن ونزولهُ وفضيلتهُ.

الخامس: العباداتُ من الطهارة والصّلاة والزكاة والصوم والحجّ.

السادس: الأدعيَة.

●

● الحدّ الحادي والعشرون: في الموت وأحواله

الأول: الموتُ وأحواله.

الثاني: الهمومُ والصبر والتعازي والمراثي.

●

● الحدّ الثاني والعشرون: الأسماء والأزمنةُ والأمكِنة والمياهُ والأشجارُ والنيران

الأول: الملوان والسماء والنجوم.

الثاني: الأزمنةُ والسّحابُ والأمطارُ والمياهُ، وما يتعلّق بذلك.

الثالث: الربيعُ والخريفُ والأزهارُ والأشجارُ والنبت.

الرابع: الأمكنةُ والأبنية.

الخامس: المعاوز[2].

السادس: السّفر.

السابع: الحنينُ إلى الأوطان.

الثامن: النّيران.

●

● الحدّ الثالث والعشرون: الملائكة والجنّ

الأول: الملك[3].

الثاني: إبليس والجن والشياطين.

●

● الحدّ الرابع والعشرون: في الحيوانات

الأول: الخيل والبغال والحمير

---

(١) **الأنبياء:** جمع نبيّ وهو المخبر عن الغيب أو المستقبل بإلهام من الله. **المتنبئون:** جمع متنبئ وهو الذي يدّعي النبوة.

(٢) **المعاوز:** جمع معازة وهي الفلاة لا ماء فيها وسمّيت مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز.

(٣) **المُلك:** السلطة والعظمة، والمِلك ما يملكه الإنسان ويتصرف به.

الثاني: النَّعم[1].

الثالث: الوحشيات[2].

الرابع: الطّيور.

الخامس. الهَوام[3]

●

● **الحدّ الخامس والعشرون. في فنون مختلفة وهو آخرُ الحدود**

■

وإذ قد أتينا على ذكر الحدود والأنواعُ فلنبدأ، مستعينين بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلّى اللّهُ على سيّدنا محمّد وآله وصحْبه وسلّم

---

(١) النّعم: جمع أنعام وجمع الجمع أناعم وتطلق على الإبل والبقر والغنم

(٢) **الوحشيات**: جمع الوحشيّ وهو واحد الوحش، وكل ما يستوحش وينفر عن الناس

(٣) **الهوام**: حشرات الأرض

الحدّ الأوّل

في العقلُ والعلم والجهل وما يتعلّق بها

•

(١)
فيما جاء في العقل والحمْق[1] وذمّ اتباع الهوى

• ما يحدّ به العقلُ وبنوه والحمقُ وذووه

قيل: العقل الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً وقيل النظر في العواقب **وقال** المتكلّمون اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه.

وقيل العاقل من له رقيب على جميع شهواته **وقيل** من عقل نفسه عن المحارم، ولذلك لم يصح وصف الله تعالى به.

والحمْق قلّة الإصابة ووضعُ الكلام في غير موضعه، **وقيل** فقدان ما يحمد من العاقل.

• مدحُ العقل وذمُّ الحمق

قال النبي ﷺ ما اكتسب ابنُ آدم أفضل من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردى **وقيل** الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة والعقلُ وزيرٌ رشيد وظهيرٌ سعيد، من أطاعه أنجاه، ومن عصاه أرداه.

وقيل: لو صوّر العقل لأضاء معه الليل ولو صوّر الحمق لأظلم معه النهار

وقال المتنبّي

لولا العُقولُ لكانَ أدنى ضَيغَمٍ ... أدنى إلى شرَفٍ من الإنسانِ

• حاجةُ الفضائل إلى العقل

قيل: العقل بلا أدب فقرٌ، والأدب بغير عقل حتْف **وقيل:** بلوغ شرف المنزلة بغير عقل أشفاء على الهلكة. **وقيل** من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه.

---

(١) **الحمق**. قلّة العقل أو فساده

- **ذمُّ مَنْ له أدبٌ بلا عَقْل**

وصف أعرابيٌ رجلاً، فقال: هو ذو أدب وافر وعقل نافر.

فـهـبـك أحـا الآداب أيّ فـضـيـلـةٍ تـكـونُ لـذي عـلـمٍ ولـيـسَ لـه عَـقْـلُ

وقيل: ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل، كلّما ازداد رياً ازداد مرارة.

- **حاجةُ العقلِ إلى الأدب**

عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح. العقل والأدب كالروح، والجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح.

وقيل: العقل بغير أدب كأرض طيّبة خربة، وأن العقل يحتاج إلى مادة الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى قُوتها من الطعام.

- **ضياعُ العقل بفقد التقوى**

قيل: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن إنسان عبادة، قال: كيف عقله؟ فإن قالوا عاقل، **قال:** ما أخلقه أن يبلغ، وإن قالوا ليس بعاقل، **قال:** ما أخلقه أن لا يبلغ.

وقال الحسين: ثلاثة تذهب ضياعاً: دين بلا عقل، ومال بلا بذل، وعشق بلا وصال. **وقيل:** لا تعتدّوا بعبادة من ليس له عقدة من عقل.

- **فضلُ اجتماعهما**

قال معاوية، لرجل حكيم مسنّ: أيّ شيء أحسن؟ **فقال:** عقل طلب به مروءة، مع تقوى الله وطلب الآخرة.

- **عزّةُ العقل**

كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر كان أغلى. ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله. أوّل شرف العقل أنه لا يشترى بالمال.

- **قلّةُ العقل وذويه**

قيل لبهلول: عدّ لنا المجانين، **فقال:** هذا يطول، ولكنّي أعدّ العقلاء. ومثلهُ وإن لم يكن من بابه ـ أن رجلاً كتب كتاباً وعرضه على آخر، **فقال:** فيه خطأ كثير، **فقال الكاتب:** علّم على الخطأ لأصلحه، **فقال:** بل أعلّم على الصواب فهو أسهل.

وقيل لرجل: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعاً في أحد فأصفه وما لا يوجد كاملاً لا يحدّ.

● **فضلُ مصاحبةِ العقلاء**

قال الزهري: إذا أنكرت عقلك، فاقدحه بعاقل.

وقال: عدوك ذو العقل أبقى عليك، وأرعى من الوامق[1] الأحمق.

● **تبرّمُ العقلاء بصحبة الجهّال**

قيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنسُ منه بلين العيش مع السفهاء **وقيل:** قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل:

لم يبلَ ذو الجهل الذي	دارتْ عليه صروفُ دهرِه
ببليّةٍ أشجى له	من جاهلٍ يزري بقدرِه[2]
يمضي حكومتَه عليه	بجهلِهِ وجوارِ أمرِه

● **النهيُ عن مصاحبة الجاهل**

قال لقمان: لا تعاشرِ الأحمق وإن كان ذا جمال، وانظر إلى السيف ما أحسن منظره

وقال الجاحظ: لا تجالسِ الحمقى، فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد، ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً، من الصلاح، فإنّ الفساد أشد التحاماً بالطباع

وقيل: العقل يفسدُ عقلَه بمصاحبةِ الجاهل.

● **استعمالُ العقل والجهل مع ذويهما**

قيل: العاقل يعامل الإنسان على خليقته، ويجاري الزمان على طريقته:

فكنْ أكيسَ الكيْسى إذا كنتَ فيهم	وإن كنتَ في الحمقى فكنْ مثلَ أحمقِ[3]

وقال آخر:

أحامِقُهُ حتى يقالَ سجيّةٌ	ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه[4]

● **ذمّ عاقلٍ مُتجاهل**

قيل: عظمت المؤنة[5] في عاقلٍ متجاهل، وجاهلٍ متعاقل. وددتُ أني مثلك في ظنك، وأن أعدائي مثلك في الحقيقة.

قال المتنبي:

ومنْ ذا الذي يَدْري بما فيه من جهْل	يرى الناس ضلالاً وليس بمهتدِ

---

(١) **الوامق:** المحب الودود.

(٢) **البلية:** البلوى، المصيبة ـ **أزرى يزري بقدره:** استهان به وحقره.

(٣) **الأكيس (صيغة أفعل التفضيل):** أكثر كياسة، والكياسة الفطنة والظرف.

(٤) **السجية:** الطبيعة. (٥) **المؤنة والمؤونة:** الثقل والشدة.

● **صعوبةُ مداواةِ الأحمق**

لِــكُـــلِّ داءٍ دَوَاءٌ يُــســتَــطَـــبُّ بِــهِ ... إلا الحماقةُ أعيَتْ من يُداويها[1]

وقال المتنبي:

ومن البَلِيَّةِ عَذْلُ من لا يرعوي ... عن جَهلِهِ وخطابُ من لا يفهَمُ[2]

روي أن **عيسى عليه الصلاة والسلام**، أتى بأحمق ليداويه، **فقال**: أعياني مداواةُ الأحمق ولم يعيني مداواة الأكمه[3] والأبرص[4].

وقال الحجّاج: أنا للعاقل المدبِر أرجى منّي للجاهل المقبل.

وقيل: إنك تحفظ الأحمق من كل شيء إلا من نفسه، وتداويه إلا من حمقه.

● **تعبُ العاقل واستراحةُ الجاهل**

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟ فقال: من كفى أمر دنيه، ولم يهتم لأمر آخرته.

قال أبو علي كاتب بكر

مَــن رُزِقَ الــحُــمْــقَ فَــذُو نِــعْــمَــةٍ ... آثَـــارُهَـــا واضِـــحَـــةٌ ظَـــاهِـــرَه

يَــحُــطُّ ثِــقْــلَ الــمَــرْءِ عن نَــفْــسِــهِ ... والــفِــكْــرِ في الــدنــيــا وفــي الآخِــرَه

وقال آخر (المتنبي):

ذو العَقْلِ يشقى في النّعيمِ بعَقْلِهِ ... وأخو الجَهالةِ في الشَّقاوةِ ينْعَمُ

● **موصوفٌ بالعقل**

كان ابن المقفع والخليل[5] يحبان أن يجتمعا، فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ **فقال**: وجدت رجلاً عقله زائد على علمه. وسُئل الخليلُ عنه، **فقال**: وجدت رجلاً علمه فوق عقله.

قال بعض العلماء: صدقا فإن الخليل مات حتف أنفه في خص[6] وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل أسوأ قتلة

قال الصنوبري:

فإنْ يلتمسْ يوماً حِجاكم فإنَّكُم ... حُبالُ الحِجا لكنَّكم أبحرُ الجَدْوى[7]

---

(١) **يستطبّ به**: يداوى به ويعالج

(٢) **العذل**: اللوم - **يرعوي**: المضارع من ارعوى أي ارتدع وامتنع عن

(٣) **الأكمه**: الأعمى

(٤) **الأبرص**: المصاب بالبرص وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض ويسبب للمريض حكّاً مؤلماً

(٥) **الخليل**: (هنا) هو الخليل بن أحمد من أئمة اللغة وواضع علم العروض

(٦) **الخصّ**: البيت من قصب أو شجر، جمع خصوص

(٧) **حجاكم**: الحجى: العقل - الجدوى: العطاء.

وقال آخر:

فإن يك حائلاً لوني فإني ... لعقل غير ذي سقطٍ وعاءُ[1]

- **موصوفٌ بالحماقة والجهل**

سئل أعرابي عن رجل، فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره.

وقيل: فلان ليس له من عقله نفع ولا من نفسه واعظ. وقيل: أحمق من دغة ومن رخمة[2] وفي الرخمة: إنك من طير الله فانطقي، يقال ذلك كناية عن الحمق. حامري أم عامر.

وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه إذا أمر به إلى النار.

وقيل: فلان مخدوع من عقله فلا تستمن به

ليس يدري من الجهالةِ ماذا ... دورُ البعر في بطون الجمالِ

وقال آخر:

ربَّ ما أبين التباين فيه ... منزلٌ عامرٌ وعقلٌ خرابُ

وإذا قيل: فلان سليم الصدر، أو جامع في المسجد أو هو من أهل الجنة، فهو كناية عن الحمق.

- **تفضيل الجدّ[3] على العقل**

قيل: استأذن العقل على الجدّ، فلم يأذن له، وقال: أنك تحتاج إليّ وأنا لا أحتاج إليك. وانتحر العقل، فقال له الجدّ: أمسك فما لك نفاد[4] ما لم أصحبك. وقيل لأعرابي: فلان أحمق مرزوق، فقال: هذا هو الرجل الكامل. قال:

وهيهاتِ الحظُوظ من العقول

قال آخر:

وما لبُّ اللبيب بغير حظٍّ ... بأغنى في المعيشةِ من فَتيلِ[5]

---

(١) **السَقط**: اللئيم، و**السَّقط**: ما لا خير فيه.

(٢) **الرخمة**: واحدة الرخم، طائر من الجوارح أو فصيلة النسريات.

(٣) **الجد** (بفتح الجيم): الحظ.

(٤) **النفاد**: الخلاص، من نفد نفداً ونفوذاً ونفاذاً الشيء: خرقه، وجاز عنه.

(٥) **اللبّ**: العقل والجوهر ـ **الفتيل**: المفتول، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ، **والفتيل هنا كناية عن الشيء الرخيص**.

● صعوبةُ اجتماع العقل والجدّ

قيل: من زيد في عقله نقص من حظه. وما جعل اللهُ لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب عليه من رزقه. وقال شاعر في المعنى:

وخصلةٍ ليس فيها منْ يخالفُني ... الرزقُ والجهلُ مقرونان في قَرَنِ[1]

● كونُ الجدّ من جملة العقل

روى في الخبر، أن الله تعالى إذا أراد أن يزيل نعمة عبد، فأوّل ما يسلب منه عقله

وفي كتاب كليلة السبب المانع حظّ العاقل، هو السببُ لحظّ الجاهل

وسئل بعضهم العقل أفضل أم الجَدّ؟ فقال: العقل من جملة الجدّ.

● موصوفٌ بالجنون

وكأنّه من دَيْرِ هِرَقْل مُفْلتٌ ... جَرِدٌ يجرّ سلاسلَ الأقياد[2]

قال آخر:

به ما شئت من حمقٍ ... ومن جهلٍ ومن هوج[3]

قال آخر:

به طائفٌ مِنْ جِنّةٍ غير مُعقِب

قال آخر:

كأنّهُ من شهودِ الجنّ مختضر ... وقد رأى عقله منه على ضمر

ويقال: فلان سمين الجهل مهزول العقل.

● كونُ الهوى غالباً للهدى

قال عامر بن الظرب: الرأيُ نائمٌ والهوى يقظان فإذا هوي العبدُ شيئاً نسي الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[4]

ـ العقل صديق مقطوع والهوى عدوّ متبوع

ـ كم من عقل أسير في يدي هوى أمير

---

(١) الخصلة: الخلّة رذيلة كانت أو فضيلة، وغلب عليها الفضيلة ـ القرن: المقرون بآخر، والقَرَن حبل يُقرن به البعيران.

(٢) الأقياد: القيود

(٣) الهَوَج: مصدر هوج يهوج فهو أهوج: أي كان في حمق وطيش وتسرّع

(٤) القرآن الكريم: الفرقان/٤٣

وقيل: الهوى شريك العمى واتباع الهوى أوكد أسباب الردى. قال منصور الفقيه:

إنّ المرآة لا تريك خدوش وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

● النهيُ عن اتّباع الهوى

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: اعص هواك والنساء، وأطع من شئت.

وقيل للناس: في قصة يوسف عليه الصّلاة والسّلام آيات أعظمها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2] وقال بعض الحكماء: إذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه فالصواب في مخالفة الهوى.

قال:

من أجاب الهوى إلى كلّ ما يد عو إليه داعيه ضلّ وتاها

● النهيُ عن اتّباع هوى غيرك

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3].

وقال ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] وقال ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[5] وقال بعضهم لرجل: إني أهوى أن تقتل فلاناً، فقال له: إني لا أدخل النار في هوى غيري وإن كنت أدخلها في هواي.

● ذمّ من اتبعَ هواه

قال الله تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[6]

وقال النبيّ ﷺ: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وقيل: اتباع الهوى أوكدُ أسباب الردى.

ووقّع[7] عبدُ الله بن طاهر إلى عامل له:

نفسك قد أعطيتها مُنيها فاغرةٌ نحو مُناها فاها[8]

---

(1) القرآن الكريم: ص/٢٦.
(2) القرآن الكريم: يوسف/٥٣
(3) القرآن الكريم: المائدة/٨١.
(4) القرآن الكريم: الأنعام/١٥٠
(5) القرآن الكريم: الكهف/٢٨
(6) القرآن الكريم: الأنعام/١١٦.
(7) وقّع: من التوقيع
(8) فاغرة: اسم الفاعل المؤنث من فغر فاه أي فتحه.

وقيل: إن قدمت هواك على عقلك لم تصب رشداً في حياتك، ولا أمناً بعد وفاتك. وأنشد:

إنّ الهوانَ هو الهوَى جُزم اسمُه ... فإذا ألقيتَ هوًى لقيتَ هوانا[1]

● حمدُ مخالفتِه

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[2].

وبعث ملك إلى عابد مالك لا تخدمني وأنت عبدي. فقال: لو اعتبرت لعلمت أنك عبد عبدي. قال: كيف؟ قال: لأنك تتبع الهوى فأنت عبده وأنا أملكه فهو عبدي. فقال: صدقت.

وقيل: سلطانٌ من ملك الهوى فوق سلطان من ملك الدنيا.

● ذمّ من يجهل نفسَه

قال أبو علي الورّاق: آفةُ الناس قلّة معرفتهم بقدر أنفسهم.

قيل لبزرجمهر: أيّ العيوب أعظم؟

قال: قلّةُ معرفة المرء بنفسه.

وقال المتنبي:

ومَنْ جهلَتْ نفسُهُ قدرَهُ ... رأى غيرُهُ منه ما لا يَرى

وقال سقراط: لا شيء أضر بالإنسان من رضاه عن نفسه، فإنه إذا رضي عنها اكتفى باليسير فعابه كل حقير.

● مدحُ من يعرفُها

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: لن يهلك امرؤ عرف قدره. وقيل: أجمع كلمة قول الحكيم: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه.

وقال النبي ﷺ: من أراد الله به خيراً فقّهه في الدين وعرّفه عيوب نفسه.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3] معناه عرّفناهم عيوب أنفسهم.

● وقوفُ المرءِ على عيب نفسه

قيل لحكيم: ما أصعب الأشياء؟ قال: معرفة الإنسان عيبَ نفسه، والإمساكُ عن الكلام في ما لا يعنيه.

وقيل: قد يعرف نقص غيره من لا يعرفُ نقص نفسه، ولا يعرفُ نقْص نفسِه من لا

---

(1) الهوان: الذلّ. (2) القرآن الكريم: النازعات/ 40. (3) القرآن الكريم: الإسراء/ 70.

يعرفُ نقصَ غيره. فآكلُ الثوم لا يجدُ نتنَ نفسه

● **الحثُّ على تدبّر مساويك**

قال لقمان عليه السلام: لا تدعِ النظرَ في مساويك كلَّ وقت، لأنَّ تركَك ذلك نقصٌ من محاسنك. **وقيل:** كنْ في الحرصِ على تفقّد عيوبك كعدوّك

● **الحثّ على قدْعِ[1] النفس**

قال الحسن رضي الله عنه: أقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة

وقال حكيم: لا ينبغي لحكيم أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة

وقال أبو ذؤيب:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها ... وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنعُ[2]

وقيل: العاجزُ من عجزَ عن قدعِ نفسه

وقال النبي ﷺ: ألا أخبركم بأشدّكم من ملك نفسه عند الغضب

● **النهيُ عن الركونِ إلى النفس**

قال الجنيدُ رحمه الله: لا تسكنْ إلى نفسِك وإن دامت طاعتُها فإنَّ لها خدائع؛ وإن سكنتَ إليها كنتَ مخدوعاً

وقيل: من رضيَ عن نفسه سخط الناس عليه

● **المسرورُ بأن عرفَ عيوبَه**

قال عمر رضي الله عنه: رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا

وقالت الحكماء: أنت لا ترى عيب نفسك، فسلْ من ترضى عقله ونصحه يعرّفك.

وقال رجل لمسعر: أتحبّ أن تُهدى إليك عيوبُك؟ **فقال** أمّا من ناصح فنعم، وأمّا من شامت فلا. **وقيل:** ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه تريه خيرَه وشرّه.

قال الشاعر:

أصبحت في هيئةِ المرآة تخبرُنا ... عيوبَنا كلَّ ما فينا من الكَدَر[3]

●

---

(١) **قدْع النفس:** القدع مصدر قدع قدعاً فلاناً عابه ورماه بسوء القول، وقدع نفسه عابها

(٢) يتناول **أبو ذؤيب الهذلي** في هذا البيت تأثير العادة في النفس ويحثّ على كبح رغباتها وردّها إلى جادة القناعة.

(٣) الكدر في هذا السياق كناية عن عيوب النفس، فالشاعر يدعو إلى تأمل النفس في مرآة النقد الذاتي لكشف عن تلك العيوب لتلافيها وتجنّبها

(٢)
ما جاء في الحزم والعزم
وما يضادهما، والظنُّ والشكُّ والتثبتُ والعجَلةُ

●

● **ماهيةُ الحَزم والعزم**

قال عبد الملك لعمر بن عبد العزيز: ما العزيمة في الأمر؟ **قال:** إصداره إذا ورد بالحزم. **فقال:** وهل بينهما فرق؟ **قال:** نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ليستْ تكونُ عزيمةٌ ما لمْ يكنْ ... معهَا من الرأي المشيد رافعُ[١]

فقال: للهِ درّكَ عشتَ دهراً وما أرى بينهما فرقاً.

وقيل لبعضهم: ما الحزم؟ **قال:** الفكر في العواقب.

● **النهيُ عنْ الدخولِ فيما يصعُبُ الخروجُ منه**

قال معاوية لعمرو بن العاص (رضي الله عنهما): ما بلغ من دهائك؟ **قال:** ما دخلتُ في أمرٍ إلا عرفتُ كيف الخروجُ منه. **فقال:** لكنّي ما دخلت في أمر قط وأردت الخروج منه.

وقيل في الحكمة: إن اتسع لكَ المنهجُ، فاحذر أن يضيقَ بك الخروج.

قال الشاعر:

وإذا هممتَ بوِرد أمرٍ فالتمِسْ ... من قبل مورده طريقَ المصدرِ[٢]

● **حمدُ تلقّي الأمرِ بالحزم**

قيل: من لمْ يقدّمه حزمُه أخّره عجزُه. من استقبلَ وجوه الآراء عرفَ مواقع الخطأ. خذ الأمرَ بقوابله، إن رمت المحاجرة فقبل المناجزة. قبل الرمي تُملأُ الكنائن[٣]. قبل

---

(١) هذا القول شبيه بقول القائل:

إذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدِماً ... فإن فساد الرأي أن تتردّدا

(٢) يدعو الشاعر إلى تلمُّس طريق الخلاص من الإقدام على أمر أو سلوك درب، وهذا شبيه بقول ابن المقفع: ولكنّ العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه، ومثله قول المهلهل في قصيدته «الدّاهية»:

من شاء ولّى النفس في مهمه ... ضنْكٍ، ولكن من له بالمضيق

والبيت من إحدى القصائد السبع المعروفة بـ«المنتقيات».

(٣) الكنائن: جمع كنانة وهي جعبة السهام.

الإقدام[1] تراشُ السهام. دمتْ لنصيبك قبل اليوم مضطجعاً. اتّقِ العثار[2] بحسنِ الاعتبار.

قال البحتري:

فتًى لم يضيّع وقتَ حزمٍ ولم يبتْ ... يلاحظُ أعجازَ الأمورِ تعقّبا

قال آخر:

وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه ... وليس بأنْ تتبّعه اتّباعا

● مدحُ التفكّر في العواقب

قال أزدشير: ليسَ للأيامِ بصاحب، من لم يتفكر في العواقب. يا عاقد اذكر حلاً، من لم ينظر في العواقب تعرضَ لحادثات النوائب.

قال الشاعر:

ومن تركَ العواقبَ مهمَلاتٍ ... فأيسرُ سعيِهِ أبداً تبارُ[3]

وقيل: الفكرة مرآة تريك الحسنات والسيئات.

● إقامةُ العذْرِ باستعمالِ الحزْم

قيل: من استشار فيما نزل به صديقه واستخار ربه، واجتهد رأيه، فقد قضى ما عليه، وأمن رجوع الملامة إليه. وقيل: من أعجبِ الأشياء جاهل يسلمُ بالتهوّر، وعاقلٌ يهلك بالتوقّي.

قال كشاجم[4]:

وعليَّ أن أسعى وليـ ... ـس عليَّ إدراكُ النجاح

● تفضيلُ الحزْمِ على الجهل

الحيلةُ أنفع من الغيلة. قال حكيم لابنه: كن بحيلتِك أوثقَ منك بشدّتك فالحربُ حربٌ للمتهوّر، وغنيمةٌ للمتحذّر.

وقيل: الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جديدة

قال الموسوي:

ولستُ مقارِعاً جيشاً ولكنْ ... برأيي يستضيءُ ذوو القِراعِ[5]

---

(1) تراش السهام: يلزق عليها الريش.

(2) العثار: من عثر به أي ما زلّ به أو كبا.

(3) التبار: الخراب والهلاك.

(4) كشاجم: هو أبو الفتح محمود المعروف باسم السندي لأنه هندي الأصل، وكان يعمل طبّاخاً عند سيف الدولة له كتاب أدب النديم.

(5) المقارع: اسم فاعل من قارعه أي ضاربه - يستضيء: يستنير ويستأنس.

● **فضلُ التدبير وذويه**

نظامُ الأمر التدبيرُ، ورأس الأمر التقدير. وقيل: من فعل بغير تدبير، **وقال** بغير تقدير، لم يعدم من الناس هازئاً ولا حياً.

وقيل: فلانٌ يعرفُ من أين تؤكلُ الكتف[1] ويعرفُ منابتَ القصيص، وهما مثلان يقالان في من يعرف وجه الأمر.

● **الحثُّ على الاشتغالِ بما يعنيكَ عمّا لا يعنيك**

قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ **قال**: حفظُ ما كلفتَ وتركُ ما كُفيت. **وقيل** للأحنف: بم سدتَ قومك؟ **قال**: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وقال رجل لأفلاطون[2]: لم تحتمت في ما يعنيك؟ فقال لأعرف المتكلفين، ومن يسأل عمّا لا يعنيه.

قال الشاعر:

ولا تعترض في الأمر تكفي شؤونه

● **ذمُّ تاركِ ما يعنيه لما لا يعنيه**

قال ابن هرمة[3]:

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ ... وملبسةٍ بيض أخرى جناحاً

وقال آخر:

هراق[4] الماءَ واتّبع السّرابا

● **عتبُ من نصرَ نفسه لنفعِ غيره**

قال الشاعر:

يكسي الأنامَ ويعري نفسَه ... ويمسّ من حليه الأسعل

---

(١) **من أين تؤكل الكتف**: مثل يقال لمن يحسن انتهاز الفرص والإعدة من السوانح ومعرفة دروب النجاح ومسالك الأمور، ومثله قولهم: فلان يعرف منابت القصيص.

(٢) **أفلاطون**: أحد كبار فلاسفة الإغريق. كان تلميذاً للحكيم سقراط، ومن تلامذته أرسطو رأس فلاسفة اليونان والعالم قبل الميلاد.

(٣) **ابن هرمة**: هو إبراهيم بن هرمة ولد في المدينة سنة ١٩٥ هـ (٨١٠م)، ومدح الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور ومات سنة ٦٢٧ هـ (٨٨٠م).

(٤) **هراق الماء**: أي أراق، وكانت بعض قبائل العرب تستعمل الهاء في موضع همزة التعدية مثل هار وهطاع في موضع أثار وأطاع.

وقال العباس بن الأحنف[1]:

صرتُ كأنّي ذبالةٌ نُصبتْ تُضيءُ النّاسَ وهي تحترقُ[2]

● ذمّ الاقتصارِ على مجرّد التوكّل

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أرسل ناقتي وأتوكل. فقال: بل عقلها[3] وتوكّل.

مرّ الشعبي بإبل قد فشا فيها الجرب، فقال لصاحبها أما تداوي إبلك؟ فقال: إن لنا عجوزٍ تتكل على دعائها. فقال: اجعل مع دعائها شيئاً من القطران.

وفي كتاب كليلة لا يمنع العاقل يقينه بالقدر من توقّي[4] المخوف، بل ليجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم.

قال الشاعر:

والمرءُ تلقاهُ مضياعاً لفرصتِهِ حتّى إذا فاتَ أمرٌ عاتبَ القدرا

قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنه، حين كره طواعين الشأم ورجع إلى المدينة، أتفرّ من قدر الله؟ قال: نعم إلى قدر الله. فقال له: أينفع الحذر من القدر؟ فقال: لسنا ممّا هناك في شيء، إن الله لا يأمر بما لا ينفع، ولا ينهى عما لا يضر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[6].

● ذمّ طلب الأمر بعد فوته

قيل لبعض الحكماء هل شيء أضرّ من التواني؟ فقال: الاجتهاد في غير موضعه. وقيل: العجز عجزان عجز التقصير وقد أمكن؟ والجدّ في طلبه وقد فات. أخذه الشاعر فقال:

تتبّعُ الأمرِ بعدَ الفوتِ تغريرٌ وتركُه مقبلاً عجزٌ وتقصيرُ[7]

وقيل: شرّ الرأي الدبري[8].

---

(١) العباس بن الأحنف: شاعر الرشيد ومن أبرز شعراء الغزل مات سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨م).

(٢) الذبالة: الفتيلة ـ شبّه نفسه بالذبالة التي تحترق لتضيء الناس. وفي هذا الكلام صورة بارعة من صور الإيثار والتضحية.

(٣) اعقلها: أي اعقل الدّابة، والعقل هنا بمعنى نربط، والمقصود بهذا القول تدبّر الأمور وعدم الإهمال أو الغفلة عن الواقع.

(٤) توقّي المخوف: أي الحذر من العواقب السيئة، وتجنبها قبل الوقوع فيها.

(٥) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٥.

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ٧٠ و١٠١.

(٧) الفوت: تجاوز الميقات الصحيح.

(٨) الرأي الدبري: هو الذي يأتي متأخراً بعد فوات الأمر.

قال الشاعر:

أَصْبَحْتَ تنفُخُ في رمادِك بعْدما ... ضيَّعْت حظّك من وقودِ النّارِ

● **الأمرُ بتركِ التلهفِ على ما فات**

قال الله تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾

قيل: أكبرُ الأدواء للبدنِ التلهفُ على ما لا يُدْرَك. إن ليتاً وإن لو إعياء.

● **إظهارُ الندامةِ والتأسّف**

قال الشاعر:

عضضتُ أناملي وقرعْتُ سنّي[1]

وقال الكسعي وخبره مشهور:

ندمت ندامةً لو أنّ نفسي ... تطاوعُني إذاً لقطعتُ خَمْسِي

تبيّنَ لي سفاهُ الرأيِ منّي ... لعمرُ أبيك حينَ كسرْتُ قوْسِي

وهذا هو المضروب به المثل في الندامة وإياه عنى الفرزدق بقوله

ندمتُ ندامةَ الكسعيّ لما ... غدَتْ منّي مطلّقةً نوارُ

وقال صخر بن عمرو:

أهمّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه ... وقدْ حيل بين العيرِ والنزوان[2]

قال آخر:

وكنتُ كناشبٍ في الوحلِ ينْوي ... نهوضاً وهو يزدادُ ارتطاما[3]

● **مدحُ من لا يندم فيما يباشرُه**

قال أبو الأصبع: لا ينهضُ العجزُ في أعقاب نهزته[4]، ولا يصاحبُ عزماً حين يخترمُ[5] المتنبي

فما تكشفكُ الأعداءُ عنْ ملَلٍ ... من الحروب ولا الآراءُ عنْ زلَلِ

وقال الموسوي في مدح بعضهم.

في قرعه سنّه لا يطمع النّدمُ

(١) عضضت أناملي وقرعت سنّي: كناية عن الندم والحسرة على ما فات ولا يمكن استدراكه

(٢) النزوان: الوثب

(٣) الناشب: العالق غير القادر على الخلاص أو الفكاك

(٤) النهزة: السانحة أو الفرصة الملائمة

(٥) اخترم يخترم (الأمر). مضى وانقضى، واخترم (فلان): مات

● النهيُ عنِ الاعتذار

وقيل في المثل: عِشْ ولا تغْتر.

وقيل: الفرارُ بقراب أكيَس. وقيل: لا تكن كمن أراقَ الماء واتبعَ السّراب.

● الأمرُ بالإقدام بعْدَ الاتضاح والمدحُ بذلك

قيل: ربَّ بَحزم فإذا استوضحت فاعزِمْ. **وقيل:** أحزمُ الناس منْ إذا وضحَ له الأمرُ صدعَ فيه. **وقيل:** أعظمُ الخطأ العجلةُ قبلَ الإمكان، والتأني بعْد الفرْصة.

قال الشاعر:

وواقفٌ عنْدَ الأمرِ ما لمْ يضحْ لهُ　　　وأمضي إذا ما همّ منْ كانَ ماضيا

● مدْحُ التجارب

التجاربُ ليس لها نهاية والمرءُ منها أبداً في زيادة. **وقيل:** العقلُ كالسيْف والتجربةُ أشطر. **وقيل:** التجاربُ مرائي العيوب وبواعثُ العيوب.

● مدْحُ مجرّب

قيل: فلان حلب الدهر بأثقع وهو مجرّب ومُبشر[1]

قال الشاعر:

حلبتُ الدهرَ من عسلٍ وصابٍ　　　ودرّبتُ الزمانَ بكلِّ ربحِ[2]

ومدح أعرابي قوماً فقال: أدبتهم الحكمةُ وأحكمتْهم التجاربُ ولم تغررهم السلامةُ المنطويةُ على الهلَكة

● ذمُّ غير مجرّب

قيل: فلان غمر لم تسمه[3] التجاربُ، ولم تفترعه النوائب، وغمرٌ لم تسمه النوب، ولم يعضَّ غاربَه القتب[4].

وصف إعرابي والياً مغتراً فقال: ما أطول سكر كأسٍ شربَها فلان، ولم يخفْ من عاقبتها الخمّار.

● المُصيبُ بظنّه

قيل: من لم ينتفعْ بظنّه، لم ينتفع بيقينه. **وقال النبي ﷺ:** إنَّ لله عباداً يعرفون الناس

---

(١) **حلب الدهر:** أي خبره حتى صار ذا تجربة ودراية بوقائعه ومعطياته

(٢) **الصاب:** العلقم

(٣) **لم تسمه:** من الوسم وهو أن يجعل لشيء علامة والوسم ترك أثر أو سمة على الجلد بالكيّ

(٤) **لم يعضّ غاربه القتب:** الغارب: الحبل، والقتب: الرحل، وهذا القول من باب المثل ويضرب للذي لم يكتسب خبرة أو تجربة

بالتوسّم. وقال عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظرُ بنور الله.

وكان عمر (رضي الله) عنه يقالُ له المحدَث لصحة ظنّه

وقال النبي ﷺ: إن يكنْ في هذه الأمة محدثٌ فهو عُمَر. ويقال فلانٌ ألمعيٌ، وقيل: ما تزاحمت الظنونُ على أمرٍ مستورٍ إلا كشفته

قال الشاعر:

إذا مـــا ظـــنَّ أعــرَضَ أو أصـــابَـــا

وقال

نـجـيـبـح مُـلـيـحٌ أخُـو مـارق	يـكـادُ يُـخـبـرُ بـالـغَـائـب

وقال البحتري:

وإذا صـــحَّـــتِ الـــرويّـــة يـسـومـــاً	فـــســـواءٌ ظـنُّ امـرىءٍ وعــيـــانُـــه[1]

وقال الموسوي:

ولا عـلـمَ لـي بـالـغـيـب إلا طـلـيـعـةٌ	من الحَزْمِ لا يَخْفَى عليها المَغيبُ

● مدحُ الشكّ وسوءِ الظن

قيل: موحشة الشكّ ينالُ أنسُ اليقين وقيل عليك بسوء الظّنّ، فإن أصاب فالحزمُ، وإن أخطأ فالسلامة

قال الشاعر:

وحـسـنُ الـظـنّ عـجـزٌ في أمـورٍ	وسـوءُ الـظـنّ يـأخُـذُ بـالـيَـقـيـن

وقيل:

مـنْ أطـالَ الـركـونَ قـلّ ركـونُـه[2]

وقولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3] دلالة على أن جُلّه صواب وقال عبد الملك: فرّقَ ما بين عمرَ وعثمان إنّ عمر أساء ظنّه فاحكم أمره وعثمان أحسن ظنّه فأهمل أمره.

وقيل لبعضهم أسأت الظنّ، فقال: أن الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل أن يملأها حذراً، وقال أبو محمد الخازن:

ومـــا شــكّــي وإن أكـــثـــرتُ إلا	محـامـاة عـلـى الـشـيء الـيَـقـيـنِ[4]

(١) الروية فطول التأمل والتفكر ـ العيان: المشاهدة

(٢) الركون الاطمئنان إلى الواقع وعدم التحري عن الحقائق والوقائع

(٣) القرآن الكريم. الحجرات/ ١٢

(٤) اعتبر الشاعر الشكّ واجباً لحماية اليقين وصونه من دواعي الإيمان والثبات

● ذمّهما

قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وقال شيخ لرجل: أظنك كاذباً فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه، وقال:

واضعفُ عصمةٍ عصمُ الظنون

وقال المتنبي:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه وصدّق ما يعتادُه من توهّمِ[1]

● مدحُ التغافل

سئل حكيمٌ: ما اللبيب؟ فقال: الفطنُ المتغافل. ولما أمضى معاوية بيعة يزيد قال: يزيد: يا أبتِ ما أدري أنخدعُ الناسَ أم يخدعوننا بما يأخذون منّا؟ فقال: يا بنيّ من خدعك فانخدعت له فقد خدعته. وقيل: إذا أردت لباس المحبّة فكنْ عالماً كجاهل. وقيل: من تعاقل عقلوه، ومن تكايس عطعوه أي أغروا به على الفطانة.

قال الشاعر:

ليس الغبيُّ بسيّدٍ في قومه لكنّ سيّدَ قومِه المتغابي[2]

ولأبي فراس وقد أجاد:

تغابَيْتُ عن قومي فظنّوا غباوتي بمفرقِ أغبانا حصىً وترابُ[3]

● من لا يَخدع لفضله

قال عمرو بن العاص: ما رأيتُ أحداً كلّم عمر رضي الله عنه إلا رحمته لأنه كان لا يخدع أحداً لفضله، ولا يخدعه أحد لفطنته. وقال أياس بن معاوية:

لستُ بخبٍّ ولا الخِبُّ يخدعني[4]

وقيل لرجل: فيك فطنة، فقال: ما ذنبي إذ خلقني الله عاقلاً.

● مدحُ التثبّت

قال الشعبي: أصاب متأمّلٌ أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد. وقال عمرو بن العاص: لا يزال المرءُ يجني من ثمرة العجلة الندامة. وروى عن النبي ﷺ: ما دخل الرفق في شيء إلا زانه[5] ولا الخرق إلا شانه[6].

---

(١) يذهب المتنبي إلى أن سوء الظنّ نابع من سوء الفعال، فالخائن لا يصدق الناس ثقته واللص يتهم سواه باللصوصية.

(٢) المتغابي: الذي يتظاهر بالغباء من قبيل الحذر والاحتراس.

(٣) تغابيت: تظاهرت بالغباوة.

(٤) الخبّ: المخادع.

(٥) زانه: جمّله وزيّنه.

(٦) شانه: عابه.

قال الشاعر:

لا تــعــجــلــنّ فــربّــمــا عــجــلَ الــفــتــى فــي مــا يــضــرّه

وقال الموسوي:

وشوكةُ ضعنٍ ما انتقشت شباتها ذهاباً بنفسي أنْ يُقالَ عجولُ[1]

● مدحُ العَجلة

لأبي العيناء وقد قيل له لا تعجل فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال نبيّ الله موسى عليه السلام وعجلت إليك ربّ لترضى.

وقيل: المتأني في علاج الداء بعد أن عرف الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أحدت بحواشي ثيابه وسأل أبو عليّ البصير بن عمارة حاجةً فقال: رح إلى وقت العصر فجاءه عند الظهر فقال: ألم أعدك وقت العصر؟ فقال: نعم ولكن رأيت الإفراط في الاستظهار أحمد.

● ما تحمدُ فيه العَجلة

قال معاوية: ما من شيءٍ يعدلُ التثبت، فقال الأحنف: إلا أن تبادر بالعمل الصالح أجلك تعجل إخراج ميتك وتنكحَ الكفء أمتك.

● مدحُ انتهازِ الفرصة

قيل: الهيبةُ خيبة والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب. وقيل: انتهزِ الفرصة قبل أن تعود غصة الإفتراصُ اقتناصٌ[2] وقيل: الفرصة ما إذا أخطأك نفعه لم يصبك ضرّه.

● التفكّر في العواقِب

قيل: إحمد تغنم، ولا تفكّر في العواقب فتهرمَ.

قال الشاعر:

إذا حدَّثته النفسُ أمضى حديثَها وهانَ عليْه ما يرى في العواقبِ

وقيل: من تفكّر في العواقب لم يشجع في النوائب.

● طلبُ الأمرِ بالمداراة

قال الأحنف: عجبتُ لمن طلب أمراً بالمغالبة[3]، وهو يقدرُ عليه بالملاينة[4] ولمن طلب أمراً بخرق[5]، وهو يقدرُ عليه برفق.

---

(١) الضغن: الحقد والبغضاء ـ الشباة: العقرب ساعة تولد، والشباة من السيف قدر ما يقطع به
(٢) الاقتناص: الاصطياد. (٣) المغالبة: المقارعة والمخاصمة.
(٤) الملاينة: التساهل والتلطّف. (٥) الخرق (هنا): العنف.

وقيل لبعضهم: ما الدهاء؟ فقال: قتل العدوّ في لطف.

● مدافعةُ العدوّ بالمُداراة

في كتاب كليلة:[1] لا تسلم من العدو القويّ بمثل التذلّل والخُضوع، كما أن الحشيشَ إنما يسلمُ من الريح العاصف بانثنائه معها، أينما مالتْ به الريح ساعدته.

أخذه ابن الرومي فقال:

كالريحِ والزرعِ استكانَ لمرِّها   وعتَتْ فلم تقدرْ على تقصيفِهِ[2]
كمْ قدْ نَجَا منه الضعيفُ وما نجَا   منه العنيفُ بلطفِه ولطيفِهِ
وتهاتنِ الجذعُ الأبي مهزّه   فأتت عليه ولم ترعْ لخفيفِهِ[3]

ولهذا الباب نظائر في العداوات.

● الجهلُ بمستقبل الزّمان

قال الله تعالى مخبراً عن النبي عليه السلام: ولو كنت أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير، وما مسّني السوء.

قال القطامي:

وما يعلمُ الخيرَ امرؤٌ قبل أن يرى   ولا الشرَّ حتى تستبين دوائرُه

وقال آخر:

تبينُ أعقابُ الأمورِ إذا مضتْ   وتقبلُ أشباهاً عليكَ صدورُها[4]

(٣)

ومما جاء في المشاورة والاستبداد بالرأي

●

● الحثُّ على مراجعة الأوِدّاء[5] ومدح المشاورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[6] وقيلَ مَنْ شاورَ أهلَ النصيحة سلم من الفضيحة. وقال النبي ﷺ: المشاورةُ حصنٌ من النّدامة وأمنٌ من الملامة.

---

(١) كتاب كليلة: أي كتاب كليلة ودمنة المعروف لابن المقفع.
(٢) استكان استكانة: خضع ـ عتت الريح: اشتدّت وعصفت.
(٣) تهاتن: تتابع ـ أتت عليه (هنا): اجتثته، وقسمته.
(٤) أعقاب الأمور: عواقبها.
(٥) الأوِدّاء: ذوو المودة والنصيحة.
(٦) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٩.

وقيل: ما هلكَ امرؤٌ عن مشورة. وقيل الرأيُ الواحد كالسجيل والرأيان كالخيطتين والثلاثة أمداد لا ينقص.

وقال النبي ﷺ: نعم الموازرة[1] المشاورةُ وبئس الاستعدادُ الاستبداد. الأحمقُ من قطعه العجبُ عن الاستشارة والاستبدادُ عن الاستخارة. من شاور الأوِدّاء أمن من الأعداء. نصف رأيك مع أخيك فاستشره.

● الحثُّ على مُشاورة الحازم اللبيب

قال الجاحظ: أحسنُ ما قيل في المشورة قولُ بشار:

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعِن ... بحزمِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ[2]
ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً ... فإنَّ الخوافي قوةٌ للقوادمِ[3]

وقوله:

ولا كلُّ ذي رأي بمؤتيك نصحه ... ولا كلُّ مؤتٍ نصحه بلبيبِ
ولكنْ إذا ما استُجمعا عند واحدٍ ... فحقٌّ له من طاعةٍ بنصيبِ[4]

وقال عبد الله بن معاوية:

وإنْ بابُ أمرٍ عليك التوى، ... فشاور نبيهاً ولا تعصه[5]

وقال عمر رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ذو عقل ورأي فهو يعمل عليه، ورجل إذا أحزنه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر[6] لا يأتي رشداً ولا يطيع مرشداً.

● الحثُّ على استشارة الكبار

قال زياد لأبي الأسود[7]: لولا أنك كبرت لاستعملتُك واستشرتك، فقال: إن كنت تريدني للصراع فليس فيَّ، وإن كنت تريد الرأي فهو وفيَّ. وقيل: زاحم بعود أو دع.

وقيل: عليك برأي الشيوخ، فقد مرّت على وجوههم عيون العبر وتصدّعت لأسماعهم آثار الغير

(١) الموازرة: مخفف الموآزرة، أي التعاضد.
(٢) النصيح: الناصح جمع نصحاء والنصوح بمعنى نصيح والناصح وللمذكر والمؤنث على السواء.
(٣) الغضاضة: الذلة والمنقصة ـ الخوافي: الريش القصير الناعم في جناح الطائر وخلافها القوادم جمع قادمة وهي الريشة الطويلة.
(٤) حقّ له: استحق. (٥) التوى الأمر: استعصى. النبيه (هنا): العاقل الفطن.
(٦) البائر: الذي لا يطيع مرشد وأصل البوار الكساد.
(٧) أبو الأسود: هو أبو الأسود الدؤلي من أوائل النحاة وهو من بني ديل وكان شاعراً أيضاً. مات بمرض الطاعون سنة ٦٢ هـ (٦٨١م).

● الحثّ على استشارة الصّغار

قال هرم: عليكم في المشاورة بالحديث السنّ الحديد الذهن. **وقيل:** رأي الشيخ كالزند قد انثلم[1]، ورأي الشاب كالزند الصحيح الذي يوري[2] بأيسر اقتداح.

● الحثّ على مشاورة العدوّ

في كتاب كليلة: لا ينبغي للعاقل أن يترك استشارة عدوّه ذي الرأي فيما يشركه ذلك العدو في نفعه وضرّه. **وقيل:** استشر عدوّك تعرفْ مقدار عداوته.

● من يجبُ أن تُجتنَبَ مشاورتُه

قال قيس لابنه: لا تشاورنّ مشغولاً، وإن كان حازماً، ولا جائعاً، وإن كان فهيماً، ولا مذعوراً، وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان فطناً. فالهمُّ يعقل العقل ولا يتولّد منه رأي ولا تصدق منه رويّة.

وقيل: لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصّر بفعلك، ولا جباناً فيخوّفك، ولا حريصاً فيمدك ما لا يُرتجى، فالجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سُوء الظن.

وقيل: لا تشاورْ من ليسَ في بيته دقيق. وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بعفق ستة ثم يستشيره.

وقيل لا تشيرنّ على معجب ولا متلوّن[3]، وخف اللّهَ من موافقة هوى المستشير.

وقيل: إياك ومشاورة النساء فرأيهنّ إلى أفن[4] وعزمهُنّ إلى وهن.

وقال النبي ﷺ: شاوروهنّ وخالفوهنّ، **وقال:** لا تستضيئوا بنار المشرك أي لا تستشيروهم.

● المستَدْعي المشُورة

قال عمر رضي الله عنه: صاحب الحاجة أبله لا يُرشد إلى الصواب فلقّنوا أخاكم وسدّدوا صاحبكم.

وقال إعرابي:

دلاً على حيلة فيها لنا فرجٌ ... إذ الدليلُ على خيرٍ كمَنْ فعَلا

وقال آخر:

خليليّ ليس الرأيُ في صدرِ واحدٍ ... أشيرا عليّ اليومَ ما تريَانِ

---

(١) **انثلم (الإناء)**: انكسر، والحائطُ أصابه خلل. (٢) **يوري**: يخرج النّار.

(٣) **المتلون**: الذي تختلف أخلاقه والمتلوّن المخادع الذي لا يثبت على رأي أو مبدأ.

(٤) **الأفن**: الضعف، وضعف الرأي بخاصّة.

● الحثُّ على نصيحة مستشيرك

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لرجل لا يزال يزاد في صحة رأيه ما نصح مستشيره، فإذا غشّ مستشيره سلبَه الله صحة رأيه.

ولمّا أصاب زياداً الطاعونُ في يدهِ أحضر له الأطباء فدعا شريحاً فقال له: لا صبرَ لي على شدّته وقد رأيتُ أن أقطعها فقال شريح: أتستشيرني في ذلك؟ قال: نعم، فقال: لا تقطعها فالرزقُ مقسومٌ والأجلُ محتوم وأنا أكره أن تُقدمَ على ربك مقطوع اليد، فإذا قال لك: لم قطعتها؟ قلت: بغضاً للقائك وفراراً من قضائك. فمات زياد من يومه. فقال: الناس لشريح: لم نهيته عن قطعه؟ فقال: استشارني والمستشار مؤتمن ولولا الأمانةُ لوددتُ أن أقطعَ يده يوماً ورجله يوماً.

وقال يحيى: لا تشيرنَّ على عدوِّك وصديقك إلا بالنصيحة، فالصديق يقضي بذلك حقَّه، والعدوّ يهابُك إذا رأى صوابَ رأيك.

● من يجبُ أن يشارَ عليه إذا استشار

قيل: لا تشر على مستبدّ ولا على وغْد[1]، ولا على لَجُوح[2]، ولا معجب، ولا على متلوّن، وخف الله في موافقة المستشير، فالتماسُ موافقته لؤمٌ وسوءُ الاستماعِ منه خيانة.

وقيل: من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشبه، فقد خدع نفسه.

● من ضربَ لمُستشيره مثلاً صمم في مشورته

شاور المنصورُ سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم صاحب الدولة فقال: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فقال عيشك، واستشار فيه آخر فقال: ولن يجمع السيفين ريحك في غمد.

واستشار معاويةُ الأحنف في بيعة يزيد فقال الأحنف: أنت أعلم بليله ونهاره وسرّه وإجهاره، فإن كنت تعلمه لله رضا وللأمة صلاحاً، فلا تشاور فيه أحداً. وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

● الممدوحُ بأنّه مستشار

وقالت امرأة من أياد:

المستشارُ لأمرِ القومِ يحزُبُهم ... إذ الهناتُ أهمّ القومَ ما فيها

وقال أبو تمّام:

يطولُ استشاراتِ التجاربِ رأيُه ... إذا ما ذوو الرأي استشارُوا التجاريا

---

(١) الوغْد: الدنيء، الضعيف العقل.

(٢) اللحوح: اللجوج، الذي يلح في السؤال ونحوه.

- **الرغبةُ في الاستبدادِ بالرأي**

قال بعض الحكماء: ما استشرت أحداً قط إلا تكبّر عليّ وتصاغرت[1] له ودخلته العزّة وأدركتني الذلّة. وإيّاك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب.

وكانت الفرس والروم مختلفين في الاستشارة.

فقالت الروم: نحن لا نملك من يحتاج أن يستشير، وقالت الفرس نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة وفضل الفرس لقوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2] وما زال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه ابن هرمة بقوله

يزِنُ امرأً لا يصلح القوم أمره ... ولا يستحي الأدنين فيما يحاولُ

فاستوى جالساً وقال: أصبت والله. فما استشار بعد ذلك.

وقال بعض جلساء هارون[3]: أنا قتلت جعفر بن يحيى، وذلك أني رأيت الرشيد يوماً وقد تنفس تنفساً، مفكراً فأنشدت في أثره

واستبدَّتْ مرّة واحدةً ... إنما العاجزُ من لا يستبدّ[4]

فاصغى إليه واستعاده[5]، فقتل جعفراً بعد غب لبث.

وقال المهلّب: لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر، وتوفير العقل لوجب التمسك بفضله.

- **المتفادي من أن يُستشار**

استشار عبد الله بن عليّ عبد الله بن المقفّع فيما كان بينه وبين المنصور، فقال لست أقود جيشاً ولا أتقلّد حرباً ولا أشير بسفك دم وعثرة الحرب لا تستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان.

واستشار زياد رجلاً فقال: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أراني هناك.

واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكثم بن صيفي[6] يستشيرونه فيما دهمهم من يوم

---

(١) تصاغرت له: تذلّلت له وعظمت أمره (٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٩

(٣) هارون: أي الخليفة العباسي هارون الرشيد.

(٤) هذا البيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة ومطلعها

ليت هنداً أنجزتنا ما تعِد ... وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدّتْ مرّةً واحدةً ... إنما العاجزُ من لا يستبد

وواضح أن هارون الرشيد تلقى الحكمة في قول عمر وسارع إلى قتل جعفر.

(٥) استعاده: عاود سماعه.

(٦) أكثم بن صيفي: أحد حكماء العرب المشهورين وكان يكثر في كلامه من ضرب الأمثال. وصف بالدراية وسداد الرأي وبراعة الحجّة.

الكلاب[1]، **فقال**: إن وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي من حدة الذهن ما ابتدىء به الرأي، ولكن اجتمعوا وقولوا فإني إذا مرّ بي الصواب عرفته.

(٤)
ومما جاء في وصف العلم والعلماء مدحاً وذماً ووصف الحفظ والنسيان

•

• عزّ العِلْم

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[3] وقال الإمام أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله فيها ولي.

قال الأحنف[4]: كلّ عز لم يؤيد بعلم فإلى ذلّ يصير. وقيل: العلم يوطىء الفقراء بسطَ الملوك.

• الأدبُ كالحسَب

قيل: من بهض به أدبُهُ، لم يقعد به حسَبُه[5]، وقيل: شرفُ الحسب يحتاجُ إلى شرف الأدب، وشرفُ الأدبِ مستغنٍ عن شرف الحسب.

وقال الأحنف: من لم يكنْ له علمٌ ولا أدبٌ لم يكنْ له حسَبٌ ولا نسَب.

وقال الشاعر:

كن ابنَ مَنْ شئتَ واكتسِبْ أدبا ... يُغنيكَ محمودُهُ عن النسبِ

وقال آخر:

ما ضرّ من حازَ التأدّبَ والنُّهى ... أنْ لا يكونَ من آلِ عبدِ منافِ[6]

• البالغُ بعلمه مبلغَ الملوك

قيل: لما وقعت الفتنة بالبصرة ورضوا بالحسن اجتمعوا عليه، وبعثوا إليه، فلما أقبل قاموا، فقال يزيد بن المهلّب: كاد العلماء يكونون أرباباً، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب

(١) فيما دهمهم من يوم الكلاب: أي فيما أصابهم، ويوم الكلاب من أيام العرب.
(٢) القرآن الكريم: فاطر/ ٢٨ (٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨
(٤) أبو حنيفة: هو أبو حنيفة النعمان من أصحاب المذاهب الفقهية.
(٥) حسبه: الحسب هو الموروث من مجد الآباء وعزّتهم.
(٦) النهى: العقل ـ عبد مناف: ابن قصي الذي كان يقوم بسدانة الكعبة، وخلفه ابنه هاشم وهو جدّ النبيّ

وقيل: تعلموا العلم فإنه يوطىء المساكين بسط الملوك. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل في هيئة نفيسة فقال: ألست ابن قيس بالبصرة؟ قال: نعم. ولكني كاتب فقال لله درّ العلم ما زال يرفع أهله.

قال الشاعر:

العلمُ يرفع بالخسيس إلى العُلا ... والجهلُ يقعدُ بالفتى المنسوبِ[1]

● **قيمةُ المرء علمُه**

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: قيمةُ كلّ امرىء ما يحسنُه. وأخذ ابن طباطبا[2] هذا المعنى فقال:

حسودٌ مريضُ القلب يُخفي أنينَه ... ويضحي كئيبَ البال عندي حزينَه

يلومُ على أن رحتُ في العلم دائباً ... أجمعُ من عند الرواة فنونَه

فيا عاذلي دعْني أغالي بقيمتي ... فقيمةُ كل الناس ما يحسنونَه[3]

● **فضلُ العلم على المال**

قال عبد الملك: اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصبها، قيل ما هي؟ قال: الأدب ولصالح بن عبد القدوس:

قد يجمعُ المرءُ مالاً ثم يسلبُه ... عمّا قليل فيلقى الذلّ والحرَبا

وجامعُ العلم مغبوطٌ به أبداً ... فلا يحاذرُ منه الفوت والطلبا[4]

وقيل: العلم ميراثٌ غيرُ مسلوب، وقرين غير مغلوب. وقيل: الفضيلة بكثرة الآداب، لا بفراهة[5] الدواب.

وقال الجنيد[6]: من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسئلة فمَن عليه

---

(١) الفتى المنسب: ذو النسب الرفيع. يقول إن العلم يرفع الوضيع بينما الجهل يضع من قدر ذي النسب والمجد، وهذا شبيه بقول الشاعر:

العلمُ يرفعُ بيوتاً لا عماد لها ... والجهلُ يهدمُ بيتَ العزّ والشرف

(٢) ابن طباطبا: هو أبو القاسم أحمد بن محمد. مات سنة ٣٤٥ هـ (٩٦٥م) وكان من كبار الطالبيين وشاعراً مجيداً ولا سيما في الغزل.

(٣) غالى بقيمته: بالغ وزاد فيها.

(٤) المغبوط بالشيء: خلاف المحسود. من غبطه أي عظم في عينه وتمنى لنفسه مثل حاله.

(٥) الفراهة: النشاط والخفّة والحذاقة، يقال فَرُه فَرهاً وفرُة فراهة وفروهة وفروهيّة فهو فاره؛ ومن معاني الفراهة أيضاً الملاحة والحسن.

(٦) الجنيد: هو أبو القاسم الخزاز وقيل الزجاج أحد زهاد بغداد. وهو معروف باسم طاووس العلماء، وكان سيّد الطائفة الجنيدية وهو يقول: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله. توفي الجنيد سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠م).

وقال فهمناها سليمان. وأعطاه الملك ولم يمنّ عليه، بل قال. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب.

● من ذمّه وفضل المال عليه

قال الشاعر:

ما المرءُ إلا بما يحوي من النَّشَب[1]

وقال آخر:

لا تغبطن أديباً ماله نشب ... لا خير في أدبٍ إلا مع النَّشَبِ

وقال جحظة[2]:

إن الزَّمانَ لمَنْ تقدَّمَ في النباهَة منقلبُ

وقال البديهي:

أكثر المقتفين للعلم والآ ... داب في ذلة وفي إملاق[3]

● وصفُ العلم بأنه يورثُ الغِنى

قيل: الأدب يجلب الجمال وينفي الفقر. وقيل. من لم يفد بالأدب ما لا استفاد به جمالاً. وفي كتاب كليلة: العالم إذا افتقر فعلمه الذي معه يقوّيه كالأسد معه قوّته التي يعيش بها حيث توجه

قال الأصمعي[4] لرجل: ألا أدلك على خليل إن صحبته زانك وإن احتجت إليه مانك، وإن استعنت به أعانك قال. نعم، فقال عليك بالأدب.

● وصفُه بأنه يورثُ الزهد

العلمُ يُزهدُ في الدنيا الضارّة، ويرغّب في الآخرة السارّة. وقال عمر بن عبد العزيز[5] رضي الله عنه: تعلّموا العلم فإنه عونٌ للفقير أما إني لا أقول يطلب به الدنيا ولكن يدعوه إلى القنوع

---

(١) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

(٢) جحظة: هو أحمد بن جعفر من شعراء البرامكة ومن نسلهم. أجاد الغناء على الطنبور وغيره أشتى لقّبه ابن المعتز بجحظة لنتوء عينيه (انظر تاريخ بغداد ٤/ ٦٥)

(٣) الإملاق: الفقر الشديد والعوز، يقال: أملق الدهر ماله أي أذهبه وأخرجه من يده وأملق الرجلُ أنفق ماله حتى افتقر.

(٤) الأصمعي: هو عبد الملك الأصمعي من مشاهير اللغويين وعلماء العربية. كانت ولادته في البصرة سنة ١٢٣ هـ (٧٤٠م)، وفيها نشأ وتعلم على الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر وسواهما. ومن تلامذته الرياشي وأبو عبيدة والسكّري والسجستاني. كانت وفاته سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨م).

(٥) عمر بن عبد العزيز: هو أحد الخلفاء الأمويين ولد سنة ٦٣ هـ (٦٨٣م)، وكان شديد الورع والتقوى كما كان كثير التسامح مات سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م)

● قلّةُ الاحتفاء بالخلوّ من العلم

كان الوليد يلاعب عبدَ الله بن معاوية بالشطرنج[1]، فاستأذن عليه ثقفي موصوف بالثروة فستر الشطرنج بمنديل. فلمّا دخل وجلس استنطقه فقال: أحفظتَ القرآن وشيئاً من الفقه؟ قال: لا، قال: أفرويتَ شيئاً من الآثار والأشعار وأيام العرب؟ قال: لا. فكشف الشطرنج، وقال: شاهك فنحن في خلوة.

ودخل حكيم دار رجل خلو من العلم فرأى أثاثاً وهيئة فاخرة، وأراد الرجل الداخل أن يبزق بزقة فبزق في وجه الرجل، فقيل له: ما تفعل؟ قال: نظرت فلم أجد في هذه الدار أخسّ منه لخلوّه من المعاني الفاضلة وإنما يرمي بالبزاق إلى أخس المواضع، فلذلك رميت به في وجهه.

● تلذُّذُ العلماءِ بعلمِهم

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا أحدثه هزّة بمسائل يقول: أين الملوك من لذة ما نحن به لو فطنوا لقاتلونا عليه. وقيل: من خلا بنعمه لم توحشه الخلوة، ومن تسلّى بالكتب لم تفته السلوة.

وقيل لابن المبارك: من تجالس؟ فقال: أصحابَ النبي ﷺ، إني أنظر في كتب آثارهم وأخبارهم.

● التناسبُ في العِلْم

قيل لعالم: أي المناسبة أخلد؟، فقال: مناسبةُ العلم التي عدتها عواطف الشيم.

وقيل للنوفلي: ما بلغ من شهوتك للعلم؟، قال: إذا نشطتُ فلذّتي وإذا اغتممتُ فسلوتي. قال أبو تمّام:

وقــرابــةُ الآداب تــقــصُــر دونَــهـا ... عــنــدَ الأديــب قــرابــةُ الأرحــام[2]

قال الصّولي:

إنّ الــكــتــابــة والآداب قــد جــمــعَــتْ ... بيني وبينك يا زينَ الورى نَسَبا[3]

وقيل: لا ينبغي للأديب أن يخالط من لا أدب له، كما لا ينبغي للصّاحي أن يناظر السكران.

---

(١) الشطرنج: لعبة مشهورة وهي معرب شترنك بالفارسية ومعناه ستة ألوان لأن عدد القطع التي يلعب بها ستة أنواع وهي الشاه والفرزن، والفيل والفرس والرخ والبيدق.

(٢) تقصر دونها: لا تدانيها أو تعدلها ـ قرابة الأرحام: أي قرابة الدم والنسب.

(٣) الورى: الخلق والناس.

● مدحُ صيانةِ العِلْم

وجّه الرشيدُ إلى مالكِ بن أنس[1] رحمه الله ليأتيه فيحدثه، فقال مالك إنَّ العلم يؤتى فصار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدر، فقال. يا أمير المؤمنين من إجلال الله تعالى إجلال العلم. فقام وجلس بين يديه وبعث إلى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدّثه فقال الرشيد بعد ذلك. يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ولو صنع لنا علمُ سفيان فلم ننتفع به

وفي أمثال العرب أن الثعلب والغراب تحاكما إلى الضب[2]، فقالا: أخرج وأحكم بيننا. فقال: في بيته يؤتى الحكم.

وقال لقمان لابنه صنْ علمك فوق صيانة نفسك وقيل لم يُرَ أفضل من الخليل[3] في التلطّف عن الكسب بالعلم كان الناس يأكلون بعلمه وهو في خصّ له. وخرج إلى مكّة، والناس يقولون في الحرمين قال الخليل، وذكر الخليل، ورجع إلى البصرة ولم يعلم بمكانه. قال الشيخ رحمه الله ومن صنت نفسه هكذا، فحقيق أن يقال رجل فضل وصدق. وللقاضي علي بن عبد العزيز الجُرجاني.

ولم أبتذلْ في خدمةِ العلمِ مهجتي ... لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما
ولو أنّ أهلَ العلم صانوه صانَهم ... ولو عظّموه في النفوس لعظّما
ولكنْ أهانوه فهانوا ودنّسوا ... مُحيّاه بالأطماع حتّى تجهّما[4]

● نهيُ العلماءِ عنِ التهافُتِ على بابِ السُّلطان

قال بعض العلماء. شرارُ الأمراء أبعدُهم من العلماء، وشرارُ العلماء أقربُهم إلى الأمراء ودنا سقاء من فقيه على باب السلطان فسأله عن مسألة فقال: أهذا موضع المسألة؟ فقال السقاء: أو هذا موضع الفقيه؟

وكتب عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى ابن علية حين ولي صدقات البصرة[5]

يا جاعلَ العلمِ له بازياً ... يصطادُ أموالَ المساكين[6]

---

(١) مالك بن أنس من كبار الفقهاء في الإسلام وأحد أصحاب المذاهب فيه ومذهبه معروف باسم المذهب المالكي كانت ولادة مالك في المدينة سنة ٩٧ هـ (٧١٥م) ومن أشهر مؤلفاته كتابه الموطأ وفيه أصول مذهبه. مات سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥م)

(٢) الضبّ. من الزواحف وهو شبيه بالحرذون.

(٣) الخليل (هنا) أي الخليل بن أحمد مستنبط علم العروض

(٤) تجهّم: عبس وقطّب وجهه

(٥) البصرة: مرفأ في العراق على شط العرب وكانت البصرة أكثر مدن العراق ازدهاراً زمن الدولة العباسية كما كانت مع الكوفة مركزاً مرموقاً من مراكز العلم والثقافة العربية

(٦) البازي. طير من الجوارح يصاد به وهو أنواع شتّى والجمع بزاة وأبواز وبيزان، وحامل البار يقال له البازدار واللفظة فارسية

احتلتَ للدنيا ولذاتِها ... بحيلةٍ تذهبُ بالدّينِ
فأينَ ما كنتَ به واعظًا ... من تركِ أبوابِ السّلاطينِ
إنْ قلتَ أكرهتُ فما هكذا ... زلّ حمارُ العلمِ في الطينِ

● من زانَ علمَه بعمله

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: اعقلوا الخبرَ إذا سمعتمُوه عقلَ رعايةٍ لا عقْلَ روايةٍ فرواةُ العلم كثيرةٌ ورعاتُه قليلة. كثرةُ العلم في غير طاعة الله مادةُ الذنوب. وقيل: العلمُ يهتف[1] بالعمل فإنْ أجابه وإلا ارتحل.

● ذمّ من شانَ علمَه بتقصير

قال النبي ﷺ: أشدّ الناس عذاباً يومَ القيامة عالمٌ لا يُنتفع بعلمه، وقال عليه السلام: أشدّ الناس ندامةً عند الموتِ العلماءُ المفرطون[2].

وقال ﷺ: اللهمّ إنّي أعوذُ بك من علم لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفسٍ لا تشبع، وأعوذ بك من شرّ هؤلاء الأربع.

كتب الشافعي[3] رضي الله عنه إلى عالم: قد أوتيت علماً فلا تطفئنّ نورَ علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلمِ بنورهم.

● تفضيلُ العلم على العمل

قال النبي ﷺ: فقيهٌ واحد أشدّ على الشيطانِ من ألف عابد.

وقال ﷺ: عملٌ قليلٌ في علم خيرٌ من كثيرٍ منه في جهل.

وقال الحسن رضي الله عنه: أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من عمل بغير علم كان ما أفسدَ أكثرَ مما أصلح.

● ذمّ شَرَهِ العالم وطلبِ الدنيا بالعلْم

قال ﷺ: مَن يزداد في العلم رشداً ولم يزدد في الدنيا زهداً، لم يزدد من الله إلا بعداً. وروى في الخبر من آتاه الله علماً فلم يتنزّه به عن الدنيا كُتبَ بين عينيه الفقيرُ إلى يوم القيامة.

قال مالك: قلت للحسن: ما عقوبة العالم؟ قال: موت قلبه. قلت: وما هو؟ قال

(١) يهتف بالعمل: هتف في اللغة صات أو مدّ صوته، وهتف فلان بفلان صاح به، وهتف بالعمل دعا إليه.
(٢) المفرطون: جمع مفرط وهو اسم فاعل من افرط الأمر أي نسيه وتركه.
(٣) الشافعي: هو محمد بن إدريس من أئمة الدين وصاحب المذهب المعروف باسمه. ولد الشافعي في مدينة غزّة سنة ١٥١ (٧٦٧م)، ومات في مصر سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠م) لكنّ نشأته كانت في مكّة المكرمة. ومنها قدم إلى بغداد ومن أشهر آثاره «كتاب الأم».

طلبُ الدنيا بعمل الآخرة. قال بعض الأدباء؟ لأن تطلبَ الدنيا بأقبح ما تطلب به أحسن من أن تطلبَها بأحسنَ ما تطلب به الآخرة.

● قلّةُ العلم وكثرةُ الجهل

قال الطائي[1]:

أبا جعفر إنّ الجهالة أمُّها ... ولُودٌ وأمُّ العلمِ جدّاء حائلُ

وقال علقمة[2]:

الجهلُ ذو عرضٍ لا يُستَرادُ له ... والحِلمُ آونةً في الناس معدومُ

● مدحُ الحديث

قال النبي ﷺ: من حفظَ حديثً واحداً من أمرِ دينه أعطاهُ الله أجر سبعين صديقاً

وقال ﷺ: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً، بُعِث يوم القيامة فقيهاً.

وقال ابنُ عبّاس: سمعت النبي ﷺ يقولُ اللهم ارحمْ خلفائي فقلت ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يروون الأحاديث بعدي.

● ذمّه وذمّ أصحابه؟

قال شعبة: إن هذا الحديث يصدّكم عن ذكر الله، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟

وقال محمد بن مطيع: رأيت الحفص بن زياد أسوأ الناس صلاةً فعاتبته، فقال: ما طلبَ الحديثَ أحدٌ إلا ساءت صلاته.

وقال عمرو بن الحارث: ما رأيت علماً أشرف ولا أوضع أهلاً من الحديث وهم شرّ خلف من خير سلف.

● مدحُ الإسناد

قيل الإسنادُ قيد الحديث. وقيل الحديث من غير إسناد كالجمل بلا زمام وخطام

وصف إعرابي رجلاً فقال ما أحسن حديثه لو أنّ به سلاسل يقاد بها يعني الأسانيد، قال.

وتصّ الحديث إلى أهله ... وإن الأمانة في نصّه

---

(١) الطائي (هنا) هو أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي شاعر المعتصم بالله العباسي وأحد كبار الشعراء في عصره، ويعتبره النقّاد اليوم من روّاد التجويد في الشعر القديم. ولد أبو تمّام في جاسم قرب دمشق سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨م). ألمّ بعلوم العرب وحفظ شعرهم كما درس فلسفة اليونان وعني بحكمتهم وتأثر بها في شعره. تميّز شعره بالمعاني الغامضة الغريبة. مات سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥م).

(٢) علقمة: هو علقمة الفحل من شعراء المناذرة في الحيرة عاصر امرأ القيس، وكانت وفاته سنة (٥٩٨م) كما يقول بعض المؤرخين.

وقيل: في قوله تعالى «أو أثارة من علم» أنه الأسانيد.

● **ذمّه**

طلب رجل من الحسن إسنادَ حديث فقال: وما تصنع به؟ وقد نالتك عظتُه وقامت عليك حجته. وقيل لرجل: كتبت حديثاً بغير إسناده، قال: إني أريدُه للعمل لا للتسوّق والتجمّل.

وسأل رجل آخر عن إسناد شعر فقال: والله ما تركتُ الحديثَ إلا بغضاً للإسناد وأنت تسألني في الأشعار.

● **مدحُ النحو**

النحوُ نصابُ العلم ونظامُه وعموده[1] وقوامه ووشي[2] الكلام وحلْيه وجماله وزينته. وقيل: النحو يرفع الوضيع ويخفض الرفيع. وكان معلم الرشيد يضرب على الخطأ واحدةً وعلى اللحن سبعاً.

● **ذمّه**

نظر بعض الرؤساء إلى ابنه، وهو ينظر في كتاب سيبويه[3] فقال: أفّ[4] لك علمُ المؤدّبين وهمّة المحتاجين. وقيل: من كثرت عليه العربية أظلمت عليه الرويّة.

وقيل: إن كتبت كتاباً فالحنْ فيه فإنّ المعربة مجدودة. وممّا يتصل بهذا الباب أنّ بعض الفصحاء كان يدخل على بعض عمال البصرة، وهو يعرب[5] في كلامه، فقال له يوماً: إن لم تترك الإعرابَ ضربتُك، فقال: بنيّ إذاً أشقى الناس، به ضربتُ صغيراً لأتعلّم وضُربت كبيراً لأترك.

● **ذمُّ الكثير منه**

ذكر النحوُ عند المأمون[6] فقال: علمٌ يغنيك أدناه عن أقصاه. وقال أبو حنيفة: المكثرُ من النحو كالمكثر من غرس شجرٍ لا يثمرُ. وقيل: النحو ملح العلم ومتى استكثر من الملح في الطعام فسد.

وذكر أهلُ النحو عند بعض الخلفاء فقال: أغزرهم علماً أنزرهم فهماً.

---

(١) عمود العلم: أي ركنه وقاعدته. (٢) الوشي: الزخرفة والزينة.

(٣) سيبويه: من علماء البصرة وأطولهم باعاً في علم النحو وهو رأس المذهب المعروف باسم مذهب البصريين أهم آثاره «الكتاب» في النحو. مات سيبويه سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠م).

(٤) أفّ: اسم فعل بمعنى أتضجّر. (٥) أعرب يعرب في كلامه: تكلّم مراعياً قواعد الإعراب.

(٦) المأمون: من كبار الخلفاء العباسيين (١٧٠ هـ ـ ٧٨٦م) ـ (٢١٩ هـ ـ ٨٣٣م) وهو ابن هارون الرشيد كانت أمه فارسية واسمها مراجل. تبنى مذهب المعتزلة وجعله مذهب الدولة الرسمي واختبر العلماء انطلاقاً من قواعده وأصوله.

● مدحُ العَروض وذمّه

قيل: معرفة العروض[١] تسهّل عيبك ما تعوّج من الشعر، فإنّه نصابه[٢] ونظامه وعموده وقوامه.

وعاب النظّام[٣] الخليلَ فقال: تعاطى ما لا يحسنُه، ورام ما لا ينالُه وفتنته دوائره[٤] التي لا يحتاج إليها غيره.

ودخل أعرابي مسجدَ البصرة فانتهى إلى حلقة علم، يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لم يعرفه فظنّ أنهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال

قد كان أخذُهم في الشعر يعجبُني ... حتّى تعاطَوا كلامَ الزنْج والرومِ
لما سمعتُ كلاماً لستُ أعرفُه ... كأنه زجلُ الغربانِ والبومِ
ولّيتُ منفلتاً والله يعصمُني ... من التقحّم في تلك الجرائيمِ

وقال ابن طباطبا

كلّ العلوم يزينُ المرءَ بهجتُها ... إلا العروضَ فقد شانَتْ ذوي الأدبِ[٥]
بني الدوائرُ دارتْ من دوائرها ... ما لامرىء أربٌ في ذاك من أربِ[٦]
فاستعملِ الذوقَ في شعرٍ تؤلّفه ... وزنْ به ما بنَوا في سالفِ الحقبِ

● مدحُ المُلَح

قال الأصمعيّ: نلتُ بالعلمِ وصلتُ بالملح[٧]. وقيل: النوادر تفتحُ الآذان وتفتّق الأذهان.

قال أبو عبيدة: الملحُ مروءةٌ تنفقُ عند الأشراف، فارتادوا لها وانظروا عند من تضعونها.

---

(١) العروض: علم أوزان الشعر وبحوره، استخرج الخليل بن أحمد أصوله وقواعده المعروفة بالنظر في شواهد الشعر القديم.

(٢) نصابه: عموده الذي لا يقوم إلا به.

(٣) النظّام: من شيوخ المعتزلة واسمه إبراهيم بن سيار ويكنى بأبي إسحاق. كانت نشأته في البصرة. من تلامذته الجاحظ. كانت وفاة النظام سنة ٢٢١ هـ (٨٣٥م). كان النظّام وسائر المعتزلة حرباً على الفجور والزنادقة ولهذا هاجم أبا نواس وحمل عليه لكن أبا نواس ردّ عليه قائلاً:

قل لمن يدّعي في العلم فلسفةً ... حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ
لا تحظرِ العفوَ إن كنتَ امرءاً حرِجاً ... فإنّ حظركَهُ بالدين إزراءُ

(٤) دوائره: أي دوائر علم العروض كما حدّدها الخليل بن أحمد.

(٥) شانت: من الشّين وهو العيب. (٦) الأرب: الحاجة.

(٧) الملح: النوادر، جمع ملحة.

● مدحُ الكلامِ

قيل: المتكلمون[1] دعائمُ الدين ولولاهم لأضلّت الملحدة[2] كثيراً من الناس.

ورُوي أن ملكَ الصغد كتب إلى الرشيد يسأله أن يبعث إليه من يعلّمه الدين، فدعا يحيى بن خالد فعرض عليه الكتاب، فقال يحيى: لا يقوم بذاك إلا رجلان ببابك هشامُ بن الحكم وضرارٌ فقال: كلا إنهما مبتدعان[3] فيلقّنان القوم ما يفسدُهم ويغريهم بالمسلمين، ليس لذلك إلا أصحاب الحديث، فقال يحيى: أصحاب الحديث لا يحسنون وأهل الصغد قد غلب عليهم الثنوية[4] فأتى أبو يوسف ووجه بعض أصحاب الحديث فلما ورد أكله أهل الصغد بالحجج فقال ملك الصغد: ما أضعفَ دينَكم وحججكم، فضحك صاحب الحديث. فقال الملك: وما هذا الضحك؟ فقال: لسنا أصحاب الحجج فإننا مقلّدة وعندنا من له الجدل وعنده الحجج ولا يقوى لهم أحد، وقد أشار بعض المحصلين على صاحبنا أن لا يبعثنا فوقع الغلط عليه.

● ذمّه

قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق[5]. وقيل ما تعلم أحد الكلام إلا ساء ظنه بالناس.

وقيل: من جعل غرضاً للجدال أكثر التنقل من رأي إلى رأي.

وحكى بعض الصوفية قال: استشرت أبا عبد الله بن خفيف في تعلم الكلام فقال: لا تفعل، فأقلّ ما فيه أنك تسيء عشرة الرب. فقلت كيف ذلك؟ فقال: لأنك أبداً تقول لو فعل الله كذا لكان جاهلاً ولو كان كذا لكان عاجزاً، ونحو ذلك مما يجري في كلامهم.

● مدحُ الفقه

قال النبي ﷺ: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقّهه في الدّين، وعرّفه عيوب نفسه.

وقال ﷺ: لكل شيء عماد، وعمادُ هذا الدين الفقه. وقال ﷺ: الأنبياء سادة والفقهاء قادة، ومجالستهُم زيادة. وقال ﷺ: فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد.

---

(١) المتكلّمون: علماء الكلام وهو العلم الذي يُدافع به عن العقيدة بالأدلة العقليّة.

(٢) الملحدة أو الملاحدة هم الدهريّون الذين لا يؤمنون بالحساب والثواب والعقاب، وهم كفرة.

(٣) المبتدع: صاحب البدَع وواحدة البدع بدعة وهي ما أحدث على غير مثال سابق، والبدَع تخالف الإيمان الصحيح.

(٤) الثّنوية: من عبادات الفرس وأصحابها يقولون بوجود إلٰهين: إله النور وإله الظلمة والأول هو أهورا مازدا والثاني أهرمن.

(٥) التزندق: هو الاعتقاد بما هو مخالف للإيمان، والزنادقة هم أصحاب البدع، والزندقة أنواع وقد تقتصر الزندقة على المجون وارتكاب المعاصي واستباحة المحرّمات، وربّما تجاوزت إلى عبادة النّار والقول بالهين مما هو معروف في المجوسية.

● **مدحُ الحساب**

قال الله تعالى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[2] وقيل الحساب ديباج[3] العلم، وقال علي بن زين: لو رفع الحساب لبطلت العلوم ولو رفعت العلوم لم يبطل الحساب.

● **مدحُ إستخراجِ المعمّى[4] وذمُّه والحاذق فيه**

قيل: إستخراج المعمّى يدقق النظر ويصقل الذهن ويفطن القلب. وقيل إن بعض اليونانيين كتب بلغتهم كتاباً إلى الخليل فخلا به شهراً حتى فهمه فقيل له في ذلك، فقال: علمت أنه لا بدّ من أن يفتتح الكتاب باسم الله فبنيت على ذلك فقست عليه وجعلت ذلك أصلاً ففتحت ثم وضع كتاب المعمى على ذلك.

وقال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن المعمّى فقال هو عمى القلب. وقال الجاحظ: ليس المعمّى بشيء، قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال، ويكتب خلاف ما يسمع، ويقرأ خلاف ما يكتب، يتعسر[5] عليه إستخراج أخف نكتة[6] من المعمّى.

● **معرفةُ النسب**

سئل بعضهم عن علم النسب فقال: هو علم لا تنفع معرفته ولا يضرّ جهله.

وقال رجل لأبي عبيدة: علّمني شيئاً من النسب، فقال: ما تستفيد بذلك إلا معرفة المعايب. وقيل: فلان أنسب من دغفل[7] ومن ابن لسان الحمرة. وقال المتنبي في نبطي[8] عارف بالنسب:

وماذا بمصر من المضحكات	ولكنه ضحكٌ كالبُكا
بها نبطيّ من أهل السواد	يدرّسُ أنساب أهل الفَلا

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/٩٦. (٢) القرآن الكريم: يونس/٥

(٣) الديباج: الحرير، وديباج العلم كناية عن مرتبة الحساب الرفيعة.

(٤) المعمّى من الكلام: ما كان خفيّ المعنى. (٥) يتعسّر عليه: أي يعسر ويصعب عليه.

(٦) النكتة: الأثر الحاصل من نكت الأرض، و(نكتة) (هنا): المسألة الدقيقة.

(٧) دغفل: هو رجل من بني شيبان عاش في القرن السابع الميلادي وأدرك الإسلام، وكان أعلم زمانه في الأنساب.

(٨) النبطي: المنسوب إلى النبط وهم قوم كانوا يقطنون القسم الجنوبي من فلسطين، وكانت لهم فيه حصون وقلاع ومنها بصرى وصلخد وصبع. وكانت للنبط أو الأنباط رحلات تجارية إلى ما بين النهرين ومصر والشام

● وصفُ فنون من العلم

قيل: علم الملوك النسب والخبر والشعر، وعلم السلطان المغازي[1] والسير وعلم التجار الحساب، وعلم الكتاب معرفة الخط وتصريف اللغات.

وقيل العلوم ثلاثة: علم الدين لمعادكم[2] وعلم الطب لأبدانكم، وعلم الهندسة لمعاشكم.

وقيل تعلّموا الفقه لأديانكم والطب لأبدانكم والنحو لبيانكم

● متبجّح باستيعاب العلم

قال ابن المنجم: أحبّ أن ألقى عدي بن الرقاع[3] فأقول له: أنت القائل:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

ثم أريه أنه قد جهل كل علم إلا قوله الشعر الذي يتقدمه عليه غيره ثم أحسن أدبه وأعرك أذنه.

ولكشاجم[4] في معناه:

وما زلتُ أبغي الشِّعرَ من حيثُ ينتفي وأمكنَ في أصنافه أتعرّفه

فقد صرتُ لا ألقى الذي أستريبه ولا يذكرُ الشيءُ الذي لستُ أعرِفُه

وهذا من الإعجاب المفرط والجهل بفنون العلم، وكفى دلالة بقلة معلوم الورى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[5]

● جودةُ الحفظ وذكر الحفّاظ

قيل: فلان أحفظ بما يسمعه من الرمل للماء. وهذا أثبت من صدره من الحمد لله ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[6]، قال النبي ﷺ لعلي: سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ فلم يسمع بعد ذلك شيئاً إلا حفظه

وقيل: كان عمرو بن هبيرة[7] يضبط حساب العراق وهو أمي.

---

(1) المغازي: علم مناقب الغُزاة ومعاركهم (2) المعاد: اليوم الآخر أو يوم البعث والنشور

(3) عدي بن الرقاع: شاعر من أهل دمشق، عاش في مطلع القرن الثامن للميلاد، واتصل بالوليد بن عبد الملك ومدحه.

(4) كشاجم: هو أبو الفتح محمود السندي، وكان طباخ سيف الدولة وكان كشاجم هندي الأصل ويتعاطى التنجيم وله كتاب أدب النديم.

(5) القرآن الكريم: الإسراء/ ٨٥ (6) القرآن الكريم: الحاقة/ ١٢

(7) عمرو بن هبيرة: من عمّال الحجاج على العراق

وقال الشعبي[1]: ما كتبت سوداء في بيضاء, لا حفظتها. وقال: أحفظ كل حديث سمعت والموضع الذي سمعت فيه.

وقال الأصمعي[2]: أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. فقال رجل منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان.

وورد أبو مسعود الرازي أصبهان[3]، ويقال أنه أملى عن ظهر قلبه مائة ألف حديث، فلما وصلت كتبه قوبلت بها فلم يعثر منها على سقطة إلا في متن حديثين.

وادّعى الخوارزمي[4] أنه حفظ كتاب الأمثال لأبي عبيدة في ليلة، وقيل جرى حديث الحفظ لما كان بأصبهان فقرىء عليه أوراق من حسب القائل فأعادها على الترتيب.

● **النسيانُ وذكرُ بنيه**

قيل: فلان لو غابت عنه أعضاؤه لنسيها. وحكي حراب الدولة أن رجلاً كان على عاتقه صبي عليه قميص أحمر، وهو ينادي من وجد صبياً عليه قميص أحمر؟ فقيل: أليس هو على عاتقك؟ فلمسه فقال: أحسنت كنت نسيته.

وقال قتادة يوماً: ما نسيت شيئاً قط، ثم قال في أثره: يا غلام ائتني بنعلي، فقال له الغلام: أليس نعلك في رجلك، وكان قد نسيه.

● **عذرُ من نسي أجراً**

قال النبي ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

وقال تعالى في آدم: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[6].

وسمّي الناسي ابن سهوان ومنه قيل أن الموصيين بنو سهوان. قال البحتري:

إن كنت أنسيتها فلا عجبٌ قد عاهد الله آدماً فنسي

---

(١) **الشعبي**: هو أبو عامر بن شراحيل عاش بين (٦٤٢م) و (٧٢٣م)، وهو تابعي وكان محدثاً وراوية وأكثر رواياته عن الإمام علي وأبي هريرة وعائشة، وكان يلقب بـ «علامة الكوفة».

(٢) **الأصمعي**: ورد ذكره سابقاً.

(٣) **أصبهان**: من مدن فارس الشهيرة وإليها ينتسب عدد كبير من أهل العلم والأدب، ومنهم صاحب الأغاني أبو الفرج الأصبهاني.

(٤) **الخوارزمي**: اسم لعدد من مشاهير العلم والأدب منهم أبو بكر الخوارزمي الشاعر والكاتب، وأبو عبد الله محمّد صاحب كتاب مفاتيح العلوم وهو من أوائل الكتب الموسوعية باللغة العربية وثالث الخوارزميين محمّد بن موسى منجم المأمون وهو من المؤلفين في علم الحساب. عاش هذا الأخير في القرن التاسع للميلاد وأما الآخران فقد عاشا في القرن العاشر الميلادي والمقصود هنا على الغالب أبو بكر الخوارزمي.

(٥) القرآن الكريم. طه/١١٥ (٦) القرآن الكريم. الكهف/٦٤

وقال آخر:

وسميت إنساناً لأنك ناسي

- **تذكّر الشيء**

قيل في المثل ذكرني الطعن وكنت ناسياً. وقال ابن الرومي في تذكر المتلو بالعود إلى ما قبله وهو بديع في بابه:

وتالٍ تلا يوماً فأُنسيَ آيةً ... فأعيَتْ عليه حينَ رام اتتهازَها
فكرّ على ما قبلها متذمّراً ... فثاب له فكرٌ فأقضى حجازَها
فشبّهتُه باس السبيلِ تعرّضتْ ... له وهْدةٌ فاستصعبتْ حينَ راؤها
فقهقر عنه قيس عشرينَ خطوةً ... فحاش إليها جيْشَةً فأجازَها

- **ما يورثُ النسيان**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: مما يورث النسيان الحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سؤر الفأر، وقراءة ألواح المقابر والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وإلقاء القملة إلى الأرض.

وقيل: إن الدماغ تفسد من الحفظ في يوم ما لا يصلحه البلادر[1] في سنة.

- **تصنيفُ الكتب**

قال الجاحظ: لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً.

وقيل من ألف فقد استهدف فإنْ أحسن فقد استشرف، وإن أساء فقد استقذف.

وقيل: عرض بنات الصلب على الخطاب أسهل من عرض بنات الصدر على ذوي الألباب.

- **جاهلٌ يصنّف كتاباً أو يقولُ شعراً**

قال الفضل بن سلمة:

عجَباً منك أبا الهيثم إذ كنتَ تصنّف

وقال أحمد بن أبي طاهر:

أظنّ دعوتَه في الشعر جائزةً ... له علىّ كما جازتْ على النسبِ

وقال آخر:

ويوهمنا أنه شاعرٌ ... كأنْ قد بقينا من الباديه

---

(١) البلاذر: شجر من فصيلة البطميات، مهده الأول في أميركا الوسطى، خشبه أحمر يستخدم في صبغ الأثاث.

وقال ابن الرومي:

كيف لا يشتدُّ وسواسي ... حيثُ أشعارُك تذراسي

ما اقتنى مثلَك دهرٌ ... السوءِ إلا حيثُ إفلاسِ

- **التمريضُ بجاهل**

قال حجازي لابن شبرمة: منا خرج العلم. فقال: نعم ولكن لم يعد إليكم.

وأورد رجل على آخر علماً فقال: أتحمل التمر إلى هجر[1]؟ فقال: إذا قلّ حملُها وبزر نخلُها

قال الشاعر:

يتعاطى كُلَّ شيء ... وهو لا يُحسِنُ شيئا

وقال آخر:

موّه في ما ادّعاه من حكم ... لكنّ تمويهه على بقر[2]

وقال آخر:

وقال الطائزون لمن أدهبْ ... فضعضع مقلتيه له وتاها[3]

وأطرقَ للمسائل أي ساهٍ ... ولا يدري وحقِّك ما طَحاها[4]

- **جاهلٌ غير عارف بجهله**

قيل: من لا يدري، وهو لا يعلم أنه لا يدري فذاك جاهل فعلّموه. ومن لا يدري وهو يقدر أنه يدري فذاك أحمق فاجتنبوه

قال الشاعر:

جهلتَ ولم تعلمْ بأنّك جاهلٌ ... ومنْ ذا الذي يدري بما فيهِ من جهْلِ

وقال آخر:

أخالد لم تعلمْ ولست بعالمٍ ... بأنّك لا تدري وذا غايةُ الجهْلِ

وبضد ذلك تمدح من قال: ما قرّ من فضيلة العلم إلا علمي بأني لست بعالم.

---

(١) هجر (هنا): هجر نجران أو البحرين وهي مشهورة بالنخيل وتنتج التمور، وفي المثل: كحامل التمر إلى هجر.

(٢) التمويه: مصدر موّه الأمر أو الخبر زخرفه أو زوّره، وموّه أيضاً طلا الشيء بماء الذهب أو الفضه

(٣) الطائزون: الساخرون، من طنز طنزاً به: سخر، وتطانز القوم سخر بعضهم من بعض.

(٤) طحاها: بسطها

• العَتْبُ على مَنْ يَنِمّ عِلْماً

تحدّث يوماً شريك بحديث فقال عافية القاضي: لا أعلم هذا. فقال: وهل يضرّ عالماً جهل جاهل.

وقال المتنبي:

وكَمْ من عائبٍ قوْلاً صَحيحاً ... وآفتُه من الفهمِ السّقيمِ(١)

وقال ابن الرومي:

عابُوا قَريضِي وما عابُوا بمعرفةٍ ... ولن ترى الشمسَ أبصارُ الخفافيشِ(٢)

• ذمّ مستكثرٍ لعلمه معجَبٍ بنفسه

ذكر القسّامُ الحلبي فقال: توحّد به العجب فأهلكه وصوّب له الاستبداد صواب رأيه فتعاطى ما لا يحسنه. وقال إبليس: ثلاثٌ من كنّ فيه أدركتُ حاجتي منه: من استكثر علمه، ونسي ذنبه، وأعجب برأيه.

ويدخل في هذا الباب ما ذكر في قول عديّ بن الرقاع وقد تقدّم.

• ذمّ مدّعٍ للعِلم

قال كشاجم:

تشبّه في النحو بالأخفشين ... فجاء بأعجوبةٍ مُطرفه(٣)

ولَمْ يسمعِ النحوَ لكنّه ... قرا منه شيئاً وقد صحّفه

فإن لم يكنْ أخفشَ الناظرَيْن ... فإنّ لمعنى أخفشُ المعرفه

وقال آخر:

فما لك بالغريب يدٌ ولكنْ ... تعاطيك الغريبَ منَ الغريبِ(٤)

وقال أبو العتاهية(٥):

أشدُّ النّاس للعلم عداءً ... أقلُّهم بما هو فيه عِلْمَا

---

(١) الآفة: العلّة.

(٢) قريضي: شعري. الخفافيش: جمع خفاش وهو طائر يبصر في الليل دون النهار والخفّاش يسمّى الوطواط.

(٣) الأخفشان هما: الأخفش الأكبر المتوفّى سنة ١٧٧هـ(٧٩٣م)، والأخفش الأصغر المتوفّى سنة ٣٠٨هـ(٩٢٠م) وهناك أيضاً الأخفش الأوسط المتوفّى سنة ٢١٥هـ(٨٣٠م)، ومعنى الأخفش لغةً الصغير العين في سوء بصره.

(٤) الغريب: الكلام غير المألوف.

(٥) أبو العتاهية: شاعر عباسي عاصر هرون الرشيد وأدرك المأمون كانت ولادته في موضع قرب المدينة ثم انتقل إلى الكوفة وبها نشأ والعتاهية لقب غلب عليه لتعته ومجونه عاصر

وقال الصّولي[1] في نفطويه[2]:

يشرَعُ في أكثرِ العُلوم ولا　　　يعرِفُ منهـا أقلَّهـا خَطرا

● من ادّعى ففضحَه الامتحان

ويدّعي الحِفظَ للقرانِ ولا　　　يقومُ بالحمدِ وحدَها نَظَرا

وقيل: لسانُ الدعوى إذا نطق فضحَه الامتحان.

وقال الشاعر:

كلُّ من يدّعي بما ليس فيه　　　كذّبته شواهِدُ الامتحان

● ذمّ منْ يصيبُ من غيرِ قصْد

ذمّ أعرابي رجلاً فقال خطؤه بعدَ اجتهادٍ وصوابُه من غيرِ اعتماد.

قال الشاعر:

يصيبُ وما يَدْري ويُخطي وما دَرى　　　وكيفَ يكونُ النوكُ إلا كذلِك[3]

● الموصوفُ بالإصابة مرّة والخطأ أخرى

قيل في المثل يشجّ مرةً ويأسو أخرى، وقيل شخب في الإناء وشخب في الأرض، يشوب[4] ويروب[5] مُرادُ خطاه وصوابه.

● منْ سُئِل فتبلّد

قال الشاعر:

سألتُه عن علمِه فكأنّما　　　سألتُ من سكّانه ربعاً خَلا

وقال آخر:

كأنّهم عند السؤالِ جَلامِدُ[6]

● من يروي علماً ولا يفهم

قال الله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[7].

---

(١) الصّولي هو أبو بكر الصولي صاحب كتاب الأوراق في　　　من آثاره «الأوراق» كانت وفاته في البصرة سنة (٩٤٦م) وكان الصولي مشهوراً بلعبة الشطرنج

(٢) نفطويه هو إبراهيم نفطويه وأصله من واسط ولد عام ٨٥٠ ومات سنة ٩٣٧م، وكان من مشاهير اللغويين والنحاة والأدباء. عاش أكثر حياته في بغداد

(٣) النوك: الحمق　　　(٤) يشوب يخون أو يغش

(٥) يروب: يتحيّر　　　(٦) الجلامد الصخور

(٧) القرآن الكريم: الجمعة/ ٥.

قال ابن الرومي:

فإنْ تقُل إنني رويتُ فكلد فترجهلاً لكُلِ ما أعتقده

● محنةُ العلماء في أيدي الجهّال

قال النبي ﷺ: ارحموا عزيز قوم ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً بين جهال. وقيل: إن أردت أن تمقت عالماً فاقرنْ به جاهلاً.

وقيل: إن ثمامة بن أشرس لما غضب عليه الرشيدُ سلّمه إلى خادم يُقال له ياسر، وكان الخادم يتفقّده ويحسنُ إليه حتى سمعه ثمامةُ يوماً يقرأ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[1] (بفتح الدال) فقال ثمامة: ويحك المكذّبين هم الأنبياء، اقرأ المكذِّبين (بكسر الدال). قد قيل لي إنك زنديق ولم أصدق. أتشتم الأنبياء؟ ثم هجره وتركه فلم يتفقّده فلما رضي عنه الرشيد وردّه إلى مجلسه، سأله يوماً ما أشدّ الأشياء؟ فقال: عالم يجري عليه حكم جاهل فظنّ الرشيد أنه تعريض به حتى عرّفه خبر الخادم.

● معاداةُ الجاهلِ العالِم

قال رجل لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر: الناسُ أعداء ما جهلوا، فقال: هذا في كتاب الله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله﴾.

● معاداةُ العلماءِ بعضهم بعضاً

قيل: هلاك العلماء بحسدهم. وقيل: الحسد والملق[2] مذمومان في كل شيء إلا في العلم.

قال ابن عباس: لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيس في الزريبة.

وقال الأشج: إني لأغار على الحديث كما يغار على الجارية الحسناء.

قال أبو تمام:

وما أنا بالغيرانِ من دونِ جارتي إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلْم

(٥)

وممّا جاء في التعلّم والتعليم وما يتعلّق بهما

●

● وجوبُ التعلّم

قال النبي ﷺ: طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم.

---

(١) القرآن الكريم: الطور/١١.

(٢) الملق: التملق والرياء.

وقال سقراط[1]: من لم يصبر على تعلّم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل.

وقال بعضهم: تعلّموا الأدب وإن لم ينلكمْ حظٌ من الدنيا، فلأن يدم فيكم الزمان أحسنُ من أن يدم بكم.

● تفضيلُ بثّ العلم ووجوبُه

قال النبي ﷺ: من علم علماً فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيامة.

وقال الحسن (رحمه الله): زكاة العلم تعلّمه.

أتى رجل الزهريّ ليحدثه فأبى، فقال: إن الله تعالى لم يأخذ الميثاق على الجهال أن يتعلموا حتى أخذه على العلماء أن يعلموا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2].

وقيل: ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره. وأتى طالب علم باب عالم فقال: أعطني مما أعطاك الله، فأمر له بدراهم، فقال: أنا طالب هدى لا طالب ندى، فعلّمَ أوضحَ لبساً خيرٌ من مال أغنى نفساً.

● فضلُ المعلّم والمتعلّم معاً

قال النبي ﷺ: لا خير في من كان من أمّتي ليس بعالم ولا متعلّم. وقيل: الناس عالم ومتعلّم وما سواهما همج.

● وجوبُ تعظيم المعلّم

قيل للإسكندر: إنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية. وقال النبي ﷺ: لا يقدم لأحد إلا لذي علم أو لذي سن أو لذي سلطان. وقيل: لا يستخف أحد بمن تعلم منه علماً إلا وضيع خامل أو رقيع جاهل.

وعن بعض العلماء: لا يتحرك ثلاثة لأحد القاضي في يوم مجلسه والكاتب في وقت أمره ونهيه والمؤدب في مكتبه.

● وجوبُ تعظيم المتعلّم

قال النبي ﷺ: وقّروا[3] من تتعلمون منه، ووقّروا من تعلّمونه.

قال أبو العالية: ولا تصعّر خدّك للناس: أي ليكن الفقير والغنيّ عندك سواء في تعلّم العلم.

---

(١) سقراط: أحد فلاسفة الإغريق الثلاثة الكبار و الآخران أفلاطون وأرسطو.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨٧

(٣) وقّروا: الأمر من وقّر، أي اجلّوا وعظموا، والتوقير الرزانة والحلم والعظمة.

● اختيارُ التلامذة وحثُ كلٍّ إلى تعلّم ما يليقُ به

سألَ أفلاطون بعضَ تلامذته عنْ مسألةٍ لم تكنْ تليقُ بحالِهِ، فقال: لستَ من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أس.

وقيل: تصفحْ طلابَ علمك كما تتصفحُ خطاب حرمك.

وكان يونس يختلف إلى الخليل يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلّمه، فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شـيـئـاً فـدعْـه   وجـاوزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض.

وقيل اختزْ كل إنسان للفنّ الذي يستطيبه، فبقدر شهوته يكون تعدده فيه.

● منعُ العلْم عن غيرِ أهْله

قال المسيح عليه السلام: لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم. وكنْ كالطبيب الحاذق يضعُ دواءه حيثُ يعلمُ أنه ينتفع به.

وفي بعض الكتب يا بني إسرائيل لا تطرحُوا الدرَّ بين أيدي الخنازير فتطؤه وهي لا تعرفه.

وقال الإمام الشافعي (رضي الله عنه):

ومن منح الجهّالَ علْماً أضاعه   ومن منع المستوجبينَ فقدْ ظلَم

وقيل: ما كلّ تربة تحتمل الفلاحة، ولا كلّ ضريبة يستحقُّ الفوائد.

● النهيُ عن تعليمِ الأوغادِ، وذمّهم إذا تعلّموا

قالت الحكماء: لا تعلمنّ الدنيء علماً فيستعبده منك، ويصير به عدواً لك. فلأن يضيع ألف من عليّين أولى من أن يرتفع دنيءٌ واحد.

وقيل لبعضهم: أي علم أضر؟ فقال: ما يفاد الأوغاد. وقيل لأبي سنان: تموت وتدخل علمك معك القبر، فقال: ذلك أحبّ إليّ من أن أجعله في إناء سوء.

ورأى حكيم رجلاً يعلم دنياً علماً فقال له: أتسقي سهماً ترمى به يوماً.

وقال دعبل في أبي تمام:

إن عـابَـنـي لـم يـعـبْ إلا مـؤدّبَـهُ   فـنـفـسـه عـابَ لـمّـا عـابَ آدابَـه

وكـانَ كـالـكـلـبِ أضـراه مـكـلّـبُـهُ   كيْما يصيدُ له فاصطادَ كلابَه[1]

وقال آخر:

أُعَـلِّـمُـه الـرمـايـةَ كـلَّ يـومٍ   فـلـمـا اشـتـدّ سـاعـدُه رمـانـي

(١) أضراه: من الضراوة وهي العادة والدربة.

وكَمْ علَّمْتُه نظْمَ القوافي فلمَّا قالَ قافيةً هجاني

● دنيءٌ استفاد علماً فازداد به شراً

قال البديهي، وقد أجاد

إذا ما اقتنى العلمَ ذو شرَّة تضاعفَ ما ذمَّ من مخبرِه[1]
وصادفَ من علمه قوَّةً يصولُ بها الشرَّ في جوهرِه
وصارَ عدوّاً لإخوانِه وسيفاً حساماً على معشرِه[2]

● فضلُ تعليمِ الأولاد

يروى عن النبي ﷺ: ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن. وكانت اليونانية تورث الأبناء الأدب والبنات النسب. وقيل: من أدب ولده صغيراً قرَّتْ به عينهُ كبيراً.

وقيل: من أدب ولده أرغم حاسده. حكي أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم: ما أشدّ ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا ما فقدنا من تأديب أولادنا.

وقيل: لا يحبّ الأب ابنه حتى يتعصه على ترك الأدب.

● فضلُ التعلُّم في الصِّغَر

قيل: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال. وسمع الحسن رجلاً يقول: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر. فقال الكبير أوفر عقلاً منه لكنه أشغل قلباً.

وقيل: من لم يتعلَّم في الصغر هان في حال الكبر.

وقال الشاعر:

هل الحفظُ إلا للصبيِّ مذو النهى بمدرسٍ أشغالاً تشردُ بالذكر

● فضلُ التعلُّم في الكبر

قيل لأنوشروان: أيحسنُ بالشيخ أن يتعلَّم؟ قال: إن كانت الجهالة تقبُحُ منه فالتعلمُ يحسنُ به، فقيل: وإلى متى يحسن منه؟ فقال: ما حسنت به الحياة.

وقيل لحكيم: ما حدّ التعلم فقال حدّ الحياة، أي يجب له أن يتعلم ما دام حياً. وقال شيخ للمأمون: أقبيحٌ بي أن أستفهم؟ فقال: بل قبيح بك أن تستبهم.

● الأحوالُ التي تحصلُ بها العُلوم

قيل: لا يصيرُ الإنسان عالماً إلا بخمس: غريزة محتملة للعلم، وعناية تامَّة وكفاية قائمة، واستنباطٌ[3] لطيف، ومعلمٌ فصيح.

---

(١) ذو شرة: الشرة: الغضب والحدّة. (٢) السيف الحسام: السيف القاطع.
(٣) الاستنباط: الاختراع والإبداع.

وقيل: لا تستطيع أن تعي العلوم السنية، حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنية.

● **الأوقاتُ المرتضاةُ للدّرس**

قيل: انظروا في العلم بالليل، فالقلب بالنهار طائرٌ وبالليل ساكن، أي ساكن

وقيل لبعضهم: لم اخترت الغدوة للدرس؟ **فقال**: لأن العقل أجمّ[1] لقرب عهده بالصمت، وبعد جوارحه من المعاصي.

● **من سهلَ عليه التعلّم**

قيل: إذا كانت الطبيعةُ نقيّة، اكتفت بالأذكار، وعييت عن التكرار.

وقيل: فلانٌ يكتفي باللحظِ ويستغني عن اللفظِ.

● **من عسُر عليه التعلّم**

قال الله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[2].

وقال بعض الحكماء: صقلُك سيفاً ليس له جوهرٌ من سنخه خطأ، وحملُك الصعب المسنّ على الرياضة عناء، وبثك العلم في أرضٍ سبخةٍ ترجو نباته جهل.

وقال أبو تمام:

السيفُ ما لمْ يلفَ منه صيقلٌ   من سنخه لم ينتفع بصقال[3]

وقال الخليل (رحمه الله) لبليد: ما أجد لقفل بلادتك مفتاحاً.

● **تعسُّر تعلّمِ الكبار**

نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال: ما تصنع؟ قال: أغسل مسحاً لعله يبيض.

قال:

ومن العناء رياضةُ الهَرِم[4]

وقال آخر:

أدبُ الكبير من التعب   كِبَرُ الكبير عن الأدب

وقال آخر:

إن الرياضة لا تُجدي لدى الشّيبِ

وأسلم بعض الولاة هرماً إلى كتاب ليتعلم شيئاً من القرآن، وكان إذا تعلّم شيئاً نسي ما قبله، فوجه إليه أن ابعث إليّ من يتسلم مني ما أحفظه، أوّلاً فأوّلاً.

---

(1) **أجمّ**: أكثر صفة (أفعل التفضيل).   (2) القرآن الكريم: النساء/ ٧٧

(3) **الصيقل**: مبالغة صاقل، والصيقل أيضاً: شحاذ السيوف. **السنخ**: الجنس.

(4) **رياضة**: تطويع.

● **من يعلّم من هو أعلَمُ منه**

قيل كمستبضع التمر إلى هجر، وكمعلمة أمها الرضاع[1].

وقيل: تعلّمني بضبّ أنا حرّشته، وقيل: فلان يقرأ سورة يوسف على يعقوب عليهما السلام.

وقال المتنبي:

فآجرك الإلهُ على عليلٍ ... بعثتَ إلى المسيحِ به طبيبا

ويقال: أنا منه كحاقن[2] الإهالة إذا كنت عارفاً به

● **الحثُّ على الحفظ دون الاعتماد على الكتب**

قيل: إذا فقد العالم الذهن قلّ على الأضداد احتجاجه وكثر إلى الكتب احتياجه

وقيل: لا خيرَ في علمٍ لا يعبرُ معك الوادي ولا يعمُر بك النادي

وقال محمد بن بشير

ليس بعلمٍ ما يعي القِمَطْرُ ... ما العلمُ إلا ما وعاه الصدرُ[3]

وله أيضاً

إذا لمْ تكُنْ حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفعُ

وقال آخر:

عدوتُ بتشميرٍ وجدٍّ عليهم ... فمحبرتي سمعي ودفترُها قلبي

● **ضبطُ العلم بالكتابة**

قيل: قيدوا العلم بالكتابة، وقال سقراط ما بته الأقلام لم تطمع في دروسه الأيام

وقيل: العلم صيدٌ فاجعلوا الكتبَ له حبالةً والأقلامَ عليها رعاةً. العلمُ عقود فاجعلوا الكتب لها نظاماً.

وقيل: اكتبوا ما تسمعونه من الحكم ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر

● **وصفُ المثبت لكلّ ما يَسْمع**

قال أعرابي في رجل يكتب كل ما يسمع أنت حتفُ الكلمةِ الشَّرود[4]

---

(١) الرضاع: القطع.

(٢) الحاقن: مصدر حقن يقال حقن (بوله) حبسه، وحقن دمه صانه، وحقن اللبن جمعه ليخرج زبده

(٣) القمطر ما تُصان به الكتب، والقمطر خشبة تجعل في أرجل المجرمين، والقمطر الرجُل القصير الضخم.

(٤) الكلمة الشرود: أي السائرة في البلاد

وقال آخر:

مـــا أنـــتَ إلا الـــحـــفَـــظَـــة تـــكـــتـــب لـــفـــظ الـــلـــفـــظـــة

قال الأصمعي: قال لي أعرابي رآني أكتب ما أسمع وأستحسن: لا تدع شيئاً إلا نمصته أي نتفته.

● **السؤالُ عمّا يجهل**

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: العلمُ خزائنُ مفاتحُها السؤال.

وقال أنس: السؤال يعمر العلم.

وقيل: لا تسل رياء ولا تتركه حياء.

وقيل: سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس[1].

وقيل لدغفل: بم أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسانٍ سؤول وقلب عَقول.

وقال الشاعر:

شفاءُ العَمَى طولُ السؤال وإنما تمامُ العمَى طولُ السكوتِ على الجهْلِ

● **الحثّ على الأخذ من الصّغير والكبير**

قال النبي ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن أينمَا وجدها قيدها.

وقيل: خذ الحكمة ممّن تسمعها منه، فربّ رمية من غير رامٍ وحكمة من غير حكيم.

وقيل: لا يمنعك ضعةُ القائل[2] عن الاستماع إليه، فربّ فم كريه مجّ[3] علماً ذكياً وتبرٍ صافٍ في صخرٍ جاسٍ[4].

وسمع **الكندي** كلمة من مخنّث فكتبَها، فلاموه على ذلك **فقال**: ربّ لسانٍ خبثٍ نثر لفظاً محلاً، والجوهرةُ النفيسةُ لا يشينُها سخافة غائصها ولا دناءة بائعها.

وقال بزرجمهر: أخذتُ من كل شيء أحسن ما فيه حتّى من الكلب ذبّه[5] عن حريمه ومن الخنزير بكوره[6] في مقاصده. **وقال ابن السكيت** لرجل: أتراك أحطتَ بما لم أحطْ به، فقال: وما أنكرت، وقد قال الهدهد ـ وهو أخس الطيور ـ لسليمان: أحطت بما لم تحط به.

● **مدحُ من يقولُ لا أدري**

سئلَ **الشعبيّ** عن مسألةٍ **فقال**: لا أدري. **فقيل**: ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين؟ **فقال**: إن الملائكة لم تستحي إذ قالت سبحانك لا علمَ لنا إلا ما علّمتنا.

---

(١) **الأكياس**: جمع الكيّس وهو اللبق واللطيف.

(٢) **ضعة القائل**: الضّعة الوضاعة.

(٣) **مجّ**: لفظ.

(٤) **الصخر الجاس**: الصخر الجامد.

(٥) **ذبّه**: دفعه ورماه بعيداً.

(٦) **بكوره**: خروجه باكراً.

وقيل لأبي عمرو: ومثله، فقال: أقبح من هذا أن أقول فأخطيء وأروي فلا أُروي.

وقال شاعر:

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عندَه ... أطال فأملى أمْ تناهى فقصّرا

وقال الحسين (رضي الله عنه): لو أن نعالم كلّ ما قال أحسن وأصاب، لأوشك أن يجنّ من العجب، وإنما العالم من يكثر صوابه.

وقال بعض الفقهاء: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري فيقتضي اجتهاداً.

● ذمُّ منْ يقولُ ذلك

سئل رجل عن شيء، فقال: لا أدري، ولا أدري نصف العلم فقيل له: لكنه النصف الأخس.

وقال آخر: مثل ذلك فقيل له: فقله مرتين تحز العلم كله. وقال آخر ذلك فقيل له: لكن أبوك بالنصف الآخر تقدم.

● صعوبةُ جانبِ العلم

قال الخليل (رحمة الله عليه): العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك، ثم أنت في إعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلّك على خطر.

وقيل: لا يتأدّب الرجل حتى يتجنب الفراش الوطيء[1] والدثار الدفيء. وقيل: لا يدرك العلم من لا يطيل درسه، ولا يكدّ نفسه. وقيل لبعض العلماء: دللت طالباً فعرفت مطلوباً، فقال: من ذلّ طلبه عزّ أدبه.

وقال أرسطاطاليس: طالبُ العلمِ كالغائص في البحر، لا يصل إلى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة.

● ترفيهُ النّفس في طلبه

قال النبي ﷺ: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وقيل: دبر القلب فإذا نشط فأودعه، وإذا فترّ فتودعه.

وقيل: روّحوا الأذهان كما تروّحون الأبدان، فإنّ العقل المكدود[2] ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح.

وقيل: نفسُك مطيّتُك إنْ رفهتَها اضطلعت، وإن تحاملْت عليها انقطعت.

---

(١) الفراش الوطيء: اللين، والوطيء: المخصص. (٢) المكدود: المتعب والمجهد.

● الحرصُ على الاستكثار منه وعزه إذا كثر

قال ﷺ: منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم، ومنهوم في المال. وقيل: الشره في المال دناءةٌ وفي العلمِ نباهة.

وقيل: كل شيء يعزّ حين يندرُ والعلمُ يعزّ حيثُ يغزر

● اتساعُ القلبِ بازدياد العِلْم

قال أبو نواس: ما رأيتُ شيئاً إلا قليله أخف من كثيره، إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخف محملاً.

وقيل: كلّ إناء يفرغ فيه شيء يضيق، إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه علم اتسع.

وقال أنوشروان: قلب العالم كبيت فيه مصباحٌ لا يضيق عن تظاهر النور فيه، بل يتسع للمطر ويزيد في الضياء

● الترغيبُ في اختيارِ النُكت

قيل: العلم أكثر من أن يحوى، فخذوا من كل شيء أحسنه، وقيل: حلّ طبعك بالعيون والفقر، فالشجرة لا يشينها قلّة الحمل إذا كانت ثمرتها نافعة.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): العلم كثير فارعوا أحسنه. أما سمعتم قول الله تعالى: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؟

قال الشاعر:

قالوا خذِ العينَ من كلّ فقلتُ لهم ... في العينِ فضلٌ ولكن ناظرُ العيْنِ

● تناولُ طرفٍ من كلّ نوع

قال يحيى بن خالد: انتق من كلّ علم طرفاً، فمن جهل شيئاً عاداه، وأكره أن تكون عدوّاً لشيء من الآداب.

وقيل: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد فناً واحداً، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ طرفاً من كل فن.

وقيل: من لا يعلم إلا فناً واحداً من العلم سمّي المحصيّ من العلماء.

● تقديمُ تعلم ما لا يُستغنى عنه

قال المأمون: العلمُ لا يدرك غورهُ[1] ولا يسبرَ قعرُه، فابدأ بالأهم فالأهم بالفرض قبل النفل[2]، إن الأهم المقدّم.

---

(١) غور العلم: قراره ومنتهاه والموضع الأعمق من بحره

(٢) النفل: ما تفعله مما لا يفرض ولم يجب عليك فعله، والنفل الزيادة

وقيل: ضيّع الناس الأصول بتركهم الأصول.

● **النهيُ عن الخوضِ في فنونٍ من العلم**

قيل: ازدحام العلم في السمع مضلّة للفهم. **وقيل**: إذا رأيتم رجلاً يريد تعلم أنواع العلوم فداووه. **وقيل**: من رام أن يتحمل فنون العلم استحقت سجيزته[١]، ووقف الناس على غميزته[٢].

قال الشاعر:

تعلّمتُ حتى من كلابٍ عواءَها   لعمري لقدْ أسرفتُ في طلبِ العِلْمِ

● **كثرةُ العِلْمِ**

قال الحسن (رضي الله عنه): ما ترك قولَ الله تعالى ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ـ عالماً يظن أنّ علمه كثير.

وقيل لفيلسوف: إلى أين بلغت في العلوم؟ **قال**: إلى الوقوف على القصور عنها.

● **زهدُ من يقربُ من العُلماءِ في العِلْم**

قيل: أزهدُ الناس في العالم جاره. **وقيل**: العالم كالحمةِ من الشر، يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء.

وقيل لرجل: كيف غلبت البرامكة؟ **فقال**: بتطراف الغرباء والملالة من القرباء.

وقال أنوشروان: رأيت في منامي رجلاً يعدو وليماء خلفه يناديه، فعبّر بأنه رجل يفرّ من العلم وعالم يناديه ليفيده وهو يمتنع منه.

● **حمدُ التأديب**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الناس عالمٌ ومتعلم، وما سواهما همج. فدلّ ذلك على تفضيل التأديب، وجميع ما تقدم من عموم فضل التعليم فدلالة على فضل المؤدبة.

وقال ابن ثابت: إن المؤدبة ولدوا سجم الملوك حاسدون حسابهم. وسأل **الرشيد** يوماً: من أكرم الناس خدماً؟ قيل: أمير المؤمنين فقال: لا، بل أكرمهم خدماً الكسائيّ فقد رأيته يخدمه الأمين والمأمون وليّا عهد المسلمين وليس لي من الخدم مثلهما.

وقال خالد بن صفوان لمؤدب: أنت نعمنا وصيماً وأحضرتنا رعياً.

● **ذمُّ التأديبِ وكونُه نقصاً لذوي الفضل**

كلّف إسماعيلُ بن علي عبد الله بن المقفع أن يجلس مع ابنه في كل أسبوع يوماً،

---

(١) السجيزة: الطبيعة. (٢) الغميزة: المغمز، الضعف في العقل أو العمل.

فقال: أتريد أن أثبت في ديوان الموكي؟ وقال سعيد بن سلم: قصدت الكوفة فرأيت ابن المقفع فرحب بي، وقال: ما تصنع هنا؟ فقلت: ركبني دين فأحوجت إلى الإزعاج. فقال: هل رأيت أحداً؟ فقلت: ابن شبرمة وعرفته حالي، فقال: أنا أكلم الأمين ليضمك إلى أولاده فيكون لك نفع. فقال: أف لملك يجعلك مؤدباً في آخر عمرك، أين منزلك؟ فعرّفته فأتاني في اليوم الثاني وأنا مشغول بقوم يقرؤون عليّ ومعه منديل فوضعه بين يدي، فإذا فيه أسورة مكسورة ودراهم متفرّقة مقدار أربعة آلاف درهم، وحينئذ[1] زمان المنصور وفي الدراهم ضيق. فأخذت ذلك ورجعت به إلى البصرة واستمتعت به.

قال الشاعر:

كفى المرءَ نقصاً أن يقالَ بأنه ... معلّمُ صبيانٍ وإنْ كانَ فاضلا

وقال آخر:

إنّ المعلّمَ حيثُ كانَ مُعَلِّمٌ ... ولو انتشى فوق السّماءِ سماءَ

- **وصايا المؤدّبين في الأولاد**

أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي، لما اتخذه مؤدباً لابنه: إنّ ابني هذا هو جلدة[2] ما بين عينيّ، وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه، بخلالٍ أوّلها أنك مؤتمن عليه، والثانيةُ أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلما ارتقى الغلام في الأمور درجةً ارتقيت معه. وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصيك به. إنّ أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ثم روّه من الشعر أحسنه. ثم تخلّلْ به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، وبصّره طرفاً من الحلالِ والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكن أوّلَ إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإنّ عيونَهم معقودةٌ بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنته والقبيحُ ما استقبحتهُ. علّمهمْ كتابَ الله وروِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه ولا تكرههم على علم فيملّوه ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم، حتى يحكموه، فازدحامُ العلْم في السّمع مضلّة للفهم. وعلّمهم سير الحكماء وجنّبهم وأدّبهم دوني، ولا تتكل على كفايةٍ منك، واستزدني بتأثيرك أزدك إن شاء الله تعالى.

وضرب أبو مريم مؤدّبُ الأمين والمأمون الأمين بعودٍ فخدش ذراعه فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمّد أن حسر عن ذراعه فرآه الرشيد فسأله، فقال: ضربني أبو مريم فبعث إليه ودعاه قال محمدٌ: فلما حضرت، قال: يا غلام وضّئه فسكتُّ وجلستُ آكل، فقال: ما بال محمد

---

(1) حينئذ زمان المنصور: حينئذ وقتئذ، يريد في عهد الخليفة المنصور.

(2) جلدة ما بين عينيّ: كناية عن القيمة والقدر العظيم.

بشكوك فقلت قد علبني حيناً وعرامة(١) قال: اقتله فلأن يموت خيرٌ من أن يموق(٢)

● الحثُّ على تفقد المؤدب

قيل: أَوْلى من تبذل له ثراك من أدَّبك غلاك وصقل حجاك(٣).

قال الشاعر:

إن المُعلِّمَ والطبيبَ كلاهُما لا ينصحان إذا هُمَا لم يُكْرَما
فاصبرْ لدائِكَ إن جفوْتَ طبيبه واصبرْ لجهلِكَ أن جفوْتَ مُعَلِّما

ووقَّع الصاحبُ لبعض المؤدِّبة إلى من تقعد بمشاهرته

الكلبُ يرفعُ نفسه ويجلُّها مع حسبه
من أن يُفيتَ مؤدِّباً مستوجباً من أجرته

وسُمع مؤدِّبٌ يلقِّنُ صبيّاً: وإذ قالَ لقمانُ(٤) لابنه وهو يعظهُ يا بُنيَّ لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيدُ كيداً فمهل الكافرين أمهلهمْ رويداً. فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن أباه يدخل مشاهرة شهر في شهر، وأنا أدخله من سورةٍ إلى سورة، لئلا يحصلَ على شيء كما لا أحصل أنا على شيء.

● نوادرُ المعلمين فيما يقرأ عليهمْ الصبيان

قرأ صبيّ على معلّم: وإنّ عليك اللعنةُ يا شيخ، وأخذ يكرر ويعيد. فقال: عليك وعلى والديك. فقال الصبيّ: ليس فيه وعلى والديك، لكنه عليك هل ألحقه به؟

وقرأ آخر على معلّم: اخرج منها فإنك رجيم. فقال: ذلك أبوك الكشخان

وقرأ آخر على معلّم: ما لك في بناتك من حقّ وأخذ يكررها كالمستفهم، فقال: لا ولا كرامة لك.

● نوادرُهم فيما يقرأ عليهم من التصحيفات(٥)

قرأ صبي على معلم إنّي أريد أن أنكحك، فقال: هذا إذا قرأت على أمك القحبة

وقرأ آخر: عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يعملون ما يؤمرون.

فقال: هؤلاء أكراد لا ملائكة

وكان معلّم يلقّن صبياً «عَبَسَ وتَوَلّى»، فكان يقول: أبس وتولى. فضربه المعلم فقال: عاه فقال: حوّل العين من ههنا إلى ثمّ وخلّصني

---

(١) العرامة: الشدّة والكثرة (٢) يموق: يهتك

(٣) حجاك: عقلك

(٤) لقمان: أحد الحكماء الذين تُنسب إليهم الحكم والأقوال والأمثال. تواتر ذكره في أخبار الجاهلية والإسلام

(٥) التصحيفات: سبق شرح معنى التصحيف ولا سيّما في الشعر

وقرأ آخر: وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصل، فقيل: يا ابن الفاعلة لعلك تشتهي البصيلة.

● ما وُصِفَ من لواطِ المعلمين

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام[1]، وهو صبي وضيء الوجه فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدبه. فراوده عن نفسه فخرج من عند المؤدب مغضباً ودخل على هشام وهو يقول:

إنّــهُ واللهِ لـــولا أنْـــتَ لَـــمْ ... يَنْجُ منّي سالـماً عَبْدُ الصَّمَد

فقال وما ذاك؟ قال:

إنّــه قــدْ رامَ مــنّــي خُــطّــةً ... لـم يرُمـهـا قـبـلَـهُ منّي أحـد

قال وما ذاك؟ فقال:

رامَ جـهـلاً بـي وجـهـلاً بـأبـي ... يولجُ العُصْفور في خِيسِ الأسد[2]

فطرد عبد الصمد عن داره.

وحدّث الأحيمر النحوي وكان مؤدب الأمين اتخذ عليه بعد حمّاد عجرد[3]، وكان حماد اتخذ عليه بعد نفي قطرب[4] قال: كان سبب نفيه أن حماداً كان يتعشّقُ الأمين ويطمع أن يتخذ عليه مؤدباً فلم يتأتَّ له ذلك حتى استوى الأمر على قطرب، فاحتال حمّاد وكتب هذين البيتين وناولهما بعض الخدم على يد مجهول:

قلْ للأميرِ جزاكَ اللّهُ صالحةً ... لا يجمعُ الدهرُ بين السخْلِ والذيبِ[5]

السخلُ غِرٌّ وهمّ الذيبِ غفلتُه ... والذيبُ يعلمُ ما في السخْلِ من طيبِ

فلما قرأهما الرشيد نفى قُطرباً واتخذ حمّاد عجرد، وجعل عليه ثمانين من الرقباء مخافة قطرب لما وسم بهذه السمة فهرب إلى الكرخ، والتجأ إلى أبي دلف فحسن حالهُ.

ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مرداً حساناً فقال:

أسـدٌ رابـضٌ حـوالـيْـه أسْـدٌ ... ليس ينجو من الأسودِ الظباءُ

وقال خلف الأحمر لمعلمه وهو في الكتاب وقد راوده عن نفسه:

أتتـركُ في الحَلال مشـقَ صادٍ ... وتأتـي في الحَرام مدارَ ميمِ[6]

---

(١) هشام: أي الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. (٢) الخيس: الشجر الملتفّ.

(٣) حمّاد عجرد: من شعراء المجون والخمرة، عاصر أبا نواس وكان واحداً من عصبته.

(٤) قطرب: من علماء النحو وكان معتزلياً ومن آثاره المثلث وهو كتاب أظهر فيه اختلاف معاني الألفاظ باختلاف حركات الإعراب مثل حمام وحمام.

(٥) السخل: ولد الشاة والضعيف من القوم ـ الذيب: مخفف الذئب.

(٦) المشق: مصدر مَشَقَ أي أسرع في الطعن أو العمل.

● حماقة المعلمين

قال يعقوب الدورقي: إن الله أعان على عرامة الصبيان، بحماقة المعلمين. وقال سهل بن هارون[1] لم أرَ قاضياً ولا عدلاً معلم كتاب، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير.

وقال الشاعر:

وكيفَ يُرَجّى العقلُ والرأيُ عند من ... يروحُ على أنثى ويغدُو على طِفْلِ

وقال آخر:

أنتَ ألحى معلّمٍ وطويلُ ... حسبُنا ربُّنا ونِعْمَ الوكيلُ

وقال الجاحظ:

المعلمون على ضربين: منهم من ارتفعوا عن أولاد العامة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشحين للخلافة كالكسائي وقطرب وحماد وعبد الصمد، فهؤلاء لا تجوز عليهم الحماقةُ، وإن لكلِّ قوم حاشية وجهالاً وسفهاء.

● ما وصِفَ من ذكاء الصِبيان وكيسهم في الكتاب

قال مؤدبُ يزيد بن عبد الملك: لم لحنت؟ فقال: الجواد يعثر. فقال المؤدب: أي والله ويضرب حتى يستقيم. فقال يزيد: وربما يرمح[2] سائسه فيكسر أنفه.

ويروى عن ابن السكيت قال: أحضرتُ لأتعلّم على المعتز بالله، فقلت له: بأي شيء نبدأ اليوم؟ فقال: بالخروج. فقلت: نعم. فعدا من بين يدي وعثر على المرمر، فقال: يموت الفتى من عثرة بلسانه، وليس يموت المرء من عَثْرةِ الرجل. فقلت للمتوكل: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني. فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال أبو محمد يحيى - وكان مؤدب المأمون في صغره -: صلّيت يوماً قاعداً فأحطّا المأمون فقمت لأضربه، فقال: أيها الشيخ تطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً فكتبت بهذا إلى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم.

وحكي أنه بدر من أبي عمر الصباغ بن الصاحب جفاء وكان مؤدبه، فقام من عنده وكتب إليه:

أودعتني العِلْمَ فلا تجهل ... كَمْ مقولٍ يجني على مقتَلِ

وأنتَ إن عنفتني سرقةً ... والسيفُ لا يبقي على الصَّيْقَلِ

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه وقال: ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشر ثم تلا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[3]

---

(١) سهل بن هارون: أحد كتّاب العصر العباسي وهو فارسي الأصل.

(٢) يرمح: يطعن بالرمح. (٣) القرآن الكريم: مريم/ ١١

● أمارةُ نجابةِ[1] الصبيان

قيل لأعرابي: ما أمارةُ النجابة في صبيانكم؟ قال: إذا كان أعنق[2] أشدق أحمق، فأقرب به من السودد[3].

وقال الزبرقان: أكيسُ صبياننا العريضُ الورك السبط[4] الغرّة، الطويل الغرلة[5]، الأبله العقول.

وقال بزرجمهر لكسرى، وعنده أولاده: أي أولادك أحب إليك؟ قال أرغبهم في الأدب، وأجزعهم من العار وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه.

وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: عرامة الصبيّ في صغره زيادة في عقله إذا كبر.

وقال معاوية: طيّروا الدم في وجوه الصبيان، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم.

● صبيّ استدلّ بعقله على كبر همّته

قيل: أولُ ما عرف من سودد خالد القسري أنه مرّ في بعض طرق دمشق راكباً، وله عشر سنين فوطىء فرسُه صبياً فوقف عليه فرآه لا يتحرك فانتهى إلى أول مجلس مرّ به، فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم.

ومرّ عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فعدا الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر: ما لك لا تلعبُ مع الصبيان؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسعه لك. فقال عمر: أي شيطان يكون هذا؟

وكان عبد الملك صغيراً فأربى عليه صبيّ فضربه، فقيل له: لو شكوته إلى عمّك لانتقم منه. فقال: أنا لا أعدّ انتقام غيري انتقاماً. وقال السري الرفاء يصف غلاماً بعلو الهمة

لا تعجبنّ من علوِّ همّته	وسنّه في أوانِ منشاها
إنّ النجومَ التي تُضيءُ لنا	أصغرُها في العيونِ أعلاها

● من تكلّم عند الخُلفاء وهو صغيرٌ فارتفع بذلك شأنه

أوفد أبو موسى الأشعري زياداً على عمر رضي الله عنه، وكان يكتب له، وهو حين

---

(١) النجابة: مصدر نجب نجابة (الولد): كرم حسبه وكان محموداً في قوله وفعله.
(٢) الأعنق: الطويل العنق.
(٣) السودد: مخفف السؤدد، أي المجد والسعادة.
(٤) السبط: نقيض الجعد، والسبط أيضاً: المعتدل القوام، الحسن القدّ.
(٥) الغرلة: القلفة، جمع غُرل.

بلغ. فلمّا جاء وجده من الكيس بمحل. فقال له عمر: اعتزل عملك. فقال زياد: أعن خيانة؟ قال: لا، ولكنني أكره أن أحمّل الناس فضل عقلك ومنطقك. قال: إذاً لا أبالي.

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي أمرد[1]، فقال: السلامُ عليكَ يا أمير المؤمنين. قال: من أنت؟ قال: سليلُ نعمتك وابنُ دولتك وغصنٌ من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته.

نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه، فقال: من أنت؟ قال: الناشئُ في دولتك المتقلِّبُ في نعمتك وتخريج أدبك الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلتِ العقول وأمر برفعه عن محلّه.

وفي بعض كتب الفرس أن كسرى أراد كاتباً لأمرٍ أعجله فلم يوجد غير غلام صغير يصحب الكتاب فدعاه، فقال: ما اسمك؟ قال: مهرماه. قال: اكتب ما أملي عليك فكتب قائماً أحسن من غيره قاعداً. ثم قال له: اكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك فعمل وضمّ إلى الكتاب رقعة فيها: إن الحرمة التي أوصلتني إلى سيدنا لو وكلت فيها إلى نفسي لقصرت أن أبلغ إليها فإن رأى أن لا يحطني إلى ما هو دونها فعل. فقال كسرى: أحب مهرماه أن لا يدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد إمكان الفرصة. وقد أمرنا له بما سأل.

وذكر أن عمرو بن عتبة أعتق غلاماً له تقدم إليه وصيف له فقال: اذكرني ذكرك الله فاستصغره فقال ويلك أنك لم تخرق بعد. فقال: إن النحلة قد تجتني زهواً قبل أن تصير معوا. قال: قاتلك الله قد استحققت قد وهبتك لو هبك لي.

● وصفُ بلادة الصبيان في التعلّم

كان معلّم يضرب صبيّاً، فقيل له: لم تضربه؟ فقال أنه يترك الصواب الهيّن ويأتي الخطأ الصعب. فإذا هو يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[2] ويقرأ: فيؤخذ بالنواهص[3] والأقدام.

وحكي أن مؤدباً ادّعى أنه علّم صبياً النحو والفرائض، فامتحنه أبوه فقال له: كيف تقول ضرب زيد عمراً؟ قال: كما تقول فقال له: فما إعرابهما؟ قال زيد رفع بفعله وما بقي فللعصبة.

وأمر آخر معلماً أن يعلمه الفرائض فامتحنه يوماً، فقال له: ما تقول في رجل مات وخلف ابنين وابناً، فقال: أما الابن فيسقط. فقال: نعم إذا كان مثلك.

---

(١) الصبي الأمرد: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

(٢) القرآن الكريم: الفجر/٢٧.

(٣) والأصل النواصي، جمع ناصية وهي مقدّم شعر الرأس.

وسلّم أشعث في البرارين فقيل له بعد سنة إلى أين بلغت في معرفة السر، قال: أحسنت النشر وأرجو أن أتعلم الطي.

(٦)

ومما جاء في البلاغة وما يضادها

●

● **ما حدّ به البلاغة**

قيل: البلاغة ما اختيره مساده. **وقيل**: الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل. وسئل آخر **فقال**: أن لا تخطيء ولا تطيء.

وسأل **المأمون الحسن بن سهل** عن ذلك، **فقال**: ما فهمته العامةُ ورضيته الخاصّة.

وسئل عنه بعض اليونانيين، **فقال**: تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام. وسئل حكيم من البليغ، **فقال**: ما إذا أخذ شبراً كفاه، وإن أخذ طوماراً[1] ملاه.

● **ما حدّ به الإيجاز ووصفه**

سئل بعضهم **فقال**: اللمحة[2] الدالة **قال جعفر بن يحيى البرمكي**: إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات، فافعلوا.

ووقّع **محمد بن طاهر** أيام فتنة إلى الكتاب: لتدقق الأقلامُ ويختصر الكلام بالقراطيس[3] لا ترام.

وقيل: من أطال الحديث فقد عرض أصحابه للسآمة[4] وسوء الاستماع. **وقيل**: الكلام إذا طال احتلّ وإذا اختلّ اعتلّ، **وقال منصور الفقيه**:

ولا تكثرن فخيرُ الكلامِ القليلُ الحروف الكثيرُ المعاني

وقيل: خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ ولم يطلْ فيملّ.

● **كلماتٌ موجزة**

ذكر ذلك يطول، ولكن لا بدّ من ذكر أحرف تكون أمثلة.

سئل جعفر بن يحيى عن أوجز كلام فقال: قول سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، أن لا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين، فجمع في ثلاثة أحرف العنوان والكتاب والحاجة وإظهارَ الدين وعرضَ الرشد إلى المكتوب إليهم.

---

(١) **الطومار**: الصحيفة.

(٢) **اللمحة**: المرة من اللمح، واللمح مصدر لمح (بشيء) أي اختلس النظر، والمراد باللمحة الدالة الإيجاز ذو الدلالة.

(٣) **القراطيس**: جمع قرطاس وهو الصحيفة التي يكتب فيها.

(٤) **السآمة**: السأم والملل.

وكتب المعتصم إلى ملك الروم جواباً عن كتاب تهدّده فيه: الجوابُ ما ترى لا ما تسمعُ، وسيعلم الكافر لمنْ عقبى الدار، والسلام.

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب عناية موجزة فكتب: كتابي كتاب واثق بمن كتب إليه، معنيّ بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله.

● الإيجازُ والإطناب[1] في محلّيهما

قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العرب تطيل؟ قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟ قال: ليحفظ عنها. وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

يرمونَ بالخُطَبِ الطّوالِ وتارةً وحيُ الملاحظِ خيفةَ الرُّقَباءِ

وقال ابن قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة، وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائداً ولا ناقصاً. والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالّة والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه. وقال شاعر:

يكفي قليلُ كلامهِ وكثيرُهُ ثبتٌ إذا طال النِّضالُ مُصيبُ

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، فقال للموجز، لمّا نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد، وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان.

وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً[2]، وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً[3].

● استقباحُ إعادة الحديث

قيل: الحديثُ الرجيعُ[4] كالحدث والرجيع. وقيل: إذا أعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه. قال ابن السماك لجارية له تصغي إلى كلامه: كيف تجدين كلامي؟ قالت: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده قال إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه ملّه من قد فهمه. وقيل لرجل يعيد كلاماً لعيي: قد ثقل كلامك على الذكيّ قبل حصوله في قلب الغبي.

● ذمُّ إطالةِ الحديث:

قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسّآمة[5] وطول الاستماع.

---

(١) الإطناب: الإطالة والإسهاب.

(٢) الهذر: سقط الكلام، يقال رجل مهذار إذا خلط في منطقه وتكلّم بما لا ينبغي، والمرأة مهذارة.

(٣) إن المعيار الدقيق للإيجاز والإطناب أو القصر والإطالة هو أن يراعي المتكلم مقتضى الحال وتلك هي البلاغة التي توجب أحياناً الإطالة وأحياناً الإقلال وعدم الإكثار.

(٤) الحديث الرجيع: هو الحديث المكرر أو الذي يردّد على لسان صاحبه.

(٥) السآمة: الملل والضجر.

وقال سقراط لرجل: أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره، وفرق آخره فهمي لتفاوته. وخطب رجل خطبة نكاح[1] فأخذ يطيل فقدم بعض الحاضرين فقال: إذا فرغ الخطيب فبارك اللّٰهُ لكم، فإني على شغل.

● الموصوفُ بالفصاحة

سمع إعرابي الحسن يتكلم، فقال: هو فصيح إذا لفظ، نصيح إذا وعظ. وقال:

مُـلـقَّنٌ مُـلْـهِـمٌ فيـمَـا يُـحَـاوِلُـهُ ... جَـمٌّ خـواطِـرُه جـوّابُ آفَــاقِ

وقيل: انتهت الفصاحة إلى أربع: عليّ وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم

قال الشعبي: ما رأيت أحداً يتكلم فيحسنُ إلا أحببت أن يسكت إلا زياداً فإنّه لم يخرج قط من حسن إلا إلى ما هو أحسن منه

وقال يحيى بن زياد: فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أحسنَ مقاد[2] وساقه أحسن مساق فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الأبصار الطامحة. وقيل: كلامٌ كنظم الجمان[3] وروضِ الجنان مكانه من كل قلب يعظم

وقال أبو تمام:

مِن السِّحْرِ الحلالِ لمجتنيهِ ... ولم أر قبله سحراً حلالا

وقالت الخنساء[4]:

كأن كلامَ الناس جُمِّعَ حوله ... فأطلق في إحسانه يتخيّرُ

● فضيلةُ اللسان

قال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ: فيم الجمال؟ قال: في اللسان، وقيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة.

وذكره بعضهم فقال: لله درّه من عضو ما أصغرَه وأكثر ضرّه ونفعه

وقيل: مروءتان ظاهرتان الفصاحة والرياش[5]

● موصوفٌ لسانهُ بالصرامة

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه ما بقي من لسانك فضرب به أرنبته وقال

---

(١) خطبة النكاح: خطبة مراسم الزواج

(٢) المقاد: المساق، مصدر قاد يقود قوداً وقيادة ومقادة (الدابة): ساقها مشى أمامها

(٣) الجمان: اللؤلؤ

(٤) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، وهي من الشعراء المخضرمات بين الجاهلية والإسلام (انظر ديوان منشورات دار الأرقم).

(٥) الرياش: الأثاث

والله لو وصعته على شعر لحلقه أو على صخر لصقه قال الله تعالى ﴿سَلَقُوكُم بِأَلسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[1]، ووصف أعرابي رجلاً فقال: أدق من ورقة وألين من سرقة

قال الغساني:

لـهُ بـيـنَ فـكّـيـهِ لـسـانٌ كـأنّـه حُسامٌ دقيقُ الشفرَتينِ عتيقُ

وقال آخر:

وَلِلسّيفُ أشوَى وقعَةً من لِسانيا[2]

وقال آخر:

وحسبْتُ أنّ لسانَه من عضبِه

● وصفُ كلامٍ بالسلامة[3]

قيل لو كان الكلام طعاماً لكان هذا، د ما كلام يقطر عسله هدا. والله شر تغم أحسن من نثر نعم، كلام كالوبل في المحل.

وتكلّم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه. كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال كان والله كغيث وقع على أرض عطشة فقال جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف.

وقال المتنبّي:

إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسّمتِ الضمائرُ والقلوبُ

قال ابن المقفع ما زالت ينابيعُ حكمه تترقرق في معابر الآداب حتّى ملأت القلوب عقولاً. اللفظ الحسنُ إحدى النافثاتِ في العقد

وقيل في وصف كلام إنه يحطّ الجندل[4] ويثقب الخردل[5]، وإنه لدون السحر وفوق الشعر

● لفظٌ ساعدَ المعنى في الجُودة

مدح أعرابي رجلاً فقال: كان ألفاظَه قوالبُ لمعانيه

قال الشاعر:

تـريـنُ مـعـانـيـه ألـفـاظَـه وألـفـاظُـه زائـنـاتُ الـمـعـانـي

وقيل. خيرُ الكلام ما كان لفظُه بِكراً ومعناه مخلاً

وقال شاعر:

نرى حُللَ البيان منشراتٍ تحبرُ وشطها صورُ المعاني

---

(١) القرآن الكريم: الأحزاب/١٩.
(٢) أشوى وقعة: أشذ
(٣) السلامة: اللين والاسترسال
(٤) الجندل: الصخر والجمع جنادل
(٥) الخردل: جمع خردلة، نبات عشبي حبه صغير جداً وهو من التوابل وله فوائد

● **مدحُ كلامٍ وسَط**

خير الكلام ما لا يكون عامياً سوقياً ولا غريباً وحشياً. وقيل: الإيغالُ[1] في البلاغة معجزة، والخروج عن كلام أهل الزمان هجنة.

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بنيّ إذا كنت في قوم فلا تتكلّم بكلام مَنْ لم يبلغه سنُّك فيستثقلوك، ولا بكلام من هو دونَك فيستحقروك.

● **مفاضلةُ الرويةِ والبديهةِ**

قال معاوية لعمرو بن العاص: أنا آدب منك، فقال: أنتَ للروية وأنا للبديهة وبينهما بون[2].

وقال ابن الرومي:

نارُ الرويّةِ نارٌ غيرُ منضِجةٍ ... وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحِ
وقدْ يفضّلها قومٌ لعاجِلِها ... لكنّه عاجلٌ يمضي معَ الرّيحِ

● **فضلُ البديهةِ وما يحاضَرُ به**

قيل: خيرُ الفقه ما حاضرت به، ولا خير في علم لا يعبر معكَ الوادي ولا يعمُر بك النادي. وقال الحطيئة:

فهذا بديهةٌ لا كتحبيرِ قائلٍ ... إذا ما أراد القولَ زوّره شهرا

وقال المتنبي:

أبلغُ ما يُطلبُ النجاحُ به الطبـ ... ـعُ وعند التعمّقِ الزللُ

● **النهيُ عن التشادُقِ والتقعّرِ وذمّهما**

قال النبي ﷺ: إنّ أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون[3] المتشدّقون[4]. وقال ﷺ: إياك والتشادق.

وقال بشر بن المعتمر[5]: إيّاك والتقعّر[6] فإنّه يسلمك إلى التعقيد، فيستهلك معانيك، ويمنعك من مراميك.

وقيل: تشقيقُ البيان من شقاشقِ الشيطان.

وقال النبي ﷺ: شعبتان من النفاق البذاء[7] والبيان، وشعبتان من الإيمان الحياء والعيّ[8].

---

(١) الإيغال: مصدر وغل يغل وغولاً في الشيء: أي دخل فيه وذهب بعيداً، وأوغل: أسرع، والإيغال الإسراع.
(٢) البون: الفرق. (٣) المتفيهق: الذي يتوسّع في الكلام.
(٤) المتشدّق: من شدق شدقاً: اتسع شدقه وهو زاوية الفم، وذلك للتفصّح.
(٥) بشر بن المعتمر: أحد شيوخ المعتزلة، عاصر هارون الرشيد.
(٦) التقعّر: التعمّق في الكلام، والتقعّر إخراج الكلام من الحلق.
(٧) البذاء: الكلام السفيه، الفاحش. (٨) العيّ: العجز عن البيان.

وهذا إنما هو لمن جاوز المقدار أو قصّر عنه وكماك ما قال النبي ﷺ إن الله يبغض البليغ يتخلّل بلسانه تخللَ البقرة بلسانها.

وأنشد العجّاج.

أمسى الغواني معرضاتٍ صدّدا

وأعرابي حاضر فقال. تنحّ عن سـه، وولا تسقط منه كلمةٌ فتشدخك[1]، وما أجود ما قال ابن أبي طاهر:

إن خيرَ الكلام ما لبْس فيه عند من يفهم الكلامَ كلامُ

● ذمّ عِييّ متقعّر

قيل: أعيا العيّ بلاغة بعي. وقال محمد بن وهيب.

تشبهتَ بالأعرابِ أهلِ التعجرفِ فدلّ على مثواكَ قُبحُ التكلّفِ

لسانٌ عرابيٌّ إذا ما صرفته إلى لغةِ الإعرابِ لم يتصرّف

وقال أبو الأسود لابن صديق له ما فعلت امرأة فلان التي كانت تساره وتضاره وتماره[2] فقال: طلقها فتزوج بها فلان فحظيت وبظيت فقال أبو الأسود ما معنى بظيت فقال. كلام لم تدر من أي بيض حرج وفي أي عش درج فقال إن ما لا أعرفه ماخاه كما تخبأ الهرة خرءها.

● من ارتكبَ أمراً طلباً للسجع

خرج عبادة إلى عبادان فقيل ما الذي جاء بك؟ فقال لا جمع بين عبادة وعبادان

وكان علي بن رستم خرج إلى بغداد وأسلم فكتب إلى أهله كتابي إليكم من مدينة السلام عن سلامة وإسلام فقال. أخوه ما خرج أخي وأسلم إلا طلب أن يكتب هذه المسجعة[3]

● ما حدّ به العيّ وذمّه

قال أكثم العي أن تتكلم بغرقما تقتضيه حاجتك، وقيل. العي معنى قليل يحويه لفظ كثير، وقيل. العي داء دواؤه الخرس، وقيل لا عي[4] ولا شلل، وتكلم رجل عند معاوية وكان ذا عيّ فقال عمر: وسكوت الألكن[5] نعمة فقال معاوية وكلام الأحمق نقمة، وقال النمر بن تولب[6]:

أعِدْني ربِّ من حصَرٍ وعِيٍّ ومن نفسٍ أعالجُها علاجا

---

(١) تشدخك تجرح (٢) تماره. يريد تماريه أي تجادله.

(٣) المسجعة: العبارة التي يراعى فيها سجع السجع، والسجع من أبواب البديع وهو وسط بين الشعر والنثر

(٤) العي نقيض البيان والإفصاح، فالعيّ هو العجز عن الإفصاح والبيان.

(٥) الألكن: الذي في لسانه لكنة أي عجمة.

(٦) النمر بن تولب شاعر جاهلي أدرك الإسلام وشعره جيد، وهو من بني عكل (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة)

● **الآفات المعترضة للسان من العيّ**

اللثغة تغيير في القاف والسين واللام والراء، والتمتمة التتعتع[1] في التاء، والفأفأة في الفاء، واللفف إدخال حرف في حرف ورباه عيي لشاعر بقوله

كـأنَّ فيـه لَـفَـفـاً إذا نَـطَـق

والتلجلج[2] يقارب ذلك **والحبسة** ثقل في الكلام **والعقلة** اعتقال اللسان **والحكلة** نقصان آلة النطق حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال وأصله في الفحل إذا عجز عن الضراب[3]، وقيل: لا يصفو كلام من يكون مقروع الثنيتين

● **ما يعرضُ في بعضِ اللغات من العيّ**

كشكشة تميم وهو قلب كاف المؤنث شيناً نحو، فعيناش عيناها وجيدش جيدها، وكسكسة بكر وهي قلبها، سينا وعنعنة تميم **كقوله** ظننت عنك ذاهب والمجرفة جفاء في الكلام، واللخلخانية تعرض في أعراب الشحر وعمان والطمطمانية لغة في حمير كقولهم طاب امهواء، أي طاب الهواء

● **استعمالُ كلِّ كلام مع الجنسِ المخصوصِ به**

قيل الكلام بذلة ومدحر فمن تكلم وقت البذلة بالمدحر أتعب نفسه، ومن تكلم وقت المدحر بالبذل هجن نفسه.

● **من خاطبَ عامياً بفصائحٍ وتذلقٍ**

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندي جارية فاعتاطت عليه، فشكاها إلى يعقوب، **فقال**: جئني بها لأعظها. فجاء بها إليه **فقال**: يا لعوبة ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات[4] من الموبقات[5] على طالبي المودات، الباذلين الكرائم المصونات موددات بعدم المعقولات؟ **فقالت الجارية: أما علمت أن هذه العثنونات[6] المنشرات على صدور أهل الركاكات، محتاجات إلى المواسي الحالقات؟ فقال يعقوب: لله درّها فلقد قسّمت الكلامَ تقسيماً فلسفياً، فاشدد يديك بها. فلم يستوحش من سفاهتها لما أوردت الكلام مسجّعاً موزوناً** **وقال نحوي** لصاحب بطيخ: بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان، ودونهما الرمانتان، **فقال**: بضربتان وصفعتان ولكمتان، فبأيّ آلاء ربكما تكذبان

---

(١) **التتعتع**: من عيوب النطق وهو التلعثم بحرف التاء.

(٢) **التلجلج**: التردد في الكلام

(٣) **الضراب**: مصدر ضرب الفحل ضراباً إذا نكح الأنثى والناقة الضارب التي ضربها الفحل

(٤) **الاعتياصات**: الاعتياص، العصيان.

(٥) **الموبقات**: المهلكات جمع موبق.

(٦) **العثنونات**: جمع عثنون وهي اللحية

وصار أبو علقمة إلى كوار فقال: أعدك جرّة لا فقداء ولا دناء ولا مغربلة الجوانب، خضرة نضرة قد مشّها النار، إن نقرت عليه طنّت، وإن أصابتها ريحٌ عنّت، ولكن بدرهم.
فقال الكواز: دعني من شتمك يا ماصّ بظر أمّه

● **الأحوالُ الدّالةُ على العيّ**

من العي البهرة، وفتل الأصابع، ومسّ اللحية، ولذلك قال:

مـليءٌ ببـهـرٍ والـتـفاتٍ وسـعْـلـةٍ ومـسـحـة عُـثـنـون وفـتْـلِ الأصـابـعِ

وقال ابن المقفع: من علامة العيّ النكث في الأرض، والإطراق من غير فكرة

● **المحتبسُ في كلامه**

قال الشاعر:

كـأنّ فـي فـيـه لـقـمـةً عـقـلـتْ لـسـانـه فـالـتـوى عـلـى حـنـقِ
مـحـرّكٌ رأسـه تـوهّـمـه قـد قـامَ مـن عـطـسـةٍ عـلـى شـرقِ

وقال آخر:

كـأنّ فـيـه لـفـمـاً إذا نـطـق مـن طـول تـحـبـيـسٍ وهـمٍّ وأرق

وقال آخر:

ديافيه قُلفٌ كأنّ خطيبهم سراةَ الضحى في سلحه يتمطّق

ويقال: هو عياياء طباقاء

● **اعتذارُ محتبسٍ في كلامه**

قال بعضهم: نحن حيّ فعالٍ ولسنا بحيّ مقال. ونحن نأدنى مقالنا عند أحسن فعالهم
وقال بعض وفد خراسان: إنا ببلاد نأت عن العرب، شغلتنا الحرب عن الخطب
واعتذر رجل لحبسة فقال: يعرب سيّئٌ ويحتقمُ الصواب وإنما اللسان مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل.

وقيل لأعرابي: أين فصاحتك؟ فقال: نحقت نمراطها بنجد

وقال شاعر:

ارفـقْ بـعـبـدك إنّ فـيـه بـلادةً جـبـلـيـة ولـك الـعـراقُ ومـاؤهُ

● **المقامُ الذي لا يستنكفُ فيه من العيّ والحَصَر**

سئل ابن داود: متى يكون البليغ عييّاً؟ فقال: إذا سأل عما يتمنّاه وشكا حبّه إلى من يهواه، ثم أنشد:

بليغٌ إذا يشكو إلى غيره الهوى وإن هو لاقاه فغيرُ بليغِ

وقال بعضهم: موطنان لا آنفُ من الخضوع فيهما: إذا شكوت إلى محبوبي عشقي، وإذا سألت حاجة لنفسي.

● **المحسنُ في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء**

تكلّم ابن ثوابة ثم غلط في آخره فقال أبو العيناء: ترفعت حتى خفتك ثم تحففت حتى عفتك.

وتكلم رجل فأحسنَ ثم أعاد فأساء، فقال له أعرابي: أنك تسترجع محاسنك.

● **وصفُ كلامٍ غيرِ مفهوم**

قال الله تعالى - حكاية عن فرعون - ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾(١).

قال الشاعر:

قلتُ لمّا بدا يجمجمُ في القو ... لِ ويهذي كأنه مجنونُ(٢)
أنتَ حقاً شبيهُ ما ذكرَ اللّهُ ... مَهِينٌ ولا يكادُ يبينُ

وقال محمد بن صالح:

يهوي إليّ بأقوالٍ يلفّقُها ... ملاءمي منه شيئاً وهو يسمعُني(٣)
يلقى صداي صفير الطير من فمه ... مخاطباً وهو إنسانٌ يكلّمُني

● **المستقبحُ إنشاده**

قال عبد الله بن معاوية

يزينُ الشعرَ أفواهٌ إذا نطقت ... بالشعرِ يوماً وقد يزرى بأفواهِ(٤)

وقال أبو عليقة

كأنَّ الشعرَ من فيهِ إذا تمّت ... قوافيهِ كنيفٌ قد جرى فيهِ

● **ذمُّ من يطولُ سكوتُهُ عيّا**

قال الشاعر:

يا صنما في الصّمتِ لا في الحُسْن

ووصف رجل آخر فقال: يصلح لصدور المجالس، ونظم المحافل ما لم يكن كلام

● **كلماتٌ لأهل العيّ**

قال الحجّاج لأبي الجهمة النخّاس: أتبيعُ الدوابَ المعيبة من جند السلطان؟ فقال:

---

(١) القرآن الكريم: الزخرف/ ٥٢
(٢) يجمجم الكلام: لم يبيّنه - يهذي: من الهذيان وهو الكلام غير المعقول بسبب مرض أو جنون
(٣) لفّق الأقوال: موّهها وزخرفها بالباطل.
(٤) يزرى: يقال أزرى به عابه ووضع من حقه واحتقره واستخف به

شركتنا في هوازها وشركتنا في مدايبها وكما يجيء يكون.

قال الجاحظ: طلبت بعض أصدقائي في داره فلم أجده فقلت لجاريته: إذا حضر صاحبك فقولي له: إن الجاحظ كان بالباب. قالت: نعم الجاحد[1] بالباب، **قلت**: قولي الحدقي[2] قالت: نعم الحلقيّ، فقلت: عبث بالأول.

● المتكلِّمُ بكلامٍ غيرِ متّسق

دق رجلان على باب نحوي فقيل: منْ؟ **فقال أحدهما**: أنا الذي اشترى عبد الله كثم الآجر. وقال الآخر: أنا الذي أبو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. **فقال صاحب الدار**: انصرفا فما أرى لكلاميكما صلة

وقال رقبة بن مصقلة: ما أعجبني شيء كما أعجبني رجل قام إليّ يوماً وقد دخلت المسجد، **فقال**: إني رأيتك فشهوتك بي فأعجبني ذلك لك وأنا فيه متفكر بعد ولا أدري ما معنى كلامه

● من جارى غيره فلحنَ فأجابه بمقتضى كلامه

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ قال: صلب، أراد كيف أهلك؟

وقال الوليد لرجل: من ختنك؟ قال: الحجّام. فضحك القوم وخجل الوليد، وإنما أراد أن يقول من ختنك؟

ومرّ رجل بدار ميت فقال: من المتوفِّي؟ فقال له رجل: الله. فقال له: يا كافر الله يموت؟ فقال: لعلك تريد المتوفَّى

● من سُئل عن نحوٍ فأجابَ بمقتضى اللغة

قيل لرجل: هل ينصرفُ إسماعيل؟ قال: نعم إذا صلى العشاء فما قعوده؟ وتعرّض بعضُهم للطائي حين أنشد:

وهـنّ عـوادي يـوسـف وصـواحـبُـه

فقال: إن يوسف لا ينصرف فقال: صفعه حتى ينصرف. وقال نحوي لأعرابي: قال أعجبني القصر، بم يرفع القصر؟ فقال: بالآجر والجصّ، وقيل لأعرابي أتجرّ فلسطين فقال إني إذاً لقوي فقيل أتهمز إسرائيل؟ فقال إني إذاً رجل سوء. وقيل: أتهمز الفأرة؟ فقال الهرة تهمزها.

وحكي أن جماعة عند محمد بن بحر اختلفوا في بناء سراويل، فدخل البرقي فقال فيم كنتم؟ فقالوا: في بناء سراويل فما عندك فيه؟ قال مثل ذراع البكر أو أشدّ.

وحكي أن أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير: إذا قلت رأيت عمراً فما علامة النصب فيه؟ فقال بغضه لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه.

---

(١) الجاحد (لغةً): الناكر للجميل أو الحق.

(٢) الحدقي: لقب للجاحظ لأنه كان ناتئ العينين.

● **من أنكرَ لحناً بنادرة**

مرّ رجل بأديب فقال: كيف طريق البغداد؟ قال: بالحذاء. ثم مرّ به آخر، فقال له: كيف طريق كوفة، فقال: من هنها وبادر فمنع ذلك المار ألف ولام تحتاج إليهما وهو مستغن عنهما فخذهما منه. وقال رجل لأبي العيناء أتامر بشيأً فقال نعم بتقوى الله وحذف الألف من شيأ. وكان رجل يسقي صديقاً له صرفاً[1] ويغنّي له

يديرونَني عن سالمٍ وأديرُهم وجلدةُ ما بينَ الأنفِ والعينِ سالمُ

فقال: أحب أن تجعل ماءك من البيت في القدح.

● **من اعتذرَ عن لحنه[2] بعذرٍ مستملَح[3]**

قصد رجل الحجّاج فأنشده

أبــا هـــشـــام بِــبَــابِـــك قـــد شـــمّ ريـــحُ كَــبَــابِـــك

فقال: ويحك لم نصبت أبا هشام فقال: الكنية كنيتي إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها. وكتب محمد الأمين، فيما أظن على ظهر كتاب

عـــشِـــقْـــتُ ظـــبـــيـــاً رقـــيـــقـــاً مـــن دربـــخـــيـــى ســـن خـــاقـــا

وكتب تحته: أردت خاقان وخاقان مولى لي، إن شئت أثبت نونه وإن شئت أسقطته. وقال رجل لآخر ما اشربت؟ قال: عسل. فقال: هلا زدت في عسلك ألف، فقال: وأنت هلا زدت في ألفك ألفاً[4]

● **من أنكرَ لحناً بطبعه**

سمع أعرابي مؤذناً يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله بالنصب، فقال الأعرابي فعل ماذا؟ فهذا علم بطبعه أنه لم يأت بخبر أنّ.

وسمع رجل آخر يقرأ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء فقال: لا يكون هذا فقلنا: كفر، فقال: أما هذا فنعم.

● **المُتأذّى بلحنه**

قدم رجل على زياد فقال: إن أبونا مات، وأخينا وثب على مال أبانا فضيّعه. فقال زياد: الذي ضيّعته من لسانك أضر عليك مما ضيعه أخوك من مالك.

---

(١) صرفاً: الصرف: الخالص من أي شيء. (٢) اللحن: الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب.
(٣) العذر المستملح: المستحب والمستحسن.
(٤) بيان كلامهم وجوب أن تكون الكلمتان منصوبتين بالمفعولية بحيث يقول الأول: عسلاً، ويقول الثاني: ألفاً.

ومرّ عثمان (رضي الله عنه) برمدة يسيؤن الرمي، فقال: ما أسوأ رميكم فقال بعضهم: نحن متعلمين. فقال كلامكم أسوأ من رميكم.

ودخل الخليل على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض: افتح عيناك وحرّك شفتاك إن أبو محمد جالساً. فقال الخليل: أرى أن أكثر علة أخيك من كلامك. وسمع الأعمش إنساناً يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم.

● المُتفادي في كلامِ الكبارِ عن كلام فيه إيهام

دخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له: من أنت؟ فقال: أنت سعيد، وأنا ابن مرة.

وقال السماح للسيد الحميري: أنت سيّد؟ قال: أنا ابن أبي وأمير المؤمنين هو السيّد.

وسأل رسول الله ﷺ قيس بن سعد: أنت أكبر أم أنا؟ فقال: رسول الله أعزّ وأكبر وأنا أقدم منه في المولد. وقال عمرو بن عثمان لطويس: أينا أسنّ؟ قال: لقد شهدت زفاف أمّك المباركة على أبيك الطيب، فلم يجعل العَيب صفة للام تفادياً من سوء ظنٍّ فيه.

● وفي ضدّ ذلك

ما روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل: أتبيع هذا الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال: لقد علمتم لو تعلمون قل: لا، وعافاك الله.

وتكلّم بعض أهل زماننا عند الصاحب فسأله عن شيء فقال: لا أطال الله بقاءك فقال: قل لا، وأطال الله بقاءك فقال بعضهم: ما رأيت واواً أحسن موقعاً من واوك.

(٧)

ومما جاء في مفاضلة النطق والسكوت والمقال والسماع

●

● تفضيلُ النطق على السكوت

قيل لزيد بن عليّ: الصمتُ خيرٌ من الكلام، فقال: لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للحصر، والله الممارة[(١)] أسرع في هدم العيّ من النار إلى يبيس العرفج[(٢)].

واختصم رجلان إلى سعيد بن المسيب في النطق والصمت فقال: بماذا أُبين لكما ذلك؟ فقالا بالبيان فقال: إذا الفضل له. وقيل لبعضهم: الصمتُ مفتاحُ السلامة، فقال: ولكنّه قفل الفهم.

قال الشاعر:

خُلِقَ اللِّسانُ لِنُطقِهِ وبيانِهِ لا لِلسُّكوتِ وذاكَ حظُّ الأخرسِ

(١) الممارة: المجادلة. (٢) العرفج: اسم نبات.

فإذا جلستَ فكنْ مُجيباً سائلاً   إنّ الكلام يزينُ ربَّ المجلسِ

- **الحثّ على الإكثارِ من الكلام**

قال حكيم: لولا سوء العادة لأمرت فتياني أن يُمري بعضُهم بعضاً. **وقال العتابي:** أقدرُ الناس على الكلامِ من عوّد لسانه الركض في ميادين الألفاظ، طولُ الصمت حبسة[1] وتركُ الحركة عُقْلة.

وقال أبو عطاء:

أقلّبُه كيلا يكلَّ بحبسةٍ   وأبعثُه في كلّ حقٍّ وباطلِ

- **تفضيلُ الصمْت**

قال النبي ﷺ: رحم الله عبداً صمت فسلم، أو قال خيراً فغنم، فجعل الصمت أفضل لأن السلامة أصلٌ والغنيمة فرع.

قال الشاعر:

أقلِلْ كلامَك واستعذْ من شرّه   إنّ البلاء ببعضِه مقرونُ[2]

وقال آخر:

مُتْ بداء الصمت خيرٌ   لك من داء الكَلام

- **تفضيلُ كل واحدٍ منهما في أوانهما والتمدّح بهما**

قيل لبعضهم: السكوتُ أفضل أم النطق؟ **فقال:** السكوت حتّى يحتاج إلى النطق، وإذا احتيج إلى النطق فالسكوت حرام.

وقيل ليونس بن حبيب[3]: السكوتُ أفضل أم الكلام؟ **فقال:** السكوتُ عن الخنا أفضلُ من الكلام بالخطأ، **وقيل:** الصمتُ في أوانه خيرٌ من الكلام في غير زمانه.

قال الشاعر:

والصمتُ أزينُ بالفتى   من منطقٍ[4] في غير حينِه

وقيل: ربما كان الصمت أبلغ من الإبلاغ في النطق مع عدم إصابة الفرصة.

قال ابن الرومي:

ناهيكَ من صمتٍ بلا عيٍّ به   وكذاكَ من لَسَنٍ بغير سَفاه[5]

---

(١) **الحبسة:** العقدة في اللسان.   (٢) **مقرون:** أي مرتبط.

(٣) **يونس بن حبيب:** هو يونس بن حبيب الضبي [(٩٢ هـ - ٧١٠) = (١٨٢ هـ - ٧٩٨م)]، وهو من أقدم النحاة البصريين من شيوخه أبو عمرو بن العلاء والأخفش الأكبر، ومن آثاره: القياس في النحو.

(٤) **المنطق (هنا):** الكلام.   (٥) **اللسن:** الفصاحة.

ملكتُ سكينتُه عليه أمره ... فكأنه ساوٍ وليس بساهِ

وقال ابن علقمة:

صموتٌ في المجالس غيرُ عيٍّ ... جديرٌ حين ينطقُ بالصَّوابِ

● ذمُّ الإكثار من الكلام

قيل: من أكثر أهجر. المكثارُ كحاطبِ الليل. من أطلق لسانه بكل ما يحبّ كان أكثر مقامه حيث لا يحبّ.

وقال الجريمي:

وخيرُ حالِ الفتى في القولِ أقصدُه ... بين السبيلَيْنِ لا عيٍّ ولا هذْرُ

وقال أياس لخالد بن صفوان: لا ينبغي أن نجتمع في منزلك لأنك تحبّ أن لا تسكت، وأنا أحبّ أن لا أسمع.

● الحثُّ على ترك فضول الكلام

قال النبي ﷺ: رحم الله من أمسك الفضل من قوله.

قال عبد الله بن الحسين لابنه: استعِنْ على الكلام بطول الفكر، في المواطن[1] التي تدعو نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضرّ خطؤها، ولا ينفع صوابها،

وقيل: من حسبَ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

وقال عبد الله بن طاهر لبعض ندمائه: يا هذا أما أمللت فضولك أو أمللت دخولك؟

وقيل: فضل النظر يدعو إلى فضل القول.

● الحثُّ على السكوت مطلقاً

قيل: إن كانت العافيةُ من مالك فسلّط السكوت على لسانك. الصمتُ داعيةُ المحبة، الصمتُ زينُ العاقل وسترُ الجاهل.

قال الشاعر:

لو كانَ من فضةٍ تكلّم ذي ... النطقِ لكانَ السكوتُ من ذهبِ

● الحثُّ على تدبّر الكلام قبل إيراده[2]

قال الحسن: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام رجع إليه فإن كان له تكلم به وإلا تركه، ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلّم بما عرض له. وقيل: من لم يخف الكلام تكلّم ومن خافه تبكم.

قال الشاعر:

تأمّلْ فلا تستطيعُ ردّ مقالةٍ ... إذا القولُ في زلاّته فارقَ الفمَا[3]

---

(١) المواطن: أي مواطن أو مواضع الكلام. (٢) إيراده: أي إيراد الكلام بإيصاله إلى السامع أو إبلاغه.

(٣) الزلاّت: الهفوات والسقطات، جمع زلّة.

وقال بعضهم: دعِ الرأيَ القطير، والكلامَ المقتضب، فلا يطيبُ الخبزُ إلا بائتاً

• التحذيرُ من جنايةِ اللسان

سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناسَ النار، فقال: الأجوفان البطن والفم. وقيل فيما روي عنه: وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم

وكان لقمان عبداً أسود لبعض أهل الأيلة فقال له مولاه: اذبح لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان. فقال له: اذبح لي أخرى وائتني بأخبث مضغة فأتاه باللسان، فقال له في ذلك، فقال: ما شيء أطيب منه إذا طاب، ولا أخبث منه إذا خبث.

وقيل: لم يستر من الجوارح[1] شيء كما ستر اللسان، فإنّ عليه طبقتين وسترين

وقيل لحليفة: لم أطلت سجن لسانك؟ فقال: لأنه غيرُ مأمون الضرر إذا أطلق.

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه، أنه كان يُمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد

قال الشاعر:

كَمْ في المقابرِ من قتيلٍ لسانُه كانتْ تهابُ لقاءه الأقرانُ

• متكلّمٌ بكلام أدّى إلى هلاكه

بينما المنذر[2] في بعض متصيّداته إذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه: أبيت اللعن لو أن رجلاً ذُبح على هذه الرابية إلى أيّ موضع عسى أن يسيل دمُه؟ فقال: أنت والله المذبوح لننظر ذلك، وأمر به فذبح.

ومر بهرام طائر بالليل فصاح فرماه بسهم فأصابه فقال: لو سكت الطائر لكان خيراً له

• التثبتُ في الجوابِ والتسرّعُ فيه

سأل يهودي النبي ﷺ مسألة، فمكث عليه السلام ساعةً ثم أجابه عنها، فقال اليهودي: ولم توقفت فيما علمت؟ قال: توقيراً للحكمة

وقيل: من إمارة الحكيم التروّي في الجواب بعد استيعاب الفهم.

وقيل: من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمنّي والاستغراب في الضحك

وقال رجلٌ لإياس ليس فيك عيب غير أنك تعجل بالجواب، فقال: كم أصبع في يدك؟ فقال: الرجل خمس، فقال: لقد عجلت أيضاً، فقال: هذا علم قد قبلته فقال إياس وأنا أعجل أيضاً في ما قد قبلته علماً

• الحثُّ على حسْنِ الاستماع، والممدوحُ به

قيل: تعلّم حسن الإستماع، كما تتعلم حسن المقال، ولا تقطع على أحد حديثاً.

---

(١) الجوارح: الأعضاء، جمع جارحة

(٢) المنذر: من ملوك الحيرة ولعلّه المنذر الثالث

وقيل: استمعْ، فسوء الإستماع عاق. وقيل للسائل: على السامع ثلاث أمور: جمعُ البال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان.

وقيل: أساء سمعاً فأساء إجابة.

وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبتَ لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت.

وقيل: نشاط القائل على قدر فهم السامع.

وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً.

وقيل فلان في الاستماع ذو أذنين[1] وفي الجواب ذو لسانين[2].

قال الشاعر

إذا حُدِّثوا لم يُخشَ سوءُ استماعهم وإن حَدَّثوا قالوا بحُسْنِ بيانِ

وقال رجل: أذني قمعٌ لمن يحدثني

● النهيُ عن محادثة من ساء استماعهُ

قيل: من لم ينشط لاستمع حديثك ما رفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضاً فأمسك.

وقيل: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. وقيل: حدث حديثين امرأة فإن لم تسمع فاربع، أي كفّ.

● الحث على إزدياد السماع على المقال

سمعَ بقراط[3] رجلاً يكثر من الكلام، فقال له: إن الله تعالى جعل للإنسان لساناً واحداً وأذنين، ليسمع ضعف ما يقول.

● تفضيلُ السماع على المقَال

كان أعرابي يجالس الشعبي[4] فأطال الصمت، فسأله عن ذلك، فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم.

وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له. وقال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحبّ إليّ من أن أنطق، لأن المستمع يتقي ويتوقّى.

---

(١) قوله ذو أذنين: كناية عن حسن الاستماع. (٢) قوله ذو لسانين: كناية عن حسن البيان والإفصاح.

(٣) بقراط: أحد كبار أطباء الإغريق الأقدمين ولد سنة ٤٦٠ ق م، وكانت ولادته في جزيرة كوس ومات في تسالي ولم تحدد سنة وفاته. نقل بعض آثاره مترجم إلى العربية ومنها «طبيعة الإنسان».

(٤) الشعبي: محدّث وراوية في التابعين واسمه أبو عامر بن شراحيل. من تلامذته أبو حنيفة. وكان الشعبي مستشاراً للخلفاء. أخذ الحديث عن الإمام علي وعائشة أم المؤمنين وأبي هريرة. مات الشعبي سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م).

● الحثُّ على التصامُم عن الخَنا والتمدّح به.

قال محمود الورّاق:

وسمعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيحِ كصونِ اللسانِ عن النطقِ به

وقال أبو تمّام

أذنٌ صموحٌ لِنَبْسٍ بمفتح سَمْعِهِ لدنيئةٍ وأنامِلٌ لم تُقفَلِ[1]

وقال آخر:

متى عزلت عنه المواحشُ كلُّها

وقال آخر:

عيّ عن الفحشاءِ أما لِسانُه فعفٌ وأما طرفُه فكليلُ[2]

وقال الموسوي

إذا العدوّ عصاني خاف خَشِيدي وعِرْضُه آمِنٌ من هاجراتِ فمي[3]

ولهُ أيضاً

ولا أعرفُ الفحشاء إلا بوصفِها ولا أنطقُ العوراءَ والقلبُ يُعربُ

(٨)
ومما جاء في المذاكرة والمجادلة

■

● فَضلُ المذاكرةِ في العُلوم

قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقال النبيّ: لقّحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينُوا على أمورِكم بالمشاورة.

وقال ابن المقفع: لا تخل قلبَك من المذاكرة فيعودُ عقيماً ولا تعفُ طبعَك من المناظرة فيعود سقيماً.

وقال الحسن رضي الله عنه: حادِثوا هذهِ القلوبَ فإنّها سريعةُ الدُّثور[5]، وقال المأمون: لا تتقدُ مصابيحُ الأذهان، إلا بصفو مواردها. وقيل: من أكثر مذاكرة العلماء، لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم

(١) يمتدح في هذا البيت الترفع عن الصغائر والدنايا من ناحية، كما يمتدح الجود والعطاء مكنّياً عن ذلك بالأنامل التي لا تقفل.

(٢) عفّ: أي عفيف ـ الطرف الكليل: الذي لا ينظر إلى المحرمات

(٣) خشيدي (هنا): كناية عن السيف والسلاح ـ الهاجرات: الأهاجي اللاذعة

(٤) القرآن الكريم: الأعلى/ ٩

(٥) الدثور: مصدر دثر دثوراً (الرسم): بلي وامّحى فهو داثر

● **المستكثِر بمناظرته الفائدَة**

قال رجل لآخر: مناظرةُ مثلك في الدِّين فرضٌ، والاستماع منك أدب، ومذاكرتُك تلقيح للعقل.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما كلّمني أحدٌ إلا تمنيت أن يمدّ في حجته لتكثر منه فائدتي.

● **الممدوحُ بإجادةِ المناظرة**

مدح أعرابي رجلاً **فقال**: يفتحُ بيانه مغلقَ الحجّة، ويسدّ على خصمه واضحَ المحجّة. **وقيل**: أورد فلان ما لا ينكره الخصمُ، ولا يدفعه الوهمُ، وما رأيتُ أسكنَ نوراً وأبعدَ غوراً وآخذَ بأذنِ حجةٍ منه.

قال الشاعر:

إذا قـالَ بـذَّ الـقـائـلـيـنَ مـقـالُـهُ ويأخذُ من أكمائه بالمخنّقِ[1]

قال العجير:

من النّفر المُدلين في كُلّ حُجّةٍ بمستحصدٍ من حوله الرأيُ مُحْكَمُ[2]

وقال آخر:

يتقارضُون إذا التقوا في مجلسٍ نظراً يُزيلُ مواقِعَ الأقدام

كان ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾[3]

وقال البحتري:

أحضرتهُ حججاً لوِ اجتلبْتَ بها عُصْمَ الجبالِ لأقبلَتْ تتنزّلُ

وقال أبو مسلم:

يجوبُ صِعابَ معاني الكلام بحذفِ الصّواب لذي المَجمَع

وقال بشر بن المعتمر[4] لأبي الهذيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما: كيف رأيت وقع سهمي؟ **فقال**: حلوة كالشهد وبينة كالزبد فكيف ترى سهامنا؟ **فقال**: ما أحسست بها **قال**: لأنها لاقت جماداً.

● **صعوبةُ الجدال**

قال ابن الراوندي: ما التصدي للجراب والقصاب ومبارزةُ الأبطال بأصعب من

---

(١) **بذّ القائلين**: سبقهم وفخرهم. **الأكماء**: جمع الكمء وهو المثيل.

(٢) **الحجّة**: البيّنة. **المستحصد**: العقل الناضج. **الرأي المحكم**: الرأي السديد والصائب.

(٣) **القرآن الكريم**: القلم/ ٥١.

(٤) **بشر بن المعتمر**: أحد شيوخ المعتزلة، سبقت الإشارة إليه.

التصدّي للجواب لمن أمّك بالسؤال، وقال: تحت كلّ «لم»[1] أسد ملم.

نــظــر يــزل مــواقــعَ الأقــدام

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: زيادات ربر لا تساب، ولا تنقد لو نزلت بأصحاب محمد ﷺ لأعضلت.

● **الدافعُ باطلَ خصمه بحقّه**

قيل: لا تدفع الباطل بالغلبة إذا أمكنك أن تدفعه بالحجّة.

وقال ابن عباس عجباً لمن يطلب أمراً بالغلبة، وهو يقدر عليه بالحجّة، فالحجّة دينٌ يعقد به الطاعة، وسلطانُ الغلبة يزولُ بزوال القدرة.

وقال ثعلبة:

ولربّ خصمٍ جاحدين ذوي شذا ... تقذي صدورُهم بهترٍ هاترِ[2]

لقد ظأرتهم على ما ساءهم ... وخسأتُ باطلَهم بحقٍّ ظاهرِ[3]

وقال آخر:

ألا ربّ خصمٍ ذي فنون علوتُه ... وإن كان ألوى يشبه الحقَّ باطلُه

وهذا معنى قول العتابي[4] البلاغة تصوير الباطل في صورة الحقّ

● **المشاغبُ من يشاغبه**

قال أبو الأسود:

فشاغبتُه حتّى ارعوى وهو كارهٌ ... وقد يرعوي ذو الشغب بعد التحاملُ[5]

فإنك لم تعطف إلى الحقّ جائراً ... بمثل خصيمٍ عاقلٍ متجاهلِ

وقال آخر:

وما خصمُ الأقوامِ من ذي خصومةٍ ... كمثل بصيرٍ عالمٍ متجاهلِ

● **القائمُ في المناظرة مقام الغيب**

وقال شاعر:

ومشهدٍ قد كفيتُ الغائبينَ به ... في مجمَعٍ من نواصي النّاس مشهودِ[6]

---

(١) لم (هنا): كناية عن السؤال.

(٢) الخصم: قد يجيء هكذا للاثنين والجمع والمؤنث. الهتر: الكذب والهُتر (بالضم): ذهاب العقل والهاتر اسم فاعل من هتر (عرضه): مزّقه.

(٣) ظأره (على الأمر): أكرهه عليه. خسأ الباطل: طرده وزجره.

(٤) العتابي: هو كلثوم بن عمرو من شعراء بغداد، وأصوله قديمة من حلب. كان يجيد الفارسية ويذهب مذهب المعتزلة. مات سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣م)

(٥) ارعوى: ارتدع وعاد إلى الصواب.

(٦) نواصي الناس: كناية عن صفوتهم والنخبة منهم.

فرجّته بلسانٍ غيرِ ملتمسٍ عند الحفاظ وقلبٍ غيرِ مزدود

وقال حسّان[1]:

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدعْ لدي حاجَةٍ في القوْل جِدّاً ولا هَزْلا

● الموصوفُ بإنصاتِ النظّارِ لديْه والسكون في مجلسه

قال أبو تمّام:

ثَبْتُ الخِطابِ إذا اصْطكّتْ بمُظْلِمَةٍ في رحْلِه ألسُنُ الأقوامِ والركَبُ
لا المنطق اللّغي يزكو في محافله يومٌ ولا حجَّةُ الملهوفِ تُستلَبُ[2]

وقال المتنبّي:

الفاصِلُ الحُكْمَ عَيّ الأوّلونَ به والمظهِرُ الحَقّ للساهي على الذهَنِ[3]

وكان أبو الشمر إذا ناظر لم يحرّك يديه ولا رأسه، ولا منكبيه حتّى كان كلامه يخرج من صدع صخرة.

وقال الأنصاري:

مجالسُهُم خفضُ الحديث وقولُهم إذا ما قضَوا في الأمر وحيُ المحاجر

وقال المتنبّي:

وإذا هو لا يستبُ خصماء عنده ولا الصوتُ مرفوعٌ بجدٍّ ولا هزْلِ

وهذا منقولٌ من قول الآخر:

واستتبّ بعدكَ يا كليبُ المجلسُ

● المدفوعُ عن حجّة قويّة لا تعرفُ لغموضِها

قال ابن الرومي:

غموضُ الحقِّ حين تذبُّ عنه يقلّلُ ناصرَ الخصْمِ المحقِّ
يضِلُّ عن الدقيقِ عقولُ قومٍ فتحكُمُ للمُجِلِّ على المدقّ

وقيل ما دقّ من الكلام يعجز عنه كثير من الأنام، فينسبُ إلى الإحالة وإن كان في غاية الجلالة، ولذلك قال أبو تمّام:

فصرت أذلّ من معنىً دقيقٍ به فقرٌ إلى فهمٍ جليلِ[4]

---

(١) حسّان: أي حسّان بن ثابت شاعر النبي، وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام (انظر سيرته في مقدّمة ديوانه منشورات دار الأرقم).

(٢) المنطق اللّغي: الأعوج - يزكو: ينمو. محافله: وفي رواية مقاماته.

(٣) فصل الحكم: قطع به - عيّ الأولون به: عجزوا عنه. الساهي: الغافل.

(٤) به فقر: أي بمفتقر إلى.

● مدحُ الراجعِ إلى الحقّ في المناظرة

قال عمر رضي الله عنه: الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي[1] في الباطل. وقيل: المبطل مخصوم، وإن خصم والمحق فالج، وإن خصم.

وقال عمر رضي الله عنه يوماً: أيها الناس ما هذه الصدقات التي أحدثتم لا يبلغني أن أحداً أتجاوز صداق النبي ﷺ إلا استرجعته منه فقامت إليه امرأة فقالت: ما جعل الله ذلك إليك يا ابن الخطاب، إن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾، فقال عمر: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت. ناضلت أميركم فنضلته.

وقال الشعبيّ: إني لأستحي أن أعرف الحق فلا أرجع إليه.

وقيل لم ير أذعن للحجة إذا لزمته من عمرو بن عبيد.

● المستمرُّ على خطئه وقد بانَ له الصواب

قال عمارة: أبي لأمضي على الخطأ إذا أخطأت أهون عليّ من نقض وإبرام في مجلس واحد.

وقال بعضهم: نعم المركب اللجاج بعد الحجاج.

● ذمُّ من تشكّك في الضروريات

قيل: من شك في المشاهدات فليس بتام العقل.

قال المتنبي:

وليسَ يصحُّ في الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ[2]

حكى المتكلّمون أنّ جماعةً يلقبون السوفسطائية، يقولون: لا نعرف لشيء حقيقة، ويقولون لمّا كان أحدُنا يرى الشيء في رقدته فيتصور له بصورة ما يشاهده في يقظته، ويرى الصورة في الماء ثم لا حقيقة لها، لم يمتنع أن لا يكون لما نعاينه[3] ونشاهده حقيقة. وذكر بعض العلماء أنه لم يكن قطّ على هذه النحلة أحد وأن السوفسطائية إنما هو شيء من توليدات المتكلمين ومحولاتهم.

● ذمُّ القاصرِ عنِ المناظرة

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[4]، وقيل

(١) التمادي في الباطل: الإمعان فيه وعدم الارتداع عنه.

(٢) يصوّر أبو الطيب في هذا البيت تداعي المنطق وهيمنة الباطل معتبراً هذه الظاهرة من أخطر ظواهر الانهيار في المجتمع فالنهار لا يحتاج إلى دليل فإذا صار الأمر خلاف ذلك فعلى الدنيا السلام.

(٣) نعاينه: نشاهده عياناً. (٤) القرآن الكريم: الزخرف/١٨.

لبعضهم: كيف رأيت فلاناً في المناظرة؟ فقال: عياً عياً، وقال ابن أبي الطاهر في المبرّد

يهمز من المناظر إن أتاه ويرمي من رماه من بعيد[1]

ونحوه، ما قيل: فلان إذا تبعد صيح صوح الثعلب، وإذا حصر قبع قبوع القنفذ

● ذمُّ المِراء[2] في المُناظَرة

روي في الحديث من تعلّم العلم لأربعة دخل النار ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء، أو يأخذ به من الأمراء، أو يستميل به وجوه الناس إليه

قال ابن عباس لمعاوية (رضي الله عنهم): هل لك في مناظرتي في ما زعمت؟ قال: وما تصنع بذلك؟ فأشغب بك وتشغب بي فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرّك.

وقيل: الناس رجلان: عالم فلا تماره، وجاهل فلا تجاره

وقال زيد بن جندب:

ما كانَ أغنى رجالاً ضلّ سعيُهم عن الجدالِ وأغناهم عن الشغب

وقيل: إذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم[3] ونسيت العلوم

وقيل: من ترك المراء فهم وعلم. وروي عن النبي ﷺ: ما ضلّ قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدل، وقال سفيان: ما ابتدع قوم إلا أعطوا الجدل

● الحثُّ على السؤالِ على غير التعنت

قيل: إذا جالسْتَ عالماً فسَلْ تفقّهاً لا تعنّتاً

وقال مسهر: سألتُ مالكاً عن شيء، فقال: لا تسألني عمّا لا تريد فتنسى ما تريد

وقال النبيّ ﷺ لرجل وقد أكثر من سؤاله تعنتاً: اتركوني ما تركتكم. وقال عليه الصلاة والسلام: إن بني إسرائيل هلكوا بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم

● النهيُ عنِ المناظَرة ما أمكن

قال ابن المقفع: لا تعرضنّ عقلك على الناس، فإذا اضطرك أمر فكنْ كصاحب الشطرنج، يبني أمره على القائمة فإنْ وجد ضربةً غريبة انتهزها، وإيّاك أن تبتدىء في مجلس لم تسبر عقول أصحابه، فبين العقول بونٌ بعيد

---

(1) المناظر: اسم فاعل من ناظر (ه): أي باراه وجاراه.

(2) المراء: الجدال والنزاع واللجاجة. (3) الحلوم: العقول، جمع حلم.

● ذمُّ الجلَبة وخوضُ الكلّ في الكلام

قيل: لا يميلُ إلى الجلبة واستجاح إلا من عجز عن الغلبة بالحجاج. وقال المأمون لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب

لا ترفعنّ صوتَك يا عبدَ الصمَدْ ... إنّ الصواب في الأسدّ لا الأشدّ[1]

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: اخفضْ الصوتَ فلو نيل خيرٌ برفع الصوت لأدركه الحميرُ والكلاب

وكان أحمد بن الخصيب إذا ناظر شغب وجلب، وربما رفس من يناظره، فقال فيه بعض المحدثين، يخاطب الخليفة المنتصر

قلْ للخليفةِ يا ابنَ عمِّ محمّدٍ ... أشْكُلْ وزيرك إنّه ركّالُ[2]

قد نالَ من أعراضِنا بلسانِه ... ولرجلِه عند الصدورِ مجالُ

وهذا يقاربُ ما روي أنّه شكا إلى المأمون من بعض قضاته، أنه يعضّ الخصوم، فوقّع ليشق

وأنشد الأصمعي:

حديثُ بني قرطٍ إذا ما لقيتَهم ... كنزْوِ الدّبا في العرفَجِ المتقاربِ

وقال مسلم بن عباس:

كأنّ بني رالان إذ جاء جمعُهم ... فراريجُ يُلقى بينهنّ سويقُ

● الحثُّ على المخالفة ودفعُ الصّواب بالخطأ

قالت إعرابية لابنها: إذا جلست مع القوم، فإن أحسنت أن تقول كما يقولون، وإلا فخالف تُذكر ولو كان بتعليق أير حمار في عنقك. وقال أعرابي: إذا لم يكن لك في الخير اسم فارفع لك في الشر علماً، وقال بعضهم: خالف تُذْكر، فقالوا: إنما هو تنكر، فقال هذا أول الخلاف.

● ذمُّ مخالف ألدّ في كلّ صواب

قال الله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[3] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[5]

وقال الشاعر:

رقيعٌ خصيمٌ في الصّواب كأنّه ... نزورٌ على أهلِ الصّواب موكّلُ

---

(1) الأسدّ: الأكثر سداداً أي صواباً

(2) اشكل: اربط واعقل ـ ركّال: كثير الركل، والركل الرفس أو الضرب بالرجل

(3) القرآن الكريم: مريم/ ٩٨ (4) القرآن الكريم: الزخرف/ ٥٨.

(5) القرآن الكريم: الأحزاب/ ١٩

وقال ديمقراطس: عالم معاند خيرٌ من جاهل منصف، **فقال تلميذه:** الجاهل لا يكون منصفاً، والعالم لا يكون معانداً.

وقيل: كثرة الخلاف حرب وكثرة الموافقة عشق

● المستأذنُ في سؤالِ مَسْألة

قال ابن شبرمة لإياس بن معاوية: أتأذنُ لي في مسألة أُلقيها إليك؟ **فقال إياس:** استريبت بك حين استأذنت، فإن كنت لا تسوء جليساً، ولا تشين[1] مسؤولاً فهاتها

وقال أبو العيناء: لعبيد الله: أسأل أم أسكت؟ **فقال:** إن سألت أفدت وإن سكت كفيت.

● شروطُ المناظَرة

اجتمع متكلّمان، **فقال أحدهما:** هل لك في المناظرة؟ **فقال:** على شرائط أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعَل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أنّ كلانا يبني مناظرته على أن الحقّ ضالتُه والرشدَ غايته.

وقال أبو يعقوب الخطابي لجلسائه: إنما جمعنا للأدب لا للجوار ولا للسب، فوفوه حقه ولا تثلبوا أحداً فمن ثلب ثُلِب، وإياكم والمراء في الأديان فإنها مفسدة بين الإخوان، ونقص عند أهل الزمان، وعليكم بالأصول، ولا تكثروا فتملوا واستريحوا إلى ما توافق من الأدب، فإنه غض أبداً غير مملول، ولا تتجاوزوا في النحو قدر الحاجة، فغاية الحاذق فيه معروفة.

وقيل: كان يعقوب الخطابي إذا جلس إليه أصحابه **يقول:** اعفونا من ثلاث وخوضوا بعد فيما شئتم: من ذكر السلف، وأن تقولوا فلان خير من فلان، ومن ذكر القدر

● مدحُ الجوابِ الحاضر[2]

قال مسلمة بن عبد الملك: ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله شيئاً أحبّ إليّ من جواب حاضر، لأن الجواب إذا كان بعد نظر وتفكّر، لم يكن بشيء، ألم تسمع قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ﴾**[3] إلى قوله: **﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾**[4]. **وقال عمرو ابن العاص:** ما اتقيت جواب أحدٍ من الناس غير جواب **ابن عباس** (رضي الله عنه)،

---

(١) **لا تشين:** لا تعيب.

(٢) **يريد بالجواب الحاضر:** الجواب الذي يأتي عفو الخاطر بالبديهة ودونما تدبّر أو إطالة نظر.

(٣) **القرآن الكريم:** البقرة/ ٢٥٨. (٤) **القرآن الكريم:** البقرة/ ٢٥٨.

لبداهته. وقال الحجّاج: من لم يحف الجواب تكلّم، ومن خافه تبكّم

قال الشاعر:

ما أحرّ الكلام يرحمك الله ولكنّ أحرُّ منه الجوابُ

● إضجاعُ القسيّ، والاعتمادُ عليها في الخطاب

وما جاء من الأجوبة الجيّدة فهي مذكورة في أمكنتها المختصّة بها. كانت العرب إذا اجتمعت للمناظرة والمفاخرة يضجعون قسيّهم ويعتمدون عليها

وقال الحطيئة في مرثية:

أمْ من لِخَصْمٍ مُضْجِعينَ قِسيَّهُمْ ... صيرٍ خدودُهُمُ عِظامِ المَفْخَرِ

وقال:

إذا اقتسمَ النّاسُ فضلَ الفخار ... أطَفْنا على الأرض مِثْلَ العَصا

(٩)

ومما جاء في وصف الشعر والشعراء

●

● الرخصةُ في نسْجِ الشعر وإنشادهُ

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: أهجُهم وروحُ القدس معك. وقد مدحه غير شاعر فحباه وأجازه[١]، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما شاعرين وعليّ رضي الله عنه أشعر منهما، ولما قال الجعديّ فيه ﷺ:

بلغْنا السما عن جدّنا وجدودِنا ... وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مظْهرا

قال له النبي ﷺ: إلى أين؟ فقال: إلى الجنّة يا رسول الله قال ﷺ: لا فضّ فوك

وروى أبو المطريف الأسدي عن جدّه قال: عدنا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، فسمعته يقول: لا بأس بالشعر لمن أراد انتصافاً من ظلم واستغناء من فقر، وشكراً على إحسان.

وعاب بعضُ النّاس الشعر عند ابن عبّاس، وكان قد قام إلى الصلاة فقال:

إن يصدقِ الطّيرُ ننِكْ لميس

ثم قال عقيبه: الله أكبر ودخل في الصلاة. وقال أبو بكر رضي الله عنه كنت عند النبي ﷺ وشاعر عنده ينشده، فقلت له: أشعر وقرآن؟ فقال: هذا مرّة وهذا مرّة

---

(١) أجازه: رفّده

● **جوازُ إجازةِ الشعراء**

قال النبي ﷺ: إعطاء الشعراء من برّ الوالدين. **وقال ﷺ** في شاعر مدحه وعاتبه في بعض ما فعله: اقطعوا لسانه يعني بالعطية.

وأعطى الزهري شاعراً، فقيل له في ذلك، **فقال**: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

وحرم الشعراء الحجّاج في أوّل مقدمه العراق، فكتب إليه عبد الملك: أجز الشعراء فإنهم يجتنبون[1] مكارم الأخلاق ويحرصون[2] على البرّ والسخاء.

قال الشاعر:

صونوا القريضَ فإنّه ... مثلُ المياسم في المواسم[3]

الشعرُ جامعةُ المفا ... خر والمحاسن والمكارم

● **منفعةُ الشعر**

قال **الحجّاج** للمساور بن هند لم تقول الشعر، **فقال**: اسقي به الماء وارعى به الكلأ، وتقضى لي به الحاجة. وإن كفيتني تركته.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الشعر يسكن به الغيظ، وتطفأ به النائرة، ويبلغ القوم ويعطى به السائل.

وقال: نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدّمها بين يدي الحاجة يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم.

وقال عبد الملك: تعلّموا الشعر ففيه محاسن تُبتغى ومساوىء تُتقى.

وقال ابن الرومي:

وما المجدُ لولا الشعرُ إلا معاهدٌ ... وما الناس إلا أعظُمٌ نخراتُ

وقال أبو تمام الطائي:

ولولا خلالٌ سنّها الشعرُ ما درت ... بغاةُ العلا من أين تُؤتى المكارمُ[4]

● **ذمُّ نسجه والتكسّب به**

قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[5]، **وقال ﷺ**: لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً. **وقال ﷺ**: شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه. **وقيل**: لا تؤاخي شاعراً فإنه يمدحك بثمن، ويهجوك مجاناً. وسئل بعضهم عن حوك الشعر **فقال**: هو أسرى[6] مروءة الدني وأدنى مروءة السري.

---

(١) **يجتنبون**: يصطفون ويختارون. (٢) **يحرصون**: يحثّون.

(٣) **القريض**: الشعر - يدعو إلى صون الشعر لأهميته وخطورته في حياة الفرد والجماعة.

(٤) **بغاة العلا**: الذين يبتغون المجد. (٥) القرآن الكريم: الشعراء/ ٢٢٤.

(٦) **أسرى مروءة**: أكثر مروءة وسخاء.

وسئل عوف بن أمية السكوتي عن صنيع الشعر فقال: إن جددت كذبت، وإن هزلت أضحكت، فأنت بين كذب وإضحاك.

وقيل للبيد: لم لا تقول الشعر؟ فقال: في سورة البقرة وآل عمران شغل عن الشعر

الكلبُ والشاعرُ في منزلٍ ... فليتَ أنّي لم أكنْ شاعرًا

هلْ هو إلا باسطٌ كفَّه ... يستطعمُ الواردَ والصادرَا

وقال: ما أجد أكلاً للسحت[1]، ولا أوضع ولا أطمع وأطبع، وأقلّ نفساً من شاعر متكسب بشعره.

وقال الحسن رضي الله عنه في الفرزدق[2] حين أوعده بالهجاء: هذا الذي جعل إحدى يديه سطحاً والأخرى سلحاً، فقال: إن أصلحتم سطحي وإلا رميتكم بسلحي. ولما حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة بسبب الزبرقان ثم عفا عنه، قال: إياك والشعر فأخرج لسانه وقال: ما لأولادي كسب غيره[3]. قال عمر: فلا تهجهم. فقال: إن لم أهجهم لم يعرفوني[4] فلا يعطوني. قال: فذهب مثل الكلب كلبك.

● **تعظيمُ الشعر**

مرّ الفرزدقُ بمؤدب، وكان ينشد عليه صبيٌ قول الشاعر:

وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنّها ... زُبُرٌ تجِدُّ متونَها أقلامُها[5]

فنزل وسجد فقال المعلم: ما هذا؟ فقال: هذه سجدة الأشعار نعرفها كما تعرفون سجدة القرآن.

ولما قدم أبو تمام على الحسن بن رجاء، فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى إلى قوله:

لا تُنكري عطَلَ الكريم من الغِنى ... فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي[6]

قام قائماً، وقال: والله ما سمعتها إلا وأنا قائم، لما تداخله من الأريحية فلما فرغ قال: ما أحسن ما جلوت هذه العروس. فقال أبو تمام: لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها.

---

(١) السحت: ما خبث وقبح من المكاسب، الحرام.
(٢) أحد شعراء المثلث الأموي والآخران هما الأخطل وجرير.
(٣) قوله: ما لأولادي كاسب غيره، يعني أن لسانه هو سبب كسبه رزقهم فالناس يعطونه خوفاً من هجائه.
(٤) يعرفوني: يخافوني.
(٥) هذا البيت من معلقة لبيد بن ربيعة، وفيه يقول: بأن السيول كشفت عن الأطلال، فبدت كأنها زُبر أي كتابة تجدّدها الأقلام.
(٦) يقول أبو تمام للتي عابت عليه الكرم لأنه ليس غنياً: إن الكريم أشبه بالقمة العالية التي لا يستقر عليها الماء كما لا يستقرّ المال في يد الكريم وهو للسبب عاجلٌ عن الغنى.

● **ما استحبَّهُ الأكابرُ من فرص الشِّعر**

قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم: بنيّ قد لهجت بالشعر فإيّاك والتشبيب[1] بالنساء فتعرّ شريفة؛ والهجاء فتهجّن كريماً أو تثير لئيماً؛ وإيّاك والمدح فهو كسب الأنذال. ولكن افخر بمآثر قومك وقلْ من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك، وإن لم تجد من المدح بدّاً فكن كمالك المرادي حين مدح مجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح، فقال: أحللت رحلي في بني ثعل، إنّ الكريم للكريم محلّ

قال الشاعر:

أشــعــل قــريــضــك بــالــنــســيــب وبــالــمــكــاهــة والــمــراح[2]
يــا مــادحَ الــقــوْمِ الــلــئــام وطــالــبــاً نــيْــلَ الــسُّــمــاح[3]

● **مدحُ جماعةٍ من الشُّعراء وتفضيلُ بعضهم على بعض**

ذُكر امرؤُ القيس عند النبي ﷺ فقال: ذاك رجل مذكور في الدنيا منسيّ في الآخرة، يجيء يومَ القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار.

قال الأصمعي: ما رأيت خمسة من العلماء قط إلا وأربعة منهم يقدّمون امرأ القيس ولا أربعة إلا وثلاثة منهم يقدّمونه.

وسئل بعضهم من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب[4]، والأعشى إذا طرب[5] وزهير إذا رغب[6]، والنابغة إذا رهب[7].

وكان أبو عمرو يكثر وصف النابغة الذبياني وطبعه وحسن ديباجته، ويقدّمه بعد امرىء القيس.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: قال لي عمر رضي الله عنه، وأنا أسايره: أنشدني

---

(١) التشبيب بالنساء: الغزل بهن.
(٢) و (٣) القريض: الشعر ـ النسيب: الغزل ـ السمح: الكرم والعطاء.
(٤) أشعرهم إذا ركب أي أشعرهم إذ ركب فرسه فقد كان أوصف الجاهليين للخيل والنساء، وقد أعجب النقاد بأبياته في معلقته التي وصف بها الجواد ومنها قوله:
مِــكــرٍّ مِــفــرٍّ مــقــبــلٍ مــدبــرٍ مــعــاً كجلمود صخر حطّه السيل من علِ
(٥) وقوله: والأعشى إذا طرب، إشارة إلى شربه الخمر فهو إذ شربها طرب وتحركت شاعريته.
(٦) وقوله: وزهير إذا رغب يفيد أنّ زهير بن أبي سلمى كان إذا أعجب بالممدوح وحرّك العطاء مكامن نفسه يسمو بمدائحه.
(٧) أما قوله: والنابغة إذ رهب فتفسيره متصل بخبره مع الملك النعمان الذي كان أهدر دمه إثر وشاية اتهمته بالمتجردة امرأة الملك، فانبرى النابغة يعتذر للنعمان ويرد التهمة عن نفسه، فحرك الخوف شعوره فأجاد في هذا اللون من شعره.

لأشعرِ شعرائكم، فقلت: من هو؟ فقال: هو زهير. إنه لا يعاظل[1] بين الكلام ولا يتّبع حوشيّه[2]، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال، قال ابن سلام: لم يبق في وصف الشعر شيئاً، إلا أتى به في هذا الكلام.

وكان معاوية يسمّي الأعشى «صنّاجة العرب»[3] يعني أنه يطربُ إطرابها.

وقال محمد بن سلام: سألت عمر بن معاذ التيمي عن أشعر الناس، فقال: أوس بن حجر[4] وأبو ذؤيب[5] فقلت: أليس النبي ﷺ يقول يجيء امرؤ القيس يوم القيامة وبيده لواء الشعراء؟ فقال: اللواء إنما يكون مع دون الأمير.

وذكرَ قومٌ جريراً والفرزدق، فقال بعضهم: جرير كان أنسبهما وأسهبهما.

وسئل آخر عنهما فقال: جرير يغرفُ من بحر[6]، والفرزدق ينحت من صخر[7].

فقال الذي يغرف من بحر أشعر، وقال مروان بن أبي حفصة:

ذهبَ الفرزدقُ بالفَخَار وإنّما ... حلوُ الكلام ومرُّه لجريرِ

ولقد هجا فامضّ أخطل تغلبٍ ... وحوى اللُّهى بمديحه المشهورِ

كلُّ الثلاثةِ قد أبرّ بمدحه ... وهجاؤه قد سارَ كلَّ مسيرِ

● الممدوحُ بإجادةِ نسجه والتمدّح بذلك، والحثُّ عليه

ذكر عند أبي بكر رضي الله عنه الشعراء، فقال: أشعر الناس النابغة أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً.

وقول عمر رضي الله عنه في زهير من هذا الباب وقد تقدم آنفاً. وقيل: فلان إذا قال أسرع، وإذا مدح رفع وإذا هجا وضع. وسئل البحتري عن أبي تمام، فقال مدّاحة نوّاحة[8]، حذق بن الرقاع:

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها ... حتى أقوّم ميلها وسنادها

---

(١) يعاظل: المعاظلة هي تعقيد الكلام والإتيان بالرجيع من القول.

(٢) الحوشي: الغريب.

(٣) صنّاجة العرب: لقب غلب على الأعشى لأنه كان يطوف في أحياء العرب فيمدح كبار القوم فيسير شعره بين القبائل والصنّاجة (صيغة فعّالة) صاحب الصّنج وهو من آلات الطرب ذات أوتار، والصّنج: الطبل.

(٤) أوس بن حجر: من شعراء الجاهلية وهو أحد المعمّرين عاش نحواً من سبعين عاماً بين ٥٣٠ و ٦٢٠ للميلاد.

(٥) أبو ذؤيب: هو أبو ذؤيب الهذلي، أحد شعراء الجاهلية والإسلام. شارك في فتح إفريقية ومات في مصر سنة ٢٨هـ (٦٤٨م).

(٦) يغرف من بحر: كناية عن سهولة شعره وسلاسة لفظه.

(٧) ينحت من صخر: كناية عمّا في شعره من المتانة وشدّة الأسر والغريب.

(٨) مدّاحة نوّاحة: أي يجيد في مدحه ورثائه.

نظرَ المثقِّفِ في كُعوبِ قناتِهِ حتى يقيمَ ثقافُه منآدَها[1]

وقال يزيد بن الحكم، متهكماً بحمزة بن بيض: إنك لأستاذ الشعر. فقال: إني لأدق الغزل وأصفق النسج وأرق الحاشية.

ويقال: شعر محشوب إذا كان جديداً لم يثقف. وقال ابن مقبل: إني لأرسل القوافي عوجاً، فتأتيني وقد ثقفتها. وقيل: استجيدوا القوافي فإنها جرار[2] الأشعار.

● الموصوفُ بالسلامةِ من الشعر

قال أبو تمام:

يودُّ وداداً أنّ أعضاءَ جسمِه إذا أنشدت شوقاً إليها مسامِعُ

وقال إبراهيم بن رجاء: يطيب بأفواه الرواة سماعها. وقال الناشي:

إنما الشعرُ من تحصل من قبـ ـل صهور الأقوالِ في الأذكارِ
فأتى لفظُه يطابقُ معنـ ـاهُ بحسن الإيرادِ والإصدارِ
مطمع مؤيس قريبٌ إلى الفهـ ـم بعيدُ الأغوار صافي القرارِ

وقيل لمعتوه: ما أجود الشعر؟ فقال: ما دلّ صدره على عجزه، ولم يحجبه شيء دون بلوغه.

● شاعرٌ رديء النَّسج

أنشد رجل شعراً فقال لصاحبه: كيف تراه؟ فقال: سكر لا حلاوة له.

وأنشد عمارة شعر أبي العتاهية فمجّه[3] سمعه وقال: هو أملس المتون قليل العيون. وما كان مثله من الشعر يسمى مصولاً.

وأنشد رجل أعرابياً شعراً وقال: هل تراني مطبوعاً؟ فقال: نعم على قلبك.

وأنشد رجل الفرزدق شعراً وقال: كيف تراه؟ فقال لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك.

وقال شاعر:

وأبو الدفاتر لا يزالُ يجيئُنا بقصيدةٍ قد قالَها من دفترِ

وقال آخر:

وبات يدرسُ علماً لا قرانَ له قد كان ثقّفه حولاً فما زادا[4]

(١) المثقف: هو الذي يعمل في تقويم الرماح ـ المنآد: المعوج.
(٢) الجرار: من الجرور وهو لحم ظهر الجمل، وقوله: جرار الأشعار كناية عن كونها عمود الشعر.
(٣) مجّه: طرحه ولم يستحسنه. (٤) الحول: العام، السنة.

وقال ابن أبي عيينة

أَقَمْتَ حَوْلاً على بيتٍ تقوّمهُ   فلمْ تصبْ وسطاً منه ولا طرَفاً

● **شعرٌ رديءُ النسج**

أنشد ابن الأعرابي:

وشعرٌ كبَعْرِ الكَبْشِ فرّق بينه   لسان دعيٍّ في القريض دخيلِ[1]

وقال العجاج[2] في ابنه - إنه يقول الشعر وابن عمه، وفي مثل هذا الشعر.

قال بعضهم

وبعضُ قريضِ الشعر أولادُ علّة   يكدُّ لسانَ الناطقِ المتحفّظِ

وقال ابن الحجّاج[3]:

فمنْ كانَ يحوْي العطرَ دكانُ شعره   فشعري بيتا مستراحٍ ومخْرجِ

وقال الجماز:

كأنَّ أشعارَه إذا انتقدتْ   أنصافُ كتبٍ ليسَتْ بموْتلِفَه

● **نهيُ المسيء عن نسْجه**

قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ قال: لأن الذي أرتضيه لا يجيئني، والذي يجيئني لا أرتضيه. وعرض رجل على أديب شعراً فقال: أخفه كما تخفي الهرة خرءها.

وقال شاعر:

لا تعرضنَّ الشعْرَ ما لمْ يكُنْ   علمُك في أسحره بحْراً
فلا يزالُ المرءُ في فُسْحةٍ   من عقلهِ ما لمْ يقُلْ شِعْراً

وقال الوائلي:

وحاطبُ ليلٍ في القَريضِ زجرتهُ   وقلتُ له قولَ الفصيحِ المجامِلِ
إذا أنتَ لم تقدِرْ على درِّ لجّه   فدعْه ولا تعرِضْ لحصباء ساحلِ[4]

---

(١) الدعي: المدعي، ودعيّ القريض المتطفل في باب الشعر.

(٢) العجاج: أحد كبار شعراء الرجز في العصر الأموي.

(٣) ابن الحجّاج: هو عبد الله بن الحجاج أحد الشعراء الصعاليك. وكان يؤيد عبد الله بن الزبير، وحين مات ابن الزبير استرضى ابن الحجاج عبد الملك فعفا عنه وأثابه.

(٤) الدرّ: اللؤلؤ - ولج البحر: لججه وأمواجه - يقول: إذا لم تكن قادراً على الغوص في لجج الشعر فدعك من حصى ساحله أي ابتعد عن مقاصد الشعر إذا أعوزتك الشاعرية

● مفاضلةُ البَديهة والروية ومدحُ الطَّبع

قال ابن الرومي في الحكم بينهما:

نارُ الرويّةِ نارٌ غيرُ منضجةٍ ... وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحِ

وقدْ يفضّلها قومٌ لعاجلِها ... لكنّه عاجلٌ يمضي مع الريحِ

وقال معاوية لابن العاص[1]: أنا آدب منك، فقال: أنا للبديهة وأنت للروية[2]، وبينهما بون[3].

وممّا يؤكد تفضيل البديهة قول العسكري في وصف البلاغة: أنْ تصيبَ فلا تُخطيء وتعجّل فلا تبطيء. وقيل: خير الفقه ما حاضرتَ به.

وقال الحطيئة:

فهذا بديهةٌ لا كتحبيرِ قائلٍ ... إذا ما أراد القولَ زوّره شهرا

واجتمع ابن مناذر وأبو العتاهية، فقال أبو العتاهية: كم بيتاً تقول في اليوم؟ قال: مقدار عشرة أبيات. فقال أبو العتاهية: فأنا أقول مائتين. فقال: فإنك تقبل من شيطانك نحو: ألا يا عتبة الساعة، أموت الساعة الساعة، ولو أني أقول مثل ذلك لقلت ألوفاً.

قال المتنبي:

أبلغُ ما يطلبُ النجاحُ به الطّبعُ وعند التعمّقِ الزللُ

● المعتذرُ لرفض طريقة من السبح

قيل لنصيب[4]: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: من ذا الذي لا يحسن مكان عافاه الله أخزاه الله، ولكنّي رأيت الناس ثلاثة رجال: رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه، ورجلاً سألته فحباني وهو الممدوح، ورجلاً سألته فلم يعط، فنفسي أحق بالهجاء إذ سوّلت لي أن أسأله.

وقال عبد الملك للعجّاج: بلغني أنك لا تحسن أن تهجو، فقال: من يقدر على تشييد أمكنة يمكنه إخرابها، فقال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: أن لنا عزّاً يمنع من أن نُظلم، وحلماً يمنع من أن نظلم، فعلام الهجاء؟ فقال: كلامك أشعر من شعرك.

---

(١) ابن العاص: أي عمرو بن العاص.

(٢) الروية: إطالة النظر والقدرة على التأمل في طبيعة الأمور.

(٣) معناه أن مجاوزة الحدّ والمبالغة سبيل إلى النزق والخطأ فتستجيع وليد ما يعمله الإنسان بطبعه وليس وليد التكلّف.

(٤) نصيب: من شعراء الحجاز في العصر الإسلامي، وهو نوبي الأصل وأسود اللون، وكان مولى لكناني من أهل ودّان قرب مكة. وقد اتصل نصيب بعبد العزيز بن مروان بمصر فحرّره فحفظ يده ومدحه (انظر الأغاني ١/ ٣٢٤، والشعر والشعراء والموشح للمرزباني).

قال جرير: ما عشقت قط ولو عشقت لشببت، وإذا سمعت العجوز بكت على ما فات من شبابها، وإني لأرى الرجز مثل آثار الخيل في الثرى، ولولا أن سبق إليه غيري لأكثرت منه.

وقيل لأبي يعقوب شعرُك في مراثي محمد ليس كشعرك في مدحه، فقال: أين شعر الوفاء من شعر الرجاء.

● **المهجوّ بأنه ينتحِلُ الأشعار**

قال أبو هفان: إذا أنشدكم شعراً، فقولوا أحسن الناس. ونظر **أبو تمام** إلى سليمان بن وهب، وقد كتب كتاباً، **فقال**: كلامك ذوب شعري.

وعرض رجل على ابن الجلاب قصيدة للمتنبي وادعى أنه قالها، **فقال ابن الجلاب**: هذه للمتنبي. **فقال الرجل**: هي قصيدتي ومسودّتها عندي. **فقال ابن الجلاب**: فمبيضتها للمتنبي عندي.

وقال **الصاحب** لرجل عرض عليه شعراً: لو حملت عقاله لحق بأربابه.

وقال **أبو محمد بن المنجم**: أنشدت **أبا القاسم الزعفراني** قول الصاحب: رقّ الزجاج وراقت الخمرُ، (البيتين) **فقال**: لعنَ الله قائلهما فقد سرقهما من **أبي نواس**، فقلت: هما للصاحب. **فقال**: لعن الله **أبا نواس** فقد سرقهما من مولانا الصاحب. فقلت: كيف سرق أبو نواس من مولانا الصاحب؟ **فقال**: دعني فلعلّ هذا ما سرق إلا منه.

● **السالبُ غيرَه شعراً قهراً**

وقف **الفرزدق** على **الشمردل** فاستنشده شعراً فأنشده:

وما بين منْ لمْ يعطِ سمْعاً وطاعةً ... وبيْن تميم غيرُ جزّ الغلاصم[1]

فقال: والله لتتركنّ لي هذا البيت، أو لتتركن عرضك، **فقال**: خذه لا بارك الله لك فيه.

وقال رؤبة: خرجت مع أبي عقال في الطريق أبوك زجر وجدّك وأنت مفحم فأنشدته:

كمْ قدْ حسَرْنا منْ علاة عنس

حتى أتيت على آخرها، **فقال**: اسكت فضّ الله فاك. فلما انتهيا إلى سليمان أنشده إياها فأمر له بعشرة آلاف درهم. فقمت له في ذلك، فقال: سر فأنت أرجز الناس. فسألته أن يجعل لي نصيباً مما أعطي فأبى. ودخل بن زهير على معاوية فأنشده:

لعمْرُكَ ما أدري وإنّي لأوجلُ ... على أيِّنا تغدو المنيةُ أوّلُ

(الأبيات) وهي في الحماسة فقال له **معاوية**: عهدي بك لا تشعر. فما لبث أن دخل

---

(١) **الجز**: القطع. **الغلاصم**: جمع الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق

معن، فأنشده هذه الأبيات. فالتفت معاوية إلى ابن زهير فقال: كيف انتحلتها فقال: إن معناً أخي من الرضاع وأنا أحق بهذا الشعر منه

● **التوارد في الشعر وادعاء ذلك**

التواردُ أن يتفق الشاعران في معنى، من غير أن يسمع أحدُهما مقالة الآخر. وسئل أبو عمرو بن العلاء[1] رحمه الله تعالى: كيف يتفق الشاعران؟ فقال: عقول رجال توافت على ألسنتها.

ولأحمد بن أبي طاهر يعتذر لشعر ادّعى البحتري أنه سرقه منه:

الشعرُ ظهرُ طريقٍ أنتَ راكبُه ... فمنه مشعبٌ أو غيرُ مشعبِ
وربّما ضمّ بين الركبِ منهجُه ... وألصق الطنبَ العالي إلى الطنبِ

وقال آخر وقد أتى سلطاناً يمدحه فحرمه وزعم أنه مسروق

وهبني سرقتُ الشعرَ ثم مدحتُه ... أما كان يؤتيني عليه خزائيا

وقال أبو العصاء:

لو أنّ جريراً جاءه في زمانه ... وأنشده شعراً لقال تنحّلا

وقال أبو تمام في مدح شعر غير مسروق

منزّهةٌ عن السّرقِ المُورّى ... مكرّمةٌ عن المعنى المُعارِ

● **شعرٌ أعاده قائلُه في غير الممدوح**

أنشد أبو القاسم بن أبي العلاء يوماً شعراً كاتب به رئيساً وكنّا سمعناه منه قبل فعوتب في ذلك فقال: أنا نظمته أقلّد به من أشاء.

وكان قد وقع إلى أبي الفضل بن العميد قصيدة المتنبي التي أولها

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ[2]

فلما ورد عليه مدحه بها وبدل قوله:

أبا المسك هل في الكأسِ فضلٌ أنالُه ... فإني أغني منذُ حينٍ وتشربُ[3]

فجعله أبا الفضل. فلما أنشدها استطال وتنكر وأظهر إعجاباً بها فقال أبو

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: أحد أئمة اللغة والأدب في العصر العباسي.

(٢) مطلع قصيدة قالها المتنبي في مدح كافور الإخشيدي في مصر سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨م) قبل فراره إلى العراق واتصاله بابن العميد.

(٣) أبا المسك: كنية كافور. وقد عيب المتنبي بهذا البيت لما فيه من الاستجداء والتذلل وهما يناقضان ما عرف عنه من الترفع والإباء.

الفضل لبعض ندمائه أخرج هذه القصيدة لينحفض فلما رآها تبسّم وخجل.

● شعرٌ يدلُّ على همّة قائلِهِ وحاله

قال المأمون يوماً لمن حضره أنشدوني بيتاً لملك يدل عليه بيته وإن لم يعرف، فأنشد:

أمِنْ أجلِ أعرابيةٍ حلّ أهلُها جنوبَ الملا عيناكَ تبتدرانِ

فقال: ما يدل هذا على أنه لملك، بل يجوز أن يكون هذا لسوقة من أهل الحضر. ثم قال: الدالّ على ذلك قولُ يزيد بن عبد الملك:

اسقني من سلافِ ريقِ سليمى واسقِ هذا النديمَ كأساً عقارا[1]

فإشارته إلى النديم تؤذن بأنه ملك.

وقوله: لي المحضُ من وُدّهم، ويغمرُهم نائلي.

وقال صالح بن حسان، للهيثم بن عدي أعلمتَ أن النابغة الذبياني كان مخنثاً؟ فقال: ما علمت ولا سمعت. قال: فكيف قلت؟ قال لقوله: سَقَطَ النصيفُ ولم ترد إسقاطه، (البيتين) والله ما يحسن هذه الإشارة إلا مخنث. فسمع ذلك رجل من قيس فقال بل صاحبك الأعشى[2] هو المخنّث حيث يقول:

قالتْ هريرةُ لما جئتُ زائرَها ويلي عليكَ وويلي منكَ يا رجُلُ

● النابغُ في الشّعرِ بعد أنْ كانَ مُكْدِياً

قال السيّد الحميري[3]: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، كأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال، وبجنبها أرض كأنها كافورة، ليس فيها أشجار، فقال لي: أتدري لمن هذه النخيل؟ فقلت: لا. فقال: لامرىء القيس، فاقلعها واغرسها في هذه ففعلت فلما أصبحت أتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه، فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا فقال: أما أنك ستقول مثل شعر امرىء القيس، إلا أنك تقوله في قوم طهرة فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر والنابغتان سمّيا بذلك لأنهما عاشا دهراً لا يقولان شعراً ثم نبغا فيه

---

(١) السلاف: الخمر المعتّقة الجيّدة.

(٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس من فحول الشعراء في الجاهلية، قيل إنه أدرك الإسلام، وقصد النبيّ فصدّته قريش عن السير إليه فعاد إلى قومه فمات في الطريق.

(٣) السيّد الحميري: هو أبو هشام إسماعيل بن محمد بن ربيعة بن مفرّغ أحد الشعراء البصريين. ولد سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م)، وهو من أتباع الفرقة الكيسانية القائلين بعودة الإمام محمد بن الحنفية. مات في واسط سنة هـ (٧٨٩م).

● تسهيلُ قولِ الشِّعر على ذي آلته

عمل سقراط بيتين، فقيل له: ما أحسن ما قلت. فقال: إن حفر بئر بقرب قناة يجري منها الماء، سهل. قال البديهي:

وأرى القَوَافي لا تصيرُ مطيعَةً ... إلا إلى المتمرِّسِ منْ أدواتِها
والطَّبْعُ ليْس بمقنعٍ إلا إذ ... حصلتْ إضافتُه إلى آلاتِها

وقال آخر:

وما الطَّبْعُ مغْنٍ وحدَه في نظامِه ... ولا العِلْمُ من حدِّ الطِّباعِ بنائِبِ
إذا لمْ تكُنْ مجموعةً أدواتُه ... فأيسرُ مبناه كنسجِ العناكبِ

وقيل: أصح الشعر وأسهله ما يقوله من بعثه أنف[1] أو دخله كلف[2].

● مَنْ تداخلَه لسمَاعه الأنفةُ والحميّة

كان بالمدينة فتى يعشق امرأة، فوعدته يوماً، فلمّا اجتمعا غنّت مغنية بهذا الصوت:

من الخَفِرات لم تفضَحْ أخاها ... ولم ترفعْ لوالدِها شَنارا[3]

فأبت إلا الخروج فرجعت إلى منزلها، وبعثت إلى الرجل ألف دينار، وقالت: إن رغبت في فاجعل هذا مهري واخطبني من أبي.

ودخل رجل على أبي دلف فاستماحه فقال له: أتسأل وجدّك يقول:

ومنْ يفتقرْ منّا يعشْ بحُسامِه ... ومن يفتَقرْ من سائر النّاس يسألُ

فقال: نعم، وتضجر. فلقي وكيلا لأبي دلف يأتي بمال فسلبه. واتصل الخبر بأبي دلف[4] فقال: أنا الذي علمته هذا فدعوه. وهذا الباب من جنس منفعة الشعر.

● شعرٌ سائرٌ

قال أبو العتاهية:

في كلِّ أرضٍ فرى من منطقي مثلاً ... بين المشاهدِ أو يُبكي به وتر

وقال الطرمي:

لقد سارَ لي شرْقاً وغرْباً قصائدٌ ... تعنُّ حِسَاناً في وجوهِ القَصَائِدِ

---

(١) الأنف: مصدر أنِف (من العار): ترفّع وتنزّه عنه.
(٢) الكلف: الولوع بالشيء مع اشتغال القلب والمشقة.
(٣) الخفرات: الحييات جمع خفِرة. الشنار: العار وأقبح العيب.
(٤) أبو دلف: هو القاسم بن عيسى أحد قوّاد الخليفة المأمون ثم المعتصم. مات سنة ٢٢٨ هـ (٨٤٢م) ومن آثاره كتاب «البزاة والصيد»، و «سياسة الملوك».

وقال المتنبي:

أنقى على كتفِ الأيام من كتفي رضوى وأسيرُ في الآفاق من مثلِ

وقال الكندي:

يقصرُ عن مداها الريحُ جرياً وتعجزُ عن مواقِعها السهامُ
تناهبُ حسنها حادٍ وشادٍ فحثتْ بها المطايا والمُدامُ[1]

وقال المسيب[2]:

تردُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً في القومِ بينَ تمثلٍ وسماعِ

وقال النابغة:

أوابدُ كالسلام إذا استمرت فليسَ يردُّ مذهبَها التظني[3]

● شعرٌ أثَّر في العقولِ فيه فرفعَه أو وضعَه

كان بنو قريع متى قيل لهم أنف الناقة استحيوا، حتى قال فيهم الحطيئة

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ ومن يسوّي بأنفِ الناقة الذنبا

فصاروا بعد ذلك يتبجحون[4] به ويقولون نحن بنو أنف الناقه.

ونمير[5] كانوا يتبجحون باسمهم حتى قال فيهم الشاعر

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فكانوا بعد إذا سئلوا قالوا: من بني عامر

وقال جرير:

والتغلبيّ إذا تنحنحَ للقِرى حكَّ استه وتمثلَ الأمثالا

فقالوا لو طعنوا بعد هذا في أستاههم ما حكّوها

● مفاضلةُ قِصارِ الشعرِ وطِواله

قيل لعقيل: لم لا تطيلُ الشعر؟ فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل لآخر ذلك، فقال: يكون أحوك، وعلى أفواه الرواة أعلق

---

(١) الحادي: سائق الإبل - المدام: الخمر.
(٢) المسيب: هو المسيب بن علس واسمه زهير من شعراء بكر بن وائل، وهو خال الشاعر الأعشى وكان الأعشى روايته. لقب بالمسيب لبيت قاله. والمسيب جاهلي لم يدرك الإسلام. (انظر الشعر والشعراء منشورات دار الأرقم ص ١٠٦ وما بعدها)
(٣) الفدفد: المكان الغليظ المرتفع، والفدفد الفلاة، وفي رواية: قوافي كالسلام ... أيضاً. مذهبها التظني.
(٤) يتبجحون: التبجح هو الافتخار والتعاظم والمباهاة. (٥) نمير: أي بنو نمير.

وقالت مليكة بنت الحطيئة: يا أبت كنت ترغب عن القصار فصرت ترغب فيها، فقال: لأنها في الآذان أولجُ[1] وعلى الفكر أروغُ والنّاس إليها أحوج.

وقيل لآخر مثل ذلك فقال: حسبُك منها غرةٌ لائحة وسمة واضحة. وقال آخر: إذا مدحتم فأقصروا وإذا هجوتم فأطيلوا فالشرّ لا يملّ. وقال الصاحب: إن عبّاد إذا أطال قصّر وإذا قصر لم يقصّر.

● **اعتذارٌ من أكدى[2] في شعره أو نادرته**

قال عبد الملك لعديّ بن أرطاة: لم لا تقول الشعر؟ فقال: كيف أقولُه وأنا لا أشرب ولا أطرب ولا أغضب.

وقال الفرزدق: ربّما أتت عليّ ساعة ونزعُ ضرسٍ أهونُ عليّ من قول بيت.

وقال عبيد: حال الجريض[3] دون القريض[4]، واستأذن الغالبي على عبّاد فأذن له، فأنشده:

لما أنخنا بالوزير ركابنا ... مستعصمين بجوده أعطانا
من لم يزلْ للناس غيثاً ممرِعاً ... متخرّقاً في جوده[5].

وأنسي القافية فجعل يردّد، فقال عبّاد: قل: كشحانا أو قربانا وخلّصني فتذكّر وقال: في جوده معوانا

ووقع رجل في جماعة من الشعراء دخلوا على سلطان فلما أنشدوه قال للرجل: ما عندك؟ قال: أنا من الغاوين. فقال: ما معنى ذلك؟ فقال: قال الله تعالى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[6] فأنا غاوٍ تبعتهم، فضحك منه وأعطاه.

● **اشتمالُ الشِّعر على نقاية ونفاية**

قال أبو عمرو بن العلاء: الشعر نثر سباطة الملوك فيها قطعة ذهب، وما شئت من رماد، والسباطة الكناسة، وأنشد بعضهم:

يا عائب الشعْر مهلاً ... فعيبُك الشعرَ عيبُ
الشعْرُ كالشَّعر فيه ... مع الشبيبةِ شَيبُ

وقال بعضهم في وصف شاعر: ثوب بوشي ومطرف بآلاف.

وقال شدّاد الأعرابي: مثل الشعر مثل الإبل، فيها الكرامُ والحساس يسدّ بعضها خصاص بعض.

---

(1) أولج: أكثر إيلاجاً.
(2) أكدى: من الكدية وهي السؤال والاستجداء.
(3) الجريض: الريق يغصّ به.
(4) القريض: الشعر.
(5) متخرقاً في جوده: ولم يذكر القافية.
(6) القرآن الكريم، الشعراء/ ٢٢٤

وقيل لجرير: ما تقول في الجعديّ[1]؟ فقال: سوق خلقان[2] ترى ثوباً يروعك وثوباً تستهجنه عينك. وقيل: إذا كان الكلام كلّه مثلاً لم تبن فيه اللمعة والنكتة، ولذلك لم يستعذب الناس شعرَ صالح بن عبد القدوس[3]، لما كان كلّه حكماً.

وقال المتنبي:

وفي الشعرِ ما تهوى النفوسُ إستماعَه ... وفي الشعرِ ما قد ضمّه حبلُ حاطبِ

● ضنُّ الشاعر برديء شعره

قال عبد الله بن طاهر: آفة الشاعر المحب، لأنه يقول خمسين بيتاً وفيها بيت رديء فلا يحتمل قلبه أن يسقطه.

وقيل: الشاعر كالصيرفيّ يجتهد في أن يروّج ما في كيسه من الزيوف.

● اعتذارٌ من قصَر عن مُساجَلة.

قال العتّابي:

ولا عارَ إن قصّرتُ دونَ مبرّزٍ ... شأى الناسَ قبلي سعيُه وشآني[4]
وإنّي كمَنْ جارى جواداً بمقرفٍ ... قوائمُه مشكولةٌ بحِرانِ[5]

وممّا يحسن أن يتمثل به هنا قول الدارمي[6]:

كلانا شاعرٌ من قول صدقٍ ... ولكنّ الرّحى فوق الثّفال

● قائلُ شعرٍ ذكر أنه استعاره من المقول فيه

قال أحمد بن أبي الخصيب:

وإنّي وإن أحسنتُ في القولِ مرّةً ... فمنك ومن إحسانك امتار هاجسي

---

(١) الجعديّ: هو النابغة الجعدي واسمه عبد الله بن قيس ويكنى أبا ليلى، أدرك الإسلام وأسلم وحسن إسلامه، وهو من المعمرين، وكان نادم أبا النعمان بن المنذر، وهو أقدم من النابغة الذبياني كما ذكر ابن قتيبة.

(٢) الخلقان: البالي واللفظة للمذكر والمؤنث.

(٣) صالح بن عبد القدوس: هو من شعراء بغداد، صلب لأنه كان زنديقاً، وإلى صالح هذا تنسب القصيدة الزينبية وأولها:

صرمتْ حبالَكَ بعدَ وصلِكَ زينبُ ... والدهرُ فيه تصرُّمٌ وتقلُّبُ
ولذاك وصلُ الغانياتِ فإنّه ... آلٌ ببلقعةٍ وبرقٌ خُلَّبُ

(٤) شأى الناس: سبقهم، وتشاءوا: تسابقوا. (٥) المقرف: النذل، ووجه مقرف غير حسن.

(٦) الدارمي: هو ربيعة بن عامر وهو من بني دارم، ومسكين لقب غلب عليه، فقيل مسكين الدارمي، وفيه يقول:

وسمّيتُ مسكيناً وكانت لحاجةٍ ... وإنّي لمسكينٌ إلى اللهِ راغبُ

(انظر الأغاني ١٨/٦٨)

تعلمتُ منا قبلَه ومعلَّه فأهديتُ حلْواً من جناكَ لغارس

وقال ابن طباطبا:

لا تنكرنْ إهداءنا لكَ منطقاً منكَ استفدنا حسنَه ونظامَه
فاللّهُ عزَّ وجلَّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيَه وكلامَه

وحُكي أن الصّاحب[1] دخل على عضد الدولة بهمذان، وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه فقال: يا أبا القاسم هذه رسالة لك في بعض فتوحنا نحن نأخذها بأسيافنا وأنت تحمّلها بأقلامك، فقال: المعنى مستفادٌ من مولانا وإن كانت الألفاظ لخادمه

ثم أنشده

وأنتَ أكتبُ مني في الفُتوحِ ومن تجري مجيباً إلى شأوي ولا أمَدي[2]

فقال: لمن البيت؟ فقال: لعبدك أبي إسحاق الصابيء. وكان الصابيء محبوساً ببغداد فأمر بالإفراج عنه والخلعة عليه فكان ذلك سبب خلاصه وتقدّمه

● **كلامُ نثرٍ صارَ شعراً من غيرِ قصْد**

كتب عقال بن شبة:

للأمير المسيّب بن زهير من عقالِ بن شبّة بن عِقال

فاتفق منه شعر.

وحضر الصاحب الحسن بن سعد، فرأى على عنوان كتاب: أبو الحسين أحمد بن سعد. فقال هذا شعر ثم قال: قل:

إلى الهُمام الأرْيَحيّ الفرد أبي الحُسين أحمد بن سعْدِ[3]

فقال أبو الحسين: علمت بعد ثمانين سنة أن كنيتي واسمي واسم أبي شعر، وعلى ذلك كتب عبد الله الخازن على عنوان كتابه

حضرة الصاحب الجليل أبي القا سم كافي الكفاة إسمَاعيلا

وقال رجل لمناد:

يا صاحبَ المسحِ تبيعُ المسْحَا[4]

فقال صاحبه:

تعالَ إن كنتَ تريدُ الربْحا

---

(١) **الصاحب**: أي الصاحب الطالقاني نسبه إلى طالقان من إقليم أصبهان، كان وزير مؤيد الدولة، ومن الأدباء والشعراء ومن آثاره «**المحيط**» وهو من قواميس اللغة، وهو غير **القاموس المحيط للفيروزأبادي**.

(٢) **الشأو**: الأمد والغاية.

(٣) **الأريحي**: النشيط إلى المعروف

(٤) **المسح**: الكساء من شعَر، والبلاس يقعد عليه

فسمع أبو العتاهية ذلك فقال: قد قالا شعراً وهما لا يدريان.

● ما جاء من لفظ القرآن والخبر موزوناً

من ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1]، ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾[2]

وقال النبي ﷺ: أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. وكان النبي ﷺ يحرّض أصحابه على حفر الخندق ويقول: والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا. وكان أصحابه يجيبونه: أنك لولا أنت ما اهتدينا

● متناهٍ في مدحٍ أو هجوٍ أول على ضدّه

مدح أعرابي نبطياً فقال:

إن أبا الهيجاء أريحيّ ... لريحٍ في أثوابه دويّ

فقال النبطي: عني أبي أمي؟ فقال الأصمعي: انظروا كيف صاغ هذا البيت. وسمع بعضهم قول الحطيئة[3]:

يُغْشَوْن حتّى ما تهرّ كلابُهم ... لا يَسألون عن السواد المقبلِ[4]

فقال: هذا بيت قواد

وأنشد قول الأخطل[5]:

وإنّي لقوّامٌ مقاومٌ لم يكنْ ... جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُها

فقال جرير: صدق ما قمنا بين يدي قس لأحد قربان ولا لأداء جزية بين يدي سلطان

● شعرٌ لا يدرى أمدحٌ هو أم هجاء

دفع أعرابي ثوباً إلى خيّاط، فقال الخياط: لأخيطنه خياطة لا تدري أقباء هو أم دواج، فقال: لأقولن فيك شعراً لا تدري أمدح هو أم هجاء. وكان الخياط أعور. ثم أنشد:

خاطَ لي زيدٌ قباءْ ... ليت عينيه سواءْ

---

(1) القرآن الكريم: تبت/1. (2) القرآن الكريم: سبأ/13

(3) هذا البيت من شعر حسّان بن ثابت في مدح الغساسنة (انظر ديوان حسّان، منشورات دار الأرقم)

(4) يمدحهم بالكرم ويقول بأن كلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم، وهم لسخائهم وجودهم لا يبالون بكثرة الضيوف

(5) الأخطل: لقب غلب على الشاعر واسمه غياث بن غوث التغلبي، وهو أحد شعراء المثلث الأموي والآخران جرير والفرزدق. حظي في البلاط الأموي وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان ومن أجمل قصائده فيه «خفّ القطين» (انظر الشعر والشعراء)

فلم يدر أدعا له أم دعا عليه. ولما أنشد النابغة النعمان قوله

تخفّ الأرضُ ما غبْتَ عنها ... ويبقى ما بقيت به ثقيلا

غضب، وقال: لا أدري أمدحني أم هجاني؟ فأتى زهير فأخبره فقال حق له أن يغضب ولكن قل بعده هذا البيت

أظنك مستقرّ العزّ منها ... فتمنع جانبيها أن تزولا[1]

فأتاه فأنشده ذلك فرضي، وقال: أما الآن فنعم

● من قصد مديحاً، فاتّفق منه هجو

جاء شعرورٌ إلى زبيدة[2] فمدحها فقال

أزبيدةُ بنت جعفر ... طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكفّ من الرغاب

فوثب إليه الخدم ليضربوه فمنعتهم، وقالت: إنه قصد مدحاً وأراد ما يقول الناس شمالك أجودُ من يمينه، فظنّ أنه إذا ذكر الرِجل كان أبلغ وقد حمدنا ما نواه وإن أساء فيما أتاه.

ومدح شاعر أميراً فقال:

أنت الهُمام ابنُ الهمـ ... ـام الواسعُ ابن الواسعه

فقال: من أين عرفتها فأل قد جرّبتها، فقال: أسوأ من شعرك ما أتيت به من عذرك

● شاعرٌ مغلوبٌ بشعرٍ ركيك

أتى أبو الشمقمق بشاراً[3] فقال: يا أبا معاذ أعطنا شيئاً وصل إليك من السلطان، فقال: أتسألني وأنا شاعر؟ فقال: نعم إني مررت بالصبيان وهم يقولون

إنما بشار فينا ... مثلُ تيس في سفينه

فرفع مصلاه عن ثمانمائة درهم وأعطاها له، وقال له: لا تكن راوية للصبيان بعد هذا.

---

(١) ولهذا البيت رواية أخرى هي

لأنّك موضعُ القسطاس منها ... فتمنعُ جانبيها أن تميلا

(٢) زبيدة: زوجة هارون الرشيد [(١٤٥ هـ ـ ٧٦٢) = ٢١٦ هـ ـ ٨٣١م)].

(٣) بشاراً: يعني بشار بن برد من كبار الشعراء في مطلع العصر العباسي وكان مولى لبني عقيل، وهو أحد الشعراء المطبوعين وهو لا يقل منزلة عن أبي نواس، وكان متهماً بالزندقة (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ووفيات الأعيان لابن خلكان رقم ١١٠)

وقال دعبل[1]: وردت قمّ وكان لي على أهلها رسم، فاتفق أن جاءني شعرور فأخذ يباكلني ويؤذيني، فازدريت به وزجرته فذهب وهجاني فقال:

فـي إسـتِ دعـبـلِ بـلابـلُ ... لـيـس يـشـفـى لـقـابـلِ
لـيـس يـشـفـيـه مـنـه غـيـرُ ... أيـر بـغـلٍ كـكـاهـلِ

فلهج الصبيان بذلك وصاروا يصيحون خلفي إذا رأوني فعبرت من قمّ استحياءً وما عاودتها بعد.

● معرفةُ نقْدِ الشِّعر[2]

قال أبو عمرو: انتقاد الشعر أشدّ من نظمه، واختيار الرجل الشعر قطعة من عقله.

وقيل: إنما يعرف الشعرَ من دفع إلى مضايقه.

وقيل: كنْ على معرفة الشعر أحرصَ منك على عقله. وقيل: كن على معرفة الشعر أحرص منك على حوكه.

وقال الفرزدق: لا يكون الشاعر متقدّماً حتى يكون باختيار الشعر أحذق منه بعمله.

وقال أبو أحمد بن المنجم:

ربّ شعرٍ نقدتُهُ مثلَ ما ينـ ... ـقدُ رأسُ الصيارفِ الدينارا

وقال الأهوازي:

ويـزعـمُ أنـه نـقّـاد شـعـرٍ ... هـو الـحـادي ولـيـس لـه بـعـيـرُ

وقال آخر:

قـدْ عـرفـنـاك بـاخـتـيـارِك إذ كـا ... نَ دليـلاً عـلـى الـلـبـيـب اخـتـيـارُه

● عذرُ منْ يعرفُ الشِّعرَ ولا يصوغهُ

قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ فقال: أنا المسنّ أسنُّ الحديدَ ولا أقطع.

وقيل لأديب: أشاعر أنت؟ فقال: لا، ولكني سهم جابر. وقال الشاعر:

وقد يقرضُ الشعرَ البكيّ[3] لسانُه ... وتُعيي القوافي المرءَ وهو خطيبُ

وقيل لأبي عبيدة: لم لا تقولُ الشعر مع غزارة علمك وجودةِ فهمك؟ فقال: لأن

---

(١) دعبل: هو دعبل الخزاعيّ، وكنيته أبو عليّ. وهو من شعراء الكوفة. اتصل بهارون الرشيد. وقد ولي حكم سمنجان من خراسان، ثم نقل إلى أسوان في مصر. وانتهى مقتولاً بسبب هجائه بني العباس.

(٢) النقد: تمييز الدراهم لمعرفة الجيّد من الرديء المزيف.

(٣) البكيّ لسانه: مستعارة من قولهم: عين بكيّ وبكية وبكيئة إذا قلّ دمعها.

الذي يجيئني لا أرتضيه، وما أرتضيه لا يجيئني. ولبعضهم في المعنى:

أبى الشعرُ إلا أن يفيءَ رديئُه ... عليّ ويأبى منه ما كان محكَما

فيا ليتني إذ لمْ أجدْ حوكَ وشيِهِ ... ولم أكُ من فرسانه كنتُ مفحَما

● مذاهبُ الناسِ في نقده

مذاهب الناس في ذلك مختلفة. فمنهم من يميل إلى ما سهل، فيقول: خيرُ الشعر ما لا يحجبه شيء عن الفهم. وقال آخر: خير الشعر ما معناه إلى قلبك أسرعُ من لفظه إلى سمعك. ومنهم من يقول: ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف كما قيل:

وإن أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُه ... بيتٌ يقالُ إذا أنشدتَه صدَقا

وسئل ذو الرمة عن أشعر الناس فقال: من حسن جيّده وطاب رديئه. ومنهم من يميل إلى ما انغلق[1] معناه وصعب استخراجه، كشعر ابن مقبل والفرزدق. وكثيرٌ من النحويين لا يميلون من الشعر إلى ما فيه إعراب مستغرب ومعنى مستصعب.

وقال يزدان المتطبب إن أبا العتاهية أشعر الناس لقوله:

فتنفستُ ثم قلتُ نعم حبـ ... ـاً جرى في العروق عرقاً فعرقا

فقال له بعض الأدباء: إنما صار أشعر الناس عندك من طريق المجسة[2] والعروق.

● مراتبُ الشعراء والشعر

قال الجاحظ: يقال للمجيد فحل، ولمن دونه مغلق، ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور.

وقيل: أقسام الشعر أربعة: ضرب حسن لفظه ومعناه، وإذا نثر لم يفقد حسنه وذلك نحو:

في كفه خيزران ريحه عبقٌ ... من كفِّ أروع في عرنينه شمَمُ

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يكلَّم إلا حين يبتسمُ

وضربٌ حسن لفظه وحلا معناه نحو:

ولمّا قضينا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومسّحَ بالأركانِ من هُو ماسِحُ

أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المطيّ الأباطِحُ

وضربٌ جادَ معناه وقصُر لفظهُ نحو:

خطاطيفُ حجن في حبالٍ متينةٍ ... تمدّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

---

(١) انغلق معناه: صعب فهمه.

(٢) المجسّة: آلة الجس، والمجسّة الموضع الذي يجسه الطبيب، جمع مجاس.

وضربٌ قصر معناهُ ولفظهُ نحو:

إن مَـحـلاً وإن مُـرتـحـلاً   وإن لـلـسـفـر ما مـضـى مـهـلا

وقيل: الأشياء كلها ثلاث طبقات جيد ووسط ورديء. فالوسط من كل شيء أجود من الرديء عند الناس إلا الشعر، فإن رديئه خير من وسطه. ومتى قيل شعر وسط فهو عبارة عن الرديء. وقيل: الشعر ثلاثة أصناف: شعر يكتب ويروى، وشعر يسمع ويكتب، وشعر لا يكتب ولا يروى[1].

● كثرةُ الشعرِ في الناس

قال إبراهيم الموصلي: لولا أني أعلم أنّ الشعر من شرّ الكلام لقلت الشعر أكثر من النثر.

وقال أبو تمام:

ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت   حياضُك منه في العصور الذواهبِ

ولكنه صوبُ العقولِ إذا انجلَتْ   سحائبُ منه أعقبَت بسحائِبِ

وقيل: الشعر أكثر من الكلام البليغ، فقد تجد عشرة آلاف شاعر ولا تجد خطيباً.

● المستحسَنُ الإنشاد

دخل أبو تمّام على إسحاق المصعبي فقال له: رأيت المحرومي آنفاً وهو ينشد شعراً، فقال: أيها الأمير نشيد المحرومي يطرق بين يدي شعره وشعري يطرق بين يدي نشيدي.

ومدح رجل آخر بحسن الإنشاد فقال: هو صناجة الشعر.

وقال الفرزدق لعبّاد العنبري: حسنُ إنشادك يزين الشعر في فهمي.

وقيل: إذا أنشدت المديح ففخّم، أو المراثي فحزّن أو من النسيب فأخضع، أو من الهجاء فسدّد وبالغ.

● المستقبَحُ الإنشاد

قال عبد الله بن معاوية:

يـزيـن الـشـعـرَ أفـواهٌ إذا نـطـقـت   بـالـشـعـرِ يـومـاً، وقـد يُـزري بـأفـواهِ

وقال أبو خليفة:

كـانَ الـشـعـرُ مـن فـيـه   إذا تـنـغـمـت قـوافـيـه

كـنـيـف قـد جـرى فـيـه

---

(1) لا يروى: لا يحفظ.

(١٠)

ومما جاء في الكتابة والكتّاب

●

● واضِعُو اللغات والخطّ

قيل: اللغات توقيفية[1] لقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2].

وقيل: أوّل ذلك اصطلاح[3] ثم يجوز أن يكون الباقي توقيفاً.

وقال الكلبي: وضع الخطَّ ثلاثةُ نفر: مرامر بن مرة بن دروة، وأسلم بن شدرة، وعامر ابن حدرة. فمرامر وضع الصورة، وأسلم فصّل ووصل، وعامر أعجم وأشكل.

وقيل: وضعه قوم من طسم[4] وهم أبجد وهوّز وحطّي وكلمن وسعفص وقرشت على أسمائهم. ثم وجدوا حروفاً أخر وسمّوها الروادف وهي: ثخذ ضظغ. ولهم أربعة حروف لا يعدونها في أبي جاد، وتلك حروف المدّ واللين، ونون الغنّة في نحو صندر وجندل.

وأول من خوطب بـ «أطال الله بقاءك» عمر بن الخطاب، قاله لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وأول من قال: جعلني الله فداءك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وأول من قال: جعلت فداءك عليّ عليه السلام.

وأول من كتب في صدر الكتاب مرسله أن يصلّي على محمد، يحيى بن خالد البرمكيّ[5].

● اتفاقُ الحروفِ مع النجوم

عددُ الحروف العربية عددُ منازل القمر، ثمانية وعشرون. وغاية مبلغ الكلمة مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة. وصورة الزوائد اثنا عشر على عدد البروج. وأربعة عشر تندرج مع لام التعريف، مثل منازل القمر التي تستتر تحت الأرض وأربعة عشر فوقها وهذا اتفاق صحيح.

● أسامي المتَرْجِمين

نقل ديوان الفارسيّة إلى العربية صالحُ بن عبد الرحمن، فقال له رجل من الفرس: كيف

---

(١) توقيفية: أي غير اصطلاحية.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٣١.

(٣) الاصطلاح: الاتفاق على وضع الشيء أو الكلمة.

(٤) طسم وكذلك جديس: من قبائل اليمامة.

(٥) يحيى بن خالد البرمكي: كان مؤدب هارون الرشيد، ثم بات مستشاره، وقبل ذلك كان حاكم بلاد آذربيجان. ونكب يحيى البرمكي كما نكب سائر البرامكة، ومات سجيناً سنة ١٩٠ هـ (٧٠٥م)

تكتب دهيوده وبجيرده؟ فقال: عشير ونصف عشير. فقال: وكيف تكتب أندي؟ قال أيضاً. فقال: قطع الله أصلك من الدنيا، كما قطعت أصل الفارسية، وقال لقومه اطلبوا مكسباً غيره.

● **ومَمّن نقل العلوم الكبار**

ابن بطريق وابن ناعمة وأبو قروة وابن المقفع وأرسطوطاليس وأفلاطون من متقدمي الحكماء ومستخرجي العلوم.

● **أجناسُ الكتابة**

قال الكلبي[1] كتابةُ الأمم نوعان. أحدهما يبتدأ باليمين، وهي العربية والعبرانية. والثاني من اليسار، وهو اليونانية والرومية. وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة وكتابة الصين نقوش تصوّر.

وحكي أن ملك الروم قال ما حسدت العرب على شيء كحسدي على أشكال خطوطهم.

● **مرافقُ الخطّ**

قيل: الخطّ لسان اليد وهو الطلسم الأكبر، وقيل: الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية.

وقيل: العلم شجر، والخطّ ثمر. وفضّل بعضهم الخطّ على اللفظ، فقال: الخط للقريب والبعيد، واللفظ للقريب فقط. وفضّل جالينوس اللفظ فقال: الخط كلام ميت واللفظ كلام حيّ.

● **اختلافُ الخطوط وتشابهها**

قيل: من أعجوبة الخطوط كثرةُ اختلافها مع اتفاق أصولها، كاختلاف الأشخاص مع اتفاقها في الصحة.

وعجب بعض الكتّاب من إلحاق القافة[2] بالولد بالشبه، فقال له قائف: أعجب من هذا ما بلغنا من تمييزكم الخطوط وإلحاق كل بصاحبه.

وحكي أن رجلاً ادّعى على آخر بخطّ له معه فجحد المدعى عليه خطّه فتحاكما إلى سليمان بن وهب. فأحضر الخطّ وأملى على الرجل كتاباً طويلاً ردّد فيه الحروف، فتصنّع الرجل في كتابته فأبت سجيته في أحرف إلا أن تأتي كما جرت به عادته، فتبيّن لسليمان كذبه. فاستقصى عليه حتى اعترف بخطّه.

---

(١) **الكلبي**: أحد كبار النسابين وهو كوفي وصاحب كتاب الأصنام وله أيضاً «نسب الخيل». مات الكلبي سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م).

(٢) **القافة**: جمع قائف وهو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود.

● مدحُ الكتابة

جعل الله تعالى كتبة الملائكة كراماً كاتبين، حيث يقول: كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون.

وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1] قيل: بلغت الكتابة بقوم مبلغ الملوك وأعطتهم أزمة الخلافة. ونال الخلافة أربعة من الكتاب: عثمان وعلي ومعاوية وعبد الملك.

وسأل أعرابي من أصحاب النبي ﷺ فذكروا له حتى انتهوا إلى ذكر معاوية، فقالوا: كان كاتب النبي ﷺ فقال: فلج[2] وربّ الكعبة فإن الأمور بيد الكتاب.

قال الشاعر:

ما الناسُ إلا الكتبة ... هم فضّة في ذهبه
قد أحرزوا دنياهُم ... بشعبة من قصبه

وقال ابن الحجّاج:

وشمولٍ كأنّما اعتصروها ... من معاني شمائل الكُتّاب

وقيل: كل صناعة تحتاج إلى ذكاء، إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين: جمع المعاني بالقلب، والحروف بالقلم. ولذلك قيل بالفارسية: دبير، أي له ذكاءان.

وقال الجاحظ: لم أر مثل طريقة الكتاب، فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا ساقطاً سوقياً، وقال: إنما عذب شعر النابغة لأنه كان كاتباً وكذلك زهير.

● ذمُّ الكتاب

قال الجاحظ في ذمّهم: ما قولك في قوم أوّل من كتب منهم لرسول الله ﷺ خالفه في كتابه، فأنزل الله فيه آيات، فهرب إلى جزيرة العرب فمات كافراً. ثم استكتب معاوية فكان أوّل من غدر وحاول نقض عرى الإسلام في أيامه، ثم كتب عثمان لأبي بكر مع طهارة أخلاقه فلم يمت حتى أدّاه عرق الكتابة إلى دم من دمه من أوليائه. ثم كتب لعمر رضي الله عنه، زيادُ بن أمية فانعكس شرّ مولود، وكتب لعثمان رضي الله عنه مروانُ بن الحكم، فخانه في خاتمه وأشعل حرباً في مملكته.

وقال بعضهم، وقد جلس في ديوان: أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم، وإذا سكبتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء لا يستندون إلى وثيقة ولا يدينون بحقيقة. فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

قال كشاجم:

بأبي وأمي أنتَ من مستجمعٍ ... تيهَ القيانِ ورقّةَ الكتّابِ[3]

---

(١) القرآن الكريم: عبس/ ١٥. (٢) فلج: يقال فلج فلجا القوم وعليهم: فاز.

(٣) القيان: الجواري المغنّيات، وقوله: تيه القيان إشارة إلى ما تتصف به القيان من الزهو، وما لهن من دالّة عند الخاصة والعامة، على السّواء.

وقال ابنُ المعتز:

وما كاتبٌ بالكفِّ إلا كشارطِ[1]

● ذمّ عجزة الكتاب

قال العجامُ الأهوازي يهجو الكتّاب:

تعيسُ الزّمان لقد أتى بعجابِ ... ومحا رسومَ الظرفِ والآدابِ

وأتى بكتّابٍ لو انبسطت يدي ... فيهم رددتُهم إلى الكتّابِ

وقال آخر:

دعيّ في الكتابة يدّعيها ... كدعوة آل حربٍ في زيادِ[2]

ولما ولي الفضل بن مروان ديوان الخرج وموسى بن عبد الملك ديوان الضياع، قال محمد بن يزيد المراهي:

أرى التدبيرَ ليس له نظامٌ ... وأمرُ الناس ليس بمستقيمِ

فديوانُ الضياع بمسح ضادٍ ... وديوانُ الخراجِ بغيرِ جيمِ

وذمّ رجل آخر فقال فيه: من أخلاق النبي ﷺ عدم الكتابة والعجز عن تقويم الشعر.

● من يسدُّ كتابُه مسدَّ السّلاح والعساكرِ

قال ابن الرومي:

في كفّه قلمٌ ناهيك من قلمٍ ... نيلاً وناهيك من كفٍّ به اتّشحا

يمحو ويكتبُ أرزاقَ العبادِ به ... فما المقاديرُ إلا ما محا ووحى

وقال المتنبي:

يا منْ إذا وردَ البلادَ كتابُه ... قبل الجيوشِ ثنى الجيوشَ تحيّرا

ورسائلٌ قطعَ العداةُ سخاءها ... فرأوا قناً وأسنّةً وسنوّرا[3]

وفي وصف القلم باب يجري هذا المجرى.

● وممّا هوَ كالمُضادّ لهذا الباب

ما روي أن عُكلاً[4] أغارت على إبل لبني حنظلة[5] فاستغاثوا بإسحاق بن إبراهيم، فكتب إلى عامل كتاباً، فخرج صاحب الكتاب وخرق الكتاب وقال:

جَعَلْتُم قَراطيسَ العِراق سيوفَكُم ... ولَنْ يقطَع القِرطاسُ رأسَ المُكابرِ

---

(١) الشارط: الذي يشرط بالمشرط ليبضع الجلد ويستخرج الدم.

(٢) الدعيّ: الدخيل، المتطفل.

(٣) السّخاء: الجود والعطاء - القنا: الرماح - الأسنّة: رؤوس الرماح، جمع سنان - السّنّور: جملة السلاح.

(٤) و (٥) عكلاً: أي بني عكل وهي قبيلة معروفة، ومثلها: بنو حنظلة.

وقلتُم خذُوا البرّ التقيّ فإنّه	أقلّ امتناعاً واتركُوا كلّ فاجرِ
فرحنا بقرطاسٍ طويلٍ وطينةٍ	وراحتْ بنو أعمامِنا بالأباعِرِ[1]

وقال البحتري:

فلا غرّني من بعده عزُّ كاتبٍ	إذا هو لم يأخذْ بحجزةِ رامِحِ

● ذمُّ الكتابةِ إذا تولاّها النساء

قال عمر رضي الله عنه جنّبوهنّ الكتابة. وقال دقنس الفيلسوف وقد رأى جارية تتعلّم الكتابة: تسقي سهمَها سماً لترميك به يوماً. وقال الشامي:

ما للنساء وللكتا	بةِ والعمالةِ والخطابَه
هذا لنا ولهنّ منـ	ـا أن يبِتْنَ على جنابَه[2]

سمع جرير شعراً فسأل عن قائله. فقيل: امرأة فلان. فقال: إذا زقت الدجاجة زقاء الديك فاذبحوها.

● شكوى التأخر في الكتابة

حتّام لا أنفكّ حارسَ سلّةٍ	أدعى فاسمع مذعناً وأطيعُ
وأكلّفُ العبءَ الثقيلَ وإنّما	يعلى به الأتباعُ لا المتبوعُ
فعليهم ثقلُ الأمورِ وحملُها	وعلى الرئيسِ الختمُ والتوقيعُ

● نقص الأميّ وفضله

قال أميّ: كان النبي ﷺ أمياً، فقيل له: أما تعجب أنه كان لي منقبة[3] ولك مثلبة[4]؟

وقال المأمون لأحمد بن يوسف: وددتُ أن يكونَ لي خطٌّ كخطك، فقال: يا أمير المؤمنين لو كان في الخطّ حظٌّ ما أحرمَه الله تعالى نبيه ﷺ.

وكانت أم سلمة تقرأ ولا تكتبُ ومحمد بن الوليد العاربي يكتبُ ولا يقرأ، وكان يتناقص فيما يكتب بيده. وولي عمر بن هبيرة العراق فكان يحفظ جمل حسابها ولا يكتب.

● كتابُ الرجل منبئٌ عن عقلِه

قال زياد: ما قرأت كتاباً قطّ لرجل إلا عرفتُ مقدار عقله فيه.

وقال طريح بن إسماعيل: عقول الرجال في أطراف أقلامها.

---

(١) الأباعر: جمع بعير، للذكر والأنثى.

(٢) الجنابة: النجاسة وعدم الطهارة، وقوله على جنابة كناية عن أن وظيفة النساء مجامعة الرجال وأنه لا شأن لهن بالكتابة.

(٣) و (٤) المنقبة: الفعل الكريم، جمع مناقب، وهي نقيض المثلبة وجمع مثالب.

وقال يزيد بن المهلَّب لابنه، حين استخلفه على خراسان[1]: إذا كتبت كتاباً فأكثر النظرَ فيه، فإنما هو عقلُك تضعُ عليه طابعَك، وإن كتاب الرجلِ موضعُ عقله، ورسوله موضعُ رأيه.

● **بقاءُ الخَطِّ**

قال بعضُ الشعراء:

وما مِنْ كاتِبٍ إلا استفنى ... كتابتَه وإنْ فنيَتْ يداهُ
فلا تكتُبْ بخطِّكَ غيرَ شيءٍ ... يسرُّكَ في القيامَةِ أنْ تراهُ

وقال الخليل:

كتبتُ بخطِّي ما ترَى في دفاتري ... عن النّاسِ في عصْري وعنْ كلِّ غابرِ
ولولا عزائي أنّه غيرُ خالدٍ ... علَى الأرضِ لاستودعْتُه في المقابرِ

● **فضْلُ الخَطِّ المستحسَن**

قيل في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[2] إنه الخطُّ الحسَن. قال الشاعر:

أضحكت قرطاسك عن جنّةٍ ... أشجارها من حكم مُثْمِره
مسودّة سطحاً ومبيضّةً ... أزهارها كمثْلِ الليلة المُقْمِره

ونظر الحسن بن رجاء إلى خطٍّ حسنٍ فقال: خطُّك نزهة الألحاظ ومجتنى الألفاظ. فلان فصيح القلم.

ونظر أعرابي إلى إسماعيل وهو يكتب بين يدي المأمون، فقال: ما رأيت أطيش من قلمه وأثبت من حكمه.

وقال ابن المعتزّ:

إذا أخذَ القرْطاسَ خلتَ يمينَهُ ... تفتّحُ نوراً أو تنظّمُ جوهرا

وقيل لبعضهم: كيف ترى إبراهيم الصولي؟ فقال:

يولّد اللؤلؤ المنثور منطقُه ... وينظُم الدرّ بالأقلام في الكتُبِ

وتحاكم إلى الحسن بن سهل صبيان في خطّيهما، فقال لأحدهما: خطُّك تِبْرٌ مسبوك[3]، وقال للآخر: خطُّك وشي محوك[4]، وقد تسابقتما إلى غاية توافيتما في نهاية

---

(1) خراسان: في القديم بلاد واسعة بين نهر أمودريا شمالاً وجبال هندوكوش في الجنوب، وبلاد فارس في الغرب وهي تشمل اليوم إيران الشمالية وأفغانستان. وخراسان بالفارسية معناها شمس المشرق.
(2) القرآن الكريم: فاطر/1. (3) تبر المسبوك: الذهب.
(4) الوشي المحوك: المنسوج أي النقش المحبوك.

● من حُسنَ خطُّه وخذه

وصف أحمد بن أبي خالد جارية كاتبة فقال: كانَ خطُّها أشكالَ صورتها ومدادُها سوادَ شعرها، وقرطاسُها أديمَ وجهها، وقلمها بعضَ أناملها، وبيانُها سحرَ مقلتها

وقال:

بخطٍّ كأن اللَّهَ قالَ لحسنه ... تشبَّهْ بمَنْ قد خطَّكَ اليومَ فائتمِرْ

وقال الصاحبُ

غزالٌ يفتنُ الناسَ ... مليحُ الخدِّ والخطِّ

فهذا المِسْكُ في العاجِ ... وهذا الدرُّ في السِّمْطِ

● ذمّ الخطِّ القبيح

قيل: رداءة الخطّ إحدى الزمانتين[1] قال الحسن المغربي

خرجتُ من قبحِ خطّي ... وعيبه وضعفي وخطّي[2]

رجعتُ من بعد حِذقي ... إلى كتابة خطّي

وقال علي بن محمد العلوي

أشكو إلى اللَّهِ خطّاً لا يبلّغني ... حظّ البليغ ولا حظّ المرتجيا

وقال يحيى بن علي:

مع خطٍّ كأنّه أرجلُ البطِّ ... أو الشرطُ في طلى العيدان

وقال ابنُ المستير وقد سئل عن خطِّ وزير ليس بالجيد، رأيتُ خطّه أحسن من حظه

● الخطُّ الدقيقُ والجليل

كتب رجل لصاحبه كتاباً دقيقاً، فقال: ما خاطبتني ولكن عوّذتني

وقال الناشيء:

كتبتُ إليكم أشتكي حرْقةَ الهوى ... بخطٍّ ضعيفٍ والخطوطُ فنونُ

فقُلْتُ حكاني في نحولٍ ودقَّةٍ ... كذاك خطوطُ العاشقين تكونُ

ورأى محمد بن سعيد كتاباً بخطّ دقيق، فقال: هذا كتاب من يئس من طول حياته

● التثبتُ في الكتابةِ والإسراعُ فيها

قيل التثبتُ في الابتداء بلاغة وبعده عيّ[3] وبلادة. وكانَ ابنُ المقفع كثيراً ما يقفُ إذا كتب فقيل له في ذلك، فقال: إنّ الكلام يزدحمُ في صدري فأقفُ لتخيّره.

---

(١) الزمانة: العاهة (٢) الخطّ: الضعة وقلة الشأن (٣) العيّ: العجز والضعف

وقيل سرعةُ اليد محمودةٌ ما أمنت نقصاً أو سقطاً[1].

● **حمدُ الشكلِ وذمُّهُ**

قيل: حلّوا عواطل الكتب بالتقييد، وحصّنوها من شبه التصحيف والتحريف.

وقيل: إعجامُ الكتاب يمنعُ من استعجامه، وشكلُه يمنعُ من إشكاله.

قال الشاعر:

وكأنّ أحرفَ خطِّه شجرٌ ... والشكْلُ في أضعافه ثَمَرُ

قال أبو تمام، وقد ضرب بعضُهم المثل في هذا الباب، **بقوله**:

إذا ما قُيِّدَتْ رتكَتْ ولَيْسَتْ ... إذا ما أُطْلِقَتْ ذاتَ انطلاقِ[2]

وعرضَ خطٌّ على عبد الله بن طاهر، **فقال**: ما أحسنه لولا أنّه أكثر شونيزه.

ونظر محمد بن عبد إلى أبي عبيد وهو يقيِّد بسم الله فقال: لو عرفته ما شكلته.

● **الوصيةُ بتقويمِ حُروفٍ في الكتابة**

قال الحسن: من كتب اسم الله فجوّده، أحسن اللهُ إليه. وكان يزيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله من غير السين فإذا رآه كذلك محاه.

ورأى محمّد بن عيسى كاتباً كتب عيسى وردّ الياء إلى خلف، فقال: لا تكتب كذا فأيسر ما فيه أن الياء إذا كان إلى قدّام كان إقبالاً، وإذا كان إلى خلف كان إدباراً.

وقيل: أرخوا ذوائب[3] الخطوط يعني ما كانَ من نحو الياء والنون.

وقيل: المدّ في حرفين سمةُ التقدير. وقيل: إذا اجتمع واوان وجب الفصل، والفصول حلى[4] الكتاب وجودة القرطاس شفاء القلم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألِقْ دواتك وأطِلْ سنّ قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط[5] بين الحروف.

● **معرفةُ كتابةٍ بإشارة**

روي أنّ هشام بن عبد الملك كان يسايره أعرابيّ **فقال له**: انظر ما على ذلك الميل، فجاء الأعرابي وتأمله وقال: رأيت شيئاً كرأس المحجن[6] متصلاً بحلقة يتبعها ثلاث كأطباء الكلبة كأنها رأس قطاة بلا منقار. فعرف هشام أنه يصفه

---

(١) **السقط**: المبتذل من الكلام. (٢) **رتكت**: من رتك البعير إذا عدا في مقاربة خطو.

(٣) **الذوائب**: جمع ذؤابة وهي الضفيرة، وذوائب الخطوط من قبيل المجاز.

(٤) **الحلي والحلى**: جمع حلية: ما يزيّن به، وحلى الكتاب ما يزيّنه من فصول وأبواب.

(٥) **قرمط بين الحروف**: أي قارب بين السطور، وقرمط الكاتب جعل كتابته دقيقة.

(٦) **المحجن**: العصا المتعقفة الرأس.

وأضلّ رجلٌ بعيراً فقال لأعرابي: هل رأيت بعيراً سمته جعفر؟ فقال: ما أعرف جعفراً، ولكن رأيت بعيراً سمته محجن وسابورة وحدقة وهلال متصل بعضه ببعض، فقال: هاهوذا.

وقال مشمشة المخنث للصولي: اكتب مشمشة يقرأ عليك السلام، فقال: قد كتبت فقال أرنيه فإن في اسمي دخالة[1] الأذن فقال: عجبت من جودة تشبيهه.

● تشبيهاتُ بعضِ حروفِ المعْجَم

دعا أبا النجم بعضُ أصدقائِهِ فعادَ عنه سكرانَ فقال:

أقبلتُ من عندِ زيادٍ كالخرف   تخطُّ رجلايَ بخطٍّ مختلف

كأنما يكتبان لام الألف

وقال عبد السلام الحمصي:

كأنّ قاماً أديرت فوقَ وجنتِهِ   واختطَّ كاتبُها مِنْ فوقِها ألِفا

وقال أبو نواس في حَباب الكأس:

خلتُه في حَبَباتِ الكأسِ واواتٍ صِغارا

وقال بعضهم في وصف بخيل: كأنه عثمان من خبث حتته، وحذت لا، وفي تشبيه الشارب قال: فجاء كعطف الصاد في خط كاتب.

● تتريبُ الكتب

قال النبي ﷺ: اتربوا الكتب فإنه أنجح للحوائج.

وكان الفرزدق كتب وصيّة وأعتق عبداً عن دبر فترب الكتاب[2] العبد، فقال: استعجب الحاجة واستعجلت المنيّة لي يا ابن الفاعلة، احذفوا اسمه من الوصيّة.

رفع رجل قصة إلى عبد الله بن طاهر وقد أكثر عليها من التراب، فوقّع فيها إن ضمن لنا من الصابون ما ينقّي ثيابنا من تراب كتابه ضمنا له قضاء حاجته.

● الكتابةُ في الأنصاف والظهر

قال الشاعر:

أنت لما ابتدأت تكتب في الأنـ   ـصاف حقاً من قلّة الإنصاف[3]

---

(1) الدخالة من الأذن ونحوها: الدخلة أي الباطن، و تدخال دخول بعض المفاصل في بعض.

(2) تتريب الكتب: أن يجعل التراب على الكتابة.

(3) الأنصاف: جمع نصف، والإنصاف: القسط والعدل وقد جانس بين اللفظتين.

وكتب أحمد بن يوسف إلى صديق له: كتبت إليك في الظهر تفاؤلاً بأن يظهرك الله على من ناواك[1]، ويجعلك ظهراً لمن والاك.

قال الشاعر:

العذرُ في الظهرِ عند الحرّ مسيطٌ ... إذا رأى سطوات الدّهر بالنعم
لو كانَ يصلحُ حذّي ما جرى قلمي ... إلا عليه على أن المداد دمي

وقال آخر:

كتبَ القراطيسَ لذي حشمةٍ ... وكتبَ ما بالظهرِ للناس

● **المكتوبُ على الحواشي**

قال بعضهم: اطلبوا النكت في الحواشي والحواشي[2]. وقيل: التعليق في الحواشي كالشنوف[3] في آذان الأبكار.

● **الحكّ**

قيل: من كثر شكّه جاد حكّه.

وقال علي بن عيسى لجماعةٍ من الكتّاب، رأى في كتابتهم حكّاً كثيراً: ما زلتم تغلطون وتحكّون حتى حذقتم بالحك.

ورأى الصاحب حكّاً كثيراً في حساب دفع إليه، فقال: أرى فيه تأثير السكين أكثر من تأثير القلم.

قال الشاعر:

حذقُك بالحكّ دليلٌ على ... أنكَ في الكتب كثيرُ الخطأ

● **النظرُ في كتابِ الغير**

قال الفضل بن الربيع: كنتُ أقرأ في كتاب، وإلى جانبي رجلٌ من أهل المدينة، فجعل ينظر فيه: فلمحته وقلت: ما تصنع ويحك؟ قال: بلغني أن النبيّ ﷺ قال: من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما يتطلع في النار، وقد أشاح قد تقدّمو فقلت لعلّي أرى أعظمهم.

وكتب بعض الكتّاب كتاباً وإلى جنبه رجل يتطلع، فكتب فيه: ولولا أنّ ابن الزانية فلاناً يتطلّع عليّ فيما أكتبه، لشرحت كثيرٌ مما في قلبي، فقال الرجل: يا سيدي ما كنت أتطلع عليك، فقال: يا بغيض فإذا من أين علمت ما كتبت فيه.

---

(١) ناواك: مخفف ناوأك أي عاداك وعارضه.

(٢) الحواشي: جمع حاشية وهي الهامش من الكتاب أو الطرف من الثوب.

(٣) الشنوف: جمع شنف، وهو ما يعلق في الأذن أو أعلاها من الحلي.

- **ترشّشُ المِداد على الثوب**

قال محمد بن مهران:

لا تجزعَنّ من المدادِ ولطخِهِ ... إنّ المِدادَ خلوقُ ثوبِ الكاتبِ[1]

وقال الحسن بن وهب:

وما شيءٌ بأحسنَ من ثيابٍ ... على حافاتِها سِمَةُ المِدادِ[2]

وقال آخر في نقيض هذا:

يدلّ على أنّه كاتبٌ ... سوادٌ بأظفاره راسبٌ[3]

فإنْ كان هذا دليلاً لنا ... فإسكافُنا كاتبٌ حاسبٌ[4]

- **التاريخُ**

كانَ الرسم أن يؤرخَ بكل وقت تحدث فيه حادثة ظاهرة مشهورة. فالروم كانت تؤرخ بملك ذي القرنين وهو **الإسكندر**، والفرس كانت تؤرخ بأعدل ملك كان يتفق لها، إلى أن باد ملكهم بيزدجرد فهم يؤرخون منه، والعرب بمشاهير الحوادث كنزولِ **إسماعيل** مكّة، وعام الفيل، وهجرة النبي ﷺ وعليها استقر الحكم إلى الآن. وأول من أرّخ بذلك في الإسلام **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه.

- **العنوانُ**

الرسم أن يكتبَ اسم الكاتب ضئيلاً والمكتوب إليه فخلاً جسيماً. ورأى طاهر بن الحسين رقعةً لابنه، إلى المأمون وعليه عبده عبد الله، فقال: يا بنيّ أبدل هذه اللفظة شيئاً آخر فإني سميتك عبد الله فلا تشرك معه في ملكه غيره.

ووقّع المهدي في كتاب رجل كتب عليه عبده: لا أعدمنّ أحداً ينسب نفسه إلى مخلوق مثله على عنوان، فإنه ملق كذب لا يقبله إلا مفتون أو مأفون.

- **الختْمُ**

قيل في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾[5]، أي مختوم. وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾[6]، أي مختوم.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): الكتاب بلا ختم يسمى **أقلف** وهو استهانة بالمكتوب إليه.

---

(١) **الخلوق**: ضرب من الطِّيب وأكثر أجزائه من الزعفران.
(٢) **الحافات**: جمع حافة وهي الحاشية ـ السِمة: العلامة ـ المداد: الحبر.
(٣) **الراسب**: الباقي من أسفل الشيء.
(٤) **الإسكاف**: صانع النعل أو مصلحه.
(٥) **القرآن الكريم**: الواقعة/ ٧٨
(٦) **القرآن الكريم**: النمل/ ٢٩

وقال عمر (رضي الله عنه): طينة خير من ظنّة.

وقيل: الختم ختم، وقيل: التصفّح قبل الختم والختم بعد العنوان.

وسأل بعض الأدباء رئيساً أن يختم كتابه فقال:

يا أيّها الملك المفدّى ... أمرُه شرقاً وغرباً
امنُنْ بختم صحيفتي ... ما دامَ هذا الطينُ رطْباً
واعلَمْ بأنّ جمالَه ... مما يزيدُ السهلَ صعبا

وكتبَ بعضُهم إلى رئيس: تختمُ كتبَك لأنها مطايا البرّ[1]، وأنا لا أختمها لأنها حواملُ شكر.

● القصّةُ والتوقيع

قال الصاحب لرجل رفع إليه قصّة وهو يكثر الكلام: هذا رفع القصص لا رفع القصص[2].

وجاء رجل يطلب منه توقيعاً بالجواز، فقال: يكتب جواز لحيته على طريق فقحته.

وقيل التوقيع إلى ذوي الأقدار موق[3]

● مدحُ الورّاقين وذمُّهم

قيل لا تقعدنّ في السوق إلا إلى ورّاق أو زرّاد، فهما مأمنان للأوغاد.

وقال هيلوس الحكيم: لا تكوننّ وراقاً لأنك فإن الدفاتر للعلماء والجواهر للملوك ووجدان الصنّاع في الناس قليل.

وقال الجاحظ في ذمّهم: لم أر شراً من الورّاقين مع أن صناعتهم نسخ الأخبار لذوي الآداب والألباب[4]، وورّاق المصاحف شر.

وقال: نبئت أن شيخاً منهم عثر عليه بحبر، فبال في المحبرة وكتب به المصحف والماء منه غير بعيد.

وقال ورّاق: عرضي أرقّ من الزجاج ومجالي في طلب الرزق أضيق من المحبرة ووجهي في الناس أشدّ سواداً من الحبر.

وقيل لورّاق: ما تشتهي؟ فقال: قلماً مشاقاً وحبراً برّاقاً وجلوداً رقاقاً والله سبحانه أعلم.

---

(١) البرّ: الإحسان والعطاء، ومطايا البر من باب المجاز.

(٢) القِصص: جمع قصّة وهي هنا الأمر الحادث، والقَصص (بفتح القاف)، جمع قِصّة بمعنى حكاية ولكلام الصاحب انتقاد بلا طائل في رفع الأمر أو حادثة.

(٣) الموق: الحمق.

(٤) الألباب: العقول، جمع لب.

(١١)
ومما جاء في التصحيفات

●

● النهي عن أخذ العلم من الصحفي

قيل لا تأخذوا العلم من صحفي، ولا القرآن من مصحفي، وهجا بعضهم أبا حاتم فقال:

إذا أسند القومُ أخبارَهم ... فإسنادُه الصحفُ والهاجس

وقال أبو نواس في مرثية خلف[1]:

أودَى جماعُ العلمِ مذ أودى خلفْ ... فليدم من العياليم الخسف
رواية لا يجتنى من الصحف

● المهجو بكثرة التصحيف

قيل: كان يمسح على لسانه العلم ثلاث مرات، فإنه يكتب في ألواحه خلاف ما يسمع، وينقل من ألواحه إلى الدفتر، خلاف ما يكتب، ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما يكتب. وقال شاعر:

ولم يسمع المخو لكتبه ... قراءته شيئاً وقد صحّفه[2]

● تصحيفاتٌ متوالية إلى ما لا معنى له

وجد معلم يلقن صبياً

عفتِ الديار محلُّها فمقامُها ... بمنى بأبد عولها فرجامها[3]

وإنما هو:

عفت الديار محلّها فمقامُها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها

قال الجاحظ. ومررت بمعلّم وهو يلقن صبياً.

يا أبا الفياش حشى ... اخرج الفتيان غشا
لمش في الأرض أباس ... شزسوا أيلح مشا

فقلت: بالعبرانية هذا؟ قال: لا، هو بالعربية. فلما تأملته إذا هو مكتوب

يا أبا العباس حبى ... أخرج الفتيان عشا

---

(١) خلف: أي خلف الأحمر وهو من أساتذة أبي نواس على درس صناعة الشعر.

(٢) قراءته: أي قرأ منه بتخفيف الهمزة.

(٣) عفت الديار: امحت آثارها ـ انظر معلقة لبيد بن ربيعة في شرح المعلقات العشر المذهبات للتبريزي (دار الأرقم).

ليس في الأرض أناس شربوا أسلسح منا

فقلت: أيها المعلم أنك ضائع بهذا البيت. **قال.** نعم قدور ومزاريق[1]. ورئي صبيّ يقرأ على معلم:

والشيخ لا يترك أجلافه حتى يوارى في ثرى دمسه

فإذا هو:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه[2]

● **تصحيفاتٌ في القرآن مستهجنةٌ[3]**

سمع رجل يقرأ: ربّما زنك من تدخل سار فقد أخزيته بالراء. فقال بعضهم أخزه ولكن بلفظ أحسن من هذا.

وقال رجل في مجلس الشافعي رضي الله عنه كيف يقرأ بشوال يمحنث أو بشوال يعجبك؟ **فقيل.** ليس في القرآن شيء من ذلك **فقال الشافعي** دعوه لي إنما هو بسؤال نعجتك

وقال الجاحظ: سمعت من يقرأ صي والقرآن[4] وقرأ آخر وفرش مرقوعة[5] وقرأ آخر إن السموات والأرض كانتا ريقاً[6] وقرأ آخر بيبة[7] من ربكم وقرأ آخر ومريم بنت عمران التي أخصبت[8] فرجها.

● **تصحيفاتٌ في الحديث مُستقبحة**

قرأ بعضهم أن النبي ﷺ بلع قديداً، وإنما هو بلع قديداً وقرأ آخر كان النبي ﷺ يكره النوم إلا في القدر وإنما هو الثوم وقرأ آخر عن القباب المحدث لا يدخل الجنة قياب. فقال أعيذني بالله إنما هو قتات فقدم القارىء إليه وعرك أذنه وقال ما صنع المسكين حتى لا يدخل الجنة؟

وقرأ آخر كان النبي ﷺ يحب بعسل يوم الجمعة وإنما هو الغسل

وقرأ آخر عمّ الرجل صيق أبيه وإنما هو عمّ الرجل صنو أبيه

وقرأ آخر لا يرث جميل إلا بثية وإنما هو لا يرث حمل إلا ببيّنة

وقرأ آخر. إن أردت أن تمغط فدخل المقابر وإنما هو تتعظ

---

(1) **مزاريق الأباهر:** جمع مزراق وما يؤخر حمله إلى الوراء

(2) **رمسه** أي قبره.

(3) **المستهجن:** المستقبح وغير المستحسن

(4) **صي والقرآن** والصواب. ص

(5) **فرش مرقوعه** والصواب: مرفوعه

(6) **ريقاً** رتقاً.

(7) **بيبه من ربكم** تنيه

(8) **أخصبت:** أحصنت

وقال أبو بكر أحمد بن كامل: حضرت شيخاً، فقال عن رسول الله عن جبريل عن الله عن رجل، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله يروي عنه؟ فإذا هو عزّ وجلّ.

وقرأ محدّث كان النبي ﷺ يغسل حصى الحمار. فقيل له: وما أراد بذلك؟ فقال: التواضع. وإنما هو حصى الجمار.

● من صحّفَ وتأوّل برقاعته

قرأ بعضهم: فأوجس في نفسه جيفة، فقيل: هو خيفة. فقال: لا، بل لأنه توضأ ولم يغسل استه.

وقرأ آخر في روضة يحبرون. فقال: حشك زم جواري فقال: ما أرادوا فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

وقرأ آخر ما سأل به جبيراً[1]. فقال: من جبير؟ فقال: والد سعيد. وقرأ رجل على محمد بن حبيب من شعر الراعي، تعود ثعالب السرقين منه، فقال: إنما هو ثعالب الشرفين منه فقال: إن الثعالب أولع شيء بالسرقين فقال: أتصحيف وتفسير!

● تصحيفٌ فيه نادرة

قرأ رجل على ابن مجاهد بل عجبت ويسخرون. قال: أحسنت فمع العجب سخر التنور

وقرأ صبيّ على معلم أني أريد أن أنكحك، فقال: هذا إذ قرأت على أمك

وقرأ آخر وأما الآخر فتصلب، فقال: هذا إذا قرأت على أبيك الكشخان، وعلى رجل

خليلي هبا نصطبح بسماد

فقال اصطبح به وحدك، إنما هو بسواد.

● تصحيفٌ أفضى إلى مضرّة

كتب الوليد بن عبد الملك إلى والي المدينة: أحص من قبلك من المخنثين فوسم الذباب على الخاء فقرأ الكاتب أحص. فقال العامل: لعلّه أخص فقال الكاتب: على الخاء نقطة كسهيل، فخصى جماعة منهم ولكل واحد نادرة.

وكتب صاحب الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فلاناً يعني قائداً كبيراً له خزلجية، ويجلس مع النساء فكتب إلى العامل ابعث إلي فلاناً وخزلجيته. فقرأ الكاتب وجزّ لحيته، فأخذه وحلق لحيته وأشخصه[2] فلمّا أبصره رأى آية فضحك وحلاه.

وكان حيّان بن بشير يملي أن عرفجة أصيب يوم الكلاب وكان مستمليه يعرف ملحه، فقال: إنما هو الكلاب بالضم، وحبست أنا من أجله.

---

(1) والصواب: خبيراً. (2) أشخصه: بعث به، أرسله

● تصحيفٌ أفضى إلى فائدة

كان تميم بن زيد والياً على الهند، وفي حبسه رجل، يقال له حبيش فجاءت أمه إلى الفرزدق، وسألته أن يتشفع به. فكتب إليه كتباً فلم يدر أخنيش أو حبيش، فأمر أن يطلق كل محبوس اسمه شيء من ذلك. فأطلق بذلك عدة.

وأنشد رجل الأصمعي، «كليبي لهم يا أميمة بصبت»[1]، فقال له الأصمعي: أما علمت أن كل ناجمة الأديين تحيض وكل سكء الأديين تبيض؟ فقال أبو الحسين الكوفي لم أر تصحيفاً أجلب للفائدة منه.

وغنت جارية للرشيد:

أظلــوم إن مــصـابـكـم رجــلاً   أهــدى الـسّـلام تـحـيّـة ظــلــم

فقال الكسائي: إنما هو مصابكم رجل. فقالت الجارية: إني أخذت هذا الشعر عن أصح الناس وآدبهم أبي عثمان المازني بالبصرة (هكذا) فقال الرشيد ليكتب إلى العامل بالبصرة بإطلاق نفقة المازني وإشخاصه فلما أشخص ودخل إلى الرشيد، سأله عن حاله. ألك ولد؟ قال: نعم بنية فقال: وما قالت لك قال أنشدتني

أيــا أبـتــا لا تــرم عــنــدنــا   فـإنّــا بــخــيــر إذا لــم تــرم

قال وبماذا أجبتها، قال قلت

ثــقــي بــالله لــيــس لــه شــريــك   ومن عند الـخـلـيـفـة بـالـنـجـاح

فسأله عن البيت المغنى به فقال إنما هو رجلاً وخبرانِ إنما هو ظلم. فقال أجدت وأصبت فأعطاه مالاً وأكرمه وردّه إلى البصرة مكرّماً.

● إدعاءُ تصحيفٍ أدّى إلى خلاص

أتى عبد الملك بخارجيّ فأمر بقتله، وقال ألست القائل

ومنا حـصـيـن والـبـطـيـن وقـعـنـب   ومــا أمــيــر الــمــؤمــنــيــن شــبــيــب

فقال إنما قلت: أمير المؤمنين، أي يا أمير المؤمنين فأطلقه

وأحضر جعفر بن سليمان الهاشمي خطبي المقدم الهذيلي وفيه

يا ابن الزواني من بني معاوية   أنــت لـعـمـري مـنـهـم ابـن الـزانـيـة

فقال: إنما قلت: يا ابن الرواني وأنت بن الرانية أي اللواتي ينحن على موتاهم

(١) الصواب: كليني لهم يا أميمة ناصب وهذا مطلع قصيدة للنابغة الذبياني

وحكي أن علوية الشاعر اجتمع عليه صوفية، وقالوا له أنت أنشدت:

طـاب لـنـا الـرفـض بـغـيـر حـشـمـه

فقال: إنما قلت: طاب لنا الرقص فرضوا عنه وانصرفوا.

● تغيير كتابةٍ قليلة يغير بها المعنى

خرج توقيع من الرشيد إلى بعض أوليائه، بقطاع مائة ألف وألف دينار إلى الري فدفع إلى معين لينسخه وطلب رسماً من صاحبه، فامتنع. فزاد المعين ألفاً وجعله أو ألف دينار. فلما أخرج وأوصله إلى العامل، قبل ذلك ما فيه توفير السلطان من أحد هذين. فقال: إنما أمر لي بهما. فاسترجع التوقيع وعاد به إلى الحضرة، فلما رآه الرشيد، ضحك وقال: لعلك لم ترض الكاتب فأصلحه. وعلّق ستر على باب أم جعفر وكان قد أمر أن يكتب عليه السيدة الميمونة المباركة، فأغفل المطرّز الراء فدخل الرشيد فرآه وقرأ مناكة، فضحك وأمر أن يمزق.

وقال الصاحب: لا ينبغي أن يحافظ ... بحراستها ونظرها ولا عقلها لأنه لا يؤمن أن يصحف بحراستها ونظرها وعقدها. ودفع المعروف بصخرة دبير قصة إلى الصاحب يستوهب منه شيئاً وفي آخر القصة فعل إن شاء الله فزاد الصاحب فيه ألفاً وجعله أفعل إن شاء الله. وقال: حذفها فقد وقعت بك. فأخذ صخرة دبير القصة فتأمله فلم ير توقيعاً، فراجعه مرتين كل ذلك يقول: قد وقعت فيه حتى أراه الصاحب ما أثبته من الألف.

● من صحّف عند رئيسٍ بما أضحك

قرأ بعضهم عند رئيس: جحصرطي، إنما هو حاصرطي وحضر أحمد بن أبي خالد وزير المأمون يتتبع القصص، فأخذ قصة فقرأ أحمد الثريدي وإنما هو البريدي فقال المأمون: يا غلام احضر لأبي العباس طعاماً فإنه جائع وعزم عليه ليأكل فأكل، ثم عاد فمرّ بقصة فيها فلان الحمصي فقرأ الخبيصي فقال المأمون: يا غلام أظن أن طعامه كان مبتوراً عن الحلواء، أحضره خبيصاً فأتي بجام فامتنع. فقال: عزمت عليك لتأكلن فأكل ثم لم يعثر بعد.

والذي قرأوانا فداؤك من الشوكله إنما هو من لسوء كله

والذي قرأ على أمير المؤمنين الحنيفة انفط على أمير المؤمنين إنما هو ابعط أي أبعد.

وقال بعضهم: حضرت مجلس قاضي القضاة عبد الجبار فقال له بعض العلوية الكبار: ما هذا الذي يقوله النحاة في كتبه الكس بالكسب، أراد الكسب فضحك كل من عنده فأنشد فيه:

إذا الغصنُ لم يثمرْ وإن كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس في الحطب

● **تصحيفاتٌ مستحسنة**

قرأ الأصمعي على أبي عمرو هذا البيت:

وعزرتني وزعمت أنك لاتني بالصيف تأمر ... وإسـمـ هـو لابـن بـالـصـيـف تـامـر

فقال أبو عمرو: إنك في التصحيف أشعر من الحطيئة.

وكان حمّاد الراوية، لا يحسن القرآن فقيل له: لو قرأت القرآن، فأخذ المصحف، وقرأ فلم يزلّ إلا في أربعة مواضع قال: عذبي أصيب به من أساء، وقوله: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه، ومن الشجر ومما يغرسون بل الذين كفروا في غرّة وشقاق.

● **من عجمَ[1] حرفاً عمدَ إلى تصحيفه**

دفع رجل إلى محمد بن عبد الله قصّة عليها حريت بن الفراس فعجمه، وقال: خريت في الفراش، ووقع تحته بئسما فعلت.

ووجه إلى المأمون رجل، وقيل سابق الحج فتبطأ الرجل فنقط تحته، وجعله سايق الحاج. وكتب أبو تمام رقعة إلى عبد الملك بن صالح وعليها حبيب فنقطه وجعله جبيت.

● **من هجا أو مدح بإدّعاء تصحيف**

هجا أبو نواس أبان اللاحقي فقال:

صحفت أمك إذ سمّتك في المهد أبانا ... قـــد عـلـمـنـــا مـــا أرادت

لم ترد إلا أتانا

وقال آخر يهجو:

رأى الصيف مكتوباً فظنّ بأنّه ... لتصحيفه ضيفاً فقام يراثه

وقال المتنبي:

جرى الخلف إلا فيك إنك واحد ... وأنـت لـيـث والـمـلـوكُ ذئـابُ

وإنّك لو قويست صحّف قارىء ... ذئاباً ولم يخطىء فقال ذبابُ

● **كلماتٌ تعسُر قراءتها ويعسُر تصحيفُها**

استؤمر عبد الله بن طاهر في بناء موضع، يقال له لبب فوقّع له، لبنا لبنا لبنا لبنا لبنا ووقع في رقعة بسبب عزير بن نوح عزير عزير عزير عنيا ومن عزير، ووقع أيضاً معاوية ابن معاوية ليحيى ليحيا حراج جراح فقد فقد، ووقّع علي بن رستم لرجل: عزك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدء بهذا والسلام

---

(1) **العجم:** من عجم الكتاب إذا نقطه بالسواد لإزالة عجمته أي إبهامه

(١٢)
ومما جاء في آلات الكتابة

•

• فضلُ القلم ووصفُه

بأنه مثبت الحكم قال الله تعالى ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١) وقال تعالى ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾(٢).

وقيل: كم من مآثر بنتها الأقلام فلم تطمع في دروسها الأيام، وقيل: القلم قيم الحكم.

ونظر المأمون إلى مؤامرة بخطٍّ حسن فقال: لله درّ القلم كيف يزين وشي المملكة

وقيل: القلم في حساب الجمل نفع وذلك أن حروفه مائتان وواحد، وعدد نفع مثله في الحساب، وهذا اتفاق طريف.

• وصفُ قلمٍ ممدوحٍ بأنه يجدي(٣) ويردي(٤)

وقال شاعر:

قلمٌ يمجُّ على العداة سمامَه   لكنّه للمرتجين سماءُ(٥)
كمْ قد أسلت به لعدوك ربقةً   سوداءَ فيها نعمةٌ بيضاءُ(٦)

وقال ابن طباطبا:

وإذا انتضى قلماً ليخطـ   ـطَ خلتَ في يمناه نصلا(٧)
كمْ ردَّ عاديةَ الخطو   بِ وكمْ أعزّ، وكمْ أذلّا(٨)
يجري فيؤمنُ خائفاً   ويصيبُ في الأعداء نبلا(٩)

وفي وصفه شجاع يمجّ السم والعسل.

ولابن ثوابة في وصفه:

كالنّار يعطيك من نورٍ ومن حرقٍ   والدهرُ يعطيك من همٍّ ومن جذلِ

---

(١) القرآن الكريم ن/١.   (٢) القرآن الكريم العلق/٤.
(٣) يجدي: ينفع ويفيد   (٤) يردي: يهلك
(٥) يمجّ: يقذف أو يطرح ويرمي
(٦) شبّه ما يخطه القلم من أمر بالعطاء ونحوه بالربقة السوداء
(٧) انتضى: استلّ، وانتضى أصلاً للسيف فاستعاره للقلم ـ النصل: السيف
(٨) الخطوب: النوائب والمصائب، جمع خطب
(٩) يجري (القلم): أي يسير بأنامل الكاتب فوق الصحيفة ـ يؤمن الخائف: يعطيه الأمان أو يشعره به ـ يصيب: يرمي ـ النبل: السهام ـ يشبه وقع الكلام بوقع النبال في الحرب والقتال.

وقال أبو الفياض الصابيء في الصاحب بن عبّاد:

أقالَ اللهُ للأقدار سيري ... وفي أقلامِ إسماعيل صيري

● **تفضيلُ القلمِ على السّيف**

قال محمّد بن علي يمدحُ:

في كفّه صارم لانتْ مضاربُه ... يسوسُها رغباً إن شاء أو رهبًا[1]

السيّفُ والرمحُ خدّامٌ له أبداً ... لا يبلغانِ به جدّاً ولا لعبا[2]

فما رأينا مداداً قبل ذاك دماً ... ولا رأينا حُساماً قبل ذا قضبا[3]

وقال ابن الرومي:

كذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِيَتْ ... أنّ السيوفَ لها مذْ أرهفَتْ خدَمُ

● **تفضيلُه على القلم**

فاخر السيف القلم **فقال القلم:** أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطر. **فقال السيف:** القلمُ خادمُ السيف إن نيل مراده، وإلا فإلى السيف معاده.

وقال البحتري:

وعادةُ السيفِ أن يستخدِمَ القلمَ

وقال المتنبّي:

حتّى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي ... المجْدُ للسّيفِ ليسَ المجْدُ للقلمِ

اكتبْ بنا أبداً بعدَ الكتابِ به ... فإنّما نحنُ للأسيافِ كالخَدَمِ

● **وصفه بأنه يكشفُ عنِ الضمائر**

قال بعضهم: القلمُ يرفعُ بنات القلوب إلى حدودِ الكتُب. **وقالَ ابن المعتز:** القلمُ يخدم الإرادة ولا يملّ الإستزادة، يسكت واقفاً وينطق سائراً. **وقال شاعر:**

ومكشف السرِّ الضمير بلا معاناةٍ[4] السؤال

وقال آخر:

نواطقُ إلا أنّهن سواكتٌ ... يترجمْن عمّا في الضميرِ مُكتّما

وفي وصفه:

عجبْتُ لذي سنّين والماءُ بطنُه ... لهُ أثرٌ في كلّ مصرٍ ومعمرِ

---

(١) الصارم: السيف ـ شبه به القلم ـ رغباً ورهباً: مطابقة بين المرغوب فيه والمرهوب منه.

(٢) الجدّ واللعب: من باب الطباق إشارة إلى ما يخطه القلم من كلام جادّ أو ساخر.

(٣) شبه المداد الذي يكتب به بالدم كناية عما تنطوي عليه الكتابة من قتل وهدر.

(٤) المعاناة: المكابدة وتحمل العناء.

وقال ابن المقفع: القلمُ بريد القلبِ، يخبّ[1] بالخير وينظر بلا بصر. وقال ابن أبي داود: القلمُ سفيرُ العقلِ، ورسولُ الفكرِ، وترجمانُ الذهنِ.

● وصفُه بأنه أخرسُ ناطِق

قال الشاعر:

وأخرسُ ناطقٌ أعمى بصيرٌ ... بليغٌ عند منطقِه عييّ
متى ترعفْ مناخِرُه سواداً ... يخبّر عنك بالمعنى المضيّ[2]

وقال محمد العلوي:

أخرسُ يُنبيكَ بأطرافِهِ ... عنْ كلِّ ما شئتَ من الأمرِ[3]
يذري على قرطاسِه دمعةً ... يبدي بها السرّ وما يدري[4]
كعاشقٍ يُخفي هَواهُ وقدْ ... نمّتْ عليْهِ عَبرَةٌ تجري[5]

● لغزٌ في وصفِ القلَم

قال الشاعر

وبيتٍ بعلياءِ الفلاةِ بنيتُه ... بأسمرَ مشقوقِ الخَياشيمِ يرعفُ

وقال آخر:

وأجوفُ يمشي على رأسِه ... يطيرُ حثيثاً على أملسِ
مهمّتُ بآثارِه ما مضى ... وما هو آتٍ ولمْ يلبسِ

● وصفُ دَواةٍ وقَلَم

قال الشاعر:

وزنجيّةٍ لمْ تلدْها الإماءُ ... وفي جوْفِها منْ سِواها وَلَدْ

وكتب ابن طباطبا إلى ابن أبي تغل، وبعث إليه قلماً أسود وآخر أبيض وسبعةَ سمرا

هذا ابنُ سام وبنتُ حام ... شقيقُهما اليومَ ذو التمام
قدْ أظهرا في الورى ازدواجاً ... فامتزجَ النورُ بالظلامِ
وأتلا صِبْيةً صغارا ... سبعاً يوافينَ في نظامِ
منْ مدّى الدّهر مرضِعاتٌ ... يشتقن ربا إلى الفطامِ

---

(١) يخبّ: يسير خبباً والخبب ضرب من العدو

(٢) ترعف المناخر: تنزف دماً، والكلام هنا من باب التشبيه والمجاز، فقد شبّه ما يسيل من الكلمات بالقدم بالدماء

(٣) ينبيك: مخفّف ينبئك

(٤) يذري: ينثر ـ القرطاس: الصحف   (٥) نمّت عليه: وشت به ـ العبرة: الدمعة

● اختيارُ آلةِ الأقلام

قال الصولي لغلام: ليكنْ قلمُك صلباً بين الرقة والغلظ، ولا تبره عند عقدة فإنّ فيه تعقيد الأمور، ولا تجعلنّ في أنبوبةٍ أنبوبةً، ولا تكتبنّ بقلمٍ ملتوٍ ولا بذي شقٍّ غير مستوٍ.

● أدبُ بري القلم والاستكتاف منه

قيل: ليكن مقطُك إذا قططت صلباً، لئلا يتشظّى[1] القلم. **وقال عبد الحميد الكاتب**: أطِلْ جلفةَ قلمك وأسمنْها، وحرّف قطتك وأيمنْها.

وقيل: تبطينُ القلم شؤمٌ وحرفه حرف. **وقيل**: القلمُ المحرفُ للرجل المحارف.

وأوصى بعضُهم كاتباً فقال: أجِد قلمَك فالقلمُ الرديءُ كالولد العاق[2].

وقيل: إذا لم تسمع لقطك صوتاً كصوتِ القسيّ ووقعاً كوقع المشرفيّ فأعد القطَّ.

وقال الصاحب لكاتب في مجلسه: ليس لك في مجلسي إلا القطّ فقط.

● التملّحُ ببري القلم والاستكتافُ منه

قال الشاعر:

دحيلٌ في الكتابة ليس منها ... فما يدري دبيراً من قبيل
إذا ما رامَ للأقلام بريا ... تنكّبَ عاجزاً قصدَ السبيل

قال كُشاجِم:

لَمْ ترَ قطّ بارياً قلماً ... في بريه كل مهنة وضعه
ما كلّ من يحمِلُ الحُسامَ لكي ... يُزدي به سنّه ولا طبعه

وقال أبو الحسن بنُ سعد: كنتُ عند عليّ بن سعد فرأيتُ له أقلاماً رديئةَ البري، فأخذتها وأحسنت بريها فقال: يا أبا الحسن عليك بالكتابة دون هذه التجارة.

● السكّين

قيل: السكّين مسنُّ الأقلام تشحذه[3] إذا كلّت[4]، وتلمّه إذا تشعّثت[5]، وأحسن السكاكين ما عرض صدرُه وأرهف حدّه ولم يفصل عن القبضة نصابه.

وقيل لكاتب: سكّينُك ليس بقاطعٍ فقال: هو أقطع من البين[6].

---

(١) **يتشظّى**: يتقطع شظايا أي قطعاً متناثرة. (٢) **الولد العاق**: الولد الجاحد العاصي.
(٣) **تشحذ (هنا)**: تبري الأقلام.
(٤) **كلّت**: تعبت، والكلال هنا كناية عما يكون أصاب القلم من بري ونحوه.
(٥) **تشعثت**: تفرقت. (٦) **البين**: الفراق.

ولأبي حفص الورّاق كتبه على سكين:

سكينُنا من يره سيعجبُه ... وقاهُ ربّي شرّ من يستوهبُه
وكيد من يسرقُه ويغصبُه ... ما أظلمَ الليلُ ولاحَ كوكبُه

وقال ابن نباتة

مرهفةٌ تعجزُ وصفَ البيان ... للسيف معنى ولها معنيان
تخلفُه في حدّه تارةً ... وتارة تخلفُ حدّ السنان
ما أبصرَ الناظرُ من قبلها ... ماءً وناراً جُمعا في مكان

● مقطّ ومخراك

وقال الشاعر:

معه مقطٌّ قد تحلّى سنّها ... شبه الصدود بدا بحلف غرامِ
يحكي سويداء القلوب إذا رمتْ ... فيها لواحظَ شادنٍ بسهامِ
وانضافَ مخراك إليه كأنّما ... أخلوه قدّ الصارمِ الصمصامِ

وقال أبو الحسن المشطّب الهمداني:

إنني مُلفِذٌ إليك مقطّاً ... بكهرديرا كأبر عير مري
سابغاً طولُه شديداً قواهُ ... فاتخذه كمائة لقص

● استهداء المداد والمداة

كتب بعضهم إلى صديق يستمدّ منه مدادا:

أنا أشكو إليك من دواتي ... هي عوني وعدّتي وعتادي
عطلَتْ من مدادِها فاستعاضتْ ... يققَ اللون من حلوك السواد[1]
لم تزلْ من بناتِ حام فجاءتْ ... من بني يافثٍ بغير ولادِ
أنتَ للحادثاتِ عدّةُ صدقٍ[2] ... فترى أن تمدّها بمداد

وقال عبدان:

هل لك في أنْ تحوز محمدةً ... أنفسَ من فضّة ومن ذهبِ
زوّدْ فتاةً أتتك رائقة ... بدرّة الفحمِ لابنةِ القصبِ

● الحِبْر

قال بعض الأدباء بالحبر تصبغُ حكمُ الأحبار، وسواده تتضحُ سنة الآثار

(١) عطلت من مدادها جف حبرها ـ اليقق: اللون الأبيض
(٢) العدّة: الأداة

وقيل لورّاق: أخفِ رداءة خطّك بجودة حبرك، وقيل: عطّروا كتب عدوكم بالحبر، فالحبرُ غاليةٌ والكتابُ عانية.

وقال الشاعر:

وأكـرِمْ بـحـبـرٍ بـهـا لـجّـة ... جـواهـرُهـا حِـكَـمٌ تُـنـثَـرُ

وقال كشاجم في من أعطاه محبرة:

محبرةٌ جادَ لي بها قمرٌ ... مستحسنُ الخلْقِ مرتضى الخُلُقِ
كأنّما حبرُها إذا سُبِرَتْ ... أقلامُنا طلّه على الورَقِ
كحلٌ مرتْه الجفونُ من مُقَلٍ ... نُجْلٍ فأوفَتْ به على يَقَقِ
خرساءُ لكنّها تكونُ لنا ... عوْنا على علمِ أفصحِ النطُقِ

- **لَوْحُ الحِساب**

قال كُشاجِم:

نعْم المعينُ على الآدابِ والحِكَمِ ... صحائفٌ حسنتْ الألوانِ كالظُّلَمِ
جفّتْ وخفّتْ فلم يُدْنِسْ لِحامِلِها ... ثوبٌ ولم يُخشَ فيها سوءُ القلمِ
لو كنّ ألواحَ مُوسَى[1] يومَ أعجلَه ... هارونُ لم يلقِها حزناً من النّدمِ

- **لَوْحُ الهندسة**

وقال كُشاجِم:

وقــلــمٌ مــدادُه تــرابُ ... في صُحُفٍ سطورُها حِسابُ
يكْثُرُ فيهِ المحْوُ والإضرابُ ... من غيرِ أنْ يُسَوّدَ الكتابُ
حتى يبينَ الحقّ والصّوابُ ... ولَبْسَ إعجامٌ ولا إعرابُ
فيهِ ولا شكٌّ ولا ارْتيابُ[2]

- **مرفعُ الدواة**

قال الشاعر:

قرّبَ البُعْدَ مرفعٌ لدواةٍ ... ملجَمٌ من حليهِ بلجامِ[3]
كخوانِ الطّعامِ سهّلَ لنا ... كلّ منه ما كانَ صعبَ المَرامِ

---

(١) موسى: النبي موسى عليه السلام، وقوله: ألواح موسى كناية عن التعاليم التي أوحى الله بها إليه ودعاه إلى نشرها.

(٢) الارتياب: الشك. (٣) ملجم بلجام: أي مربوط.

• **الاصطرلاب**[1]

وقال الببغاء[2]:

ومستديرٍ معجّمِ التقسيمِ   مثبتُ الأشكالِ والرسومِ
دبّره فكرُ امرئٍ حكيمِ   فصاغه في صغرِ التجسيمِ
مساوياً للفلكِ العظيمِ   مقتطعاً لسائرِ النجومِ

وكتب الصابئ[3] إلى بعض أصدقائه وقد أهدى له اصطرلاب:

لمْ يرضَ بالأرضِ يهديها إليكَ وقدْ   أهدى لكَ الفلكَ الأعلى وما فيهِ

• **نفعُ الكُتبِ وكونُها ذاتَ أنسٍ**

ذكر **الجاحظ** الكتب فقال: نعم الذخرُ[4] والعُقدة، والجليسُ والعُدّة[5] والمشتغلُ والحرفة[6]، ونعمَ القرينُ والدخيلُ والوزيرُ والنزيلُ، والكتابُ هو الأنيسُ الذي لا يطريك[7] والصّديقُ الذي لا يغريكَ، يطيل امتاعك ويشحذُ[8] طباعك.

وقال ابن المقفع: كلّ مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمونُ العثراتِ[9]

وقال الرفّاء[10]:

اجعلْ جليسكَ دفتراً في نشرِهِ   للميْتِ من حكمِ العلومِ نشورُ
ومفيدَ آدابٍ ومؤنسَ وحشةٍ   وإذا انفردتَ فصاحبٌ وسميرُ

وأنشد أبو محمد الخازن لنفسه:

فدفتري روضتي ومحبرتي   غديرُ علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرارِ صومعتي   تعلّمي كيفَ موقعُ القسمِ

• **التمدّحُ بالإنفاقِ على الكُتُبِ والحثُّ عليه**

قيل لابن دراج، وقد أخرج شعر **أبي الشمقمق**، في جلود كوفية ودفتين طائفيتين

---

(١) **الاصطرلاب**: من آلات الرصد القديمة تقيس مواقع الكواكب والقمة

(٢) **الببغاء**: لقب الشاعر أبي الفرج عبد الواحد، وكان من شعراء سيف الدولة، ومات سنة ٣٩٨هـ (١٠٠٧م)

(٣) **الصابئ**: هو أبو الحسن هلال بن المحسن الحراني ولد سنة ٣٥٩هـ (٩٦٩م) ومات سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م)

(٤) **الذخر**: الذخيرة.

(٥) **العدّة**: الأداة

(٦) **المشتغل والحرفة**: العمل والمهنة

(٧) **لا يطريك**: أي لا يمدحك بما ليس فيك

(٨) **يشحذ طباعك**: يصقلها.

(٩) **العثرات**: الزلات، جمع عثرة

(١٠) **الرفّاء**: هو الشاعر محمد بن غالب المتوفّى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م)، وسمّي بالرفاء لأنه كان يرفأ الثياب أي يلأم خرقها

لقد ضيّع دراهمَه منْ يجودُ لشعرِ أبي الشمقمق. فقال: لا جرم أنّ العلمَ يعطيكم على قدرِ ما تعطونَه، ولو استطعتُ أنْ أكتبَه في سوادِ عيْني أو سويداءِ قلبي لفعلتُ.

وقيل: إذا حويتَ الكتبَ فقد أحرزتَ الأدبَ والنَّشبَ[1]، وقال شاعر:

تحرّضْ على تجويدِ كتبكَ أنّها ... مناهلُ وزّادِ الحجى والفوائدِ[2]

وقيل: إنفاقُ المالِ على كتبِ الأدبِ يخلفُ عليه لبَّ الألباب.

● ذمّ من يجمعُ الكتبَ ولم يحفظْها

قال محمّد بن بشر:

أَمَا لو أَعِي كلَّ ما أسمعُ ... وأحفظُ منْ ذاكَ ما أجمعُ

ولمْ أستفدْ غيرَ ما قد جمعتُ ... لقيلَ هو العالمُ المصقعُ

ولكنَّ نفسي إلى كلِّ شيءٍ ... منَ العلمِ تسمعُه تنزعُ[3]

فلا أنا أحفظُ ما قدْ جمعتُ ... ولا أنا منْ جمعِه أشبعُ

ومنْ يكُ في دهرِه هكذا ... يكنْ دهرَه القهقرى يرجعُ

● مدحُ ملازمةِ الكُتب

قال أبو عمرو: وما رأيتُ أحداً في يدِه دفترٌ، وصاحبه فارغ اليد، إلا اعتقدتُ أنه أعقلُ وأفضلُ من صاحبه.

وكان عبدُ الله بن عبد العزيز يلزمُ أبداً المقابرَ ومعه شيءٌ من الدفاتر، فقيل له في ذلك، فقال: لم أرَ أوعظَ منْ كتابٍ وأسلمَ من الانفراد.

ونظر المأمونُ إلى بعض أولاده وفي يدِه كتابٌ فقال: ما هذا؟ قال بعض ما يشحذُ الفطنةَ ويؤنسُ الوحشة، فقال: الحمدُ لله الذي جعل في أولادي من ينظرُ إليه بأدبِه أكثرَ مما ينظر إليه بحَسَبه[4].

● أحوالُ إعارةِ الكتب واستعارتِها

قال بعضُ الشعراء:

إنّي حلفتُ بربِّ البيتِ والحرَمِ ... منْ دونِها حلفةٌ تُرجَى لذي قَسمِ

أنْ لا أعيرَ كتاباً فيه لي أربٌ ... إلا أخا ثقةٍ عندي وذا كَرَمِ[5]

---

(1) النشب: المال.

(2) مناهل: ينابيع وموارد، جمع منهل ـ الحجى: العقل.

(3) تنزع: من نزع إلى... حنّ.

(4) الحسب: مواريث النسب.

(5) الأرب: الحاجة.

وقال بعضهم معتذراً عن امتناع إعارته:

لضيقُ فؤادي منذُ عِشرين حجّةً | وصقيلُ ذهني والمفرّحُ مِن همّي(1)
يَعِزُّ عَلَى مثلي إعارةُ مثلِهِ | وآليتُ لا يفارقُهُ كُمّي

وقال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: كتبت إلى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً استعير منه شعر عمران بن حطان وضمّنتها أبياتاً لبعض من امتنع من إعارة الكتب إلا بالرهن، وأبياتاً عارضها بها أبو علي بن أبي العلاء في مناقضة تلك.

يا ذا الذي بفضله | أضحى الورى مفتخره(2)
أصبحتُ يدعوني إلى | شعر ابن حطّان شرَه
فليُعطنيه منعماً | عاريةً لا نشكره
مقتضياً والده | ألبس ثوبَ المغفره(3)
عارضَ من أنشده إذ | رامَ منه دفتره
هذا كتابٌ حسن | قُدّمتْ فيه المعذره
حلفتُ بالله الذي | أطلبُ منه المغفره
أن لا أعير أحداً | إلا بأخذ التذكره
نسخةً لطيفةً | أبلغ منها لم أره
مقال والقولُ الذي | قد قاله وحبّره(4)
من لم يعز دفترَه | ضاقت عليه المعذره
يقبحُ في الذكر وفي | السماع أخذُ التذكره
ما قال ذاك الشعرَ | إلا ناصحٌ للمعذره
فامض به مصطحباً | سلوك طرقِ البرره

فأجابني بأبياتٍ منها

حبّر شعراً حلّتي | أنشر منه حبره
يريدُني فيه على | خليقةٍ مستنكره
مستنزلٌ عن عادةٍ | عوّدتها مشتهره
أن لا أعير أحداً | لا رجُلاً ولا مره
لا أقبل الرهن ولا | تُذكرُ عندي تذكره

---

(1) الحجة: السنة.
(2) الورى: الخلق، الناس.
(3) مقتضياً والده: سائراً على خطاه
(4) حبره: خطه وسطره بالحبر، كتبه

ولـو حـوتْ كـفّـي بـهـا   مفصلَ النّصّ والمعجزة
كـانَ لـشـيـخي مـذهـبٌ   من مَذْهبي أن أهجرَه
خالفتُ فيه رسمَه   مغتمياً ما أثرَه
ولو أتاني والدي   من بيته في المقبره
يرومُ سطراً لم يجد   ما رامه وسطّرَه

والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما حفظته به أعوذ بالله أن أكون ممّن يزري[1] بعقله، بتضمين مصنّفاته شعرَ نفسه

● **مُعاتبةُ حابِسِ دفتر[2]**

كتب كشاجم إلى صديق له

عذرتُ بحبسِ دفترنا   وعهدي بالأديب ثقه
ولستُ أحبُّ للأدبا   ء أن يتأدّبوا سرِقه

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له يطالبه بردّ دفتره

ما بال كتبي في يديك رهينةً   حُبِسَتْ على مرّ الزمانِ الأطول
ألذنبٍ لها في الانصرافِ فإنّها   كنزٌ عليه إذا افتقرتُ مُعوّلي
ولقد تمنّتْ حينَ طال ثواؤها   مثلَ الوقوفِ على رسوم المنزلِ

وقال أبو العبر في صحفيات له: حدّثني لجين عن موسى الفهاد، عن رجل من أهل جرجرايا، عن شيخ من بادرويا، أن النملة من رد استعار كتاباً لم يردّه

قال الشريف ابن طباطبا:

إذا فجعَ الدهرُ امرأً بخليله   تسلّى ولا يُسلى لفجع الدفاتر

وقال بعضهم في وصف كتاب كليلة ودمنة

إذا افتخرَ الرّجالُ بفضلِ علمٍ   ومدّتْ فيه المنّةُ طويلَه
ففاخِرْ ما استطعتَ بما حوَتْه   بطونُ كتابِ دمنةَ مع كليلَة[3]
كتابٌ يخرقُ البلغاءَ فيه   وألبابُ الورى منه كليلَه
وكمْ فيه عجائبُ كامناتٌ   على دنيا وآخرةٍ دليلَه
وكم حِكَمٍ على أفواه طيرٍ   وآدابٍ وأمثالٍ مقولَه

---

(١) يزري: يستخف ويستهين   (٢) حبس دفترنا: منعه وعدم إعادته
(٣) كليلة: أي كتاب كليلة ودمنة ـ كليلة: ألباب كليلة أي متعبة، وكليلة الأولى والثانية من باب الجناس

يراها الجاهلُ المأفونُ هزلاً ... وحسبُكها لعالِمها فضيلَه[1]

(١٣)

ومما جاء في الصدق والكذب

•

● **الممدوحُ بالصدق**

فلانٌ أصدقُ من أبي ذرّ[2] وأصدقُ من قطاة[3]. **وقال النبي ﷺ**: ما أقلّت الغبراءُ ولا أظلّتِ الخضراء أصدقَ لهجةً من أبي ذرّ.

وقال الجاحظ: أخبرني فلانٌ وهو والكذب لا يجتمعان في طريق، ولا يقشعرّ من الكذب.

قال التنوخي:

وألسنُهم وقفٌ على الصدقِ والرضا ... وأيمانُهم وقفٌ على القصدِ والنعمى[4]

وقال جحظة البرمكي:

وكـــانَ صــديـــقَ الـــورى ... بـالحـقِّ ينـطـقُ عـنْ لســـانـه

وفي المثل: لا يكذب الرائدُ أهله، لأن كذبه يجتثّ أصله.

● **معيبٌ بالكذب**

قال رجل لكذّاب: مرحباً بأبي المنذر، فقال: ليس هذه كنيتي. فقال: قد علمت إنما هو كنية مسيلمة[5]، ولكنها صفتك: يعرّض بأنه كذّاب.

وقيل لرجل: ما تقولُ في فلان؟ فقال: أنا لا أذمّ مسيلمة. وذمّ رجلٌ آخر فقال: الكذبُ أحسنُ ما فيه، وهذا غاية الذم. **وقال رجل لأبي حنيفة**[6] (رضي الله عنه): ما كذبت قطّ؟ فقال: أما أنا فقد شهدتُ عليك بهذه.

---

(١) **المأفون**: الناقص العقل.

(٢) **أبو ذرّ**: هو أبو ذرّ الغفاري وهو صحابي كان يضرب به المثل في الورع إلى جانب فصاحة وبيان وهو من كبار المحدثين كانت وفاته سنة ٣٢ هـ (٦٥٣م).

(٣) **القطاة**: طائر بري بحجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء، فيقال أهدى من القطا.

(٤) **النعمى**: اليد البيضاء الصالحة.

(٥) **مسيلمة**: هو مسيلمة الكذاب الذي سبّب حروب الردة بعد موت النبي.

(٦) **أبو حنيفة**: هو أبو حنيفة النعمان من كبار الفقهاء في الإسلام وصاحب المذهب المعروف باسمه «المذهب الحنفي».

وقال رجل: أنا لا أكذب كذبة بألف، فقال صاحبه: أما هذه فواحدة بلا درهم.

وقيل: أكذب من يلمعُ أي السراب. قال الشاعر:

أكثرُ ما يجري على فيهِ الكذبُ

وقال بعضهم: أسأت نظراً فأطرفت خبر. وقال: جاء فلان بزهات البسابس[1]، وجاء بالحطب الرطب، أي بمحض الكذب.

وقال الرشيد للفضل بن الربيع[2]: كذبت، فقال: يا أمير المؤمنين وجه الكذّاب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك، يعرّض به، لأن الإنسان لا يقابل نفسه ولا يخاطبها فاستحسن تعريضه فأولاه وما جفاه.

وقيل: فلان فيه روغانُ[3] الثعلب وطبيعةُ العقعق ولمعانُ البرق، أي الحيلة والسرقة والكذب.

قال الشاعر:

كلامُ أبي مالكٍ كلُّه ... صياحُ الفواختِ جاءَ الرُّطب

● النهيُ عن الكذبِ وذمّه

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[4]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾[5]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[6]

وقيل: الكذبُ جمّاع النفاق. وقيل: الكذب عزٌّ لازم وذلّ دائم. وقيل: الكذب والحسد والنفاق أثافي.

قال الشاعر:

لا يكذبُ المرءُ إلا منْ مهانتِهِ ... أو عادةِ السوءِ أو من قلّةِ الورعِ[7]

وقيل: ما عزّ ذو كذب، ولو أخذ القمر بيديه، ولا ذلّ ذو صدق، ولو اتّفق العالم عليه.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): حقيق[8] على الله أن لا يرفع الكاذب درجة، ولا يثبت له حجّة. وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجلٌ وقال: لا تشترط عليّ إلا شرطاً واحداً، لقلت: لا تكذبني.

---

(١) البسابس: القفرات، جمع بسبس.
(٢) الفضل بن الربيع: وزير الخليفة الأمين.
(٣) الروغان: الاحتيال والمكر.
(٤) القرآن الكريم: الذاريات/ ١٠
(٥) القرآن الكريم: الجاثية/ ٦
(٦) القرآن الكريم: نوح/ ١٠٥.
(٧) المهانة: الذلّة والاحتقار.
(٨) حقيق: جدير.

● النهيُ عن روايةِ الكذبِ

قيل: من حدّث بحديث، وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين، وقيل أحد الشاتمين.

وقال النبي ﷺ: من قال عليّ ما لم أقله أو ردّ شيئاً ممّا قلته فليتبوّأ مقعده[1] من النار

وقيل: إيّاك أن تكون للكذبِ راوياً، أو واعياً.

● النهيُ عن روايةِ ما هُو بعرضِ التكذيب

قيلَ: من صفاتِ العاقلِ أن يحدّث بما لا يُستطاع تكذيبُه.

وقيل: إياك وحكاية ما يستبعد فيجد عدوّك سبيلاً إلى تكذيبك

● تركُ الكذبِ صعبٌ

قيل من استحلى الكذبَ عسُرَ عليه[2] فطامُ نفسه عنه

وقيل لرجل: أتركُ الكذب، فقال: والله لو تغرغرت[3] به وتطعمتَ حلاوته لما صبرتَ عنه

وقال يحيى بن خالد: قد رأينا شارب خمرٍ أقلع[4]، ولصّاً نزع[5]، ولم نرَ كذّاباً رجع. **وقيل:** كل ذنب يرجى تركه إما بتوبة أو إنابة[6] ما، خلا الكذب، فإنّ صاحبه يزداد به ولوعاً على الكبر.

● مضرّة الكذب

قيل: دعِ الكذب فإنّه يضرّك حيث ترى أنه ينفعك، وعليك بالصّدق فإنه ينفعك حيث ترى أنه يضرّك.

وقيل: الحقُّ أبلج والباطل لجلج، إذا كذب السفير بطل التدبير، إذا كذب الرائد هلك الوارد. الصدْقُ عزٌ والباطلُ ذلٌ

● من آثرَ الصدْقَ في مواضع طلباً لجواز كذبه

قال خالد بن صفوان: أصدق في صغار ما يضرّك ليجوزَ لك الكذبُ في كبار ما ينفعُك. **وقيل:** من عُرفَ بالصّدق جاز كذبُه، ومن عرفَ بالكذبِ لم يجزْ صدقُه

● حثُّ الكاذب على التحفّظ

قيل: إذا كنت كذوباً، فكن ذكوراً. وذكر عثمان البتي عكرمة، **فقيل له:** ما كان

---

(1) يتبوأ المقعد: يجلس فيه.

(2) عسر عليه: صعب

(3) تغرغر: ردّد الماء أو الدواء في حلقه

(4) و (5) أقلع أو نزع عن الشيء: تركه

(6) الإنابة: التوبة، والرجوع إلى الله مع الندامة

يكذب، فقال: كان أحمق، من الحمق الكذب إن الكذوب من يكون متحفّظاً.

- **النهيُ عن سَماعِ الكَذِب**

قيل: أجمل قولَ الكذّاب ريحاً لتستريح، **وقال أبو تمام**

ومَنْ يأذن إلى الواشين تسلَقْ مسامعه بألسنةٍ جدادِ[1]

وقالوا نزّه سمعك عن سماع الكذب، كما تنزّهُ لسانك عن التفوّه به

- **ما أجيز فيه الكذب**

روي عن النبي ﷺ **أنه قال**: كلّ كذب مكتوب، إلا كذبُ الرجل في الحرب، فإنها خدعة، أو كذب المرء بين الرجلين ليصلح بينهما، أو كذبه لامرأته ليرضيها

وقيل لفيلسوف: متى يحمد الكذب؟

قال إذا قرّب بين المتقاطعَين قيل فمتى يذمّ الصدق؟ **قال**: إذا كان غيبةً

أتى معاوية رضي الله عنه بلصّ، **فقال زياد** أصدق **فقال الأحنف**: الصدقُ أحياناً معجزة

قال الشاعر:

الصدقُ أفضلُ ما نطقْتَ به ولربّما نفعَ الفتى كذبُه

وقال آخر:

طلبنا النفعَ بالباطل إذا لم ينفعِ الصدقُ

- **جواز التعريض**

أقبل رسول الله ﷺ مردفاً[2] أبا بكر عام الهجرة، **فقيل لأبي بكر** من هذا قدّامك؟ **قال**. رجل يهديني السبيل، تعريضاً بأنه يهديني سبيل الحق

وقال النبي ﷺ: للرجل الذي سأله ممّن أنت؟ فقال: من ماء، وما حكى الله من قول إبراهيم عليه السلام أني سقيم، **وقوله** فعله كبيرُهم هذا فاسألوهم وما روي عنه أنه قال عن امرأته هذه أختي كل ذلك تعريض. وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ من معاريض الكلام ولم يكن قد نسي ما عهد عليه[3]

وقال عمر: في المعاريض مندوحةٌ عن الكذب

---

(١) **الواشون** جمع الواشي وهو النمّام ـ المسامع الأذن ـ جداد حادّة وقارصة أي لاذعة

(٢) **أردفه**: أركبه خلفه، وردفه تبعه

(٣) **القرآن الكريم**: الكهف/٧٣، وتتمة الآية **ولا ترهقني من أمري عسراً**

● **المعترفُ بالتزيّد والتكذيب**

قال خالد بن صفوان: أبي لا أسمع الحديث فلا أحدث به، حتى أتوبله وأفلفله وأسعتره، **وقال:** أبي لأسمع الحديث مجرداً فأكسوه، وممرطاً فأريشه. **وقيل لعيّان:** إنك لتكذب في الحديث. **فقال:** ما يضرّك كذبُه ولا ينفعُك صدقه، وما يدور إلا على لفظ جيّد ومعنى حسن. ولو أردته لتتجلج[1] لسانك وذهب بيانك.

● **المعتذر منه**

قال بعضهم. ونصرة الحق أضمت بي إلى الكذب.

قال الشاعر:

وزعمت أنّي قد كذبتُك مرّةً ... بعضَ الحديثِ وما صدقْتُك أكثرُ

وفي المثل: عند النوى يكذبك الصادق.

● **المتأهب في الكَذِب**

تشاجر رجلان في سوادٍ، تراءى بين سطح، **فقال أحدهما:** غراب **وقال الآخر:** حمٌ وحلف كل منهما على صدق ما قاله. فدنوا منه فطار، **فقال صاحب الغراب:** كيف ترى؟ **فقال الآخر:** امرأته طالق ثلاثاً إن كان إلا حجفٌ ولو بلغ مكة طيراناً

وقال بعضهم لابنه: إكذب على الأموات وباهت مع الأحياء. **وقيل لأعرابي:** بم غلبت؟ **فقال:** أبهت بالكذب وأستشهد الموتى

● **صعوبة سماع الكذب**

قيل لبعض ندماء السلطان: ما حالكم معه؟ قال: نحن كما قال الله تعالى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[2] وكان رجل يكثر الكذب وله غلام يخالفه ويكذّبه، **فقال له يوماً:** كنت في ضيعة لي في حصاد زرع، فرميت طيراً فوجدتُ في حوصلته رطبة، لم ينضج نصفها **فقال الغلام:** استدع السوط ولا تهد[3] متى يجتمع الحصاد والرطب يا أحمق

● **ما يجوز أن يكذبَ المرء فيه**

في كتاب جاويدان خرد. محرم على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث: صبر الجاهل على مضض المصيبة، وعقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبّت كنّة

---

(١) **التلجلج:** التلعثم

(٢) **القرآن الكريم:** المائدة/ ٤٢، **والسحت:** الحرام

(٣) **لا تهد.** من هذى يهذي هذياً وهذياناً: تكلّم بغير معقول لعلة أو غيرها

وقيل: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدّثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل، وإن صدّقه فهو أحمق.

وقيل: كذّب بالمحالات[1]، وأقر بالواجبات، وتوقّف عن الممكنات.

● ذكرُ أكاذيب متناهية

تكاذب أعرابيان، **فقال أحدهما**: خرجتُ مرّة على فرس، فإذا أنا بظلمة فيمّمتها، حتى وصلت إليها. فإذا قطعة من الليل فانتبهته فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها. **وقال الآخر**: رميت مرّة ظبياً بسهم فعدل الظبيُ فعدل السهم خلفه فعلا الظبي ثم انحدر، فانحدر السهم حتى أصابه.

وقال رجل لرؤبة: إن حدثتني بحديث ثم أصدقت عليه، فلك عندي جارية. **فقال**: ابق لي غلام يوماً فاشتريتُ يوماً بطيخة فلما فتحتُها وجدتُه فيها، **فقال**: قد علمت. **فقال**: دبر لي فرس فعالجته بقشور الرمان فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كلّ سنة. **فقال**: قد علمت. **فقال**: لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار، **فقال**: كذبت يا ابن الفاعلة. فأخذ الجارية.

وقال بعضهم: كان لأبي منقاش[2] اشتراه بعشرين ألف درهم، **فقيل له**: إذا كان من جواهر أو مكللا **فقال**: ولكن كان إذا نتف به شعرة بيضاء جاءت سوداء. **وقال رجل**: كان أبي زرع سنة السلجم[3]، وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب[4] أرض. **فقال الآخر**: كان أبي اتخذ مرجلاً[5] في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذاً، لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر، **فقال صاحبه**: يا أكذبك أي شيء كان يُطبخ في ذلك المرجل؟ **فقال**: السلجم الذي زرعه أبوك.

وقالت ليلى لأبيها أرأيت قول أبيك:

بجيش تضلّ البلقُ في حجراته	بيثربَ أخراه بالشام قادمه

كم كنتم يومئذٍ؟ فقال: حضرتها وكنت أنا وأبي وعمّنا اثنان

---

(١) **المحالات**: جمع محال أي المستحيل حدوثه أو وقوعه
(٢) **المنقاش** (صيغة مفعال). آلة للنقش.
(٣) **السلجم**: نوع من اللفت يزرع لإنتاج زيت كان يتخذ للإنارة
(٤) **الجريب**: من الأرض مساحة أو مقدار معلوم الذراع وهو عشرة أقفزة وكلّ قفيز عشرة أعشراء، والعشير جزء من مائة من الجريب، وقيل الجريب مكيلة معروفة، وقدر ما يزرع فيه من الأرض ويقول ابن دريد لا أحسبه عربياً، والجريب معناه أخرى (نظر لسان العرب، مادة جرب)
(٥) **المرجل**: الزق الملآن خمراً

(١٤)
ومما جاء في السر

●

● المنعُ من إظهارِ السرّ قبل تمامه

قيل: استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كلّ ذي نعمة محسود.

وقيل: من وهي[1] الأمر إعلامه قبل إحكامه. **وقيل:** من حصّنَ سرّه أمن ضرّه.

● الحثُّ على حِفْظ السرّ

قيل: من لم يكتم السرّ فقد استكمل الجهل.

وسمع **ابن المقفع** قول الشاعر:

إذا جاوزَ الاثنين سرّ فإنّه ... بِنثٍّ وتكثيرُ الحديثِ قمينُ[2]

فقال: أراد بالاثنين الشفتين، ويدلّ على ذلك قول الآخر:

فلا تفشِ سرّكَ إلا إليك ... فإنّ لكلّ نصيحٍ نصيحا

وفي المثل: اجعلْ هذا في وعاءٍ غير ذي سَرَبٍ. سرّك من دمك، فانظر أين ترقه.

وقيل: من أفشى سرّه كثر المتآمرون عليه. **قال الصلتان:**

سرّ الثلاثة غيرُ الخفي

● المستوخم عاقبة إفشاءِ السرّ

لما ولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قدامة بن مظعون بدل المغيرة أمره أن لا يخبر أحداً. فلم يكن له زاد فتوجّهت مرأته إلى دار المغيرة، **فقالت:** أقرضونا زاد الراكب، فإنّ أمير المؤمنين ولّى زوجي الكوفة، فأخبرت امرأة المغيرة زوجها، فجاء إلى عمر رضي الله عنه واستأذن عليه، **وقال:** يا أمير المؤمنين ولّيت قدامة الكوفة وهو رجل قوي أمين. فقال: ومن أخبرك؟ قال: نساء المدينة يتحدّثن به، **فقال:** اذهب وخذ منه العهد.

● من يكره اطلاعه على السرّ

قيل: لا تطلعوا النساء على سرّكم تصلح أموركم. **وقيل:** ما كتمته عدوّك فلا تطلع عليه صديقك.

---

(١) **الوهي:** الضعف والوهن والتهتك.   (٢) **قمين:** جدير.

● المتبجّح بحفظِ السرّ

قيل لرجل: كيف كتمانك لسر؟ قال: قلبي قبره وصدري حبسُه. وقال الأحوص[1]:

ومستخبرٍ عن سرّ ريّا رددتُهُ ... بعمياء من ريّا بغير يقينِ

وقال أبو تمّام:

منيع نواحي السرّ منه حصينُها

وقال المتنبي:

وللسرّ منّي موضعٌ لا ينالُه ... نديمٌ ولا يُفضي إليْه شرابُ

وقال ابن نباتة[2]:

أكاتِمُ قلبي رأيَ عَيْني وإنّه ... ليكتمُ منّي سرّ كلّ خليلِ

● الممدوحُ بحفظه

قال الأحوص:

كريمٌ يميتُ السرّ حتى كأنّه ... عمِ بنواحي أمره وهو خابِرُ

وقال قيس بن الحطيم

كتُومٌ لأسرارِ الخليل أمينُها ... يرى أن بثّ السرّ قاصمةُ الظّهرِ

وقال كشاجم:

ويكاتِمُ الأسرارَ حتّى أنّه ... ليصونُها عن أن تمرّ بخاطِره

● مدحُ كتمان السرّ

قال قتادة (رضي الله تعالى عنه): إذا تكلمتَ بالنهار فانظرْ من عندك، وبالليل، فاخفض صوتك. وقد نظمه الشاعرُ بقوله

اخفِضِ الصوتَ إنْ نطقتَ بليلِ ... والتفِتْ بالنّهار قبلَ الكلام

ودنا رجل من آخر فكلّمه، فقال: ليس ها هنا أحد، فقال: من حق السرّ التداني[3].

---

(١) الأحوص: هو عليّ الأنصاري المتوفّى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨م) كانت ولادته في المدينة ووفاته في دمشق. وهو من شعراء الحجاز المشهورين بفن الغزل، وكان يكثر من التشبيب بنساء البيوتات، وقيل إنه نفي وسجن. ومن فنونه التي برع فيها أيضاً الهجاء.

(٢) ابن نباتة: هو عبد الرحيم بن نباتة ولد في بلدة ميافارقين سنة ٣٣٥هـ (٩٤٦م) ومات سنة ٣٧٤هـ (٩٨٤م)، وكان مؤدّباً في بلاط سيف الدولة.

(٣) التداني: التقارب.

- **صعوبةُ حفظِ السرّ**

قيل: أصبر الناس من صبر على كتمان سرّه فلم يبده لصديقه. الصّبر على التهابِ النار أهونُ من الصّبر على كتمانِ السرّ.

- **عيبُ من لا يحفظ سرّه ويستحفظُه غيره**

وقال الشاعر:

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسِه ... فصدرُ الذي يُستودعُ السرَّ أضيَقُ

وقال بشار:

تبوحُ بسرِّك ضيقاً به ... وتبغي لسرِّك من يكتُمُ

وقال دعامة بن يزيد الطائي:

إذا ما حملتَ السرَّ عندَ مُضيِّعٍ ... فإنك ممّن ضيّعَ السرَّ أذنبُ

- **ذمّ مفشي سرّه**

قيل: فلان أنمّ(1) من النسيم على الرياض، ومن العين فيها الصفو والكدر، وقيل: وهو أضيعُ للأسرار من الغربال للماء.

قال الشاعر(2):

أغربالاً إذا استودعتَ سرّاً ... وكانوناً على المتحدثينا

وقال آخر:

أمنتُ على السرِّ امرأً غيرَ حازمٍ ... ولكنّه في النّصحِ غيرُ مريبِ

أذاع به في النّاس حتّى كأنّه ... بعلياءَ نارٌ أوقدت بثُقوبِ

وقال ابن الرومي:

كأنّ سرّي في أحشائه لهبٌ ... فما تُطيقُ له طيّاً حواشيها

- **الأحوالُ التي يفشو فيها السرّ**

قال يحيى بن خالد: الرجلُ ينبئ عن نفسه في ثلاثة مواضع: إذا اضطجع على فراشه، وإذا خلا بعرسه(3)، وإذا استوى على سرجه.

وقيل: إذا أردتَ أن تسأل الرجل عن سرّه، فتوصّل إليه من حال سكره.

---

(1) أنمّ من النسيم: أي أكثر وشاية.

(2) صاحب البيت هو الأخطل، هجا به امرأة أبيه وعيّرها بفضح الأسرار وباللسان السليط.

(3) العرس: الزوجة.

فالسكر يظهر سرّه المكتوما

● كتمُ ما لا ينكتم

قال الشاعر:

وليسَ الذي فيه خفاءٌ لأمره	كمَنْ دبّ يستخفي وفي العنْقِ جُلْجُلُ

وقال زهير:

مخازٍ لا يدبُّ لها الخفاءُ

وفي المثل:

وهل يخفَى على النّاسِ النّهارُ

وقال أبو نواس يصف الخمر:

نحنُ نخفيها ويأبى	طيبُ ريحٍ ومسيوحُ

● المسارّةُ في المحافل

قال النبي ﷺ: إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث

وكان مالك بن مسمع إذا سارّه إنسان يقول: أظهره فلو كان خيراً لم يكن مكتوماً.

وهذا من قول زهير:

والسترُ دون الفاحشات ولا	يلقاكَ دونَ الخيرِ من سِتْر

وقال الخبزارزي:

إذَا أنْت سارَرْتَ في مجلسٍ	فإنّك في أهلِه متّهَمْ
فهذا يقولُ قد اغتابني	وذا يستريبُ وذا يتّهِمْ

● الرخصةُ في إفشاءِ السرّ إلى الصّديق

لِيمَ بعضُهم في إفشاء السر، فقال: المصدور[1] إذا لم ينفث جوي[2] والمهجور إذا لم يشك وري[3]. قال الشاعر:

ولا بدّ للشكوى إلى ذي حفيظةٍ	إذا جعلَتْ أسرارُ نفسي تطلّعُ

وقال محمودُ الورّاق:

إذا كتَمَ الصّديقُ أخاه سرّاً	فما فضْلُ الصّديقِ على العَدُوِّ؟

وقيل: لا يزال المرء في كربة ووحشة، ما لم يجد من يشكو إليه.

---

(١) المصدور: المصاب بالسلّ (٢) جوي: أصابته حرقة وشدة وجد

(٣) وري: اتقد واشتعل

وقال الشاعر:

لا تــكــتــمَــنَّ داءك الــطــبــيــبَــا ... ولا الــصّــديــقَ ســرّك الــمــحــجــوبــا[1]

وسارّ المهدي وكيلاله، والعباس بن محمد حاضرٌ، فقال: اسردوني ولو هجم بي نصحك على تلفي لما تركته، وأنشد:

بمثلي فاشهد النجوى وعالن ... بي لأعداء والقومَ الغضابا

وكتب أبو الفضل بن العميد: من كتم عن طبيبه داءه، وستر عنه ظمأه بعيد عليه أن يبلّ من علله ويعنّ من غلله.

- **المتبجح بإظهار أسرار أصدقائه**

قال الشاعر

ولا أكــتــمُ الأســرارَ لــكــن أنــمّــهــا ... ولا أتركُ الأسرار تغْلي على قلْبي

وإنّ قــلــيــلَ الــعــقــل مــنْ بــاتَ لــيــلــةً ... تــقــلّــبــهُ الأســرارُ جــنــبــاً إلى جــنْــبِ

وقال رجل لصديق له: اكتُمْ سرّي عني أمشيته، فقال: كلا لستُ أشمن قلبي بنجواك ولا أجعلُ صدري حزانة شكواك فيقلقني ما أقلقك، ويؤرّقني ما أرّقك، فتبيت بأمشانه مستريحاً، ويبيت بحرّه قلبي جريحاً، وقال الشاعر:

ولا تــودعِ الأســرار قــلْــبــي فــإنــمــا ... تــصــبّــنّ مــاءً فــي إنــاءٍ مُــثــلّــم[2]

(١٥)

وممّا جاء في النّصح

•

- **فضلُ النّصح والحثّ عليه**

قال النبي ﷺ: الدّين النصيحة، وقال ﷺ: من غشّنا فليس منّا، وقال ﷺ: دعوا الناس يصيبُ بعضُهم منْ بعضٍ، فإذا استنصحك أخوك فانصحْه، وقال أوس[3]

وإنْ قــالَ لــي مــاذا تــرى يــســتــشــيــرنــي ... فــلــمْ يــكُ عــنْــدي غــيــرُ نــصــحٍ وإرشــاد

- **الحثّ على قبول النّصح وإن كان مرّاً**

قيل: من أحبّك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

---

(١) السرّ المحجوب: الذي يخرق ويقطع به. (٢) الإناء المثلم: المشقوق الذي لا يحفظ ما يصبّ فيه.

(٣) أوس: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية الأوائل وسبقت الإشارة إليه (انظر مقدمة ديوان أوس بن حجر، منشورات دار الأرقم)

وقال بعض الحكماء: من أوجرك[1] المرّ لتبرأ، أشفق عليك ممّن أوجرك الحلو لتسقم، وقيل: النصيحة أمن الفضيحة

● معاتبةُ منْ لمْ يقبلْه

منْ لمْ يقبَل رأيَ أصحابه، وإن حزنوه عاد ضرره عليه، كالمريض الذي يترك ما يصفُ له الطبيب، ويعمد لما يشتهيه فيهلك.

قال الله تعالى حكاية عن صالح: لقد أبلغتكم رسالات ربّي ونصحتُ لكم، ولكن لا تحبّون الناصحين

وقال أبو ساسان:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني　　　فأصبحتَ مسلوبَ الإمارة نادِما

وقال آخر:

لو كنتَ تقبَلُ نصحي غيرَ متهم　　　ملأتُ سمعَك من وعظٍ وإنذارِ

وقال العرجي

عرضتُ نصيحةً منّي ليحيى　　　فقال غششتني والنصحُ مُرّ

● ضياعُ النصح لمن لا يقبله

قال الشاعر

وما خيرُ نصحٍ قيلَ لا يُتَقَبَّلُ

وقال الخبزارزي:

إنْ كانَ حَمْدي ضاعَ في نصحِكم　　　فإنّ أجري ليسَ بالضائعِ

وقيل: أخذ رجل ذئباً فجعل يعظُه، ويقول: إياك وأخذَ أغنام الناس فيعاقبك الله، والذئب يقول خفّفْ، واختصر فقدامي قطيع من غنم لئلا يفوتني. وقال الشاعر:

لددتهم النصيحة أي لدّ　　　فمجّوا النصْحَ ثمّ ثنوا وقاؤا[2]

● معاتبةُ من يستنصح الناس ويستغشّ الناصح

وقال عبد الله بن همام:

ألا ربّ من تغتشه لك ناصحٌ　　　ومؤتمَنٍ بالغيبِ غيرُ أمينِ

وله:

وقدْ يستغشّ المرءُ من لا يغشّه　　　ويأمنُ بالغيبِ امرأً غيرَ ناصحِ

---

(1) أوجره: أسمعه ما يكرهه.

(2) مجّوا النصح: طرحوه

وقال يزيد بن الحكم:

تصافح من لاقيته ذا عداوة ... صفاحاً وحقدٌ بَيْنَ عينيك منزورُ

وقال آخر:

والعجزُ أن تجعلَ الموتورَ متنصّحاً(1)

وقال آخر:

ألا ربّ نصحٍ يُغلَقُ البابُ دونه ... وغشٍّ إلى جنبِ السريرِ مُقرّبُ

وقال آخر:

نصحتُ فلمْ أفلحْ وخانُوا فأفلحوا ... فأنزلني نصحي بشرّ مكانِ

● الحثّ على الغِشّ لمن لا يقبَل النّصح

قال عثمان البتّي: إذا نصحت الرجل فلم يقبلْ منك، فتقرّب إلى الله بغشّه. وقال الشاعر:

أغُشّ إذا النُّصحُ لا يُقبَلُ

وأنشدَ الثوريّ:

تحملتُ آرائي محضتُ نصيحَتي ... إلى غيرِ طلقٍ للنصيح ولا هشّ(2)

فلمّا أبى نصحي سلكتُ طريقه ... وأوسعتُه من قولِ زورٍ ومن غشّ(3)

● كونُ النّاصح متّهماً

قيلَ في المثل: المبالغة في النصيحة تهجُم بك على عظيم الظنّة. وقال:

وقد يستفيد الظنّة المتنصّح

وشاور المأمون يحيى بن أكثم فكان الرأي مخالفاً لهوى المأمون، فقال يحيى: ما أحد بالغ في نصيحةِ الملوك إلا استغشّوه. قال: ولم يا يحيى؟ قال: لصرفه لهم عمّا يحبّون، إلى ما لعلّهم يكرهون في الوقت، والهوى إلٰه معبود.

● وصف غاشّ في نصيحة

قيل: فلان شولة الناصح، وشولة أمة كانت ترى أن تنصح مواليها وهي تسعى في إهلاكهم.

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: هل غششتني منذ استنصحتك؟ قال: لا، فقال:

---

(١) الموتور: القتيل الذي لم يثأر له. (٢) الطلق: ذو البشاشة.

(٣) أوسعته من قول زور: أكثرت من غشه، بالنصح الكاذب.

ولا يوم أشرتَ عليّ بمبارزة عليّ وأنت تعلمُ من هو؟ فقال: كيف؟ وقد دعاك رجل عظيم الخطر كنت من مبارزته إلى أحدى الحسنيين إن قتلته فزت بالملك وأزددت شرفاً إلى شرف، وإن قتلك تعجّلتَ من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين، فقال: وهذا أشد من الأول فقال: أو كنتَ من جهادك في شكّ. فقال: دعني من هذا.

قال النابغة:

يُخبِركم أنه ناصِحٌ ... وفي نُصحِهِ ذنبُ العقرب

وقال الموسوي:

يرومُ نُصحي أقوامٌ رأوا كَيْدي ... والعجز أن تجعَل الموتورَ مُنتصحاً

هذا من قول حارثة بن بدر:

أُهانُ وأُقصى ثمّ تستنصحونني ... وأيّ امرىء يُعطي نصيحتَه قسراً[1]

وقال لمن يرد نصيحته:

أعاذلُ إن نُصحك لي عناء ... ونُصحُكَ قد سمعتُ وقد عصيتُ

(١٦)

ومما جاء في الوعظ والمتعظين والآمرين بالمعروف والقصاص والمفتين

●

● **نهي من لا يتعظ عن الوعظ**

قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: عِظْني وأوجز، فقال: توقّ ما تعيب. وقال أيضاً: لا تأتِ ما تُعيب ولا تعِبْ ما تأتي.

وجاء رجل إلى ابن عبّاس رضي الله عنه، فقال: إنّي أريد أن أعظ، فقال: أو بلغت ذلك إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل. قال: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3] وقول العبد الصالح شعيب ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[4] أحكمت هذه الآيات. قال: لا، قال: فابدأ إذاً بنفسك.

---

(١) أُقصى: أُبعَد ـ تستنصحونني: تطلبون نصحي ـ قسراً: دون إرادته، رغماً عنه.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٤٤. (٣) القرآن الكريم: الصف/ ٢ و٣.
(٤) القرآن الكريم: هود/ ٨٧.

وقال ابن كناسة:

يا واعظَ النّاس قدْ أصبحْتَ متّهماً ... إذ عبْتَ منهم أموراً أنت تأتِيها
كمَن كسا النّاس من عريٍ وعورتُه ... للنّاس بادية ما إن يواريها[1]

● الحثُّ على الوعْظ بالفعال دون المقال

قال بقراط: لا تحثّ غيرَك على فعلِ خصائل ما لم تستكملْ فيك فأفعالُك تحث على المحاسن أكثر من مقالك.

وقال أبو جعفر النيسابوريّ: ليس الحكيم الذي يلقّنك الحكمة تلقيناً، إنّما الحكيم الذي يعْمَل العمل فتقتدي به.

وقال أبو هاشم: أحقُّ المرء نفسه بحسن الأدب تأديب أهله. ومن هذا قول محمود الورّاق:

رأيْتُ صلاحَ المرءِ يُصْلِحُ أهلَه ... ويعديهم داءُ الفسادِ إذا فسدْ

وقال عديّ:

ونفسَكَ فاحفظها من الغيِّ والرّدى ... متى تغوِها تُغْوِ الذي بك يقْتدي[2]

● التلطّفُ والملاينةُ في الوعْظ

قيل: تصدّى رجلٌ للرشيد، فقال: إنّي أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا، لأن الله تعالى أرسل من هو خيرٌ منك إلى من كان شراً منّي، فقال: فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكر أو يخشى.

وقيل: الواجب لمن يعظ أن لا يعنّف ولمن يوعَظ أن لا يأنف.

● الحثُّ على الاتعاظ

قيل: من قلّ اعتباره قلّ استظهاره من لم يتعظْ بغيره وعظ الله به غيره. وقال حكيم: السعيدُ من وُعظ بغيره والشقيّ من وُعظ به غيره. وقيل: يا لها من موعظة لو وافقتْ في القلوب حياة.

● النهيُ عن وعْظ من لا يتّعظ

وقيل: وعظُ من لا يعيرُك سمعه، ولا يشحذ وعظَك طبْعه كمن وضع مائدة لأهل القبور، ورام بحرقة تليين الصخور.

وقيل: فلان في وعظه كنافخ في فحم وقاصّ في مقبرة

---

(١) يواريها: يسترها ويخفيها.

(٢) الغيّ: الضلال ـ يدعو عديّ إلى حفظ النفس من الضلال لأنها إذا تركت على هواها انساقت إلى رغباتها وأساءت لمن يقتدي بها

وقيل: لا ينجع الوعظ في القلوب القاسية، كما لا يركو البذر في الأرض الجاسية[1].

وقيل: صقلك سيفاً ليس له سنخ تعب، وبذرك أرضاً سبخة[2] نصب

وقيل: من استثقل سماع الحقّ فهو للعمل به أكثر استثقالاً.

- **الحثّ على قبول وعظٍ من ليس بمتعظ**

قال بعضهم: لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا، أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منّا.
ووقف رجل على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشده

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناس بالتّقى ... طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريضُ

فأنشده ابن عيينة

إعمَلْ بعلمي وإنْ قصّرْتُ في عملي ... ينفعْكَ علمي ولا يضررْكَ تقصيري

وقد قال النبي ﷺ: مروا بالمعروف، وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه.

ومن أحسن ما قال يوسف بن الحسين الرازي في دعائه: اللهمّ أنك تعلم أني نصحت الناس قولاً، وخنت نفسي، فهب خيانتي لنفسي لنصيحتي للناس.

- **النهيُ عن الاقتداءِ بذوي الزّلات**

قال المعتمر بن سليمان: إيّاكَ والاقتداء بزلات أصحاب النبي ﷺ، فتقول: فلان شرب النبيذ، وفلان سمعَ الغناء، وفلان لعبَ بالشطرنج، فيخرج منك فاسق تام

وقيل: من أخذ برخصة كلّ فقيه خرج منه فاسق

- **كراهية تولّي الفتيا[3] والجلوس للناس**

قال النبي ﷺ: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار.

وقال ﷺ: من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض. **وقيل لحاتم الأصم:** ألا تجلس لنا في الجامع؟ **فقال:** لا يجلس في الجامع إلا جامع، أو جاهل، ولست بجامع ولا أحب أن أكون جاهلاً. وفي أخرى لا يتصدّى إلا مائق أو مائق ولست بالمائق.

وقال الحسن رضي الله عنه: إنّ خفق النعال خلف الرجال لا يثبتُ قلوب الحمقى

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبيّ بن كعب، وقد تبعه قومٌ فعلاه بالدرّة[4]، **وقال إنها فتنة للمتبوع ومذلّة للتابع**

---

(١) **الجاسية:** الصلبة.
(٢) **السبخة:** التي تنزّ بالماء والملح
(٣) **الفتيا:** إعطاء الفتوى أي تبيان الحكم في الأمور الدينية
(٤) **الدرّة:** السوط يضرب به.

قال ابن المبارك. قلتُ لسفيان: من الناس؟ قال: العلماء. قلت: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: القصاص.

● الحث على الأمر بالمعروف

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): سمعت النبي ﷺ قال: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده عمهم الله بعقابه.

وقال النبي ﷺ: من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده، فليفعل، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان. وقال خالد بن عبد الله في كلام له: حق على المسلمين التواصي والتناهي عن المعاصي.

● الموضعُ الذي يجوزُ فيه تركُ الأمر بالمعروف

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2].

وقال أبو أمية الشعباني: سألت أبا ثعلبة الخشني عنها، قال: سألت عنها خبيراً. قال: سألت رسول الله ﷺ قال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، وإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كلّ امرىء برأيه فعليك بنفسك ودع أمر العوام.

وقال أكثر المتكلمين: لا يجوزُ تركُ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كلّ موضع، لكن من علم أو ظنّ أنه ينفذ قوله ولا يناله مكروه إذ قاله، أو فعله، فعليه أن يفعل ذلك، ومتى خاف على نفسه، فعليه أن ينكر المنكر بقلبه دون لسانه

● من هزأ بالناس من القصاص

كان عيّار يقصّ فأقبل جماعة من المرد، فقال: ها هو قد جاء العدوّ أمرداً، اللهم امسخنا أكتافهم وكبّهم على وجوههم وولّنا أدبارهم وأرنا عورتهم، وسلّط رماحنا عليهم والناس يؤمنون ولا يدرون. وكان قاص بالبصرة يسخر بالناس ويشرب بالعشيّ فقيل له في ذلك، فقال: أنا بالغداة قاصّ وبالعشي ماصّ.

وكان قاصّ يقال له أبو شعيب يقول: ها أنا أبو شعيب قليل العيب، هاتوا ما في الجيب أخبركم بما في الغيب. وجاءه رجل فقال: ما المحنة؟ فقال: هاك سؤالك جاءني في جبّه بلحية كالمذبة ورأس مثل الدبة وعقل لا يساوي حبة يسألني عن المحبة

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٠٤ (٢) القرآن الكريم: المائدة/ ١٠٤

● الهاذون[1] من القصّاص

أُلقي إلى أبي مسلم القاصّ خاتم بلا فصّ، فقال: صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف. وقال قاص: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها في موضعها، ثم يصعد، فقيل: فالقطرة التي تقع في الكنيف يدخل معها الملك؟ فقال: إن في الملائكة كناسين كما في الناس ذوي دناءة وخسة.

وقال أبو عقيل: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور، فقيل: لعلّك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة، فقال: لو كان كذا لم يكن بعجب.

وقرأ رجل في مجلس سيبويه قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾[2] فقال: دعنا من قرآن الحمشيين، وهات قرآن طرسوس يعني الجهاد.

وقال قاص: يا قوم اشكروا إذا لم يكن للملائكة نجاسة فكانوا يحزنون علينا، يلطخون ثيابنا.

وقال يوماً: احذروا الله فإنه ماء تحت تبن، فقيل له: كيف؟ فقال: أهلك عالماً في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل من النبي فلم يتطلع فيه عزّان. ربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير.

وقال آخر: من صلّى ركعتين، فله بيت في الجنة، فقال نبطي: إن صلّيت خمسين ركعة هل يحصل لي بيت؟ فقال: لا يا عاص إنّ تلك لبني هاشم، فأما أنت فيس لك جذع بمكر.

وقال بعضهم: كان موسى عليه السلام فضولياً. قيل: وكيف قال؟ قيل له: وما تلك بيمينك يا موسى؟ فكان الجواب أن يقول عصا. فقال: هي عصاي (الآية). فأخذ فيما لا يعنيه.

● أدعيتُهم

دعا بعض القصّاص فقال اللهمّ جازف ولا تفتش عن ذنوبنا فتفضحنا. وكان بعضهم يقول: اللهم اغفر لنا كلّ نعمة وحسنة، واحشرنا في جملة سيدي أبو عبد الله بن حنبل ولا تعمر للرافضة.

● من أفتى في مسألة برقاعة

ترك طبيب طبّه وقعد فقيهاً فقيل له: ما تقول في من رعف في صلاته؟ فقال: يحتجم، قيل: فمن قلس في صلاته، فقال: يتدرك حتى أبارح، قيل: ذا طب وليس بفقه.

---

(١) الهاذون: جمع الهاذي وهو الذي يتكلم بغير معقول.

(٢) القرآن الكريم. يوسف/ ٢٣.

وقيل لآخر: ما تقول في من خصى نفسه؟ قال: إن قصد الإضرار بامرأته حدّ.

وقيل لبعضهم: إن نصرانياً قال: لا إله إلا الله، فقال: يؤخذ بنصف الإسلام، وإن مات دفن بين مقابر المسلمين ومقابر النصارى.

وقيل لسيفويه ما تقول في الأضحية؟ فقال: على الخبير سقطت، سألت عنها شيخاً مصيبين فلم يكن عنده فيها شيء. وقيل له: أتروي عن شريك شيئاً؟ فقال نعم: حديثاً واحداً قيل ما هو؟ قال: حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم مثله قيل مثل أي شيء قال ما أدري هكذا سمعته.

● من استفتي فيما لا يعرفه فانفصل عنه بحيلة

قالت امرأة لرجل: إذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق[1]، كم يكون بأربعة دراهم؟ فلم يعرف جوابها. فقال: ممّن اشتريت؟ قلت: من فلان قال اقصي بما يعطيك فإنه ثقة.

وسأل رجل في الجامع أبا عقيل مسألة في الحيض فلم يعرفها. فقال يا أحمق أخرج هذه القاذورات والنجاسات من الجامع حتى تخرج منه.

وكان بعض القصاص في حديث قتلى بدر، فسئل عن النملة إذا ماتت في الماء، هل يجوز شربه؟ فقال: ما لنا وهذا؟ نحن في الشوق إلى العوق أي نتكلم في الكبار فلا نخوض في الصغار.

● من استفتاه أحمق فأجابه بنادرة

قال شامي لحمزة بن بيض: لم يرفع تكلف رجله إذا بال؟ قال: مخافة أن ينجس سراويله.

وسأل رجل الشعبي: كم أمهر إبليس امرأته؟ قال: ذاك أملاك لم أشهده. وقال له إنسان: هل آكل الذباب؟ قال إن اشتهيت فكل.

وقيل لآخر: إذا دخلت النهر لاغتسل، ففي أي جانب أفضل أن أقف، فقال في الجانب الذي فيه ثيابك لئلا تسرق.

وقيل لآخر: ما تقول في من نام وأيره قائم فجاءت امرأة فقعدت عليه؟ فقال: لا أدري ما أقول، ولكن كان أيراً مرزوقاً.

وقال أبو حازم: جاء رجل إلى أبي فقال بأي رجل يجب أن يبدأ من يدخل المسجد؟ فقال ما هذا مما يسئل عنه؟ ولكن قد قيل للعروس: ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين.

---

(١) الدانق: هو سدس الدرهم والكلمة فارسية

وقال رجل لمفت بالبصرة. أسلمت ثوباً إلى الحائك فالدقيق على من يجب؟ فقال. الدقيق ولعنة الله على الحائك.

● **من استفتي في سخف فأجاب بمقتضاه**

قيل لعالم. ما بال عانة المرأة تنبت اكثف، فقال لقربها من السما وتسقى من عسل

وقيل: ما بال أستاههن لا شعر عليه وعلى أستاه الرجال الشعر؟ فقال: لأن أستاه الرجال حمى وأستاه النساء مرعى

وقال عبادة عند المأمون ليحيى بن أكثم: علّمني مرائض الصلب فإني أشتهيها فقال المأمون وتبسم ما تقول في مسائله، فقال قد أخطأ ما كان يجب أن يسأل عن هذا في الصبا. أما سمع قول الشاعر.

فإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه

إنما يعلم الحديث بشرط أن يكون وضيئاً زكياً سهل الأخلاق ومن كان له ابن بهذا الشرط علمناه، فقال عبادة. لو دخلت في صنعتك لم يقربك أحد فقال يحيى وأنا خارج منها وما بأحد على قوة.

واستفتي ابن عريعة في رجل دخل الحمام وقعد على الحوض ضرط فيه فتحول الماء ريتاً فكتب أخلق بذلك أن يكون عثاً باطلاً وكدراً وعليهما أن يعلما المتاع بنجاسة ممشئه وقلر مبدئه، ليستعمله في أسرجته[1] دون أطعمته والسلام

(١٧)
وممّا جاء في الخطبة وقراءة القرآن

●

● **ما يحتاج إليه في الخطبة**

قيل: يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخيّر اللفظ جهير الصوت، وأن يضع في صدر كل خطبة من النكاح والعيد والصلح ما يدل على عجزها، وأن يكون فيها آيات وإلا كانت شوهاء، ولذلك قال عمران بن حطان: أول خطبة خطبتها عند زياد، فقال هذا الفتى أخطب الناس. لو كان في خطبته شيء من القرآن وليس من السنة التمثل فيها بالشعر.

وقال الجاحظ. يجب أن يفرق بين صدر خطبة النكاح، وخطبة العيد وخطبة الصلح، وكانوا يحمدون الجهير الصوت ويذمّون ضئيله

---

(١) الأسرجة. جمع سراج وهو إناء يجعل فيه زيت أو نحوه فيصعد في فتيلة، فيستضاء به عندما تمسّه النار.

● **صعوبة توليها**

قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشيب، فقال: كيف لا؟ وأنا أعرض عقلي في كل جمعة على الناس.

وقيل: نعم الشيء الأمارة، لولا قعقعة البريد وصعوبة المنبر.

وقيل: إياك والخطبة فإنها مشوار كثير العثار[1]. **وقيل**: لا يقدم على الخطبة إلا مائق أو مائق[2].

وقال عبد الله القسري: هو مقدم لا يقومه إلا أعوج أو قليل الحياء.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يتصعدني شيء كما تتصعدني خطبة النكاح. **وقيل**: إنما صعب عليه لقرب الوجوه من الوجوه ومن صعد المنبر رأى نفسه أرفع فيكون أجسر.

وقيل أنه لا يجد من تزكية الخاطب بدأ فلذلك كرهه.

● **من ارتج عليه فيها فاعتذر بعذر حسن**

ارتج على **عثمان** رضي الله عنه، **فقال**: إنكم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوّال.

وارتج على يزيد بن المهلب فلما نزل قال:

فإن لا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغا لخطيب

فقيل: لو قلت هذا على المنبر، لكنت أخطب العرب. وصعد **خالد بن عبد الله القسري** المنبر فأرتج عليه **فقال**: إن هذا الكلام يجيء أحياناً، ويعسر أحياناً وربما طلب فأبى وكوبر فعتا. التأني لمجيئه أيسر من تعاطي لأبيه. وقد يختلط من الجريء جنانه وينقطع من الذرب لسانه، وسأعود فأقول.

وارتج على أبي العباس السفّاح لما صعد المنبر فنزل ثم صعد، **وقال**: أيها الناس إن اللسان بضعة من الإنسان، يكل بكلاله إذا كلّ ويرتحل لارتجاله إذ ارتجل. ونحن أمراء الكلام بنا تفرّعت فروعه، وعلينا تهدّلت غصونه، ألا وإنا لا نتكلم هذراً بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين.

● **من اعتذر بخرافة أو نادرة**

حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فاشتد جزعه فقيل: إن هذا مقام صعب فامتحن فيه غيرك. فأمر وازع بن مسعود أن يصعد ويخطب فلما ابتدأ الكلام حصر، فقال: لا أدري ما أقول لكم، ولكني أشهدكم أن مرأتي طالق فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة. ثم أمر آخر فصعد المنبر فارتج ونظر إلى الصلع **فقال**: اللهمّ العن هذه الصلعة

---

(١) العثار: مصدر عثر، أي زلّ وكبا. ومثله تعثر. (٢) المائق: الأحمق.

وصعد عتاب بن ورقاء منبر أصبهان يوم النحر، فحصر فقال: لا أجمع عليكم عيّاً وبخلاً، ادخلوا سوق الغنم، فمن أخذ منكم شاة فهي له وعليّ ثمنها.

● الأمرُ بالإغضاءِ عنه لئلا يدهش

صعد أعرابي المنبر فلما رأى الناس يرمقونه صعب عليه الكلام، فقال: رحم الله عبداً قصر من لفظه ورشق الأرض بلحظه ووعى القول بحفظه. وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رفع الناس أبصارهم قال لهم: نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم، فإن أول مركب صعب.

وصف خطيب مصقع طلحة

ركــوبُ الــمــنــابــر وثّــابــهــا ... مِـعَـنٌّ بـخـطـبـتـه مـصـقـعُ[1]

وقال قيس بن عاصم

خـطـبـاء حـيـنَ يـقـول قـائـلُـهـم ... بـيـضُ الـوجـوه مـصـاقـع لُـسْـنُ[2]

وقال آخر:

يـرمـون بـالـخـطـب الـطـوال وتـارةً ... وحـيَ الـمـلاحـظِ خـيـفـةَ الـرقـبـاء

● جماعة من مشاهير الخطباء

منهم قيس بن ساعدة، ولقيط بن معبد، وزيد بن جندب، وصعصعة بن صوحان، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

وتكلّمت الخطباء يوماً عند معاوية رضي الله عنه فقال: والله لأرمينّهم بالخطيب الأشدق. قم يا يزيد فتكلم.

ومن الخطباء القدماء: كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب كافّة. فلّما مات أكبروا موته، وأرّخوا بموته إلى عام الفيل.

ومن خطباء اليمن حمير بن الصباح وكان الفضل بن عيسى الرقاشيّ من أخطب الناس، وكان متكلماً قاصّاً يقعد إليه عمرو بن عبيد.

● المعتذرُ بعجزه عن الخطبة

قال كعب الأسدي:

فإن لا أكنْ في الأرض أخطبَ قائماً ... فإنّي على ظهرِ الكميتِ خطيب

وقال لبيد:

إذا اقتسمَ النّاسُ فضلَ الفخارِ ... أطلْنا على الأرض ميلَ العصا

(1) الخطيب المصقع: الخطيب العالي الصوت

(2) لسن: أي فصحاء، من اللَّسن وهو الفصاحة

وله:

ما إن أهاب إذا السرادقُ غمّه قرعُ القسيّ وأرعشَ الرعديدُ[1]

ومن السنة أن يتناول الخطيب سيفاً أو قوساً يمسك به نفسه، وقد تقدّم شيء من هذا الباب.

● ذمّ خطيب

قال واثلة الدوسي:

لقدْ صبرتْ للذلّ أعواد منبر يقوم عليْها في يديكَ خطيبُ
بكى المنبرُ الشرقيّ لما علوته وكادَتْ مساميرُ الحديدِ تذوبُ

وقال منصور بن ماذان

أقولُ غداةَ العيد والقومُ شهد ومنبرُنا عالي السناء رفيعُ
لعمْري لأن أضحى رهيناً فإنه لمنْ يرتقي أعواده لوضيعُ

وقال آخر:

ملي ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الأصابعِ[2]

وقال المصيصي في خطيب:

يشني لنا كلّ جمعة عظةً يشْلي علينا بها الشياطينا[3]

● فضل قراءة القرآن

قال النبي ﷺ: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في السر والإجهار.

وقال ﷺ: خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه. ولبعضهم: أن الله تعالى جعل القرآن سراجاً لا تطفأ مصابيحه، وشهاباً لا يخبو زنده، ونوراً لا يتغير ذكاؤه، ومن قرأه وتبعه دلّه على المكارم وصدّه عن المحارم، وشفع له يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5] وقال ﷺ: من بلغه القرآن فكأنما شافهته، لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[6] وقد ذكرنا أحوال القرآن في باب الديانة مستقصاة.

---

(١) القسي: جمع قوس وهو آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام ـ الرعديد: الجبان.
(٢) البهر: انقطاع النفس من الإعياء ـ العثنون: اللحية.
(٣) أشلى يشلي: أغرى، يغري.
(٤) القرآن الكريم: الأعراف/ ٢٠٣.
(٥) القرآن الكريم: القمر/ ١٧ و٢٢.
(٦) القرآن الكريم: الأنعام/ ١٩.

● نوادر العرب فيما سمعوه من القرآن

قيل لأعرابي اقرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1]، فقال: أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شيئاً فيه صعود وهبوط هات غيرها. وقيل لآخر: ما تقرأ في صلاتك؟ قال أمّ القرآن ونسبة الربّ وهجاء أبي لهب.

وقيل لآخر ما قرأ إمامكم البارحة في صلاته؟ فقال: أوقع بين موسى وهارون شراشر[2].

وسمع آخر رجلاً يقرأ. الأعراب أشد كفراً ونفاقاً فقال. لقد هجانا ثم سمعه يقرأ بعده ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: لا بأس هجاء ومدح هذا كما قال الشاعر.

هجوتُ زهيراً ثمّ إني مدحتُه وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمدحُ

وسمع آخر قوله تعالى. ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3] فقال: وأين السلم إليه؟

وسرق أعرابي غاشية سرج، فدخل مسجداً فقرأ الإمام ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾[4]، فقال: اسكت قد أخذت في الفضول، فقرأ الإمام: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾[5] فقال ها هي غاشيتكم، فلا تخشعوا وجهي.

● من غيّر حرفاً من القرآن فأتى بنادرة لمّا روجع

قال الحجاج لامرأة من الخوارج اقرئي شيئاً من القرآن فقرأت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[6] فقال: ويحك يدخلون، قالت: قد دخلوا وأنت تخرجهم.

وقرأ أعرابي إنا بعثنا نوحاً إلى قومه فقيل: إنما هو أرسلنا، فقال ما بينهما إلا لجاجك وقرأ آخر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[7] فقالوا له: قد غيرت فقال

خذوا أنف هرشى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشى لهنّ طريقُ

● بعضُ ما جعلته العربُ قرآناً

قرأ أعرابي في صلاته الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب طويل ومشفر وثيل[8] وإنه من خلق ربنا لقليل، الله أكبر

---

(1) القرآن الكريم الكافرون/ ١.

(2) الشراشر: النفس، يقال ألقى عليه شراشره أي أحبه حتى استهلك في حبه.

(3) القرآن الكريم: الذاريات/ ٢٢.

(4) القرآن الكريم الغاشية/ ١.

(5) القرآن الكريم: الغاشية/ ٢.

(6) القرآن الكريم النصر/ ١ و٢.

(7) القرآن الكريم: الزلزلة/ ٧ و٨.

(8) المِشفَر الوثيل: من وثل يثل وثيلاً من كذا إذا طلب النجاة منه

وقرأ آخر:

ويوسفُ إذ دلاّه أولادُ علّة　　　فأصبحَ في قعر الركيّةِ ثاويا[1]

وصلّى آخر بقوم فقرأ:

أفلحَ منْ هينمَ في صلاته　　　وأخرجَ الواجبَ من زكاتهِ[2]

وأطعمَ المسكينَ من مخلاته

فضحك القوم فالتفت إليهم وقال: أشهد أني أخذته من في[3] مسيلمة.

وشهد أعرابي عند أمير فقال المشهود عليه كيف تقبل شهادته وهو لا يحسن شيئاً من القرآن فالتفت إليه، وقال اقرأ، فقال

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا　　　بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فقال الأمير أنها آية محكمة، فقال المشهود عليه ما أراه تعلّم هذه الآية إلا الساعة

● من ذكر مثلاً فاعتقدَ أنه من القرآن

خطب أبو الفرزدق فقال قال الله تعالى لن يعجز القوم إذا تعاونوا وخطب عتاب بن ورقاء فقال. إن الله تعالى يقول، إنما يتفاضل الناس بأعمالهم فقيل ليس هذا قرآناً فقال: ما أظنها إلا آية.

وقال بعض الناس ما أحسن ما قال الله تعالى اقتلوا النملة حيث وجدتموهم. فقيل: ليس هذا بقرآن، فقال: ألحقوها به فإنها آية حسنة.

ونقط أبو عباد الكاتب على بعض كتابه قرمه بدواة بين يدي المأمون، فقال له لم فعلت ذلك؟ فقال: أما سمعت قال الله تعالى فيه وإذا ما غضبوا هم يستغفرون فقال: ويلك لا تحسن آية فقال: نعم إني أقرأ من سورة ألف آية

● ذمّ من قبح قراءته

قرأ رجل بحضرة الصاحب رحمه الله و «العاديات»[4] بأقبح قراءة فتشاوم الصاحب تبرماً به، فضرط القارىء ضرطة، ففتح الصاحب عينيه وقال: تؤذيني بالعاديات وتهنيني بـ «المرسلات».

وقال المصيصي

نحن في أنكر عيش　　　من قراءة ابن حبيش

---

(١) دلاّه: أرسله بالحبل أو أوقعه - الركيّة: البئر - يشير إلى يوسف عليه السّلام، الذي كاد له وإخوته حين اصطحبوه في سفرهم ثم ألقوه في غياهب الجب... الخ

(٢) هينم في صلاته: تكلّم كلاماً لا يفهم

(٣) من في: أي من فم

(٤) القرآن الكريم: العاديات/ ١٠٠

يـقـرأُ الـحَـمْـدَ فـتـق فـي   خـلـقـه كـنـةُ خـنـيـثٍ

وقال آخر:

وكأنما في الحلق منه مجشة   أو دبة في سلم تتدحرجُ

وصلّى رجل يقال له يحيى، بأربعة نفر فأكثر اللحن في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما فرغ قال أحدهم:

أكـثـر يـحـيـى غـلـطـاً   فـي «قـل هـو الله أحـد»

فقال الثاني:

قـامَ يـصـلـي قـاعِـداً   حـتـى إذا أعـيـا قـعـد

فقال الثالث:

كـأنـمـا لـسـانـهُ   شُـدَّ بـحـبـلٍ مـن مـسـد[1]

فقال الرابع:

يـزحـرُ فـي مـحـرابـه   زحـيـر حـبـلـى بـولـد[2]

● ذمُّ من أرتج عليه في القراءة ونوادره

قام رجل يصلّي خلف إمام، فلما افتتح الصلاة أرتج عليه في الاستعاذة من الشيطان، فأخذ يكرّر الاستعاذة فقال له رجل: إنك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان يا بارد.

وقرأ إمام سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[3] فلما بلغ قوله:

فأين تذهبون؟ أرتج عليه فأخذ يكرر، وخلفه أعرابي، فأخذ حمشه[4] وصفعه، فقال: أما أنا فأريد كلواذا، هؤلاء الكشخنة لا أعرف مقصدهم.

وصلّى رجل بقوم فأخذ يردد: قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي فقال أعرابي: أهلكك الله وحدك.

وقرأ الرشيد ليلة: مالي لا أعبد الذي فطرني، فرتج عليه، وأخذ يردده وابن أبي مريم بقربه في الفراش، فقال: لا أدري والله لم لا تعبده؟ فضحك الرشيد وقطع صلاته.

---

(١) قوله: بحبل من مسد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]، والمسد الليف أو الحبل المحكم.

(٢) يزحر زحيراً: يخرج الصوت بأنين.

(٣) إذا الشمس كوّرت: سورة التكوير وهي سورة ٨١ من القرآن الكريم.

(٤) أخذ حمشه: كناية عن الغضب.

(١٨)
ومما جاء في الفِراسة والتراطُن والطِّيرة والفأل

•

● صحّةُ الفِراسة

قال النبي ﷺ اتّقوا فراسة المؤمن، وقال ﷺ: المؤمنُ ينظر بنور الله. قال ابن الرومي:

وحبتي الفؤاد بعلمه، العا   ق قبل السماع بالإيماء
وظنونُ الذكيّ أنفذُ في الحقـ   ـق سهاماً من رؤية الأغبياء

وقال آخر:

لا تسأل المرءَ عن خلائقِهِ   في وجهه شاهدٌ من الخبَر

وقال آخر وفي بعض القلوب ترى عيونٌ، وقال البحتري

وإذا صحّت الرويّةُ يوماً   فسواءٌ ظنُّ امرئٍ وعيانُه[١]

● الممدوحُ بصحّةِ الفِراسة

قيلَ فلانٌ ألمعيٌّ[٢]، وقال أوس[٣]:

نجيحٌ مليحٌ أخو مأقط   نِقابٌ يخبرُ بالغائب[٤]

وقال أبو تمّام:

يرى الحادثَ المستعجمَ الخطبِ مُعْجَمَاً   لديه ومشكولا إذا كانَ مُشْكِلا[٥]

وقال آخر:

يخبر ظهر الغيب ما أنت فاعلُ

وقال آخر:

يخاطبُه من كلّ أمرٍ عواقبُه

● من تفرّسَ في صبيّ أمراً وكانَ كما ظنّ

رأى بكير بن الأخنس المهلّب وهو غلام، فقال خذوني به إن لم يفق سراتهم ويبرع حتّى لا يكونَ له مثل، وكان كما قال.

---

(١) الروية النظر والتفكّر في الأمور   (٢) الألمعي: الذكيّ، الفطن

(٣) أوس: أي أوس بن حجر، ذكر آنفا

(٤) المأقط ويروي مأزق موضع اجتلاد القوم ـ النقاب الرجل العلامة، والنقّاب (بالتشديد). النافذ في الأمور

(٥) المستعجم. المستبهم والصعب ـ المعجم المنقّط ـ مشكولا معلماً بالشكل، والمشكل المشتبه ـ أي لا يصعب عليه إدراك أي غامض أو مبهم

ونظر رجل إلى معاوية وكان صغيراً فقال: إني أظن هذا الغلام سيسودُ قومَه. فقالت هند: ثكلتْه أمّه إن كان لا يسودُ إلا قومَه. ورأى رجلٌ ابنَ السكّيت وهو صغير يُسأل فيجيب، فقال: إن هذا الغلام ينال خيراً وقد تقدم في الحزم والتعلم مثل هذا.

● كلماتٌ من الرّطانة[1]

بعث امرؤ القيس إلى امرأة تزوج بها بثلاثين شاة وزقّ خمر، فذبح الغلام في الطريق شاة وأكلها وشرب بعض الزق فلما أوصلهن، قالت له: قل لزوجي إذا أتيته سحيما كان قدر، ثم وإن رسولك جاءنا في المحاق. فلما أتاه الرسول وأخبره، قال: يا عدوّ الله أكلت شاة وشربت من رأس الزقّ فاعترف بذلك.

وأسر بنو ساسان رجلاً من بني العنبر، فقال: دعوني أرسل إلى قومي ليفدوني. فقالوا: على أن لا تكلم الرسول إلا بحضرتنا. فقال: نعم. وقال للرسول: قلْ لهم إنّ الشجرَ قد أورق وإن النّساء قد اشتكت. ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم. فقال: ما هذا الوقت؟ قال: الليل. قال: قل لهم عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء، واسألوا حارثاً عن أمري. وكان الحارث صديقاً له.

فذهب الرسول إليهم فدعوا حارثاً فسألوه. فقال: قوله الشجر قد أورق، أي تسلّح القوم، واشتكت النساء، أي اتخذت الشِّنان للغزو. وقوله: ما هذا الوقت؟ فقال الليل فإنه يقول أتاكم جيش كالليل وقوله عروا جملي الأصهب، أي ارتحلوا عن الصمّاء واركبوا ناقتي الحمراء أي انزلوا الدهناء. فرحلوا من ساعتهم فصبّحهم القوم فلم يجدوا أحداً وكان العطاردي، لما رجع إلى قومه رمى إليهم بصرّتين في إحداهما شوك وفي الأخرى تراب، فقال قيس بن زهير هذا رجل مأخوذ عليه بالحلف وهو يخبركم عدداً وشوكاً. قال الله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[2]

وأسرت طيء غلاماً من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه. فقال أبوه عنده: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبلَي طيء، ما عندي غير ما عرفتكم، ثم انصرف. وقال: لقد أعطيته كلاماً إن كان فيه خير فهمه، كأنه قال الزم الفرقدين على جبلي طيء ففهم الابن كلامه فطرد إبلا من إبلهم بينه، ونجا بها

وكان داريوس ملك فارس، لما سمع بخروج ذي القرنين[3] بعث إليه بدرّة وكرة ياقوتة وجراب سمسم وتابوت مملوء من الذهب وكتب إليه: إنما بعثت بهذا لأجرب عقلك، فقال له الإسكندر: قد عرفت ماذا بعثت. أما الدرّة فتزعم أنك سوط تشير علي وقلت يجتمع لي ملكك اجتماع هذه الكرة في يدي. وذكرت أن لك في أمري ضياء كضياء

---

(١) الرطانة: مصدر رطن رطانة وراطنه مراطنة أي كلّمه بالأعجمية، والمراد الكلام الذي لا يفهم

(٢) القرآن الكريم. الأنفال/٧. (٣) هو ذو القرنين الإسكندر الكبير ملك الإغريق.

الياقوتة وبعثت بالتابوت من الذهب تقول: تكون لي خزائنك والسمسم تعلمني أن عدة جنودك كثيرة ككثرته.

ثم إن ذا القرنين أخذ كفاً من السمسم بحضرة الرسول فاستفه ومضغه، وقال: قل له جنودك كثيرة، ولكنّي أطحنهم طحناً كهذا السمسم، وبعث معه إليه بجراب من خردل فأخبر الرسول داريوس بما عاين من ذي القرنين، فأعجبه كيده وغضب فأخذ كفاً من الخردل فطرحه في فمه كفعله بالسمسم فلم وجد مرارته وحرافته[1] لفظه، وقال: أشهد أن جنوده في حرافة الخردل، ثم كانت الغلبة لذي القرنين.

ولما صالح ملك الهند اشترط عليهم أن يبعثوا إليه حكيماً كان فيهم ففعلوا. فاستصحبه ولم يفاتحه.

ثم بعث إليه يوماً بستوقة[2] مملوءة سمناً، فأخذها الحكيم وغرز فيها إبراً وردها إليه. فبعث إليه يوماً آخر مرآة صديئة، فأخذها الحكيم فجلاها وردها إليه. فقيل لذي القرنين تعجباً من فعلهما: ماذا عنيتما بذلك؟ فقال: إني لما بعثت إليه الستوقة قلت: إني ممتلىء من العلم امتلاء هذه الستوقة من السمن فأرني تغرز لأرى أن الأمر بخلاف ذلك، وأن في زيادات كثيرة، وذكرت له بالمرآة الصديئة أن نفسي قد صدئت. فأجابني: بأن قال: ذكر العلماء فالمذاكرة جلاء القلوب.

● **الإشارةُ بقولٍ يسيرٍ إلى معنى كثيرٍ**

كان المأمون رحمه الله غضب على طاهر[3] بعدما وجهه إلى خراسان، فكتب إليه بالرجوع. فكتب إليه صديق له كتاب سلام ووقع على حاشيته: يا موسى. فجعل طاهر يتأمل ذلك ولا يدري معناه، حتى ناوله امرأة صحبته جزلة الرأي، فقالت: إنما عنى يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. فأمسك طاهر عن الإقدام وجعل يتقيه حتى طيّب قلبه.

● **النهي عن التكهّن والطِّيرة**

روي عن النبي ﷺ أنه قال: الطيرة شرك وما منّا من يجده في نفسه، ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل.

وقال ﷺ: ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظنّ والطيرة والحسد فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض ولا تثن.

---

(١) الحرافة: الطعم الذي يلذع اللسان بحرارته.

(٢) الستوقة: لفظة فارسية ولعلها تعني الوعاء المغلّف بالفضّة.

(٣) طاهر (هنا): هو طاهر بن الحسين قائد جيش خليفة المأمون المتوفى سنة ١٩٥ هـ (٨١٠م).

وقال: من تكهن أو استقسم أو تطيّر طيرة ترده عن سفر، لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة. وروي اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، وقال ﷺ لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

● **الرخصةُ في الطّيرة**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ **قال:** الطيرة في المنزل والمرأة والفرس **وقيل:** أخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك فغضبت وأنكرت ذلك وطارت شقة في السماء وشقة في الأرض، **وقالت:** إن النبي ﷺ إنما قال إن يكن شؤم ففي هذه الثلاثة.

● **جوازُ الفأل**

كان النبي ﷺ يتفاءل[1] ويعجبه الفأل الحسن ولا يتطيّر. ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وقاربها، سمع منادياً ينادي: يا سالم. فقال لأصحابه: سلمنا فلما دخلها سمع آخر ينادي: يا غانم. فقال: غنمنا. فلما نزل أتي برطب فقال ﷺ حلالنا البلد، وسمع رجلاً يقول: يا حسن. فقال: أخذنا فألك من فيك.

ولما خرج من مكة مرّ بكلبة في ظل شجرة ساقطة أطباؤها[2] نائمة عليها أجراؤها[3] فقال لأصحابه أعطيتم درّها، ووقيتم كلبها. وبعث المشركون إليه سهيلاً فقال: أتاكم سهيل وسيسهل أمركم.

ووجه سعد بن أبي وقاص إلى عمر رضي الله عنهما رسولاً فلما جاءه **قال:** ما اسمك؟ قال: ظفر. قال: ابن من؟ قال: ابن قريب. فقال: ظفر قريب إن شاء الله تعالى.

ولما طلب المغيرة بن شعبة رسول سعد بن أبي وقاص من ملك الفرس يزدجر الجزية، قال: نعطيكم التراب. فقال سعد: نعم لفأل مكننا من أرضه.

● **النهيُ عن التنجيم واختيارُ الأيام**

روى أن النبي ﷺ سأله رجل في أي يوم أحتجم.

فقال: لا تطيروا، فإن الأيام كلها لله إذا تبيغ[4] بأحدكم الدم فليحتجم.

وقال النبي ﷺ: اللهمّ لا طير إلا طيرك. ولما عزم عليّ كرم الله وجهه، على المسير إلى النهر وإذ أتاه بسام المنجم **فقال:** لا تسر في هذه الساعة وسرْ في وقت كذا. **قال:** ولم؟ **قال:** لأنك إن سرت فيها أصابك ضرر شديد، وإن سرت في وقت كذا ظفرت. **فقال:** ما كان محمد ﷺ يعلم ما ادعيت. وقال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك.

---

(1) **تفاءل يتفاءل:** نقيض تشاءم أو تطير.
(2) **الأطباء:** حلمات الضرع جمع طبي.
(3) **الأجراء:** جمع جرو وهو ولد الكلب.
(4) **تبيغ الدم:** تهيّج.

وما كان لعمر رضي الله عنه منجّم، وقد فتح بلاد كسرى وقيصر.

وقال عليّ كرم الله وجهه: من تعلم باباً من النجوم فقد تعلم باباً من السحر فإن زاد ازداد.

وقال الخليل:

أبـلـغـا عـنّـي الـمـنـجّـم أنّـي ... كـافـر بـالـذي قـضـتـه الـكـواكـبُ[1]

عـالـم أنّ مـا يـكـون ومـا كـا ... ن، فـحـتّـمٌ من الـمـهـيـمـنِ واجـبْ[2]

وقال الصاحب:

خـوّفـنـي مـنـجّـم أبـو خـبـل ... تـراجـعَ الـمـريـخُ فـي بـرج الـحـمَـل

فـقـلـتُ: دعـنـي من أباطيل الـحِـيَـل ... فـالـمـشـتـري عـنـدي سـواءٌ وزُحَـل[3]

أدفـعُ عـنّـي كـلّ آفـاتِ الـدّول ... بـخـالِـقـي ورازقـي عـزّ وجـلّ

● أسامي ما تطيّرُ به العَرَبُ

السانح ما ولاّك ميامنه، والبارح ما ولاّك مياسره. قال أبو عبيدة: البارح يتشاءم به أهل نجد، والسانح يتشاءم به أهل عالية، ولذلك قيل: من لي بالسانح بعد البارح. والناطح ما يلقاك بجبهته وهو يكره، والكادس ما يجيء من خلفك يقفوك[4]، وكل ما يتطير به يسمى طير العراقيب.

ويتطيرون بالعطاس، ولذلك قال:

أورحـلـت مِـنْ سـلـمـى بـغـيـرِ مـتـاعِ ... قـبـل الـعـطـاس ورعـتـهـا بـوداعِ

● المُصيبُ في عيافته

خرج لهبي في حاجته ومعه سقاء لبن. فسار صدر نهاره ثم عطش، فأناخ راحلته ليشرب، فإذا غراب ينعب فأثار راحلته ومضى. فلما أجهده العطش أناخ راحلته ليشرب فنعب الغراب، وتمرّغ في التراب فضرب الرحل سقاءه بسيفه فإذا فيه أسود سالخ وبنو أسد موصوفون بالعيافة[5].

وقال الأصمعي: قيل إن نفراً من الجن تذاكروا العيافة من بني أسد فأتوهم، فقالوا: ضلّت لنا ناقة فأرسلوا معنا من يعيف. فقالوا لغليم منهم انطلق معهم فاستردفه أحدهم فساروا، فلقيتهم عقاب كاسرة إحدى جنحيها، فاقشعر الغلام وبكى. فقالوا مالك؟ قال

---

(١) يقول: إنه لا يؤمن بما يقول المنجمون مشيراً إلى الحديث القائل «كذب المنجمون ولو صدقوا»
(٢) الحتم: المحتوم الذي لا مناص منه ـ المهيمن: أي الله تعالى.
(٣) المشتري: كوكب يتفاءل به وهو خلاف المريخ الذي هو مصدر شؤم.
(٤) يقفوك: يتبع أثرك. (٥) العيافة: التكهن بزجر الطير.

كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً ما أنت بانسي ولا تبقي لقاحاً.

وبعث أزدشير إلى النبي ﷺ راجزاً[1] ومصوّراً فقال للزاجر. ازجره وللمصور صوّر صورته، فلم يجد الزاجر شيئاً يزجر به، وصوّر المصور صورته وورد بها. فنظر أزدشير إليها ووضعها على الوسادة وقال للزاجر ما رأيت؟ قال لم أر شيئاً أزجر به عنده. ولكنّي رأيت ها هنا أن الأمر له، لأنك وضعته على وسادتك ومكنته من رياستك

وسمع لهبيٌ يعيف رجلاً يقول لعمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله فقال. سمّاه باسم ميت. فلما بلغ مرمى الجمار صكت حصاة صلعة عمر رضي الله عنه، فقال اللهبي: اشعر والله أمير المؤمنين، والله لا يقف هذا الموقف بعدها فقتل عمر رضي الله عنه تلك السنة

وبينا مروان بن محمد[2] ينظر في إيوان له فانصدعت زجاجة من الإيوان، ووقعت منها شمس على منكب مروان، وكان بحضرته عيّاف يستمع إليه مروان، فقال: صدع الزجاج منكر محرج وثمه ثوبان مولى مروان فسأله، فقال. صدع الزجاج صدع السلطان منصعب الشمس عن مروان، بقوم من الترك أو خراسان، ذلك عندي واضح البرهان مورد عن قريب خبر أبي مسلم[3] صاحب الدعوة.

● من حكمَ بتنجيم وافقَ قوله القضاء

كان الفضل بن سهل حكم على نفسه أنه يعيش أربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار. فعاش هذه المدة ثم قتل في حمام سرخس

ولما مرض الحجّاج دعا منجمه فقال. ويحك انظر ماذا ترى؟ فقال: أرى ملكاً يموت ولست هو. قال. وما اسمه؟ قال كليب. فقال. أنا والله ذلك فقد كانت أمي سمّتني كليباً

وكان نيبخت المنجم لا يحبس[4] عن المنصور[5] فجاءه يوماً فقيل له إنه في المستراح، فقال أخرج عاجلاً تخرج، فانخسف المخرج عقب خروجه.

● من تطير من الكرام بكلامٍ سوء سمعه فأصابه من ذلك

قال هبة الله بن إبراهيم: دعاني الأمين في الليل التي نزل فيها طاهر بن الحسين

---

(١) الزاجر: الكاهن الذي يزجر الطير.

(٢) مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. قتله العباسيون

(٣) أبو مسلم: هو أبو مسلم الخراساني قائد العباسيين في معركة الزاب التي انتصر فيها جيش مروان بن محمد الأموي

(٤) لا يحبس عنه. لا يمنع عنه

(٥) المنصور: الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور

النهروان، فلما دخلت عليه رأيته مغتماً فقال: يا عمّ أما ترى هذا الباغي عليّ فقلت: دعه وبغيه، فالبغي يردي صاحبه. فقال: فيم أدري ما حاضري؟ فقلت: تأمر بإحضار أبي نواس فإنه فتّاح لهذه الأبواب، فاستحضره وسأله فقال:

إذا ما صافك الهمُّ ... فضع في الرأس أقداحا[1]
فإنّ الهمّ إن طاحت ... به مشمولةٌ طاحا[2]

فدعا برطل وجارية تغني، فسألها: ما اسمك؟ قالت: شرّ، وغنّت بقول الشاعر:

كليبُ لعمري كانَ أكبرَ ناصرٍ ... وأكبرَ جرماً منكَ ضرّج بالدمِ

فرمى بالرطل وأمر بالجارية فألقيت في دجلة، ودعا أخرى فغنّت:

هموا غدروه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه[3]

فرمى بها أيضاً، ودعا بأخرى فغنّت بقول الشاعر:

كأن لم يكنْ بين الحُجون إلى الصّفا ... أنيسٌ ولمْ يسمُر بمكّة سامرُ[4]
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ[5]

فاغتمّ اغتماماً عظيماً فتطلع على دجلة فإذا برجل يقرأ فصي الأمر الذي فيه تستفتيان فاستحكم تطيره. فقلت: يا أمير المؤمنين قد نهى النبي ﷺ عن التطير فقال: هبني لا أتطير بالشعر أما أتفاءل بالقرآن فما انقضى الأسبوع إلا وقد نزلت به النازلة.

● من رأى فأل سوء فصرفه إلى حسن متأويله

خرج جعفرُ بن سليمان إلى المدينة والياً بها فتعلّقت شجرة بلوائه فتطيّر بذلك. فقال من كان معه: هذا عملك تشبّث بك فسرّي عنه.

وسار خالد بن يزيد إلى ولاية الموصل فانكسر اللواء فحزن لذلك، فقال أبو الشمقمق:

ما كانَ مندقُّ اللواءِ لريبةٍ ... تُخشى ولا أمرٍ يكونُ مبدلا
لكنّ هذا الرمحَ ضعفَ متنه ... صغرُ الولاية فاستقلَّ الموصلا

---

(١) ضع أقداحاً: كناية عن الشرب أو الإدمان على الخمر.
(٢) طاحت به: طرحته ـ المشمولة: الخمر.
(٣) المرازب: جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس.
(٤) الحجون: جبل بأعلى مكّة، عنده مدافن أهلها وقيل هو الجبل بمكّة عند المحصّب (معجم البلدان لياقوت) ـ الصفا: أحد جبلين بين بطحاء مكّة والمسجد، والآخر المروة والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الحج (انظر معجم البلدان لياقوت).
(٥) الجدود: الحظوظ ـ العواثر: الجد العاثر السيء.

فبلغ ذلك المأمون فزاد في ولايته قنسرين[1].

ولما صعد قتيبة بن مسلم[2] منبر الري[3] سقط القضيب من يده فتطيّر بذلك الناس، فأنشد:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

● وصفُ الفأل السوءِ بأنه يصيبُ من تفاءل به

قيل إياك والفأل السوء، فقد قالت الفلاسفة: ما للنوائب رسولٌ أبلغ في قبض الأرواح من الطيرة والفأل السوء. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمير المؤمنين عند النبي ﷺ وكان يحبّ الفأل فلما خرج أنشد:

تفاءل بما تهوى يكُنْ فلقلّما ... يقال لشيءٍ كان إلا تكوّنا

وقال علقمة:

ومن تعرّض للغربان يزجرُها ... على سلامتها لا بدّ مشؤومُ

● من تشوئِمَ به فدفعَ ذلكَ عنْ نفسه

خرج هشام بن عبد الملك يوماً فلقي أعوراً فأمر بأن يضرب ويحبس، وقال: تشاءمت بك. فقال الأعور: إن الأعور يكون شؤمه على نفسه وشؤم الأحول على غيره ألا ترى أني استقبلتك فلم يصبك شيء، وأنت استقبلتني فنالني منك سوء. وكان هشام أحول فخجل من ذلك وخلاه.

وخرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد فاستقبله أعور فأمر بحبسه وضربه، ثم مضى فتصيّد صيداً كثيراً، فلما عاد استدعى بالأعور وأمر له بصلة، فقال الأعور: لا حاجة لي في الصلة، ولكن ائذن لي في الكلام، فأذن له فقال: تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتُك فصدتَ وسلمت، فأينا أشأم؟ فضحك وأعطاه.

● الخَطّ

كان زاجر العرب يخطّ خطّين فيقول ابني عيان أسرعا البيان. وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[4] أنها الخط.

---

(1) قنسرين: مدينة اختلف في تفسير اسمها قال الزمخشري هي من القنسر والقنسري الشيخ المسن، وقيل قنّ نسر، وهي كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة (معجم البلدان لياقوت).

(2) قتيبة بن مسلم: من الولاة زمن بني أمية.

(3) الريّ: مدينة قديمة في جنوبي طهران، وفيها ولد هارون الرشيد، وكانت قد فتحت بقيادة عروة بن زيد سنة ١٨هـ (٦٣٩م).

(4) القرآن الكريم، الأحقاف/ ٤.

● **الطَرْق**

هو نثر الحصى والاستدلال باجتماعه وتفرّقه، كما يعمل صاحب الشعير. وأصل الطرق الضرب، قال الشاعر:

لعمرُكَ ما تدري الطوارقُ بالحَصَى ... ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللّهُ صانعُ[1]

وقال حمّاد عجرد: الطرق من الجبت.

● **القِيافة**

قالت عائشة رضي الله عنها: دخل رجل على رسول الله ﷺ تبرق أسارير وجهه من الفرح، فسألته عنه **فقال**: ألا إن **محرز المدلجي** رأى **زيد بن حارثة وأسامة** نائمين في قطيفة[2]، قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما، **فقال**: هذه الأقدام بعضها من بعض.

واختصم رجلان في غلام يدّعيه كل واحد منهما، فسأل **عمر** رضي الله عنه أمه، **فقالت**: غشيني أحدهما، ثم هررت دماً، ثم غشيني الآخر، فدعا **عمر** رضي الله عنه قائفين فسألهما، **فقال أحدهما**: أعلن أو أسر قد اشتركا فيه، فضربه **عمر** رضي الله عنه حتى اضطجع، ثم سأل الآخر فقال مثل قوله، **فقال**: ما كنت أرى أن مثل هذا يكون.

قال عوسجة ابن مغيث القائف: كنا نسرق فيما نعرف آثارهم بتمتر أيديهم في المدرق فركبنا في آثارهم حتى ظفرنا بهم.

وقيل: فلان في قيافته يعرف أثر الذرّ على الصخر فيعرف أثر الأنثى منها من الذكر.

وكانت **هند بنت عتبة** عند **الفاكه بن المغيرة** وكان **الفاكه** من فتيان **قريش**، وكان له منزل للضيافة يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت يوماً **وقال الفاكه** ساعة **وهند** عنده، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته، وأقبل رجل فدخل البيت فلما رآها انصرف فاستقبله فرآهما فارتاب بها فخاصمها، **وقال**: إلحقي بأهلك. فتكلّم الناس بها. **فقال أبوها**: أي بنية إن الناس قد خاضوا في أمرك فأصدقيني، فإن كان ما يقولونه حقاً بعثت من يقتل الفاكه سراً فتخلصين. وإن كان باطلاً حاكمته إلى بعض كهان اليمن ليبين براءة ساحتك. فحلفت أنها بريئة. فأرسل إليه **وقال**: حاكمها إلى الكاهن فقد رميتها بداهية.

فخرج الفاكه في جماعة من **بني عبد المطلب** وخرجت في نسوة فلما شارفوا البلد، رآها أبوها شاحبة متغيّرة، **فقال**: مالي أرك شاحبة متنكرة الحال **قالت**: والله ما ذلك لمكروه عندي، ولكنّي آتي بشراً يخطئ ويصيب، فلا آمنه أن يرميني بداهية من غير أصل،

---

(١) هذا البيت للبيد بن ربيعة من قصيدته التي مطلعها:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

(٢) **قال**: نام في القائلة أي في منتصف النهار.

فيصير ذلك سبّة علينا. فقال أبوها إنا نخبيء له خبيئة، فإن أخبرنا بها استدللنا على علمه واستفتيناه، وإلا تركناه. فأخذوا حبة حنطة وجعلوها في إحليل[1] فرس، فلما انتهوا إليه أنزلهم وأكرمهم، فقالوا: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك فانظر ما هو؟ فقال: تمرة في كمرة. فقالوا: نريد أبين من هذا. فقال: حبّة في إحليل مهر. فقالوا: صدقت أنظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهن، ويقول: ليست هذه حتى دنا من هند فضربها على كتفها وقال: والله ما أنت بزانية ولتلدين ملكاً اسمه معاوية. فقام إليها الفاكه وقبّل رأسها فقالت: أبعد عنّي فوالله لأجتهدنّ أن يكون من غيرك هذا الملك، فأبت حتى طلّقها وتزوج بها أبو سفيان.

(١٩)
وممّا جاء في تأويلِ الرؤيا

•

• ما يدلُّ على صحّةِ الرؤيا

قال النبي ﷺ: رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

وروي ذهبت النبوّة فلا نبوّة، وبقيت «المبشرات». وقيل: في قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] إنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

وقيل: إذا أراد الله بعبد خيراً عاتبه في النوم. ويدلّ على صحة ذلك ما حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]، وما حكى عن رؤيا الرجلين ورؤيا الملك.

وقال ﷺ إن في الهواء ملكاً موكلاً بالرؤيا، فلا يمرّ بأحد خير ولا شرّ إلا أريه في المنام حفظ من حفظ ونسي من نسي.

وقال النبي ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي، وروي أنه ﷺ قال: الرؤيا ثلاثة: رؤيا هي بشرى من الله تعالى، ورؤيا تحذير من الشيطان، ورؤيا يحدّث الإنسان بها نفسه فيراها في المنام.

• العارفُ بتأويلِ الرؤيا

كان ذلك من علم يوسف ﷺ وقد وصفه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[4]

---

(١) الإحليل: هو للدّابة كالثقب للإنسان.
(٢) القرآن الكريم: يونس/ ٦٤.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٤.
(٤) القرآن الكريم: يوسف/ ٢١.

وكان أبو بكر رضي الله عنه موصوفاً بذلك. وقال الحسن لابن سيرين[1]: تعبر الرؤيا كأنك من ولد يعقوب، فقال: وأنت تفسر القرآن كأنك ممّن شهد التنزيل.

وقال ابن شبرمة: ما رأيت أحداً أجرأ على النوم ولا أجبن على اليقظة، من ابن سيرين أي يعبر الرؤيا ولا يجيب عن الفتوى.

● رؤيا مُسْتَغربة

قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أخذت حمامة جاري مكسورت جناحها، ورأيت غراباً أسود وقع على سطح بيتي، فقال: أنت تختلف على امرأة جارك وأسود يخلفك في دارك ففتش عن ذلك فوجده حقاً.

وقال له رجل: كأني آكل حبيصاً في الصلاة. فقال: الحبيص حلال ولا يجوز أكله في الصلاة، أنت تقبّل امرأتك صائماً. وقال له آخر: رأيتني أطأ مصحفاً. فقال له: في خفك درهم تطؤه. فتأمل ذلك فوجده كما قال.

وقال له آخر: رأيت كأني أصب زيتاً في أصل زيتون. فقال له: إنك تنكح أمك فبحث عن ذلك فإذا تحته جارية كان يطؤها أبوه.

وقال له آخر رأيتني كأني أسبح في غير ماء فقال له: إنك تكثر الأماني. وقال له آخر: رأيتني كأني أصيد ثعلباً، فقال: أنت تطلب حيلة.

ورأى عبد الله بن جعفر غراباً على منارة النبي ﷺ فقال سعيد بن المسيب: سيزوج الحجاج بابنتك، فتزوج بها الحجّاج بعد. فقيل له: كيف علمت ذلك؟ فقال: المنارة أشرف ما في المدينة والغراب فاسق.

وقالت امرأة: رأيت سنبلة نبتت على إصبعي، فقال: سعيد ستأكلين من غزلها. وقال رجل لابن سيرين: رأيتني كأن عيني اليمنى دارت على قفاي فقبلت عيني اليسرى، فقال له: لك ولدان أحدهما يفجر بالآخر. فاستكشف عن ذلك فوجده كما قال.

ورأى رجل النبي ﷺ في منامه فشكى إليه علة كانت به، فقال له: عليك بلا ولا، فاستيقظ الرجل وتحيّر فسأل ابن سيرين، فقال: كل الزيتون فإن الله تعالى يقول ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[2].

وقال رجل لسعيد: رأيت في المنام كأني أسلك طريقاً، ومتى قعدت كنت أقطع الطريق، وإذا مشيت لم أقطعه. فقال: أنت رجل سمّاح إذا قعدت كسبت، وإذا قمت تعطلت، فكان كما قال.

---

(١) ابن سيرين: هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري. كان أبوه مملوكاً لأنس بن مالك، وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق روى ابن سيرين الحديث عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وروي عنه.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٣٥.

● رؤيا ظاهرُها حسنٌ وباطنُها مستقبَح

قالت عائشة لأبي بكر رضي الله عنهما: رأيت كأنما وقع في حجرتي ثلاثة أقمار. فقال: سيدفن في بيتك ثلاثة من الأخيار.

قال أبو عبد الله البريدي الفقيه: جاءني رجل من الشهود، فقال: رأيت في المنام كأن الله تعالى، قد ابتدأ خلق السموات والأرض. فقلت: لعلّ غيرك رآها وسألك أن تفسّرها؟ قال: بل أنا رأيتها. فقال له: تغدو إلى دار القاضي، وتسألني عنها حتى أفسّرها لك بحضرته. فحضر وسأله عنها. فقال: أيها القاضي إن فلاناً يسألني عن رؤيا فسله لعلّ غيره رآها. فسأله، فقال: لا بل أنا رأيتها. فقال: هذا رجل تشهد بالزور، لأن الله تعالى يقول ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾[1] فبحث عنه فوجد قد شهد شهادات زور.

وحكي عن الصاحب قال: رأيت قابوس في المنام قبيل ما انهزم بجرجان[2]، كأنه يسألني ويقول: رأيت في المنام كأنما على رأسي قلنسوة، وكأني قلت له: إن القلنسوة رياسة. فقال: إني لأراه هلاكاً، لأن القلنسوة بالفارسية كلاه، فإذا قلب فهو هلاك. فانهزم في اليوم الثاني أو الثالث من ذلك المنام.

● رؤيا ظاهرُها قبيحٌ وباطنُها حسَنٌ

قال رجل لابن سيرين: رأيت رجلاً مجرّداً في المسجد، فهالني ذلك. فقال: لعلّك رأيت الحسن مجرّد من دنياه فاشه سره علانيته. ورأى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه عرز في يدي عبد الملك ورجليه أربعة أوتاد، فأرسل إلى ابن المنذر فقال: إن صدقت رؤياه غلبه عبد الملك وخرج من صلبه أربعة كلهم خلفاء ورأى عبد الملك أنه بال في محراب النبي ﷺ أربع مرات، فأوّل على أنه يخرج من صلبه أربعة يتولّون الخلافة. ورأى في منامه كأنه صارع ابن الزبير فصرعه ابن الزبير، فهاله ذلك فبعث سرّاً إلى ابن المنذر، فقال: هذه رؤيا ملك نازعه ملك وقد خلّى صرعه بينه وبين الأرض.

وقال رجل لأبي عمرو الفراء[3]: رأيت كأني قطعت رأسي فوضعته بين رجلي، فقال: أكان لك عمامة فقطعتها سراويل؟ قال: نعم هو كما قلت.

● خرافاتٌ في الرؤيا

قال رجل لسيفويه: رأيت كأن عليّ قميصاً رقيقاً وجبّة وشي متخرقة، وفي كمّي فلوس، وفي عنقي هاون وفي جاسي دبّة، إذ نزعت حركتها، فقال: أنامت عيناك؟ ما

---

(١) القرآن الكريم: الكهف/ ٥٢ (٢) جرجان: من أقاليم فارس، وهو يقع شرقي بحر قزوين
(٣) الفراء: أحد نحويي الكوفة، كان تلميذاً للكسائي، مات سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢م)

أحسن ما رأيت: القميص الرقيق دبيك، ولحتة الوشي صراطك في الصلاة، والفلوس سوف تفلس، والهاون أن تهان، والدنة أن يدب إليك فتاك.

وقال بعضهم: ليست الرؤيا كلها صحيحة إنما يصح بعض دون بعض. فقال بعض السامعين: كذا هو، فإني رأيت في المنام كأني وجدت بدرة عظيمة أحملها فأحدثت من ثقلها. فانتبهت فوجدت الفراش مملوءاً من الخرء ولم أجد للبدرة أثراً.

وقال صبي لمعلّمه: إني رأيت في المنام كأنّي مطليّ بعذرة، وأنت مطلي بعسل، فقال المعلم: هذا عملك السوء وعملي الصالح ألبسنا الله تعالى. فقال الصبي: إسمع تمام الرؤيا فكنت تلحسني وأنا ألحسك. فقال: أغرب قبحك الله.

وقال رجل للصاحب: رأيت في المنام عمر وفي يده سيف، وهو يريد قتلي فقال له: إذا رأيته فقل له العب بمسك.

وقال رجل: رأيت في منامي كأني متزر بهاون فقال له معبّر أنك مأبون فلما كشف عن حاله وجد كما قال.

ومما جاء في علوم الأمم ورموز العرب

● فنونُ العُلوم

قيل: علومُ الأدب عشرة، ثلاثة شهرجانية[1]: الطب والهندسة والفروسية، وثلاثة أنوشروانية[2]: ضربُ العود ولعبُ الشطرنج وضرب الصوالجة، وثلاثة عربية: الشعر والنسب وأيام الناس. وواحد أبر على كل ذلك مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالسات.

وقال بعضهم: رأيت العلوم والامور تدور على أربعة أشياء: نحو يقيم به الرجل لسانه، وطبّ يقيم به بدنه، وحكايات يقيم بها أدبه، وحسن تدبير يتوصل به إلى معاشه.

وكان الإسكندر[3] وأرسطوطاليس[4] إذا تسايرا تناظرا في العلم وإذا خليا تشاورا في الملك، وإذا قعدا للشرب تحدّثا في الشجاعة وإذا أرادا الإنصراف إلى مضجعهما تذاكرا الفقه والعفة.

---

(١) شهرجانية: نسبة إلى شهرجان.

(٢) أنوشروانية: نسبة إلى أنوشروان، من ملوك الفرس الأكاسرة.

(٣) الإسكندر: أحد ملوك وقادة الإغريق، وهو الإسكندر المقدوني ذو القرنين.

(٤) أرسطوطاليس أو أرسطو: أحد أكبر فلاسفة الإغريق.

● **علومُ العَرَب**

علم بديع الشعر، وبلاغة المنطق، وتشقيق اللفظ، وتعريب الكلام، وقيافة البشر، وقيافة الأثر، وصدق الحسّ وصواب الحدس، وحفظ النسب، ومراعاة الحسب، وحفظ المناقب والمثالب، وتعرّف الأنواء، والاهتداء بالنجوم، والتبصّر بالخيل والسلاح واستعمالهما، والحفظ لكل مسموع، والاعتبار بكل محسوس، ويعلمون بالزجر ما يقصر عنه غيرهم

● **علومُ الرّوم**

لهم الطب والنجوم والألحان وجودة التصوير، حتّى إن أحدهم يصور الإنسان شاباً وكهلاً، فيجعله بحيث إذا رأى صورته ثم رآه عرفه.

ولهم البناء العجيب ولهم من الرأي والسحنة والمكيدة ما لا ينكره من يعرفه

● **علومُ الفُرْس**

لهم العقول والأحلام، والسياسة الصحيحة، وترتيب العلوم والأمور، والمعرفة بعواقب الأمور. ولهم من اللغات ما لا يحصى كثرة، كالزمزمة والفهلوية[1] والخراسانية والجبلية

● **علومُ اليُونانيّة**

اليونانيون كانوا ذوي أذهان بارعة، ولا يشتغلون بمكاسب الآلات والأدوات والحلال، التي تكون جماماً للنفوس. ولهم القبانات[2] والاصطرلابات[3]، وآلات الرصد والبركار[4]، وأصناف المزامير والمعازف، والطب والحساب والهندسة، وآلات الحرب كالمجانيق[5] والعرادات. وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا عملة

كانوا يصورون الآلة ولا يخرطون الأداة، يشيرون إليها ولا يمسّونها، يرغبون في التعلم ويرغبون عن العمل.

● **علومُ الصِّين**

أهلُ الصين أصحابُ الأعمال، كالسبك والصياغة والإفراغ والإذابة والأصباغ العجيبة، والخرط والنحت والتصاوير، والخط والنسج ورفق الكف في كل ما تناولوه

---

(١) **الفهلوية**: اللغة الفارسية القديمة

(٢) **القبانات**: جمع قبان وهو آلة توزن بها الأشياء الثقيلة واللفظة معرّبة «كبان» التركية

(٣) **الاصطرلابات**: جمع اصطرلاب وهو من آلات رصد الفلك

(٤) **البركار**: وهو الفرجار وتسميه العامّة البيكار.

(٥) **المجانيق**: جمع منجنيق من آلات الحرب، وكان يتخذ لرمي القلاع بالحجارة الكبيرة، وعمله أشبه بعمل المدفع في آلة الحرب الحديثة.

وكانوا يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لأنهم عملة، واليونانيون يعرفون العلل، ولا يباشرون العمل لأنهم حكماء.

● علومُ الهِنْد

لهم معرفة الحساب والنجوم، ولحظ الهندي وأسرار الطب، وعلاج فاحش الأدواء[1]، والرقى وعلم الأوهام، وخرط التماثيل ونحت الصور، وطبع السيوف والشطرنج والكنكلة. وهي وتر واحد يحمل على قرعة فيقوم مقام العود ولهم ضروب الرقص والثقافة والسحر والتدخين.

● التُّرْكُ

هم كالعرب، في أنهم أصحاب قيافة ومعرفة بالحروب وآلاتها، وهم أعراب العجم، كما أن العرب أكراد النبط. فصاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة، والصين في الصناعة، وهم في البيطرة[2] والرياضة فوق كل أمة. وأحدهم يركب ظهر فرس فوق ركوبه الأرض يغزو أحدهم بأرماكه[3] ومهورة، فمتى أتعب واحدة ركب أخرى فلا يستريح ولا ينزل إلى الأرض.

● رموزُ العرب

كانوا إذا استمطروا، عمدوا إلى سلع وعشر، فعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيه النار وصعدوا بها جبلاً يستسقون الله بذلك، وبذلك قال أبو الطائي:

أجاعلٌ أنتَ بيقوراً مسلعةً — ذريعةً لكَ بينَ اللهِ والمطَرِ

وإذا امتنع البقر عن شرب الماء، ضربوا الثور. يزعمون أن الجنّ تركبه فتمتنع البقر عن الماء، قال الشاعر:

لكالثورِ والجنّيّ يركَبُ ظهرَه — فما ذنبُه إن عافتِ الماءَ مشربا

وإذا سافر أحدهم عمد إلى غصن شجرة، فعقد عليه عقداً تسمى رتما. فيقول: إن انحلّ إلى أن أرجع، خانتني امرأتي، وإن لم ينحلّ فدلالة على أنها لم تخن

قال الشاعر

هلْ ينفَعنْكَ اليومَ إن همّتْ بهمٍ — كثرةُ ما توصي، وتعقادُ الرتمِ

وزعموا أن المرأة المقلاة، إذ وطئت قتيلاً شريفاً بقي أولادها. ولذلك قال الشاعر: تظل مقاليت[4] النساء يطأنه

---

(1) فاحش الأدواء: أي الأمراض العسيرة المعضلة. (2) البيطرة: علم طبابة الحيوان.
(3) الأرماك: جمع الرمك وهو البرذون أو الفرس.
(4) مقاليت: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد أو التي تضع واحداً ثم لا تحمل.

وزعموا أن من علّق على نفسه كعب أرنب لم يصبه جنٌ ولا عينٌ، لأن الأرنب ليس من مطايا الجن لأنها تحيض، فيهرب منه الجن

قال ابن الأعرابي. قلت لأعرابي: من علّق على نفسه كعب أرنب لم يصبه جنان الحي ولا عمار الديار. فقال: أي والله ولا شيطان الحماطة[1] وغول القفر، وتطفأ عنه نيران السعالي[2].

وكانوا إذا خافوا على إنسان الجنون عنّقوا عليه خرق الحائض وعظام الموتى.

وقالوا: إذا خيف على الصبيّ النظرة يعلّق عليه سنّ ثعلب أو سن هرة يسلم.

وقيل. أرادت جنيّة صبياً فلم تقدر عليه، فلما رجعت، قيل لها في ذلك، فقالت كانت عليه نفرة، ثعالب وهررة، والحيض حيض السمرة. وحيض السمرة شيء يسيل من السمرة، وهي شجرة يزعمون أن الجن يرهبون منه

وقالوا. إذا دخل الرجل قرية فخاف وباءها نهق نهيق الحمار لم يصبه الوباء

وقال عروة بن الورد:

لعَمْري لئِنْ عشرت من خيفةِ لردى نهيق الحمير إنني لجزوع

وقالوا السليم[3] إذا علق عليه حلي نساء، أفاق ولذلك قال النابغة

يسهّد من ليلِ التمام سليمُه لحلي النساء في يديه قعاقعُ

وقالوا: من خرج به شر فأخذ إنسان منخلاً، أخذ من كل دار من دور الجيران كسرة وتميرة، فنثرها لكلب، ذهب الشر عنه إلى كلب.

وقالوا إذا طرف أحدهم عين صاحبه أخذ الطارف عين المطروف، فيقول بوحدى جاءت من المدينة، باثنتين جاءتا من المدينة، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع، فتسكن عينه.

وقالوا للغلام إذا سقط سنّه فحذفها نحو عين الشمس، وقال أبدليني خيراً منها عادت

ولذلك قال طرفة.

بدلته الشمسُ من منبتِها برداً أبيض مصقول الأثر

قالوا: من ركب فرساً مهقوعاً[4] وهو ما به دائرة يقال لها الهقعة فعرق تحته اغتلمت

(١) الحماطة: شجرة شبيهة بالتينة (٢) السعالي: جمع سعلاة وهي أنثى الغول.

(٣) السليم الذي لدغته الأفعى أو الجريح المشرف على الهلاك، قيل سمي سليماً من قبيل التفاؤل يشير إلى عادة القوم في منع السليم الملدوغ من النوم كي لا يسري السم في جسمه وهم لذلك يلبسونه الحلي ليمنعه وسواسها وقعقعتها من الرقاد

(٤) المهقوع: الفرس المكوي

امرأته، وقال الشاعر:

إذا عرق المهقوعُ بالمرءِ أنعظت ... حليلتُه وازداد حراً عجانُها

وقالوا: إذا خرج المسافر فالتفت لم يتم سفره، وقال الشاعر

تلفّت نحو الحي حتّى وجدتني ... وجعت من الإصغاء، ليتا وأخدعا

وإنما التفت لأنه كان عاشقاً، فأحب أن لا يتم سفره ليرجع إلى محبوبه

وكانوا يوقدون خلف المسافر إذا أرادوا أن لا يرجع، ويرمون خلفه بحصاة وروثة، ويقولون: راث خبره وحصّ أثره، فإذا أرادوا سرعة رجوعه تناولوا من تحت قدميه، وقال شاعر في امرأة، قالت له واقتصت من أثره.

يا ربّ أنتَ جارُه في أثرِهِ ... وجارُ حصبيهِ وجارُ ذكرِه

وكان إذا أصاب إبلهم العُرّ[1]، كووا الصحيح منها، يزعمون أن الجربى بذلك تبرأ، قال النابغة:

كذي العرّ يُكوى غيره وهو راتعُ

ومذهبهم في الحامي والبحيرة والسائبة والوصيلة معروف. وإذا بلغت إبلهم ألفاً فقؤوا إحدى عيني الفحل، وإذا زادت عن الألف فقؤوا عينه الأخرى، ويسمّون ذلك المفقأ والمعمى. ويزعمون أن ذلك يطرد عنها العين

وقالوا: أيما امرأة أحبها زوجها أو خدنها، فلم يشق أحدهما ثوب الآخر لم يبق بينهما الحب، ولذلك قال الشاعر:

إذا شقّ بردٌ شقّ بالبرد برقُعٌ ... دواليك حتّى ليْسَ للثوْب لابسُ[2]

وقالوا: الضالّ في المفازة متى لبس ثوبه مقلوباً اهتدى، قالوا: والجمل متى ند فذكر بعض آبائه، والناقة إذا ندّت فذكر بعض أمهاتها سكنا، ولذلك قال الشاعر

أقول والوجناء بي تقحّم ... قلْ لي ما اسمُ أمّها يا علكمْ[3]

وقالوا: من عشق فكوي بين أليتيه سلا، وكان يفعل ذلك بنو عذرة[4] خاصّة.

وكان لهم خرزة يقال لها السلوان، إذا شرب حكاكتها العاشق سلا في ما زعموا، قال

---

(١) العُرّ: الجرب، يقال عُرّ الجمل أي جرب، وعرّة ساءه، وعرّه بشرّ لطخه بشرّ، مأخوذ من الجرب أي أعداه شرّه

(٢) البرد: الثوب الموشّى ـ البرقع: ما تستر به المرأة وجهها

(٣) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٤) بنو عذرة: قوم من العرب اشتهروا بشدة الوجد، وكان الواحد منهم إذا أحبّ هلك

الشاعر:

لـو أشـربُ السـلوانَ مـا سـليتُ ... مـا بـي غـنـىً عـنـك ومـا عـنـيتُ

وكانوا إذا عضّ أحداً كلبٌ كَلِب، يسقونه دم كريم، ويقولون إن ذلك يبرئه ويزعمون أن من لا يطلب ثاره[1]، يخرج من قبره هامة، فتقول: اسقوني إلى أن يدرك ثاره.

وقالوا: إن من مات فحفر له قومه حفيرة فأقاموا فيها بعيراً لا يعلفونه ولا يسقونه، حتى يموت، يكون ذلك مركباً له إلى عرصات[2] القيامة، ولا احتاج أن يحضر راجلاً حافياً. وكان ذلك البعير يسمى بليّة، قال الشاعر:

احـمـلْ أبـاك عـلـى بـعـيـر صـالـح ... يـومَ الـقـيـامـةِ إنّ ذلـك أصـوبُ

لا تـتـركـنَّ أبـاك يـمـشـي خـلـفهـم ... تـعـبـاً يـخـرّ عـلـى يـديـه ويـنـكـبُ

● ومن عُلوم العامة

تزعمُ العامّةُ أن الفأرة كانت يهوديةً طحانةً، تسرق الدقيق، فمسخها الله تعالى فأرة وسهيل كان عشاراً فمسخه الله كوكباً. والوزغة[3] كانت تمجُّ نارَ إبراهيم عليه السلام فمسخها الله. والحرير تولّد من عطسة الفيل. والهرّ تولّد من عطسة الأسد.

وإذا كسفت الشمس يقولون يا ربّ خلّصها وإذا أراد أحدهم أن يبول بالليل بصق أولاً وإذا طنّت ذبابة كبيرة، قالوا: بشرك الله بخير. وإذا أصبح نزره عضّ خرقة أو خشبة يقول حتى لا تكذب عليّ وإذا دخل الذباب ثياب أحدهم يزعمون أنه يمرض، وإذا احتكّ طرف أنفه يقولون يأكل اللحم وإذا احتكّ وسطه يقولون يأكل السمك

ويقولون اختلاج العين يدل على رؤية من لم يره منذ حين، وأسفله يدل على البكاء وهذا باب كبير وكثير منه يجيء مفصلاً في أبواب مختلفة.

---

(1) بثاره: أي بثأره بتخفيف الهمزة

(2) العرصات: جمع عرصة وهي في الأصل الساحة أمام الدار

(3) الوزغة: ضرب من الزحافات

الحدّ الثاني

في السيادة والولاية

(١)

السيادة والولاية

•

• **ما ذكر في حدّ[1] السيادة والسيد**

قيل: لحكيم: ما السودد؟، **قال**: اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة[2]، **وقال غيره**: حمل المكاره وابتناء المكارم، **وقيل**: بذل الندى وكفّ الأذى ونصرةُ المولى وتعجيل القرى[3].

وقيل للأحنف: ما السيّد؟ قال: من حمق في ماله وذلّ في نفسه وعني بأمر عشيرته.

وقيل: من إذا حضر هابوه، وإذا غاب عنهم اغتابوه. **وقيل**: من آوى ناره وحمى ذماره[4]، ومنع جاره، وأدرك ثاره.

• **الأحوالُ الشاقّة التي تُبلغُ بها الرّئاسة**

قال بعضهم، لرجل من بني شيبان: بلغني أن السودد فيكم رخيص، **فقال**: أما نحن فلا نسود إلا من أوطأنا[5] رحله وأفرشنا عرضه، وأخدمنا نفسه وبذل لنا ماله. **فقال**: وأبيك إذا فهو فيكم غال.

وقال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: إنما يستحق السيادة من لا يصانعُ ولا يخادعُ ولا تغرّه المطامع.

وقيل للأحنف: بم سدت؟ **قال**: بالخلق السجيح[6] والكفّ عن القبيح، وتجنّب الدنيّ وترك اللسان البذيّ.

وقال معاوية لعرابة الأوسي: بم سدت قومك؟ **فقال**: لست بسيّدهم ولكني رجل

---

(١) **الحدّ**: حدّ الشيء في اللغة تعريفه الجامع وحدّ الحاجز بين شيئين، والحد العقوبة، والمراد هنا المعنى الأول.

(٢) **الجريرة**: الذنب والجناية.   (٣) **القرى (بكسر القاف)**: إطعام الضيف.

(٤) **ذماره**: الذِّمار: الحرم والأهل وكل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه.

(٥) **أوطأنا**: جعلنا نطأ أي ندوس.   (٦) **الخلق السجيح**: الخلق السهل واللّين.

أعطيتُ في نائبتهم، وحملتُ عن سفيههم، وشددتُ على يد حليمهم، وعطفتُ على ذي الخلّة منهم. فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن قصّر عنّي فأنا أفضل منه. ومن تجاوزني فهو أفضل منّي.

وقال الأحنف: من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع، من كان له دين يحجزُه[1]، وحسب يصونُه وعقل يرشده، وحياء يمنعه. وقيل: من أحب الرئاسة صبر على مضض السياسة.

قال الشاعر:

أتـرجـو أن تـسـودَ ولا تـعـنّـي ... وكـيـف يـسـودُ ذو الـدعـةِ الـبـخـيـلُ

وقال الخبزارزي[2]:

فـقـلْ لـمـرجـي مـعـالـي الأمـورِ ... بـغـيـرِ اجـتـهـادٍ طـلـبـتَ الـمـحـالا[3]

• جماعُ أحوالٍ يجبُ للرؤساء تجنّبها وأحوالٍ يلزمُهم فعلُها

قال معاوية رضي الله عنه: لا ينبغي للملك أن يكون كذاباً، لأنه إن وعد خيراً لم يُرج، وإن أوعد شرّاً لم يُخف ولا غاشاً لأنه لم ينصح، ولا تصح الولاية إلا بالمناصحة ولا حديداً لأنه إذا احتدّ هلكت رعيته، ولا حسوداً لأنه لا يشرف أحد فيه حسد، ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم. ولا جباناً لأنه يجترىء عليه عدوّه وتضيعُ ثغوره.

وقال بعضهم: أكرهُ المكاره في السيّد، وأحبُ له يكونَ عاقلاً متغافلاً. كما قال أبو تمام الطائي:

لـيـس الـغـبـيُّ بـسـيّـدٍ فـي قـومـه ... لـكـنَّ سـيّـدَ قـومـهِ الـمـتـغـابـي

وقال ذو القرنين لأرسطوطاليس، لما أراد الخروج: علّمني بما أستعين به في سفري. فقال: اجعل تأنيك أمام عجلتك، وحيلتك رسول شدّتك، وعفوكَ ملك قدرتك وأنا ضامن لك قلوب الرعية إن لم تحرجهم بالشدّة عليهم، ولم تبطرهم بفضل الإحسان إليهم.

• الحثّ على تسويدِ الكبارِ[4]

قال قيس بن عاصم لبنيه: إذا متُّ فسوّدوا كبارَكم ولا تسوّدوا صغارَكم، فيحقر

---

(١) يحجزه: أي يمنعه عن القبائح والمساوىء.

(٢) الخبزارزي: هو نصر بن أحمد من شعراء البصرة. كان أمياً. سمّي بهذا الاسم لأنه كان يخبز خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة. أورد الثعالبي بعض شعره في يتيمة الدهر.

(٣) يقول: إنّه يستحيل بلوغ السيادة والمعالي بغير بذل وعناء واجتهاد.

(٤) تسويد الكبار: جعلهم سادة.

الناس كبارَكم فتهونوا. وردَ على النبي ﷺ إخوةٌ فتكلَّم أصغرُهم، فقال النبي ﷺ: كبِّروا كبِّروا. وفي ضده قيل السودد مع السواد، وقيل من لم يسد قبل الأربعين لم يسد بعدها.

● **وصفُ صغارٍ سادُوا باستحقاق**

لما ولّى **المأمون يحيى بن أكثم**[1] قضاء **البصرة**، وكان من أبناء نيف وعشرين سنة، أراد بعض أهل **البصرة** أن يعيِّره بذلك ويضع منه، **فقال**: كم سنّ القاضي؟ **فقال**: سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ مكة فجعل جوابه احتجاجاً.

وقد أمَّر رسول الله ﷺ **سعد بن أبي وقاص**[2] وسنّه دون العشرين، وولّى **الحجّاج** محمد بن أبي القاسم، قتل الأكراد بفارس، فأبادهم ثم ولاه **السند والهند** فأحمدَ أثره، وسنه سبعة عشر سنة، **فقال فيه الشاعر**:

قادَ الجيوشَ لسبع عشرةَ حجةً ... يا قربَ ذلك سوددا من مولدِ

وقال السري الرفاء[3]:

لا تعجبُوا من علوّ همّته ... وسنّه في أوانِ منشئها
إنّ النجوم التي تضيءُ لنا ... أصغرُها في العيون أعلاها

● **من طاعتُه واجبة ورئاسته مستحقة**

قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[4]، **وقال رسول الله ﷺ**: إسمعوا وأطيعوا، ولو ولي عليكم عبدٌ حبشي مجدع.

وقال عليّ بن الجهم:

أغيرَ كتابِ الله تبغونَ شاهداً ... لكم يا بني العبّاس بالمجد والفخرِ
كفاكُمْ بأنّ اللّهَ فوّضَ أمرَه ... إليكُم وأوصى أن أطيعوا أولي الأمْرِ

وقال البحتري:

مفروضةٌ في رقابِ النّاس طاعتُه ... عاصيه من ربقة الإسلام منخلعُ[5]

وقال أبو العتاهية:

أتتْهُ الخلافةُ منقادةً ... إليهِ تجرِّرُ أذيالَها

---

(١) **يحيى بن أكثم** [(١٦١ هـ - ٧٧٧م) - (٢٤٣ هـ - ٨٥٧)]، قاضي قضاة بغداد أيام المأمون وكان ولي قضاء **البصرة** وهو في العشرين من عمره، وله كتب في الفقه والأدب.

(٢) **سعد بن أبي وقاص**: هو أحد رجال الصحابة الذين بشّرهم النبيّ بالجنة. وكان من قادة المسلمين وأسهم في معارك حاسمة مثل معركة **القادسية وجلولاء**. أسس سعد مدينة الكوفة نحو السنة ٥٠ هـ (٦٧٠م).

(٣) **السري الرفاء**. أحد الشعراء في عهد سيف الدولة الحمداني.

(٤) **القرآن الكريم**. النساء/٥٨. (٥) **الربقة**: العروة في الحبل.

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

- **كونُ الإنسان رئيساً حيثُما كان**

قال المتنبي:

إن حلّ في فرس ففيها ربها كسرى تذلّ له الرقابُ وتخضعُ
أو حلّ في روم ففيها قيصرُ أو حلّ في عرب ففيها تبّعُ

- **أسامي ملوكِ كلّ صقع**

خزجير صاحب أفريقية، **كسرى** صاحب فارس، **قيصر** صاحب الروم، **بغفور** صاحب الصين، **البهراج** صاحب الزنج، **خاقان** صاحب الترك، **زنبيل** صاحب الخزر، **أصفر** صاحب علوا، **كابيل** صاحب النوبة، **أصبهبد** صاحب الجبل، أمير المؤمنين والخليفة والإمام صاحب المسلمين، تبّع صاحب حِمْير، ويقال لهم **الأقيال والعباهلة**، حكى ذلك الجاحظ.

- **المجتمَعُ على سيادته**

قال أبو تمام

لو أن إجماعنا في فضل سُؤدده في الدِّين لم يختلف في الأمة اثنان

وقال نهار بن توسعة:

قلّدته عرى الأمور نزارٌ قبل أن تملك السراة العَجُور

- **المزري رئاسته بغيره**

قال عبد الملك، وقد ذكر عنده **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: **قلّلوا من ذكره فهو** طعن على الأئمة وحسرة على الأمة.

وقال رجل لمالك بن طوق: أصبحت والله ناصحاً متعباً فاضحاً لكل والٍ قبلك، بحسن سيرتك متعباً لكل والٍ بعدك لقصوره عنك.

- **رئيسٌ يتلوه رؤساء**

قال علي بن الجهم[1]:

كأنه وولاةُ العهد تتبعُه بدرُ السماء تلتْه الأنجمُ الزهُرُ

---

(١) **علي بن الجهم**: شاعر عباسي مجّد المتوكل، وكان مبغضاً لكثرة سعايته بالناس. مات سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣م). ومما قاله غير آبه بحبيبه:

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري حبسي وأيّ مهنّد لا يغمدُ

وقال أحمدُ بن أبي طاهر:

كــأنَّ عــلــيّــاً وأبــنــاءه هــلالٌ تــحــفُّ بــه الأنــجُــمُ

أخذ ذلك من جرير حيث يقول.

كـالـبـدرِ حـفَّ بـواضـحـات الأنـجُـمِ

● أميرُ الأمراء

قال المتنبي:

وقـد رأيـتُ الـمـلـوكَ قـاطـبـةً وسـرتُ حـتـى رأيـتُ مـوْلاهـا

وقال آخر:

ولـو جـمـع الأئـمـةَ فـي مـقـام تـكـونُ بـه لـكـنـتَ لـهُـم إمـامًـا

وقال ابن الرومي:

سـادةُ الـنـاس كـالـجـبـالِ وأنـتُـم كـالـنـجـومِ الـتـي تـفُـوق الـجـبـالا

وقال الخوارزمي:

إلا حـركـا لـي أبـرويـزَ بـن هـرمـز وقـولا لـهُ قـمْ تـلـقَ أعـجـوبـةً قُـم[1]

تـطـلـعُ إلـى الـدنـيـا لـتـعـلـمَ إنّـهـا مَلَكْتَ من الـديـنـارِ مـقـدارَ درهَـمِ

● منْ هو رأسُ القومِ وروحُهم

قيل الملك كالرأس وأعوانُه كالجوارح[2] صلاحُها بصلاحه

قال منصور النمري

الـنـاس جـسـمٌ وإمَـامُ الـهـدَى رأسٌ وأنـتَ الـعـيـنُ فـي الـرأسِ

وقال الماني:

لو يكتبُ الناسُ أسماءَ الملوكِ إذاً أعطوْكَ موضعَ بسمِ الله في الحسَبِ

وقال إبراهيمُ بن هرمة:

وجدتُك من قيْس إذا القومُ حصلُوا مكانَ نياطِ القلبِ بينَ الأضالِعِ[3]

وقال الفرزدق:

منّا الـكـواهـلُ والأعـنـاقُ تـقـدمُـهـا والرأسُ مـنّـا وفـيـه الـسـمْـعُ والـبـصـرُ

وسئل بعضهم عن رئيسهم كيف هو؟ فقال: هو منا مكان الروح في الجسد. وقيل: هو الذروة وهم الرمع[4]، هو الرأس والناس الذنابى.

---

(١) أبرويز من ملوك الفرس.

(٢) الجوارح أعضاء البدن وحواسه.

(٣) نياط القلب جمع نوط وهو عرق غليظ متصل بالقلب، والنياط معلّق كلّ شيء.

(٤) الرمع: جمع الرمعة وهي هنة زائدة وراء ظلف الشاة، أو الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة

● وصفُ قومٍ كلّهم رؤساء

قال أحمد بن طاهر:

كـلّـهـم سـيـدٌ فـمَـنْ تـلْـقَ مـنـهـم ... فـلْـتـكَ هـذا أولـى بـحـلٍّ وعـقْـدِ

وقال المرتدس:

من تلقَ منهم تقُلْ لاقيتُ سيّدهم ... مثل النجومِ التي يَسْري بها الساري[1]

● من المرؤوسِ فيهم رئيسُ غيرهم

قال ابن أذينة:

سـمـيـنُ قـريـشٍ بـائـعٌ مـنـك لـحـمـهُ ... وغَـثُّ قـريـش حـيـث كـانَ سـمـيـنُ

وقال حجر بن خالد:

يـسـودُ شـبـانـنـا مـن سـوانـا وبـدؤنـا ... يـسـودُ مـعـدّاً كـلّـهـا مـا تـدافـعُـه[2]

● قومٌ تُوورثَت فيهم السّيادة

قال طريح:

مـثـلُ نـجـوم الـسـمـاء أن أفـلـتْ ... مـنـهـا نـجـومٌ بـدت نـظـائِـرُهـا[3]

وقال آخر

إذا مـقـرم مـنـا ذر حـدّ نـابـه ... تـخـمّـط فـيـنـا نـابُ آخرُ مـقـرمُ[4]

وقال أبو تمّام

رأيـتُـهـم ريشَ الـجـنـاح إذا مـضَـتْ ... قـوادمُ مـنـهـا بـشّـرتْ بـقـوادمِ[5]

● مصدر مُتابع

وقال وهب الهمداني:

صـدرُ الـمـجـالـس حـيـثُ كـا ... نَ لأنـه صـدرُ الـمـجـالـس

وقال آخر:

إذا ابـتـدرَ الـبـابَ الـمـهـيـبَ رأيـتـه ... يدفُّ جناحيْه الكهولُ الجحاجحُ[6]

---

(١) الساري: الذي يسير ليلاً

(٢) معدّ: اسم القبائل العربية التي نشأت في شمالي جزيرة العرب مثل مضر وربيعة

(٣) النظائر: جمع نظير وهو الشبيه والمثيل (٤) المقرم: الفحل والسيد العظيم ـ تخمّط: تكبّر

(٥) القوادم: جمع قادمة وهي الريشة الطويلة في جناح الطائر

(٦) يدفّ جناحيه: يحركهما ـ الجحاجح: جمع جحجح وهو السيّد العظيم

وقال المسيب:

تيتُ الملوكِ على رغمِها ... وشيبانُ إن غضبَت تعتبُ

وقال عمرو بن هداب: كنا نعرف سودد سلم بن قتيبة، بأنه كان يركب وحده ويرجع في عدة. وكان ملك بن مسمع صاح يوماً مواهي نابه عشرون ألف مدجج، وسأل عبد الملك عنه، فقيل: لو غضب لنصب لغضبه مائة ألف، يبذلون له أنفسَهم وأموالَهم، ولا يسألونه: فيم غضب؟

فقال: هذا وأبيك السودد.

ولم يكن في الإسلام أكثرَ عقد لواء من أبي موسى[1] رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي؛ ومن روح ابن حاتم ولاه السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد[2].

● الموصوفُ بأنّه ناصِرُ الدولة

قال رؤبة[3] في أبي مسلم[4]:

ما زال يأتي الأمرَ من أقطاره ... على اليمين وعلى يساره

مشتمرٌ ما يصطلى بناره ... حتى استقرّ الملكُ في قراره

وقال كثير[5]:

أبوك حمى أميّةَ حين مالتْ ... دعائمُها وأصحرَ للضراب

وكانَ الملك قد نصلَتْ يداه ... فردّ الملكَ منه في نصاب

قال المنصور يوماً للمهدي: ما أيدت بما أيد به من كان قبلي: أيّد معاوية بزياد وأيّد عبد الملك بالحجّاج. قال: فقلت قد أيّدت بمن فوقهما، فقال تعني أبا مسلم؟ قلت: نعم. قال: قد كان كذلك نكن خيّرنا بين أن يقتلنا أو نقتلّه فاخترنا قتله.

● من انقادتِ الأيّام لطاعتِهِ

قال عصابة:

ما زالَ تجري على الدنيا حكومتُه ... حتى لقد ظنّ كلٌّ أنّه الملكُ

(١) أبو موسى (هنا): هو أبو موسى الأشعري، وهو الذي اختاره الإمام علي ليكون وكيله في مسألة التحكيم الذي تمّ بعد معركة صفّين.

(٢) السفّاح: أول الخلفاء العباسيين وتلاه المنصور فالمهدي والهادي فالرشيد.

(٣) رؤبة: أحد كبار الرجّاز.

(٤) أبو مسلم: هو أبو مسلم الخراساني، قائد العباسيين في معركة الزاب الفاصلة بين الأمويين والعبّاسيين.

(٥) كثير: هو كثير عزّة من شعراء الشيعة الغلاة، وقيل كثير عزة لتغنّيه بمحبوبته عزّة. مات سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م).

وقال أبو الشيص[1]:

مـلـكٌ كـان الـمـوت يـتـبـع قـولَـه حـتـى يـقـالَ تـطـيـعُـه الأقـدارُ

● من كان القضاءُ يجري بأمرِه

قال شاعر:

كـان الـقـضـاءُ بـمـا هـويـتَ كـفـيـلاً

قال التنوخيّ:

يـكـونُ كـمـا شـاءَ والـقـضـاءُ كـأنّـه بـأمـرِهـم فـي الـخـلـقِ سـارٍ وواقـعُ

وقال المثقّب[2]:

ولـو عـلـمَ الـلّـهُ الـجـبـالَ عـصـيْـنَـه لـجـاءَ بـأمـراسِ الـجـبـالِ يـقـودُهـا

● فقيرٌ متولٍّ للرئاسة

قال حسّان بن ثابت:

ويـسـود مـقـتـرنـاً عـلـى الإقـلال

وقال آخر:

يـسـودُ ذا الـمـالِ الـقـلـيـلِ نـوالُـه مـروءتُـه فـيـنـا وإن كـان مـصـرمـا[3]

● من نالَ السيادةَ بنفسه

قال المأمون: خمسةٌ ملكوا الأقاليم برأيهم وشجاعتهم: الإسكندر نهض من الروم فملك الأقاليم السبعة، وأردشير ردّما أسكر من ملك أقليم بابل على حداثة سنه، وبهرام جور نهض في ثلاثمائة فارس، فقتل خاقان، وأنوشروان أتى دار مملكة أبيه فملكها، وأبو مسلم نهض لدعوتنا وهو ابن ثمانية عشر سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة

قال النبي ﷺ: ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران. فالمؤمنان سليمان وذو القرنين، والكافران نمرود[4] وشدّاد بن عاد[5]

● عقدُ البيعة

أولُ من عقد البيعة[6] لغيره أبو بكر رضي الله عنه، لعمر بن الخطّاب رضي الله

---

(1) أبو الشيص: هو محمّد بن عبد الله، ابن عم دعبل الشاعر عاش زمن هارون الرشيد (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، منشورات دار الأرقم ص ٦٠٧).

(2) المثقّب: هو محصن بن ثعلبة من شعراء الجاهلية النعمان، عاش زمن عمرو بن هند، سمّي المثقّب لقوله
ردَدْن تـحـيّـةً وكـنـنَّ أخـرى وثـقّـبْـن الـوصـاوصَ لـلـعـيـون

(3) المصرم: الفقير الكثير العيال. (4) نمرود: ملك الكلدانيين، ابن كوش بن حام

(5) شدّاد بن عاد:

(6) البيعة: التولية من بايعه بالخلافة أي عاهده. وتكون المبايعة بأن يمسك أعيان البلاد يدَ من يولونه الخلافة علامة لقبولهم إيّاه وتعهدهم بطاعته.

عنه. وعقد معاويةُ البيعة ليزيد ابنه، وهو معروف، ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال: اعلم أنك لو لم تولّ هذا أمر المسلمين لأضعتهم. فقال للأحنف: لم لا تقول؟ فقال: أخاف الله أن كذبت وأخافك إن صدقت. فقال: جزاك الله عن الإسلام خيراً

ولما شاور السفّاح سعد بن عمر و لمخزومي في عقد البيعة لعمه دون أخيه، قال له: أحدثك بحديث، كنت مع مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية فبلغه وفاة سليمان وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة فجزع جزعاً شديداً. فقلت: لا تجزع لموت سليمان ولكن اجزع لخروج الأمر من ولد أبيك إلى ولد جدك فأمسك السفّاح وعقد البيعة للمنصور.

● والٍ مراعٍ لرعيته

وصف أعرابي والياً فقال: كان إذا ولي طابق بين جفونه، وأرسل العيون[1] على عيونه. فهو شاهد معهم غائب عنهم. فالمحسن آمن والمسيء خائف.

وقيل من دبّر حاشيته ضبط قاصيته[2]

وقال إبراهيم الموصلي:

أصبحتَ راعياً وحارسَ أمرنا ... والله من عرض الردى لك حارسُ

● صلاحُ الرعيةِ لصلاحِ الرّعاةِ

قال رسول الله ﷺ: لن تهلك الرعية، وإن كانت ظالمة مسيئة، إذا كانت الولاة هادية مهدية. وقيل: زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم

وقيل: صنفان لو صلحا صلح الناس الفقهاء و الأمراء

وقال بزرجمهر إذا همّ الإمام بظلم ارتفعت البركة. وروي في الخبر إذا جار السلطان في ناحية ضرى[3] سباعُها.

وقيل إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تسمح الكلاب على الغريب. وقيل: أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى، فقال: إن الذي ردّ هذا لأمين

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمينُ الله فإن أديت أدّوا، وإن رتعت[4] رتعوا. قال صدقت

قال الشاعر:

ونفسَك فاحفظْها من الغيّ والردى ... متى تُغْوِها يغوَ الذي بك يقتدي

---

(١) العيون: الرقباء أو الجواسيس.

(٢) القاصية: المواضع النائية من الدولة أو المملكة ومن عليها في تلك المواضع

(٣) ضرى سباعها: تعوّدوا الصيد وولعوا به، يقال حرب ضارية أي شديدة

(٤) رتع: أخصب

● صلاحُ الولاةِ بصلاحِ الرعيّة

قال عبد الملك: إنكم لتسومون منّا فعل أبي بكر وعمر، ولستم تعملون بعمل رعيتهما، فأعان الله كلاً على كل. وكتب المهدي في جوابِ كتابٍ جاءه بشكوى عامل أن الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم. وقيل: شيئان صلاحُ أحدهما بصلاح الآخر: الرعيةُ والسلطان.

● خصبُ الزمان وطيبُه بعدلِ الولاة وجدبُه بجَوْرهم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزين في عين الخليقة إذا كان عليها إمام عادل. وتقبح في أعينها إذا كان عليها إمام جائر.

وروي أن أبرويز[1] نزل بامرأة متنكراً فحلبت بقرة لها، فرأى لبناً كثيراً، فقال للمرأة: كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان؟ قالت: درهم واحد. قال: وأين ترتع وكم منها ينتفع؟ قالت: ترتع في أرض السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي. فتفكر في نفسه، وقال: إن الواجب أن نجعل إتاوة على الأبقار فلأصحابها نفع عظيم. فما لبث أن قالت المرأة: أوّه إن سلطاننا همّ بجور. فقال لها أبرويز: ولِمَ؟ قالت: إن درّ البقرة انقطع، وإنّ جور السلطان مقتضٍ لجدب الزمان، كما أن عدله مقتضٍ لخصب الزمان.

فأقلع أبرويز عمّا همّ به وتاب ممّا خطر بقلبه، وكان بعد ذلك يقول: إذا همّ الإمام بجور ارتفعت البركة.

وقال سقراط: يسوءُ فرح العالَم الملكُ العادل، ويَسُوءُ حزنهم الملكُ الجائر.

وقال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبّل ابن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟

وكان رجل يساير عاملاً فمرّ بقصر خرب عليه زوجا بوم، والذكر يصرصر[2] للأنثى، فقال العامل للرجل: ما يقول هذا البوم؟ فقال: إن أمّنتني أخبرتك بما يقولان؟ فقال: أنت آمن. قال: إن الذكر خطب الأنثى، فقالت: لا أجيبك حتى تجعل مهري عشرين قرية خربة. فقال الذكر: إن بقي لنا هذا العامل سنة أمهرتك خمسين قرية. فغضب العامل وقال: لولا أني أمّنتك لعاقبتك.

وقيل: عدل السلطان خير من خصب الزمان، وسلطان عادل خير من مطر وابل.

● تفويضُ كلِّ أمرٍ إلى المستصلحِ له

قال الإسكندر لأرسطوطاليس: أوصني في عمّالي، قال: انظر إلى من كان له عبيد

---

(١) أبرويز: أحد ملوك الفرس.

(٢) يصرصر: يصوّت

فأحسنَ سياستَهم فولّه الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسنَ تدبيرَها فولّه الخراج.

قدم جماعة من فارس إلى المهديّ يشكون عاملهم، فقالوا للوزير: وليت علينا رجلاً إن كنت قد عرفته ووليته علينا فما خلق الله رعية أهون عليك منا، وإن كنت لم تعرفه فما هذا جزاء الملك وقد سلّطك الله على سلطانه. فدخل الوزير على المهديّ فأخبره وخرج فقال: إن هذا رجل كان له علينا حق فكافأناه، فقالوا: كان مكتوباً على باب كسرى العمل للكفاءة من العمّال، وقضاء الحقوق على بيت المال، فأمر بعزل ذلك العامل عنهم.

● تفضيلُ الفاجرِ الكافي على الضَّعيف التقيّ

قال عمر رضي الله عنه: أعضل[1] بي أهل الكوفة، إذا وليت عليهم العاجز القوي فجّروه، وإذا وليت المؤمن الضعيف هجّنوه. فقال المغيرة المؤمن الضعيف له إيمانه وعليك ضعفه، والفاجر القويّ لك قوّته وعليه فجوره. قال: صدقت وولاه الكوفة.

وكان يقول: أبداً أشكو إلى الله ثلاثة: لأمين ويقظة الخائن.

وقدم أهل السوس[2] على المنصور يشكون عملاً، فاستحضره واستحقّ به، فقال: القوم وأشدّ من الخيانة يا أمير المؤمنين. فاستوى جالساً، وقال: ما هو؟ قالوا: لم يسجد لله سجدة قط طاهرة منذ ولي السوس. فقال: ما أبالي أن لا يصلّي داخلاً وخارجاً، إذا هو أدّى الأمانة.

● تفويضُ الأمرِ إلى أهلِ الذمّة

ورد على عمر رضي الله عنه كتاب، فقال لأبي موسى الأشعري: ادع كاتبك يقرأه على الناس، فقال إنه نصراني لا يدخل المسجد. فقال استعملت على أمانة المسلمين نصرانياً. فقال: يا أمير المؤمنين لنا أمانته وله ديانته. فقال: لا تقرّبوهم وقد أبعدهم الله ولا تؤمنوهم وقد خوّنهم الله.

وشكا رجل عاملاً فقال: وضع والله الموحد، ورفع الملحد أوحش المسجد وآنس البيعة.

● تفويضُ الأمرِ إلى الكافي[3] وإن كان خائناً

قيل: فوّض الأمر إلى الكافي، وإن كان خائناً، فالمضيع شر من الخائن: لأن التضييع من طبع الجهل، ولا حيلة في الجهل. والخيانة معصية وذنب، ويمكن التوبة منه وقيل لا حاجة في الأحمق وإن كان أميناً.

---

(١) أعضلوا بي: لم يسلس له قيادهم.

(٢) السوس: بلدة في خوزستان، فيها قبر النبيّ دانيال والسوس تعريب الشوش. ومعنى الكلمة الحسن والطيب (معجم البلدان لياقوت الحموي)

(٣) الكافي: ذو الكفاية والمقدرة

● الاستعانةُ بالموثوقِ به وإنْ لمْ يكُنْ كافياً

قيل: لا تستنصحن غاشاً وإن كان كافياً، فمن استعان بأمين ربح عدم التهمة. وأراد **المأمون** أن يشخص عبد الله بن طاهر إلى ناحية، **وقال له:** استخلف. فاطرق فقال له **المأمون:** مالك تفكر؟ **فقال:** إن استخلفت من يستقل بخدمتك خفته، وإن استخلفت من أثق به لم آمن تقصيره. **فقال:** استعمل من تثق به وأنا أقوّمه.

● الصَّبْرُ على خيانةِ الوُلاة

قيل: لا مال لمن لم يصبر على خيانة الوكلاء وتضييع الولاة. وكان **مروان بن الحكم**[1] له غلام وكّله بأمواله، **فقال** له يوماً: أظنك تخونني؟ **فقال:** قد يخطىء الظنّ اتخذتني في مدرعة[2] صوف ولم أملك قيراطاً، وأنا اليوم أتصرف في ألوف، وأتبختر في خزوز إني أخونك وأنت تخون **معاوية**، ومعاوية يخون الله ورسوله.

● المنعُ من تفويضِ الأمرِ إلى القرّاء

قال عدي بن أرطاة لعالم: دلّني على قوم من القراء أولّيهم، **فقال:** إنهم ضربان: ضرب طلبوا الأمر لله، وأولئك لا حاجة لهم في لقائك وضرب طلبوا بذلك الدنيا فما ظنك بهم إذا وليتهم. فعليك بأهل البيوتات المستحيين لأحسابهم.

ولما ولي مروان بن محمد أرسل إلى رجل ليوليه فرأى له سجادة مثل ركبة البعير، **فقال:** يا هذا إن كان ما بك من عبادة الله فما يحلّ لنا أن نشغلك، وإن كان من رياء فما يجوز لنا أن نستعملك.

● تفويضُ الأمرِ إلى من يتفرّس فيه الخير

قال أبو بكر في عمر رضي الله عنهما فيما عهد له: إني استعملت عليكم عمر فإن بر وعدل فذلك علمي به، ورأيي فيه. وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

واستشار **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه في قوم يولّيهم، **فقيل:** عليك بأهل العذر الذين أن عدلوا فذلك ما رجوت فيهم، وإن قصّروا قال الناس قد اجتهد عمر.

● نهيُ الوَالي عن تفويضِ الأمرِ إلى ذريته، وعذرُ من فعل ذلك

قال بعضهم: إياك والاستعانة بالأقارب، فتبلى كما بلي عثمان رضي الله عنه. واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية.

---

(١) **مروان بن الحكم:** من كبار القادة الأمويين. قاتل الإمام علياً يوم الجمل وهزم القيسية في مرج راهط وقتل زعيمهم الضحاك. مات مروان بالطاعون عام ٦٥ هـ (٦٨٤م).

(٢) **المدرعة:** ثوب من كتان، وهو أيضاً لباس أحبار اليهود.

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لبعض ولاته، لم وليت أقاربك؟، قال: لأني أعلم أخبارهم ولأنهم يتقون علي، وعلى حلهم لدي.

● حثُّ السّلطان على كِفايةِ مَنْ يولّيه

قال بعض الأكاسرة: إذا استكفيت رجلاً فأسن[1] رزقه وقوي عضده[2] وأطلق بالتدبير يده. ففي إسناء رزقه حسم طمعه، وفي تقوية يده ثقل وطأته على أهل العدوان، وفي إطلاق التدبير له أحاطته عواقب أموره.

وقال المنصور يوماً لجنده: صدق القائل أجعْ كلبك يتبعك. فقال بعضهم: كلا فربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك، فقد فبن مع غيرك يدعو إلى صحبة غيرك. فقال: صدقت.

وقال أبرويز لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجوا منك، أعطهم عطاء قصد وامنعهم منعاً جميلاً، ووسّع على قومك في الرجاء ولا توسّع عليهم في العطاء

● السياسةُ بالخشونةِ والعسف

قال الحجّاج دلوني على رجل أستعمله على الشرطة، وأريده رجلاً دائم العبوس طويل الجلوس، سمين الأمانة أعجف الخيانة، يهون عليه سؤال في الشفاعة. فقيل له: عليك بعبد الرحمن التميمي. فاستحضره وولاه. فقال: لا أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وحاشيتك. فدعاهم وقال: من طلب إليه منكم حاجة برئت الذمة منه. فتولى، فكان لا يحبس إلا في دين، وإذا أتي بشاهر سلاح قطع يده، وإذا أتي بنقاب[3] نقب بطنه، وإذا أتي بنباش دفنه حياً، وإذا أتي بمتهم ضربه ثلاثمائة سوط، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى بمتهم

وصعد الحجّاج المنبر يوماً فقال: إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني وأوصيته بخلاف ما أوصى النبي ﷺ في الأنصار، حيث أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ألا وإني أوصيته أن لا يتجاوز عن مسيئكم، ولا يقبل من محسنكم ألا وإنكم لتقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحبة. وإني معجل لكم الإجابة لا أحسن الله عليكم الخلافة

وقيل: خير الملوك من أشبه النسور ومعناه سلطان يأكل الرعية خير من سلطان تأكله الرعية

وسأل عبد الرحمن بن عوف عمر رضي الله عنهما أن يلين للناس، فقال: الناس لا

---

(١) أسن رزقه: أعطاه حقه من الرزق. (٢) قوى عضده: آزره ونصره

(٣) النقاب: من نقب الحائط خرقه، والمراد بالنقاب هنا اللص والسارق الذي ينقب البيوت ليستحوذ على ما فيها

يصلح لهم إلا هذا. ولو علموا ما لهم عندي، لأخذوا ثوبي من عاتقي.

● **السياسةُ بالرَّغْبة والهَيْبة**

كان أنوشروان يوقّع في عهود الولاة: سِسْ خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة الرهبة بالرغبة. وسِسْ[1] السفلة بمجرد الهيبة.

ولما وفد سعد العشيرة في مائة من أولاده على مَلِك حمير، سأله عن صلاح الملك، فقال: معدلة شائعة وهيبة وازعة[2]، ورعية طائعة ففي المعدلة حياة الأنام، وفي الهيبة نفي الظلام، وفي طاعة الرعية حسن الإسلام.

وقال زياد: ما غلبني معاوية في شيء من السياسات، إلا في واحدة: استعملت رجلاً على قرية لكسر خراجها ولحق بمعاوية. فكتبت إليه أن ابعثه إليّ، فكتب ليس ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة. إذا وليت القطاة فحق أن لي اللياتة، لكن إذا هرب هارب من باب وجد باباً يدخله والسلام.

وقال أنوشروان إن هذا الأمر لا يصلح له إلا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف[3].

ودخل أبو معاذ على المتوكل حين استخلف فأنشده:

إذا كنتم للناس أهل سياسةٍ فسُوسوا كرامَ الناس بالرفقِ والبَذْلِ
وسوسُوا لئامَ الناس بالذلِّ يصلُحوا على الذلّ، إن الذل يصلحُ للنذْلِ

● **السياسةُ بالمُلاينة**

أوصى عمر بن عبد العزيز والياً، فقال: عليك بتقوى الله فإنها جماع الدنيا والآخرة واجعل رعيتك الكبير منهم كالوالد، والوسط كالأخ، والصغير كالولد. فبرّ والدك وصِلْ أخاك وتلطّف بولدك.

وقال بعضهم: الحبس يحبس المال والقيد يقيّده، والتسهيل يسهّله. فاستعمل الرفق يرج[4] مالك.

وولّى أمير المؤمنين رجلاً فقال: لا تضربنّ أحداً سوطاً ولا تتبعنّ له رزقاً ولا كسوة لشتاء أو صيف، ولا دابة يعملون عليها. فقال: يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت فقال: وإن رجعت كما ذهبت. إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

---

(١) سُسْ: الأمر من ساس أي أدار الأمور ودبّر شؤون الناس أو الرعيّة.

(٢) الوازعة: الرادعة.

(٣) استعمل زياد بن أبيه هذه العبارة في خطبته لما ولي البصرة إذ قال: إن هذا الأمر لا يصلح إلا كما صلح أوله: لين في غير ضعف وشدة في غير عنف موحياً بأنه سيكون على سنّة الراشدين حتى يكسب قلوب الضعفاء، فيقوى بهم ليكسر شوكة المتمردين.

(٤) يرج: من الرواج وهو نقيض الكساد

وروي أن عمر رضي الله عنه أتي بمال كثير فقال لعماله: إني أظنكم قد أهلكتم الناس، فقالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفواً صفواً بلا وسط. وقال معاوية لمروان: من ترى للعراق؟ فقال: من لا يمسح الحلوب[1]، حتى يجمع الدرّة، ولا يلتي بالعلبة حتى يمسح الصرّة.

● الحثّ على تركِ التتبّع والرسومِ الجائرة

كتب بعض الوزراء إلى عامل: سوق سعادة عمد كأسدة وألسنتهم لدينا معقولة ولم ترد هذه الناحية لاحياء العظام الناخرة، ولا تتبع الرسوم العافية. عامل الناس بما في ديوانا فإنها أيام قلائل فيما ذكر الأبد أو حري الأبد. وتجنّب أن تكون، كما قال جرير:

وكنت متى حللتُ بدارِ قوم ... حللتُ بخزيةٍ وتركتُ عارا

وقيل: لا ينبغي للوالي أن ينقض سنة[2] اجتمعت عليها الألفة وصلحت عليها العامة.

وأخرج أبو علي بن رستم عاملاً إلى بعض النواحي، وكان في القرية حمام كثير فعدّه وأخذ واحدة منها وشقّ حوصلتها وعدّ الحبوب الموجودة فيها واحتسب بذلك. فقال: إن كل حمامة تأكل في السنة من الحنطة كذا. والزمهم ذلك فكتب أبو علي إليه كتاباً وفي آخره هذا الشعر:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقِها ... ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقِها ... والموتُ في عنقي وفي أعناقها

والأسباب لرزقة مالها وقد تولى طراد الطير من ورع له.

وكتب إلى أنوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الريع[3] بها، ويستأذنه في الزيادة على الرسم فأمسك عن إجابته معاودة تعمل في ذلك، فكتب إليه: قد كان في تركي إجابتك عن كلامك ما حسبتك تنزجر به عن تكلّف ما لم تؤمر به. فإذ قد أبيت إلا تمادياً في سوء الأدب فاقطع إحدى أذنيك. واكفف عمّا ليس من شأنك. فقطع العامل إحدى أذنيه ائتماراً له.

● حثّ الولاةِ على مراعاة الديانة

قال أزدشير[4]: الدين والملك أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر. فالدين أس والملك حارس، والبناء ما لم يكن له أس مهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع.

● حثّ السلطانِ على اعتبارِ ظاهر الرعية دونَ بواطنهم

قال بعض الملوك: أنا أملك الأجساد، لا النيات. وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

---

(١) الحلوب: البقرة الحلوب.
(٢) السنة: العادة أو الطريقة، والسنة أيضاً المذهب.
(٣) الريع أو ريع الأرض مردودها بعد الزرع.
(٤) أزدشير: من ملوك الفرس.

وقال معاوية الناس أعطونا سلطاناً وأعطيناهم أماناً، وأظهروا لنا طاعة تحت حقد، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب.

قال الشاعر:

لقدْ أحلكَ من يعصيكَ ظاهرَهُ وقد أطاعكَ من يعصيكَ مستترا

● حثُّ الوالي على اكتسابِ مودّة الرعية

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر: أمسك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها، فإنَّ طلبك ذلك بإحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك[1]، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطّها إلى القلوب بالإحسان، واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول، قدرت أن تفعل فأحسن قولها تأمن فعلها. وقال علي بن عبد الله بن عباس: تطلب محبة الرعية فطاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

● السّياسةُ بالعمارة

كان يقال أسوس من[2] زياد، قيل إنه ركب يوماً بالسوس فرأى عمارة حسنة فخاف أهلها أن يزيد في خراجها، فالتفت إليهم وقال: بارك الله عليكم فقد وضعت عنكم مائة ألف لما رأيت من عمارة بلدكم.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في زياد: سعى أهل العراق سعي الأم البرّة، وجمع منهم المال جمع الذرة فأعطاهم وجابهم بحسن التدبير.

وقيل: من طمع في وفور الارتفاع بغير العدل فهو يهزأ بنفسه.

● ذمُّ جامعٍ للمال تاركٍ للعمارة

حول عامل لأنوشروان من الأهواز[3] فضل ثلاثين درهم على العبرة القائمة، فسأله أنوشروان عن ذلك فقال: وجدت في أيدي قوم فضولاً فأخذتها منهم. فقال: ردّ هذا المال لمن أخذته منهم، فإن مثلنا في ذلك إن أخذناه كمثل من طيّن سطحه بتراب أساس بيته، فيوشك أن يكون ضعف الأساس وثقل السطح مسرعَيْن في خراب بيته.

ولما عزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر، وولّى عبد الله بن أبي سرح، دخل عليه عمرو، فقال له عثمان: أشعرت أن اللقاح بعدك درّت ألبانها؟ فقال: نعم ولكنكم أعجفتم[4] أولادها.

---

(١) الاعتساف: الاستبداد والجور.

(٢) أسوس من: أكثر براعة في السياسة، والسياسة من الإدارة وتدبير شؤون الحكم والملك.

(٣) الأهواز: أحد أقاليم الدولة زمن العبّاسيين، ويعرف اليوم باسم خوزستان في الدولة الإيرانية.

(٤) أعجفتم: أي أهزلتم وأضعفتم.

وقال الحجاج لبعض الدهاقين[1] من الري: ما بال بلدكم قد خرب؟ فقال: لأن عمالكم استعملوا فيها قول شاعركم:

لا تكسع الشولَ بأغبارِها ... إنك لا تدري من الناتجُ[2]
واصبب لأضيافك ألبانَها ... فإنّ شر اللبن الوالجُ

● النهيُ عن المقاطعة

قبل المأمون السواد من إسحاق بن إبراهيم سنين، فانقضت قبالته[3] فسأله أن يجددها. فجلس المأمون فقال أيها الناس أني قبلت السواد من إسحاق ثلاث سنين وانقضت، وسأل أن أقبله ثلاثاً مستأنفة فهل به من شاك أو متظلم؟ فقام شيخ فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى جعلك في يدك أمانة ولم يجعلها قبالة فإن رأيت أن تقبلنا من أحد فافعل. فقال: لا قبلت بعد هذا. وقيل المقاطعة تقطع.

● الحثّ على مراعاةِ أهل الخَرَاج

قال زياد: أحسنوا إلى أهل الخراج فإنكم سمان ما سمنوا. قال جعفر بن يحيى الخراج عمود السلطان، وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور.

● نفعُ الأنصاف وكونه سببَ العمارة

قيل: لا يكون العمران حيث يجور السلطان. وقال عمرو بن العاص: سلطان عادل خير من مطر وابل، وعدل قائم أجدى من عطاء دائم، وسبع حطوم خير من والٍ غشوم، عدل السلطان خير من خصب الزمان.

وكتب عامل إلى عمر بن عبد العزيز: إن مدينتنا قد خربت. فقال: اعمرها بالعدل ونظف طرقها من الظلم والسلام.

وقال أنوشروان: حصّن المملكة بالعدل، فهو سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار ولا يهدمه منجنيق. ورفع إلى كسرى أن مع فلان مالاً غصباً يرجع على ما في بيت المال، فوقّع: ماله مالنا وخصب الزمان خصبنا.

● محافظةُ الطُرُق

كان المنصور يقول: لا أبيت على تضييع طريق فهو قوام الملك، ولا على إذلال حاكم فهو عزّ الملك. وقال بزرجمهر[4]: عزّ الملك بأربعة أشياء: حراسة منازل الرعية في الأمصار،

---

(١) الدهاقين: جمع دهقان وهو بالفارسية رئيس الإقليم.

(٢) لا تكسع: لا تطرد. الشول: بقية الماء في الدلو والشول هنا الإبل التي عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخفّ لبنها.

(٣) القبالة: اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ونحوه. (٤) بزرجمهر: من وزراء الفرس.

وحفظ طرقها في الأسفار، ومنع عدوها عن حريمها، وإعزاز قضاتها، وقال المتنبي:

إذا طلبت ودائعهم ثقات ... دفعن إلى المحاني والرّعان[1]
فباتت فوقهن بلا صحاب ... تصيح بمن يمر ألا تراني

● وصيّةُ الكبار بتحرّي الإنصاف

كان كسرى يقيم رجلين عن يمينه وشماله إذا قعد للنظر في أمور الناس. فكان إذا زاغ[2]، حرّكاه بقضيب كان معهما، وقالا له، والرعية يسمعون: أيها الملك انتبه أنت مخلوق لا خالق، وعبد لا مولى. ليس بينك وبين الله قرابة. أنصف الناس وانظر لنفسك.

ودخل أسقف نجران على مصعب، فكلّمه بشيء أغضبه فرماه بمحجن. فقال الأسقف: إن لم يغضب الأمير، حدّثته بحديث، فقال: حدّث. فقال: في الإنجيل ليس للإمام أن يظلم وبه يلتمس العدل، ولا أن يسفه ومنه يطلب الحلم فاعتذر منه وندم.

● مدحُ العفّة والأمانة والحثُّ عليهما

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[3]. إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. وقال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾[4] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: لا إيمان لمن لا أمانة له.

وقال أعرابي: اللهم إني أعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة. وقال بعضهم: إذا لم تكن خائناً فبت آمناً. وقال الجاحظ: سقى الله قبر الأحنف، حيث يقول: الزم الصحة يلزمك العمل.

وقيل: من أحرز العفاف لم يعدم الكفاف[6]. وقال معاوية رضي الله عنه: من ولّيناه أمراً فليلزم الرفيعين: الأمانة والعدل.

● منعُ الوالي عن قبولِ الهديّة

قال النبي ﷺ: الهدية تُذهب السمعَ والبصر، وقال: إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الكوّة.

وبلغ أنوشروان أن بعض عماله قبل هدية، فأحضره فلمّا دخل عليه، قال: هل قبلت الهدية؟ فقال: نعم، فقال: إن قبلتها لتستكفيه شيئاً لم تكن تستكفيه لولاها، إنك لخائن، وإن قبلتها ولم تكافئه إنك للئيم. ولئن كافأته سلطت لسان رعيتك عليك ذمّاً. فمن أتى صنيعاً لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه، وعزله. وقال الحجاج لوال: لا تقبل الهدية

(1) المحاني: منعطفات الأودية ـ الرعان: جمع رعن وهو أنف الجبل.
(2) زاغ: مال واعوج.
(3) القرآن الكريم: النحل/ ٩٠
(4) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٣
(5) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦
(6) الكفاف (من الرزق): ما كفى عن الناس وأغنى.

فصاحب الهدية لا يرضى بعشر أمثالها مع الشمعة، ثم اسلخ ما بين أقفائهم إلى عجب ذنبهم فانهم يرضون عنك.

● مدحُ منْ لا يتكسّب في ولايته ولا يتفق

اجتمع عند المنصور يزيد بن أسيد ومعن بن زائدة وعدة من الأماثل، فقال معن: ولاني أمير المؤمنين موضع كذا، فحملت إليه كذا وكذا، وأنت ولاك أرمينية[1] فبعثت إليه بمشربة طبيخ. فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك الضنينُ بأمانته[2] أو الجواد بخيانته؟ فقال المنصور: بل الضنين بأمانته. وولّى مصعب حد الأصمعي الأهواز فعاد ولم يكن له إلا درهمان. فقيل له ذلك، فقال: ما وجدت إلا مسلماً له ما لي، وعليه ما عليّ أو ذمياً له ذمة واجبة عليّ فلم أدر أين أضع يدي.

ودخل عمير بن سعد على عمر بعد رجع إليه من ولاية حمص، وليس معه إلا جراب وإداوة، وقصعة وعصا، فقال عمر: ما الذي أرى بك من سوء الحال؟ فقال: أولست تراني صحيح البدن معي الدنيا بحذافيرها. فقال: وما معك؟ قال: جرابي أحمل فيه زادي وقصعتي أغسل فيها ثوبي ورأسي، وإداوتي فيها ماء سقيتي ووضوئي، ومعي عصاي إن لقيت عدواً قاتلته بها وما بقي فتبع لما معي. قال: صدقت.

قال بعض الخراسانية:

فعاش خمسين عاماً في ولايته ... وجاع يوم ثوى في لحده خدمه

وهذا البيت يمكن أن يكون مدحاً وأن يكون ذماً.

● تحريضُ الوالي على الاكتساب

كتب أبو العيناء[3] إلى صديق له تولّى عملاً: أما بعد فإني لا أعظك بموعظة الله تعالى، لأنك غنيّ عنها ولا أخوفك إياه لأنك لا تخافه، ولكني أقول ما قاله الشاعر:

أحارِ بن عمرٍ وقدْ وليتَ ولايةً ... فكنْ جُرذاً فيها تخونُ وتسرقُ
وباهِ تميماً بالغِنى إنَّ للغِنى ... لساناً به المرءُ الهيوبةَ ينطِقُ[4]

واعلمْ أن الخيانة فطنة، والأمانة حرفة، والجمع كيس، والمنع صرامة. فاذكر أيام

---

(1) أرمينية: موطن الشعب الأرمني وهو من الآريين. واللغة الأرمنية من اللغات الهندو أوروبية.
(2) الضنين بأمانته: البخيل بها.
(3) أبو العيناء: هو محمد بن قاسم الهاشمي، وهو أحد الأدباء الشعراء. كانت ولادته في الأهواز في حدود سنة (٨٠٥م)، ومات في البصرة سنة ٢٨٣هـ (٨٩٦م). أخذ العلم عن أبي عبيدة والأصمعي.
(4) الهيوبة: مصدر هابه مهابة وهيبوبة وهيباً وهيبة أي خافه واتقاه.

العطلة في حال الولاية، ولا تحقرنّ شيئاً صغيراً، فالذود[1] إلى الذود إبل، والولاية رقدة فتنبّه قبل أن تنبه. وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية كما أوصى به الحكماء، ولكنّي رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل.

● من أريدَ عزلُه فاحتالَ أن يقرَّ على ولايته

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وإلى المغيرة[2]، أن يقدما عليه. فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة. فقال عمرو للمغيرة: ما جمعنا معاوية إلا ليعزلنا، فإذا دخلت فاشك إليه الضعف، واستأذنه أن تأتي الطائف، وأنا أسأله مثل ذلك فسيظنّ أنا نريد به شراً، فسيردنا إلى العمل.

فدخل المغيرة فسأله أن يعفيه وأن يأذن له في الذهاب إلى الطائف، ثم دخل عمرو فسأله مثل ذلك فقال معاوية لقد تواطأتما على أمر وهممتما بشر ارجعا إلى عملكما.

ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تهدّد الحجّاج بالعزل فكتب إليه الحجاج: يا سليمان إنما أنت نقطة من مداد، فإن رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجّاج وأنت نقطة إن شئت أتيتك وإلا محوتك فأقرّه على عمله.

وكان معاوية عزل عمراً عن مصر بأبي الأعور السّلمي، وكتب إليه على يده، وقال ائته وادفع إليه الكتاب وأخرجه. فلما انتهى إلى مصر علم عمرو بسبب موروده، فقال لوردان غلامه: احتل عليه. فقال: نعم. فلما دخل، فأراد أن يناوله الكتاب حلف أن لا يأخذ الكتاب أو يأكل فقعد للأكل مع عمرو فاحتال وردان وسرق كتبه. فلما فرغ وطلب الكتاب لم يجده. فقال: إن أمير المؤمنين عزلك بي. فقال: هات الكتب فلم يجدها، فاضطرب. فكتب عمرو في الوقت إلى معاوية وأرضاه، فلما سمع بخبره ضحك وأمر برد أبي الأعور إليه.

وقدم عمر رضي الله عنه الشام فتلقاه معاوية في موكب عظيم، وكان عمر على حمار هزيل، فلم يعرفه معاوية، وجازه حتى نبّه. فنزل له فأعرض عنه عمر، وقال: قد صرت صاحب الموكب وذوو الحاجات تقف على بابك. قال: نعم، فقال: ونعم أيضاً؟ فقال: إنني ببلد يكثر فيه جواسيس العدوّ ولا بد مما يرهبهم من آلة السلطان، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر رضي الله عنه: لا آمرك ولا أنهاك، والله لئن صدقت لقد فعلت فعل أريب، ولئن كذبت فقد اعتذرت عذر أديب. فقال أبو عبيدة: ما أحسن ما صدر عما أوردته فقال عمر رضي الله عنه لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه

---

(١) الذود (من الإبل): من الثلاث إلى الثلاثين.

(٢) المغيرة: هو المغيرة بن شعبة وهو أحد الصحابة، كوفي ثقفي، تولّى زمن عمر بن الخطاب ولاية البصرة وكان أحد دهاة العرب المشهورين، مات بالطاعون سنة ٤٦ هـ (٦٦٦م).

● اعتذارُ طالبِ رئاسة تعذّرت عليه

قال رجل عند معاوية: عجباً لعليّ كيف طلب الخلافة؟ فقال معاوية: اسكت فما كان في حطيتها، إلا كما قال الشاعر:

لئنْ كانَ أدلى دلوهُ فتعذّرتْ عليه وعاتتْ رائداً فتحطّتِ
فما رغبةً عنه تخطّت حبالَه ولكنّها كانتْ لآخرَ حطّتِ

وقيل لرجل حطب ولاية من أمير: من ولاك الأمير؟ فقال ولأني ظهره وأعطاني منعه وحماني نفعه. وربّ ساع لم يدرك المنى، وحال بينه وبين مطلوبه القضاء.

● مدحُ الإمارةِ والرخصةِ في الولايةِ

روي أن رجلاً ذمّ الإمارة عند النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: نعم الشيء الإمارة، لمن أخذها بحقها.

وقال بعضهم: لولا الحظ في الولاية لما قال نبيّ الله يوسف عليه السلام لكافر إجعلني على خزائن الأرض أني حفيظ عليم. وقال بزرجمهر: أغبط الناس الملك الحازم المظفر. وقيل: حبّذا الإمارة ولو على الحجارة. وقيل لبعضهم: ما السرور؟ قال: رفع الأولياء وحطّ الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء.

وقيل لآخر: فقال اللواء المشهور، والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

● مدحُ الاشتغالِ وذمُّ الفراغ

قيل: العطلةُ موت الحال، وطالت عطلة ديبار ثم عرض عليه شغل، فشاور الموبد في ذلك، فقال: اعلم أن العطلة سكون، و بحياة حركة، فإن استطعت أن تخرج من حيز الأموات إلى حيز الأحياء فافعل.

وقيل: إذا كان الشغل مجهدة فالفرغ مفسدة. وقال أكثم: ما يسرني أني مكفي كل أودي. فقيل له: ولم؟ قال: أكره طاعة العجز وذلك أن مع الكفاية العجز والبلادة، ومع الحاجة الفطنة والشهامة.

● ذمُّ الولايةِ والتزهيدُ فيها

روي أن النبي ﷺ قال لعمّه العباس رضي الله عنه: يا عمّ نفسٌ تحييها خير من إمارة تحصيها.

وقال ﷺ: ستحرصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال: أن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك. فرفع الناس رؤوسهم، فقال: ما لكم إن الرجل إذا صار ملكاً زهّده الله

فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الإشفاق. فهو يحسد على القليل ويتسخّط الكثير. فهو كسرهم والسراب الخادع، جذل الظاهر حزين الباطن. فإذا وجبت نفسه ونضب عمره حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه.

وقال مطرف: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا إلى سرعة ظعنه[1] وسوء منقلبه[2].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ما مست أحد قطّ إلا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزبه. ولمّا ولي محارب القضاء قيل للحكم بن عتيبة: ألا تأتيه؟ قال: ما أصبته عند نفسه مصيبة فأعزيه ولا نالته نعمة فأهنئه وما كنت زوّاراً له من قبل فآتيه.

وقال بعض الولاة لبهلول: كيف تجدك؟ قال: بخير ما لم أتولّ شيئاً من أمور المسلمين. قال: أتحب أن تكون صحيحاً؟ قال: لو كنت صحيحاً لنزعت نفسي إلى طلب الدنيا، فهذا أصلح لي. أرجو أن أكسب الأجر وأن يحط الله عني الوزر[3].

وقيل لأعرابي أيسرك أن تكون خليفة وتموت أمتك؟ قال: لا، لأنها تذهب الأمة وتضيع الأمّة.

● النهيُ عن طلب الرئاسة

قال رجل لبشر الحافي: أوصني. قال: الزم بيتك، واترك طلب الرئاسة رئاسة. وقال ابن مسهر: ما بينك وبين أن تكون من الهالكين إلا أن تكون من المعروفين. وكان سفيان يتمثّل بقول الشاعر:

حبّ الرئاسة داءٌ لا دواءَ لهُ ... وقلّ ما تجدُ الراضينَ بالقسمِ

وقال آخر:

وأكثرُ هالكٍ في الناس تلقى ... فرأسُ هلاكه طلبُ الرئاسة

وقال آخر:

بلاءُ الناسِ مذ كانوا ... إلى أن تنهضَ الساعه[4]

طلابُ الأمرِ والنهي ... وحبّ السمعِ والطّاعه

● قساوةُ قلبِ من تولّى رئاسة

كان عبد الملك بن مروان يسمّى حمامة المسجد، للزومه المسجد الحرام. فلما أتاه الخبر بخلافته، كان المصحف في حجره[5]، فوضعه وقال: هذا فرق بيني وبينك. وقال.

(1) الظعن: الرحيل. (2) المنقلب: المصير.

(3) الوزر: العبء والحمل الثقيل، والوزر الإثم.

(4) الساعة (هنا): يوم القيامة. (5) الحجر: الحضن.

إنّي كنتُ أتحرّج أن أطأ نملة وأن الحجّاج يكتب إليّ في قتل فئام[1] من الناس فما أحفل[2] بذلك.

وقال له الزهري يوماً: بلغني أنك شربت الطلاء فقال: أي والله والدماء. وقال عجباً للسلطان كيف يحسن، وإذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه؟ وفي كتاب الهند: السلطان ذو غدوات وبدوات وبروات، أي أنه سريع الانصراف كثير البداء[3] هجوم على الأمور.

● تكدُّر عيشه

قيل: لا أحد أمرّ عيشاً وأكدّ تعباً وأصول فكرة، من الملك العارف بالمعاد المتيقن بالثواب والعقاب، قال الشاعر:

يا ربّ أفئدة بـــار همـومـهـا ... تُكْوى فتشقى في جسوم ناعمه

وقيل: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه، وانظروا إلى سرعة ظعنه وسكون حزنه وسوء منقلبه.

● من أظهرَ الندامة عندَ الموت من الكبارِ لما ثُقل

رأى عبد الملك غسالاً فقال: وددت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما كسبت يوماً فيوماً. فذكر لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه. وكان يقول: بعنا الدنيا والآخرة بعمرة.

● ممتنعٌ منَ الولاية

في الخبر، نودي لقمان أني أجعلك خليفة في الأرض. فقال: إن أجبرني ربّي سمعاً وطاعة، وإن خيّرني اخترت العافية. فولاّه الحكمة، وصرف الخلافة إلى داود عليه السلام. فكان إذا رآه داود، قال: وقيت الفتنة يا لقمان.

وقيل لبعضهم: ما يمنعك من الإمرة؟ قال حلاوة رضاعها ومرارة فطامها. وبعث هشام إلى إبراهيم بن جبلة فقال: أنا قد عرفناك صغيراً، وخبرناك كبيراً، ورضينا سيرتك وقد رأيت أني أشركك في عملي وقد وليتك خراج مصر. فقال: أما الذي عليه رأيك، فالله يجزيك، وأما أنا فما لي بالخراج بصر. فضحك وقال: لتلينّ طائعاً أو كارهاً فتركه حتى سكنت سورة غضبه، ثم قال: إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[4] فما غضب حيث أبَيْنَ ولا أكرههن إذ كرهن فأنت حقيق[5] أن لا تغضب ولا تكره فغضب وتركه.

---

(1) الفئام من الناس: الفئام.
(2) ما أحفل بذلك: لا أبالي، لا أكترث.
(3) البذاء. السفاهة أو الكلام السفيه.
(4) القرآن الكريم. الأحزاب/ ٧٢.
(5) حقيق. جدير.

ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية أياس القضاء قال له: أني لا أصلح لأني عيي دميم حديد، فقال أما الحدة فالسوط يقوّمك، وأما الدمامة فإني لا أحاسن بك، وأما العيّ فإنك تعبر عما تريده فولاه.

● **حثُّ الوالي على ادّخار الإحسان**

قال جعفر بن محمد: كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان. **وقال بعضهم** لوالٍ:

بـادر بـإحـسـانـك الـلـيـالـي ... فـلـيـس مـن غـدرهـا أمـانُ

وقيل: أحسن والدولة تحسنُ إليك، وأنشد:

إذا هـبـتْ ريـاحُـك فـاغـتـنـمـهـا ... فـإنّ لـكـل خـافـقـةٍ سـكـونُ[1]

ولا تـزهـدْ عـن الإحـسـان فـيـهـا ... فـمـا تـدري الـسـكـونُ مـتـى يـكـونُ

وقيل: احمل زمان رخائك[2] عدة لزمن بلائك[3]. **وقيل**: تودد الرجل في علو مرتبته دب[4] للشماتة أيام سقطته. واستعمل عمر رضي الله عنه رجلاً، فقال: إن العمل كبير فانظر كيف تخرج منه.

● **ذمّ مغترّ بولايته**

وصف أعرابي والياً فقال: ما أحوى سكر كأس شربها فلان، ولما يخاف من عاقبتها أشد سكراً، ولئن كانت الدنيا مشغولةً به ليوشك أن تكون فارغة منه، حيث لا يرجى له أو به ولا تقبل له توبة.

وذكر **الأصمعي** أن قول الشاعر:

أحـسـنـت ظـنـك بـالأيـام إذْ حَـسُـنَـت ... ولـم تـخـفْ غِـبّ مـا يـأتـي بـه الـقـدرُ

وسـالـمـتْـك الـلـيـالـي فـاغـتـررتَ بـهـا ... وعـنـد صـفـو الـلـيـالـي يـحـدث الـكـدرُ

كأنما أخذ من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾[5].

ودخل **الأنباري** الشاعر على الصاحب **بالأهواز**، وكان نازلاً في دار ابن بقية، فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت إليه، فانشأ يقول:

اسمعْ مقالي ولا تغضبْ عليّ فما ... أبـغـي بـدلـك لا بـذلاً ولا عِـوَضـا

في هذه الدارِ في هذا الرواق على ... هذا الـسـريـر رأيتُ الـمـلـكَ فانقرضا

---

(١) **هبت رياحك**: يقال هبت ريح فلان كناية عن إقبال الدنيا عليه.

(٢) **الرخاء**: لين العيش وخفضه. (٣) **البلاء**: المحنة.

(٤) **الدّبّ**: الدّفع ومنع وقوع الشيء. (٥) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٤٤

فقال له: من أنت؟ فانتسب له، فاقبل عليه وأكرمه وخوّله.

وقال البامي:

فلا يغررْكُم نعمٌ توالتْ ... فإنّ الدهر حالٌ بعدَ حالِ

● تهديدُ والٍ بعزله:

قال إبراهيم بن العباس الصولي:

أبا جعفر خفْ نبوةً بعدَ دولةٍ ... وعرِّجْ قليلاً عن مَدى غلوائكا[1]

فإنْ يكُ هَذا اليومُ يوماً حويته ... فإنَّ رجائي في غدٍ كرجائكا

وقال جحظة

قد نلتُم منحةً ما نالَها بشرٌ ... وحزتُم نعمةً ما حازَها ملِكُ

فليت شعري أمقدار نعمدكم ... بما أتاكُم به، أم حولط الملكُ

ونظر الفضل بن مروان في رقع[2] الناس فإذا رقعة فيها

تجبّرتَ يا فضلَ بنَ مروانَ فاعتبرْ ... فقبلَك كانَ الفضلُ والفضلُ والفضلُ

ثلاثةُ أملاكٍ مضَوا لسبيلِهم ... أبادَهُم الأقيادُ والحبْسُ والقتلُ

وإنك قد أصبحت في الناس ظالماً ... ستودي كما أودى الثلاثةُ من قبلُ

يعني الفضل بن يحيى، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل

وقال رجل لبعض الولاة: ما أنت إلا أن يزيلك القدر عن القدرة فتحصل على المذلة والحسرة

● تمنّي العزلَ له تبرماً به

لما ولي أبان بن عثمان المدينة[3]، كان يطوف ليلة فسمع قائلاً يقول: اللهمّ اعزل عنّا أباناً، فقال له أبان وهو لا يعرفه: ما فعل لك أبان؟ فقال: استطالت ولايته فمللتها، فقال: ويحك إنما له ستة أشهر، فقال: بدون هذا نفع الملك.

وسمع المهدي إنساناً يدعو عليه فقال: يا هذا هل أسأت إليك قط؟ قال: لا ولكني مللتك. فقال: أو لم أتول مذ شهرين فقال: أو لم يكن في ذلك ما يمل، إني لآمل كنيتي فأغيّرها في الشهر مرتين

● من رغبَ في العزلِ عن ولايته

كتب بعض العمال إلى واليه وقد ولاه موضعاً يقال له شير:

ولايةُ الشير عزلٌ ... والعزلُ عنه ولايةْ

---

(١) النبوة: نبوة الزمان: خطبه وجفاؤه - الغلواء: العلوّ ومجاوزة الحدّ

(٢) الرقاع: جمع رقعة القطعة من الورق يكتب عليها

(٣) المدينة: المدينة المنورة أو يثرب، وهي من مدن الحجاز

فـولّـنـي الـعـزلَ عـنـه إن كـنـت بـي ذا عِـنـايـه
أصـبـرُ بـالـعـزل عـنـه إلـى صـنـين وكـمـايـه

واستعفى رجل من ولاة عبيد الله بن طاهر فوقّع في قصته: يعفى ولا يستكفى وينفى إلى يافا[1].

● من هدده واليه بالعَزْل

وقّع يحيى بن خالد إلى عامل: كثر شاكوك وقلّ شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت. ووقّع إلى آخر: أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه منك من ولي أمرك.

ووقّع المأمون لآخر: لو استقامت لك الطريقة، لرضيت الخليفة، فإن لم تدع فيهم القذل[2] راعينا فيك العزل. ووقّع إلى أحمد بن هشام في رقعة متظلم: اكفني أمر هذا وإلا كفيته أمرك والسلام

● تمنّي زوالِ مملكةِ خسيس

قال البسامي:

ألا يـا دولـة الـسـعـر أطلت المكث فانتقلي
ويـا ريـب الـزمـان أفق تفـقـد الـشـرط في الـدول

وقال أبو تمّام الطائي:

كانَتْ شَمَاتَة شامَتْ عاراً فَقَدْ أضحتْ به تنضو ثيبَ العارِ[3]

وقال جحظة:

سألت الله تعميراً طويلاً ليهجى بحطب يعتريكُم[4]
أخافُ بأنْ أموتَ وما أرتني صروفُ الدهرِ ما أهواهُ فيكُمْ[5]

وقال أبو عطاء:

يا ليتَ جورَ بني مروان عادَ لَنا وأن عدلَ بني العبّاس في النّار

● من شَمِتَ النّاسُ بعزله

قال أبو العيناء في ابن حمدان: لئن صحبته القدرة، لقد جمّلته النكبة[6]. وقال لموسى ابن فرخشاه: الحمد لله الذي أذلّ عزّتك وأذهب سطوتك، وأزال مقدرتك، فلئن أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة.

---

(١) يافا: من مدن الساحل الفلسطيني.
(٢) القذل: العيب.
(٣) تنضو: تخلع.
(٤) يعتريكم: ينتابكم.
(٥) صروف الدهر: نوائبه وحدثانه.
(٦) النكبة: البليّة والمصيبة.

وقال البحتري:

فـفـرحـةُ الـنّـاسِ بـإدبـارِهِ　　　كـغـيـظِـهِـمْ كـانَ بـإقـبـالِـه

وقال القاسمُ بن طوق:

رزقـتَ سلامـةً فـبطِرْتَ فـيهـا　　　وكـنـتَ تـخـالُـهـا أبـداً تـدومُ

وقـدْ ولّـت بـدولـتِـك الـلـيـالي　　　وأنـتَ مُـلـعـنٌ فـيـهـا ذَمـيـمُ

فـبُـعـداً لا إنـقـضـاءَ لـه وسُحْـقـاً　　　فـغيرُ مصابِـكَ الخطْبُ الجسيمُ

ولما قبض المعتصم على الفضل بن مروان قعد للعامة فوجد قصة فيها:

يا فضلُ لا تجزعنْ ممّا منيت به　　　من خاصم الدهرَ جاثاه على الرُّكَبِ

حسبُ الإمامَ وهذا الخلْقَ قاطبةً　　　وجرَتْ حتّى أتى المقدارُ في الكتُبِ

جمَعْتَ شتّى وقد أدنيْتها جملاً　　　لأنتَ أخسرُ من حمّالةِ الحطبِ[1]

ودخل أبو العيناء على أحمد بن أبي دؤاد، فقال: ما جئتك مسلياً ولا معزياً. ولكن أحمد الله فيك إذ حبست في جلدك، وأبقى لك عيناً تنظر بها إلى زوال النعمة عنك.

وقال محمود الوراق:

خساريرُ ناموا عن المكرماتِ　　　فـنـبَّـهـهُـم قـدرٌ لـم يـنـم

فـيـا قـبْـحَـهُـم عـنـدمـا حـوّلـوا　　　ويـا حُـسْـنَـهـم فـي زوالِ الـنِّـعـمِ

● منْ تحاملَ الناسُ عليه لنكبتِهِ وعزْله

لما عزل المنصور بن عمران عن القضاء، جعل الناس يسبّونه. وكان فيهم رجل يبلغ في أذاه فقال له: يا هذا أسأت إليك قطُّ؟ قال: لا. قال: فما حملك على هذا الذي تأتيه؟ قال: سمعت الناس يشتمونك فساعدتهم، فأنشد المنصور:

غـيـر مـا طـالـبـيـن وتْـراً ولـكـنْ　　　مـالَ دهـرٌ عـلـى أنـاسٍ فـمـالُـوا[2]

ولما نكب علي بن عيسى، جفي جفاءً عظيماً وهجره الناس قاطبة، ثم لما رشّح للولاية تزاحم الناس عليه، فأنشأ يقول:

ما النّاسُ إلا مع الدّنيا وصاحبِها　　　فحيثُما انقلبَتْ يوماً به انقلَبُوا

● صعوبةُ العَزْل

قيل: العزلُ طلاقُ الرجال. وسئل بعضُ الحكماء: ما أشد ما يمرّ على الإنسان؟

---

(١) حمّالة الحطب: هي امرأة أبي لهب في سورة تبّت. ﴿وامرأته حمّالة الحطب﴾

(٢) الوتر: الثأر.

فقال بعضهم: فقر في سفر، وقال بعضهم: مرض في غربة. فقال: أشدّ من ذلك عزلٌ مع نكبة.

وكان ليوسف ابن عمر جارية حظيّة، وكانت على رأسه، فأتاه كتاب فلمّا قرأه تغيّر لونه، فقالت: أيها الأمير هذا كتاب عزل. قال: كيف دريت؟ قالت: لتغيّر في وجهك قلما عهدته. وقد كان يعزل عنها خوف الحسن، فقالت: كيف أجزت العزل لي وهذا طعمه؟ فقال: إذا لا أعاود ذلك.

● مَنْ لم يبالِ بالعَزْل

قال زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف ما لا تنفع معه الولاية ولا يضرّه العزل، وقال أحمد بن طاهر:

ما وضعَ العزْلُ منكَ قدْراً ... ولا تعالَى عليكَ وفْرا

وقال ابن طباطبا:

لقدْ سرّني أن الصيانةَ وُفّرتْ ... عليكَ بعزلٍ كانَ فيه رِضاكا

● تسليةُ معزولٍ

أراد الرشيد أن يعزل الفضل بن يحيى عن خاتمه ويصيّره إلى أخيه جعفر، فكتب إليه: قد رأى أمير المؤمنين أن ينقل خاتمه من يمينك إلى شمالك، فأجابه الفضل: ما انتقلت عني نعمة صارت إليك، ولا خصّصت بها دوني.

قال ابن المقفع:

لم يعزلوا الأعمالَ عنه وإنّما ... عزلوا العفافَ به عن الأعمالِ

وقال أبو تمام:

وما كنتَ إلا السيفَ جرّدَ للوغى ... فأحمدَ فيه ثم صارَ إلى الغِمْدِ[1]

ونحوه، ما كتب به بعضهم: ما عزلتَ عن الديوان ولكن عزل عنك. فأنت المهنّأ وهو المعزّى. وقد كنت محتاجاً إلى العزل ليعرف الجور من العدل. قال: وإن العزل غاية كل وال. قال أبو هفان:

لأنتَ في العزْلِ على غضّه ... أنبلُ من غيرِكَ في الأمْرِ

وقال آخر:

وكلّ نارٍ لها اتّقادُ ... لا بدّ يوماً لها خُمُودُ[2]

---

(١) الوغى: الحرب ـ الغمد: قراب السيف أو جفنه.

(٢) الاتقاد: اشتعال النار وضرامها ـ الخمود: السكون وانطفاء النار بعد توهجها.

● رفيعٌ معزولٌ بدني•

قال ابن بزدويه الأصبهاني - بمّ عزل أبو علي بن رستم، وقلّد أبو الحسن، وأبو مسلم - يخاطب عليّ بن عيسى:

أيا ابن عيسى سمتنا مقابح الحوادث
بعاملَيْنِ أحرقَيْن عاسٍ وعابث
طبيرَيْن أرسلتهما
عزهم شالث

ولمّا عزل وكيع عن رئاسة بني تميم قال بعضهم: عُزلت الساعُ ووليت الضباع فصار الأمر إلى الضياع. ولبعضهم في مثله: أي حق رفع، وأي باطل وضع.

بدّل لعمرك من يريد أعورُ

وقال ابن أبي الرعد:

فإنْ تكُ قد عزلت فلا عجيبٌ ضياء الشمس يعزلهُ الظّلامُ

وقال كناس لما عزل علي بن عيسى وولّي مكانه ابنُ الفرات: أخذوا المصحف[1] ووضعوا مكانه طنبورا[2].

● من يقربُ عزلهُ من ولايته

قال الشاعر:

فإنك في زمنٍ دهرهُ كيومٍ ودولته ساعتان

وقال ابن حجّاج:

يوم الخميس بعثت بي وصرفتني يومَ الأحدْ
فالناس قد عتبوا علي كما خرجت من البلدْ
ما قام عمرو في الولا ية ساعةً حتى قعدْ

وقال آخر:

رأينا لأبواب ابن بلبلٍ ساعةً من الدهر إقبالاً تطلع فارتحل
أشبهه نقشُ العروس تحضبت فلما مضى الأسبوع من عرسها نصل[3]

● تلمّم من ولي أمراً صغيراً بعد أن تولّى كبيراً

قيل: عنوق[4] بعد نوق، وحور بعد كور. وقال المتنبي:

---

(١) أخذوا المصحف: كناية عن عزل التقي الورع قارىء القرآن.

(٢) الطنبور (هنا): كناية عن تولية اللاهي والعابث ساخر. (٣) نصل الخضاب: زال وتبدّل لونه.

(٤) العنوق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة وجمعهم عنوق بعد نوق كناية عن الأدبار بعد إقبال السعد.

ومـن ركـبَ الـثورَ بـعـد الـجـوا دِ أنـكـر أظـلافـه والـغـبَـب[1]

وكان أبو عماد النميري تولّى أموراً كباراً، فأتى سلطاناً يسأله أن يولّيه أمراً، فولاه أمانة قرية، فسرق ما في البيدر. فقال:

أنـــا بـــاز أضـــربُ الـــكـــر كـــيَّ والـطـيـرَ الـعـظَـامـا
وإذا مـــا أزمـــلَ الـــمـــا ري عـلـى الـصُّـقْـر تـعـامَـى

أخذ ذلك من قول الآخر:

والصقرُ يخفر عنْ طرادِ النُّخَلِ[2]

وقيل لبعض من كان في خطبة أمر كبير فامتنع عليه فرضي بصغير: طلبت زلالاً ثم شربت رنقاً[3]، فأنشد:

ومن يمنع العذبَ الزلالَ ويمتنع من الشربِ من سؤرِ الكلاب تعطّبا
إذا المرءُ لم يُقدَرْ له ما يريده رضيَ بالذي يُقضى له شاء أم أبى

● ذمّ متولٍ بغير إستحقاق

قال موبذ: طلوع شرف المنزلة بغير استحقاق، إشفاء على الهلكة. وأتى عبادة ديار بن عبد الله وقد وليّ مصر، فقال: يا فرعون أرفع رأسك وانظر إلى من ندب لولاية مصر. قال ابن بسّام:

كيف تستوثقُ الأمورُ وتصفو ومدارُ الدنيا على أمِّ الفرات[4]

● وصفُ عاجزٍ في ولايته

في الحديث أن الله يبغض السلطان الركيك[5]. وورد كتاب صاحب أرمينية على السفّاح بأن الجند قد شغبوا ونهبوا. فكتب إليه: اعتزل أمرنا فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا.

واستعمل المنصور رجلاً على خراسان[6] فاتته مرأة في حاجة، فلم تر عنده غنى فقالت: أتدري لم ولاّك أمير المؤمنين؟ قال: لا. قالت: ليغفر هل يتم أمر خراسان بلا والٍ.

ووقّع جعفر إلى عامل له: إنك كثير الشكاية قليل النكاية، جريء في ميدان العذل بطيء في ميدان العمل.

---

(١) الغبب: اللحم المتدلي تحت الحنك من الديك و بقر.

(٢) النّخل: طائر صغير يدخل بين رؤوس الشجر. (٣) شربت رنقاً: أي ماء كدراً.

(٤) اسم الأربعة وزراء عم أبو الفتح الفضل وزير المقتدر، وأبو الفضل جعفر من وزراء الإخشيد، وأبو عبد الله جعفر، ورابعهم أبو الحسن علي الذي مات في السجن.

(٥) السلطان الركيك: الضعيف الذي يفتقر إلى الحنكة والحزم.

(٦) خراسان من أقاليم بلاد فارس.

وقال الشاعر:

وأحمد يا قوم لو أمره ... إليَّ لألزمتُه راوية

وولّى ابن هبيرة رجلاً ماسبذان[1] فقال: اكتم أمرك حتى ترد إلى عملك. فخرج إلى همدان. فلما بلغ قيل لم يرد عليه ما دلّ على ولايتك. فأخرج عهده فإذا هو إلى صاحب ماسبذان، فكتب إلى ابن هبيرة إني عطلت ما بين سنة وبين هم لما رأيت في آخره ذاك. فضحك لما قرأ الكتاب وقال: أنا أولى الناس بأن أؤدب إذ ولّيت مثله واعتمدتُ جهله

● ذمّ والٍ خسيس

وقال ابن لنكك[2]

قلْ للوضيع أبي رياش لا تبلْ ... تِهْ كل تيهك بالولاية والعملْ

ما ازددتَ حين وليت إلا خسّة ... فالكلبُ أخبثُ ما يكونُ إذا اغتسَلْ

وقال المتنبي:

كرم الأعمال لا يعنيك والنفس قليله ... ليس في النذل ولو حوّل ملك الأرض حيله

وقال الطرماح[3]:

إذا ما ابنُ عبدٍ كان ناهر طيبه ... فإنّ القرا قد صرن تحت المناسم

● من لا يستضرّ بعزله ولا يتمتّع بولايته

قال أبو العيناء لصاعد: نحن في دولتك محرومون وفي عطلتك مرحومون. وقيل له: ما حالك مع فلان منذ تولّى فقال: أنا معه غير جندب، يعني قول الشاعر:

وإذا تكونُ كريهةٌ أدعى لها ... وإذا يحاسُ الحيسُ يدْعى جُندبُ[4]

وأنشد لأبي الفتح بن أبي جعفر بيتين قالهما في الأستاذ الرئيس لما قبض على ابن أحمد بن العباس، فأعير على داره:

أيوجبُ عدل أهلِ العدْل أني ... أُعدّ مع الجُناة بلا جناية

أشاركُ معشراً في صرفِ دهرٍ ... هم ما شاركوني في الوِلاية

(١) ماسبذان: وأصله ماه سبذان وهي رحلة من مدن عديدة في فارس تم فتحها سنة ١٦هـ بقيادة ضرار بن الخطاب (انظر معجم البلدان لياقوت ٥/٤٨)

(٢) ابن لنكك: من شعراء البصرة المرموقين عاصر المتنبي واتصل بالوزير المهلّبي. قال فيه الثعالبي: أبو لنكك ـ فريد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه. برع في الكثير من أغراض الشعر وفي طليعتها الهجاء

(٣) الطرماح: من شعراء الخوارج البارزين. وهو من مواليد الشام تنقل في بلدان عديدة منها الكوفة، كما رحل إلى بلاد فارس

(٤) الحيس: طعام مركّب من التمر والسمن والسويق

وقد أحسن المسهل بن كميت حيث يقول:

إذا نحنُ جِفْنا في زمانِ عدوِّكم   وخفْناكم إن البلاءَ لراكِدُ

● ذاهِبٌ عنه أمرُه

قيل لرجل زال ملكُه: ما كان سبب زوال ملكك؟ **فقال**: تدبيرُ الأمر بالهوى[1] وتأخيرُ عمل اليوم إلى غدٍ، **وقيل** ذلك لآخر، **فقال**: قلّة التيقّظ وآشتغالُنا باللذّات عن التمرّع وثقتُنا بعمّالنا حتى ظلموا رعيَّتنا، فقرَّ دخلُنا وبطل عطاء جندنا، فقلّت طاعتهم لنا فقصدنا الأعداء فعجزنا عن مدافعتهم.

● متولّي رئاسةٍ بغير إستحقاق

قال رجل لسعدان: سوّدك القومُ لجهلهم بك، فسيِّد الجاهلين غيرُ شريفٍ وإن سوّدوك للفقر إليك فأنت كما قال:

خلت الديارُ فسُدْتُ غيرَ مسوّدٍ   ومن الشقاء تفرّدي بالسوددِ[2]

وقال محمّد بن يزيد:

ومِن انتكاسِ الأمر أن   صارت ولاةُ الأمر صِنبه[3]

وشتم مجنون رجلاً فقال له: أتشتمني وأنا سيّدُ قومي؟ فقال المجنون:

وإن بقوم سوّدوك لفاقةً   إلى سيّدٍ لو يظفرون بسيّدِ[4]

وقال آخر:

وكلامُ مثلِكَ في الخطو   بِ من العجائبِ والكبائرِ[5]

● وصفُ صسوفٍ في ولايته

حكى رجل ولاية عامل فقال: كان يجبي خراج[6] الوحش، ويأخذ جرية السَّمَك ويطلب زكاة الملائكة، ويلتمسُ جمع الريح ويرومُ لقبضَ على الماء وحصر الحصى وتحصيلَ الهباء. ولئن كانت النعمة عظُمتْ على قوم خرج عنهم لقد عظمت المصيبةُ على

---

(١) **الهوى (هنا)**: إتباع الأهواء والميول. **والهوى أيضاً** الزيغ عن الطريق المثلى.

(٢) **التفرّد**: الانفراد ـ **السودد**: مخفف السؤدد، والسؤدد المجد والرئاسة ـ **يقول**: إنّ السيادة عن جهلٍ وحاجة ليست بسيادة.

(٣) **انتكاس الأمور**: انقلابها إلى الأسوأ من نكسه، قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه. ونكس المريض عاوده المرض ـ **الصِّنبة**: شيء من حديد والصنبة أنثى الضبّ وهو من الزحافات كالحرذون يُضرب به المثل فيقال: أعقد من ذنب الضبّ أي مشكل لا يحلّ عقدته.

(٤) **الفاقة**: العوز الشديد.

(٥) **الخطوب**: النوائب والنكبات جمع خطب ـ **الكبائر**: جمع كبيرة وهي الإثم الكبير.

(٦) **يجبي**: يجمع ـ **الخراج**: المال المضروب على الأرض، والخراج: الجزية.

قوم نزل فيهم، وسُئِلَ رجلٌ عن والٍ فقال: هو كما قال الشاعر:

وكان إذا أناخ بدارِ قومٍ ... أبو حسان أورثهم خبالا[1]

وقال عمر رضي اللّهُ عنه: لا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه.

وتظلّمَ أهل الكوفة إلى المأمون في والٍ كان عليهم فقال المأمون: لا أعلمُ في عمّالي أعدلَ وأقومَ منه. فقام رجل فقال: إن كان عاملنا بهذا الوصف فحق أن تعدلَ بولايته فتجعل لكلّ بلدٍ منه نصيباً لتسوّي بالعدلِ بينهم. وإذ فعل أمير المؤمنين ذلك لا يصيبنا منه أكثرُ من ثلاثِ سنين. فضحك وعَزَلَهُ.

وقال المنصور يوماً: من بركتنا على المسلمين أن الطاعون رفع عنهم في أيامنا، فقال بعض الحاضرين: ما كان الله ليجمع علينا ولايتكُمْ والطاعون. وبلغ من تمرّد يوسفَ بن عمر أنّه نادى أن لا يضرب[2] أحد في دار الضرب درهماً ينقص عن العيار حبّةً، فما فوقها، إلا ضربتُه ألف سوطٍ فضرب مائة رجل فقالوا: ضرب مائة ألف سوط في حبة.

وعدّ في سيئات الحجاج أنّه قتل صبرا مائة ألف وعشرة آلاف رجلٍ سوى من قتل في عساكره. ومات في الحبس ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة.

وقال عمر بن عبد العزيز[3] رضي الله عنه: لو جاءت يوم القيامةِ الفُرس بأكاسرتها والرومُ بقياصرتها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم.

● ذمُّ إمارةِ الصّبيان والنساء

لما مات كسرى، وأخبر النبي ﷺ به، قال: من استخلفوا؟ فقالوا: ابنته بوران. قال: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.

وقال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: سيأتي على النّاس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل[4]، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يتخذون الفيء مغنماً، والصدقة مغرماً[5]، فحينئذٍ يكون سلطان النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان.

وقيل: إنّ البوم أراد التزوج، وكان للهدهد دلالاً فأتاه وقال: إنهم ضمنوا لك خمس قرى عامرة وخمس قرى غامرة[6]. فقال: لا حاجة لي في العمران. فقال: خذها فولايتها

---

(١) أناخ بدار قوم: نزل بها ـ الخبال: العناء والفساد.
(٢) ضرب يضربُ الدراهم: سبكها وطبعها.
(٣) عمر: لعلّه يعني عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ـ عمر بن عبد العزيز: من الخلفاء الأمويين، وعُرِف بتقواه وتسامحه.
(٤) الماحل والممحل: من مَحَلَ المكان إذا أجدب، والماحل مصدراً الخصم المجادل.
(٥) الغرم: الغرامة وهي خلاف المغنم وهي ما يلزم أداؤه من المال على كره والمغرم الضرر.
(٦) الغامرة: أي الخربة.

إلى امرأة وما تولت امرأة أرضاً إلا خربت، فتبسها، وقال: صدقت. وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءاً جعل أمرهم إلى صبي أو امرأة.

قال الشاعر:

إنّ مـلـكـاً تـسـوسُـهُ ... أمّ مـوسـى وفـاطـمَـة
لـجـديـرٌ بـأن تـرى ... ربـة الـبـيـتِ لاطـمَـة[1]

وقال ابن بادان:

مـا لـلـنـسـا ولـلـعـمـا ... لـة والـخـطـابـة والـكـتـابـة
هـذا لـنـا ولـهـنّ مـنـا ... أن يـبـتـنَ عـلـى جـنـابـة

ولابن بسّام في متقلد بامرأة

سـلـت مـا نـلـتَ بـها دنـيـاً نـامٌ ... هـي أعـطـتـكَ رؤيـة الأمـراء
فـإذا عُـدّتِ الـصـنـائـعُ يـومـاً ... كُـنـت فـيـها صـنـيـعـة الـبظْراء[2]

وكان بالريّ[3] مجنون فقال يوماً لفولاذ بن مانذر لما هرب من شيراز[4]: يا متحلّف كان يجب أن تداوي كسْرَ الدولة وتقر المنّة، وتدخل إليها فتقبل رجليها حتى كان يستوي أمرُك. قال شاعر:

إن الأمورَ إذا أضحت يدبّرها ... أمّ وطِفْلٌ وسكران ومجنونُ
كمدرات الورى أن لا فلاح لمَنْ ... يرجو النجاح وإن الملك مغبونُ[5]

● مدحُ الوزارة وذمُّها

قال النبي ﷺ: ما من أحدٍ أعظم أجراً من وزير صالح يكون مع إمام فيأمره بذات الله. وقال ﷺ: ما من أحد من المسلمين ولي أمراً فأراد الله به خيراً إلا جعل معه وزيراً صالحاً إن نَسي ذكّره وإن ذكر أعانه.

وقيل: ثبات المملكة بقدْر هيبة وزرائها، وقيل: لا يطمع الملك الضعيف الوزير، في ثبات ملكه. وقال بعض الملوك لحكيم: أيّ الأعوان أحق بقرب الوسيلة؟ فقال: الوزير الصالح الناصح اللبيب الذي ارتفاعه بارتفاع ملكه وهلاكه بهلاكه

---

(١) يقول: إن الإدارة التي يقوم بها النساء والصبيان محكومة فاشلة

(٢) الصنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان ـ البظراء: بعية البظر وهو ما بين الإسكتين من المرأة

(٣) الري: مدينة مشهورة على مسافة من نيسابور (معجم البلدان لياقوت ٣/ ١٣٢)

(٤) شيراز: قصبة بلاد فارس (معجم البلدان ٣/ ٤٣٢)

(٥) المغبون: الضعيف الرأي والمغبون المخدوع في البيع والشراء

وقيل: لا تغتر بمناصحة الأمير إذا غشّك الوزير وإذا صادقك الوزير فلا يهولنّك الأمير

● انقيادُ الأميرِ للوزير وذمُّه بذلك

قيل: الاستسلام للوزير هو العزل الخفي، وقال نصر بن سيار: إذا لم يشرف الأمير على أموره فليعلم إن أغش الناس له وزيره، وقال أبو الشيص

في الملك لا يصرفُ الأمر دونه الوزراءُ

● مدحُ وزيرٍ صالح.

قال بشار[1]:

وقـل لـلـخـلـيـفـةِ إن جِـئْـتَـهُ   نـصـيـحـاً ولا خير في المتّهمْ
إذا أيـقـظـتـك حـروبُ الـعـدا   فـنـبّـهْ لـهـا عـمـراً ثُـمَّ نَـمْ

وقال أبو نواس:

قـولا لـهـارون إمـام الـوَرى   عند احتفال المجلس الحاشد
أنـت عـلـى مـا بـك مـن قُـدْرَةٍ   فلست مثل الفضل بالواجد

وقال ابن الرومي:

ظـفـرَتْ يداك من الوزير بقيِّمٍ   يوليك نصيحتهُ بلا استكراه
أمـا ظـهـارتـه فـسـلـطـانـيـةٌ   ولـه بـطـانـةُ مـحـبٍّ أوّاه[2]

● ذمُّ اجتماع وزيرين

وقال البسّامي

فـقـدتـكـم يـا بـنـي الـجـاحـدَةْ   أفـي كـل يـوم لـكـم آبـدَةْ
متى سَمِعَ الـنـاسُ فـيـمـا مـضـى   وزيـريْـن فـي دولـةٍ واحـدةْ[3]

وقال الظاهري:

وزيـران أمّـا بـالـمـقـدم مـنـهـمـا   فـخَـبْـلٌ وبـالـثـانـي يُـقَـالُ جـنـونُ
متى تُلْقَ ذا أو تُلْقَ ذاك لحادث   تـلاقِ مَـهِـيـنـاً لا يـكـاد يـبِـيْـنُ[4]

---

(1) بشار: هو بشار بن برد شاعر عباسي.
(2) ظهارته: نقيض بطانته، أي الظاهر من الأشياء. البطانة: خلاف الظهارة أي داخل الشيء، الثوب، وأهل المرء وخاصّته.
(3) إنّ مصير الحكم الذي يوجهه رئيسان هو الهلاك.
(4) يبين: يظهر.

وقال عبد الملك لما أراد الخروج إلى مصعب وقد نهاه بَعْضُ نسائه كي فلا يجتمع فحلان في شول[1] ولا قمران في سماء، ولا سيفان في غمد. ويُروى للمهلب[2] في معناه.

ولو صلحَ التشاركُ لم تصابق ... ولكن لم يَسَعْ أسدين غِيلُ[3]

● تولّي دنيء الوزارة

كان ابن بلبل خاملاً وكان يؤاجرُ في أيام صغره حتى يُحكى أنه حُمِلَ ليلةً إلى موضع فاجتمع عليه عدة، فلم يزالوا يقلبونه إلى الصبح حتى قال: أما فيكم رحيم يتركني أنعسُ نعسة.

قال البسّامي:

كيف ترجو رحمة الله ولا تخشى الحجارة ... والذي كنّا عرفناه قديماً بالإجارة

جائز الأمر علينا بتوليه الإمارة

وقال آخر:

وزير ما يُفيق من الرقاعة ... يُوَلّى ثم يُعْزَلُ بعد ساعة[4]

وقال المصيصي:

أنا مُذْ صِرْتُ وزيراً ... طاب شغلي للوزارة

وقال آخر في مثله.

أعيذك بالرحمن من شرّ حائك ... تعلّم زانٍ وآخر سارقُ[5]

وقال وزيرٌ أميّ

تولّى شجاعُ بنُ القاسم وزارة المستعين وحرص كلَّ الحرص على أن يتعلّم الكتابة فما تهيأ له وكان يُحضِر معه كاتباً يلقنه فيفهم عنه جُلّ ما في الكتب، فيعرضه على المستعين

(٢)
ومما جاء في أحوال أتباع السلاطين

●

● وجوبُ اتباعِ السلاطين

قال الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[6] فقرنَ طاعتهُم بطاعته

---

(١) الشول: الجحيف، بقية الماء في الدلو

(٢) المهلّب: أمير البصرة (ت ٨٣هـ/٧٠٢م)، ومن أهم ما في سيرته محاربته الخوارج

(٣) الغيل: الأجمة، موضع الأسد. (٤) الرقاعة: قلة الحياء

(٥) زانٍ: فاجر من فعل زنى ـ يقول: العيذ بالله من تحاكم الحائك الموصوم بالزنى والسرقة

(٦) القرآن الكريم. النساء/٥٨.

وقيل: لا تتقرّبُ الرعيةُ إلى الأئمّةِ بمثل الطاعة، ولا العبدُ إلى المولى بمثل الخدمة، ولا البطانة بمثل حُسْنِ الاستماع. وقال الحجاج: والله إن طاعتي أوْجَبُ من طاعة الله تعالى، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1] وجعل فيه مثوبة[2] وطاعتي لا مثوبة فيها. وقيل: سعادة الرعية في طاعتهم لملكهم.

ورفع عمر بن الخطاب رضي اللّهُ عنه الدرة على سعيد بن عامر فقال: لا يسبق سيلُكَ مطرك، لو أمرت قبلت، وإن عاتبت أعتبت، وإن عاقبت[3] صبرنا، وإن غفرت شكرنا. فقال: ما على المسلمين أكثرُ من هذا وأمسك عنه.

● **وجوبُ ملاينة السلطانِ ومداراتِهِ**

قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5] وتعلّق رجلٌ بالرشيد وهو يطوف بالبيت فقال: إني أريد أن أكلّمكَ بكلام فيه بعضُ غلظة[6] فقال: لا ولا نعمى، إن الله بعث من هو خيرٌ منك إلى من كان شرّاً مني فقال: فقولا له قولاً ليّناً. وقال الأحنف[7]: السلطان من تأبّى عليه إذ رآه ومن لان له تخطّاه، وقيل: لتكن مداراتك للسلطان مُداراة المرأة القبيحة للزوج المبغض لها فإنها لا تدعُ التصنّع له في كلّ حال. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا بليتَ بالسلطان فحرّق دينك بالملق والروغان[8] ورقّعه بالكفارات والاستغفار.

● **الحثُّ على مصابرة السلطان عادلاً كان أو جائراً**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجرُ وإذا كان جائراً فله الوزر[9]، وعليك الصبر.

● **وجوبُ تعظيمه ومدحُ فاعل ذلك**

قال ابن عباس[10] رضي الله عنه: السلطان عزُّ اللهِ في الأرض فمن استخفّ به نابتهُ نائبة فلا يلومنَّ إلا نفسهُ. وقيل: إذا جعلك السلطان أباً فاجعله ربّاً. وقيل: إياك ورفع الصوت على السلطان، فمنْ رفع الصوت عليه فقد خدعهُ. قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا

---

(1) القرآن الكريم: التغابن/16
(2) مثوبة: مجازاة على الأعمال خيرها وشرّها.
(3) عاقبت: قاصصت ـ العقاب: القصاص.
(4) القرآن الكريم: طه/44
(5) القرآن الكريم: النحل/125
(6) الغلظة: الشدّة، الفظاظة.
(7) الأحنف: سيد من بني تميم في البصرة ـ الحنيف: المتمسك بالإسلام وكل من كان على دين إبراهيم.
(8) الروغان: الخديعة. راغ إليه: مال إليه، راوغ القوم: طلب بعضهم بعضاً على وجه المكر.
(9) الوزر: الإثم.
(10) ابن عباس: ابن عم النبي ﷺ.

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾[1]، وقال حكيم لابنه: أياك أن تصحبَ السلطانَ بالجراءة عليه، والتصغير لقدره، والتهاون بأمره، ولتكن صحبتُكَ له كصحبتك للأسد الضاري، والفيل المغتلم[2]، والأفاعي القاتلة، وقالت الحكماء: مَنْ حقّ مَنْ هازله السلطان وضاحكه ثم دخل عليه أن يدخل عليه دخولَ من لم يَجْرِ بينهما أُنسٌ قطُّ وأن لا يترك الأجلال له، فإنَّ أخلاق الملوكِ ليستْ على نظام.

● استعمالُ الوَقار في مجلس السلطان

كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس أمير خراسان، فسقط من السطح طَسْتٌ فتزلزلت منه عَرْصَة[3] الدار فلم يلتفت أبو القاسم إلى الأمير، فقال الأمير: لا يصلح لوزارتي إلا هو، وأراد عبد الملك أن يجرب الحجّاج فأمر بأن يُدْخل في سراويله عقارب، فكانت تلدغه ولم يشتغلْ بها عن مُحادثة عبد الملك.

● تَرْكُ تعظيمِ غير السلطان في مجلسه

دخل أبو مسلم على السفاح[4] وسلم عليه فطرح له متكأ وأبو جعفر[5] قريبٌ منه فقال السفاح: يا أبا مسلم هذا المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يُقضى فيه غيرُ حقك.

● وجوبُ الأغضاءِ في مجلس السلطان

قيل: أُهْدِيَ إلى ملك الهند ثيابٌ وحليٌّ، فدعا بامرأتين وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلي، وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة فأشار بعينه إلى اللباس، ولحظهُ السلطانُ فاختارت الحلي لئلا يفطنَ الملكُ للإشارة ومكثَ الوزير أربعين سنة كاسراً عينهُ ليظنَّ الملك أن ذلك عادته، وقيل: مَنْ داخل السلطان فيحتاج أن يدخل أعمى ويخرج أخرس.

● التجنبُ الكلامَ الموهم في مُخاطبة السلطان

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[6] (الآية)، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[7]، وذمّ قوماً من سفهاء بني تميم أتوا

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ٢.

(٢) المغتلم: المنقاد للشهوة من فعل ثلاثي غلم ـ اغتلم الشراب: اشتدت سورته، اغتلمت الأمواج: اشتدت.

(٣) عرصة الدار: ساحة الدار وكل بقعة ليس فيها بناء.

(٤) السفاح: أول خليفة عباسي وكان كثير السفح أي سفّاكا للدماء، والسفّاح أيضاً الكثير العطاء والمقتدر على الكلام.

(٥) أبو جعفر: يريد أبا جعفر المنصور الذي ولي الخليفة بعد السفاح.

(٦) القرآن الكريم: النور/ ٦٣. (٧) القرآن الكريم: الحجرات/ ٢

النبي ﷺ وقالوا. أخرج إلينا فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، وقال النبي ﷺ للعباس أنا أكبر أم أنت؟ فقال أنت أكبر وأنا أسنّ. ودخل السيد الحميري على المأمون فقال له المأمون: أنت السيد فقال: بل أنا العبدُ وأنت السيد. وقال سعيد بن عثمان للطوسي: أيّنا أسنّ؟ فقال: لقد شهدتُ زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب لئلا يوهم أمراً.

● **المُنْكَرُ عليه لفظةٌ مع سلطان**

قال بعض أصحاب المأمون لرجل نزل به: يقول لك أمير المؤمنين: اركب. فقال: لا يُقالُ لمثله اركبْ بل يُقالُ له: انصرف. دخل أبو الحسن المدائني على المأمون فلمّا خرج قال له رجل عرفني ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين فقال: لست بموضع ذلك لأنك لم تميز بين أن تُقدّم ذكرَ أميرِ المؤمنين وبين أن تُقدّم ذكري. وكان الحسن اللؤلؤي يحضر مجلس المأمون ويجاريه الفقه[3] فنعس المأمون، فقال اللؤلؤي أنعِسْتَ يا أمير المؤمنين؟ فقال المأمون: سوقي والله يا غلام خذ بيده فجاء الغلام فأقامه، فبلغ ذلك الرشيد فقال متمثلاً:

وهل ينبت الخَطّيَّ إلا وشيجه[4]

وقال الأصمعي للرشيد في شيء سأله عن الخبر سقطت فقال: أسقطك الله على رأسك.

● **النهيُ عن التفوه بما يُظَنُّ فيه تعريضٌ**

دعا المنصور جماعة من القراء فقال لأحدهم: اقرأ، فقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[5] فغضب وقال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[6] فغضب وأخرجه ثم قال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[7] فأمر له بصلة، وقال المأمون لقارىء عنده: اقرأ، فقرأ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾[8] فأمر أن يُجرّ برجله

دخل أبو النجم على هشام فأنشده:

الحمد لله الوهوبِ المجزلِ[9]

---

(1) القرآن الكريم: الحجرات/ ٤.
(2) القرآن الكريم: الحجرات/ ٣.
(3) الفقه: العلم، فقه الكلام: فهمه.
(4) وشيجه: الوشيج القرابة الشديدة وشجر الرماح والرماح ذاتها يقال: «تطاعنوا بالوشيج».
(5) القرآن الكريم: الشعراء/ ٢٠٥.
(6) القرآن الكريم: الدخان/ ٢٥.
(7) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٣.
(8) القرآن الكريم: المائدة/ ٣٣.
(9) المجزل: الكثير العطاء، أجزل العطاء: أوسعه أو أكثره.

فلما انتهى إلى قوله:

وصارت الشمس كعين الأحول

قال هشام: أبي تعرّض يا ابن اللَّخْناء[1]، أخرجوه بعيبيك وطرده. وأنشد البحتري محمد بن يوسف: لك الويل من ليل تطاول آخرُهُ، فقال: بل الويلُ والحربُ لك. واستنشد أبو دلف راشداً الكاتب بعض ما يرثي به أباه فأنشده:

ألا ذهب الأَبْرُ الذي كُنْتَ تعرفه

فقال: بل أمك التي كانتْ تَعْرِفُهُ

● النهيُ عن الوقيعة في السلطان

سمع أعرابي إنساناً يقع في السلطان فقال: يا فلان إنك غفل وكأني بالضاحك لك باك عليك. ودخل خالد بن صفوان على بلال بن أبي بردة حين ولي البصرة فلمّا ولي قال: سحابة صيف عن قليل تقشع[2]، فقال بلال: أما أنها لا تتقشع حتى يُصيبك منها شؤبوب[3] برد، ولما عزل أحمد بن عثمان عن أصفهان قال له رجل في وقت خروجه: الحمد لله الذي أراحنا من بغضك، فأمر بحبسه وقال لشهود كانوا معه: اشهدوا أن هذا في حبسي بحقٍّ، فكان كلما ورد قاضٍ وفتش عن أمر المحبسين لم يعرف ذلك بحق الذي حُبس به فبقي على ذلك زماناً حتى توصّل إلى تنجيز[4] كتاب كتب منه بعد حين فأُطْلِقَ. وقيل: ثلاثة ليس من حقها أن يحتملها السلطان: الطعنُ في الملك وإفشاءُ السر والخيانةُ في الحرم.

● الإرجافُ[5] بالسلطان

كان بعضُ الناس أرجفَ بعزل سلطانٍ فأخذه وضربه فلما خلّى عنه عاد إلى أصحابه وقال: أما عرفتم تحقيقَ قولي لولا ذلك لما نكبَهُ الحجرُ به محلاّه، وقال: لو ترك الأرجاف في موضع لتركه هنا، وخرج جماعة إلى السعاف يطلبون شملاً فلم يجدوا فقال بعضهم: تقوتوا الأرجاف وانتظروا الدول وقيل: الأراجيف تلقيح الفتن. قال شاعر:

أراجيف الأنام مخبرات ... بأمر كائن لا شك فيه[6]

● التحذيرُ من مُقَارَبة السلطان

قيل للعتابي[7]: لم لا تقصد السلطان فتخدمه؟ فقال: لأني أراه يعطي واحداً لغير

---

(١) اللخناء: جمع اللَّخِن، المتكلم بقبيح، المُنتن.

(٢) تقشع: تفرّق ـ أقشع القوم عن الماء: تفرّقوا.

(٣) شؤبوب: دفعة من المطر. (٤) تنجيز: قضاء، إنهاء، إكمال.

(٥) الإرجاف: الخوض في الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس ـ أرجفت الأرض: زلزلت.

(٦) أراجيف: أخبار كاذبة، سيئة.

(٧) العتابي: شاعر مترسّل بليغ. هو كلثوم بن عمرو التغلبي (ت ٨٣٥) حذا حذو بشار في البديع. مدح الخلفاء متكسباً بالشعر.

حسنة ولا يد، ويقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب. ولست أدري أيّ الرجلين أنا ولست أرجو منه بِقْدارِ ما أخاطرُ به وهو الذي قال لامرأته

أسرَّكِ أنّي نِلْتُ ما نال جعفر ... من الملك أو ما نال يحيى بن خَالِدِ

قالت: بلى. فقال:

وإن أمير المؤمنين أغصّني ... مغصّهما بالمرهفات البوارِدِ[1]

قالت: لا. فقال:

ذريني تجئني ميتتي مطمئنةً ... ولم أتجشّمْ هول تلك الموارِدِ

فإنّ جسيماتِ الأمور مشوبةٌ ... بمستودعات في بطون الأساودِ

قال أبو القاسم الدمشقي:

إن الملوك بلاءٌ حيثما حلّوا ... فلا يكن لك في أكنافهم ظِلُّ[2]

إن جِئْتَ تنصحهم ظنّوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكَلُّ

فاستغنِ بالله عن أبوابهم أبدا ... إن الوقوف على أبوابهم ذُلُّ

وقيل: احذر السلطان فإنه يغضب غَضَبَ الصبي ويأخذ أخْذ الأسد. وقيل: إياكم والسلطان فإنه مع الأسد وحمة[3] الأسود. واتصل رجل بالمنذر بن ماء السماء[4] ونادمه فنهاهُ صديقٌ له عن ذلك وخوّفهُ منه فلم يلتفت إلى قوله ولم يسمع قولهُ فغضب المنذر عليه يوماً فقتله. فقال فيه ذلك الصديق:

إنّي نهيتُ ابْنَ عمارٍ وقُلْتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العينين والشَّعَرِ

إنّ الملوكَ متى تنزلْ بساحتِهم ... تَطِرْ بثوبك نيرانٌ من الشَّررِ

- **التحذيرُ من الدخولِ في أمرِ السلطان**

قيل: العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان فإنه أن عفّ جنى عليه العفاف عداوة الخاصة، وإن بسط يده جنى عليه بسط ألسنة العامة. وقال محمد بن السماك لصديق استشاره وقد دُعِيَ إلى الدخول في عمل السلطان: يا أخي إن استطعْت ألّا تكونَ لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بُداً فافعل. وقال عيسى بن موسى لعبد الرحمن بن زياد: ما يمنعك من زيارتي؟ قال: إن أتيتك فأكرمتني فتنتني وإن جفوتني حزنتني، وليس عندك ما أرجوه ولا عندي ما أخافك عليه. وقيل: إذا لم تكن من قربى الأمير فكُنْ من أعدائه.

---

(1) أغصني: جعلني أغصّ، ضيّق عليّ. (2) يحذّر الشاعر من مقاربة الملوك والتذلّل أمامهم

(3) الحمة: العين الحارة الماء

(4) ابن ماء السماء: من أمراء الحيرة اللخميين لقب أمه بماء السماء لحسنها

● حَمْدُ الانقباضِ[1] عن السلطان

قال الأحنف: لا تنقبضوا عن السلطان ولا تتهالكوا عليه فإن من أشرف له أذراه ومن تضرع له تخطاه. وقيل: انقبض عن السلطان ما أمكنك فالسلطان ذو عدوات وبدوات، وهو في قلة وفائه لأصحابه وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل الصبي والمكتب، كلما ذهب واحد جاء آخر. كان النعمان دعا بحلّةٍ[2] وعنده وفود العرب وقال: احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم إلا أوساً فقيل له: لم تأخرت؟ فقال: إن كنت المراد فإني أُدعى وإن كان المراد غيري فأجمل الأشياء أن لا أكون أنا حاضراً فلما جلس النعمان ولم ير أوساً بعث إليه فقال: احضر وأنت آمن فأحضره وألبسه الحلة.

● النهيُ عن الإدلال[3] على السلطان

قيل: الدالة تفسد الحرمة وتهدم المودة، وقال هشام: إن فلاناً أدل فأمل وأوجف[4] فأعجف[5] ولم يدع ليرجع إليه مرجعاً وقد مضى في الأجوبيات مثل ذلك.

● مخالطةُ السلطان

قيل: جاور ملكاً أو بحراً. وقيل: لم يحرم من الملوك من لم يخدم الملوك، وقيل: من كان وضيع الهمة لم يصبر لدى الملوك على الخدمة. وقال عبد الله: من نزع عنا[6] لم ينتفع بنا، وقيل لبعضهم: لا تصحب السلطان فإن مثل السلطان مثل القدر من مسه سوّده. فقال: لئن كان خارج القدر أسود فداخلها لحم كثير وطعام لذيذ.

● المتبجّحُ بمعاضدة[7] السلطان

قال الرشيد ليزيد بن مزيد: في لعب الصوالجة كن مع عيسى بن جعفر، فأبى، فغضب الرشيد وقال: أتأنف أن تكون معه؟ فقال: حلفت على أن لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل، فسكن.

قال بعض الخلفاء لجرير: إني أعددتك لأمر، فقال: إن الله تعالى قد أعدّ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدوّك.

---

(١) الانقباض: الانكماش.
(٢) الحلة: الثوب الجديد، السلاح، يقال لبس المحارب حلّته وبزّته.
(٣) الإدلال: الاجتراء. أدلّ عليه وأخذه من فوق. ويقال هو يدلّ به: يثق به، وأدلّ بالطريق: عرفه، وأدلّ عليه: وثق بمحبته.
(٤) أوجف: اضطرب ـ أوجف الفرس: جعله يعدو عدواً سريعاً.
(٥) أعجف: تجنى ـ أعجف الدابة: هزلها ـ أعجف بنفسه على المريض: جزّها على تمريضه.
(٦) نزع عنا: انصرف عنا، مال عنا ـ ونزع إلى أهله: اشتاق ـ نزع الشعر: انحسر عن جانبي جبهته.
(٧) معاضدة: مساندة، محالفة.

وقال بعضهم. أنا أطوع لك من الردي وأذلّ لك من الحذاء.

خطب عبد الملك يوماً وحث الناس على قتال ابن الزبير، فقام عدي بن أرطاة فقال: إنا لا نقول ما قال قوم موسى لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول إنا معكم مقاتلون.

● التمدّحُ بمتابعة السلطان

أنشد سلم بن قتيبة قول حطائط:

أسودُ مأكْفَى أو أطيعُ المُسوَّدا

فقال: ما أدري أي هذين أشرف؟ فقال بعض أهل المجلس هذا فإنه إذا مات السيد يكون مكانه ولو هازه[1] وشازه[2] ما كان ليحمل مكانه. فقال صدقت قال حاتم

أسودُ ذا المعالي ولا أبالي ... على أن لا أسود إذا كُميتُ

وقال آخر:

لعمرُك ما إن أبو مالك ... بوَاهٍ ولا بضعيف قِوَاهُ

إذا سدته سدتَ مطواعة ... ومهما وكلت إليه كَفاهُ

● الانخراطُ في سلك السلطان في جدّه وهزله

دخل الشعبي[3] على بشر بن مروان[4] وفي حجره عودٌ فقال الشعبي أصلح المثنى قال بشر أتعرف؟ قال نعم ولك عندي ثلاثٌ الستر لما أرى والشكر لما يكون منك والدخول في ما لم يجمع على تحريمه ودخل شاب من بني هاشم على المنصور فأجلسه ودعا بغدائه وقال للفتى ادنُ، فقال: تغدّيت فلما قدم دفع الربيع في قفاه وأخرجه، فجاء عمومته يشكون من الربيع إلى المنصور، فقال: إنّ الربيع لا يقدم على مثل ذلك إلا وفي يده حجة فليدع وليسأل فسئل، فقال دعاه أمير المؤمنين إلى طعامه، فقال. قد تغديت فإذا ليس عنده أن التغدي مع أمير المؤمنين أيسر ما فيه سد الجوعة، ومثله لا يقومه المقال دون الفعال وقيل. السلطان سوق والناس يجلبون إليها ما يُنفق فيها

● الممتنعُ من أداء المال إلى السلطان

وَلِيَ بعض العمال كورة[5] فحضر رجلاً كان معروفاً بكسر الخراج فقدم إلى عونين[6]

---

(١) هازه. هازه مهازة. هزّ في وجهه، وأهزّ الكلب حمله يهرّ، ومنه المثل شرّ أهرّ ذا ناب، يضرب في ظهور أمارات الشرّ

(٢) شازه من شزّ فلاناً إذا نابه أو اردراه (٣) الشعبي راوية من التابعين عاش في الكوفة.

(٤) بشر بن مروان أمير أموي كان حاكم الكوفة والبصرة

(٥) الكورة. البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى (٦) عونين: أي خادمين.

يتقاضى سباله إلى أن يؤدي الخراج فقال لرجل: أؤديه اليوم، قال: وخراج أهل بيتك قال: افعل قال: وخراج شركائك، فنظر إلى العوبين وقال: اتفقا على بركة الله فإنّ الرجل أحمق، ولما طلب يوسف بن عمر خالداً القسري قال قد علمت أن الذي تطلبه ليس بحاضر وإنه لمتبددٌ عند الناس، فاجمع الناس لي وائذن لي في الخروج إليهم لا كلِّمَهُم واسأل من عنده شيء ليرده. فأمر بأن يخرج إلى الناس فخطب خطبة وقال: أيها الناس قد علمتم ولايتي وسيرتي وإنما كنت عاملاً لهشام وماله عندي تبعة وها هو قد سلط علي يوسف بن عمر وطالبني بمال فليبلغ الشاهد منكم الغائب أن من عنده وديعة فهو منها في حل، وكل مملوك لي فهو حر ومن أسديت إليه صنيعاً فأنا نادم على تقصيري حيث لم أصنه له وقال شاعر

وقُولا لهذا المرءِ ذو جاه ساعياً ... هلمّ فإن المشرفيّ لقاضِبُ[1]

● المتغيّرُ على السلطان لفظاً

بعث يزيدُ عبد الله الأشعري إلى ابن الزبير[2] فقال له: إن أول أمرك كان حسناً فلا تفسده بآخره. فقال عبد الله رضي الله عنه ليس ليزيد في عنقي بيعة فقال: ولو كان له في عنقك بيعة كنت تفي بها. قال: أي والله فالتفت إلى الناس فقال: معشر الناس قد بايعتم ليزيد وهو يأمركم بالرجوع عن بيعته، وهو لا يرتضي الرجوع عنها. فقالوا لابن الزبير: كيف رأيت هذا الخلع الخفي. وقال معاوية لامرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت استك[3] فقالت لمن حضر: أسألكم بالله أهذا من كلام الخلفاء.

● المتهددُ بالخروج عن الطاعة والمتبجّحُ بذلك

قال عبد الملك: عجباً لخالد بن عبد الله وليته البصرة وأمرته أن يجرد السيف ويمنع المال فبذل المال وأغمد السيف. فقال عبد الرحمن بن حسان: لو جرّد السيف لوجد سيوفاً مجردة ولو منع المال لوجد أيدياً منازعة. قال الفرزدق:

ولا نلين لسلطان يُكايدُنا ... حتى يلينَ لضرسِ الماضغ الحجرُ[4]

قال الأوسي:

وما زلْنا حجا حجةٍ مملوكاً ... تدين لنا الملوكُ ولا نَدينْ

قال المتنبي:

تعزّز لا مستعظماً غير نفسه ... ولا قائلاً إلا لخالقه حُكْما

---

(١) قاضب: شديد القطع، قضب الرجل: ضربه بالقضيب ـ قضب الدابة: ركبها قبل أن تُراض.

(٢) ابن الزبير: عبد الله بن الزبير حارب مع عائشة في معركة الجمل وثار على الأمويين.

(٣) استك: الاست الأساس، السافلة.

(٤) يكايدنا: يمكر بنا، يخدعنا ـ يقول ما مؤداه: إننا نأبى الخضوع للسلطان.

- **الحثُّ[1] على مصابرة السلطان**

قيل: من لزم باب السلطان بصبر جميل، وكظم[2] الغيظ، واطرح الأنفة وصل إلى حاجته، حُكِيَ أنه وجد مكتوب على باب هراة بدر پادشاه كاربرآيد آخر الأمرداد من زدايد أي إنما يرتفع الأمر على باب الملوك بالعدل والعقل والتثبت. فكتب بعضُهُمْ تحته مَنْ كان معه هذه الثلاثة فهو مُسْتَغْنٍ عن السلطان ونحو ذلك ما رُوي أن أبا العيناء عتب على بعض فتقصاه فقال بعض: أما عَلمتَ أنَّ مَنْ طالب السلطان احتاج إلى عقل وصبر ومال، **فقال:** لو كان لي عقل عقلت عن الله أمره ونهيه، أو صبر صبرت عن السلطان حتى يأتيني رزقي، أو مال لاستغنيت به عن بابك والوقوف بمجلسك. **وقيل:** من صحب السلطان احتاج إلى الصبر على قسوته صَبر الغواصِ على ملوحة ماء بحره.

- **أماراتُ السلاطين لندمائهم إذا أرادوا نهوضهم**

كان لكلِّ ملكٍ أمارة يستدلُّ بها أصحابه إذا أراد أن يقوموا عنه فكان **أردشير** إذا تمطى قام سمارة وكان كيشاسف يدلك عينيه **ويزدجرد يقول** شب بشدو **بهرام يقول** خرم خسفاذ **وسابور يقول** حسبك يا إنسان **وابرويز** يمد رجليه وقباد يرفع رأسه إلى السماء **وأنوشروان**[3] يقول قُرَّتْ أعينُكُمْ. وكان **عمر يقول**. قامت الصلاة **وعثمان يقول** العزة لله، ومعاوية يقول: ذهب الليل، وعبد الملك **يقول** إذا شئتم والوليد يلقي المخصرة[4] **والرشيد يقول** سبحان الله والواثق يمس عارضيه. وحُكي عن بعض البخلاء أنه سُئل ما أمارتك لقيامنا قال: قولي يا غلام هات الطعام.

شب بشد معناه الليل حزم ورزاق بمكر معناه المسرور وطيب الوقت ومستريح الحال وخسفاذ معرب خوش باد سابور معرب شهبور وكيشاسف معرب كشتاسب بضم الكاف الفارسية وهو من الكيانية كما في ص٣٤ من أول تتمة المختصر ابرويز معرب برويز يزدجر معرب يزدكر دكان ظالما فلذا تقول له الفرس بزه كار والعرب تقول له يزدجرد الأثيم قباد معرب قباد قاله محمد عارف وكيلُ جمعيةِ المعارف

(٣)
ومما جاء في القضاء والشهادة

●

- **مَدْحُ القضاءِ وذمُّهُ**

قال النبي ﷺ: القضاة ثلاثةٌ اثنان في النار وواحد في الجنة فاللذان في النار أحدُهُما من

---

(١) **الحثُّ**: الحض، التشجيع. (٢) **كظم**: أمسك عنه، حبسه.

(٣) **أنوشروان**: ملك ساساني من ملوك الفرس (٥٣١ ـ ٥٧٩م) حارب يوستينيانوس واحتل أنطاكية ثم استولى على اليمن (٥٧٠م). اشتهر بعدله وإصلاحاته.

(٤) **المخصرة**: العصا، ما يُتكأ عليه.

يقضي ولم يعلم والآخر مَنْ يعلمُ فيقضي بغير الحق وأما الذي في الجنة فهو الذي يَعْلَمُ ويقضي بالحق، وقال ﷺ: إن مع القاضي ملكين يسددانه ويوفقانه فإن عَدل أرشداه وأعاناه وإن جار قذفاه في النار. وقيل: المذموم من القضاة مَنْ سعى في طلبه، وقال ﷺ: لعبد الرحمن ابن سمرة: يا عبد الرحمن لا تسألِ الإمرة فإنك إن سألتها وكلت إليها وإن سُئِلْتها أعنتَ عليها، وقال ﷺ: من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين، وروي عنه ﷺ أنه قال: شكت بقعة من الأرض إلى ربها أنها جعلت حشا فأوحى الله إليها أما ترضين أني لم أجعلْكِ بقعة قاضٍ. وكان ابنُ شبرمة يقول: يا جارية هاتي غدائي لأخرجَ إلى بلائي.

● الممتنع من تولّي القضاء

أمر المنصور أبا حنيفة[1] رحمه الله أن يتولى القضاء فقال: لا أَصْلُحُ لذلك فقال: إنك تصلح، فقال: إنْ كُنت صادقاً فلا يجوز لك أن تُوَلِّيني وإن كنت كاذباً فقد فسقْتَ فقال: والله لتلين. فقال: والله لا وليت فقال حاجبه: أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف فقال: أمير المؤمنين أقدرُ على الكفارة مني. قيل لما مات عبد الرحمن بن أذينة ذُكر أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى الشام فوافق ذلك عزلَ قاضيها فهرب حتى أتى اليمامة فقيل له في ذلك فقال: ما وجدت مثلاً لقاضي العالم إلا مثل رجلٍ سابح وقع في بحر، فكم عسى يسبح حتى يغرق.

● الممدوحُ بِتَرْكِ الميل والعفة والحِلم

اختصم إلى زياد رجلان فقال أحدهما: إن هذا يدل بحرمة له عندك، فقال: صدق وسأخبره بما ينفعه من ذلك، إن كان الحقُّ له عليك أخذتك به وإن كان الحقُّ لك عليه أقضي عليه، ثم أقضي عنه من مالي، وولّى إسماعيل بن أحمد قاضياً عفيفاً فكلفه يوماً أن يقبلَ رجلاً لم يكن عنده عدلاً فامتنع عليه فقال له: ما أثقلك من بين القضاة! فقال: اعزلني إن كنت ثقيلاً، فقال: قد عزلتك، فتناول القاضي قلنسوته من على رأسه فجعلها في كمّه وخرج، فندم إسماعيل على ذلك فرده وسأله أن يتولى فأبى عليه ولما استعفى شريح الحجاج من قضاء العراق قال: والله لا أعفيتك أو تدلّني على من إذا غضب على الخصوم رجع به حلمُهُ عن الهجوم، ومن إذا دعاه كثرةُ المال ثم ينهضه إليه سوءُ الحال فقال: أدلّك على شريف عفيف يمنعه شرفُهُ من التسلّط عليه وتحجبه عفتُهُ عن التملّق[2] قال: من هو؟ قال: ابن أبي موسى الأشعري فاحضره وولاه، قال الزهري: ثلاث إذا كن في القاضي فليس

---

(١) أبو حنيفة: إمام المذهب الحنفي، نعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) وهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين عند السنة، وهو أوّل من قضّى الفقه إلى أبواب وأقسام، وصاحب الاجتهاد في الفقه والفرائض بالقياس والرأي.

(٢) التملّق: التودّد والتذلّل.

يقاضي إذا كره اللوائم وأحب المحامد وخاف العزل، وبه ألمّ الشاعر في قوله:

سيانِ في الحُكْم شاكِيه وشاكِرُه ... مِنَ الأنامِ وهاجِيه ومطريه

● كَوْنُ الحاكم مرضياً ومسخوطاً

قيل لشريح رحمه الله: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ونصف الناس عليّ غضبان، وقال رجل لشريح: قضيت عليّ بالجور[1] وليدخلنك اللهُ النار قال: إذا يدخلها سبعة قبلي من ولاني ومن علّمني هذا الحكم ومن جاء بك مدعياً والشاهدان والمزكيان.

● حثُّ الحاكمِ على التسوية بينَ الناس

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] وقال أيضاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[4] وقال أبو وائل: سمعت عماراً يقول في بعض القضاة: كان كافراً، فقلت: ما تقول؟ فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5] وقال بعضهم: رضى الناس غاية لا تدرك فتحرّ الخير بجهدك، ولا تكره سخط من يُرضيه الباطلُ. وكان زيد بن ثابت يقضي لعمر رضي الله عنه بالمدينة فتقدم إليه عمر مع أبي بن كعب تنازعاه فخرج إليهما، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ههنا ههنا ثم توجهت اليمين على عمر فقال زيد لأبي: أعفُ أمير المؤمنين من اليمين، فقال له عمر: ما رفت جائراً بعد اليوم السلام عليك يا أمير المؤمنين وههنا ههنا واعفُ أمير المؤمنين. وكتب عمر رضي الله عنه إلى قاضٍ: احكم بين أهل الحق بالحق ينفعك يوم الحق. وقيل: لا ينبغي لحاكم أن يسمع شكية أحد الخصمين دون الآخر وفي المثل: من يأت الحكم وحده يفلج. وقال سلمة بن حوشب:

نُبِّئْتُ أنْ حكّموكَ بينهُمُ ... فلا يقولنَّ بئسما حكمَا
إن كنتَ ذا عرفة بشأنهم ... تعرف ذا حقهم ومن ظلما[6]
ولا تبالِ من المحقّ منَ المبطلِ ... لا إلّة ولا ذمَما[7]
فاحكُمْ فأنتَ الحكيمُ بينهم ... إنْ يعتدوا الحقَّ يابساً صما[8]
واصدعْ أديمَ السواد بَيْنَهُمُ ... على رضَى مَنْ رضي ومن رغمَا

● حثُّ الحاكمِ على تقليلِ الكَلام

عزل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قاضياً وقال: بلغني أن كلامك أكثر من كلام

---

(1) الجور: الظلم.
(2) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٧.
(3) القرآن الكريم: آل عمران/ ٨٢.
(4) القرآن الكريم: المائدة/ ٥٦.
(5) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٤.
(6) عرفة: معرفة وعلم.
(7) الإل: العهد.
(8) يدعو إلى الحكم القويم على أساس من الحكمة والعدل دون المبالاة بمن رضي أو من أرغم.

الخصمين وكان أبان يقلّل من الكلام فقيل له في ذلك فقال: إنّ مَنْ كان كلامُهُ حكماً فحق عليه أن يتبلم[1] ولا يتكلّم إلا فيما يعنيه.

● **مَن استعملَ دهاءً في أمر**

أودع رجلٌ آخر مالا وجحد، فلما رجع طلبه منه فجحده، فأتى إياساً[2] فأخبره فقال له إياس. هل علم أنك أتيتني؟ قال. لا قال. فانصرف واكتم أمرك وعُدْ إليّ بعد يومين. فدعا أياس المودع وقال له. قد حضر مال وأريد أن أدفعه إليك فحصّنْ منزلك وأحضر قوماً ثقاتٍ يحملونه. ودعا أياس صاحب المال فقال له. امض إلى صاحبك واطلب منه المال وقل له: إن لم تردّه شكوْتُكَ إلى القاضي. فذهب الرجل وطلب ماله فرده عليه فأخبر إياساً بذلك فصحك، واختصم رجلان إلى القاضي شريح في ولد هرة فقال أحدهما: هي ابنة هرتي، وقال الآخر كذلك، فقال شريح. ضعوها قدامها فأيهما هرت وأزبأرت[3] وعزت فليست لها وأيهما قرّت واسبطرّت[4] فهي لها فقرت إحداهما فدفعها إليه.

● **مَنْ لا يُغضي[5] في الحكم على حقّ**

أتى المأمونُ برجل وجب عليه حدّ، فأمر بضربه فقال. قَتَلْتَ. قال: الحق قتلك. قال. ارحمني، قال. لست بأرحم ممّن أوجب الحدّ عليك.

وقال خالدِ بن صفوان لبعض الولاة: جزاك الله خيراً فقد سويت بين الناس حتى كأنّك من كل أحدٍ وكأنك لستَ من أحد. وقال بعضهم. قضى بعضُ قواد الأتراك ضيعة أيام المعتز[6] فتظلمتُ فلم يُنصِفْني فلمّا ولي المهتديّ جلس يوماً للمظالم فتظلمت إليه فأحضر خصمي فقضى لي عليه، فقلت. جزاك الله خيراً فأنت كما قال الأعشى

حكّمتموه فقضى بينكم ... أبلجُ مثلُ القمرِ الزاهرِ[7]

لا يأخذ الرشوة في حكمه ... ولا يبالي غَبَنَ الخاسرِ

فقال. أمّا شعرُ الأعشى فلا أدري ولكني قرأت قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[8] فبكى أهل المجلس كلّهم.

---

(1) تبلّم. يقال تبلّمه قبّحه.

(2) إياس (هنا). هو قاضي البصرة إياس بن معاوية المزني (ت ١٢٢ هـ/ ٧٣٩م) اشتهر بعدله.

(3) ازبأرت. خافت. (4) اسبطرّت. امتدت واضطجعت.

(5) يغضي: يسكت ـ أغضى عينه. طبق جفنيها من لا يبصر، وأغضى الليل. أظلم.

(6) المعتز. المعتز بالله عمر بن المتوكل الخليفة العباسي (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) عزله القادة الأتراك وقتلوه.

(7) يصف الأعشى في هذين البيتين حاكماً عادلاً ناصع الجبين لا تأخذه في الحق لومة لائم.

(8) القرآن الكريم. الأنبياء/ ٤٧.

● حثّ الحاكِم على الاجتهاد

قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال: فإن لم تجد فيه، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد فيها؟ قال: أجتهد برأيي. وأراد معاوية رضي الله عنه أن يستعمل عبد الرحمن بن خالد فقال: كيف تعمل؟ قال: اعمل برأيك ما لم يجاوزِ الْحَزْمَ فإن جاوزه عملت برأيي، فولاّه.

● حثُّ الحاكم على الصّلح فيما يشتبه

كتب عمر رضي اللّهُ عنه، إلى معاوية: عليك بالصلح ما لم يَبِنْ فيه فصلُ القضاء، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً. وصالح ابن الزيات عاملاً على مال مطالبه به فقال: أظلم وتعجيل؟ فقال ابن الزيات: أصلح وتأجيل؟

● مَنْ قطعَ الحكومةَ بالتهوّر

ولي أعرابيّ ناحية فخطب: ألا أني لا أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتُهما عقوبة، فتعاطى رعيته بينهم الأنصاف ولم يترافعوا إليه في حق ولا باطل حذراً من عقوبته، وكان بعض الولاة إذا اشتبه عليه حكم، حبس الخصمين حتى يصطلحا، ويقول: دواءُ اللَّبْس[1] الحبس

● مَنْ عارضَ الحاكمَ في حقّ إدعاه عليه حتى أدركهُ منه

قال ابن الزيات[2] لرجل ادعى عليه في مجلس الحكم وقال: غصبني وكيلك ضيعة لي وجارها إلى أرضك. فقال ابن الزيات: تحتاج فيما تقوله إلى شهود وبينة وأشياء كثيرة فقال الرجل: الشهود هي البينة وأشياء كثيرة هي هيبتك فأمر برد ضيعته، وناظره رجل في شيء فقال له: أخرج من داري. فقال: ما هي بدارك إنما هي دارُ أمير المؤمنين وأنت عبده فقال: نعم هي لأمير المؤمنين فأخرج منها صاغراً[3]، فقال الرجل: قد بذلها أمير المؤمنين للعامة وجعلها مجمع الخصوم ومنصف المظلوم فلا أبرح إلا بصفعة، فقال: صدقت وأنصفه.

وتظلّم رجل من وكيل كسرى بأنه أخذ ضيعة له فقال له كسرى: قد أكلت ارتفاعها أربعين سنة فدعه يأكله سنتين، فقال الرجل: فسلم ملكك إلى بهرام[4] جور يأكله سنة فقد أكلته سنين كثيرة، فأمر بضرب رقبته فقال: أيها الملك دخلت بمظلمة وأخرج بمظلمتين فأمر برد ضيعته وأرضاه، وادعى رجل على آخر بحضرة قاضٍ فطالبه بالشاهدين وقال

---

(١) اللبس: الشبهة وعدم الوضوح، واللَّبْس: اختلاط الظلام واللبس أيضاً الثوب.

(٢) ابن الزيات: محمّد (ت ٨٤٧) أديب وشاعر. وكان وزير المعتصم والواثق العباسيين. حمل على المتوكل فانتقم منه هذا بعد توليه الخلافة. له ديوان

(٣) صاغراً: ذليلاً راضياً بالضيم   (٤) بهرام: ملك من ملوك بني ساسان

مالك سبيل إلى ما تدعيه إلا بشاهدين، فقال الرجل متمثلاً بهذا البيت.

وبايَعْتُ ليلى في خلاءٍ ولم يكن شُهُودي على ليلى عُدُولٌ مُقانِعُ

فتلطف القاضي في أخذ إقرار المدعي عليه وألزمه الحق.

● مَن أنقادَ للحُكمِ مِنَ السَلاطين

قد تقدم خبر عمر مع أبي ابن كعب رضي الله عنهما وكان علي رضيَ اللَّهُ عنه تحاكم مع رجلٍ، فشهد له قنبر، فقال شريح يا أمير المؤمنين خادمك وفي عداد عيالك لا شهادة له، فقال علي وما أنت وهذا، اعتزل عملنا، فعزله، ثم رأى أنه أصاب، فرده من الغد.

وجلس المأمون يوماً للمظالم فدفع إليه رقعة فيها مظلمة من أمير المؤمنين فقال لصاحبها: ما ظلامتك؟ قال. ثلاثون ألف دينار اشترى سعيد وكيلك مني جواهر بها ولم يوف ثمنها لي. فقال: كلامك هذا محتمل يجوز أن يكون وفره ويجوز أن يكون اشتراه لنفسه ويجوز أن يكون أخذ مني الثمن ولم يدفعه إليك، فقال الرجل: أنت أولى[1] الناس بالإنصاف، إحملني على سُنّة النبي ﷺ البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقد عدمت البيّنة[2]، فقال نعم، ودعا بيحيى فصيّره فلما دخل قال له اقض بيننا فقال: لا أفعل إنك لم تجعل دارك مجلس مصلي فقال: قد جعلت، فأذن للعامة فخرج المأمون ومعه غلام يحمل مصلّى فطرحه له فقال يحيى: لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فدعا له بمثله فادعى الخصم، فقال يحيى: ألك بيّنة؟ قال: لا فاعدم البيّنة قال يمينه فقال للمأمون أتحلف؟ قال: نعم فاستحلفه فحلف ثمّ قال المأمون أدفع إليه ما ادعاه والله ما حلفتُ فجرةً ولكن خوفاً من الرعية لئلا يظنوا أني منعته بالاستطالة

● نَهيُ الحاكم عن قبول الهدية

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[3] وقال النبي ﷺ لعن الله الراشي والمرتشي وتخاصمت امرأة من قريش ورجل إلى عمر وكانت المرأة أهدت إلى عمر فخذ جزور[4] وقالت أفصل القضاء بيننا كما يفصل الجزور، فقضى عمر عليها وقال: إياكم والهدية.

وقال بعضهم كنت في طريق مكة فإذا أعرابيّ يختصم إليه الناسُ فيقضي بينهم بالحق فلما تفرقوا قلت هل أحدث العلم عن أحد؟ قال: لا قلت فما هذا الفهم؟ قال يوفق الله. قلت: أرأيت لو تحاكم إليك اثنان فأهدى إليك أحدهما أكنت تقضي له فقال. إذا لا ينزل التوفيق وقد تقدم من ذلك أخبار في باب الولايات

---

(١) أولى: أحق وأجدر.

(٢) البيّنة: الحجة أو الدليل.

(٣) القرآن الكريم البقرة/١٨٨

(٤) جزور: ما يجزر من النوق أو الغنم.

● مَنْ مَالَ إلى أحد الخصمَين لأجل هديّة

اختصم رجلان إلى حاكم فدنا منه أحدهما وقال: قد وجهت إلى دار القاضي فراريج كسكرية وحنطة بلدية وشهدة رومية فقال القاضي بصوت رفيع: قم يا بارد إذا كانت لك بيّنة غائبة فانتظرها ليس هذا مما يسار فيه، وقيل: الحاكم شيطان ونعم الرقى الرشا.

وتحاكم رجلان إلى المغيرة الثقفي قاضي الحجاج فأهدى أحدهما منارة والآخر بغلة فرأى صاحب المنارة ظلع[1] القاضي مع صاحبه فأراد أن يذكر القاضي فقال: أمري أضوأ عند القاضي من سراجٍ على منارةٍ عظيمةٍ ففطن القاضي لقوله فقال: اسكت فإن البغلة رمحت المنارة فأطفأت نورها. وقال قاضٍ:

إذا ما ضُمّ في القنديلِ زيتٌ | تحوّلت القضيةُ للمقنديل

● حثُّ متحكّم على اعطاء الرشوة

قال ابن طباطبا:

يا خليلي يا أبا العيث دزك | نصب القاضي لك اليومَ شرك
طلب البرطيل فابذله له | يمسكُ القاضي وإلاّ ذكرك
لا يهولنك دنيّته | أعطه من رشوةٍ ما حضرك[2]

● المهجوُّ بأخذِ الرشوة

ذكر أعرابيٌّ حاكماً فقال: يقضي بالعشوة[3] ويطيل النشوة ويقبل الرشوة. قال ابن طباطبا في أحمد بن عثمان البري

وفينا عاملا عدلٍ وجورٍ | هما جلفا انبساطٍ وانقباضِ
موالي حربنا في وصف قاضٍ | وقاضينا عقابٌ ذو انقضاضِ

واتفق أن والي أصبهان عليلا، فاحتجب أياماً وحصر فيل فكثرت النظارة عليه فمنع عنه الناس إلا ببدل. فقال ابن طباطبا

شيئان قد حار الورى فيهما | بأصبهان الفيلُ والقاضي[4]
ليس يُرى هذا ولا ذا فكم | من ساخطٍ منّا ومن راضي
الفيل يرشى عند سدّيه | فأين سدّيك يا قاضي

---

(١) ظلع القاضي مع صاحبه: ميله إلى صاحبه أي انحيازه إلى جانبه.
(٢) الدنية: مخفف الدنيئة أي النقيصة.
(٣) العشوة: الظلمة، والعشوة هنا ركوب أمر القضاء على غير بيان.
(٤) الورى: الخلق، الناس.

قال البسامي:

إنا أهلُ الرشا صاروا إليه ... فأحظى القوم أوفرُهُمْ بضاعَةْ[1]

فلا رَجُلٌ يقرِّبهم إليه ... سوى الورق الصحيح ولا شفاعَةْ

وليس بمُنكَرٍ هذا لديه ... لأنّ الشيخَ أفلتَ من مجاعَةْ

● قاضٍ مستولٍ على المواريث

جاءت امرأة إلى قاضٍ فقالت: مات زوجي وترك أبويه وولداً وامرأة وأهلاً وله مال. فقال: لأبويه الثكلُ، ولولديه اليتمُ، ولامرأته الحيفُ، ولأهله القلةُ، والذلةُ والمالُ يحمل إلينا حتى لا تقع بينكم الخصومةُ.

● المهجوُ من القُضاة باللواطَة[2]

قال المأمون ليحيى بن أكثم يعرِّض[3] به: من الذي يقول؟

قاضٍ يرى الحدّ في الزناء ولا ... يرى على من يَلُوطُ من بَاسِ[4]

فقال: يا أمير المؤمنين هو الماجن أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

أميرنا يرتشي وحاكمُنا ... يلوطُ والرأسُ شرّ ما راس

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة والٍ من آلِ عبّاس

فقال: هذا ينفي أن ينفى إلى السند، وقال آخر:

ألا لله درّك أيّ قاضٍ ... شبهتَ المردَ بالحذق المراس

وقال عبدان:

لنا قاضٍ له وجهٌ ... على أخذ الرشا عابسْ

ولكنْ أيرُهُ أيرٌ ... يدقّ الرطبَ واليابسْ

● المهجوُ متهم بالابنة[5] أو الكشح[6]

لما استولى الناصرُ على طبرستان، فوض إلى عبد الله بن المبارك القضاء وكان يُرْمَى بالابنة فقال: يا أمير المؤمنين أنا أحتاج إلى رجال أجلاد يعينونني. فقال: قد بلغني ذلك وقال بعضهم:

أنا أعرف للقاضي ... الذي يقضي بسامرّا

غلاماً أشقرَ اللون ... يجرر زُبَّه جرّا

---

(١) أوفرهم بضاعة: أكثرهم مالاً أو تجارة.

(٢) اللواطة: الالتصاق، لوّطه بالعيب: لطخه. يقال لاط الشيء بقلبي: أي لصق به وأحببته.

(٣) عرّض به: قال كلاماً عناه به دون أن يصرّح والتعريض هو أن تفهم السامع مرادك من غير تصريح.

(٤) يعيّر الشاعر قاضياً يستنكر الزناء ويتغاضى عن اللواط، وقوله بأس مخفّف بأس.

(٥) الأبنة: العيب. (٦) الكشح: ما بين السرّة ووسط الظهر.

يـشـدُّ الـبـغـل فـي الـخـان ويـلـقـي حـرجـه بـزا

وقالت امرأة لزوجها: لأشكونَّك إلى القاضي. فقال الرجل: الحل على حرام ثلاثا إن لم أكن نكت القاضي. فولولت المرأة وذهبت إلى القاضي وقصّت عليه القصة. فقال: ارجعي إلى داره فقد كان عارماً[1] في صغره. فقالت: ناكك ورب الكعبة. قال ابن عروس:

وخبرت أنك قاضي البلاد فسبحان من حكمه يعدلُ
وكيف يدير أمرَ البلاد فتى أمرُ منزله مهملُ
كفى من تواضعه أنه لـمـاتـسـه أبداً أسفلُ

● المهجوُّ متهمٌ بالجهل

قال الصاحب في قاضٍ: يخبط العشواء ويحكم حكم الورهاء[2] ويأتي أخلاق النساء. ورفع إلى المأمون في قاضٍ أن فلاناً يعضّ الخصوم، فوقّع: يشنق، ونحوه كان أحمد بن الخصيب إذ ضجر ممن يناظره رفسه فقال فيه شاعر يخاطب المنتصر:

قل للخليفة يا ابنَ عم محمد أشكل وزيرك إنه ركّالُ
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجْلِهِ عند الصدور مجالُ

قال المصيصي:

أفٌ لـقـاضٍ لـنـا وقـاح أصبح بريئاً من الصلاح
وليس في الرأس منه شيءٌ يـدور إلا أبـو ربـاح

● مَن يحكم وهو الظالم

قال شاعر:

والخصم لا يرتجى النجاحُ له يوماً إذا كان خصمَهُ القاضي[3]

وقال آخر:

ومِنَ المظالمِ أن وليت على المظالم يا قرارهْ[4]

وحُكِيَ أن ملكاً خرج له جراحٌ عجز الأطباء عن معالجته، فقال يوماً: إنكم تغشونني، فإن داويتموني وإلا قتلتكم، فأجمعوا على أن يقولوا: إن دواءك أن نأخذ صبياً

---

(١) عارماً: فاسداً ـ عرم العظم: نزع ما عليه من لحم.
(٢) الورهاء: الحمقاء.
(٣) يقول: يرتجى النجاح لامرىء في قضية خصمه فيها القاضي وهذا المعنى قريب مما عناه المتنبي في عتابه سيف الدولة: فيك الخصام «وأنت الخصم والحكم».
(٤) القرارة: اسم علم وربما قصد به التورية، لأن القرارة أنثى النمر.

من أبناء العشر، فيأخذ أحد أبويه رأسه والآخر رجليه وتذبحه على جرحك فتشرب دمه بطيب نفس منهما

وقالوا: قد تحققنا أنه لا يوجد

فقال: اطلبوا من يأتيني بابن هكذا، فأمر فنادوا في البلدان.

فاتفق أنّ رجلاً كان إذا ولد له ولد وبلغ عشر سنين يموت لا محالة وكان فقيراً وكان له ابن شارفَ العشرَ. **فقال** لامرأته: تعالي نحمل هذا الابن إلى الملك ونأخذ المال، فإنّ هذا يموت لا محالة. فرضيا بذلك وحملاه إليه وأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه وأخذ الملك السكين فلما هَمَّ بذبحه ضحك الصبي، **فقال** الملك: مِمّ تضحك وأنت مقتول **فقال**: رأيت الصبي أجنى الخلق عليه، أمه ترضعه وتقيه بنفسها ثم أبوه يحميه وإذا كبر فالملك يتولى أمره وقد رأيتكم ثلاثتكم اجتمعتم على قتلي، فإلى مَنْ المُشتكى؟ فتوجع الملك لقوله ورمى بالسكين فانفجر جرحه لما دمعه وبرأ، فخلى سبيل الصبي وتبنّاه، **وقال** رجل لقاضٍ لئن هملجت[1] إلى الباطل إنك عن الحق لقطوفٌ.

- **النهيُ عن التعرّض للقضاة**

قيل: لا تعادوا القضاة فيحتاروا عليكم الأقاويل ولا العلماء فتضع عليكم المثال

- **المفتتنُ منهم بامرأةٍ تحاكمتْ إليه**

خاصمت امرأة صبيحة زوجَها إلى **الشعبيّ**[2]، فمرت بالمتوكل الليثيّ في منصرفها وقد قضى لها على زوجها، فقال:

فُتن الشعبيّ لمّا	رفعَ الطرفَ إليها
فتنته ببنان	وبخطّي حاجبيها

فقضى جوراً على الخصم ولم يقضِ عليها

كيف لو أبصر منها	نحرها أو ساعديْهَا[3]
لصبا حتى تراه	ساجداً بين يديْهَا[4]

فولع الناس بهذه الأبيات وتناشدوها، حتى اضطر الشعبيّ إلى الاستعفاء من القضاء. وقدّم رجل امرأة حسنة النقية[5] إلى القاضي فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة

---

(١) **هملجت**: سارت سيراً حسناً

(٢) **الشعبي**: هو عامر بن شراحيل المتوفى سنة ١٠٣ هـ (٧٢١م)، وهو راوية من التابعين عاش في الكوفة كان مقرباً من الخليفة عبد الملك بن مروان

(٣) **النحر**: الجيد، العنق

(٤) **صبا يصبو صبواً**: مال إلى الصبوة أي جهلة الصبا فهو صاب وصبا صبوة إليه (أو إليها): حنّ

(٥) **النقية**: النفس والطبيعة وقوله حسنة النقية مثل قولهم ميمون النقية أي محمود المختبر

فيتزوجها ثم يسيء إليها. ففطن الرجل بحذق القاضي محمد إلى نقابها فأسفره فرأى القاضي وجهاً وحشاً[1] فحكم عليها وقال: قومي لعنك الله كلام مظلوم ووجه ظالم، فقال زوجها:

قـومـي إلـى رحـلـك أم حـاتـم قـد كِـذْتِ تـسـبـين فـؤاد الـحـاكـمْ
بـمـنـطـق مـظْـلـومٍ ووجـهٍ ظـالـمْ

● طُرَفٌ من سخافة القُضاة

اختصم رجلان إلى قاضٍ، كلُّ واحد منهما يقول: امرأتي أحسن فتقامرا وأحضرهما لديه. فقال القاضي لأحدهما: لأنْ أنيك امرأتك في استها أحبُّ إليّ من أن أنيكَ امرأته في فَرْجها.

وتقدّم رجل مع خصمه إلى قاضٍ، وقال: قد جاء عام الأول فخرق ثيابي وضربني، وجاء العام وفعل ذلك أيضاً. فقال القاضي: هذه سنّة قد جرت له كل سنة. وجاءت امرأة مع زوجها إلى قاضٍ وقالت: أنه لا يصاجعني، فقال للرجل: أنت عنين. فقالت المرأة: إنّه يكذب، فقال القاضي: أخرج أيرك لأمرسه فتناول القاضي غرموله وأخذ يمرسه ولا يتحرك وكانَ القاضي أعور دميماً فقالت المرأة: أيها القاضي لو رأى ملك الموتِ وجهَكَ لمات من قبحه، ردفعه إلى غلامك ليمرسه وكان غلامه صبيحاً فقال القاضي: يا غلام تعال واعمر أيره، فجاء الغلام وأخذه فما لبث أن اشتدّ وانْتَشَرَ، فقالت: أعط القوس باريها[2]. فقال القاضي: يا كشخان دونك وامرأتك ولا تطمع في نَيْك غلمان القضاة.

وجاءت امرأة إلى قاضٍ وقالت: إنّ زوجي إذا قدمت إليه المائدة قلب الخوان وأكل على ظهرها. فقال القاضي: دعيه يأكل كيف أراد. فقالت: إنما عنيت أنه لا يأخذ في الطريق المستوي. فقال: دعيه يمشي كيف شاء، فالأرض كلها لله. فقالت: إنما عنيت أنه ينيكني في استي يا أحمق. فقال: طيب و لله. فقالت: قطع الله ظهرك من بين القضاة.

وكان بحمص قاضٍ يحكم اليوم في شيء بحكم، وفي غد يحكم في مثله بخلافه، فقيل له في ذلك. فقال: القضاء بخوت[3] وأرزاق، من رزق شيئاً أخذه.

وأراد أعمى أن يتزوج بامرأة، فأحضرها مجلس القاضي فقال: كم مهرها؟ قال أربعمائة، فقال للمرأة: اكشفي عن وجهك، فكشفت فقال إنها تساوي أكثر من ذلك، فإنها صبيحة، فقال الأعمى: إنْ كان للقاضي زيادة فبارك الله له فيها فإنه أولى بها، وجاءت امرأة القاضي مع زوجها تطلب نفقتها منه، فقال: تروح أيها القاضي هذه مغنية ومتى كانت نيّاحة

---

(١) وحشاً: رديئاً.

(٢) أعطِ القوس باريها: مثل يقال للحث على الاستعانة بأهل المعرفة والحذق، وهو ورد في قول الشاعر:

يا باريَ القَوْسِ بَرْياً لستَ تُحْسِنُها لا تُفْسِدَنْها وأعطِ القَوْسَ باريها

(٣) بخوت: حظوظ جمع بخت واللفظة فارسية.

مؤاجة، وليس لي كسب. فقال للمرأة: التزمي بنفقته يا فاعلة. فقالت: وهل في الحكم هذا؟ قال: نعم لو كنتُ مكانه لنكتك وأخذت جحرك، فقال الرجل فديتك يا جوهر القضاة افعلْ الساعة.

وكان بلال بن أبي بردة أول من جار في الحكم وكان يتقاضى إليه الرجلان فيقضي لأحدهما بلا بينة ويقول: وجدْتُهُ أخفَّ على قلبي من صاحبه.

● من ردّ القاضي شهادته فعارضه بما عدل به

شهد معلم عند سوّار[1] فقال: لا أجيز شهادتك. قال: ولم؟ قال: لأنك تأخذ على كتاب الله تعالى الأجرة، فقال: وأنت تأخذ على القضاء، فقال: أنا أكرهت، فقال: هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة، فأجاز شهادته. وشهد آخر عند سوار فقال: من أين علمت؟ قال من حيث علمت أنك سوار بن عبد الله. وشهد قوم عند شرمة بقراح فيه نخل فسألهم كم فيه من جذع؟ قالوا: لا ندري، فأراد أن يرد شهادتهم فقال أحدهم: أيها القاضي كم من أسطوانة في هذا المسجد؟ فقال: لا أدري. فقال: كيف وأنت تحكم فيه منذ كذا سنة، فأجاز شهادتهم.

● من ردّ القاضي شهادته بلُطف

قال المهدي لشريك وعنده عيسى أبي موسى: إذا شهد عندك هذا هل تقبل شهادته؟ وأراد أن يوقع بينهما. فقال شريك: من شهد عندي سألت عنه فإن زكي أجزتُ شهادته وعيسى لا أسأل عنه غير أمير المؤمنين فإن زكاه قبلته وهذا عكس على السائل.

كما حكى عن أبي حنيفة رحمه الله قال: كنا نأتي حماداً فلا ننصرف عنه إلا بفائدة فقال يوماً: إذا وردت على أحدكم مسألة معضلة[2] فيجعل جوابها منها فما رأيت قوله شيئاً حتى دخلت يوماً دار المنصور، فخرج الربيع وسألني ممتحناً أفتني في رجل أمرني أمير المؤمنين بقتله، أعليّ في طاعته حرج؟ فذكرت قول حماد فقلت: أليس يأمرك أمير المؤمنين بحق رآه قال: نعم. فقلت: افعلْ فكل حق يأمرك به لا حرج عليك فيه.

وشهد الفرزدق عند قاضٍ فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس فرد في شهودك فلما انصرف الفرزدق قيل له: قد رد شهادتك فقال: وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصَنة[3]. وأتى وكيع أياس بن معاوية ليشهد عنده فقام إليه وقال: ما جاء بك يا أبا المطرف؟ قال: أقيم شهادة لجار لي فقال: حاشك أن تشهد كما يشهد الموالي والتجار والسقاط. قال صدقت فانصرف عنه.

---

(١) السوّار: من تسور الخمر في رأسه سريعاً، أو الذي يواثب نديمه إذا شرب.

(٢) المسألة المعضلة: العويصة أو المستعصية التي يصعب حلّها.

(٣) المحصنة: المرأة العفيفة التي أحصنها زواجها.

● **من رُدَّتْ شهادتُهُ لبَلَهِه**[1]

قال سوار: لا أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي ولو شهد عندي بفلس ما أجزت شهادته لأنه ليس بحازم. **وقال** كثير من الفقهاء: لا تقبل شهادة الوهم والأبله لا شَهادةَ لهُ.

● **من عارضَ من الخصوم الحاكم في الشاهد عليه فردَّ شهادتَهُ**

شهد رجل عن شريح **فقال** المشهود عليه: أتقبل شهادته وإن أحبَّ الأشياء إليه الخمر واللحم، فتوقف في إمضاء شهادته **فقيل له**: لم توقفت؟ **فقال**: إنه يعني أنه يشهد بأكلة. وشهد رجل عند سوّار بمال على آخر **فقال**: سوّار تارس أم رامح؟ **فقال** تارس، **فقال** ذاك شرٌّ له سأعيد المسألة عنه وإنما أراد أنه مأبون فتعجب الحاضرون من حيلة الرجل وفطانة سوّار لمراده.

● **الممتنعُ من إقامة شهادةِ زور**

استشهد **محمد بن الفرات** أيام وزارته **علي ابن عيسى** بغير حق، فلم يشهد له. فلما عاد إلى بيته كتب إليه: لا تلمني على نكوصي عن نصرتك بشهادة زور فإنه لا اتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين[2] واختلاف، وأحرى بمن تعدّى الحقَّ في مسرتك إذا رضي أن يتعدى الباطل في مساءتك.

وكان المتنبي أشار إلى هذا المعنى بقوله:

لَقَدْ أَبَحْتُكَ غِشّاً في مُعامَلَتي ... مُذْ كُنْتُ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

● **شهودُ زُور**

قال سهل بن هارون: كان بالبصرة شيوخ يشهدون بالزور وشرطُ بعضهم درهم وآخرون يشهدون وشرطُهُمْ أربعةٌ. وآخرون شرطُهُمْ عشرون درهماً. فسألتُ عن ذلك، **فقال**: أصحابُ الدرهم يشهدون ولا يحلفون، وأصحاب الأربعة يشهدون ويحلفون، وأما أصحاب العشرين فيشهدون ويحلفون ويبهتون.

وكان شيخ في المعدلين يشهد بطفيف[3] يهدى إليه فجاءه رجل بدرهمين وسأله شهادة **فقال**: ما ضربت المشط بأقل من خمسة ولكني أسامحك. قال الشاعر:

ما لِلْعُدولِ أراني اللهُ جَمْعَهُمُ ... في مِرْجَلٍ مُطْبَقٍ في جَوْفِ تَنُّورِ

قَومٌ إذا غَضِبُوا كانَتْ سُيوفُهُمُ ... قَطْعَ الشَّهادَةِ بَيْنَ القَوْمِ بالزُّورِ

قال عبد الصمد المعذل[4]:

وكيفَ تُخْشى شَهاداتٌ يقومُ بها ... ثَلاثَةٌ شاهِدا زُورٍ ومَجْنونُ[5]

---

(1) لبلهه: البله ضعف العقل يقال أبله وبلهاء.

(2) مين: كذب، جمع ميون.

(3) طفيف: قليل، صغير.

(4) المعذل: المتيم والمسوَّى.

(5) يتساءل الشاعر كيف يمكن الخوف من شهادات ثلاثة منهم مزوّران ومجنون.

وقال بعضهم: الناس كلّهم عدول إلا العدول.

● وصفُ قلانِسِهم

قال المصيمي:

كـأنّ دنـيـة عـلـيـهـا ... عـراتُ سـوحٍ بـلا جـنـاحِ

وقال آخر:

ترى قلانِسَهُمْ كالرمحِ طَعْنَتُها ... تخفى جراحتها في جَنْبِ مَغْرُورِ

● الشهادةُ على الزنا

حق الشهود على الزنا أن يكونوا أربعةً ذكوراً يصرّحون ولا يكنون لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[1] (الآية)، وحضر أبو بكرة وزياد مع غيرهما فشهد ثلاثة على المغيرة بن شعبة[2] بالزنا عند عمر رضي الله عنه. فلمّا أقبل زياد قال عمر: إني أرى لك وجهاً وصيتاً وأرجو أن لا يفضح الله بك رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: إني رأيت أمخاذا مجتمعة ونخيراً يعلو ويسفل ولا أعلم ما وراء ذلك فضرب عمر أبا بكرة وصاحبيه الحدّ.

● التعريضُ بالشهادة بذلك

استشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة فقال: رأيته قد تقمّمها[3] يحفزها بمؤخرها ويجذبها بمقدمها ويحفى على المسلك. وقال آخر: رأيته قد تبطّنها ورأيت خلخالها سافلاً وسمعت نفساً عالياً ولا علم لي بشيء بعد ذلك. وشهد رجل على آخر فقال الحاكم: إنك قد رأيته وهو يدخل ويخرج فقال: لو كُنْتُ جلدة استيها ما أمكنني أن أشهد به كذلك.

● تثبتُ الحاكِم في الإقرار بما فيه حدّ

أتى ماعز بن مالك رسول الله ﷺ فقال: إني زنيت، فقال: لعلك مسست أو لمست أو غمزت، فقال: لا بل زنيت. فأعادها عليه ثلاث مرات فلما كان في الرابعة رجمه.

وأتى أبو الدرداء[4] رضي الله عنه بامرأة قد سرقت، فقال: أسرقت قولي: لا. وأتى زياد بلصّ وعنده الأحنف فانتهرهُ فقالوا: صدق الأمير. فقال الأحنف: الصدق أحياناً معجزة. فقال زياد: جزاك اللهُ خيراً.

---

(١) القرآن الكريم: النور/ ٤.

(٢) المغيرة بن شعبة: صحابي ثقفيّ من دهاة العرب ولاّه عمر البصرة والكوفة، وولاّه معاوية الكوفة وفيها مات سنة ٥٠هـ (٦٧٠م).

(٣) تقمّمها: علاها، تقمّم ما على المائدة: أكله ولم يترك منه شيئاً.

(٤) أبو الدرداء: صحابيّ خزرجيّ أنصاريّ.

● المُقِرُّ عندَ الحاكمِ بجهله

قال محمد بن رباح القاضي: تقدم إليّ قثم مع ابن أخيه، فادعى عليه خمسة آلاف دينار. فقال قثم: نعم له علي ذلك لكن من أي طريق؟ فقلت: قد أقررت له بالمال فإن شاء فسّر الوجه، وإن شاء لم يفسر. فقال ابن أخيه: أشهد أنه بريء منه إن لم أثبته. فقلت: وأما أنت فقد أبرأته إن لم يثبت ذلك فما رأيت أضعف منهما في الحكم.

وجرى في كلام رجل عند حاكم ما فيه إقرارٌ، فقضى عليه، فقال أتقضي عليّ بغير شاهد؟ فقال: قد شهد عليك من تقبل شهادته عليك، من أبوه أخو عمك.

وقدم رجل غريماً له إلى قاضٍ فقال: لي على هذا ألف درهم، فقال المدعى عليه: صدق ولكن سله أن ينظرني أياماً فلي عقدة ومال غائب إلى أن أبيع العقار وأسترد المال الغائب فادفعه إليه، فقال المدّعي: كذب ما به قليل ولا كثير وإنما يريد أن يفلت مني. فقال الخصم: اشهد أيها القاضي قد أقرّ بعسرتي[1]، فقال القاضي: صدقت وخلّى سبيله[2].

● ذمّ موالاةِ باب القُضاة

قيل: إذا رأيت الرجل على باب القاضي من غير حاجة فاتهمه، وكتب بعضهم إلى عامل له: ابعث إليّ بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب عليهم سيوفاً ابتعتُها فإن لم تجدهم في حبسك فتمم من أصحاب القاضي فإنهم يستحقون القتل.

واستعان رجل بالمأمون أيام الرشيد في أن يقبل شهادته موقّع في قصته من رام الشهادة بمعونة السلاطين فيقيمها على قصبة شياطين. وقال يحيى بن أكثم[3] للمأمون: يا أمير المؤمنين إن فلاناً يلتمس أن أقبل شهادته، فقال: يا يحيى قد أسقط على لسانه عدالتَهُ.

(٤)

ومما جاء في الحِجاب والحُجّاب والغِلْمان

●

● الحثُّ على تسهيل الإذن

قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لآذنه: مَنْ بالباب؟ قال: رجل أناخ الآن، زعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ فأذن له، فلما دخل قال: حدّثني فقال: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم

---

(١) العسرة: الضيق والشدّة. (٢) خلّى سبيله: أطلقه، تركه.

(٣) يحيى بن أكثم (ت ٢٤٢ هـ/٨٥٧م) فقيه من الكبار وُلد في مرو بخراسان. قاضي قضاة بغداد في أيام المأمون.

حجب عليه، حجب الله عنه يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه لحاجبه: الزم بيتك فما رئي بعدها على بابه حاجب.

وقال: لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي، ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب. لأن الرعية إذا وثقوا بسهولة الحجاب أحجموا عن الظلم، وإذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم.

وقيل: يحجب الوالي لسوء فيه أو لبخل منه ثم أنشد:

والستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

● وصايا الحجّاب

قال زياد لحاجبه: أني وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربع، هذا المنادي إذا دعاني إلى الصلاة فلا سبيل لك عليه، وعن طارق ليل فشرّ ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته في ذلك الوقت، وعن هذا الطبّاخ إذا فرغ من طعامه فإن الطعام إذا أعيد عليه الطعام فسد، وعن رسول صاحب الثغر[1] فإنه إن أبطأ ساعة ربّما يُفسدُ أمر سنة.

ولما استحلف المنصور ولي الخصيب على حجابته فقال له: إنك بولايتي عظيمُ القدر وبحجابتي عريضُ الجاه، فقها على نفسك إبسطْ وجهك للمستأذنين وصُنْ عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء أوقع في قلوبهم من سهولة الحجاب والأذن وطلاقة الوجه.

وقال الرشيد لحاجبه: احجبْ عنّي من إذا قعدَ أطال وإذا سأل أحالَ ولا تستخفّنّ بذي الحرمة وقدّمْ أبناء الدعوة.

● الحث على تشديد الأذن

قال أزدشير لابنه: لا تمكن الناس من نفسك، فاجرأ الناس على السباع أكثرُهُم معاينة لها. وقيل: لا بد للسلطان من وَزَعَة[2]، وقيل لبعض السلاطين: لِمَ لا تُغْلِق الباب وتقعد عليه الحجب فقال: إنما ينبغي أن أحفظ أنا رعيتي لا أن يحفظوني.

● الحث على إصلاح الحاجب والبوّاب ووصف ما يجب أن يكونوا عليه من الأحوال

قال يزيد بن المهلب لابنه: استظرفْ كاتبك واستعقل الحاجب. وقال عبد الملك لأخيه: تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك فالغائب يُخبرهُ عنك كاتبُك والوافدُ عليك يعرِفُك بحاجبك، والخارج من عندك يعرفك بجليسك.

---

(١) الثغر: المدينة أو البلدة في أطراف الدولة والتي يخشى دخول العدو منها.

(٢) وزعة: جمع وازع، أعوان الملك وشرطه.

وقال يحيى بن المعلى:

كـن عـلـى مـنـهـاج مـعـرفـةٍ　　إن وجـه الـمـرء حـاجـبـهُ[1]
فـبـه تـبـدو مـحـاسـنـهُ　　وبـه تـبـدو مـعـايـبـهُ

وقال آخر

ولُـبّ الـمـرء يُـعْـرَفُ بـالـغُـلامِ[2]

- **الممدوح بسهولة الحجاب**

سهلُ الحجاب مؤدبُ الخدّام، وقال آخر:

يلوذ به راجٍ[3] وخاشٍ[4] وكلُّهُم　　له مدخلٌ سهلٌ عليه ومخرَجُ

وقال آخر:

فـبـابُـك ألـيـنُ أبـوابـهـمْ　　ودارُكَ مـأهـولـةٌ عـامـرة
وكـلـبُـكَ آنَـسُ لـلـمـعـتـفـيـن　　مِـنَ الأم بـابـنـتـهـا الـزاهـرة[5]

- **من طلب تسهيل الأذن من الزوّار وعاتب**

قدم أديب على أمير فكتب رقعة ودفعها إلى حاجبه ليوصلها، وفيها

إذا شئت سلّمنا فكُنّا كريشةٍ　　متى تُلْقِها الأرياحُ في الجوّ تَذْهَبِ

فقال للحاجب: قل له قد خففت جداً فكتب أخرى وفيها

وإنْ شئت سلّمنا وكنّا كصخرةٍ　　متى تُلْقها في حومة الماء ترسُبِ

فقال للحاجب: قل له قد ثقلت جداً فكتب أخرى وفيها.

وإن شئت سلّمنا فكنّا كراكب　　متى يَقْضِ حقاً من لقائك يَذْهَبُ

قال: أما هذا فنعم وأذنَ له، قال أبو تمام.

مالي أرى القبة الفيحاء مُقْفَلَةً　　عنّي وقد طالما استفتحتُ مقفلَهَا
كأنها جنّةُ الفردوسِ معرِضَةً　　وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلُهَا

قال جعفر المصري:

فتفضّلْ علي بالإذن إن جئتُ فإني
مُـخـفّـفٌ فـي الـلـقـاءْ

---

(1) يبين أهمية الحاجب ومدى دلالته على رافع ذي «سلطان و شأن»، فهو بالقياس إليه كالمرآة التي تعكس وجه الواقف أمامها

(2) اللبّ: الجوهر والعقل

(3) و (4) راج وخاش: اسما فاعل من رجا وخشي

(5) المعتفون: ذوو الحاجة، المعوزون

ليس لي حاجةٌ سوى الحمدِ والشكر
فدعني أقرئكَ حسنَ الثناء

● من ترك الزيارة لصعوبة الحجاب

أتى أبو الدرداء[1] رضي الله عنه باب معاوية فاستأذن عليه فلم يؤذنْ له فقال: من يغش[2] سدة السلطان يقم ويقعد ومن وجد باباً غلقاً وجد إلى أخيه باباً فتحاً. فعاد عنه ولم يدخل بعد ذلك إلى سلطان. قال محمد بن عمران:

سأترك هذا الباب ما دام إذنُهُ ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
إذا لم نجد يوماً إلى الإذن سلَّماً ... وجدنا إلى تركِ المجيءِ سبيلا

قال أبو سليمان الضرير: من أراد السلام ليس سواه فلماذا يذلّ عند الحجاب؟

سأقعد في بيتي فإني أميرُه ... وآخذ أمري مكرهاً بالشدَّه
فأبوابك اسدُدْها عليّ بأسرها ... فمثلي لا يرضى بهذا التعبُّه[3]

وحجب بعض الهاشميين فرجع مغضباً مرة فلم يرجع، وقال: ليس بعد الحجاب إلا العذاب، لأن الله تعالى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾[4]

● هجاء من حجب تعريضاً:

ولم حلتُ مشتاقاً على بعد شقّة ... إلى غير مُشْتاقٍ ولم رَدَّني بِشْرُ
وما بالُهُ يأبى دخولي وقد رأى ... خروجي من أبوابه ويدي صفْرُ[5]

قال الخوارزمي[6]:

أبا عمرو رُوَيْدَكَ من حجابٍ ... فلستَ بذلك الرجلِ الجليلِ
ولا تبخلْ بهذا الوجهِ عنّا ... فليس بذلك الوجهِ الجميلِ

---

(1) أبو الدرداء: عويمر بن مالك (ت ٣٢ هـ/ ٦٥٢م) صحابي خزرجي أنصاري من رواة الحديث تولّى القضاء في دمشق.
(2) يغش: يأتِ، غشي الأمر فلاناً: غطاه، وغشي فلاناً بالسوط ضربه.
(3) يندد الشاعر بأحكام الحجاب وسدّ الأبواب دون الناس.
(4) القرآن الكريم: المطففين/ ١٥، ١٦.
(5) يدي صفر: خالية. يقال صفر اليدين أي فرغ ليديه ـ صفر الإناء: خلا.
(6) الخوارزمي: هو أبو بكر الخوارزمي شاعر عالم من أئمة الكتاب. ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. وُلد في خوارزم سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م). استقر في نيسابور ومات فيها سنة ٣٨٣هـ (٩٩٣م) له «الرسائل» و «ديوان الشعراء».

● **من حُجِب فشتم وهجا بالبُخل**

قال مالك بن طوق[1]: دخل عليَّ يوماً مجنون ونحن نأكل، فأكل معنا ثم جاء يوماً آخر فحجب فرآني يوماً مع أماثل البصرة فقال:

عليك إذنا فإنا قد تعدَّينا ... لَسْنَا نعود وإن عُدْنَا تَغدَّيْنا

يا أكلة سلفت أبقت حرارتُها ... داءً بقلبك ما صمنا وصلَّينا[2]

فما أتى عليَّ يوم أشد منه حزناً. وقال آخر:

كلما جئناك قالوا ... نائم غير مفيقِ

لا أنام الله عينيك وإن كنت صديقي

وقال بعض البغداديين

حجابك الصمتُ سهل ... إذا دهتك مصيبته

فلا عدمتَ رزيناً ... مُطيعةً مُستجيبة

● **من يتّخذُ حاجباً مع سوءِ حاله**

قال بعض الشعراء:

يا أميراً على جَريبٍ من الأر ... ض له تِسعةٌ مِنَ الحُجّابِ[3]

قاعدٌ في الخراب يحجبُ عنه ... ما رأينا بحاجبٍ في خرابِ

● **تخويفُ من يشدّد الحجاب**

مرّ زاهد ببعض القصور، ورأى حجّاباً على بابه فسأل عنه، فقيل هو لسالم بن فلان، رجل كثير المال عريض الجاه وقد مرض فاحتجب عن الناس، فقال:

وما سالم من وافد الموت سالماً ... وإن كثُرتْ حُجّابُهُ وَكَتَائِبُهْ

ومن كانَ ذا بابٍ منيعٍ وحاجبٍ ... فعمّا قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبُهْ[4]

هجاء بوّاب.

سأهجرُ باباً أنتَ تملكُ أمرهُ ... ولو كُنْتُ أعمى عن جميعِ المسالكِ

فلو كنْتَ بوّابَ الجِنان تركْتُها ... وَيَمّمْتُ عنها مسرِعاً نحو مالكِ

---

(١) مالك بن طوق: التغلبي (ت ٨٧٣م) من ولاة العباسيين بنى مدينة الرحبة على الفرات في عهد المأمون.

(٢) سلفت: مضت.

(٣) الجريب من الأرض: مبذر جريب والمبذر مزرع، والجريب أيضاً مكيلة أو مكيال قدره أربعة أقفزة، وعن ابن دريد أن الجريب لفظة ليست عربية.

(٤) يقول: يهجر الباب وإن كثُر حجّابه.

قال ابن الحجّاج[1]:

فـفـي اسـتِ مـن تـحـجـبُـه والـذي تـوصِـلُـه أيـضـاً وتُـغـنـى بـه

● المظهرُ رضاه بصُعوبة الأذن

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنهما فحجبه فقيل له: يحجبك أميرُ المؤمنين فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجبني. وقال أبو العيناء للقسم بن عبيد الله: لا أعدمني الله من حجابك والوقوف ببابك. قال أبو تمام:

ليس الحجابُ بمُقْصٍ عنكَ لي أملا إن السماءَ تُرجّى حين تُحتجَبُ

وقال آخر:

إنيّ لأغتفرُ الحجابَ لماجِدٍ أمسَتْ له مِنَنٌ عليّ رِحابُ

فالحرُّ مُبتذلُ النوالِ وإن غدا من دونه سِتْرٌ وأُغلِقَ بابُ

● ذكرُ من لا يحجب

قال شاعر:

من النَّفرِ البيضِ الذين إذا انتموا وهابَ رجالٌ حلقةَ البابِ قَعْقَعُوا

وقال آخرَ في ضده:

قومٌ إذا حضر الملوكَ وفودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ على الأبوابِ

● من اعتذرَ من السلاطين عن الحجاب

أتى رجل مسترفد باب معن فحجبه فكتب إليه:

إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فضلُ الجواد على البخيلِ

فوقّع تحته

إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ ولم يُعذَرْ تَسَتَّر بالحجابِ

كتب إلى مطيع[2] بن أياس حمّاد الراوية[3]:

هل لذي حاجةٍ إليك سبيلُ لا يُطيلُ الجلوسَ في من يطيلُ

---

(1) ابن الحجاج: أبو عبد الله الحسين شاعر بغدادي. شهر بالهزل والخلاعة والسخف في شعره مع عذوبة ألفاظه وسلامته من التكلف مات سنة ٣٩٢هـ (١٠٠١م).

(2) مطيع بن إياس: شاعر بغدادي من المحدثين. سار شعره بالظرف والرقة والمجون. مات سنة ١٦٠هـ (٧٧٣م).

(3) حمّاد الراوية: ولد في الكوفة وتوفي ببغداد سنة ١٥٦هـ (٧٧٢م). له الفضل في جمع المعلّقات.

فلما قرأ البيت كتب إليه:

أنتَ يا صاحبَ الكتابِ ثقيلٌ ... وكثيرٌ من الثقيلِ القليلُ

وقيل: الركوب إلى باب السلطان بعد الظهر ثقل وسوء أدب، وكتب بعض السلاطين إلى صاحب له يزوره بالعشيات:

أعيذُكَ من زَوْرةٍ بالعشيِّ ... تحطُّ وتُذهِبُ قدرَ النبيلِ[1]

فإمّا رَجعتَ ببذلِ الحجابِ ... وإما حللتَ محلَّ الثقيلِ

● النهيُ عن دُخول الدور بغير إذن

قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[3] وقال ﷺ: من أطلع في بيت بغير أذن ففقئت عينه فهو هدر.

وروي أن من اطلع في بيت فقد دمر، أي حكمه حكم الداخل وقال ﷺ: إنما جعل الاستئذان لأجل النظر وقال عمر رضي الله عنه: من ملأ عينيه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق.

وقال ﷺ: إذا استأذن أحدكم فلم يُؤذَنْ له فلينصرف.

● الحثُّ على تأديب الغِلْمان

قيل: لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يُضرَب. وأمر محمد بن الجهم أن يضرب غلامه ضربةً وجيعةً فقيل له في ذلك فقال: الواحدة الوجعية تملأ صدره من التضاعيف وإذا كان خفيفاً أحسن ظنه بالكثير قال المتنبي:

اجعلْ عبيدَكَ أوتاداً تشجّجها ... لا يثبتُ البيتُ حتى يُقْرَعَ الوَتَدُ

قال الحكم بن عبد الله:

العبدُ لا يطلبُ العلاءَ ولا ... يعطيكَ شيئاً إلا إذا رهبا

مثلُ الحمارِ الموقعِ الظهرِ لا ... يحسنُ مشياً إلا إذا ضُرِبا

● الحثُّ على الإحسان إلى الخدم

رُوِيَ في الحديث: اتقوا الله في خولكم[4] فإنهم أشقاؤكم لم يُنْحَتُوا من جبل ولم

---

(١) يعتبر زيارة العشيات غير مستحبة ناصحاً بالإقلاع عنها دفعاً لمذلة لأنها محكومة بمعارضة الحاجب، أو بالحلول الثقيل.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٢٧. (٣) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٥٣.

(٤) الخول: جمع خوليّ، العبيد والإماء.

يُنفِروا من حشب، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، واستعينوا بهم في أعمالكم فإن عجزوا فأعينوهم فإن كرهتموهم فبيعوهم، ولا تعذبوا خلق الله، وآخرُ وصية أوصى بها النبي ﷺ الصلاة وما ملكت أيمانكم. وقال أبو بكر رضي الله عنه: لا يدخلُ الجنةَ سيّئُ الخلق.

● الحثُّ على مداراتِهِمْ والتغافُلُ عَنْهُمْ

سمع الموبذ في مجلس أنوشروان ضحك الغلمان، فقال: أما تهابُ هؤلاء الخدَم؟ فقال أنوشروان: إنما يهابنا أعداؤنا، وقال بزرجمهر: إنما نداري خدمًا وتحن ملوك على رعيتنا وَجدْنا ملوكٌ على أرواحنا، ولا حيلة لنا في التحرّز عنهم. وقيل: مما يدل على كرم الرجل سوء أدب غلمانه. وقيل: مِنْ حُسن خلقه سوءُ أدب غلمانِه.

● ذمّ مؤتمِر لغُلامه

قال البحتري[1]

إن الشريف إذا أمورُ عبيده جازَتْ عليه فأمرُهُ مُرتابُ[2]

قال آخر:

ولستُ أحبُّ الأدبَ الظريفَ يكونُ غُلامَ لغلمانه

● من يُحْمَد استخدامُه

قيل: أجودُ المماليك الصغارُ لأنهم أحسن طاعةً وأقلُّ خبثاً منهم وأسرعُ قبولاً. وقيل: استخدم الصغير حتى يكبر والعجمي حتى يفصح. وقال قتيبة: لا تشتر غلاماً مولداً هو حرٌّ حتى تقوم بيّنةٌ أنه حرّ.

● ذِكرُ الصُّلَحَاءِ والأكياس من الخدم

قال كسرى: العبد الصالح خيرٌ من الولد لأن العبد لا يرى استقامة أمرِهِ إلا بحياة سيّده، والابنُ لا يرى ذلك إلا بموت أبيه، وقال رجل لمملوك: اشتريتك فأعتقتك. قال: لا. قال: فلِمَ؟ قال: كيف تتحدثني عبداً بعد أن اتخذتني مشترياً. ومن خيار العبيد لقمان وبلال الحبشي.

ووصف البوشنجي غلاماً فقال: يعرف المراد باللحظ ويفهمه باللفظ، ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر، يرى النصح فرضاً يجب أداؤه، والإحسانَ حتماً يلزم قضاؤه،

---

(1) البحتري: هو أبو عبادة شاعر عربي طائي وُلد في منبج سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م). اختص بالمتوكّل ووزيره الفتح بن خاقان. اشتهر بوصف الطبيعة وبحسن الديباجة. من آثاره عدا ديوانه «كتاب الحماسة». توفي البحتري سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م).

(2) على الشريف ألاّ يخضع لعبيده.

إن استفرغ في الخدمة جُهْدَهُ حُيِّلَ إليه أنه بدء عمره. أثبت من الجدار إذا استمهل وأسرع من البرق إذا استعجل.

قال الرشيد لإسحاق الهاشمي: أخبرت أن لك غلاماً فصيحاً، فقال: ها هو بالباب. ثم دعاهُ فقال. إن مولاك قد وهبك لنا. قال. منه زلت وما تحولت. فقلنا: ما معنى قولك فقال. ما زلت لك مذ كنت غلامه وما تحولت عنه إذ صرت لك، فأمر له بصلة وأحسن إليه.

● من أُعْتِق من صُلَحاء العبيد

حُكِيَ أنَّ ابن عمر رضي الله عنه مرّ براعي غنم مملوك فقال: أتبيعني شاة من غنمك؟ قال: ليست هي لي، فقال: أين العلق وأراد أن يمتحنه فقال. فأين الله؟ فاشتراه وأعتقه. فقال الغلام: اللهم إنك رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر، وأعتق عمرو بن عتبة غلاماً له كبيراً فقام إليه عبد صغير فقال: اذكرني يا مولاي ذكرك الله بخير فقال إنك لم تحرف، فقال: إن النخلة قد تجني زهواً قبل أن تصير معواً[1] قال: قاتلك الله لقد استحققت وحسنت وقد وهبتك لواهبك، كنت أمس بي واليوم مني، شُبيَّ فيلسوف وأراد رجل شراءه فقال له لماذا يصلح؟ قال: للحرية

● ذمُّ العبيد

قيل: ليس عبد بأخ لك. قال ابن سعد

العَبْدُ لو كانت ذؤابةُ رأسِهِ ذهباً لَكانَ رصاصةً رِجْلاهُ

قال المتنبي[2]:

أنُوكُ من عبدٍ ومن عِرْسِهِ من حَكَّمَ العبدَ على نفسِهِ[3]

فلا تَرْجُ الخيرَ عند امرئ مَرَّتْ يدُ النخّاسِ في رأسِهِ[4]

● أراذِلُ الخدَم

كان لبعضهم مملوك يتشطر وكان إذا قال له صاحبه هات الدواة، قال. مرحباً بجعفر البرمكي. وإذا قال: ناولني ثوبي. قال: قيصر يلبس وإذا قال: اغسل ثيابي. قال يونس النبي كان خيراً منك لبس القرع، وآدم عليه السلام لبس ورق التين، وأنت لا تلبس ثوباً وسخاً. وإذا قال: اذهب إلى السوق. قال. خذلني[5] الله إن ذهبت حتى آكل كباباً

---

(١) معواً: المعو الرطب إذا أصابه بعض اليبس ومعا معواً معه: صوّت.

(٢) المتنبي: أبو الطيب (٩١٥ ـ ٩٦٥) من كبار شعراء العرب وُلد في محلّة كندة بالكوفة وقُتل في طريقه من فارس إلى بغداد. امتدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة البويهي. كان متكبراً شجاعاً طموحاً. أفضل شعره في المدح والحكمة ووصف المعارك.

(٣) أنوك: أحمق ـ العرس: الزوجة ـ يقول: الأحمق هو الذي يجعل العبد متحكماً به.

(٤) النخّاس: تاجر العبيد. (٥) خذلني: ترك نصرتي.

وأتناول شراباً، فجاء صاحبه يوماً وهو بين شطار، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قال: فتيان الخلد يحونني قبل رؤوسهم. فقال: أنت حر لوجه الله إن شئت. فقال: يا أحمق لو شئت لهربت منذ زمان. فحمله إلى النخاس فقال له النخاس: ما اسمك؟ قال: كنيتي أبو علي. قال: ما تحسن؟ قال: أعلم الجراحات السقيمات وتسليمات وأعلّم البنين الإجارة والبنات التقحب[1]. أنا أخبث من قرد وأنوم من فهد وأروغ من ثعلب وأنقب من جرذ وأسرق من سنّور وألصّ من عقعق[2]. فقال النخاس: بكم أبو علي الكثير المحاسن؟ فقال: بما شئت فقال النخاس: بعشرين درهماً، فقال صاحبه: بِعه يقع عليّ بجملة، فقال العبد: انظر إلى أخي القحبة كانني خير من يوسف بن يعقوب وقد باعه إخوته بثمانية عشر درهماً ومع أخي القحبة فضل درهمين، فباعه منه، فالتفت أبو علي إلى النخاس وقال: أم من لا يندمك ألف قحبة.

وقال الجاحظ: اشتريت عبداً بمائة درهم فاسترخصته فتعشيت سمكاً وبمت فاستدعيت منه ماء، فقال: أتمكث، تأكل السمك وتشرب عليه الماء ليتولدُ منه كذا وكذا، وامتنع فلما اشتد عطشي قمت وشربت فقال: يا مولاي احملْ معك حتى أشرب أنا أيضاً.

وقال رجل لعبد: أشتريك، فقال لا. لأني آكل حارها وأمشي كارهاً. وقيل لآخر: فقال: أما إذا جعت أنعصت قوماً وإذا شبعت أحببت نوماً. وقال رجل لغلامه: إذهب إلى المنزل واحمل الشمع لأعود به إلى البيت، فقال: إنا لا أجيء ثقل معي حتى أحمله فانصرف معك وذكر دعفل السامه المماليك، فقال: عبيد عن مستعد وعيط في الأكباد، قال اليعقوبي

لـــي حـــمـــارٌ وغـــلامٌ وهـــمـــا يـــقـــتـــلـــان
فـــحـــمـــاري يـــعـــشـــقُ الأتـــن وذا رخـــوُ الـــمـــخـــان
لـــو بـــهـــذا عـــفّ هـــذا لاســـتـــراح الـــمـــثـــقـــلان

● الغلامُ المتعاطى منه

قال رجل لغلام صديق له وقد شاخ ما حالك؟ قال: مولاي يبكيني مذ كذا وكذا سنة بالحجة، وذلك أنه يفعل في كل يوم، فإذا قلت يا مولاي قد شخت يقول يا بغيض من أمس إلى اليوم.

وقال رجل لغلام له قد التحى: أخرجْ من داري، فقال: رد إلي ما أخذت مني خدّاً أملس وفقحة[3] ضيقة.

وحلف رجل على غلام لأضربنّك، فاستعفاه الغلام، فقال: أتراني أعصي الله فيك، فقال: طالما عصيت الله في تعاطيك معي فحجر الرجل من أصحابه

---

(١) التقحب: الفجور، جمع قحبة. (٢) العقعق: الغراب
(٣) الفقحة: حلقة الدبر

● المسيء إلى خدمه

قال رجلٌ لأعرابي ما تصنعون في عبيدكم حتى يقال في الدعاء عليهم باعك الله في الأعراب؟ قال نجيع كبده ونعري جسده ونطيل كدّه ونكثر جلده. اشترى أعرابي عبداً فقيل: أنه يبول في الفراش فقال: إن وجد في دارنا فراشاً فلْيَبُلْ فيه.

وكان لرجل عبد يأكل الحُوَّاري[1] ويطعمه الخشكار، فباعه فاشتراه آخر يأكل الخشكار ويطعمه الشعير، فباعه فاشتراه آخر يأكل الشعير ويطعمه النخالة فاستباعه[2]، فاشتراه آخر كان يجيعه وإذا قعد بالليل وضع السراج على رأسه فلم يستبعْهُ، فقيل له في ذلك فقال: أخشى إن باعني أن يضع المشتري الفتيلة في حدقتي[3]

● مَنْ ذكر أنْ لا غلامَ له

قال ابن الحجّاج

إذا قـدمـوا خـيـلـهـم لـلـركـوب خـرجـت فـقـدمـت لـي ركـبـتـي
وفي جـمـلـة الـنـاس غـلـمـانُـهُـمْ ولـيـس سـواي فـي جـمـلـتـي
ولا لـــي غـــلامٌ فـــأدعـــو بـــه ســوى مَـنْ أتـوه أخـو عـمّـتـي

والعرب تقول العبد من لا عبد له.

● ذمّ الخصيان

قالت أعرابية لخصي: اسكتْ فمالك حزمُ الرجال ولا رقّةُ النساء. قال المتنبي

لقد كنت أحسب قبل الخصي بـأن الـرؤوسَ مـقـرُّ الـنُّـهَـى
فـلـمـا نـظـرت إلـى عـقـلـه رأيت النهى كلّها في الخُصَى

قال أبو تمامة:

لا تـطـلـبـنَّ إلـى خـصـيٍّ حـاجـةً يـومـاً فـمـالـك عـنـده مـن خيـرِ[4]
واكـشـفْ لـه عـن رأس أيـرك إنـه لا شـيءَ آثـرُ عـنـدَه مـن أيـرِ[5]

قال الجاحظ: كلُّ حيوان ذي ريح منتنة فإنه متى خصي زال نتنه وصُنانه[6] كالتيس والهر، غير الإنسان فإنه يزداد نتناً وصُنَاناً وكل شيء إذا خُصِي دقّ عظمه واسترخى لحمه إلا الإنسان فإنه تطول عظامه وتلتوي.

---

(1) الحواري: الدقيق الأبيض (2) استباعه: عرضه للبيع
(3) في حدقتي: في عيني.
(4) يقول: لا خير في المخصيّ، وينهى عن سؤاله أمراً أو أن يطلب منه حاجة
(5) آثر عنده: أفضل عنده. (6) صنانة: نتنة

● النهيُ عن إظهار العورة[1] لهم

أجمع الفقهاء أنّ حكم الخصيان حكمُ الفحول فلا يجوز أن تكشف لهم النساء.

ودخل معاوية رضي الله عنه على امرأته بنت بحدل ومعه خصيٌّ، فاستترت منه، فقال معاوية: إنه خصيٌّ فقالت: إن مثّلتَ به لا تحلّ مني ما حرمه الله.

وكان إسحاق بن مسلم العقيلي عند المنصور فمرّ به خادم وضيء الوجه فقال: أي ابنيك هذا؟ قال: هذا خادم في دار النساء. قال: أتشك أنّ شمّ هذا وضمّه أحبُّ إلى المرأة من شمّك وضمّك؟ فأتاه من ذلك أمر عظيم ومنعه بعدها من دخول الحرم.

● حمدُ اتخاذِ الخصيان

قيل لأبي العيناء: لِمَ اتخذت خصياً أسود؟ فقال: أمّا الأسود فلئلا أُتّهمَ به، وأما الخصيّ فلئلا يُتّهم بي. قال أحمد بن يوسف في وصفهم:

مبرّؤن من الشعر اللبيد ومن ... خشن الأيور وإخراج المناتين[2]
وكالنساء إذا ما رُمْتَ خلوتَهُمْ ... وكالليوثِ لدى الهيْجاءِ تحميني

(١) العورة: العيب، النقيصة، السعة. عور يعور عوراً واعورّ: ذهب حسّ إحدى عينيه.

(٢) لبيد: شعر متلبّد، لبد بالمكان: أقام فيه، لبد القوم بالرجل: لزموه وأطافوا به. ولبد الثوب رقّعه ولبد الصوف نفشه وبلّه بالماء وصيّره يتلبّد.

في الإنصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والكبر وما يتعلق بذلك

(١)

فمما جاء في الإنصاف والظلم

•

• عزُّ الحق وذلُّ الباطل

قال الله تعالى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ وقال تعالى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ قال ابن المعتز إن للحق أن يتصح وللباطل أن يفتضح

وقيل: الحق حقيق أن ينهج سبيله ويتضح دليله. وقال المنتصر يوماً: والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيه ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه، وقيل: للباطل جولة ثم يضمحل وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل. وقيل: الحق أبلج والباطل لجلج. وقيل: الحق من تعداه ظلم ومن قصر عنه ظلم.

• مدحُ العدل

قال أنوشروان: العدل سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار ولا يهدمه منجنيق[1]. وقيل: عدل قائم خيرٌ من عطاء دائم. وقيل: لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان. وقيل لحكيم: ما قيمة العدل؟ قال: ملك الأبد. وقيل: قيمة الجور زوال الحياة. وقيل: العدل يسع الخلق والجور يقصر عن واحد.

• ذَمُّ الظُّلم والنهيُ عنه

قال الله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2] وقال ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3] وقال الله تعالى ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4] وقال الله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[5] وقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] وفي الخبر

---

(١) منجنيق: آلة حربية ترمي بها القذائف.

(٢) القرآن الكريم، البقرة/ ٢٧٠.

(٣) القرآن الكريم، الشورى/ ٨.

(٤) القرآن الكريم، غافر/ ١٨.

(٥) القرآن الكريم، هود/ ١١٤.

(٦) القرآن الكريم، الأنعام/ ٤٥.

بئس الزاد إلى المعاد ظلم العباد. وقيل: الظلم مرتعه[1] وخيم وقال النبي ﷺ: الظلم ظلمات يوم القيامة. ويقال: ليس شيء أقرب من تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم، وقيل: في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

وقيل: على الظالم أن يكون وجلاً[3] وعلى المظلوم أن يكون جذلاً[4]. كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل له: إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكُرْ قدرةَ الله عليك. ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال: اذكر يا أمير المؤمنين يومَ الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5] فبكى سليمان وأزال ظلامته. وكان حفص بن عتاب[6] لقيه الرشيد فأقبل عليه يسائله فقال في أثناء ذلك:

نامَتْ عيونُك والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يدعُو عليْك وعَيْنُ الله لم تَنَمِ[7]

وقال عبد الله بن أبي لبابة: من طلب عزّ بباطل أورثه الله ذلاً بإنصافٍ وحقٍّ.

● التحذير من دعوة المظلوم

قال النبي ﷺ: اتقوا دعوة المظلوم فإنها مجابة. وقال بعضهم: دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الأخرى دعوة مظلوم أعنتُه وضعيفٍ ظلمتُه. وقيل: احذروا دعوة المظلوم فإنها ليثُ الحجاب. وقال ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من أن أظلِم أو أُظلَم.

● سرعةُ معاقبةِ الظالم

قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[8] وروي عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أنه قال: ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه. فرفع الناس رؤسهم تعجباً فقرأ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[9]

سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأحبار يقول: من ظلم خرب بيته. فقال: تصديقه في القرآن فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، وقيل: الظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة. وقال صالح المري: دخلت إلى دار المادراي فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله تعالى إستخرجتها حين تذكرت الحال فيه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[10] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[11] وقوله تعالى

---

(1) المرتع: موضع الرتع، المخصب.
(2) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٤٢.
(3) وجلاً: خائفاً.
(4) جذلاً: فرحاً.
(5) القرآن الكريم: الأعراف/ ٤٣.
(6) حفص بن عتاب: أحد البرابرة في المغرب.
(7) يقول: إن عين الله لا تغفل عن الظالمين.
(8) القرآن الكريم: النساء/ ١٢٣.
(9) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧.
(10) القرآن الكريم: القصص/ ٥٨.
(11) القرآن الكريم: القمر/ ١٥.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[1] فخرج إليّ أسود من ناحية الدار فقال: هذه سخطة المخلوقين فكيف سخطة ؟ وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال: إذا أراد الله أن ينتقم لوليه انتقم من عدوه بعدوه وإذا أراد الله أن ينتقم لنفسه انتقم بوليّه من عدوه.

● المصّادي من ظلم الضعاف

قال معاوية[2]: إني لاستحي أن أظلم من لا أجد له ناصراً عليّ إلا الله. وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: إنّ أبغض الناس إليّ أن أظلم من لم يستعن عليّ إلا بالله.

● أفحش الظلم ظلم الضعيف

قال شاعر:

وإني لأعطي النّصفَ من لو ظلمتُه أقرّ وطابت نفسُه لي بالظُّلْمِ

قيل: من عمل بالعدل في من دونه رزق العدل ممن فوقه

● نَهيُ الوالي والقادرِ عن الظلم

قيل: لا ينبغي للإمام أن يكون جائراً ومِنْ عنده يُلْتَمسُ العَدْلُ، ولا للعالم أن يكون سفيهاً ومِنْ عنده يُلْتمسُ العلمُ والحلمُ. وقيل: إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك، قال ابن الرومي[3]:

وإن الظُّلْمَ من كلّ قبيحٍ وأقبحُ ما يكونُ من النبيهِ[4]

وله:

ارهبْ من الأقران قرناً ما له إلا العواقبُ والعقوبةُ ناصرُ
والظُّلْمُ من ذي قُدْرَةٍ مذْمُومُ

● التسكينُ من المظلوم بما له من العُقبى[5]

قيل: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6] أعظم تعزية

---

(١) القرآن الكريم: النمل/ ٥٢

(٢) معاوية: معاوية بن أبي سفيان مؤسس السلالة الأموية. حكم بلاد الشام في عهدي عمر وعثمان. عارض علياً وقاتله في صفين فكان التحكيم. صار خليفة ٤١ هـ (٦٦٠م). فجعل عاصمته دمشق. اشتهر بدهائه وحسن سياسته، وكانت وفاته سنة ٦٠هـ (٦٨٠م)

(٣) ابن الرومي: هو علي بن العباس شاعر بغدادي من أعظم شعراء الدولة العباسية. وُلد في بغداد سنة ٢٢٢هـ (٨٣٦م) من أب رومي وأمّ فارسية. أثر تراثه اليوناني الفارسي في صبغه الشعري وعبقريته. كان ضيق الأخلاق متشائماً. تغنّى بجمال الطبيعة

(٤) أشدّ الظلم ما يكون من إنسان نبيه

(٥) العقبى أو العاقبة: والجمع عواقب أي جزاء الأمر أو آخر كلّ شيء. والعقبى الآخرة

(٦) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٤٢.

للمظلوم وأبلغ تحذير للظالم على مدرجة العقوبة وإن تفسحت مدته. وقيل لعمر رضي الله عنه: كان الرجل في الجاهلية يظلم فيدعو على من ظلمه فيجاب عاجلاً ولا نرى ذلك في الإسلام، فقال: كان هذا حاجزاً بينهم وبين الظلم وإنّ موعدكم الآن الساعة والساعة أدهى وأمرّ. وقيل: إنما تندمل من المظلوم جراحه إذا انكسر من الظالم جناحه.

● الظلمُ في أخذ الأرض

قال النبي ﷺ: من ظلَمَ قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة. قال أحمد بن واضح:

يا قابضَ الضيعةِ من نشوةٍ   ضعفاً وإيتام لسلطانه
يجاوزُ سالبها إلى خالقٍ   إغاثةُ الملهوفِ من شأنه
لا يأخذ الضيعة ذو قدرة   يريد أن تبقى لصبيانه

ومما يقرب من السخف في هذا أن رجلاً كان له قطعة من أرض بجنب أرض لرجل، فكان يضم كل سنة قطعة منها إلى أرضه. فقال له يوماً: ما هذا النقصان في أرضنا؟ فقال: أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[1] قال: فما هذه الزيادة في أرضك؟ قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال: فمن أين أوتيت الفضلَ وأوتيت النقصَ في ذلك؟ فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم.

● التحذيرُ من مُعاونة الظالم

رُوي أن النبي ﷺ قال: من أعان ظالماً سلطه الله عليه. وقال المأمون لبعض ولاته: لا تظلم لي فيسلطني الله عليك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لظالم عهد فإن عاهدته فانقضه فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وسمعت بعض العلماء يقول: ما ظلمت أحداً قطُّ لغيري فإني إذا ظلمت ظلمت نفسي. ويشبه ذلك ما يحكى أن عاملاً عزل عن عمله بغيره، فقال المولى لمن ولي مكانه: أعِرْني دواتكَ لأكتب منها حرفاً فقال: لا، فإني لا أستحل معاونة الظلمة، ولا أحب أن يكتب من دواتي ظالم. فقال: ألم تكُ تكتب منها آنفاً؟ فقال: إني أحرق بالنار نفسي لنفسي ولا أحرقها لغيري.

وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة: قد قمت مقاماً لا يقصر بك عن الجنة في إزالة دولة بني أمية وإقامة شعار بني العباس. فقال: لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة فإني أطفأت من بني أمية جمرة ألهبت بها نيراناً لبني العباس وسأحرق بها.

---

(1) القرآن الكريم: الرعد/ ٤١.
(2) القرآن الكريم: البقرة/ ١٢٤.

• المتفادي من أن يَظلِم أو يُظلَم

كان من دعاء النبي ﷺ إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله أني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عليّ، وقال بعضهم: لنا عز يَمْنَعُ من أن نُظْلَم وحلمٌ يمنع من أن نَظْلِمَ.

• الموصوفُ بالظُلم

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسدب غيرها جحره فتدخله ويقال أظلم من ذئب، قال:

وأنتَ كذئبِ السوءِ إذ قالَ مرّةً لعمروسه والذئبُ غرثانُ خاتلُ[1]
ألَنتَ الذي من غير شيء سبَبتني فقال متى ذا؟ قال ذا عام أوّلُ
فقال ولدْتَ العام بل رُمْتَ غدرَةً فدونَكَ كلني ما هنالك مأكلُ

وقيل: أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجلندي وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[2]

وقال: أعرابي لئن هملجت إلى الباطل أنك عن الحق لقطوف. وقيل: العشة عرس الظالم.

• المتبجّح بالظُلم

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً؟ فقال: ظالماً قيل ويحك ولمه؟ قال: ما عذري إذا قال لي: خلقتك قوياً ثم جئت تستعدي، وقيل لأعرابي ولد له ابن جعله الله براً تقياً فقال بل جعله جبراً عصياً يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

• الممدوحُ بكونه مظلوماً لمنْ هو دونه

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت. قال محمود الوراق:

ما زال يظلمني وأرحمهُ حتى رثيتُ له من الظُلمِ[3]

وقال ابن الزهير: تحمّل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. قال الشاعر:

---

(١) العمروس: الحمل والجمع عمارس ـ غرثان: جوعان، غرث غرثاً: جاع، والجمع غرثى وغراثى وغراث وهي غرثى ـ خاتل: خادع، ختله ختلاً وختلاناً، وخاتله مخاتلة يقال: خاتل الصيّاد أي مشى قليلاً لئلا يحسّ الصيد به، فهو خاتل وختول وتخاتلوا: تخادعوا.

(٢) القرآن الكريم: الكهف/ ٨.

(٣) يقول: أمعن في ظلمه إياي، وما فتئت أرحمه وحين تفاقم ظلمه رثيت له خوفاً من عواقب الجبروت.

ولا تخشم من بعض الأمورِ تعززاً   فقد يورث الذلَّ الطويلَ تعززُ

وقال الأحنف: كم جرعة من الظلم تجرعتها مخافة ما هو أعظم منها

● الرخصةُ في المجازاة بالظلم

قال الله تعالى في مدح ذلك ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[2] وقال بعضهم لسلطان: إني وإن خشنت في المال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث قال: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. وقال جرير: إني لا أبتدي، لكن أعتدي

● مَنْ لا يُبالي بأنْ يظلم

قيل: أهونُ مظلومٍ سقاء مروّب. وقيل: أهون مظلوم عجوز معقومة قال شاعر

وظلم النهشلي من السواء[3]

● من لا يُبالي بأن يظلم

قال أبو فراس[4]:

ومَعْضُ الظالمينَ وإن تعدّى   شهيُّ الظلم مغفورُ الذُّنوب

ولبعض الصوفية[5]:

دَعِ الحِبَّ يُصلَى بالأذى من حبيبه   فكلُّ الأذى ممّن يحب سرورُ
ترابُ قطيعِ الشاءِ في حين دَكِّها   إذا سار في آثارهنَّ ذرورُ[6]

وقال آخر:

وقد يؤذى من المقة الحبيبُ

● تحسّر مَنْ ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه

في المثل لوذات سوار لطمتني. قال الفرزدق:

فوا عجباً حتّى كليب تسبّني   كأنَّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ[7]

---

(١) القرآن الكريم الشعراء/ ٢٢٧   (٢) القرآن الكريم الشورى/ ٤١

(٣) النهشلي: الذئب، نهشل الرجل كبر، ونهشله عضه، ونهشل الشيء أكله أكل الجائع.

(٤) أبو فراس الحمداني (٩٣٢ ـ ٩٦٨) ولد في الموصل شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة صاحب حلب قلّده سيف الدولة إمارة منبج وقع أبو فراس أسيراً في يد البيزنطيين، وبقي في الأسر أربع سنوات، سمّي شعره في الأسر باسم «الروميات» ويغلب على شعر أبي فراس النزعة العاطفية والوجدانية

(٥) الصوفية: فئة من المتعبّدين واحدهم الصوفيّ والصوفي في عرفهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى، مستخلصاً من الطبائع متصلاً بحقيقة الحقائق.

(٦) ذرور: ما يذرّ في العين أو الجرح من الدواء، جمع أذرة.

(٧) كليب: أي بنو كليب

قال أبو فراس:

مـا لـلـرجـالِ مـن الـذي | يـقـضـي بـه الله امـتـنـاعُ
ذُدْتُ الأسـود عـن الـفـرا | ئـس ثـم تـفـرسـني الـضِّبـاعُ(1)

قال أبو سعيد بن نوفة وقد أجاد ما شاء

ولا عَزْوَ إن يبلى شريفٌ بخاملٍ | فمِنْ ذَنَبِ التنين يكسف البَدْرُ

● اختيارُ ركوب القتل على التزامِ الظُّلم

قال محمد بن وهب:

فتى يتقي أن يخدشَ الذمُّ عرضهُ | ولا يتقي حدَّ السُّيُوفِ البَوَاتِرِ(2)

قال المتلمس:

فلا تَقْبَلَن ضيماً مخافة ميتةٍ | وموتن بها حرّاً وجلدُك أملسُ

قال أبو فراس:

أرى مِلْءَ عَيْنَيَّ الرَّدى وأخوضُهُ | إذا الموتُ قدَّامي وخلفي المَعايِبُ(3)

وله:

والـمَـوْتُ عندَ طُروقِ الضَّيْمِ مَوْرِدُ

قال ابن نباتة:

لا ضَحِكَتْ الحياة إن ضَحِكَتْ لي | في المُلِمَّاتِ مُهْجَةٌ تُسْتَضامُ

● الممتنعُ مِن احتمالِ الظُّلم

قال الزبرقان:

قد رامني الأقوامُ قبلكَ فامتنعتُ من المظالِمْ

قال خالد بن زهير:

فإن كنت تبغي للظلامة مركباً | ذلولاً فإني ليس عندي بعيرُها

قال آخر:

فلانٌ لا يَسامُ خطةَ الخَسْفِ | ولا يُحْمَلُ على مَرْكَبِ العُنْفِ

قال:

لا يعلفُ الضيم ذو مَجْدٍ وذو شرفٍ | ولا يَبِيتُ بوادي الخسفِ مذْمُوما(4)

---

(1) ذدت عن: دافعت. (2) البواتر: القواطع

(3) الردى: الموت ـ قدامي: أمامي ـ يقول إني أوثر مواجهة الردى إذ كانت العيوب في أثري

(4) الضيم: القهر والظلم ـ الخسف: الذل

وقال:

كـأنّـهُ مـن حَـذارِ الظُّـلْـمِ مَجْـنُـونُ

قال آخر.

ولا ألـيـنُ لـغـيـرِ الـحـقِ أسـألُـهُ   حتى يلينَ لضرسِ الماضغ الحَجَرُ

وقد أحسن الذي قال. مَنْ ظلمني مرة فالله ينتقم لي منه ومن ظلمني مرتين فالله ينتقم له مني

● عادةُ النّاس ظلمُ من استضعفوه

قال ابن عائشة[1]:

تـراهُـم يـغـمِـزونَ مـن اسـتـركُـوا   ويـجـتـنـبـون مَـنْ صَـدقَ الـمـصـاعـا

قال المتنبي:

والظلمُ من شِيَم النفوس فإنْ تجدْ   ذا عـفـةٍ فـلـعـلّـةٍ لا يَـظْـلِـمُ[2]

قال رجلٌ عبسيّ:

إن الـمـحـكّـم ما لـم يَرْتَقِبْ حـسـبـاً   أو يرهب السيف أو حد القنا حنفا

● ظالمٌ متظلّم

في المثل يلدغ العقرب وتصيء[3] قال الخبزارزي:

ظـلـمـت سـراً وتـسـتـعـدي عـلانـيـة   ألـهـبـت نـاراً وتَـسْـتَـعْـفي من اللهبِ

قال الشعبي: حضرت مجلس شريح فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية، فقلت: ما أظنها إلا مظلومة. فقال: إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون.

● ذمّ مُمْتَنِع من قبولِ الإنصاف

قيل: ما أُعْطِيَ أحد قط النصف فأبى إلا أخذ شراً منه. وقال الأحنف: ما عرضت النصفة على أحد فقبلها إلاّ تداخلني منه هيبة ولا ردّها أحد إلا طمعت فيه

---

(١) ابن عائشة: هو ابن عائشة القرشي، كان كما روي من أحسن أهل زمانه صوتاً وغناء، وكان غناؤه أجود من ضربه. مات سنة ١٢٦هـ (٧٤٣م).

(٢) يقول: النفس مجبولة على الظلم وهي إذا عفت ولم تظلم فسبب ما.

(٣) تصيء: تصيح من صئي الفأر والعقرب والخنزير وما شابهها أي صاح، وهو مثل يضرب للظالم الذي يتظلّم.

(٢)
مدحُ الحلم وكظْمُ الغيظ وفضْلُ الرحمةِ والعفو والاستعفاء والاعتذار

■

● حدّ الحلم

قيل: الحلم تجرع الغيظ. وقيل: الحلم دعامة العقل وقال الأفوه الأودي: الحلم محجرة عن الغيظ. وقيل: ليس الحليم من ظُلم فحلم حتى إذا قدر انتصر ولكن الحليم من ظُلم فحلم فإذا قدر غَفَرَ.

وقالت الفلاسفة: الحلم فضيلةٌ النفس يكسبها الطمأنينة لا يحرِّكها الغضبُ بسهولةٍ وسرعة. سأل عليّ رضي الله عنه فقال: الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة.

وقيل لعمر بن الاهتم: مَنْ أشجعُ الناس؟ قال: من رد جهله حلمُه. وقال سفيان: ما تقلد امرؤ قلادة أحسن من حلم فهو محمود عاجله وآجله ورأى حكيم من ملك ترفاً، فقال: ليس التاج الذي يفتخر به علماء الملوك فضّةً ولا ذهباً لكنه الوقارُ المُكلّلُ بجواهر الحلم. وأحمق الملوك بالسطة عند ظهور المستطاع إلى اتسعت قدرتُهُ

قال شاعر:

لن يُدركَ المجدَ أقوامٌ دوو كرم ... حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوانَ مسفرةً ... لا خوفَ ذُلٍّ ولكنْ فضلَ أحلامِ[1]

● الآخِذُ نفْسَه بالحِلْم مِنَ المُلوك

دفع أزدشير بن بابك ثلاثة كتب إلى رجل يقوم على رأسه وقال له: إذا رأيتني قد غضبت فادفع إليّ الأول، فإن لم أهدم فالثاني ثم الثالث وكان في الأول أمسك فلست بإله، وإنما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضُهُ بعضاً. وفي الثاني إرحم عباد الله يرحمْكَ الله. وفي الثالث احمل عباد الله على حقه.

● الحث على تكلّف الحلم واستعماله

قيل: إذا لم تحلم فتحالم فقلَّ من تشبه بقومٍ إلاَّ كان منهم. قال:

تحَلَّمْ عنِ الأدنَيْنِ واستَبْقِ وُدَّهُمْ ... فلن تستطيعَ الحِلْمَ حتى تحَلَّمَا

---

(١) مسفرة: جلية وواضحة ـ الأحلام: العقول.

● الممدوح بالحلم

قال حسان[1]:

أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رزانةً ... وتزيد جاهِلَنا على الجُهّالِ[2]

قال ابن هرمة:

ولو وزنتْ رضوى بِبَعْضِ حُلُوْمِهِمْ ... لشالَتْ وَلَوْ زِيْدَتْ عليه تضارعُ[3]

قال أبو فراس:

يجني الخليلُ وأستحلي جنايتَهُ ... كيما يدلُّ على حِلْمي وإحساني[4]

قال المتنبي:

وأحْلُمُ عنْ خلّي وأعْلَمُ أنّني ... متى أجْزِهِ حلْماً عن الجَهْلِ يَنْدَمِ[5]

● من اجتهدَ في إغضابِهِ فحلم

بايع رجل آخر على أن يغضب الأحنف فجاءه فخطب إليه أمه. فقال: ليس بردك انتقاصاً بحسبك ولا قلة رغبة في مصاهرتك، ولكنها امرأة قد علا سنها وأنت تحتاج إلى امرأة ودودٍ ولُوْدٍ، تأخذ من خلقك وتستجلُّ من أدبك، ارجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني.

خطب آخر إلى معاوية أمه. فقال: وما الذي رغبك فيها وهي عجوز؟ فقال: بلغني أنها عجوز عظيمة العجز. فقال: لعلك خاطرت أن تغضب سيد بني تميم قال: نعم. قال: ارجع فلست به.

● فضلُ كظْم الغَيْظ

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[6] ومر النبي ﷺ بقوم يربعون حجراً فقال: ألا أخبركم بأشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وقال ﷺ: من كظم الغيظ وهو يقدر على أن ينفذه خيّره الله في أي الحور شاء، وقيل: تكظّم يدفع محذور الندم كالماء يطفىء حر الضّرَم. كظمٌ يتردد في حلقي أحب إلى من نقص أجده في خلقي. قال: وأفضل حلم حسبة حلم مغضب.

---

(1) حسّان: هو حسّان بن ثابت الأنصاري، من شعراء المدينة وواحد من مخضرمي الجاهلية والإسلام، لقب بشاعر النبيّ.

(2) الرزانة: الوقار.

(3) رضوى: جبل بمكّة.

(4) الجناية: الذنب والخطيئة.

(5) الخلّ: الصاحب، الخليل ـ يقول: إنّ مسامحة الجاني دعوة إلى ندامته.

(6) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٣٤.

● ما يسكّن به الغضب

قيل: من غضب قائماً فقعد سكن غضبه وإن كان قاعداً فاضطجع سكن والعجم تقول: من غضب فليستلق.

قال أبو بكر بن عبد الله أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم، وقيل: أذكر قدرة الله إذا غضبتَ. قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1] فقيل: الطيف من الشيطان حرُّ الغضب.

● من أغضبَ من الكِبار قصير

قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز فكلّمه بكلام أغضبه، فقال: أردتَ أن يستفزّني الشيطان، فإياك ومعاودة مثله، عافاك الله.

أمر محمد بن سليمان برجل أن يُطرح من القصر كان قد غضب عليه، فقال الرجل: اتق الله. فقال: خلوا سبيله فإني كرهت أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[2].

● ذمُّ الغضب

قيل لحكيم: أيُّ الأحمال أثقلُ؟ فقال: الغضب. وروى أن إبليس لعنه الله. قال: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه ويعملُ ما أريده وأرتضيه.

وقيل لأبي عباد: أيما أبعد من الرشاد السكران أم الغضبان؟ فقال: الغضبان لا يعذر أحد في طلاق ولا مأثم يجترمه وما أكثر ما يعذر السكران. وسُئلَ ابنُ عباس رضي الله عنه عن الغضب والحزن أيهما أشدُّ؟ فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً، ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

وحزنُ كلّ أخي حُزنٍ أخُو الغَضَب

● من غضب في غير مغضب

قال بعض الحكماء: إذا كانت الموجدة[3] من علّة كان الرضا مفقوداً. وقيل: من غضب من غير ذنب رضي من غير علة. وقيل: مَنْ فاته الدين والمروءة فرأس ماله الغضبُ.

● علّة من كانَ منه غضب

قال الشافعي[4] رضي الله عنه: مَنْ استُغضب ولم يغضبْ فهو حمار، ومَنِ استُرضي

---

(1) القرآن الكريم: الأعراف/ ٢٠١ (2) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٠٦.

(3) الموجدة: الحقد والغيظ.

(4) الشافعي، محمّد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ/ ٧٦٧ ـ ٨٢٠م) إمام مؤسّس أحد المذاهب السنية الأربعة. وُلد في غزة وتوفي في مصر أشهر كتبه «الأم» في الفروع و «المسند» في الحديث و «السنن والرسالة» في الأصول.

ولم يرضَ فهو جبار، وقيل: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر أخا النعمة. وقيل: فلان يملك حالتيه أي غضبه ورضاه.

● **الحثّ على ترك الغضب المؤدّي إلى الاعتذار**

قال حكيم: إياك وعزة الغضب فإنها تصير[1] بك إلى ذلّ الاعتذار.

قال الشاعر:

ولا تحكم منْ بعضِ الأمور تعزّزاً فقد يورثُ الذلَّ الطويلَ تعزّزُ

وقال آخر:

ولَرُبَّ مُمْتَعِضٍ هو المُتَذَلِّلُ[2]

وقال آخر:

متى تردِ الشفاءَ لكلِّ غيظٍ تكُنْ مما يُغيظُكَ في ازديادِ

● **سرعةُ الغضبِ وبطؤُه**

قيل: أسرعُ الناس رضا أسرعُهُم غضباً. كالحطب أسرعُهُ خُمُوداً أسرعُهُ وقوداً وكان بعض الناس يقول: أعوذُ بك من غضب مَنْ لا يكاد يَغضَبُ، وأعوذ بك من غضب امرأة قادرة وذي قوة قاهرة.

● **الحثُّ على ملاءَمة الناس**

قال أبو العتاهية[3]:

ساهِلِ الناسَ إذا ما غضبوا وإذا عَزَّ أخوك فَهُنْ

قال محمود الورّاق:

دارِ الصديقَ إذا استشاط تغضّبا فالغيظ يُخرجُ كامنَ الأحقادِ[4]

ولربّما كان التغضّبُ باحثاً لِمثالبِ الآباء والأجدادِ

● **النهي عن مراجعة السفيه ومدح فاعل ذلك**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[5] قال الشاعر:

لا تُرجِعنّ إلى السفيهِ خطابَهُ إلا جوابَ تحيّةٍ حيّاكها

فمتى تحرّكْهُ تحرِّكْ جيفةً تزدْدْ نتناً ما أردتَ حِراكَها

---

(١) تصير بك: تؤدي بك، توصلك.

(٢) الممتعض: الساخط غير الراضي، من الامتعاض وهو عدم الرضى.

(٣) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥) شاعر مكثر سهل الأسلوب. نشأ في الكوفة وكُني بأبي العتاهية نسبة إلى المجون والتعته. أغلب شعره في الزهد مع حرصه الشديد على المال.

(٤) كامن الأحقاد: ما كان خفياً ومستتراً فيها. (٥) القرآن الكريم: الفرقان/ ٦٣.

وقال رجل للأحنف: إن قلت واحدة تسمع عشراً. فقال: أنت إن قلت عشراً لم تسمع واحدة. وألحّ رجل على الأحنف بالشتم فلما فرغ قال: هل لك في الغداء فإنك منذ اليوم تحدو بأحمال ثقال، وشتم سفيه حكيماً وهو ساكت فقال: إياك أعني. فقال: وعنك أعضي. قال:

وبعضُ انتقام المرءِ يُرْدِي بعقْلِهِ — وإنْ لَمْ يقعْ إلا بأهلِ الجرَائِمِ

وقيل لبعضهم وقد كان من صاحب له ذنب إليه: هلاّ جازيت فقال:

الصَّقْرُ يحقَرُ عن طِرَادِ النُّخَلِ[1]

قال شاعر:

شاتمني عبدُ بني مِسْمَعٍ — فَصُنْتُ عنه النفسَ والعِرْضَا

ولمْ أُجِبْهُ لاحتقاري لَهُ — مَن ذا يَعَضُّ الكلبَ إن عضّا

ولهذا باب في موضع آخر.

● **الحثُّ على التصامُم عن القبيح والتمدّح بذلك**

قال المهلب[2]: إذا سمع أحدُكُم العوراء فليطأطئ لها تتخطاه، وأسمع رجلٌ آخرَ وهو ساكت فقال: إني وإياك كما قال زهير:

وذي خطَلٍ في القولِ يَحسَبُ أنه — مُصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائِلُهْ

وقال حاتم:

وكلمةِ حاسدٍ من غيرِ جُرْمٍ — سمِعْتُ فقلْتُ مُرّي فانفذيني

فعابُوها عليَّ فلم تَعِبْني — ولم يَعْرَقْ لها يوماً جبيني[3]

قال السموأل اليهودي[4]:

رُبَّ شتمٍ سمِعْتُ فتصاممتُ وعِيٍّ تركتُه فكُفِيتُ

قال البحتري:

وأحبِسُ عن تعريضِ عِرْضي لجاهلٍ — وإنْ كُنْتُ في الإقدامِ أطْعنَ في الصَّبِ[5]

(١) النُّخَل: طائر صغير.

(٢) المهلّب بن أبي صفرة (ت ٨٣ هـ/ ٧٠٢م) أمير البصرة حارب الخوارج وتولّى خراسان لعبد الملك بن مروان.

(٣) وفي رواية: وعابوها عليّ فلم تعبني.

(٤) السموأل اليهودي ابن عادياء (ت نحو ٥٦٠) شاعر جاهلي يهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق يُضرب به المثل في الوفاء لأنه ضحّى بابنه في سبيل الحفاظ على وديعة لامرىء القيس. له قصيدة مشهورة مطلعها:

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤم عرضُه — فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

(٥) يرهو بإقدامه وجرأته، ولكنه يحرص على أن يتجنب التهور ويتحاشى تعريض شرفه لجاهل، صوناً له ومحافظة عليه.

● الحثُّ على الرحمة ومدحُ ذويها

قال النبي ﷺ: إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وقال ﷺ: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، وقال عليه الصلاة والسلام: لا تنزع الرَّحمة إلاّ من قلب شقيّ، وقال: من كرم أصله لانَ قلبه وقيل: من أمارات الكرم الرحمةُ ومن أمارات اللؤم القسوةُ

● الحثُّ على العفو مطلقاً

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[3] وأدب نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4] فلما علم أن قد قبل أدبه. قال: وإنك لعلى خلق عظيم. وقال الأحنف: إياكم وحمية الأوغاد. قيل وما حميتهم؟ قال: يرون العفو مَغْرماً والبخل مَغْنماً، وقيل لبعضهم: هل لك في الإنصاف أو ما هو خير من الإنصاف؟ قال: وأيُّ شيء خيرٌ من الإنصاف؟ قال: العفو فالانصاف ثقيل، وسئل الجنيد رحمه الله عن الفتوة فقال: العفو بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[5]، وقيل: العفو عن المذنب زكاة النفس. قيل: من كَرم الأخلاق أن تعمر الذنب من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب. قال البحتري

إذا أنتَ لم تُضْرِبْ عن الحقْد لم تفُز بشكرٍ ولم تسعَدْ بتقريظ مادحِ[6]

● استطابةُ العفوِ ولذّته

قيل: لذةُ العفو أطيبُ من لذة التشفي[7] لأن لذة العفو يتبعها حمْدُ العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غمُّ الندامة، وقيل للإسكندر: أيُّ شيء أنت به أسر مما ملكت؟ قال: مكافأة من أحسن إليّ بأكثرَ مِنْ إحسانه وعفوي عمّن أساء بعد قدرتي عليه

● ما يُستحسن في الكبار من الحلم وما يُستقبَح

قال معاوية رضي الله عنه وقد أغلظ له رجل: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين السلطان، وقال المأمون الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة: قادح في ملك ومتعرّض لحرمة ومذيعٍ لسر. وقال السفاح: الحلم يحسن إلا ما أوضع الدين وأوهن السلطانَ

● الحث على درءِ الحَدّ

قال النبي ﷺ: ادرؤا الحدود بالشبهات، وقال عمر رضي الله عنه: لأنْ يُخطىءَ الإمامُ

---

(١) القرآن الكريم: النور/ ٢٢.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٧.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ١٠٩.
(٤) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٩٩.
(٥) القرآن الكريم: النور/ ٢٢
(٦) التقريظ: الإطراء والمدح
(٧) التشفي: شفاء الغليل، الانتقام

في العفو خيرٌ له من أن يُخطِئه في العقوبة. قال إبراهيم النخعي: لئن أُعطِّل مائةَ حدٍ قد ثبتت أحبُّ إليّ من أن أقيم حداً قد ثبت.

● حثّ القادر على العفو

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: إذا قدرت على العدوّ فاجعل العفو شُكر قدرتك.

ظفر الإسكندر ببعض الملوك فقال له: ما أصنع بك؟ قال: ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا، فخلّى سبيله ورده إلى مملكته. ولما ظفر أنوشروان ببزرجمهر[1] قال: الحمد لله الذي أظفرني بك فقال: كافىء مَنْ أعطاك ما تحب بما يحب.

قالت عائشة رضي الله عنها: إذا ملكت فاسجح[2]. وقيل: المقدرة تذهب الحفيظة، وقيل ليوسف[3] عليه السلام: بعفوك عن إخوتك عند قدرتك رُفع قدْرُك.

● ذمّ المتشفي من الغَيظ

قال معاوية رضي الله عنه: العقوبة ألأم حالات ذي القدرة. وقال حكيم: من شفى غيظه لم يجب شكره. وقال: التشفي طرفٌ مِنَ الجزع فمن رَضيَ أن لا يكون بينه وبين الظالم إلا سترٌ رقيقٌ وحجابٌ ضعيفٌ فليتشف، وقال شاعر:

متى تُردِ الشفاءَ لكلِّ غيظٍ ... تكُنْ مما تغيظُك في ازدياد
متى لم تتسع أخلاقُ قومٍ ... يَضيقُ بها الفسيحُ من البلاد

● مدحُ مَنْ صفحَ عن قُدْرة

قال شاعر:

وأعظَمُ النّاسِ أحلاماً إذا قدَروا

وقيل: عفو العزيز أعزّ له وعفو الدنيء أذلّ له. وقال آخر:

ما أحسنَ العفوَ مِنَ القادِرِ ... لا سيّما عن غيرِ ذي ناصرِ

قال أشجع:

يعفو عن الذنْبِ العظيم وليسَ يعْجزهُ انتصارُهْ
صفْحاً عن الباغي عليْه وقد أحاطَ بهِ اقْتدارُهْ[4]

---

(١) بزرجمهر: وزير كسرى الملك الذي قتله لوشاية أتته.
(٢) فاسجح: سجح: سهل ولان.
(٣) يوسف: (القرن ١٣ ق م) ابن يعقوب وراحيل، باعه إخوته حسداً إلى تجّار إسماعيليين، ثم بيع لفرعون مصر.
(٤) الاقتدار: القدرة.

قال المتنبي:

عتى لا تسلبُ القتلى بداه — ويسلُبُ عفوُهُ الأَسْرى الوِثاقا[1]

- **الممدوحُ بأنه إن شاء صفَح وإن شاء انتقم**

قال الأعشى:

يقومُ على الرغم في قومِهِ — فيعفو إذا شاء أوْ ينتقمْ

وقال كثير:

حليمٌ إذا ما نَالَ عَاقَبَ مُجمِلا — أشدَّ العقاب أو عفَا لَمْ يُثرِّبِ[2]

قال علي بن الجهم[3]:

يُعَاقِبُ تأديباً ويعفو تطوّلاً — ويُجزي على الحُسنى ويُعطي فيُجزِلُ

وقال آخر:

تسطو بعَدْلٍ وتعفو إنْ عفَوْت به — فلا عدِمناك من عابٍ ومُنتقم

- **الحثُّ على إقالةِ من سلم ظاهره**

قيل: لا تعتد بما لم تسمعه أذنك من العيب إذا حضر هبْتَ وإذا غاب اعتبْتَ. **وقال بعض الملوك:** إنما تملك الأجساد دون النيات ونحكم بالعدل لا بالهوى ونفحص عن الأعمال لا عن السرائر[4]. **قال البحتري:**

إذا عدوُّك لمْ يُظْهِرْ عداوتَهُ — فما يضرُّكَ إنْ عاداكَ إسْرَارا[5]

وقال آخر:

إذا دخَسُوا بالكره فاعفُ تكرّماً — وإن خبَّسوا عنْكَ الحديثَ فلا تسلِ[6]

فإنّ الذي يُؤذيك منه استماعُه — وإن الذي قالوا وراءك لم يُقَلِ

- **العفوُ عمّن سلم باطنهُ**

قد يهفو[7] المرء وبيته سليمة ويزلّ[8] وطريقته مستقيمه، **قال إبراهيم بن المهدي:**

---

(1) **الوثاق:** القيد. (2) **لم يثرب:** ثرَّب، لام

(3) **علي بن الجهم:** (ت ٨٦٣) شاعر بغدادي كان معاصراً لأبي تمام. غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان. ثم انتقل إلى حلب فقتله فرسان من بني كعب. يتميز شعره بالرقة.

(4) **السرائر:** جمع سريرة، السّر الذي يكتم

(5) يحذّر البحتري من العدوّ الذي يخفي عداوته ويتظاهر بالود

(6) **دخسوا:** أفسدوا، ودخس بالشرّ: دسّه من حيث لا يعلم

(7) **يهفو:** يخطئ. (8) **يزل:** يسقط

ما إن عصيتك والغواة تمدّني ... أسبابها إلا بنيّة طائع

قال ابن طباطبا:

أرى زلّتي كفراً فهل لي توبةٌ ... وكم كافرٍ بالله راح لغفرانِهْ

فإن كُنْتُ في الكفرِ الذي جئتُ مُكْرَهاً ... فما زال قلبي مطمئناً بإيمانه[1]

قال الفرزدق:

فلستُ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولُهُ ... إذا لم تَعَمَّدْ عاقِداتُ العَزائِمِ

● ذمُّ من لا يقيل العثرة

قال النبي ﷺ: ألا أخبركم بشراركم من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقبل معذرة ولا يقيل عثرة. قال شاعر:

موقّحُ الوجه قليلُ الصّفحِ ... كلامُه مثلُ عصى الطُّلحِ[2]

أي معوج.

● عتبُ منْ يحفظُ الذنبَ بعد تقادمه

قال البحتري:

تناسَ ذنوبَ قومِكَ إنَّ حفظَ الذ ... ذنوبِ إذا قدمْنَ منَ الذّنوبِ

وقيل: الآثام تدرسها الأيام

● وجوبُ العفوِ عنِ المعترِف

الاعتراف يزول به الاقتراف[3]. لا عتب مع إقرار ولا ذنب مع استغفار. المعترف بالجريرة مستحق للمغيرة، قال محمد بن جابر:

إذا ما امرُؤٌ من ذنبِهِ جاء تائباً ... إليكَ فلم تَغْفِرْ له فَلَكَ الذّنبُ

وقيل: التوبةُ تغسل الحوبةَ

● الحثُّ على العفو بعد الإقرار

قال عمرو بن كلثوم لصديق له أنكر ذنباً: إمّا أن تُقِرَّ بذنبك فيكون إقرارك حُجّةً لنا في العفو وإلاّ فطبْ نفساً بالانتصار منك. فإن الشاعر يقول

---

(١) مكرهاً: اسم مفعول من أكره على الأمر أي فعله مرغماً.

(٢) الطلح: شجر من فصيلة القضاء الواحدة طلحة، الطّلح أيضاً المهزول، يقال بعير طلح جمع أطلاح وطلاح.

(٣) الاقتراف: مصدر اقترف الذنب أي فعله وارتكبه.

أقرّ بذنبِك ثم اطلبْ تجاوزَنا   عنه فإنّ جُحُودَ الذنبِ ذَنْبانِ[1]

قيل: يجب للحازم أن لا يتقدّم غمراتُهُ تعريفَ الجاني ما جنى لئلا ينسب عفوه إلى الغفلة وكلال حدّ الفطنة.

● سوءُ الاعتذار دليلٌ على الإصرار

قال:

لا تـرتجـعْ رجْـعَـةَ مـذنِـبٍ   خـلـطَ احـتـجـاجـاً بـاعـتـذارِ

وقال آخر:

فـلا أنـتَ أعـتـبْـتَ فـي زلّـةٍ   ولا أنـتَ أغـلـيتَ في المعـذرَةِ[2]

● حسنُ العفْو عن المصرّ

سمع حكيم رجلاً يقول: ذنب الإصرار أولى بالاغتفار. فقال: صدق الله ليس فضل من عفا عن السهو القليل، كمن عفا عن العمد الجليل.

● مستعفٍ مقرٌ بالذنب

قال ابن المعتز[3] في كلام له: تجاوزْ عن مذنبٍ لم يسلك بالإقرار طريقاً حتى اتخذ من رجائك رفيقاً، وقال الفضل بن مروان لرجل عاتبه: بلغني أنك تنتقصني فلم ينكر الرجل، وقال: أنت كما قال الشاعر:

فـإنـك كـالـدّنـيـا نـذمُّ صـروفَـهـا   ونـوسِـعُـهـا ذمّـاً ونـحـنُ عـبـيـدُهـا[4]

قال أبو فراس:

إن لـم تُـجـافِ عـن الـذنـو   بِ وجـدْتَـهـا فـيـنـا كـثـيـرَةْ

لكن عادتك الجميلة أن تعفو على الجريرة[5]. أتي المنصور برجل أذنب فقال: إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ فيّ بالإحسان، فعفا عنه. قال شاعر:

إنّ لـلاعـتـذارِ خـطـأً مـن الـعـفـ   ـوِ فـيـراه الـمُـقِـرُّ بـالإنـصـافِ

---

(١) الجحود: الإنكار والحقوق ـ يقول: إنّ عدم الاعتراف بالذنب يجعله مضاعفاً، ولكن الإقرار به يمحوه حتى قيل: من أقرّ بذنبه كمن لا ذنب له.

(٢) أغليت في المعذرة: بالغت.

(٣) ابن المعتز: أبو العبّاس عبد الله (٨٦١ ـ ٩٠٨) أمير عباسي، شاعر وأديب ولي الخلافة يوماً وبعض يوم بعد خلع المقتدر ولقّب بالمرتضي بالله. مات خنقاً. له «طبقات الشعراء» وكتاب «البديع». اشتهر بوصفه المبتكر ووفرة علمه وسلامة ذوقه وفقهه.

(٤) صروف الدنيا: مصائبها ونوائبها.   (٥) الجريرة: الذنب والجناية.

ولـعَـمْـري لـقَـد أجـلّـك مـن جـا ء مُـقِـرّاً بـذلّـةِ الإعـتـراف

قال الرقاء

فإن تَعْفُ عنّي تَعْفُ عنْ غيرِ جاحدٍ لـمـا كـان والإقـرارُ بـالـذنْـبِ أرْوَحُ

وقال آخر:

صفحاً فلو شُقَّ قلبي عن صحيحته لـظَـلَّ يُـقْـرأ مـنـه الـخـوفُ والـنَّـدَمُ

وقال آخر.

فـلـسْـتُ بـأوّلِ عـبـدٍ هَـفـا ولـسْـتَ بـأوّلِ مـولـى عَـفَـا[1]

● استعفاء من خلط إقراراً بإنكار

ما أعرف تقصيراً فابلغ ولا دماً فاعتب ولكني أقول

هـبْـنـي أسـأتُ كـمـا زعـمْـتَ فـأيـن عـاقـبـةُ الأخـوّة

وإذا أسـأتَ كـمـا أسـأْتُ فـأيـن فـضـلُـك والـمـروّة[2]

قال ابن نوفة:

وهبي ـ وما أجرَمْتُ ـ اجْرَمْتُ كلّ ما أتاك به الواشي فَجُدْ باحْتِمَالَهْ

وقال ابن باذان.

لـئـنْ أسـأتُ فـأيـن إحـسـانُـك وإن أفـرطْـتُ فـأيـن افـضـالُـك؟

وقال آخر:

أقـررتُ بـالـجُـرم عـلـى أنـنـي لـسْـتُ بـمُـخْـلِـيـكَ مـن الـمـرْتَـدَة

وقال الشعبي لابن بسرة، وقد كلمه في قوم حبسهم إن حبستهم بالباطل فالحقُّ يُخرجهُم وإن حبستهم بحق، فالعفو يسعهُمْ فأمر بإطلاقهم

● معتذرٌ مع إنكار

قال رجل لمعن ما على المذنب أكثر من الرجوع فهل على من لم يُذْنب أكثرُ من الاعتذار.

قال ولما حبسَ الرشيد عبد الملك بن صالح قال إنّ الملك شيء ما نَوَيْتُهُ ولا تمنَّيتُهُ ولو أردْتُهُ لكان أسرعَ من السيل إلى الحدور والنار إلى يبس العرفج[3] ولكن لما رآني بالملك قميناً[4] وإن لم أترشح له في سرٍّ ولا جهر ورآه يحنُّ إلى حنين الأم الوالهة

---

(١) هفا: ارتكب هفوة، أخطأ

(٢) يدعو الشاعر إلى تجاوز إساءة المسيء بباعث الفضل والمروءة

(٣) العرفج: نبات سهلي.

(٤) قميناً: جديراً، والقمين السريع، وأتون الحمام، جمع قمناء وقمينون، والمؤنث قمينة جمع قمائن وقمينات، من تقمّن الشيء إذا أشرف على أن يأخذه يقال موطن قمن أي جدير أن تسكنه

إلى ولدها عاقبني عقابَ مَنْ سهر في طلبه فرد حبشتي على أبي أصلحُ له ويصلحُ لي فليس ذلك ذنباً فأتوب منه، وقال الرشيد لرجل يُرمى بالزندقة: لأضربنّكَ حتى تقرَّ بالذنب، فقال هذا خلافُ ما أمرَ الله تعالى به، لأنه أمر أن يضرب الناس حتى يقروا بالإيمان وأنت تضربني حتى أقرَّ بالكفر فخجل وعفا عنه. قال التنوخي:

إنْ كانَ إقْراري بِمَا لم أجْنِهِ ... يُرْضيك عنّي قلْتُ إنّي ظالمُ

● معتذِرٌ بتكذيبِ نفسه

خرج النعمان[1] متنكراً فمرّ برجل فقال له: أتعرف النعمان؟ قال أليس ابن سلمى؟ قال: نعم. قال: طالما أمررت يدي على فرجها. فلحقته حيلة فقال: كيف؟ قلت: قال: أبيت اللعن والله ما رأيت شيخاً أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعض لبظر أمه مني. فضحك وخلاه فأنشد اليشكري:

تعفو الملوكُ عنِ العَظيمِ منَ الذُّنوبِ لفضْلها ... ولقد تُعَاقِبُ في اليسير وليْس ذاكَ لجَهْلِهَا

لكنْ لِيُعْرَفَ فضْلُها ... ويُخافَ شدّةُ نُكْلها

انقطع عبد الملك عن أصحابه فانتهى إلى إعرابي فقال: أتعرف عبد الملك؟ قال نعم جائر بائر[2]. قال: ويحك أنا عبد الملك قال: لا حيّاك الله ولا بيّاك ولا قربك أكلت مال الله وضيّعت حرمته. قال: ويحك أنا أضر وأنفع. قال: لا رزقني الله نفعك ولا دفع عني ضرك فلما وصلت خيله علم صدقه، فقال: يا أمير المؤمنين اكتم ما جرى فالمجالس بالأمانة.

● مستغفٍ سألَ أن ينخدعَ له

قال ابن الرومي:

فسامِحْ وَلَيِّنْكَ إنَّ الكريـ ... ـم قد يتخادعُ للخادِعِ

وقال:

وما بِكَ مِنْ غَفْلَةٍ إنّما ... لِفَرْطِ الحَياءِ وفَرْطِ الكَرَمْ

وكان جعفر بن سليمان عثر برجل سرق درة فباعها؟ فلما بصر بالرجل استحيا فقال له: ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها؟ فقال الرجل: نعم فخلّى سبيله. وبلغني أنّ ركن الدولة كان يوماً في الدار بحيث لا يرى فدخل فراش فرأى طاساً من ذهب ولم يكن بقربه أحد، فتناوله وخرج، فرآه ركن الدولة ولم يعلم به فلما استقصى عليه الخدم قال: دعوه فإن من أخذه لم يأخذه على أن يرده ورائيه لا يريد

---

(١) النعمان: هو النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة.

(٢) بائر: اسم فاعل من بأر بأراً وابتأر حفر، وابتأر خير خبأه.

أن يذكر. فبعد ذلك كان الفراش يصبّ ماءً على يديه وعليه ثيابٌ فاخرة فقال ركن الدولة: هذه الثياب من ذلك الطاس، وركن العرش جلداً فقال نعم أيها الأمير: وغير ذلك من آثار النعم، فعفا عنه.

● **الحثُّ على استبقاء نعمة بإقالةِ عثرة**

قال ابن الرومي:

لا تُطَيِّرَنْ وسناً عن مقلةٍ   أنتَ أهديتَ لها حُلْوَ الوَسَنْ(1)

قال ابن نوفة:

أترضى بإلزام الدنيئةِ خادماً   رجا في ذَرَاكُمْ أن يَنالَ المَعاليا(2)

وقال روح بن زنباع(3): لا تشمتنّ بي عدواً أنت رفعته ولا تسوءنّ بي صديقاً أنت سررته ولا تهدمنّ رُكناً أنت بنيته.

● **استعفاءُ من زعم أن ذنبه كان خطأً أو نسياناً**

قال النبي ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان. وقال غلام هاشميّ أراد عمّه أن يجازيه بسهوٍ منه: يا عم إني قد أسأت وليس معي عقلي فلا تسئ ومعك عقلك. **قال أبو تمام:**

فإن يكُ سخطٌ عمّ أو تكُ هفوةٌ   على خطإٍ مني فعذري على عَمْدِ(4)

قال عليّ بن الجهم:

ألم ترَ عبداً عدا طَوْرَهُ   ومولىً عفا ورشيداً اهتدى
ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيتَهُ   فعادَ وأصلحَ ما أفسدا

قال المتنبي:

وعينُ المخطئين هُمُ وليسوا   بأوّلِ معشرٍ خطئوا فتابوا
وما جهلتْ أياديكَ البوادي   ولكنْ ربّما خفيَ الصوابُ

● **المتمدحُ بذلك**

اعتذر رجل إلى **المنتصر فقال:** أترى بي أتجوّر بك حُكْمَ الله **حيث يقول:** ﴿أَلَيْسَ

---

(1) **الوسن:** من الأضداد تعني ثقل النوم والاستيقاظ، والمراد هنا من وسن يوسن وسناً وسنة أي اشتد نعاسه ـ **المقلة:** العين.

(2) **الدنيئة:** الأمر الدنيء الذي يكشف عن الخساسة ـ **يقول:** هل ترضى بأن تدفع خادمك إلى الدنايا وهو يرجو عندك تحقيق الأعمال السامية.

(3) **روح بن زنباع:** من أعوان عبد الملك، كان قائد شرطته، وكان الحجاج أول أمره نفراً في شرطة روح، ثم علا شأنه.

(4) **يقول:** لئن كانت هفوة بدرت مني على خطأ فإنّ عذري على عمد وتصميم.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ[1] فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

قال الحسن بن وهب:

وعندي إغضاءٌ وعفوٌ عنِ الذي ... يزِلُّ إذا ما لمْ يكُن ذاكَ عنْ عَمْدِ

● مُسْتَعْفٍ سأل أن يقوِّم ويؤدِّب

قال أحمد بن أبي فنن

أحينَ كَثُرَتْ حُسّادي وسَاءَهُم ... جميلُ فعْلِكَ بي أشمتَّ حُسّادي

فإن تكن هفوةٌ أو زلّةٌ سَلَفَتْ ... فأنت أولى بتقويمي وإرشادي[3]

● مُسْتَعْفٍ سأل العفو لفرط خوفه

قال علي بن الجهم:

فعفوُكَ عن مُذنبٍ خاضِعٍ ... قرنْتَ المُقيمَ به المُقْعَدا

إذا ادَّرعَ الليلَ أفضى به ... إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا[4]

● مستعفٍ اتكل على سالف حرمته

قال هاشمي للمأمون: من حصل له مثل دالتي، ولبس ثوب حرمتي، ومت بمثل قرابتي، وأسلف مثل مودتي، أقيل له أعظم من عثرتي، وغفر له فوق زلتي، فقال: صدقت وعفا عنه. قال شاعر

أيُذهِبُ يومٌ واحدٌ إنْ أسأتُه ... بصالحِ أيّامي وحُسْنِ بَلائيا[5]

وكفى بالحث على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[6].

● الاستعفاء لمذنب من قومٍ محسنين

قال إبراهيم الصولي:

أساءُوا وفيهم محسنونَ فإنْ تهَبْ ... لمُحْسنِهم أهلَ الإساءة يصْلُحوا!

---

(١) الجناح: الإثم، والجناح في غير هذا السياق الطائفة من الشيء.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٨، الأحزاب/ ٥

(٣) أولى بتقويمي: أجدر. والتقويم: إصلاح الاعوجاج وتلافي الزلل والانحراف.

(٤) ادرع الليل: اتخذه درعاً ووقاية من العيون والأعداء.

(٥) بلائيا: البلاء الاختبار يكون بالخير والشر - يقول: هل تذهب إساءة يوم بأيام صالحة وأعمال حسنة

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ٣٠

● متوصل إلى العفو بمراجعة أو حجة

غضب عبد الملك على رجل فلما أتي به قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال: لا سلم الله عليك فقال: ما هكذا أمر الله تعالى إنما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1] وقال ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[2] فعفا عنه. وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة فسمع غناء رجل من بيت فتسوّر عليه فرآه مع امرأة يشربان الخمر. فقال: يا عدوّ الله أرأيت أن يسترك الله وأنت على معصية، فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت في ثلاث قال الله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[3] وقد تجسست وقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[4] وقد تسوّرت علي وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[5] وقد دخلت بغير سلام. فقال عمر رضي الله عنه: أسأت فهل تعفو؟ فقال: نعم وعليّ أن لا أعود.

● من توصّل إلى العفو بلؤم نفسه

كان جعفر بن أمية خرج مع مصعب[6] بن الزبير وكان صديقاً لعبد الملك، فلما أتي به بعد قتل مصعب قال عبد الملك: لا أنعم الله بك، خرجت مع مصعب؟ قال: نعم قال: ونعم أيضاً فلا أنعم الله بك. قال: إني أعرف نفسي بالشؤم فأردت أن أصيب مصعباً بشؤمي، فضحك وخلاّه.

وأتي الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث[7] فقال له: أفيك خير إن عفوت عنك؟ فقال: لا. قال: ولمه؟ قال: لأني كنت خاملاً فرفعني وألحقني بالناس فخرجت مع ابن الأشعث لا لدين ولا لدنيا ومعي الحماقة التي لا تفارقني أبداً ولا أفلح معها سرمداً فضحك منه وخلّى سبيله.

● منْ توصّلَ إلى العفْو بحيلة

أتى معن بن زائدة[8] بأسرى فأمر بضرب أعناقهم، فقام غلام منهم فقال: أنشدك الله

---

(1) القرآن الكريم. النساء/ ٨٦. (2) القرآن الكريم. الأنعام/ ٥٤.

(3) القرآن الكريم. الحجرات/ ١٢ (4) القرآن الكريم. البقرة/ ١٨٩

(5) القرآن الكريم. النور/ ٢٧

(6) مصعب بن الزبير: (٢٦ ـ ٧١ هـ/ ٦٤٧ ـ ٦٩٠م) أخو عبد الله بن الزبير ونائبه في العراق. قاوم الخوارج وقضى على المختار الثقفي قتله عبد الملك بن مروان في مصر.

(7) ابن الأشعث: عبد الرحمن (ت ٨٥ هـ / ٧٠٤م) قائد أموي ثار على الحجّاج وأبى الخضوع لأوامر الخليفة عبد الملك بن مروان. استولى على الكوفة. هزمه الحجّاج في معركة دير الجماجم وفيها قُتِل.

(8) معن بن زائدة: هو أبو الوليد بن مطر كان يلي ليزيد بن معاوية وبعد مقتل يزيد، توارى عن الأنظار مدّة ثم أيّد المنصور العباسي فعفا عنه وجعله والياً على خراسان.

أيها الأمير أن لا تقتلنا ونحن عطاش. فقال: اسقوهم، فلما شربوا قال: ناشدتك الله إن قتلت ضيفانك، قال: أحسنت فخلّى سبيلهم

همّ الأزارقة[1] بقتل رجل فقال: أمهلوني لأركع فسرع ثوبه واتزر ولبّى وأظهر الإحرام، فخلّوا سبيله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾[2]

ولما غشي أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه عمرو بن العاص طرح نفسه على الدابة وتلقاه بعورته. فأعرض عنه وقال: قبحك الله، ولما أتي عمر رضي الله عنه بالهرمزان[3] أراد قتله فاستسقى ماء فأتي بقدح فأمسكه بيده مضطرب وقال: لا تقتلني حتى أشرب هذا الماء، فقال: نعم، فألقى القدح من يده، فأمر عمر رضي الله عنه بأن يقتل فقال: أو لم تؤمني وقلت لا أقتلك حتى تشرب هذا الماء؟ فقال عمر: قاتله الله أخذ أماناً ولم نشعر به.

● مستعفٍ ذكر فرط خوفهِ من الوَعيد

قال مروان[4] بن أبي حفصة

أبيتُ وجنبي لا يُلائمُ مضجعاً ... إذا ما اطْمأنّت بالجنوبِ المضاجعُ

قال سلم الخاسر:

لقد آنَسْني من المهديّ معتبةٌ ... تظلّ من خوفها الأحشاءُ تضطرِبُ

قال أبو تمام:

أتاني عائرُ الأنباء تسري ... عقاربُه بداهيةٍ نآدِ[5]

فيا خبراً كأنّ القلبَ أمسى ... يُجَرُّ به على شوكِ القتادِ[6]

قال البحتري:

عذيري من الأيام رنّقْنَ مَشْرَبي ... ولقّينني نحساً من الطير أشأمَا

وألبَسَنَني سخطَ امرئٍ بِتُّ موهناً ... أرى سُخْطَهُ ليلاً مع الليلِ مُظلِمَا[7]

● من هربَ خشيةَ العِتاب فاعتذر للملك

قال شاعر:

لئِن أخفَى حذاري عنك شخصي ... لما أرسلت من كفّي حبْلك

---

(1) الأزارقة: فرقة من الخوارج (2) القرآن الكريم: المائدة/ 2

(3) الهرمزان: من أمراء الجيش الفرسي في معركة القادسية ١٦هـ (٦٣٧م)

(4) مروان بن أبي حفصة: [(١٠٦ ـ ١٨٢)/ (٧٢٤ ـ ٧٩٨)] شاعر مخضرم، امتاز بلغة صافية. مدح المهدي والرشيد وله رثاء شهير في معن

(5) عائر الأنباء: هي التي يجهل ناقلها ـ الداهية النآد: الشديدة

(6) نثا الخبر: انتشر وذاع ـ القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر

(7) موهناً: وهناً، والوهن من الليل: نحو منتصفه أو بعد ساعة منه

ولـمْ أهـرُبْ عـلـى ثـقـةٍ وعـلـمٍ بـأنّـي إن رمَـيْـتَ أفـوتُ نـبْـلَـكْ
ولـكـنّـي هَـرَبْـتُ عـلـى يـقـيـنٍ بـأنـك مُـجْـمِـلٌ في الـحُـكْـم فَـضْـلَـكْ

● **المتوصّلُ إلى العفْو بمغالطة القوْل**

أتى محرق بنساء، فطلبن أن يعفو عنهن فأبى، **فقالت** امرأة منهن: أطال الله سهادك وأخمد رمادك فما قتلت إلا نساء أعلاهن ثدي وأسفلهن دماً، ما أدركت من قتلنا ثأراً ولا محوت عن نفسك به عاراً. فأمر بتخلية سبيلهن غيرها، **وقال**: إني لأخشى أن تلد مثلها.

وأتى الحجاج بأسارى[1] **فقال** أحدهم: لا جزاك الله عن السنة خيراً، **قال**: كيف؟ **قال**: إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾[2] فإمّا منّ بعد وإمّا فداء، فلا مننت ولا فديت، **فقال** الحجاج: خلّوا سبيلهم. **وقالت** امرأة في جملة أسرى: قبّحك الله فلئن أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو. **فقال**: أف لهذه الجيف أما كان فيهم مَنْ **يقول** مثل هذا. وأمر بتخلية من بقي منهم.

● **المتوصّلُ إلى العفْو بذكْر الله ومناشَدتِه**

عصب رجل على مولاه **فقال**: أسألك بالله إن علمت أني لأطوعَ لك منك لله فاعْفُ عنّي، عفا الله عنك، فعفا عنه.

وقال رجل لأمير **غضب عليه**: أسألك بالذي أنت أذل بين يديه غداً منّي بين يديك إلا ما عفوت عنّي، فعفا عنه. **وقال آخر لأمير يضربه**: اضرب بقدر ما تعلم أنك تجشّمه[3] عند القصاص يوم الجزاء[4]، فعفا عنه.

● **من استعْفى واستوْهب جميعاً**

جنى غلام للحسن بن علي رضي الله عنهما فأمر بعقابه **فقال**: يا مولاي إن الله تعالى قد مدح قوماً مكنْ منهم، فإنه **يقول**: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[5] **فقال**: خلوا سبيله **قال** وقد **قال**: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6] قال: أنت حر لوجه الله ولك من المال كذا.

واستعفى رجل من مصعب بن الزبير فعفا عنه **فقال**: اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض، فأعطاه مائة ألف، فقال الرجل: إنّي قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيّات لقوله:

إنّما مصعبٌ شهابٌ من الله تَجلّتْ عن وجهِهِ الظّلْماءُ

---

(1) **أسارى**: جمع أسير.
(2) **القرآن الكريم**: محمد/ 4.
(3) **تُجشّمه**: تكلّفه وتحمّل مشاقه.
(4) **يوم الجزاء**: يوم الدينونة والحساب.
(5) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٣٤.
(6) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٣٤، ١٤٨.

فقال له مصعب: هذا لك وعلينا أن نصحبه ذلك، قال المتنبي:

فاغمِزْ فَدَيْتُكَ وأحبُبي من بعضِها ... لِتخُصَّني بهديةٍ منها أنا[1]

وقال:

رَدَدْتَ مالاً ولم تَمْنُنْ عَليَّ به ... وقبلَ مالي فلما قد حقنتَ دمي

● **المتوصّل إلى العفو بدفع الوقت**

أُتي عبيد الله بن زياد[2] بخارجيّ فأمر بقتله، فقال: إن رأيت أن تؤخرني إلى غد فأمر بتأخيره فقال:

عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنه ... له كلَّ يومٍ في خليقته أمرُ

فعفا عنه. وغضب المأمون على علي بن الجهم[3] فقال: لآخذن مالك ولأقتلنك أقتلوه. فقال أحمد بن أبي[4] دؤاد: إذا قتلته فمن أين تأخذ المال يا أمير المؤمنين؟ قال: من ورثته، فقال: حينئذٍ تأخذ مال الورثة وأمير المؤمنين يأبى ذلك. فقال: يؤخر حتى يستصفى ماله. وانقضى المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه.

قال شاعر:

وإذا ابنُ عمك لجّ بعضَ لجاجةٍ ... فانظرْ به غدهُ ولا تستعجلِ

● **المتوصّل إلى ذلك بالتثبّت إلى حين التبيّن**

قال الله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[5]، وقيل: للوالي التأني فإن للتأني من الوالي صدقة. وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر: غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف إلى حال التبين كما غضبت له.

وقال الشعبي لعبد الملك: إنك على إيقاع ما لم توقع أقدرُ منك على ردّ ما أوقعت فأخذ هذا المعنى شاعر، فقال:

فداويتُه بالحِلْمِ والمرءُ قادرٌ ... على سهمِهِ ما دام في يدهِ السَّهْمُ

---

(١) فديتك: وفي رواية فدى لك ـ أحبي: حباه: أعطاه. وقوله: منها أنا معناه إذا غمزت لي فكأنك وهبت لي نفسي.

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه (ت٦٧ هـ/ ٦٨٦م) عامل الأمويين في العراق. قتل مسلم بن عقيل وقضى على الحسين في معركة كربلاء (٦١ هـ/ ٦٨٠م) قتله إبراهيم بن الأشتر قائد المختار الثقفي في معركة الخازر.

(٣) علي بن الجهم: شاعر عباسي، هجا المتوكل فحبس. مات سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م)

(٤) أحمد بن أبي دؤاد: (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤) قاضٍ من المعتزلة. وُلد في البصرة جعله المعتصم قاضي القضاة.

(٥) القرآن الكريم: الحجرات/٦

● التثبتُ في العُقوبة نصفُ العفو

قال المتنبي:

تَرَفَّقْ أيها المولَى عليهم ... فإنَّ الرفقَ بالجاني عتابُ

● نهيُ العافي عن التثريب

رضي بعض الملوك عن رجل ثم أخذ يوبّخه. فقال: إن رأيت أن لا تحدش وجه رضاك بالتثريب[1] فافعلْ. وقيل: ما عفا عن الذنب مَنْ قرّع به[2]. وقيل: العفو مع العذل[3] أشد من الضرب على ذي العقل. فرُبّ قولٍ أشد من صولٍ وعفو أشد من انتقام، قال ابن نوفة:

إن كنتَ تعفو فاعفُ عَفْوَ مهنىءٍ ... إحسانه إنَّ الكريمَ وهوبُ

قلْ قولَ يوسفَ حينَ قالَ لإخوةٍ ... جاؤه معتذرين لا تثريبُ

أو لا معاقِبُني فليس بمنكَرٍ ... منْ مثلكَ التقويمُ والتأديبُ

وفيمن يعاقب ثم يعاتب، قال شاعر:

إذا عُوقِبَ الجاني على قَدْرِ جُرْمه ... فتعنيفُه بعدَ العقابِ من الرِّبَا[4]

● معاتبةُ من صفحَ ثم نَدِم

قال ابن طباطبا: كان جرى بيني وبين رجل كلام واحتملت منه، ثم ندمتُ فرأيت في المنام كأنّ شيخاً أتاني فأنشدني:

أندمتَ حين صفحْـ ... ـتَ عمّن قدأساءوقدظلَم

لا تندَمَنْ فشرّنا ... منْ أتبَعَ الخَيْرَ النَدَمْ

● ذمُّ من اعتذرَ فأساء

قيل في المثل: عذره أشد من جرمه، رب أصرار أحسن من اعتذار. وقال آخر: أنسيتنا باعتذارك كُلَّ عثارك وقيل بث من عذرك ثم من ذنبك

قال الخبزارزي:

وكَمْ مُذْنِبٍ لمَّا أتَى باعتِذارِه ... جنَى عُذْرُهُ ذنباً من الذَّنْبِ أعْظَما

قال ابن الحجاج:

لي صديقٌ جنَى عليَّ مِراراً وكثْرا

(١) التثريب: اللوم وتقبيح العمل. (٢) قرّع به: عنّفه، وقرّع القوم: أقلقهم

(٣) العذل: الملامة.

(٤) يقول: لا داعي لتعنيف الجاني أو تقريعه بعد معاقبته وإنزال القصاص به على قدر ذنبه وجرمه، لأن هذا التعنيف في باب العدل مثل الربا في باب المال والاقتصاد

ثـمَّ لـمْـا عـتـبـتُـه		عـسـلَ الـبـولَ بـالـسحـرا

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني

رُبَّ ذنبٍ ينمّي على العُذر حتّى		يبصرَ الاحتجاجُ عنه يشينُه
كمقالِ الجريءِ يزدادُ قبحاً		كلّما ازدادَ منهم تحسينُه

● النهيُ عن الذنب المفضي إلى الاعتذار

قيل إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتداره، فما كل من يحكي عنك وينكر تطيق أن توسعه عذراً وقيل من وثق بحسن العذر وقع في الذنب. قال قال الموسوي:

ومن قيّدَ الألفاظ عند نزاعِها		بقيدِ النُّهى أعتقَه عن طلبِ العُذرِ

● النهيُ عن العذرِ

قال النبي ﷺ إياكم والمعاذير فإنها مفاجر وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه امسك عن الاعتذار واستمسكْ بالاستغفار.

وكتب الحجاج إلى بعض من عتب إليه أن يعلم الله ذلك من نيتك تكفه المقال

● صعوبةُ الاعتذارِ والحثُّ على تركه

قال علي بن الجهم.

إنّ دون السُّؤال والاعتذار		خطّةً صعبةً على الأحرارِ
عارضَ للمذنبِ الخضوع وللقا		رف ذنباً مضاضةُ الاعتذار[1]

قال الزبير وهو في نهاية الحسن:

تعالَوا نصطلح وتكونُ منّا		معاودةٌ بلا عَدِّ الذُّنوبِ
فإن أحببْتُم قلتُم وقلْنا		فإن القلبَ أشفى للقلوبِ

● نهيُ من لم يذنبْ عن العذر

إياك والعذر عما لم تَجْنِه فالمعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب وقيل أحقّ منزلة بالاجتناب منزلة العذر لأنه يقف موقف تُهمة وقلّما سلم من ظنّة[2]. وقيل الإغراق في العذر يحقق التهمة كما أن الإفراط في النصيحة يوجب الظِّنّة

● الاعتذارُ من تركِ الاعتذار

قال بعضهم: سكوتي عن التفسير لاعترافي بالتقصير وقال آخر لست أعتذر إليك

---

(١) قارف الذنب: مقترفه أي مرتكبه ـ المضاضة: ألم.		(٢) الظنة: التشكيك.

من الذنب إلا بإقلاعٍ عنه. وكتب كاتب: إن تركت الأعتذار فلما قال الشاعر:

إذا لم يَكُنْ للعذرِ وجهٌ مبينٌ فإن اطراح العذر خيرٌ من العذرِ[1]

وقيل للمطيع[2] وقد بلغ المهتدي[3] عنه شيء أنكره: إن كان ما بلغك حقاً فما تغني المعاذير وإن كان كذباً فما تضرّ الأباطيل.

● **الممتنعُ مِنَ العُذْر عن حقٍ أورده**

سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه **محمد** بن يوسف: كيف تركته؟ **فقال**: تركته سميناً عظيماً. **قال**: إنما سألت عن سيرته، **قال**: ظلوماً غشوماً. **قال**: أما علمت أنه أخي؟ **قال**: نعم ما هو بك أعزّ مني بالله فأمر بضربه، **فقيل** له: اعتذر إليه. **فقال**: معاذ الله أن أعتذر من حقٍ أوردْتُهُ.

وخطب الحجاج يوماً فأطال، فقام رجل **فقال**: الصلاة والوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون فإن رأى أن يُخلي سبيله **فقال**: إن أقر بالجنون خلّيته. **فقيل** له ذلك **فقال**: معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني. فبلغ ذلك الحجّاج فعفا عنه لصدقه.

ودخل رجل على سلطان وكان قد أذنب **فقال**: بأي وجه تلقاني؟ **فقال**: بالوجه الذي ألقى به الله، فإن ذنوبي إليه أكثر وعقوبته أكثر. فعفا عنه ووصله.

● **تأسّفُ من يعاتبُ من غير ذنب**

قال شاعر:

قد يُلامُ المريءُ من غيرِ ذنبٍ وتُغَطَّى من المُسيءِ الذنوبُ

وقال آخر:

إذا كنتَ ملحياً مسيئاً ومحسناً فغشيانُ ما تهوى من الأمرِ أكْيَسُ[4]

وقال البحتري:

إذا محاسِني اللاتي أدلّ بها كانَتْ ذنوبي فقُلْ لي كيفَ أعتذرُ!

وفي المثل: ربّ ملوم لا ذنب له. **قال شاعر**:

وكَمْ من موقفٍ حسنٍ أحيلتْ محاسنُهُ فعُدَّ مِنَ الذُّنوبِ

---

(1) **اطّراح العذر**: تركه وتجاوزه.

(2) **المطيع**: مطيع بن إياس (ت ٧٨٣) شاعر بغدادي من المخضرمين امتاز شعره بالظرف والرقة والمجون.

(3) **المهتدي بالله**: محمد بن الواثق الخليفة العباسي الرابع عشر (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ ـ ٨٧٠م) مات قتلاً.

(4) **غشيان**: مصدر غَشِي عليه، ألم به ما غشيَ فهمه.

● منِ اعتذر بتكذيبِ الواشي

قال زهير بن بلال:

ودي حنقٍ أعراه سي عيرُ نـصـحٍ　　　فقلتُ له: وجهُ المحرّشِ أقبحُ[1]

قال أبو تمام

ومَنْ يأذنْ إلى الواشين يسلقْ　　　مسامِعَهُ بألسِنَةٍ حِدادِ

قال ابن الحجاج:

قلْ للذي جَهَزَ بالنمي سي　　　بضاعةً عادت بخسرانِهِ

يا ذا الذي لا بدّ من صفْعِهِ　　　يوماً ومن تَعْريكِ آذانِهِ

لو حَدّثتْ كسرى بهِ نفسُهُ　　　صَفَعْتُهُ في جوفِ إيوانِهِ

● قِلّةُ الاعتذار بقول الواشي

قال شاعر:

دَعِ الناسَ ما شاؤوا يقولون، إنني　　　لأكثرِ ما قالوا عَليّ حَمُولُ

وما كلّ من أسخطتُه أنا معتِبٌ　　　ولا كلّ ما يُرْوَى عليّ أقولُ

● منْ ذكر إرضاء صاحبه

قال العتابي[2]:

فهلْ أنا معْضٍ في هَوَاكَ وصابرٌ　　　على حدّ مصقولِ الغِرارِ بن قاضبِ

ومنتزعٌ عنّا كرهتُ وجاعلٌ　　　رضاكَ مثالاً بين عيني وحاجبي

وقال آخر:

لو أسخطتك حياتي　　　قتلتُ نفسي لِترضَى

(٣)
ومما جاء في ذمّ الحلم ومدح العقاب

●

● النهيُ عنِ المُلاينة حيثُ لا تنفعُ

قال شاعر:

بالرفق مارسْ ولاينْ مَنْ تخالِطُهُ　　　وعاِلظْ إذا لم ينفعِ اللينُ

---

(١) المحرّش: المحرّض.

(٢) العتابي: هو كلثوم بن عمرو التغلبي (ت ٨٣٥) شاعر مترسل بليغ

قال سعد بن ناشب:

وفي اللينِ ضعفٌ والشراسةُ هَيبةٌ ومن لا يَهَبْ يُحْمَلْ على مَرْكبٍ وَعْرِ[1]

وقيل: الكريمُ يَلِينُ عند استعطافه واللئيم يقسو عند استلطافه

● النهيُ عن الحلْم إذا كانَ يلحقُ منه مَذَلَّة

قال سالم بن وابصة:

إنّ مِنَ الحِلْمِ ذُلّاً أنتَ عارِفُهُ والحلمُ عن قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

قال قيس بن زهير[2]:

وقد يَسْتَجْهِلُ الرجلُ الكريمُ

وقال آخر:

وفي الحلمِ ضعفٌ والعقوبةُ هيبةٌ إذا كنت تخشى كَيْدَ مَنْ عنه تَصْفَحُ

إذا الحلمُ لم ينفعْكَ فالجَهْلُ أَحْزَمُ

قال المتنبي:

وحلمُ الفتى في غَيْرِ موضِعِهِ جَهْلُ

وله:

من الحلم أن تستعملَ الجهلَ دونَهُ إذا اتَّسعتْ في الحلم طُرقُ المظالِمِ

● دفعُ الجهلِ بالجهْل

قال هدبة:

ما إن نفى عنك قوماً أنت تكرَهُهُمْ كَمِثْلِ وَقْمِكَ جُهّالاً بِجُهّال

وقال آخر

ولي فَرَسٌ للحلم بالحِلم مُلْجَمٌ ولي فَرَسٌ للجهْلِ بالجهل مُسْرَجُ[3]

وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً ولكنّني أرضى به حِينَ أُحْوَجُ[4]

وقيل: الشرّ لا يدفعه إلا الشر والحديد بالحديد يفلح.

● من حلمَ وقْتاً ونهى عن الاغترار به

قال بعضهم:

فلا يغْرُرْكَ طولُ الحلم مني فما أبداً تصادِفُني حَلِيمَا

(١) الشراسة: التغلظ وسوء القول وشدّة المخالفة - يقول: إن الشراسة مطيّة الهيبة، ومن لا يقوى على فرض هيبته يتعرض للمخاطر

(٢) قيس بن زهير (ت٦٣١): شاعر من أمراء عبس وحكمائها. قيل له قيس الرأي لصحة رأيه ورجاحته.

(٣) الحلم: ضد الطيش ويقابل به أيضاً الجهل - يقول: إن الحلم في غير موضعه صنوان الطيش والجهل.

(٤) الخدن: الصاحب وخدن الرجل صاحبه.

قال المتنبي:

وأطمَعَ عامِرَ البُقْيا علَيْها ... ونزّقَها احتمالُك والوَقارُ[1]

● وصفُ الحلمِ بأنه مُضِرٌ مُذِلٌّ

قيل: الشهرةُ بالملاءة والخيرُ شرٌ من الاشتهار بالغلظة والشر لأن من عُرِف بالخير اجترأ عليه الناسُ، ومن عُرِفَ بالشر هابه الناسُ وتجنّبوه. وقيل: آفةُ الحلم الذلُّ وقيل للأحنف: ما الحلم؟ فقال: الرضا بالذل.

● كونُ الحلمِ مغرياً

قال معاوية: ما ولدت قرشية خيراً منّي فقال ابن زرارة الكلابية: بل ما ولدت شرّاً لهم منك فقال: كيف؟ قال: لأنك عودتهم عدة يطلبونها ممّن بعدك فلا يجيبونهم إليها فيحملون عليهم كحملهم عليك، وكأنّي بهم كالرقاق[2] المنفوخة على طرقات المدينة.

وقال الأحنف لرجل: ليت طول حلمك عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك.

● النهي عن إكرامِ اللئام

قال يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبةَ حلم؟ قال: ما حلمت عن لئيم وإن كان وليّاً إلا أعقبني ندماً، ولا أقدمت على كريم وإن كان عدوّاً إلا أعقبني أسفاً. قال شاعر:

متى تصنع الكَرامة في لئيم ... فإنك قد أسأت إلى الكرامة

وقد ذهبت صنيعتُهُ ضَياعاً ... وكان جزاء فاعلها النّدامه[3]

وقيل: الكريم يستصلح بالكرامة واللئيم بالمهانة.

قال المتنبي:

إذا أنْتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ ... وإن أنْتَ أكرمْتَ اللئيمَ تمرّدا[4]

فوَضْعُ الندى في موضع السيف بالعُلى ... مُضِرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ النّدى

وقيل: استعمال الحلم مع اللئيم أضر من استعمال الجهل مع الكريم.

● الاستخفافُ بمَنْ لا يصلحه الإكرام

إذا لم تنفع الكرَامَةُ فالإهانة أحزمُ. وقيل: مَنْ لا يصلحُه الطالي أصْلَحَهُ الكاوي مَنْ

---

(١) عامر: قبيلة عامر ـ البقيا عليهم: أي الإبقاء ـ نزقها: جعلها مترفة وعيروبة نزقها أي جعلها طائشة

(٢) الرقاق: جمع رقّ وهو جلد يجزّ ولا ينتف ويستعمل لحمل الماء

(٣) الصنيعة: الإحسان

(٤) يقول: كرم النفس أصالة واللؤم فيها بداله. ولهذا فأنت تمتلك الكريم بإكرامه، بينما يزداد اللئيم لؤماً وتمرداً إن أنت أكرمته.

كان الإكرامُ مُفسِدةً لم تكن الزيادة فيما يفسده له مصلحة. جنّب كرامتك اللئام فإنك إن أحسنت إليهم لم يَشْكُرُوا وإن نزلت بهم شدة لم يصبروا.

قال شاعر:

سأحرِمُكُمْ حتّى يُذِلَّ صِعَابَكم ... وأنجعُ[1] شيءٍ في صلاحِكُمُ الفَقْرُ

قال آخر:

إنّ اللئيمَ إذا رأى ... لِيناً تزايدَ في خُشرابِه

لا تُكْذِبَنْ فَصَلاحُ مَنْ ... جَهِلَ الكرامةَ في هَوانِه

- **الاستعانةُ بالجهلِ عند الحاجةِ إليه**

أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار. وبينما ابن عمر رضي الله عنهما جالسٌ إذ أقبل أعرابي فلطَمَهُ فقام إليه رجل فجلد به الأرض، فقال ابن عمر: ليس بعزيزٍ مَنْ ليْسَ في قومه سفيهٌ. وقيل: احملْ لكلّ كلبٍ كلباً يهرّ دونك، فالعِرض يُصانُ بمثل سفيهٍ يصولُ[2]. وجاء يقول:

لا بُدَّ للسؤدد من أرماحٍ ... ومن سفيهٍ دائمِ النُّبَاح

قال الأحنف:

ومن يحلُمْ وليس له سفيهٌ ... يُلاقي المُعْضِلاتِ مِنَ الرِّجالِ

وقال آخر:

ولا يلبثُ الجُهّالُ أن يتهضّموا ... أخا الحِلْمِ ما لم يَسْتَعِنْ بجهولِ

- **الرخصةُ في عقاب المجرمِ والحثّ عليه**

قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3] وقال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[4]، وجاء أعرابيٌّ إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أتخاف عليّ جناحاً إنْ ظلمني رجلٌ فظلمته؟ فقال ابن عباس: وإن تعفوا أقرب للتقوى ولمن انتصر بعد ظلمه، فأولئك ما عليهم من سبيل.

وقال الشعبي: يعجبني الرجلُ يكافىء بالسيئة السيئةَ، فإذا سِيمَ هواناً[5] أبَتْ له الأنفةُ إلا المكافأة. فبلغ قولُهُ الحجّاجَ فقال: لله درّه[6]. أيْ نفسي بين جنبيه. وقال الجاحظ: مَنْ قابَلَ الإساءةَ بالإحسان فقد خالفَ الربَّ في تدبيره، وظنّ أن رحمته فوق رحمة الله تعالى. والناسُ لا يصلحون إلا على الثواب والعقاب.

---

(1) **أنجع**: أنفع، ونجع نجوعاً الطعام أي استمرأه آكله وصلح عليه فالطعام الناجع هو الذي ينجع عليه وبه.
(2) **يصول**: صال يصول صولاً وصولةً: وثب، سطا عليه، **الصولة**: السطوة.
(3) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٧٩.
(4) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٩٤.
(5) **سيم هواناً**: أي سيم ذلاً.
(6) **لله درّه**: أي لله ما خرج منه من خير.

وضرَبَ الحجّاج رجلاً فقال: اعتديْتَ أيّها الأميرُ فقال: لا عدوان إلا على الظالمين. ووقّع[1] إبراهيم بن العباس: إذا كان للمحسن من الحق ما يُقْنِعُهُ وللمُسيء من النكال ما يَقْمَعُه بذل المحسنُ الحقّ له رغبةً، وانقاد المسيءُ له رهبةً.

● حثُّ القادر على العقاب قبل فوْته

قيل: صمّمْ إذا أيقنت أنك عاقرُهُ[2]، وقال بعض الغسانيين يحرض الأسود بن المنذر على قتل أعدائه:

ما كلّ يومٍ ينالُ المرءُ فُرْصتَهُ ... ولا يسوغه المقدارُ ما وَهَبَا
فأحزمُ النّاس من إن نالَ فرصَتَه ... لم يجعل السببَ الموصول مُقْتَضَبا
لا تقطعَنْ ذنب الأفعى وترسلَها ... إن كنت شهماً فأتبعْ رَأسها الذّنَبَا

دخل الأبرش على هشام لما غضب على خالد القسري فقال: يا أمير المؤمنين أقلّ خالداً عثْرَتَهُ[3] وتدارك بحلمك هَفْوَتَهُ فقال:

مضى السهمُ حتّى لا يريد سوى لحشا ... فصادف ظَبْياً في الحديق رَاتِعا[4]

وكتب يحيى بن خالد إلى الرشيد من الحبس: إن كان الذنب خاصاً فلا تعمم بالعقوبة في سلامة البريّ ومودة الولي، فكتب إليه: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[5]. وقال عبد الصمد للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو، فقال: لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين أقوام قد رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد الهيبةُ في صدورهم إلا باطراح العفو واستعمال العقوبة. وقال لما قتل أبا مسلم: لقد شاركت عبد الملك في قول كثير:

يصُدُّ ويُغْضِي وهو ليثٌ عَرِيةٍ ... إذا أمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ لا يُقِيلُهَا

● التبجُّح[6] بقسْوة القلبِ وقلّة الرحمة

كان محمّد بن عبد الملك بن الزيات يقول: رقة القلب من خور[7] الطبيعة. ولما أمر

---

(1) وقّع: من التوقيع وهو ما يجمل فيه الكاتب مقاصده في الكتاب أو الجواب بحذف الفضول، والتوقيع على هذا مقاصده في الكتاب أو الجواب بحذف الفضول، والتوقيع على هذا النحو من مزيد بين ضروب الكتابة وكان خاصاً تقريباً بالخلفاء والولاة وأصحاب السلطان، وله سمات أهمها البلاغة والإيجاز وسداد الرأي، وإذا اشتهر دخل في باب المأثور والأقوال السائرة.

(2) عقر عقراً: جرح ونحر ـ عقر الإبل: قطع قوائمها ـ عقره عقراً وعقارة: حبسه عن السير.

(3) أقلّ عثرته أو أقاله من عثرته: قدّم له عوناً وأخرجه من ورطته وأنهضه من سقطته.

(4) الحديق: الحديقة، أو البستان عليه حائط. (5) القرآن الكريم: يوسف/ ٤١.

(6) التبجّح: التفاخر، تبجّح في الغنى: توسّع فيه.

(7) خور الطبيعة: أي ضعف الطبيعة البشرية.

الواثق بتعذيبه ويحبسه في تنورٍ من الحديد وطبّقه عليه قال لمعذبه: ارحمني. فردّ الخبر إلى الواثق فقال: أين قول لا تكون الرحمة إلا من خور، ثم تمثل بقوله:

فلا تجزعن من حسنةٍ سنة أنت سَرَّتُها

ووقع في قصة رجل دَعْني من ذِكر الرحمة والاشفاق فما هما إلا للنسوان والصبيان قال المتنبي:

يدخل صبرُ المَرءِ في مدحه ويدخلُ الإشفاقُ في قلبه

● المتمدّحُ بأنه يقابلُ الإساءة بمثلها

قال شاعر

اعلمْ بأنّك ما أسديتَ من حسَنٍ إليّ أو سيءٍ أوفيتُك الثّمَنا

قال مسلم بن الوليد[1]

فإن يكُ أقوامٌ أساؤا فأحسنُوا إليّ فإنّي بالجزاء لراصِدُ

قال الحارثي إذا عفا لم يكن في عفوه من ولا يكدر نعماه، إن سطا عاقب ذا جرم بقدره لا يتعداه.

● أخذُ البريء بجرم السقيم

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[2] قال الحارث بن حلزة[3]

عَنناً باطلاً وظُلماً كما يعـ ـترُ عن حجرة الربيض الظّباءُ[4]

وقال آخر

كذي العرّ يكوى غيرُه وهو راتِعُ[5]

وقال آخر

كالثور يضرب لما عافت البقر

ووقف رجل على الحجّاج فقال: أصلح الله الأميرَ جنى جان في الحيّ فأخذتُ بجريرته وأسقط عطائي. فقال الحجّاج: أما سمِعتَ قول الشاعر

جانيكَ من يجْني عليْك وقدْ يعدي الصّحاحَ مَبارِكُ الجربِ

---

(١) مسلم بن الوليد (ت٨٢٣) من الشعراء العباسيين وُلد في الكوفة ولقب بصريع الغواني. أكثر من البديع في شعره

(٢) القرآن الكريم- الأنفال/ ٢٥

(٣) الحارث بن حلزة: شاعر جاهلي من أهل العراق أحد أصحاب المعلّقات. اشتهر بدفاعه عن قبيلته بكر أمام ملك الحيرة عمرو بن هند

(٤) الربيض: الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها

(٥) العرّ: الجرب ـ راتع: اسم فاعل من رتع أي أقام وتنعم

ولربّ مأخوذٍ بذنب صديقه ونجى المقارفُ صاحبُ الذّنب

فقال: أعز الله الأمير كتاب الله أولى ما اتبع قال الله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾[1] فقال الحجاج: صدقت يا غلام رد اسمه وأثبت رسمه وسن عطاءه.

وقال الحسن رضي الله عنه: عقر الناقة رجلٌ واحدٌ ولكن عم القوم بالعذاب لما رضوا بفعله. وقيل لرجل ما فعلت حتى ضربك السلطان؟ فقال:

وإن امرأً يمسي ويصبحُ سالماً من الناس إلا ما جنى، لسعيدُ

● عذر من بدر منه سخط

قال البحتري

إذا أخرجتَ ذا كرم تخطّى إليكَ ببعضِ أخلاق اللئامِ

● عذرُ من عاتبَ على صَغير

قال رجل من بني يشكر:

تعفو الملوكُ عن العظيم من الذّنوب لفضلها ولقد تُعاقِبُ في اليسير وليس ذاك لجهلها

لكنّ ليعرفَ فضلُها ويُخافَ شدّةُ نكلِها[2]

● فضلُ غلبةِ الخصم بالحجة دونَ البطش

قال معاوية رضي الله عنه عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق. ولمّا ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن أردشير ودعا الناس إلى مذهبه، فأخذه سابور قال له أصحابه: اقتله، قال: إن قتلته من غير أن قطعته بالحجة قال عامة الناس بقوله، ويقولون ملك جبار قتل زاهد ولكني أحاجه فإذا غلبته بالحجة قتلته، ففعل ثم حشا جلده تبناً وصلبه.

(٤)

وممّا جاء في العداوات

●

● الاحتراسُ من غرسِ العداوة

قيل: لا تشتر عداوة رجل واحد بمودة ألف رجل. وفي كتاب كليلة لا ينبغي للعاقل أن تحمله ثقته بقوته على أن يجتر العداوة كما لا يجب لصاحب الترياق أن يشرب السم اتكالاً على أدويته. وقيل: توسّدُ النار وافتراشُ الأفاعي أقل غائلةً ممن أوجس عداوتك فبروح بها.

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/ ٧٩.

(٢) النكل: من نكل نكلة بفلان. صنع به صنيعاً يحذر به غيره إذا رآه

وقيل: احذر معاداة الرجال فالناس رجلان عاقل فاحذر ختله[1] وأحمق فاحذر حمقه.

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم لابنه: إتّقِ معاداة الرجال فإنك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم.

وقيل: الأحقاد مخوفة وأخوفها ما كان في نفس الكبار فإنهم يرون الطلب الوتر[2] مكرمة.

وقال بعضهم في التحذير من العداوة:

سيَعْلَمُ إسماعيلُ أنّ عداوتي ... له سُمُّ أفعى لا يُصابُ دواؤُها

● النهيُ عن الاغترار بالعداوة إذا ظهر الودّ

قيل: العدوّ المبطن للعداوة كالجمر تمنع الدواء وتجتنبُ الداء. قال سديف بن ميمون يحرض بني العباس على بني أمية:

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ ... إنّ تحت الضلوعِ داءً دوِيّا

فَضَعِ السَّيْفَ واطْرحِ السَّوْطَ حتّى ... لا ترى فوقَ ظهرِها أمويّا

وله:

أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـهُ بدارِ الهوانِ والإتعاسِ

ذلّها أظهرَ التوَدّدَ منها ... وبِها منكم كحزّ المَواسي

قال المتنبي:

فلا يغْرُرْكَ ألسنةٌ مَوالٍ ... تُقلّبُهُنّ أفئدةٌ أعادي

وكنْ كالموتِ لا يَرثي لباكٍ ... بكى منه ويَروَى وهو صادِ[3]

وقال آخر:

تعلمُ أنّ أكثرَ ما تُنادي ... وإن ضحكوا إليكَ هُمُ الأعادي[4]

وفي كتاب كليلة: لا يغرُّ العاقل سكونُ الحقد في القلب ما لم يجد محركاً كالجمر المكنون، ما لم يجد حطباً. والعداوة إذا وجدت فرصة شتعلت فلا يطفئها شيء دون النفس.

● النهيُ عن السّكونِ إلى من يخافك

من خاف شرّكَ أفسدَ أمرك وَمَنْ خاف صولتك ناصب دولتك. قال معاوية: من خاف اساءتك اعتقد مساءتك.

---

(1) الختل: الخداع. (2) الوتر: قطعة من أدم تقدّ سيوراً.

(3) صاد: من صدي يصدى صدًى: عطش عطشاً شديداً.

(4) يحذرنا الشاعر من الانخداع بتزلف الأعداء أو ملاطفتهم لأن وراء ضحكهم أو رفقهم يكمن سمّ العداوة الناقع إنّ الأعداء أكثر الناس سخرية وشماتة.

● النهيُ عن السكونِ إلى من تقدّم منك له إساءة

قيل: إذا أوحشت الحرّ فلا ترتبطه فإن ربطته فلا توحشه. لمّا قدم عبد الملك المدينة خطب فقال: والله ما تحبوننا ولا نحبكم ونحن أصحاب يوم الحرة وإنما مثلنا، كما قال النابغة[1]:

أبى لكَ قبرٌ لا يزال مواجهاً ... وضربةُ فأسٍ فوق رأسي فاقرةُ[2]

وحديث ذلك أن العرب زعمت أن حيةً كانت في بيت رجل فقتلته فترصّدها أخوه ليقتلها طالباً ثأره فقالت له الحية: صالحني على أن أؤدي إليك كل يوم ديناراً ففعل. فلما كثر ماله تذكر دخله فأعد فأساً وترصّدها فرماها وأشواها، فقطع ذنبها فأفلتت وندم الرجل لما لم ينل ثأره، وفاته ما كان يناله فدعاها يوماً إلى المراجعة على أن يصالحها فقالت: لا يقع الصلح بيننا ما رأيت قبر أخيك وأرى أثر فأسٍ في ذنبي

وحُكي أن رجلاً كان له عبد سندي متعرض لامرأته فعلم الرجل بذلك فأخذه وجبّه[3] ثم تحوّب[4] لذلك فداواه. فلما برأ اتفق أن غاب الرجل يوماً فعمد السندي المجبوب إلى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور فلما بصر بالرجل قال: والله إن لم تجبّ نفسك كما جببتني لأقذفنهما من السور ليموتا، وإن نفسي لأهونُ من شربة ماء. فلما رأى الرجل منه الجدّ جبّ نفسه فرمى العبد بالابنين من السور، وقال: إن جبّك نفسك قصاص لما جببتني وقتل ابنيك زيادة أعطيتكها

● التحذيرُ من عدوٍّ قاهر

قيل: أحذرُ الناس أن يُحذر عدوٌّ قاهر وسلطانٌ جائر. وقيل: إياك ومعاداة من إن أرادك بسوء أرداك[5]، وإنْ أردته بسوء لم تُرجع إلا حشاك. وقيل: لا تعادِ من غيظك عليه غيظ الأسير على القدّ

● النهيُ عنِ الاستعانةِ بمَنْ ظلمتَه

قيل: العدوّ عدوان عدوّ ظلمته وعدو ظلمك، فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما فاستعن بالذي ظلمك فإنه أحرى[6] أن يعينك وإن الذي ظلمته موتور[7]

---

(1) النابغة الذبياني (ت ٦٠٤م) من فحول شعراء الجاهلية، أقام في بلاط ملوك الحيرة أسخط النعمان أبا قابوس ولجأ إلى ملوك غسان ثم عاد إلى الحيرة معتذراً. أشهر شعره: المعلقات والاعتذاريات

(٢) ترصّدها: ترقّبها، يقال ترصّد له: قعد له على طريقه ليوقع به

(٣) جبّه: قطعه، والمراد هنا جرحه فأدماه وأذلّه.

(٤) تحوّب: توجّع، والأصوب أن يقال تحرّج من ذلك

(٥) أرداك: قتلك أو رماك فقتلك

(٦) أحرى: أولى وأجدر.

(٧) الموتور: المصاب بظلم أو مكروه

● النهيُ عن استصغارِ العدوّ

قيل: لا تستصغرنّ أمر عدوك إذ حاربته لأنك إن ظفرت به لم تُحْمَدْ وإن ظفر بك لم تُعْذَر. الضعيفُ المحترسُ من العدوّ القوي أقربُ إلى السلامة من القوي المغتر بالعدوّ الضعيف.

وقيل: العدو المحتقر ربما اشتد كبعض الصغر مما صار شوكاً، وقيل: لا تأمنن العدوّ الضعيف إن تورطك فالرمح قد يقتل به وإن عدم السنان والزجّ[1]، قال شاعر:

لا تحقرني فربّما نفذت ... في ردمٍ يأجوج جيدة الجُرَدِ[2]

قال الموسوي

الفيل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض. وفي المثل إذا عز أخوك فهن وإذا لم تغلب فاخطب. لا يُتقى العدو ويقوي بمثل الخضوع واللين فمثل ذلك كمثل الريح العاصف، تقلع الأشجار العظام لتأبيها عليها، ويسلم منها النبات اللين لتمايله معها، قال سليمان بن وهب:

عززك الدهرُ بما تهوى فَهُنْ ... وإذا ما أخشن الدهرُ فَلِنْ[3]

لا تُغاسِرْهُ وخذ مَيْسورهُ ... وتمتّنْ منه في كل فَنْ[4]

قال المأمون لأبي دلف: شد ما استخفيت للكسن بن رجاء. فقال: يا أمير المؤمنين ذلك بما وهبت له من القدرة وصحبه من حداثة القدرة، وكانت الطاعة تعارض الانتصار منه وخفت أن يكون من قدرته ما يميل بي عنه فلا أجد لذلك عوضاً فسلمت قال ابن نباتة[5]:

وإذا عجزتَ عن العدوّ فدارِهِ ... وامزحْ له إن المزاحَ وفاقُ[6]

فالنارُ بالماء الذي هو ضدها ... تُعطي النضاجَ وطبعُها الإحراقُ[7]

● حَمْدُ المداجاة طلباً للفرصة

قيل لابن القرية: ما الدهاء؟ فقال: تجرع الغصة، وتوقع الفرصة، وقيل: من تمام

---

(١) الزّج: حديدة في أسفل الرمح ويقابله السنان ـ زجّه بالرمح: طعنه.

(٢) يأجوج (ومأجوج): سد عظيم جبّار زعم أنه من حديد، وقد نسب بناؤه إلى الإسكندر بناه لحماية شعب اسمه يأجوج ومأجوج كان قد استنجد به. وقيل بل هذا السدّ هو حائط أو جدار الصين الأكبر. ويأجوج ومأجوج أيضاً عدوان يهاجمان في آخر الأزمنة أتباع مسيح عليه السلام وقد ورد ذلك في الكتاب المقدّس.

(٣) أخشن الدهر: صار خشناً.

(٤) لا تعاسره: لا تلتوي عليه أو تعانده ـ الميسور منه: المتيسّر منه أو المتاح.

(٥) ابن نباتة: هو محمد المصري (١٢٨٧ ـ ١٣٦٦) من شعراء مصر. أقام بدمشق زماناً له ديوان سرح العيون في شرح ديوان ابن خلدون.

(٦) و (٧) داره: الأمر من دارى يداري مداراة، أي لاطفه وجامله ـ يدعو إلى مجاملة العدو ومداراته مشبّهاً أثر ذلك في درء خطر العدوّ بأثر الماء في النار للحدّ من إحراقه.

الأدب أن تستر العداوة إلى وقت الفرصة لئلا يستصلح لذلك. قال أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه: انكى الأشياء لعدوك أن لا تُعْلِمَهُ أنك اتخذته عدواً. وقيل: لا يكونَنّ سلاحك على عدوك أن تُكْثِرَ ثَلْبَهُ وقصه فإنك تخبر عن حرمه وعجزك، ولكن دامجه حتى تبادره بالكظم وتساتره بالختل. قال التنوخي:

إلْقَ العدُوّ بوجهٍ لا قطوبَ به ... يكادُ يقطرُ من ماءِ البشاشاتِ
فأحزمُ الناسِ مَنْ يلقى أعاديه ... في جسمِ حقدٍ وثوبٍ من مودّاتِ

وقيل: إذا لم تجد لشفرتك محزاً فلا تضعها في صلاة فتكلها

● المتبجح بإظهار الليان وإبطان العداوة

قال عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو الأشدق سكنته ليقلّ منه نفره، فأصول صولة حازم مستمكن. قال حميد الأكاف:

وإني ليَلْقاني العَدوّ مواصلا ... فيحسَبني منه أبَرّ وأوْصلا
أجرُّ له ذَيْلي لأدركَ فرصتي ... ويحسَبُني في جرّ ذَيْلي مُغَفّلا

قال المتنبي:

وجاهلٍ مدّه في جهلهِ ضحكي ... حتى أتته يدٌ فرّاسةٌ وفمُ

وقال آخر:

أجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرى ... صدورَهم بادٍ على مِرَاضِها[1]

● وصفُ عدوٍّ يكاشرك إذا حضرك

قال عمرو بن جابر الحنفي:

يكاشرني وأعلمُ أنّ كِلانا ... على ما ساءَ صاحبَهُ حريصُ[2]

قال عمرو بن أم عاصم:

كلٌّ يداجي على البغضاءِ صاحبَه ... ولن أعالِنَهم إلا كما عَلَنوا[3]

قال المثقب:

إن شَرّ الناسِ مَنْ يكشرُ لي ... حينَ ألقاه وإن غِبْتُ شَتَمْ[4]

قال ابن الرومي:

يبيحُ لي صفحةَ السلامة والسّلمِ ويُخْفِي في قلبه مرضا[5]

---

(١) مراصها: من به مرض. (٢) يكاشرني: يضاحكني.
(٣) يداجي على البغضاء: من المداجاة وهي المداراة وستر العداوة.
(٤) يكشر لي: أي يضحك كاشفاً عن أسنانه.
(٥) قوله: يخفي في قلبه مرضاً. أي يخفي عداوته

وقال المتنبي:

أبدو فيسجُد من بالسّوء يذكُرُني ... ولا أعاتبُه صفحاً وإهوانا

وقيل لأعرابي: كيف فلان فيكم؟ فقال: إذا حضر هِبناه وإن غاب اغتبناه[1] قال ذاك هو السيد فيكم.

● من نظرة بنيء عن عداوته

وقال زهير:

الودّ لا يَخفَى وإن أخفيتَهُ ... والبُغْضُ تُبديه لك العَيْنانِ[2]

وقال آخر:

ستورُ الضمائرِ مهتوكةٌ ... إذا ما تلاحظت الأعيُنُ[3]

وذكر أعرابي قوماً فقال: ما زالت عيون العداوة تتجهم فتمجها أفواههم وأسباب المودة تخلق من قلوبهم فتخرس عنها ألسنتهم حتى ما لعداوتهم مزيدُ.

● العداوةُ المستورةُ والتحذير منها

قال الشاعر:

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغُنٌ ... كما طرّ أوبار الجراب على النشرِ[4]

وقال آخر

وقد ينبُتُ المرعى على دمن الثّرى ... وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا

وقال أبو نواس

كمونُ الشنآن فيه لنا ... ككمونِ النّار في حجره

وقال المتنبي:

وإنّ الجرح ينفرُ بعد حينٍ ... إذا كان البناءُ على فسادِ

وقيل هدنة على دخل وجماعة على أقذاء. قال شاعر:

ومستحسرٌ عنّا يريدُ لنا الرّدى ... ومستحسراتٌ والعيونُ سواجِمُ[5]

---

(١) اغتبناه: من اغتابه اغتياباً أي عابه وذكره بما فيه من السوء.

(٢) الودّ: المودّة والحب - تبديه: تظهره أو تكشف عنه.

(٣) يقول: إن تلاحظ العيون أي تشاكلها وتشابهها يكشف عن الضمائر ويهتك ستورها وحجبها ويظهرها على حقيقتها ويفضح مكنونها.

(٤) أوبار: جمع وبر، والوبر للإبل كالصوف للغنم - جراب: وعاء من جلد.

(٥) سواجم: سجم الدمع: سال.

وفي كتاب كليلة: لا تأمن عدوك على مكنون سرك فكمون عداوته ككمون الجمر في الرماد إذا وجد فرصة اشتعل.

● **ثباتُ العداوةِ الجوهرية**

في كتاب كليلة: ليس بين العداوة الجوهرية صلح وإن اجتهد فالماء وإن أطيل إسخانه فليس يمتنع من إطفاء النار إذا صُبَّ عليها. وحُكِيَ أنّ أعرابياً أخذ جرو ذئب فرباه بلبن شاة عنده، **وقال**: إذا ربيته مع الشاة يأنس بها فيذب عنها ويكون أشد من الكلب ولا يعرف طبع أجناسه، فلما قوي وثب على شاته فافترسها، **فقال الأعرابي**:

أكلتَ شويهَتي وربيتَ فينا ... فما أدراكَ أنّ أباكَ ذِيبُ[1]

ورُوي أن النبي ﷺ **قال**: الود والعداوة يتوارثان، **وقيل**: لكل حريق مطفىء فللنار الماء وللئيم المداراة وللحزين الصبر وليس للحقد الغريزي دواء.

● **المسرةُ بوقوع المعاداة بين أعدائك**

في كتاب كليلة: من حق العاقل أن يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفراً حسناً. ومن اشتغال بعضهم ببعض خلاصُه منهم وفي الأدعية المجمع عليها: اللهمّ أخذلْ الكافرين وأوقع بينهم العداوة والبغضاء.

● **دنيء يعاديك بلا سبب**

قال عبد الصمد:

رُبَّ مَن يُنْضجُه أمري ... وهوَ لم يخطُرْ ببالي

قلبُه ملآن من ذكري وقلبي منه خالِ

قال الموسوي:

واتعَبْ من عاداك مَنْ لا تُجيبُهُ ... واغيَظُ من عاداكَ مَنْ لا تُشاتمُ

● **تأسّفُ مَنْ يعاديه لئيمٌ أو دنيء**

قال علي بن الجهم:

بلاءٌ ليس يشبهُهُ بلاءٌ ... عداوةُ غيرِ ذي حسَبٍ ودينِ

يبيحُكَ منه عرضاً لم يَصُنْهُ ... ويرتَعُ منكَ في عِرضٍ مَصُونِ

ولما حاصر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة أن يبارزني فقال: لا أفعل فقال ابن هبيرة[2] لأشهرنَّ امتناعك ولأعيّرنك به فقال المنصور مثلنا ما قيل: إن خنزيراً بعث

---

(١) **الشويهة**: الشاة الصغيرة. ذيب: مخفّف ذئب.

(٢) **ابن هبيرة**: أبو المثنى عمر قائد أموي ولاه يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان. مات سنة ١١٠هـ (٧٢٨م)، قتله السفّاح.

إلى الأسد وقال قاتلني فقال الأسد لست بكفؤي ومتى قتلتك لم يكن لي فخر وإنْ قتلتني لحقني وصم[1] عظيم. فقال لأخبرنّ السباع بنكولك[2] فقال الأسد: احتمالُ العارِ في ذلك أيسرُ من التلطخ بدمك، ومن عذر من يخاصم دنيئاً ويدعمه قولُ المتنبي:

إذا أتَـتِ الإسـاءةُ مـن وضـيـعٍ ... ولـم ألُـمِ الـمُـسيءَ فَـمَـنْ ألُـومُ؟

● الحثُّ على العداوة بالفِعْل لا القول

قيل: غضبُ الجاهلِ في قوله وغضبُ العاقلِ في فعله. وولي أبو مسلم رجلاً ناحية فقال له: إياك وعصبية السفلة فإنها في ألسنتها وعليك بعصبة الأشراف فإنها تظهر في أفعالها.

● الحثُّ على إماتة الحِقْد

أرسطوطاليس[3] استعدَّ لإخماد[4] لهب العداوة بالأناة قبل تلهّب ناره فإن إطفاءه قبل انتشاره سهلٌ يسيرٌ، وقيل: ما أحسن بالرجل أن يحسن مداراة عدوه حتى يطفىء سورة[5] ناره وقال بعض أصحاب المأمون يوماً إن عجيف بن عنبسة خبيث النية رديء السريرة[6]، وأراك قد قربت مجلسه. فقال: والله لأحسنن إليه ولأتفضلن عليه حتى أكون أحب الناس إليه. فلم يزل يختصه حتى صار يبذلُ دونه مُهْجَتَهُ

● مدحُ الحِقْد وذويه

وصف أعرابي حقوداً فقال: يَحْقِدُ حِقْدَ من لا ينحلُّ عقدَهُ ولا يلين كيدُهُ، وقال يحيى لعبد الملك ابن صالح: إنك حقودٌ فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر إنهما عندي لثابتان، فلما قام قال يحيى ما رأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواه وقيل لرجل: أنك لحقود، فقال:

وإن امرأً لم يحقدِ الوتر لم يكُنْ ... لديْه بذي النعماءِ جزاءٌ ولا شُكْرُ

قال ابن الرومي:

وما الحقدُ إلا توأمُ الشُكْرِ في الفتى ... وبعضُ السجايا ينتسبْنَ إلى بعض
إذا الأرضُ أدّتْ ريْعَ ما أنت زارعٌ ... من البذرِ فيها فهي ناهيكَ من أرْضِ

---

(١) الوصم: العار. (٢) النكول: الجبن والنكص.

(٣) أرسطوطاليس: أو أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) فيلسوف يوناني، تأثرت به بوادر الفكر العربي، أهم مؤلفاته: الخطابة، كتاب ما بعد الطبيعة، النفس.

(٤) إخماد لهب العداوة: إخمادها وإطفاؤها.

(٥) سورة ناره: حدّتها، والسّورة أو السّؤرة أثر الشيء وارتفاعه.

(٦) السريرة: الطوية والنيّة.

قال الأخطل:

شُمْسُ العداوة حتى يُستقَاد لَهُمْ[1]

● ذمّ الحِقْد وذويه

قال النبي ﷺ: ترفع أعمال العباد فترفع إلى الله في كل جمعة فيغفر للمستغفرين ويرحم المترحّمين ويترك أهل الحقد لنيتهم. وقيل للأحنف: من أسود الناس فقال: الأخرق في ماله المطرّح لحقده.

● أسبابُ العَدَاوات

شكا رجل إلى سهل بن هارون عدوة رجل فقال: العدوة تكون من المشاكلة والمناسبة والمجاورة واتفاق الصنائع فمن أيها معاداته لك وقال رجل لآخر إني أخلص لك المودة، فقال: قد علمت. قال كيف علمت وما معي من الشاهد إلا قولي. قال إنك لست بجار قريب ولا بابن عم نسيب ولا بمشاكل في صناعة، وقيل لمشبب بن شبة: ما بال فلان يعاديك فقال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة، وقيل: كل عداوة لعلة فإنها تزول بزوال العلة وكل عداوة بغير علة فإنها لا تزول.

● عداوةُ الأقارِب

قيل: عداوة الأقارب كالنار في الغابة. ما النار في الفتيلة بأحرق من تعادي القبيلة. وقيل: عداوة الأقارب كلسع العقارب. قال: إنّ الأقارب كالعقارب بل أضرّ من العقارب. وسُئل بعضهم عن بني العم فقال: هم أعداؤك وأعداء أعدائك، ولهذا باب في الأقارب.

● من لا يُبالي بعدَاوته

قال الأعشى[2]:

ألستَ منتهياً عن نحتِ أثلتنا ... ولستَ ضائرَها ما أطّتِ الإبلُ[3]

كناطحٍ صخرةٍ يوماً ليوهنَها ... فلم يضرها وأوهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

وقال كشاجم:

تبارزُني ونفسُكَ في رصَصٍ ... وكَمْ يَبْقَى على النّار الرّصاصُ

---

(1) هذا شطر بيت للأخطل في مدح بني أمية يقول فيه إنّ ممدوحيه شديدو العداوة حتى يخضع لهم الآخرون، وأما شطر البيت الثاني فهو قوله:

وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

يشيد فيه بسماحتهم وعفوهم عند المقدرة.

(2) الأعشى: (ت ٦٢٩م) شاعر جاهلي عرف بالأعشى الأكبر، ولُقّب بصناجة العرب، لسيرورة شعره.

(3) الأثلة: ما هو موروث من مال أو شرف. أطّت: صوّتت.

وقال الحجاج: أهل العراق أهل الشقق والنفاق ومساوىء الأخلاق. ثلثٌ من الدين مارق وثلثٌ منافق وثلثٌ سارق. والله لو عاديتموني لما ضررتموني وما مثلي ومثلكم إلا كما قيل:

فرأيك لو أبغضتني ما ضررتني ... ولو رُمتَ نفعاً ما وسعتَ لذلك

(٥)
ومما جاء في الحسد

•

• حدّ الحَسَد

قيل: الحسد أن تتمنى زوال نعمة غيرك والغبطة أن تتمنى مثل حال صاحبك وقال ﷺ المؤمن يغبط والمنافق يحسد. وقيل: الحسد خلق دنيء. وقال ابن المعتز: الحسد من تعاطي الطبيعة واختلاف التركيب. وقيل: الحسد داعية النكد.

• استعظامُ الحسدِ من بين الذنوب

قال ابن السماك: إن الله تعالى أنزل سورة جمعها عوذة لخلقه من صنوف الشر فلما انتهى إلى الإعاذة من الحسد جعلها ختاماً إذ لم يكن بعده في الشر نهاية. الحسدُ أول ذنب عصى الله به في السماء والأرض.

قال ابن المقفع: الحسد والحرص دعامتا الذنوب فالحرص أخرج آدم عليه السلام من الجنة والحسدُ نقل إبليس من جوار الله تعالى. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: رفع البركة عن خمسة عن الناكث والباغي[1] والمحسود والحقود والحائن. وقال ﷺ: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

• النهيُ عن الحَسَد

رُوي أن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى أن يعلمه كلمات ينتفع بها، فأوحى إليه أني معلِّمك ستّ كلماتٍ لا تغتابن عبادي وإذا رأيت أثر نعمتي على عبد فلا تحسده فقال: يا رب حسبي أنا لا أقوم بهاتين من حسد من دونه قل عدوه ومن حسد من فوقه أتعب نفسه.

• كونُ الحسد ضارّاً لصاحبه

قال علي كرم الله وجهه: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس دائم وعقل

---

(١) مثّل الشاعر المعنى في البيت السابق مشبهاً العاجز عن إيذائه وإلحاق الضرر به، بالوعل الذي ينطح الصخرة فهو لا يضرها بل يوهي قرنه.

هائم وحزن لازم وقال أيضاً لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقيل: الحسود لا يسود. وقال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك. وقيل: لا راحة لحسود ولا وفاء لملول الحسود غضبان على القدر والقدر لا يعتبه. ولمنصور الفقيه:

ألاَ قُلْ لِمَنْ باتَ لي حاسِداً أتدري على مَن أساتَ الأدَبْ
أسأتَ على الله في حُكْمِه إذا أنت لم ترضَ لي ما وَهَبْ

وُجِدَ على بساط لملك الروم البخيل مذموم، والحسود مغموم، والحريص محروم. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الحسد والنكد[1] أيهما شر؟ فقال: الحَسَدُ داعية[2] النكد بدلالة أن إبليس حسد آدم عليه السلام فصار حسده سبب نكده فأصبح لعيناً بعد أن كان مكيناً[3].

● صعوبةُ إرضاءِ الحاسِد

قال معاوية: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي. وقيل لزادان فروخ: أي: عدو لا تحب أن يعود صديقاً؟ قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلا زوال نعمتي. قال المتنبي:

سوى وجعِ الحسّادِ داوِ فإنّه إذا حلّ في قلبٍ فليسَ يحولُ[4]

وقال البغا:

ومن البليّة أن تداوي حقدَ من نِعَمُ الإلهِ عليكَ من أحقادِه

● وصفُ الحسَد بأنه أعظمُ عداوة

قال أبو الضياء: إذا أراد الله أن يسلّط على عبده عدوّاً لا يرحمه، سلط عليه حاسداً. وقال بعضهم: ما ظنك بعداوة الحاسد وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

● صعوبة شماتة الحساد

سأل بعض الملوك جماعة من الحكماء عن أشد ما يمرّ على الإنسان، فقال بعضهم: الفقر، وقال آخرون: الفقر في الغربة، وقال غيرهم الغربة مع المرض. ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله شماتة العدو ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله رحمة العدو للمرء من نكبة تناله. فقال:

وحسبُكَ مِنْ حادثٍ بامرئٍ ترى حاسِديه له راحمينا

---

(١) النكد: قلة الخير. (٢) داعية النكد: سببه.
(٣) مكيناً: قوياً وراسخاً، من مَكُن أي ارتفع وصار ذا منزلة.
(٤) يقول: إن أشد المصائب وقعاً على المرء أن يشمت به حساده.

قال ابن أبي عيينة:

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى ... وتزولُ غيرَ شماتةِ الحُسَّادِ

قال الخبزارزي[1]:

شماتتُكُمْ لي فوقَ ما قدْ أصابَني ... وما بي دخولُ النار بل طنزُ مالِكِ[2]

● الحسدُ يظهرُ فضلَ المحسود

قال البحتري:

ولن يستبينَ الدهرَ موضعُ نعمةٍ ... إذا أنتَ لم تدلُلْ عليها بحاسدِ

وقال أبو تمام:

وإذا أرادَ اللّهُ نشرَ فضيلةٍ ... طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسُودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ... ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العُودِ[3]

وفي مثله

يُبينُ فضلَ الشيءِ مَنْ عاداه[4]

وقال:

فضلُ الفتى يُغري الحسود بسبّه ... والعودُ لولا طيبهُ ما أُحْرِقا[5]

● الفضائلُ مقتضيةٌ[6] للحسد

قيل: لا يفقد الحسد إلا من فقد الخير أجمع، فمنبعُ الحسد مقرّ النعمة

قال شاعر:

وحداةُ كلِّ مروءةٍ حسّادُها[7]

قال البحتري:

وليس يفترقُ النعماءُ والحسدُ

وقال آخر

وترى الكريمَ محسّداً لم يجترمْ ... شتمَ الرجالِ وعرضُهُ مشتُومُ

---

(١) الخبزارزي: هو نصر الخبزارزي من شعراء الغزل في البصرة في القرن الثالث الهجري، سمي بالخبزارزي لأنه كان يخبز الأرز بمربد البصرة. ومع أنه كان أمياً فقد كان غزله مشهوراً يتناقله الناس مات سنة (٩٣٨م)

(٢) الطنز: السخرية

(٣) العرف: الرائحة، ولا سيما الرائحة الطيّبة

(٤) يبين: يُظهر ويكشف

(٥) العود: أي عود البخور

(٦) مقتضية: موجبة

(٧) حداة كلّ مروءة: ما هو بحداثها أي بإزائها

ومرّ قيس بن زهير ببلاد بني غطفان فرأى ثروة فكره ذلك، فقال له الربيع ألاَ يسرّك ما يسرُّ الناس؟ فقال: إن مع الثروة التحاسد والتخاذل ومع القلة التحاشد والتناصر، وقيل لبعض المهالبة: ما أكثر حسادكم؟ فقال:

إن العرانينَ تلقاها محسدةً ... ولن ترى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادًا[1]

قال ابن المعتز:

المجدُ والحسّادُ مقرو ... نانِ، إن ذهبوا فذاهب
وإذا ملكتَ المجدَ لم ... تملكْ مودّاتِ الأقاربِ

قال الموسوي:

عاداتُ هذا الدهرِ ذمُّ مُفْضِلٍ ... وملامُ مِقدامٍ وعذلُ جوادِ

● المحسودُ لفضلِه

قال شاعر:

حسدُوا الفتى إذ لمْ ينالُوا سَعْيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ[2]
كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهِها ... حسداً وبغضاً إنه لدميمُ[3]

قال ابنُ المعتز:

ومن عجبِ الأيامِ بغيُ معاشرٍ ... غضابٍ على سبقي إذا أنا جئتُ
يُغيظُهُمْ فضلي عليهم ونقصُهُمْ ... كأني قسمتُ الحظوظَ فحابيتُ

● الدعاءُ للإنسانِ بأن يكونَ محسوداً

قال شاعر:

لا ينزعُ اللّهُ منهم ما له حُسِدُوا

وقال آخر:

لا زلت عرضَ قرير العين محسودا

وقال آخر:

لا زالَ مكتسياً سِرْبالَ محسُودِ

وقال آخر:

ولا برحتْ نعمتك داءَ حسودِها[4]

---

(١) العرانين: جمع عرنين وهو السيد الشريف.

(٢) و (٣) إذا لم ينل القوم ما ينال الفتى من السعي و يكسب مانو، أعداء له وحسّاداً. فحساد الفتى كضرائر الحسناء الذين يعميهم الحسد عن رؤية الحسن في وجهها فيصفونه بالدمامة

(٤) النعمى: النعمة وخفض العيش والمال واليد البيضاء الصالحة

وقيل في الدعاء: حسد حاسدك. وقال بعض أهل اللغة: ولا يقال حاسد حسدك لأنه يصير دعاء للحاسد.

● ذمّ من لا يحسد

قال:

ولـن تـرى لِـلِـئـام الـنّـاس حُـسّـادا

الحارثي

وأسـوأ أيـامِ الـفـتـى يـومٌ لا يـرى ... مـا أحداً يُزْري عـلـيـه ويُـنْـكِـرُ[1]

● دنيءٌ يحسد سريّا

قال مروان بن أبي حفصة[2]:

ما ضرّني حَسَدُ اللئامِ ولم يزلْ ... ذو الفضلِ يَحسدهُ ذوو التّقصيرِ

قال أبو تمّام

لـكـلّ كـريـمٍ مـن الألائـم قـومِـه ... على كلِّ حالٍ حاسدونَ وكُشَّحُ[3]

● من يحسُدُ الذين تصلُ إليهم نعمُه

قيل: توصل رجل إلى إبليس فقال له: لي إليك حاجة إن لي ابن عم ذا ثروة وله إحسان كثير إلي وتوفر علي ولي بمالِه نفع بين... لكني أريد أن تزيل نعمتَه، وإن افتقرت بفقره. فقال إبليس لأصحابه مَنْ أراد أن يرى من هو شر منّي فلينظر إليه. وقيل لرجل أتحسد فلاناً وهو يواليك ويكرمك؟ فقال نعم حتى أصير مثله أو يصير مثلي. قال المتنبي

وأظلَمُ أهلِ الأرضِ مَنْ باتَ حاسداً ... لـمَـنْ بـاتَ فـي نـعـمـائِه يتقلّبُ

قال ابن الرومي:

يا مَنْ يـعـادي الـسـمـاءَ إن رفعَت ... كلّ خيرِها تحتها ودعْ نَكَدَكْ[4]

● المكذب بأفعاله قول الحساد

يكذّبُ قولُ الحاسدين سماحتي ... وصبري إذا ما الأمرُ عضّ فأضجعا

قال لبيد:

بنو عامرٍ من خيرِ حيٍ علمْتمُ ... وإنْ نـطَـق الأعـداءُ زوراً وبـاطـلا

---

(١) يزري عليه: يضع من حقّه ويعيبه.

(٢) مروان بن أبي حفصة من شعراء بغداد، كان يهودي الأصل. كانت ولادته سنة (٧٢١م) وتوفي سنة (٧٩٨م).

(٣) الألائم قومه: لئامهم ـ الكُشّح: المبغضون، جمع كاشح ـ يقول: إنّ الكريم عُرضة لحسد قومه اللئام.

(٤) نكدك: قلّة عطائك، يقال نكد فلانا حاجته: منعه إياها.

● **تبكيتُ الحاسد وحثّه على أن يفعل فعلَ محسود لينال منزلته**

قال البحتري:

لا تحسُدوه فضلَ رتبتِه التي ... أعيَتْ عليه وافعلُوا كفعالِه

قال السري الرفّاء:

نالتْ يداهُ أقاصي المجدِ الذي ... بسطَ الحسودُ إليه باعاً ضيّقا

أحسدوه هلْ للسِّماكِ جريرةٌ ... في أن دنوتَ من الحضيضِ وحلّقا

أم هل لمَنْ ملأ اليدينِ من العُلا ... ذنبٌ إذا ما كنتَ منه مُمْلِقا[١]

● **استراحةُ من لا يحسد وطيبُ عيشه**

الفضل لمن نبذ الحسد وأراح الجسد ولزم الجدد[٢] **قال البحتري:**

مستريحُ الأحشاءِ من كلِّ ضغنٍ ... باردُ الصدرِ من غليلِ الحَسُودِ[٣]

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه عمرٌ كثير، **فقلت:** أراك حسَنَ الحال في جسدك **قال:** نعم تركتُ الحسَد فبقيتْ نفسي. وهذا من قول سقراط: الحسدُ يأكلُ الجسد. **قال الفضيل:** لا يستريح قلبك حتى يترك كلَّ لذيذ. **وقيل:** من دعته نفسه إلى ترك الدنيا فلينظر هل يحسدُ أحداً فإن حسد كان تركُه عجزاً لأنه لو زهد فيها ما حسد عليها

● **الممدوحُ بأنه لا يحسد**

وقف الأحنف على قبر الحارث بن معاوية **فقال:** رحمك الله كنت لا تحقر ضعيفاً ولا تحسد شريفاً

قال التنوخي:

فما نُشِرتْ أعراضُهُمْ عن معائبٍ ... ولا طُوِيَتْ منهم قلوبٌ على حِقْدِ

وأنّى يكونُ الحقدُ والناسُ دونَهم ... ولا حقدَ إلا أن يكونَ على نِدِّ[٤]

● **من جلّ عن أن يُحسَد أو يُعادى**

قال ابن الرومي:

ما أنتَ بالمحسودِ لكنْ فوقَه ... إنّ المبينَ الفضلَ غيرُ محسَّدِ

---

(١) **مملقاً:** معوزاً، شديد الفقر والمملق الذي أعلق ماله حتى افتقر. نكد العيش: عسره وشدّته

(٢) **الجدد:** الأرض المستوية، وفي المثل: من سلك الجدد أمن العثار

(٣) **الضغن:** الحقد، والضِّغن أيضاً الميل والعوج. الغليل: شدّة العطش وهنا حرارة الضغينة والحقد

(٤) **أكون على ندّ:** (بفتح النون) النَّدّ (هنا): الأكمة والمرتفع، والعود الذي يتبخر به، والنِّدّ (بكسر النون) المثل جمع أنداد

فتحاسدَ القومُ الذين تفاوتتْ طبقاتُهم وتقاربُوا في السؤددِ
فإذا أبرّ أميرُهم وبدا لهم تبريزُه في فضله لم يُحْسدِ[1]

وقال أبو تمام:

وسَمَحْتَ في الدّنيا فما لَكَ حاسدُ

● **الحثُّ على التحرز[2] من حسد السلطان**

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن الرجل إذا ملك زهّدهُ اللّهُ فيما في يده ورغَّبهُ فيما لغيره وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير. لما فرغ جعفر ابن يحيى من بناء قصره صار إليه وجوه أصحابه وفيهم مؤنس بن عمران وكان رجلاً كاملاً فاستحسنوه، ومؤنس ساكت. **فقال جعفر**: لِمَ لا تتكلم؟ **فقال**: فيما قالوه كفاية. فألحّ عليه أن يقول شيئاً **فقال مؤنس**: أتصبر على الحق والصدق؟ قال: نعم. فقال: إن خرجت ومررت بدار لبعض أصحابك تشبهها أو تعرفها، ما أنت قائل؟ **قال**: قد فهمت فما الرأي؟ **فقال له**: تأتي أمير المؤمنين وتقول: إني قد بنيت هذا القصر للمأمون واتحفه من الكلام ما أنت أعلم به. فسأله الرشيد عن خبره **فقال له** ذلك، **وقال له**: إني استعملت لكل بيت من الفرش ما يليق به، فزال عن قلب الرشيد ما خامره.

وقال الشعبي: وجهني عبد الملك إلى ملك الروم فلما انصرفت دفع إلي كتاباً مختوماً فلما قرأه **عبد الملك** رأيته تغيّر **وقال**: يا شعبي أعلمت ما كتب هذا الكلب، **قلت**: لا. **قال**: إنه كتب لم يكن للعرب أن تملك إلا من أرسلت به إلي. **فقلت**: يا أمير المؤمنين إنه لم يرك ولو رآك لكان يعرف فضلك، وإنه حسدك على استخدامك مثلي. فسُرّي عنه. **وقيل**: إذا أردت أن تسلم من حسد سلطانك فعمّ عليه محاسنَ شأنك.

● **ما لا يستقبحُ فيه الحسدُ**

قال النبي ﷺ: لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً ثم أنفقه في حقٍّ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها. **وقال** أرسطوطيس: الحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود أن ترى عالماً فتشتهي أن تكون مثله أو زاهداً فتشتهي مثل فعله والمذموم أن ترى عالماً أو فاضلاً فتشتهي أن يموت.

● **المتبجحُ بكونه حسُوداً**

اجتمع ثلاثة نفر **فقال** أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ **قال**: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيراً قط. فقال الثاني: إنك رجل صالح أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط. فقال

---

(١) أبرّ (عليه): غلب وفاق ـ التبريز: التفوّق في فضل أو الشجاعة.
(٢) التحرز: التوقّي.

الثالث. ما في الأرض أفضل منكما، أن ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيراً قط. وقال عبد الملك للحجاج: صِفْ نَفْسَكَ فليس العاقل إلا من عرف نفسه. فقال: أنا حديد حقود حسود.

● حمدُ الغبطةِ وذمُّها

رُوي في الخبر: المُؤمنُ يغبط[1] والمنافق يحسد. ورُوِيَ أنّ النبي ﷺ سُئل: أيضرّ الغبط؟ قال: نعم كما يضرّ الورق الخبط[2].

(٦)
ومما جاء في التواضع والكبر

●

● ما حدّ به التواضع والكبر

قيل لبعضهم: ما التواضع؟ قال: أخلاق المجد واكتساب الود. فقيل ما الكبر؟ قال: اكتساب البغض، وقيل لأردشير: ما الكبر؟ فقال: جتمع الرذائل لم يدر صاحبها أين يضعها فيصرفها إلى الذم.

● فضلُ التواضع والحثُّ عليه

قال النبي ﷺ: طوبى لمن تواضع. التواضع أحد مصائد الشرف، من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وفي المثل تواضع الرجل في مرتبته ردٌ للشمانة عند سقطته، وقيل: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره، وقيل لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها؟ قال: نعم التواضع فقيل هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه؟ قال: نعم الكبر.

● فضلُ كبيرٍ مُتواضعٍ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك ويقول: لو دعيت إلى كراع[3] لأجَبْتُ. وكان يحيى بن سعيد خفيف الحال فاستقضاه أبو جعفر فلم يتغير فقيل له. في ذلك فقال: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال. ولما ورد الهرمزان على عمر رضي الله عنه فاورد باب داره وقرع بابه فقيل: أنه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً،

---

(١) يغبط: من غبطه غبطاً وغبطة: عظم في عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه فهو غابط.

(٢) الخبط: الضرب، والخبط أيضاً ورق الشجر المضروب بالمخابط.

(٣) الكراع من البقر والغنم: بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق والمراد بقوله: دعيت إلى كراع أي أكلة كرع.

فاستحقر[1] المرزبان أمره، إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء لا يحتاج إلى حرس ولا إلى عدد وقال عمر رضي الله عنه حين نظر بني صفوان متذلاً لأصحابه هذا رجل يفر من الشرف والشرفُ يتبعه، وقال معاوية لرجل: من سيّد قومك؟ فقال: الحاطم الدهر إليّ فقال بمثله من التواضع يحل الشرف، وقال عمر رضي الله عنه أريد رجلاً إذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم فإذا لم يكن أمير فكأنه أميرهم، قال أبو تمام:

مُتَبَذِّلٌ في القَوْمِ وهو مُبَجَّلٌ ... متواضعٌ في الحيِّ وهو مُعَظَّمُ[2]

وقال آخر:

متواضعٌ والنبلُ يحرسُ قدرَه ... وأخو التواضع بالنباهة يَنْبُلُ

قال الخوارزمي:

عجبتُ لهُ لم يلبس الكبرَ حلّةً ... وفينا إذا خُرْنَا على بابه كِبْرُ

● ذمّ التكبر والنهيُ عنه

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[5]، وقال النبي ﷺ: إن الله يقول الكبر إزاري[6] والعظمة ردائي فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار. وأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال:

حذرتُك التيهَ لا يعلقْكَ ميسمُهُ ... فإنه مَلْبَسٌ نازعته الله

وقال بزرجمهر: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد عند العقلاء من الكبر مع الأدب والسخاء. فأنبل بحسنة غطت سيئتين، وأقبح بسيئة غطت على حسنتين. كم من صلف أدى إلى تلف، العجب لابن آدم لم يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين. أخذ ابن الرومي ذلك فقال:

كيفَ يزهو من رجيعه ... أبد الدهر ضجيعه

قال: منصور الفقيه، يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع، ويروى عن النبي ﷺ لا يبغي على الناس إلاّ وَلَدُ بغي أو من فيه عرق سوء، وقيل: ما تاه إلاّ وضيعٌ ولا فخر إلا سقيطٌ ولا تعظم إلا لقيط[7] وقيل: دع الكبر فمتى كنت من أهل النبل لم يضرك التذلل ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التنبل.

---

(١) المرزبان: الرئيس عند الفرس، وقوله: استحقر المرزبان أي احتقره وازدراه.
(٢) متبذل: التبذّل ترك الاحتشام والتعفف.
(٣) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٦٨
(٤) القرآن الكريم: المؤمن/ ٣٥
(٥) القرآن الكريم: نوح/ ٢٣.
(٦) إزاري: الإزار: كلّ ما يستر.
(٧) اللقيط: المولود الذي يُنْبَذ.

- **ذكرُ السبب الداعي إلى التكبّر**

قال المأمون[1]: ما تكبّر أحدٌ إلاّ لنقص وجده في نفسه ولا تطاول إلاّ لوهن أحسّ من نفسه قال أحمد بن أسماعيل:

رأيتُ الرياسةَ مقرونةً ... بلُبسِ التكبّرِ والنخوةْ

- **ذمّ متكبّر لولايةٍ نالها**

قيل: من نال منزلة فابطرته دل على رداءة أصله وعنصره. قال أحمد بن أبي طاهر:

وتاه سعيدٌ أن أفيدَ ولايةً ... وقلّد أمراً لم يكن من رجالِهْ

وأدبرَ عنّي عند إقبالِ حظِّهِ ... وغيّر حالي عنده حسنُ حالِهْ

وضاقَ عليّ حقّي بعقبِ اتساعِهِ ... فأوسعتُه عذراً لضيقِ احتمالِهْ

وقال سفيان رحمه الله: السفل إذا تموّلوا استطالوا وإذا افتقروا تواضعوا والكرام إذا تموّلوا تواضعوا وإذا افتقروا استطالوا. قال صالح بن عبد القدوس:

تاه على إخوانه كلّهم ... فصار لا يطرفُ من كِبْرِهِ[2]

أعاذه الله إلى حالِهِ ... فإنّه يحسُنُ في فقرِهِ[3]

- **المبغيّ عليه منصور**

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾[5] وقال ﷺ: ما رأيت أسرع هلاكاً من الصغير وقال ﷺ: ذنبان عجل عقوبتهما البغي وقطيعة الرحم.

قال يزيد بن الحكم:

البغيُ يصرعُ أهلَهُ ... والظلمُ مرتعُهُ وخيمْ[6]

- **ذمّ متكبّر بخيل أو دنيء**

قال النبي ﷺ: البخل والكبر لا يجتمعان في مؤمن. وقيل: من استطال بغير تطوّل وامتنّ بغير منّة فقد استعجل المقت.

قال عليّ بن الجهم:

جمعتَ أمرَين ضاعَ الحَزْمُ بينهما ... تيهَ الملوك وأفعالَ المماليكِ

---

(١) المأمون: خليفة عباسي هو ابن هارون الرشيد (١٧٠ ـ ٢١٨هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٣٣م) أمه جارية فارسية قتل أخاه الأمين وخلفه. أنشأ بيت الحكمة في بغداد.

(٢) لا يطرف: لا يحرك عينيه بالنظر. (٣) يحسن: يجمل.

(٤) القرآن الكريم: الحج/ ٦٠ (٥) القرآن الكريم: يونس/ ٢٣.

(٦) مرتعه وخيم: أي عاقبته سيئة، والمرتع أصلاً مكان الرتع، من رتع رتْعاً ورتوعاً المكان أخصب.

قال أبو بكر بن الزبير:

يا قليلَ القَدْرِ موفورَ الصلف ... والذي في التيه قد حازَ السَّرَف[1]

كنْ لئيماً وتواضعْ تُحتَمَلْ ... أو سخياً يُحتَمَل منكَ الصَّلَفْ

وقيل: أنف في السماء واست في الماء ومن هذا النحو قول الجعدي:

بالأرضِ أستاهُهُم عجزاً وأنفُهُمُ ... عند الكواكبِ بغياً يا لَذا عجبا

● ذمّ فقيرٍ متكبر

قيل: أبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر، قال الشاعر في ذم آخر:

فخرٌ بلا حسبٍ عجبٌ بلا أدب ... كِبْرٌ بلا دِرْهمٍ هذا من العجبِ

● ذمُّ الفخرِ وذويه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3] ونظر النبي ﷺ إلى رجل يجر إزاره فقال: ارفع إزارك فإنه أنقى وأبقى وأتقى فقال: يا رسول الله إنه مروءة. فقال: أليس لك بي أسوة وكان إزاره ﷺ إلى أنصاف ساقيه. نظر مطرف إلى المهلب وعليه حلة يسحبها فقال: ما هذه المشية التي يبغضها الله؟ فقال: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أولك نطفة[4] مذرة وآخرك جيفة قذرة[5] وأنت بين ذلك حامل عذرة[6] فلم يعد إلى تلك المشية، ونظر الحسن رضي الله عنه إلى رجل يخطر في ناحية المسجد، فقال: انظروا إلى هذا ليس فيه عضواً إلا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة

● ذمّ مَنْ ضرع ذِلّة بعد التكبّر

قال شاعر:

رفعَ الكلبُ ما اتضعْ ... ليسَ في الكلبِ مُصْطَنَعْ

بلغ الغايةَ التي ... دونها كلُّ ما ارتفعْ

إنما قصر كلّ شيءٍ ... إذا طار أنْ يقعْ

لعنَ اللهُ نخوةً ... صار من بعدها ضرعْ

● مدحُ متواضعٍ بسرعةِ المشيِ والتجوزِ في الأكلِ

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع المشي فقيل له في ذلك فقال: هو أنجح

---

(1) الصلف: الادعاء إعجاباً وتكبراً   (2) القرآن الكريم: الإسراء/ ٣٧

(3) القرآن الكريم: لقمان/ ١٨.

(4) النطفة: الماء الصافي، جمع نطاف ونُطف اللؤلؤة الصافية

(5) قذرة: خبيثة فاسدة.   (6) العذرة: الغائط، أردأ ما يخرج من الطعام

للحاجة وأبعد من الكبر أما سمعت قول الله تعالى ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾[1]، وكان النبي ﷺ يأكل على الأرض فقيل له في ذلك فقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد.

● **المتواضعُ بالقيامِ بحوائجِ الناس وتحمّلِ أثقالهم**

كان النبي ﷺ يمشي مع الأرملة يقضي حاجتها ولا يستنكف[2]، واشترى رجل شيئاً فمر سلمان وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال: احمل هذا معي يا علج[3]، فحمله وكان من يتلقاه يقول ادفعه إليّ أيها الأمير فيقول: لا والله لا يحمله إلا العلج والرجل يعتذر إليه ويسأله أن يرده عليه وهو يأبى حتى حمله إلى مقره.

● **المتواضعُ في قيامِه بأمرِ عِياله**

اشترى أمير المؤمنين رضوان الله عليه تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له بعض أصحابه: دعني أحمله، فقال: أبو العيال أحق أن يحمله. ورؤي بعض الكبار وبيده بطن شاة فقال له رجل: ادفعه إليّ فإنه يزري[4] بك، فقال:

ما ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحمل الحزمة من الحطب وهو خليفة مروان، وكان يقول: وسّعوا للأمير.

● **حمدُ تعظيمِ الكبار**

قدم قيس بن عاصم على النبي ﷺ وكان سيد أهل الوبر فبسط له رداءه ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. وروي أن مجوسياً دخل على رسول الله ﷺ فأخرج ﷺ من تحته وسادة حشوها ليف وطرحها له وأقبل عليه يحدّثه، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه: إنه مجوسي، فقال عليه الصلاة والسلام: قد علمت ولكن جبريل عليه السلام يأمرني أن أكرم كلّ كريمِ قومٍ إذا أتى، وهذا سيد قومه.

وقال الشعبي: ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن العباس رضي الله عنهم ليأخذ بركابه فقال: ما تفعل يا ابن عم رسول الله؟ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأمرائنا فقال زيد: ارني يدك فأخذها وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

● **النهيُ عن التصدّر في المجالس**

قال زياد لابنه: إياك وصدر المجالس فإنه مجلس قلعة. قال الأحنف: ما جلست مجلساً خفت أن أقام منه لغيري ولهذا باب في غير هذا الموضع.

---

(1) القرآن الكريم: لقمان/١٩. (2) استنكف: تراجع.
(3) العلج: العبد الحمار، والعلج أيضاً: الرجل الضخم القوي من كفار العجم.
(4) يزري بك: يحقرك.

● حمدُ تصديقِك صاحبك

دخل سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فتنحى له عن الصدر فقيل له في ذلك فقال: إذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المنزلة.

● مدحُ معرفةِ الرجل قدْر نفسِه

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لن يهلك امرؤ عرف قدره. وقال الشافعي رضي الله عنه: أنفع الأشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ثم يعمل بحسبه. وقد تقدّم من ذلك صدر في باب العقل.

● ذمّ إعجابِ المرءِ بنفسه

قال النبي ﷺ: ثلاث مهلكات: شحٌ مُطاع وهوى مُتّبع وإعجابُ المرء بنفسه. وقيل: عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله.

وقال الشاعر:

ما النّاسُ عندَكَ غيرُ نفسِكَ وَحْدَها ... والنّاسُ عندَكَ ما خلاكَ بهائمُ

وقال أعرابي لرجل معجب بنفسه: يسرني أن أكون عند الناس مثلك في نفسك وعند نفسي مثلك عند الناس. وقال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها: إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه.

● ذكرُ من عظُم إعجابُه وصلفُه

حُكي عن ابن ثوابة أنه قال لغلامه: اسقني ماء، فقال: نعم فأمر بصفعه فقيل له: في ذلك فقال: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا، وليس لهذا هذه المنزلة. ودعا يوماً أكّاراً يكلمه فلما فرغ دعا بماء وتمضمض به استقذاراً لمخاطبته. وكان جذيمة[1] الأبرش لا ينادم أحداً استعظاماً وقال: إنما ينادمني الفرقدان[2]. فكان يشرب كأساً ويصب لهما كأسين في الأرض. واستأذن نافع بن جبير بن مطعم على معاوية فمنعه الحاجب فهشم أنفه، فقال له معاوية: أتفعل هذا بحاجبي؟ فقال له: وما يمنعني وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين. فقال له أبوه: فض الله فاك إلا قلت وأنا بالمكان الذي أنا عليه من عبد مناف.

● معتذرٌ لعُجْبه وعزّته

قيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيب غير أنك معجب، فقال: أيعجبكم ما

---

(١) جذيمة الأبرش: (ت نحو ٢٦٨) من ملوك العرب في الجاهلية، أسّس الحيرة والأنبار. عاصر زينب ملكة تدمر ومات سنة ٢٦٨.

(٢) الفرقدان: النجمان أو الكوكبان، مثنى فرقد.

أقول؟ قالوا نعم قال: فأنا أحق أن أعجب به محمد بن عمران، يقولون ذو كبر ولو خص بعضهم، ببعض خصالي ما استحق من الكبر، قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: لِمَ تطعم الأرض من فضل ثيابك؟ فقال: أكره أن أكون كما قال علي بن عبد العزيز.

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته وشرّ قريش في قريش مركّبا

وقال يمنّي ليزيد بن مزيد وعليه برد[1] يمنى يسحبه لم يعرق جبينك في نسجه فلذلك تسرف في بذله، فقال: عليكم نسجه وعلينا سحبه

وقال رجل للحسن: ما أعظمك في نفسك فقال: لست بعظيم ولكن عزيز من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] البديهي في معناه.

وما أنا مزهرٌ ولكنني مثنى أبتْ لي نفسُ عزةٍ أن أُزيلها

● الممتنعُ من التذلّل لكبيرٍ ومتكبّرٍ عليه

قال عدي بن أرطاة وهو أمير لوكيع بن أبي الأسود. سرّ عليّ ثيابي فقال، ذكرتني الظعن[3] وكنت ناسياً، في حمي ضيق مليمه الأمير حتى أرعده. فقال له عديّ إن الجليس ليلقي من جليسه أكثر من هذا فقال يا عدي إذا عزلت عنا فكلنا أكثر من هذا أما وأنت ترى لك علينا سطة فلا الموسوى يذكر بلهم ومنامه من تقبيل يد بعض السلاطين

متى تاه عن سَط الملوكِ وقد عنَتْ عليها جباةٌ من رجالٍ وأنفُ[4]

زمامٌ عَلا لوْ غيرُه رام جرّهُ لساق به حادٍ من الذّل مُعْنِفُ[5]

● متكبّرٌ على ذي كبر

سئل الحسن عن التواضع فقال. هو التكبر على الأغنياء وأتى سليمان بن عبد الملك طاووساً فلم يكلمه، فقيل له في ذلك فقال. أردت أن يعلم أن في عباد الله من يستصغر ما يستعظم ذلك من نفسه. أنشد المبرد

إذا تاهَ الصديقُ عليْك كِبْراً فَتِهْ كِبْراً على ذاكَ الصّديقِ

فإيجابُ الحقوقِ لغيرِ راعٍ حقوقَك رأسُ تضييعِ الحُقُوقِ[6]

وعلى هذا قال بعضهم. ما تكبر عليّ أحد قط إلا تحول داؤه فيّ أن قابلتُهُ بمثله. وقال بعضهم ما تاه أحد عليّ أكثر من مرة واحدة لأني تركته بعد ذلك وأعرضت عنه

---

(١) البرد. الثوب المخطّط، جمع برود
(٢) القرآن الكريم. المنافقون/ ٨.
(٣) الظعن. السير والرحيل.
(٤) عنت عليها جباه. انكسرت وخضعت
(٥) الحادي: سائق الإبل.
(٦) يقول: إن حفاظك على حقوق من لا يراعي حقوقك، إنما هو أبرز الدلائل على تضييع حقوقك

● من ترك حقه إشفاقاً من وضمةٍ[1] تلحقه

اختصم الأصبهيد صاحب طبرستان و تمصمغان صاحب دباوند في شيء، فكتب إلى الحجاج أن يوجه رجلاً يحكم بينهم، فوجه أياساً إليهم، فلما صار بالمنصف بعث إليهما فحضر الأصبهيد على سريره وألقى لتمصمغان وسادة فقال أياس للأصبهيد: أنت ظالم وقد عرفت ذلك منك. قال: فيم؟ قال: لتعدل أن تساويه في الحكم فقال: إذا أدع حقي ولا أساويه في المجلس فترك حقه وعاد إلى مكانه. وقال الرشيد يوماً لجلسائه: إن عمارة قد ذهب في التيه كلَّ مذهب وأحب أن أضع منه، فقيل له لا شيء أوضع للرجال من منازعة الرجال والرأي أن يؤمر رجل ليدعي أصل ضيعة له أنه غصبه إياها، ففعل ذلك. فلما دخل عمارة قام الرجل فتظلم منه وشنّع عليه، فقال الرشيد: أما تسمع ما يقول الرجل؟ فقال: من يعني؟ فقال الرشيد: يعنيك أنك غصبته كذا فقم واجلس معه مجلس الحكم. فقال: إن كانت هذه الضيعة له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فقد جعلتها له. فانقطع كلام الرجل فلما انصرف قال عمارة لرجل كان معه: مَنْ هذا المدّعي فإذا أنه لم يملأ عينه منه فأخبر الرشيد بذلك. فقال: سوّغنا[2] تيهه له بعد ذلك.

● النهيُ عن الإفراط في التواضع

قال ابن المقفع: الإفراط في التواضع يوجب المذلة، والإفراط[3] في المؤانسة يوجب المهانة. وقيل: من التواضع ما يضع.

● [illegible] من تواضعَ للمرء مهابةً

قال النبي ﷺ: إنّ من شرار الناس من أكرمه الناس اتقاء شرّه كان أبو العباس ضم المنصور إلى حميد بن قحطبة فقال له يزيد بن حاتم: أترضى بمتابعة حميد؟ فقال:

اسجُد لقردِ السَّوءِ في زمانِهِ ودارِه ما دامَ في سُلطانِهِ[4]

وفي المثل الحمى أضرعتني[5] لك.

---

(1) الوضمة: اللطخة والعار.
(2) سوّغ الشيء: جوّزه.
(3) الإفراط: الإكثار، المبالغة.
(4) يقول: دارِ رجل السوء ما دام حاكماً سلطاناً.
(5) أضرعتني: أذلّتني.

الحدّ الرابع

في النصرة والأخلاقِ والمزاح والحياء والأمانة والخيانة والرفعة والنذالة

(١)

الجوارُ والنُّصرة

●

● **الحث على مراعاةِ الجار**

قال الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[1] وقال النبي ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. وقال ﷺ: من كان له جيرة ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له. **وقيل**: عليكم بحسن الجوار من السباع وعتاق الطير في الهواء تحامي على من يجاورها.

وقيل: الكريم يرعى حق اللحظة ويتعهد حرمة اللفظة. **وقال جعفر بن محمد**: حسن الجوار عمارة الديار.

وقال زهير:

وجارُ البيتِ والرَّجُلُ المنادي أمامَ الحيِّ عقدُهُما سواءُ[2]

● **الأمرُ بكفِّ الأذى عنه**

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذين جاره. **وقيل**: ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن من حسن الجوار الصبر على الأذى. وفي الخبر: من آذى جاره أورثه الله داره. **وقيل**: من آذى جاره خرَّب الله دارَهُ.

● **التاصِرُ من استجار به**

كان **أبو سفيان** إذا نزل به جار قال له: هذا، إنك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً فجناية يدك على دونك وإن جنت عليك يد فاحتكم عليّ حكم الصبيّ على أهله. وكان أبو حنبل يقال له مجير الجراد، وذلك أنه نزل عليه جراد بفنائه فغدا الحي إليه **فقال لهم**: إلى أين؟ فقالوا أردنا جيرانك جراداً نزل بفنائك **فقال** أما إذا سميتموه جاري فلا تصلون إليه

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣٥

(٢) الرجل المنادي أمام البيت: المجاور لقوم، وفي رواية: أمام الحيّ في موضع البيت

أبداً فأمر قومه أن يسلّوا سيوفهم ويمنعوه. وفيهم يقول الشاعر:

ومنّا ابنُ مرّ أبو حنبل ... أجارَ من الناس رجلَ الجرادِ

وقال مروان:

همْ يمنعون الجارَ حتّى كأنّما ... لجارهم بين السّماكين منزلُ[1]

وقال نهشل:

وجارٌ منعناهُ من الضّيمِ والعِدا ... وجيرانُ أقوامٍ بمدرجةِ النّملِ

وقال ابن نباتة:

ولو يكونُ سوادُ الشّعرِ في ذمّتي ... ما كان للشّيبِ سلطانٌ على القِمَمِ[2]

قال الحطيئة:

قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهم ... شدّوا العناجَ وشدّوا فوقه الكربا[3]

- **المستنصرُ ذويه على أعاديه ونوائب لياليه**

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عليّ كرّم الله وجهه حين حصر

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أنت آكلي ... وإلاّ فأدركني ولمّا أُمزّقِ[4]

قال أحمد بن أبي فنن

هل أنتَ منقذُ شلوي من يدَيْ زمنٍ ... أضحى يقُدُ أديمي قدَّ منتهسِ[5]

دعوتُكَ الدعوةَ الأولى وبي رمقٌ ... وهذه دعوتي والدّهرُ مفترسي

قال ابن الحجاج:

يا راعيَ السّربِ يحميه ويحرسُهُ ... إنّ الذئابَ قد استولَتْ على الغنمِ

فعافني بتلافي العيشِ من سَقَمٍ ... لم يَبْقَ منّي سوى لحمٍ على وضمِ[6]

حتى أقول لريبِ الدهرِ كيفَ ترى ... تعصّبَ السادةِ الأحرارِ للخَدَمِ

- **نصرة قريب وإن كان عدواً**

قيل: الحفائظُ تحلل الأحقاد قال

عند الشدائدِ تذهبُ الأحقادُ

وهذا باب مستقصى في الأقارب.

---

(١) السماكان والسماكين: كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه. وللآخر السماك الأعزل لأنه ليس أمامه بشيء.

(٢) القسم: القهر والظلم.

(٣) العناج: حبل يشدّ في أسفل الدلو العظيمة جمع أعنجة.

(٤) لمّا أمزّق: أي قبل أن أمزق، وقوله: أدركني أي بادر إلى نجدتي

(٥) منتهس: من فعل انتهس اللحم أخذه بمقدّم أسنانه ونتفه

(٦) الوضم: خشبة الجزّار التي يقطع عليها اللحم، جمع أوضام وأوضمة

● ناصرُ مستنصره وإنْ لمْ يكن بينهما معرفة

رُوي أن حاتماً كان بأرض عنزة فناداه أسير يا أبا سمانة أكلني الأسار والقمل، فقال: ويلك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء، وقد أسأت إذ نوّهت باسمي. فاشتراه وقال: خلوا سبيله واجعلوني في القيد مكانه حتى أؤدي فداءه، فجعلَ مكانه وبعث إلى قومه فأتوه بالفداء. وفي المثل: رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك.

● المبادرة إلى نصرة مستنصره

قيل: لا تسأل الصارخ واسأل ما له بعض بني العنبر

لا يسألون أخاهم حين يندبُهُمْ — في النائباتِ على ما قال بُرْهَانَا[1]

قال السري:

مَلِكٌ إصاخَتُه لأوّلِ صارخٍ — وسَجَالُ أنعُمِهِ لأوّلِ طالبِ

قال عمرو بن مخادة:

دعوتُ إلى ما نابَني فأجابني — كريمٌ من الفِتيانِ غيرُ مُزَلَّجِ[2]

قال المتنبي:

سبقتُ إليهم مَنَايَاهُمْ — ومنفعةُ الغوثِ قبل العطبْ

قال الصنوبري[3]:

يا خيرَ مستصرخٍ لنائبةٍ — يضيقُ بالعالمينَ قُطْرَاها

● من تحمّل من جارهِ الضرّاء ووفّر له السرّاء

قال زهير:

وجارٌ سارَ معتمداً علينا — أجاءَتْه المخافةُ والرجاءُ

ضمنّا ما لَهُ فغدا سليماً — علينا نقصُه ولهُ النماءُ

قال شبيب بن البرصاء:

وجاراتُنا ما دُمْنَ فينا عزيزةٌ — كأروى ثبيرٍ لا يحِلّ اصطيادُهَا[4]

يكونُ علينا نقصُها وضمانُها — وللجارِ إنْ كانتْ تريدُ ازديادَهَا

---

(١) يندبهم: من ندب فلاناً للأمر أو إليه، دعاه للقيام به وحثّه عليه

(٢) المزلج: الذي يعلق بالمزلاج ـ أزلج الباب: أغلقه بالمزلاج

(٣) الصنوبري: أحمد مات سنة (٩٤٦م) شاعر عباسي عاش في بلاط سيف الدولة وتغنى بجمال الطبيعة له ديوان «الروضيات».

(٤) الأروى: ضأن الجبل ـ ثبير: اسم جبل

● **مدح من كرم جاره ومستنصره**

قال شاعر:

وعزّت جوار عصبة أنت جارُها

قال أبو تمّام:

وليسَ امرؤٌ في النّاس كنتَ سلاحَه … عشيّة يلقَى الحادثات بأعْزَلاَ

ترى درعَه حصْداء والسيفَ قاضِبا … وزجّيْه مسمومَيْن والسوطَ معوَلاَ[1]

قال السري الرفّاء:

ما عذرُ من بسطَتْ يمينُك كفّه … أنْ لا ينالَ بها السُّها والمرزَما[2]

قال المتنبي:

إذا شدّ زَنْدي حُسْنُ رأيك في يدي … ضربتُ بنصلٍ يقطعُ الهامَ مُغْمَدَا

وقال آخر:

إذا كانت الأحرارُ أصْلي ومنصِبي … ودافعَ عنّي حازمٌ وابنُ حازمِ

عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ … يدايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

قال ابن الحجاج[3]

وكيف يخشى صولةَ الذِّئبِ مَنْ … قَدْ جمع السبْع له عدّةً[4]

● **الحامي جاره المحابيه ماله**

قال ابن الرومي:

هم أمّلونا في هضاب غيومهم … ندىً ورعَوْنا بالقنا والقنابلِ

قال السري الرفّاء:

أمِنَ في ظِلّه رعيّتُه … خوفَ أعاديه حينَ غاداها

أغْلَلها في نوالِه وغدا … مشتمِلاً بالحُسَامِ يَرْعَاها

● **الحامي جاره والمبيح ماله**

قال ابن الرومي:

هو المرْءُ أمّا مالُه فمحلّلٌ … لِعَافٍ وأمّا جارُهُ فَحَرَامُ[5]

---

(١) **الدرع الحصداء**: الضيّقة الحلق والمحكمة ـ **السيف القاضب**: القاطع.

(٢) **السُّها**: كوكب خفيّ.

(٣) **ابن الحجّاج**: شاعر أموي أيّد عبد الله بن الزبير ثم تقرّب من عبد الملك وفاز بعفوه. عرف بشجاعته. مات ابن الحجاج سنة (٧١٩م).

(٤) **يقول**: من كان يملك قوّة الأسد وعدّته لا يخاف لسطوة ذئب أو صولته

(٥) **العافي**: كل طالب رزق، **والعافي** الضيف وطالب الفضل

وقال آخر:

فنحنُ حلالٌ في حريمك للمنى ... ونحنُ على الأيامِ فيهِ حَرَامُ

● الراعي مالَ جاره من النوب والسرّاق

كانوا يقولون جار كجار أبي دؤاد وذلك أنه إذا مات له بعير أو شاة أخلفه وإذا مات له قريب وداه، قال شاعر:

إذا نزلَ الشتاءُ بدارِ قومٍ ... تجنّب دارَ قومِهم الشتاءُ

قال الفرزدق:

الضامِنون على المنيّة جارَهُمْ ... والمطعِمون غداةَ كلّ شمالِ[1]

قال المتنبي:

يلمُّ على اللصوصِ لكلّ تَجْرٍ ... ويضمَنُ للصوارمِ كلَّ جارِ[2]

● المستجيرُ بمن أمّنه من النوب

قال أبو نواس:

أخذتُ بحبْلٍ من حبال محمّد ... أمنتُ به من طارق الحَدَثانِ[3]

تغطّيتُ من دهري بظلّ جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يَراني

فلو تُسألُ الأيامُ ما اسمي ما دَرَتْ ... وأين مكاني ما عرفْنَ مكَانِي

قال ابن أبي فنن:

كَبَا الدهرُ بي فاستلّني من جِرانه ... وقد كنتُ لاقيتُ المنيةَ أو كِدْتُ[4]

وحكّمني في ماله وجياده ... وخيّرني بين الحُكومةِ فاخترْتُ

● مدحُ الناصر صاحبه وإن كان ذا عُذر

في المثل: النحل يحمي شوله معقولاً، والخيل تجري على مساويها

قال شاعر:

يفرُّ جبانُ القوم عن أمّ نفسه ... ويحمي شجاعُ القوم من لا يُناسِبُهُ

● الحثّ على نصرة واقع في محنة

قال بعضُ البلغاء: لتكن معونتك أحبّ بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء. وقيل: أفضلُ المعروف نصرةُ ملهوف

---

(١) غداة كل شمال: كناية عن أوقات الشدّة وسنوات المحل والجدب. يقول إن ممدوحيه ذوو قيم ومروءة فهم يضمنون جارهم في الشدائد ولو واجههم الموت، كما ينهضون إلى إطعام الناس في الأيام العصيبة والليالي الباردة.

(٢) التجر: من يتعاطى التجارة، والعرب يسمّون بائع الخمر تاجراً (٣) الحدثان: الليل والنهار

(٤) كبا: انكب على وجهه، كبا لون الشمس: أظلم. الجران من البعير: مقدّم عنقه، جمع جُرن

● **حامي الحَرم**

قال عنترة

أَبَيْنَ أبيما أن تضبَّ لثاتُكم ... على مرشفاتٍ كالظِّباءِ عواطِيا[1]

وقال آخر:

فأيقنَ كلَّما أنْ سوفَ تَحمي ... جُرامتَها بشوكتِها النَّخِيلُ[2]

● **الحامي حرمه المبيح حرمَ غيره**

قال الأخنس بن شهاب

وحامي لواء قد قَتَلْنا وحامل ... لواء منعْنا والسيوفُ شوارعُ

قال طفيل[3] الغنوي:

أبحْنا روضةً ولنا رياضٌ ... تقطعَ دون مطلعها العموسُ

قال جرير[4]

أبحتَ حمى جريرٍ بعد نجدٍ ... وما شيءٌ حميتَ بمُستباح

● **المؤثر نفع غيره على نفع نفسه**

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[5]

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا من تجلُّ ونكرمُ

فقلنا له نعماك فيهم أتمها ... ودَعْ أمرَنا إنَّ الأهم المقدمُ

قال عمارة[6]:

ينسى مضرَّتَه لنفعِ صديقِه ... لا خيرَ في شرف إذا لَمْ يَنْفعِ[7]

● **نصرُ كل امرىءٍ لشكله**

قال:

إنَّ الكريمَ للكريمِ محلُّ

---

(١) ضبّ الشفة: أصابها داء يسيل منها دماً

(٢) جُرامة النخل: ما سقط من ثمره عند الجرم

(٣) طفيل بن عوف الغنوي: شاعر جاهلي اشتهر بوصفه الخيل وعُرف بطفيل الخيل، توفي نحو سنة (٦١٠م)

(٤) جرير (٦٥٣؟ ـ ٧٣٣) شاعر أمويّ وُلد في اليمامة. كنيته أبو حزرة. امتاز بأغراض شتّى أبرزها الهجاء والرثاء والغزل، ناضل كلاً من الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهما المثلث الأموي.

(٥) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أمير من الأدباء الشعراء وهو بمنادمي الأصل له تصانيف منها «الإشارة في أخبار الشعراء» مات سنة ٣٠٠هـ (٩١٣م)

(٦) عمارة بن عقيل: (٧٩٨ ـ ٨٥٣م) حفيد جرير. من شعراء البدو مدح العباسيين

(٧) يقول: إنه يضحّي في سبيل صديقه ولا خير في الشرف الذي لا ينفع

وفي كتاب كليلة إذا عثر الكريم لم يستقل إلا بكرام كالفيل إذا وحل لم يقلعه إلا الفيلة قال جرير:

إن الكريمةَ ينصرُ الكرامُ ابنُها

● الحثُّ على التظاهر

لن يعجز القوم إذا تعاونوا فبالساعد يبطش الكف، قال شاعر

إنَّ السهامَ إذا تبدَّدَ جَمْعُها ... فالوَهْنُ والتكسيرُ للمتبدِّدِ[1]

قال يامض الكلابي:

ألم ترَ أن جَمْعَ القوْمِ يُخشى ... وإن حَريمَ واحدِهِمْ مُباحُ

وأنَّ القِدْحَ حينَ يكونُ فردا ... فيَنْهَصِرُ لا يكونُ له اقتداحُ

تولى نزار بن محمد التجيبي البصرة فرفع إليه رجل يقول بخلق القرآن، فأمر بحبسه، فاستعان الرجل بإسماعيل الصفار، وكان أحد شيوخ المعتزلة بالبصرة فكلّم غير واحد من أجلاء البصرة فلم يجيبوه.

ثمّ أن إسماعيل طاف على المعتزلة وجمعهم وقال: قد جرأ عليكم إذ رآكم متفرقين فأتى بهم دار نزار بن محمد وقال: لِمَ حبست فلاناً قال: إنه يقول: القرآن مخلوق. قال فكلّنا ممن يقول بقوله فإما تحبسنا معه أو تطلق صاحبنا فقوله في ذلك قولنا. فنظر نزار فرأى فئة تثور فرأى إطلاقه، وترك التعرض لهم في مذهبهم

● وصفُ متظاهرين

قال أبو فراس:

وإنّي وإيّاه كعيني وأختِها ... وإنّي وإيّاه ككفٍّ ومِعْصمِ

قال بعض القدماء من جهينة[2]

فإنّا وكلْباً كاليدَيْنِ متى تَقُمْ ... شمالُكَ في الهيجاء تُعِنْها يمينُها[3]

● ذمّ جارِ السوء

في بعض الأدعية: أعوذ بالله من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة كتمها وإن رأى سيئة أذاعها.

وعُرِضَ على أبي مسلم فرس جواد فقال: لمن بحضرته: لم يَصْلُحُ هذا الفرس؟ فقيل: للغزو، فقال: لا، إنما يصلح أن يركبه الرجل فيفرّ به من جار السوء

وقيل له: ما الداء العياء؟ فقال: الجار السوء إن قاولته بهتك وإن غبت سبعك. وقيل لبعضهم: لمَ بعت دارك؟ فقال: لأبيع جاري. وقيل: الجار قبل الدار ثم الرفيق قبل الطريق

---

(١) تبدّد الجمع: تشتت.

(٢) جهينة: اسم قبيلة، وفي المثل: وعند جهينة الخبر اليقين.

(٣) الهيجاء: الحرب.

● ذمّ من لا يصونُ جاره

قال الحطيئة[1]:

لمّا بدا لي منكم ذاتُ أنفسِكم ... ولمْ يكنْ لِجراحي فيكمُ آسي[2]
أزمعتُ يأساً مبيناً من جِواركم ... ولن ترَى طارِداً للحُرِّ كاليأسِ

قال المتنبي:

رأيتُكم لا يصونُ العِرْضَ جارُكمْ ... ولا يدِرُّ على مرعاكمُ اللّبَنُ
جَزاءُ كلِّ قريبٍ منكم مللٌ ... وحظُّ كلِّ محبٍّ منكم ضَغَنُ[3]

وقال رجل لابن الزيات: أمتُّ إليكم بجواري، فقال: نَسَبٌ بين حيطان، نظم ذلك بعضهم فقال:

أرى الجوارَ نسباً بين الجُدُر ... والعطفَ والرقّةَ حيناً والخَوَر[4]
طباعَ نسوانٍ وصبيانٍ غُرَر

● ذمُّ من لا نصرةَ لديه

قال إبراهيم بن العباس:

وإنّي إذا أدعوكَ عند مُلِمّةٍ ... كداعيةٍ بين القُبورِ نَصيرَها[5]

قال ريقان:

فما دارُ عمّي لي بدارِ حَقارةٍ ... ولا عهدُ عمّي لي بمَهْدِ جِوارِ

قال عامر:

مجارُك عندَ بيتِك لَحْمُ ظبيٍ ... وجاري عندَ بيتي لا يُرامُ[6]

وقال آخر:

تركُوا جارهم يأكلُه ضَبُعُ الوادي ويرميهِ الشَّجَرْ[7]

وسأل سليمان بن علي خالد بن صفوان عن أبيه فقال كيف تحمد جوارهما فأنشد

أبو مالكٍ جارٌ لها وابنُ بُرثُنٍ ... فيب لك جارَيْ ذِلّةٍ وصَغارِ[8]

وفي المثل: لا حُرَّ بوادي عوف.

---

(1) الحطيئة: (ت نحو ٦٨٧) شاعر جاهلي مخضرم من بني عبس. أدرك الإسلام امتاز بالهجاء. مات سنة ٦٨هـ (٦٨٧م) (انظر سيرته في مقدّمة ديوانه) (منشورات دار الأرقم)

(2) الآسي: الطبيب المداوي (3) الضغن: الحقد والعداوة

(4) الخور: الضعف، الفتور (5) الملمة: المصيبة

(6) لا يرام: لا يطال بسوء - يقول: أدعوك لنصرتي في الملمات فلا تجيب، كمن يدعو نصيراً بين القبور

(7) الشجر: الأمر المختلف فيه

(8) برثن: البرثن من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان

● المستنصِرُ بمَنْ يضرّه

في المثل. كالمستغيث من الرمضاء[1] بالنار، قال شاعر:

رُبَّ مَـنْ تـرجـو بـه دفْـعَ الأذى   سَـوْفَ يـأتـيـكَ الأذى مِـنْ قِـبَـلِـهْ[2]

وقال ابن الرومي:

كـمـتّقٍ لـفْـحَ نـارٍ يـسـتـمـدُّ بـهُ   بـالجهْـلِ دِرْعيْنِ من قارٍ وكِبْريتِ

وله:

كـان كَـمَـنْ خـافَ حـريـقـاً وقـعـاً   فـرادَ فـيـه حـطـبـاً عـلـى حـطَـب

قال إبراهيم بن العباس:

اتخذتُكم درْعاً وترْساً لتدفَعوا   نـبـالَ الـعـدا عـنـي فكُنْتُمْ نِصَالَها

وله في أولاده:

خـلـتُـكـم عـدّةً لـصـرفِ زَمـانـي   فـإذا أنـتـم صُـرُوفُ زمـانِـي[3]

● المستنصِرُ بمَنْ لا نصْرة لديه

في المثل: مقعد استعان بمقعد، دليل عاذ بقرملة، عبد صريخه أمة.

قال شاعر:

بـعـثْـتُـك عـاجـلاً فـلـبـثْـتَ حَـوْلاً   متى يـأتي غِـيـاثُـك مَـنْ تُـغِـيـثُ[4]

وقال آخر:

لـو بـغـيْـر الـمـاءِ حـلْـقـي شَـرِقٌ   كـنتُ كـالغَصّـان بـالماءِ اعتِصاري[5]

وقال آخر:

كـنـتُ مـن كـربَـتـي أفـرُّ إلـيـهـم   فـهُـم كـربَـتـي فـأيـنَ الـفـرارُ؟[6]

● تأسّفُ من خذلَه ناصرُه

قال اليزيدي:

إذا كنتَ تجْمعُني وأنتَ ذخيرتي   وموضعُ حاجاتي فما أنا صانعُ[7]؟

---

(١) الرمضاء: شدة الحر.

(٢) رُبَّ شخصٍ عقدت عليه الرجاء لنصرتك لم يأتك من قبله إلا الأذى.

(٣) الصروف: جمع صرف، نوائب الزمان وحدثانه.

(٤) غياثك: عونك. (٥) شرق: غصّ، شرق بريقه.

(٦) كربتي: الكُربة، الحزن والمشقة والغمّ ـ كرب الأمر: شقّ عليه.

(٧) الذخيرة: العدّة.

وقال آخر:

بأيّ نجادٍ تحملُ السيفَ بعدَما ... قطعتَ القوى من محمَلٍ كان باليا[1]

- **ذلّةُ منْ لا ناصِرَ له**

قدمت امرأة مكة وكانت ذات جمال، فأعجبت ابن أبي ربيعة فآذاها، فلما أرادت الطواف قالت لأخيها: إصحَبْني فصحبها، فود ابن أبي ربيعة تعرض لها بمقال فرأى أخاها فانزجر، فأنشأت:

تعدو الذئابُ على منْ لا كِلابَ له ... وتتّقي مربضَ المستنفرِ الحامي

قال عدي:

وفي كثرةِ الأيدي عن الظُّلْم زاجرٌ ... إذا خطرَتْ أيدي الرجالِ بِمَشْهَدِ[2]

وقيل: اللؤمُ إحرازُ المرءِ نفسه وإسلامهُ عرسه.

- **المستعينُ بغيره في أمر**

قال شاعر:

أصبحتُ هلاً إذا أتى قدرٌ ... كنتَ استغثت بعارع المَقْلِ

أقبلتَ ترجو الغوثَ من قِبَلي ... والمستغاثُ إليه في شُغُلِ

- **معاتبةُ متباطئٍ عن النُّصرة**

قال أبو الشمردل:

ومنْ يفردِ الإخوانَ في ما ينوبُهم ... تنُبْهُ الليالي مرةً وهو مُفْرَدُ[3]

قال عديّ التميمي:

ألا هبلتْكَ أمُّكَ يا عديّ ... أتقعدُ لا أفكّ ولا أصولُ[4]

ولو كنتَ الأسيرَ ولا تكُنْهُ ... إذاً علمَتْ معدّ ما أقولُ

- **عذرُ متباطئٍ عن ذلك**

قال شاعر:

أيّ عذرٍ يكون أوضحَ في إبطاء نصرٍ من قلّة الإمكان[5]

---

(١) النجاد: محمل السيف وقرابه

(٢) المزجر: الرادع

(٣) يفرد الإخوان: يتركهم فرادى - ينوبهم: ينتابهم ويلمّ بهم.

(٤) هبلتك أمك: ثكلتك.

(٥) قلّة الإمكان: انعدام القدرة

وقيل للجاحظ: لِمَ خذلْتَ ابن الزيات[1] وهربت منه لمّا أصابته المحنة؟ فقال: خفت أن يقال ثاني اثنين إذ هما في النار وذلك أنّ ابن الزيات عوقب في تنورٍ من حديد حتى مات. وفي الأخوانيات وذكر الأقارب أبواب تليق بهذا الفصل.

(٢)

ومما جاء في الأخلاق الحسنة والقبيحة

●

● الحثُّ على حُسْنِ الخُلُق ومدحُ ذلك

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[2] قيل ما عفا لك من محاسن أخلاق الناس وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وقال النبي ﷺ: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ويقارب ذلك ما قيل لفيلسوف، هل من جود يتناول به الخلق فقال: نعم أن تحسن الخلق وتنوي لكل أحد الخير. وقال ﷺ: إنّ أحبّكُمْ إليّ أحاسنكم أخلاقاً الموطؤونَ أكنافاً[4] الذين يألفونَ ويُؤلَفونَ وقال ﷺ: حرّمَ الله النار على كل هينٍ، لينٍ سهل قريب. وقال لأبي الدرداء: ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن قال: بلى يا رسول الله فقال: عليك بالصمت وحسن الخلق فإنك لن تعمل مثلهما. وقيل في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وقال مكحول: المؤمنون هينون لينون كالجملِ الأنف إن قدته إنقادَ وإنْ أنخته[5] على صخرة استناخ. قال شاعر:

ما لم يَضِقْ خلقُ الفتى ... فالأرضُ واسِعَةٌ عليهِ

وقال آخر:

لو أنني خُيّرتُ كُلَّ فضيلةٍ ... ما اخترتُ غيرَ مكارمِ الأخلاقِ

● الممدوحُ بحسْنِ الخُلُقِ

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: أو ما تقرؤن القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6] وقيل: فلان على خير ما تبنى عليه الضرائب.

---

(١) ابن الزيات: هو محمد بن الزيات ٢٣٣هـ (٨٤٧م) وزير المعتصم والواثق. عمل ضد المتوكل فانتقم منه هذا. كان أديباً شاعراً، ومات مقتولاً.

(٢) القرآن الكريم: الأعراف/١٩٨.

(٣) القرآن الكريم: الإسراء/٢٤.

(٤) أكناف: جمع كنف، الجانب.

(٥) أنخته: أبركته ـ يقال: أنخت البعير فبَرك، وتنوخ واستناخ.

(٦) القرآن الكريم: القلم/٤.

وقال البحتري:

سلامٌ على تِلْكَ الخلائقِ إنّها مُسلّمةٌ من كلِّ عارٍ ومَأْثَمِ[1]

قال أبو الفرج الأصبهاني[2]:

خلائقُ كالحدائقِ طاب منها النسيمُ وأينعتْ منها الثمارُ

وقيل: صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق

● النهيُ عن سُوءِ الخُلُق

قال النبي ﷺ: من ساء خلقه عذب نفسه. وقال عليه السلام: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق. وقيل: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبرُ العسل. وقال الأحنف: الداء الدوي الخلق الردي،[3] واللباس البذي، بئس الملبوس المبوس. وقيل: ليس لسيء الخلق توبة لأنه كلما خرج من ذنب دخل في آخر لسوء خلقه.

● المذمومُ بسوءِ الخلق

صحب رجل رجلاً سيء الخلق فلما فارقه قال: قد فارقته وخلقه لم يفارقه وقال أعرابي لرجل: أنك شكس الخلق دائم القطوب. قال عمرو بن كلثوم:

وكنتُ امرأً لو شئتُ أن تبلغ المنى بلغتُ بأدنى غايةٍ تستديمُها

ولكنَّ فطام النفس أثقلُ محملاً من الصخرة الصماء حين تَرُومُها[4]

وقيل: لا مداراة للخلق السيء القبيح كشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تثمر الأمر أو كذنب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد إلى إعوجاجه.

● المتمدحُ بمصابرة سيءِ الخُلُق

قال رجل لأحمد بن أبي خالد لقد أعطيتَ ما لم يُعط رسول الله ﷺ فقال: لئن لم تخرج من ذلك لا ضربنك. فقال الرجل: إن الله تعالى قال لنبيه ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا[5] من حولك وأنت فظ ونحن لا ننفض من حولك.

وقال شعيب بن حرب خطبتُ امرأة فأجابتني فقلت: إني سيء الخلق. فقالت: أسوأ خلقاً منك من يُلجئكَ إلى سوء الخلق. وقال حبيب لرجل سيء الخلق: إن استطعت أن تغير خلقك وإلا فليسعك من أخلاقك ما ضاق به درعُكَ.

---

(١) الخلائق: جمع خليقة، الطبيعة وما خلق الله.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين من أئمة الأدب وأحد أعلام التاريخ الأدبي. عاش ببغداد، مات سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م)، وله كتاب «الأغاني».

(٣) الردي: مخفف الرديء، أي السيء.

(٤) فطام النفس: الفطام: فصل الولد عن الرضاع، وفطام النفس الحول بينها وبين شهواتها.

(٥) انفضوا من حولك: تفرقوا.

● **صعوبةُ تركِ العادة والرجوع عنها**

قيل: للعادة على كل إنسان سلطان، وكل امرىء جارٍ على ما تعوّدا، **وقيل**: لكل كريم عادة يستعيدها، وقيل: اللسان متقاضيك ما عودته. قال المتنبي

وتـأتـى الـطّـبـاع عـلـى الـنـاقـلِ.

وقالت الحكماء العادة طبيعة ثانية.

● **نفيُ العيبِ عن تعاطي ما كان خلقاً**

قال بعض القدماء:

ظَـلَمْـتَ امرأً كـلَّفـتَه غَيْرَ خُلْقِه   وهـلْ كـانَـت الأخلاقُ إلا غـرائـزا[1]

قال الخبزارزي:

يُعَابُ الفتى فيما أتى باختياره   ولا عَيْبَ في ما كان خَلْقاً مركّباً

● **المتخلّقُ يرجعُ إلى شيمَته**

قال عمر رضي الله تعالى عنه من تخلّق للناس بما ليس خلقاً له شانه الله وفي كتاب كليلة الطبع المتكلّف كلما زدته تثقيفاً زاد تعقيفاً[2] وقيل كل إناء يرشح بما فيه وقال إن التخلق يأبى دونه الخلق.

قال ذو الإصبع[3]:

ومن يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ من خِيمِ نَفْسِه   يدعْه ويغلبْه على النفس خيمُها[4]

قال زهير[5]:

ومهما تكنْ عندَ امرىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وإن خالها تَخفى على النّاسِ تُعْلَمِ[6]

وقال آخر:

ولـلنفْسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى   أكـان سـخـاءً مـا أتـى أم تَـسَـاخِـيَـا

---

(١) **الغرائز**: جمع غريزة وهي الطبيعة أو ما فطر عليه المرء.

(٢) **التعقيف**: الإعوجاج، من عقّف العود عطفه وعوجه.

(٣) **ذو الإصبع**: هو حرثان بن الحارث من شعراء الجاهلية الأوائل، وأحد الفرسان الشجعان. سمّي بذي الإصبع لأن حية عضّت إصبعه أو نهشته فضرب فشلّت. مات ذو الإصبع في مطلع القرن السابع الميلادي.

(٤) **الخيم**: السجيّة والطبيعة.

(٥) زهير بن أبي سلمى، (ت ٥٣٠؟ ـ ٦٢٧م) شاعر جاهلي من أصحاب المعلّقات. اشتهر بالحكمة.

(٦) **يقول** زهير إن أخلاق المرء وسجاياه ستعلم وتظهر على حقيقتها ولا جدوى من إخفائها أو التستر عليها.

● الحثُّ على ملازمةِ العادَةِ الحسَنة

قال أبو عبد الله بن حنيف: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعليه قميص محلول الأزرار فسلم عليّ فقال: يا أبا عبد الله من عرف طريقاً من الخير فسلكها ثم رجع عنها، عذّبه الله تعالى عذاباً لم يعذّب به أحداً من العالمين، فانتبهت وأنا أقرأ، ومن يكفر بَعْدُ منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

وقال جعفر بن محمد وقد ليم في جوده: إنّ الله عوّدني عادة وعوّدتُه عادةً فأخاف أن يقطع عني عادته إنْ قَطعْتُ عادتي.

● الحثّ على لين الكلام وطلاقةِ الوجه

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1] وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[2] وقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3] وقال: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[4] وقيل: من لانت كلمته وجبت محبته.

قال سفيان بن عيينة:

بُنَيَّ إنَّ البِرَّ شيءٌ هيِّنُ ... وَجْهٌ طَليقٌ وكَلامٌ ليِّنُ

وقال: طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يستدل على الأمل البعيد. وقيل: حسن البشر اكتساب الذكر. البشاشة مصيدة المودة.

● الحثُّ على مداراةِ الناس

عن النبي ﷺ: مداراة الناس صدقة. وقيل: ثلثا التعايش مداراة الناس. وقال إبراهيم بن يسار: ما يسرني ترك المداراة ولي حمر النعم. قيل لِمَ قال: لأن الأمر إذا غشيك فشخصت له أرداك وإذا تطأطأت له تخطاك. وقيل: دارو الناس تسلموا. وقال معاوية: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا جذبوها أرسلتها وإذا أرسلوها جذبتها.

دارِ الصَّديقَ إذا استشاطَ تَغَيُّظاً ... فالغيظُ يُخْرِجُ كامِنَ الأحْقادِ

● حثُّ منْ حسُنَ خَلْقُه أن يُحسِّنَ خُلُقَه

نظر فيلسوف إلى غلام حسن الوجه يتعلم العلم فقال: أحسَنْتَ إذ قَرَنْتَ بحسن خَلْقِكَ حُسْنَ خُلُقِكَ. وقال جالينوس[5]: ينبغي للرجل أن ينظر إلى وجهه في المرآة فإن كان حَسَنَ الوجه جعل عنايته أن يضُمَّ إلى جمال وجهه كمال خلقه وكمال نفسه وإن رأى صورة سمجة تحرّز من أن يكون ذميم الخَلق والخُلق.

---

(1) القرآن الكريم: البقرة/ ٨٣.
(2) القرآن الكريم: طه/ ٤٤.
(3) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٣.
(4) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٨.
(5) جالينوس: طبيب يوناني (١٣١ ـ ٢٠١م) اشتهر باكتشافاته في التشريح.

● **مدحُ من حسن خَلقُه وخُلُقُه**

قال النبي ﷺ ما أحسن الله خلق أحد وخلقه فاطعمه النار. ووصف **خالد بن صفوان** رجلاً **فقال**: يقري العين جمالاً والأذن بياناً

قال ابن الرّومي:

كلُّ الخِلالِ التي فيكُم محاسِنُكُم ... تَشَابَهتْ فيكُمُ الأخْلاقُ والخَلْقُ[1]

كأنَّكُم شَجَرُ الأترجِ طابَ معاً ... حَمْلاً ونَوْراً وطابَ العودُ والوَرَقُ

محياه قد زرت علية شمائله، **وقال أحمد بن يوسف** لرجل. ما أدري أي حسنيك أبلغ ما وليه الله تعالى من تسوية خلقك وكمال خلقك أو ما وليته لنفسك من تحسين أدبك وكمال مروءتك.

● **الاستدلالُ من حسْن الوجه على حسْن الخُلُق**

قال قتادة ما بعث الله تعالى نبيًا إلا بعثه حسن الخلق حسن الوجه **وقيل لابن دلير المنجم** ما الدليل على أن المشتري[2] سعد؟ **فقال**: حسنه

وقالت الفلاسفة: قلّ صورة حسنه يتبعها نفس رديئة

منظره ينبيك عن مخبره نقش الطوالع مقرون عن الطين كمالك منظره إيضاح مخبره في حمرة الخد ما يغني عن الخجل.

● **حثُّ من قَبح وَجْهُهُ على تحسين خلقه**

تقدم ما قال جالينوس في ذلك **وقال الأرقص**: **قالت لي أمي**. خلقت خلقة قبيحة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان، فعليك بالأخلاق التي ترفع الخسيسة وتتم النقيصة فمعني الله تعالى بكلامها فتعلّمت العلم فأدركت به **وقال الأحنف لابنه وكان دميماً**. إنّك جميل فكن فَطِناً.

● **ذمُّ من حَسُنَ منظرُه وقُبح مخبرُه**

نظر فيلسوف إلى رجل حسن الوجه خبيث النفس، **فقال**. بيت حسن وفيه ساكن نذل ورأى آخر شاباً جميلاً، **فقال** سلبت محاسن وجهك فضائل نفسك.

قال الشاعر

خِلَقٌ مُمَثَّلةٌ بغيرِ خلائِقٍ ... تُزجى وأجسامٌ بِلا أرواحِ

---

(1) **الخلال**. جمع خلّة وهي الخصلة.

(2) **المشتري** كوكب يدل على السعد عند العرب، بخلاف كوكب المريخ الذي يرمز عندهم إلى الشؤم.

وقال آخر:

فإنّكُم ومدحُكُم بُجَيْرا   تَراهُ العَيْنُ أخْضَرَ ذا رواءِ[1]

لكَ النفسُ التي ترجو المَعَالي   وتمنعُ بالمَرارة والإباءِ

وقال آخر:

قلّت وجوهُ المضرِ حتّى إذا   كشمتهم كشفتْ إشتاقا

وقال غيره:

ألمْ ترَ أنّ الماءَ يَخْلِفُ طَعْمُهُ   وإنْ كانَ لونُ الماء في العيْنِ صَافيا[2]

وقال غيره:

لا تجعلنّ دليلَ المرء صورتَهُ   كم مخْبَرٍ سَمِجٍ مِنْ منظرٍ حسنِ[3]

وقال غيره:

فلا تجعلِ الحُسْنَ الدليلَ على الفتى   فما كُلُّ مصقولِ الحَديد يماني[4]

● ذمُّ من قُبْح خلْقُه وخُلُقُه

استعرض المأمون الجند فمر به رجل دميم فاستنطقه فرآه ألكن[5]، فأمر بإسقاطه وقال: إن الروح إذا كانت ظاهرة كانت وسامة وإذا كسب باطنة كانت فصاحة وأراه لا ظاهر له ولا باطن. وفي المثل أحسن ما في حالك وجهه وبه ستعلم لشاهد بالغائب. قال الشاعر:

مخبرُهُ أقبحُ مِنْ وجهِهِ   ووجهُهُ بالقُبْحِ مشهورُ

وقال آخر:

قد رأيناكَ فمَا أعجبتَنا   وبلوناكَ فلَمْ ترضِ الحسنْ

● الاستدلالُ بقبْح الوجه على قُبْح الصّنيع

قالت العرب: ليس على وجه الأرض قبيح إلا وجهه أحسن شيء منه.

قال شاعر:

يَدُلُّ على قبيحِ الفِعْلِ مِنْكُمْ   وأضلكُمْ وجوهُكُمُ القِبَاحُ

وقيل: أحسن ما في القبيح وجهه

---

(١) الرواء: الماء العذب، أو الماء الكثير المُروي.   (٢) يخلف (طعمه): أي يتغير.

(٣) المخبر: خلاف المنظر. السمج: القبيح.

(٤) يقول: إن الحسن ليس في المظهر، وإلا لكان كل حديد مصقول سيفاً يمانياً.

(٥) الألكن: اللكنة هي العجمة في اللسان.

● من قبح منظره وحسن مخبره

لما عاد الحجاج من محاربة الخوارج قال: اطلبوا لي فاضلاً أخرجه إلى عبد الملك، فأتوه برجل دميم المنظر حسن المخبر، فلما رآه عبد الملك استبشع منظره فاستنطقه فملأ أذنه صواباً، فتعجب منه عبد الملك وأنشد متمثلاً:

وإن عَرَاراً أن يكُنْ غيرَ واضحٍ فإني أحبّ الجونَ ذا المنكبِ العَمّ[1]

فقال: يا أمير المؤمنين أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: نعم هو لعمرو بن شاس في ابنه عرار فقال: أنا عرار ابنه فتعجب عبد الملك من مطابقة القول الحال فأمر له بمال وأوصى به إلى الحجاج وكلّم علي بن الهيثم عمر رضي الله عنه في حاجة وكان أعور دميماً فلما تكلم فأحسن، صعّد عمر رضي الله عنه فيه النظر وصوّبه وقال: لكل أناسٍ في جميلهم خيرٌ:

ألَمْ تسلِ الفوارسَ من سليمٍ بنضلةَ وهو موتورٌ يَشيحُ[2]

رأوه فازدرَوْهُ وهو خرقٌ وينفعُ أهلَهُ الرّجُلُ القبيحُ

فلم يخشَوا مصالتَه عليهم[3] وتحتَ الرغوةِ اللبنُ الصريحُ

واستعان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه برجل كريه المنظر فوجده حسن المخبر، فقال: ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً. وقال بعضهم: فلان دميم الخلق كريم الخلق ولئن أمزت[4] أذن فه لقد حلا مذاقه.

● تفاوتُ أخلاقِ الناس

الناسُ أشكالٌ وشتّى في الشِّيَمِ وكلّهم يجمعُهم بيتُ الأدمِ[5]

الناس في اختلافهم في خلقهم كاختلافهم في خلقهم قال شاعر:

وتفاضُلُ الأخلاقِ إن حصّلْتَها في الناسِ حَسْبُ تفاضُلِ الأجناس

قال غيره:

الناسُ أخلاقُهُمْ شتّى وإن جُبِلُوا على تَشابُهِ أرواحٍ وأجسادِ

قال خالد بن صفوان: الناس أخياف منهم من هو كالكلب لا تراه الدهر إلا هراراً[6] على الناس، ومنهم كالخنزير لا تراه الدهر إلا قذراً، ومنهم كالقرد يضحك من نفسه. وقال

---

(١) الجون: الشديد السواد ـ العَمّ: جمع عمومة وأعمام، أخو الأب

(٢) نضلة: ضربة سيف أو سهم ـ يشيح: يحذر

(٣) مصالته: جولته (٤) أمزت: جمدت مرّة

(٥) الأدم: الجلد باطنه أو ظاهره، وبيت الأدم: الجسم ـ يقول: لئن اختلف الناس في شيمهم وأخلاقهم فهم متماثلون من حيث بيت الجلد الذي يجمعهم

(٦) هراراً: هرّ الكلب: صات دون نباح

سلمان الفارسي[1] رضي الله عنه: الناس أصناف أربعة أسد وذئب وثعلب وضأن. فأما الأسد فالملوك يأكلون الناس أكلاً، والذئب التجار يختلسون، والثعلب القراء المخادعون، وأما الضأن فالمؤمن ينتهشه كل من رآه. وقال بعضهم الناس أخياف[2] علق[3] مضنة[4] لا يباع وعلق مظنة لا يبتاع. وقال بعضهم الناس في أخلاقهم كما قال أبو العتاهية.

من لك بالمحض وليس محضُ ... يخبث بعضٌ ويطيب بعضُ

● التمدّحُ بمخالفةِ الناس والحثُّ عليه

قال الشاعر:

أنــا كــالــمــرآة ألــقــى ... كُــلَّ وجــهٍ بــمــثــالِــهْ

وقال آخر:

متخلّقٌ من حسّنِ كلُّ خليقةٍ ... كمُطاردٍ في طبْعه المُتَمازحِ

وقال آخر:

أُحامِقُه حتى يقالُ سجيّةٌ ... ولو كانَ ذا عَقْلٍ لَكُنتُ أعاقِلُهْ

وقال آخر:

فَكُنْ أكيَسَ الكَيْسى إذا كنتَ فيهم ... وإنْ كنتَ في الحَمقَى فكُنْ مثلَ أحمقا[5]

● ذمُّ متفاوتِ الخُلقُ متلوّن

هو ذو لون مختلف الفعال وقال الأحنف لأن يبتلي بألف جموح لجوج أحبُّ إليّ من أن ابتلي بمتلوّنٍ واحد:

فـتـىً شـانَ أخـلاقـه بـلـقـةٌ ... فـفـيهن بيضٌ وفيهن سودُ[6]
أديبٌ جوادٌ جميلُ الرّجاء ... فصيحٌ بليغٌ كريمٌ مجيدُ
وقد شان تحسبنه أنه ... عجولٌ حديدٌ حقودٌ حسودُ

وقال رجل: إنه ليبلغ من مللي أن أُغيّر كلَّ شهر كنيتي مرتين. وقال خالد بن صفوان إنه ليبلغ من مللي أن أتبرم بنفسي فأتمنى أن يؤخذ مني رأسي فلا يرد إليّ إلا في كل أسبوع. وقال الجاحظ: التلوّن أن يكون سرعة رجوع المرء عن الصواب كسرعة رجوعه عن الخطأ.

---

(١) سلمان الفارسي: أحد مشاهير الصحابة. قدم من جهات أصبهان إلى الشام ثم قصد مكّة وأعلن إسلامه. مات سنة ٣٥هـ (٦٥٥م).

(٢) أخياف: مختلفون.

(٣) العِلق: النفيس من كلّ شيء.

(٤) علق مضنة: كل نفيس يبخل به.

(٥) الكيسى: جمع كَيّس.

(٦) بلقة: سواد وبياض.

● الحث على تخلية المتلون

إذا كانَ ذو لونٍ حوّولٌ من الهوَى ... موجهةً في كل صَوْب ركائِبُهُ
فَخلِّ له وجهَ الفراق ولا تكنْ ... مطيّة رحّال كثيرٍ مذاهبُهُ

● اللجوجُ

قيل: اللجاج[1] أن يكون ثبات العزم على إمضاء الخطأ كثبات العزم على إمضاء الصواب.

قال النابغ:

ألحّ لجاجاً من الخُنفُساءِ ... وأزهى إذا ما مشى من غُرابِ[2]

(٣)
وممّا جاء في المزاحِ والضّحكِ مدحاً وذمّاً

●

● النهيُ عن المزاحِ والتخويف منه

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: إيّاك والمزاح فإنه يذهب ببهاء المؤمن ويسقط مروءته ويجرّ عصبه. وقيل: المزاح مجلبة للبغضاء مثلبة[3] للبهاء مقطعة للأخاء. وقيل: إذا كان المزاح أوّلَ الكلامِ كان آخره الشتم واللكام[4].

سأل الحجّاج ابن القرية عن المزح فقال: أوله فرح وآخره ترح وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء. المزاح فحلٌ لا ينتج إلا الشر.

وقال مسعر بن كدام:

أما المُزاحةُ والمِراءُ فدعهُمَا ... خُلُقانِ لا أرضاهُما لصَديقِ[5]

المزاح أسباب الترك. وقيل: لا تمازح صغيراً فيجترىء عليك ولا كبيراً فيحقد عليك، ونحوه قول الشاعر:

فإيّاكَ إيّاكَ المِزاحَ فإنّه ... يُجري عليك الطفلَ والدنِسَ النّذلا

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر

(١) اللجاج: مصدر لجّ لججاً ولجاجاً ولجاجة: أي عند الخصومة، أو تمادى في العناد، ولجّ لجاجاً في الأمر لازمه وأبى أن ينصرف عنه.

(٢) خنفساء: دويبة سوداء كريهة الرائحة. أزهى: أكثر زهواً والزهو التكبّر.

(٣) مثلبة: عيب.

(٤) اللكام: وهو الضرب باليد، واللكم: الدفع.

(٥) المراء: الجدل والنزاع واللجاج.

وقيل: المزاح يبدي المهانة ويذهب المهابة والغالب فيه واتر والمغلوب ثائر.

وقيل: لا تفاكه أمة ولا تبل على أكمة، **وقيل:** احذر فلتات المزاح فمقطة الاسترسال لا تقال.

● النهيُ عن مزاحِ من لا تجوزُ مباسَطتُه

قيل: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم.

لا تعرضَنّ بمزحٍ لامرئٍ طَبِنٍ	ما راضهُ قلبُهُ أجراهُ في الشفةِ[1]
فربَّ مخرمةٍ بالمزح جاريةٍ	مشبوبةٍ لم يُرَدْ إنماؤها نَمَتِ[2]

● حمدُ الاقتصاد في المزْح

روي أن النبي ﷺ، كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، **وقال تعالى في صفة المؤمنين** ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[3] **وقال سعيد**[4] **بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك** فالإفراط به يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين. قال **خالد بن صفوان:** لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس. **وقال** رجل **لابن عيينة:** المزاح سبة فقال بل سنة لمن يُحسِنُه.

يا صاحبي في مُجونِي	قد طبْتُ فيكَ وطِبْتَ
إنّي إذا ضاق صدري	فطَفِقْتُ بالتخفف وقتي

وقيل: الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وقد ينفس عن جدّ الفتى اللعب.

● بعضُ ما رُوِيَ عن الأماثلِ في المزاحْ

رُوي أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس. **قالت له عجوز من الأنصار:** يا رسول الله أدْعُ لي بالجنة **فقال** ﷺ إن الجنة لا يدخلها عجوز فبكت المرأة وضحك النبي ﷺ **وقال** أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[5] **وقال لأخرى:** زوجُكِ في عينه بياض فرجعت إلى زوجها فأحمرته، فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها. **وقال** ﷺ لصبي: يا **أبا عمير** ما فعل النغير[6]؟ وجاء رجل إلى أمير المؤمنين

---

(١) **الطَّبِن** من طبِنَ الشيء وللشيء فطن له، **الطَّبِن:** أي فطن، والطُّبن (بضم الطاء) الطنبور، **والطُّبَن** الجبهة توضع فيصاد عليها.

(٢) **المخرمة.** يقال: خرمه خرماً ثلمه وشقه، وخرم قطع، واخترم استأصل وأهلك.

(٣) **القرآن الكريم:** الفرقان/ ٧٢ ـ **اللغو:** ما لا يعتد به، واللغو مصدر لغا لغواً في القول أخطأ وتكلم من غير روية.

(٤) **سعيد بن العاص:** صحابي قرشي عدوي، أحد العشرة المبشرة. اشترك في فتوح الشام توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ (٦٧٩م).

(٥) **القرآن الكريم.** الواقعة/ ٣٥.

(٦) **النغير:** مصدر نغر ينغر نغير الرجل على فلان: غلا جوفه غضباً عليه ونغرت القِدْر: غلت.

رضي الله عنه فقال: إني احتملتُ على أمي، فقال: لتقم في الشمس، ليضرب ظلّك الحدّ
وقال ﷺ لجاريته وقد وضأته فلما نهض اعتمد عليها، فقال: انظري لا تصرطي. وقال ابن عمر رضي الله عنهما لخادمه: خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام

- **النهيُ عن الغضب من المزح**

قال ابن سيرين رضي الله عنه ليس بحسن لحلق لغضب من المزح

- **الممدوح بأن فيه الجد والهزل في موضعهما**

إذا جدّ عند الجدّ أرضاك جدّهُ ... وذو بَاطِلٍ إن شئت ألهاك باطله

وقال آخر:

الجِدّ شيمتُهُ وفيه فكاهةٌ ... طوراً ولا جدًّا لِمَنْ لا يلعبُ[1]

قال آخر:

أهازل حيث الهزلُ يحسنُ بالفتى ... وإني إذا جدّ الرجالُ لذو جدّ

وقال بعضهم: لأعدمتك مرياً بجدك محسن الحملة وبهزلك مجالس البذلة.

هو الظفرُ الميمونُ إن راحَ أو غدا ... به الركبُ والتلعابة المتحبّبُ[2]

- **عذر من كان منه ضحك وهو مهموم**

وربّما ضحك المكروبُ من عجبٍ ... السّنّ تضحك والأحشاء تضطرمُ[3]

وقال آخر:

وقد يضحك الموتور وهو حزين

- **النهيُ عن كثرة الضحك وذمّه**

قال النبي ﷺ: إياك وكثرة الضحك فإنه تميت القلب وتورث النسيان، وقال عبد الله بن أبي دؤاد: فشا الضحك في أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[4] عن الثوري عظموا العلم ولا تكثروا الضحك فتمجه القلوب وكثرة الضحك من الرعونة، وضحك إسحاق بين يدي المأمون حتى فتح فاه، فأمر بأن يؤخذ سيفه ومنطقته ويُدفع إليه منديل الشراب، وقال: الشراب أليق بك فقال أقِلْني مرةً يا أمير المؤمنين فأقاله، فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً. ومرت معاذة العدوية على شبان عليهم الصوف وهم يضحكون فقالت: سبحان الله لبس الناسكين وضحك الغافلين. قال كعب: أن الله يبغض المضحاك من غير عجب.

---

(١) يقول: أنا ذو جدّ في المواطن التي يجد بها القوم لكني أمارس الهزل إذا بدا لي حسنه.
(٢) التلعابة: الكثير اللعب.
(٣) المكروب: المهموم. الأحشاء: ما انضمت عليه الضلوع. تضطرم: تشتعل.
(٤) القرآن الكريم: الحديد/١٦.

● النهيُ عن تعاطي ما يُضحِك

قال النبيّ ﷺ ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويل له ويلٌ له. وقال رسول الله ﷺ: إن الرجل يتكلم بالكلمة يضحك بها الدس فيدل أبعد ما بين السماء والأرض، وقيل لأبي العيناء: فلان يضحك منك فقال: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون.

● إيرادُ جِدّ في مسلَك هزْل

قيل: جديدة في لعيبة، وقال خالد بن صفوان رماني بأصلب من الجندل وشقني بأحرّ من الخردل، ثم قال أني أمازحك.

لـي صـاحـبٌ لـيـسَ بـخـلـو ... لـسـانُـهُ مِـنْ جِـرَاحـي
يُـجـدُّ تـمـزيـقَ عِـرضـي ... عـلـى طَـريـقِ الـمـزاحِ[1]

(٤)

ومما جاء في الحياء والوقاحة

■

قال النبي ﷺ الحياء شعبة من الإيمان ومن لا حياء له فلا إيمان له وفسر قوله تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾[2] بالحياء وقال: أبى عليك بالحياء والأنفة فإنك إن استحييت من الغضاضة[3] اجتنبت من الخساسة، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك أحد في مرتبة. وقيل: أحي حياءك بمجالسة من يستحى منه، وقيل: من جمع بين الحياء والسخاء فقد أجاد الحلة إزارها ورداءها.

● الممدوحُ بالحياء

في وصف النبي ﷺ أنه كان شديد الحياء، وكان أشدّ حياء من العذراء في خدرها[4]، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. وسأل يحيى ابن خالد رجلاً عن ابنه فقال: تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلىء العلم متناثرة من مياريب[5] منطقه. قال شاعر:

تـركُ الـحـيـاءِ بـهـا رُداعُ سَـقـيـمِ[6]

قال المتنبي:

وأوجـهُ فـتـيـانٍ حـيـاءً تـلـثّـمـوا ... عـلـيـهـنّ لا خـوفـاً مـن الـحـرّ والـبـرْدِ

---

(١) يقول: إنه ينال من شرفي في معرض المزاح.
(٢) القرآن الكريم: الأعراف/٢٦.
(٣) الغضاضة: غضّ من طرفه: خفضه وكفّه.
(٤) خدرها: ما يفرد لها من السكن.
(٥) مياريب: أقنية الماء جمع ميراب.
(٦) الرُّداع: معاودة المرض.

وليس حياءُ الوجه في الذئب شيمةً ولكنّه من شيمةِ الأسدِ الوَرْدِ[1]

وقال مروان بن أبي حفصة.

يكاد يَخْرُجُ في ديباج أوجهِهِمْ خوفُ المذلّةِ حتى ينفطرْنَ دَمَا

● من مُدِحَ بالحَياء في السّلم والوقاحةِ في الحرب

قال شاعر:

كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَرْطَ حيائِه ويَدْنُو وأطرافُ الرِماحِ دَوَانِ[2]

وقال آخر:

يتلقّى النّدى بوجه حَيِيٍّ وصدورَ العدا بِوَجْهٍ وقاحِ[3]

قال الموسوي.

يجري الحياءُ الغضُّ من قسماتِهِمْ في حين يجري في أكفِّهِمِ الدَّمُ[4]

● منْ يستحِي من النّاس دونَ نفسِه وربّه

قال كعب استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم. وقيل من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدْرَ لنفسه عنده

قال رجل للنعمان: أوصني فقال إستحِ من الله كما تستحي من رجل من عشيرتك وفي ضد ذلك:

إذا كان ربّي عالِماً بسَريرتي فما الناسُ في عيني بِأعظَمَ مِنْ ربّي

● ذَمُّ الوقاحة

قال النبي ﷺ إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوّة. إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت قال شاعر في معناه:

إذا لَمْ تخشَ عاقِبَةَ الليالي ولم تستحي فاصْنَعْ ما تَشاءُ

وفي معناه أيضاً:

إذا لَمْ تصُنْ عِرضاً ولم تَخْشَ خالقاً وتستحِ مخلوقاً فما شئْتَ فاصْنَعِ

وقيل إذا لم تستحِ فقل، وإذا لم تخشَ فقُل. العفة خير من الصفاقة[5]

---

(١) الوَرْد اسم للأسد

(٢) يغضّ الطَّرف كناية عن الحياء ـ دوان: أي دانية، قريبة.

(٣) الندى: الجود والعطاء. (٤) القسمات: أمارات الوجه وأساريره

(٥) الصفاقة. الوقاحة

● هجاء وقح

قيل: فلان يعد الحياء جُبْنة والوقاحة جنة، هو أوقح من الدهر، وجه صلب ولسان حلب. قال شاعر:

يا ليت لي من جِلْدِ وجْهِك رقعةً   أقُدُّ منها حافِراً للأشهبِ

قال منصور بن باذان: الصخر هش عند وجهك في الوقاحة ومن الأبيات الرائقة الرائعة التي لا أرتاب لها

إن يَعْجِزوا أو يَبْخَلوا   أو يَغْدُروا لم يَحْفِلُوا[1]
وغَدَوا عليك مُرَجَّلِين   كأنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا

قال الناجم:

لك عرض مُثَلَّمٌ[2] من قَوارِ   يرِ ووجهٌ مُلَمْلَمٌ من حَديدِ

● مدْحُ الوَقاحة

قال علي رضي الله عنه: قرنت الخيبة بالهيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب. قال شاعر:

إذا رزقَ الفتى وجهاً وقاحاً   تَقَلَّبَ في الأمور كما يشاءُ
ولمْ يَكُ للأمورِ ولا لِشيءٍ   يُعالِجُهُ له فيه عَناءُ[3]

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر[4] رضي الله عنهم: ما المروءة؟ فقال: ترك الحيا واتباع الهوى.

● الشاكي حياءه

قال العتابي: فيّ خصلتان اعتقلتاني عن كثير من المنافع: حصر مقيد بالحياء وعزة نفس شبيهة بالجفاء

قال أبو الأسود[5]:

وأعطيتُ حظّاً من حَياءٍ وأشتكي   من العَجزِ ما لم يَبْدُ للنّاسِ عائبُهْ

---

(١) إن يبخلوا: من بخل الناس شأنهم
(٢) مثلّم: مكسور، محدث فيه خلل - قوارير: جمع قارورة وعاء يجعل فيه الماء أو الشراب
(٣) العناء: عنا عناء وعنوّ الأمرُ (فلان): شقّ، وعنا عنوّاً له: خضع وذلّ - يقول: إنه لا يجد عناء في معالجة الأمور.
(٤) عبد الله بن جعفر: صحابيّ وُلد في الحبشة وهو ابن أخي علي لقب ببحر الجود (ت ٨٠هـ/ ٧٠٠م)
(٥) أبو الأسود: هو أبو الأسود الدؤلي، شاعر من بني دؤل تنسب إليه أصول النحو العربي.

وقال آخر:

لِسَاني وقَلْبي شاعِران كلاهُما ... ولكنّ وجهي مُفْحَمٌ غيرُ شاعِرِ

قال العبّاس بن الأحنف:

مَن راقَبَ النّاسَ ماتَ غَمّاً ... وفازَ باللّذّةِ الجَسُورُ

(٥)

الأمانة والخيانة

●

● الحثُّ على الأمانة والنهيُ عن الخيانة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾(١) وقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾(٢) وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(٣) وقال النبي ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له. ومن دعائه عليه السلام: أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة. **وقال** الجاحظ: سقى الله قبر الأحنف حيث **يقول**: الزم الصحة يلزمك العمل. **وقال**: إذا لم تكن خائناً فكن آمناً. **وقيل**: أفحش الزمانة عدم الأمانة. إذا ذهب الوفاء نزل البلاء وإذا مات الاعتصام عاش الانتقام. خيانة الناس أقبح الإفلاس. **وقال** معاوية: الزم الربيعين: الأمانة والعدل.

● الحثُّ على الوفاء ومدحه

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٤) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(٥) وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾(٦) وقيل: إذا ذهب الوفاء نزل البلاء وإذا ظهرت الخيانات استمحقت(٧) البركات. **وقيل**: الوفاء من شيم الكرام والغدر من شيم اللئام. **وقيل في** قوله تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٨): لا تلبس ثيابك على الغدر.

● مدحُ ذوي الوفاء

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(٩)، قال شاعر:

ولم تُوقَدْ لها بالغَدْرِ نارُ

---

(١) القرآن الكريم: النساء/٥٨.
(٢) القرآن الكريم: النساء/١٠٥.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/٥٢.
(٤) القرآن الكريم: البقرة/٤٠.
(٥) القرآن الكريم: المائدة/١.
(٦) القرآن الكريم: النحل/٩١.
(٧) استمحقت: اضمحلت.
(٨) القرآن الكريم: المدثر/٤.
(٩) القرآن الكريم: البقرة/١٧٦.

قال المسيب بن عيسى:

أنتَ الوفيّ فما تُذَمّ وبعضُهم ... يُوفي بذمّته عُقابُ الملاعِ[1]

وقال أعرابي: فلان لا يشكره الحي[2] ولا يشكوه الوفا. قال التنوخي:

عَظَائِمُ لو أنّ السموألَ خافَها ... لخانَ امرأ القيس الوكيد منَ العهدِ[3]

● من التزمَ مكروهاً في التزام الوفاء

قيل: أكرم الوفاء ما كان عند الشدة وألأم الغدر ما كان عند الثقة، كان السموأل أودعه امرؤ القيس دروعاً، فقصده الملك وأخذ ابنه وقال: إن دفعت الدروع إليّ وإلا ذبحت ابنك، فقال: أجّلني يوماً. فجمع عشيرته واستشارهم فكلٌ أشار بأن يدفع إليه فلما أصبح قال: ليس إلى دفعها سبيل، فاعمل ما بدا لك. فذبح الملك ابنه. فوافى السموأل بالدروع الموسم ودفعها إلى ورثة امرىء القيس، فقال[4]:

وفَيْتُ بأدرعِ الكِنْدي إنّي ... إذا ما خانَ أقوامٌ وَفَيْتُ[5]

وفيه قال الأعشى وهي أبيات جيّدة رائقة[6]:

كُنْ كالسّموألِ إذْ طافَ الهُمامُ بهِ ... في جحفلٍ كسوادِ الليلِ جرّارِ

بالأبلقِ الفَرْدِ من تيماءَ منزِلُهُ ... حِصْنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ[7]

قدْ سامهُ خطّتيَ خسْفٍ فقالَ له ... قُلْ ما بدا لكَ إني سامعٌ حارِ[8]

فقالَ ثُكْلٌ وغدرٌ أنتَ بينهُما ... فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمُختارِ

فشكَّ غيرَ طويلٍ، ثمّ قالَ له ... أقْتُلْ أسيرَكَ إنّي مانعٌ جَاري[9]

وعمير بن سليم الحنفي كان يقصده السواقط[10] فلا يتعرض لقصّاده، وكان مرداس في سجن عبيد الله بن زياد فقال له السجّان: أنا أحب أن أوليك حسني، فإن أذنت لك في

---

(١) الملاع: المفازة لا نبات فيها. (٢) الخنى: الفحش في الكلام.

(٣) العظائم: جمع عظيمة وهي النازلة الشديدة ـ السموءل: هو السموأل بن عاديا، شاعر عربي يهودي عاش في القرن السادس الميلادي وهو صاحب الحصن الأبلق، وهو مضرب المثل في الوفاء لأنه آثر أن يقتل ابنه على أن يخون عهده أو أمانته، بعد أن أودع عنده امرؤ القيس دروعه (انظر قصة ذلك في مقدمة شرحنا ديوان السموأل، منشورات دار الأرقم). وللسموأل قصيدته اللامية الشهيرة ومطلعها:

إذا المرءُ لمْ يدنَسْ من اللؤمِ عرضُهُ ... فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

(٤) انظر الديوان. (٥) الكندي: أي امرؤ القيس وهو من بني كندة.

(٦) انظر ديوان الأعشى (منشورات دار الأرقم ـ بيروت) ص٨٨.

(٧) الأبلق: حصن للسموأل (انظر معجم البلدان لياقوت).

(٨) حار: مخفف الحارث. (٩) فشك: وفي رواية فكر.

(١٠) السواقط: جمع الساقطة، اللئيم الدنيء الفعل.

الانصراف إلى دارك أتدلج[1] علي؟ فقال: نعم، فكان يفعل ذلك به. فلما كان ذات يوم قتل بعض الخوارج صاحب شرطة زياد، فأمر زياد أن يُقتَل مَنْ في الحبس من الخوارج وكان مرداس خارجاً، فقال أهله: اتق الله في نفسك فإنك مقتول إن رجعت، فقال: ما كنت لألقى الله غادراً وهذا جبار ولا آمن أن يقتل السجان فرجع، وقال للسجّان تساقط[2] إليّ ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا فبادرتُ لئلا يلحقك مكروه، فقال السجّان: خذ أي طريق شئت فانجُ نجاك الله.

● الوفياتُ من النساء

قال أبو عبيدة: لم تفِ امرأة لزوجها إلا قصعيتان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه، وذلك أنه خطبها معاوية لما قتل عثمان فدعت بفهر[3]، فقلعت ثنيتها[4] وقالت: إني رأيت الحزن يبلى فلم آمن أن يبلى حزني فتدعوني نفسي إلى التزوّج وامرأة هدبة فإنها حين قتل زوجها قطعت أنفها وكانت حسنة الأنف لئلا يُرْغَب فيها.

● قلةُ الوفاءِ في الناس ووصفُ عامتهم بالغدرِ

قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[5] وكان يحيى بن خالد إذا اجتهد في يمينه يقول: لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى. وكان يقول هو أعز من الوفاء، وقيل لحكيم أي أصناف الناس أقل وفاء فقال أهل الأمانة والوفاء.

قال موسى العلوي:

وخانَ الناسُ كلُّهُمُ ... فلا أدري بمن أثقُ

قال المتنبي:

غيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ ... إنْ قاتلوا جبنُوا أو حدثوا شَجُعُوا
أهلُ الحفيظةِ إلا أنْ تجربَهُمْ ... وفي التجاربِ بعد الغَيّ ما يَزَعُ[6]

قال أبو فراس:

بِمَنْ يثقُ الإنسانُ فيما ينوبُهُ ... ومِنْ أين للحرّ الكريمِ صِحابُ
وقد صارَ هذا الناسُ إلا أقلَّهم ... ذئابٌ على أجسادهنّ ثيابُ

وله:

أَبْغِي الوفاءَ بدهرٍ لا وفاءَ له ... كأنني جاهلٌ بالدهرِ والناسِ

(1) أتدلج: من دلج: أي سار في الليل.
(2) تساقط إليّ الخبرُ: وردني شيئاً بعد شيء.
(3) بفهر: أي بحجر رقيق.
(4) ثنيتها: أسنان مقدّم الفم.
(5) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٠٢.
(6) الغي: الضلال ـ يزع: يمنع.

وله:

نعم دعتِ الدنيا إلى الغدر دعوةً   أجابَ إليها عالِمٌ وجَهُولُ

وقال آخر:

والمنتمُون إلى الوفاء جماعةٌ   إنْ حصّلوا أفناهُمُ التحصيلُ

وقال الموسوي:

أبى الناس إلاّ دميمَ الفعالِ   إذا جرّبوا وقبيحَ الكذبِ

● ذمُّ الغدرِ وذَويه

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2]، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الغدر مكر والمكر كفر. وقيل: الخيانة خزي وهوان، وقيل: مَن عامل الناسَ بالمكر كافأوه بالغدر.

قال شاعر:

لقد غدرتَ وعيبُ الغدرِ مشتهرُ

وكانت العرب إذا غدر منهم غادر يوقدون له بالموسم ناراً وينادون عليه، يقولون ألا أن فلاناً غدر ولذلك قال الغادرة [illegible]:

اسمي ويحك هل سمعتَ بغدرةٍ   رُفِعَ اللواءُ بها لك في المجمعِ

وقيل: حكي وفاء زهير المازني في الجاهلية ورأى في منامه كأنه حائض، فقص رؤياه على قس بن ساعدة فقال: إنك غدرت أو غدر بعض عشيرتك. فلما قدِمَ على أهله وجد أخاه قد غدر بجار له فقتله، وقال: عَلامَ سُمّيتَ وفاء إذا رَضيتَ الغدر.

● رجوعُ الغدرِ إلى صاحبه وسرعةُ إدراكِ عقوبته

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: ثلاث من راجعات إلى أهلها: المكر[3] والنكث[4] والبغي[5]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[6] وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[7] وقال: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾[8]، وقيل: رُبَّ حيلة كانت على صاحبها وبيلة. وقيل: رب حيلة أهلكت المحتال.

---

(1) القرآن الكريم، البقرة/ ٢٧.
(2) القرآن الكريم: النحل/ ٤٥.
(3) المكر: الخداع.
(4) النكث: عدم الوفاء بالوعد أو خيانة العهد.
(5) البغي: الظلم.
(6) القرآن الكريم: فاطر/ ٤٣.
(7) القرآن الكريم: الفتح/ ١٠.
(8) القرآن الكريم: يونس/ ٢٣.

قال امرؤ القيس:

ويــغــدُو عــلــى الــمــرْءِ مــا يــأتــمِــر

وقال آخر:

وكــمْ مِــنْ حــافــرٍ لأخِــيــه لــيْــلاً   تَــرَدّى فــي حــفــيــرتِــهِ نَــهَــارا

وقيل: من حفر مغواة[1] وقع فيها، وقيل: من عاد إليه مكره عاد الرمي على الرمية، وقيل أربع من أسرع الأعمال عقوبة: من عاهدته ورأيك أن تفي له ورأيه الغدر، وَمَنْ سعى على من لم يَبغِ عليه، ومن قطع رحم من يصله، وَمنْ كافأ الإحسان بإساءة.

● الموصوفُ بالغدر

قال أعرابي: إنّ الناس يأكلون أماناتهم لقماً وفلان يحسوها حسواً ويقال فلان أغدر من الذئب. قال شاعر:

هـوَ الـذئـبُ أو لـلـذِّئـبُ أوفَـى أمـانـةً

وقيل الذئب يأدو الغزال أي يختله. واستبطأ عبيد الله بن يحيى أبا العيناء فقال: أما والله يابك أكثر من الغدر في آل خاقان

قال حسّان:

إنْ تـغـدرُوا فـالـغـدْرُ فـيـكُـمْ شـيـمـةٌ   والغدْرُ ينْبتُ في أصول السّخبرِ[2]

وقال الخبزارزي:

ولِـمْ تـتـعـاطـى مـا تـعـودْتَ ضِـدّه   إذا كـنـت خـوّانـاً فَـلِـمْ تـدّعي الـوَفـا

وقال الباذاني في أبي دلف وكان نقش خاتمه الوفاء

ألْــغَــدْرُ أكْــثَــرُ فِــعْــلِــهِ   وكــتــابُ خــاتَــمِــهِ الــوَفــا

وقيل كان بنو سعد يسمون الغدر كيسان ويستعملونه وفيهم يقول اليمني:

إذا ما دَعَوْا كيسانَ كانتْ كُهُولُهمْ   إلى الغَدْرِ أدْنَى من شبابِهِم المُرْدِ[3]

● التعريضُ بمن كانَ منه غدر

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي عند قتله ابن هبيرة: ما كان أعظم رأس صاحبك. فقال: نعم وأمانته كانت أعظم.

---

(١) المغواة: الورطة.

(٢) الشيمة: الطبيعة، السجية ـ السخبر: نوع شجر ينبت في أرض العرب.

(٣) المرد: جمع الأمرد وهو الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

وكان لعبد الملك صديق يختصه، فغاب عنه غيبة قتل عبد الملك فيها عمرو بن سعيد بعد أن أمنه. فلما قدم قال له يوماً: ما تقول في قتل عمرو بن سعيد؟ فقال: اعفني. فقال: أقسمت عليك لتقولنّ. فقال: لو قتلته يا أمير المؤمنين وأنت كان حي جميلاً. فقال: أو ما تراني حياً قال ليس بحي من أقام نفسه مقاماً لا يوثق به، والله لا يخرج عليك بعدها خارجي إلا ويبلغ الغاية في معاداتك، وإن بذلت له كل أمانة. فقال عبد الملك: لو سبق إلى إذني لم أصنع ما صنعت، ولقد صدق من قال نصف عقلك مع صاحبك.

قال جحظة[1]:

وأمّنتني ثمّ عاقبتني ... مكانَ أمانِ أبي مُسلِمِ

● مدحُ سوءِ الظنِّ بالنّاس

قيل: ما الحزم؟ قال: سوء الظن بالناس.

وقال ببغاء[2] البغدادي:

وأكثرُ من تلقى يَسُرّك قولُه ... ولكنْ قليلٌ من يسُرّك فعلُهُ

وقد كانَ حسْنُ الظنّ بعضَ مذاهبي ... فأدّبني هذا الزمانُ وأهلُهُ[3]

وقد تقدم هذا الباب.

● ذمُّ منْ ساءَ ظنّه

قيل لبعضهم: ما ظنك بالناس؟ قال: ظني بنفسي. قال المتنبي:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ ... وصدّقَ ما يعتادُه من توَهُّمِ

وقيل: أخفض الناس[4] من لا يثق بأحد ولا يثق به أحد.

● النهيُ عنِ الوقوفِ موضِعَ التُّهمة

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقومَنّ مقام التهمة. وقيل: من وقف موقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة. من جعل نفسه عرضاً للتهم فلا يلومنّ من أساء به الظن.

---

(١) جحظة: هو أحمد بن جعفر وهو من البرامكة. اتصل بالخليفة المعتمد وحظي عنده وكان شاعراً بارعاً يجيد الغناء وكان أيضاً من ظرفاء عصره وبعل ضربه ساعد على تقبّل دمامته وقبح وجهه.

(٢) الببغاء: هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي أصله من نصيبين بالعراق. لقب بالببغاء للثغة في لسانه. اتصل في شبابه بسيف الدولة ثم قدم الموصل. أكثر شعره في الغزل والخمر والمدح. مات سنة ٣٩٨هـ.

(٣) يقول: كان حسنُ الظن أحد مذاهبي في الحياة، لكنّ صروف الدهر وطبائع الزمان وأهله علمتني فبدّلت آدابي ومعتقدي.

(٤) أخفض الناس: أحطهم شأناً.

- **حقيقةُ النِّفاق**

قيل: حقيقة النفاق اختلاف السرّ والعلانية واختلاف القول والعمل، وقال ﷺ: علامة المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان.

- **ذمُّ ذي الوجهين**[1]

قال الأحنف: إنّ ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً. **قال صالح بن عبد القدوس**[2]:

قلْ لِلّذي لستُ أدري من تلوّنِه   أناصحٌ أمْ على غشٍّ يُداجيني
إنّي لأكثرُ ممّا سُمْتَني عجباً   يدٌ تشجُّ وأخرى منكَ تأسوني[3]
تذمُّني عندَ أقوامٍ وتمدحُني   في آخرينَ وكلٌّ منكَ يأتيني

- **النهيُ عن الاستعانةِ بخائنٍ**

قيل: من استرعى الذئب ظلم. **قال شاعر**:

إنّ الضعيفَ إذا استعانَ بخائنٍ   كانَ الضعيفُ شريكَهُ في المَأثَمِ[4]

قال آخر:

إذا أنتَ حمّلتَ الخؤونَ أمانةً   فإنّكَ قد أسندتَها شرَّ مسندِ

وقال آخر:

إنّ الضعيفَ إذا تكنّفه الظنينُ هو الظنينُ

وقال علي رضي الله عنه: من تتهمه فلا تأتمنه ومن تأتمنه فلا تتهمه.

- **عذرُ من استعانَ بخائنٍ سهواً**

قال أبو تمّام:

هـذا النبيُّ وكانَ صفوةَ ربِّهِ   من بينِ بادٍ في الأنامِ وقارِ[5]
قد خصَّ من أهلِ النفاقِ عِصابةً   وَهُمُ أشدُّ أذىً مِنَ الكُفّارِ[6]

---

(1) **ذو الوجهين**: المخادع المرائي والمتلوّن المنافق.
(2) **صالح بن عبد القدوس**: شاعر بغدادي عرف بالزندقة ويقول بإلهين هما إله الخير وإله الشرّ وقيل إن الخليفة المهدي صلبه. ومن أشهر شعره القصيدة الزينبية.
(3) **سمتني**: كلفتني إيّاه.
(4) **يقول** إن الضعيف الذي يستعين بخائن يصبح شريكه في الخيانة.
(5) **الصفوة**: النخبة المختارة - **الأنام**: الناس - **البادي**: ساكن البادية. **القار**: الذي قرّ أي ثبت بالمكان ولم يرتحل، والمراد أهل الحضر.
(6) يقول لا عجب أن ممدوحه خدع بمكر الإفشين إلى أن تكشّف سريرته، فالنبي محمد ﷺ أولى ثقته عصابة أضمرت النفاق وانتحلت الإسلام مكراً.

واختارَ من سَعْدٍ لَعِين بني أبي ... سَرْحٍ لِوَحي اللهِ غيرَ خيارِ[1]

- **الحثُّ على نقْضِ عهدِ الغادر**

قال بعض العلماء: حقّ على من جعل لغدر عهداً أن ينقصه، لأن الله تعالى يقول ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] وقال الأعمش: نقضُ العهد مع من لا عهد له وفاءٌ بالعهد.

- **الحثُّ على الغدْر والتبجُّحُ به**

قال شاعر:

خَزْقٌ على الناسِ وخَزْقٌ لهم ... فإنّما الدُّنيا مخاريقُ[3]

وقال مسعود الأسدي:

قالوا غدرْتَ فقلْتُ خير مربّما ... نالَ العُلى وشفى الغليلَ الغادِرُ[4]

وقال العباس بن الأحنف:

ملّي واثِقاً بِحُسنِ وفائي ... ما أضرَّ الوفاءَ بالإنسانِ

(٦)

ومِمّا جاء في المسابقة إلى المعالي والرفعة والمجد وصيانة النفس والمروءة والفتوة وتعظيم الأماثل

■

- **الممدوحُ بأن مُجاريه إلى العلاء تأخر عنه**

مدح كاتب رجلاً قال: فلان طالت إلى المساعي خطاه وبذّ[5] شأوه[6] من ساماه وجاراه.

وخطب عمر رضي الله عنه أبا بكر وفضله، فقال: وإنه كان كما قال الشاعر:

مَن يَسْعَ كي يدركَ مسعاته ... يجتهد الشدّ بأرضِ فضاءِ

واللهُ لا يدركُ أيامَه ... ذو مئزرٍ ضافٍ ولا ذو رداءِ

---

(١) لعين بني سرح (هنا) هو عبد الله بن سعد أسلم واختاره النبي لكتابة الوحي لكنه سرعان ما ارتد مشركاً، ولم يكن أهلاً للخيار

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٢٤.

(٣) الخزق: لعب الصبيان بالمخاريق وهي الخرق المصرورة

(٤) جير: اسم فعل بمعنى «نعم». (٥) بذّ: يبذّه بذاً سبقه وعليه

(٦) الشأو: الأمد.

وفي المثل فلان لا يشق غباره[1] وكتب كاتب لسنا لاحقيك إذا ابتدأت ولا سابقيك إذا كافأت.

وسئل مجنون: كيف رأيت بني فلان مع من فخر؟ فقال:

كانوا ومن عاداهُم من البَشَر ... كأنما أجريتَ خيلاً وبقر

وقال مسلم الخاسر:

جاراك قومٌ فلمْ ينالُوا ... مداكَ والجَرْيُ لا يُعَارُ[2]

وقال المتنبي:

من تعاطى تشبهاً بكَ أعيا ... ه ومن دلّ في طريقِك ضلا[3]

وقال البحتري:

في فتيةٍ طلبُوا غبارَك إنه ... رَهَجٌ ترفعَ من طريقِ السؤددِ

قال ابن الرومي:

رجحتمُ على أكفائكم إذا وزنتُمْ ... وهل يستوي الآلافُ والعشراتُ

قال أبو تمام:

محاسنُ أقوامٍ متى تقرنوا بها ... محاسن أقوامٍ تكُنْ كالخبائث[4]

● من يُبكت مساميه ومباريه

وقال بشار:

أيها الجاهلُ المُباهي سُويَداً ... ليس بدرُ السماءِ مثلك بدانِ[5]

وقال أبو تمام:

ويا أيها الساعي ليُدرِكَ شأوَه ... تزحزح قصياً أسوأُ الظنّ كاذبُهْ[6]

بحسبكَ من نيْلِ المكارمِ أن تُرى ... عليماً بأنْ ليستْ تُنالُ مناقِبُهْ[7]

وقال آخر:

نحيت بيربوع لتدركَ دارما ... ضلالاً لمن مَنّاكَ تلكَ إلا مانيا

سعيت شباب الدهر لم تستطعهم ... أفالآن لما أصبح الدهرُ فانيا

قال الموسوي:

يريدُ المعالي عاطلٌ من أداتها ... وهيهات من محصوصة طَيَرانُها

---

(1) لا يشق غباره: أي لا يجاريه ولا يسبقه أحد.

(2) يقول حاول القوم أن يجاروك فلم يستطيعوا لأن قوة الجري لا تكتسب بالإعارة

(3) أعيا: عجز، وقصّر عن الشيء

(4) الخبائث: الأفعال المذمومة.

(5) يدان: الدني: القريب

(6) الشأو: الغاية ـ القصي: البعيد

(7) المناقب: المآثر، الفضائل، الحسنات

● حثّ من يحسدُ فاضِلاً أن يفعلَ فعلَه

رأى الحسن قوماً يتهافتون على جنازة بعض الصالحين، فقال: مالكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم؟ ها هي الاسطوانة التي كان يلزم إلزموها تكونوا مثله. قال أشجع:

يـريـدُ الـمـلـوكُ مـدى جـعـفـرٍ ... ولا يـصـنـعـون كـمـا يَـصْـنَـعُ

وقال ابن المعتز:

يـا طـالِـبـاً لـلـمـلـكِ كـنْ مـثـلَـه ... تـسـتـوجـب الـمُـلْـكَ والأعـلا

وأنشد أبو العيناء:

إذا أعـجـبـتْـك خـلالُ امـرئٍ ... فـكُـنْـهُ يَكُـنْ مـنـكَ مـا يـعـجِـبُـكْ[1]

● الموصوفُ بأنّه نالَ السّماء رفعةً

قال تميم بن مقبل:

نـالوا الـسـماءَ فـأمْـسَـكُـوا بـعـنـانِـهـا ... حتى إذا كانوا هناك استمْسَكُوا[2]

قال صاحب البصرة:

مـلـكـنـا الـسـمـاءَ بـأحـسـابـنـا ... ولـولا الـسـمـاءُ مَـلـكْـنـا الـسّـمَـا

أخذه من قول النابغة الجعدي

بـلـغْـنـا الـسـماءَ نـجـدةً وتـكـرّمـاً ... وإنـا لـنـرجـو فـوقَ ذلـك مَـظْـهَـرَا

وأنشد ذلك النبي ﷺ فقال: إلى أين؟ فقال: إلى الجنة فقال ﷺ: لا فضّ فوك.

وقال الفرزدق:

فـلـو أن الـسّـمـاءَ دَنَـتْ لـمـجـدٍ ... ومَـكْـرُمـةٍ، دنَـت لَـهُـمُ الـسّـمَـاءُ

● النازِلُ ذروةَ الشّرف

قال شاعر:

سـمَـا فـوقَ صـعْـبٍ لا تُـنَـالُ مـراتِـبُـهْ

وقال حسّان:

سـمَـوْتُ إلـى الـعـلـيـا بـغـيـر مـشـقّـةٍ ... فـنِـلْـتُ ذُرَاهَـا لا دنـيـئـاً ولا وغْـلا[3]

قال ابن الرومي:

تدلّوا على هامِ المعالي إذا ارتقى ... إلـيْـهـا أنـاسٌ غـيـرُهـمْ بـالـسّـلالـمِ[4]

---

(١) الخِلال: جمع خلّة وخُلّة وهي الخصلة (٢) العنان: السحاب، وعنان السماء: ما ارتفع منها

(٣) ولا وغلاً: الوغل: الضعيف الدنيء والمقصر والمتطفل الداخل على الناس في طعامهم وشرابهم دون أن يدعى.

(٤) هام: رأس، قمة.

وقال غيره:

على قمّةِ المجد المؤثَّل جالسُ[1]

● المبادرُ إلى تناول المكرُمات

يستحسن في هذا المعنى قول الشمّاخ[2]:

إذا ما رايةٌ رفِعَتْ لِمَجْدٍ وقَصَّر مبتغوها عَنْ مَداها
وضاقَتْ أذرعُ المثرين عنها سما أوْسٌ إليها فاحْتَوَاها

وقال ابن الرومي:

سجايا إذا هَمَّتْ بخيرٍ تسرّعَتْ إليه وإن هَمَّت بشرٍ تَنَاءَت[3]

وصف أعرابي رجلاً فقال: هو وسّاع إلى الخير قطوفٌ عن الشر وعكس ذلك شاعر، فقال:

هوَ في الخيرِ قطوفٌ وهو في الشرّ وسّاعُ

● المختصرُ طريقَ المكرمات

قال البحتري:

له طريقٌ إلى العَليا مختصَرُ

قال ابن طباطبا:

كأنّه من سُمُوّ همّته يأتي طريقَ العُلا فيختصِرُ

قال الرفّاء[4]:

قلتُ إذ برز سبقاً في العلا إلى المجد طريقٌ مختصرُ

● المتدرعُ للعلا

قال شاعر:

ألبسهُ اللّهُ ثيابَ العلا فلم تَطُلْ عنه ولم تقصُرِ

قال أشجع[5]

مكارمُ ألبستَ أثوابها كلُّ جديدٍ عندها بالِ

---

(١) المؤثّل: المتأصل والمعظم

(٢) الشمّاخ: هو الشماخ بن ضرار وأخوه مزرد (انظر جوانب من حياته وشعره في الشعر والشعراء لابن قتيبة) ـ منشورات دار الأرقم ص٢١٥.

(٣) سجايا: جمع سجية، خصلة

(٤) الرفّاء: هو أبو الحسن السري الكندي، الرفاء من مواليد الموصل سمّي الرفاء لأنه كان يرفو ويطرز في دكان وينظم الشعر خلال عمله، ثم اشتهر واتصل بسيف الدولة ثم بالوزير المهلبي. تميز بعذبته في شعره وعذوبة لفظه مات سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م)

(٥) أشجع: هو أشجع بن عمرو السلمي من قيس. كانت ولادته باليمامة، لكنه نشأ بالبصرة وفيها قال الشعر حتى صار من فحول الشعراء. اتصل بالبرامكة ومدحهم ثم اتصل بالرشيد (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة والأغاني ١٧/ ٣٠ والموشح للمرزباني.. الخ).

قال الأخطل[1]:

وأقسَمَ المجدُ حقاً لا يُحالِفُهُم ... حتى يحالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعَرُ

وقيل: المجد ثأره والكرم شعاره.

● مَنِ انتهى إلى العُلا ابتداءُ منه

قال أحمد بن أبي طاهر:

خلائِقُهُ للمُكْرُمَاتِ مناسِبٌ ... تناهى إليه كُلُّ مجدٍ مؤثَّلِ[2]

قال أبو تمام:

ما أُنْشِئَتْ لِلْمُكْرُمَاتِ سحابةٌ ... إلا ومن أيديهم تتدفَّقُ

● الموصوفُ بأنه يحمي المكرُمات

قال أعرابي لقوم: أنتم والله حصان الشرف وقال رجل لآخر لو وجد الكرم في يد غيرك لعلم أنه ضالة لك.

قال أبو شراعة:

مولى المكارم يرعاها ويَعْمُرُها ... إن المكَارم قد قَلَّتْ مواليها[3]

قال أبو تمام:

قومٌ تراهم غيارى دونَ مَجدِهِمِ ... حتى كأنَّ المعالي عندهم حرمُ

قال أبو تمام

مضَوا وكأنَّ المكرماتِ لديهم ... لكثرةِ ما أوصَوا بِهِنَّ شَرَائِعُ[4]

قال آخر:

يحمي شريعةَ مجدٍ غيرِ مورودِ

● من ارتفع بيتُ شرفه

قال شاعر:

فأما بيتُكُمْ إن عُدَّ بيتٌ ... فطال السَّمْكُ وارتفع العِمَاد[5]

---

(١) الأخطل: هو أحد شعراء المثلث الأموي، وقد سبقت الإشارة إليه

(٢) الخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة التي يخلق بها الإنسان - يقول: إن طبائعه من نسب المكرمات ولهذا ترتقي الفضائل إليه وينتهي عنده كل مجد مؤثل

(٣) مواليها (هنا): أسيادها، جمع مولى. ومولى من الأضداد ومعناه العبد أيضاً

(٤) يقول إن المكرمات عند هؤلاء القوم لها حرمة فهي كالشرائع التي يوصى بها.

(٥) السمك: السقف الأعلى من البيت

وأمــا أنّـــه مـــعـــلـــى قـــديـــمٍ　　　مـــن الــعــادي إنْ ذُكِـــرَ الـبِـنَـاءُ

قال أبو تمّام:

لـه نـبـعـةٌ فَـرْعُـهَـا فـي الـسـمـاءِ　　　وفـي هـامـة الـحـوتِ أعْـرَاقُـهَـا

قال أبو فراس:

لـنـا بـيـتٌ عـلـى عُـنُـقِ الـثُـريّـا　　　بـعـيـدُ مـذاهـب الأطـنـابِ سـامِ[1]

تـظـلّـلـهُ الـفـوارسُ بـالـعَـوالـي　　　وتـفـرِشُـهُ الـولائـدُ بـالـطّـعـامِ

وقال آخر:

لـه قـبّـةٌ فـي الـمـجـد رأسُ عِـمَـادِهَـا

● المتنزع للمعالي

قال الراعي[2]:

فـمـن يَـفـخَـرْ بـمـكْـرُمَـةٍ فـإنّـا　　　سَـنَـنّـاهـا لأيـدي الـفـاعِـلـيـنـا

قال ابن الرومي، وقد أحسن:

هـم الـمـبـدعـون بَـدِيـعَ الـعُـلـى　　　إذا كـانَ غـيـرُهُـمُ الـمـتّـبِـعْ

ومـا الـدِّيـنُ إلا مـع الـتـابـعـين　　　ولـكـنّـمـا الـمـجـدُ لـلـمـبـتـدِعْ

قال أبو تمام، وقد أحسن

فمهما تَكُنْ من وقعةٍ بعدُ لا تَكُنْ　　　سوى حَسَنٍ ممّا فعلْتَ مُرَدَّدِ

محاسنُ أصنافِ المغنّين جمّةٌ　　　وما قصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لِمَعْبَدِ[3]

قال المتنبي

يمشي الكرامُ على آثارِ غيرِهِم　　　وأنتَ تخلُقُ ما تأتي وتبتَدِعُ[4]

وقال أرسطوطاليس للإسكندر أمّا سوابقك فقد سحبها تواترها فصارت كالشيء القديم يتأسى به كالبديع يتعجب منه.

---

(١) الأطناب جمع طنب، وهو حبل يشد به سرادق البيت

(٢) الراعي هو الراعي النميري واسمه حصين بن معاوية قيل له الراعي لكثرة وصفه راعي الإبل في شعره، كان يميل إلى الفرزدق ولهذا هجاه جرير فأفحمه حين قال فيه

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ　　　فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا

(انظر الشعر والشعراء، منشورات دار الأرقم ص٢٩٨)

(٣) جمة كثيرة ـ معبد اسم المغني المشهور ـ يقول أن ممدوحه سابق إلى سؤدده مثل معبد في صنعة غنائه

(٤) يقول. إن الكرام يمشون بالآخرين أما أنت فالمبدع الخلاّق

● المتيّمُ بالمعالي والخادِمُ لها

قال أبو الشيص[1]:

عَشِقَ المكارِمَ فهو مُعْتَمِدٌ لها ... والمكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ

قال المتنبي:

تَلِذُّ له المروءةُ وهي تُؤذي ... ومن يَعْشَقْ يلَذُّ له الغَرامُ

ومن هنا أخذ الصاحب قوله:

اشبب لكن بالمعالي اشبث ... وانسب لكن بالمكارم أنسبْ

قال أبو تمام:

خدم العلى فخدَمْنَه وهي التي ... لا تخدمُ الأقوامَ ما لم تُخْدَمِ

● العديمُ النظير والشبيه

وصف أعرابي رجلاً فقال ما نطف[2] فحل بمثله، قال:

ما وَلَدَتْ مِثْلَكَ أرحامُ النساء

وقال آخر:

إنَّ الزمانَ بمثلِهِ لَعَقِيمُ

قال المتنبي

ليس لهُ عَيْبٌ سوى أنه ... لا تقعُ العَيْنُ على شِبْهِهِ

وليس ذلك بعيب وإنما هو كقول النابغة

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ ... بهنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكَتائبِ[3]

قال علي بن عبد العزيز:

جملةُ القولِ أنَّ مثلَكَ لا يُمْكِنُ في مثل دهرنا تكوينُه

قال أبو نواس:

خلقْتَ بديعاً لا يُقالُ كأنه ... تعالى ولم يسمعْ بمثلِك سامِعُ

قال آخر:

ولَمْ تَقَعْ عَيْنٌ على مِثْلِهِ

---

(١) أبو الشيص: محمد شاعر عبّاسي مطبوع من أهل الكوفة ابن عم الشاعر دعبل. عمي في آخر حياته له مراثٍ في عينيه امتاز بوصف الخمرة والمديح كانت وفاته سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م)

(٢) نطف: قذف بمجور.

(٣) فلولٌ: انثلامات في حدّ السيف، شقوق.

قال ابن سكّرة في العتابي:

خرجتُ أطلبُ شيئاً لا وُجودَ له ... وَمَنْ غدا يطلبُ المفقودَ لم يَجِدِ
شِبهُ الكريمِ أبي إسحاق في كرمٍ ... ما ليس في الظنّ هل يُسْطَاعُ في بَلَدِ

● من اشتغالُه كَسْبُ المعَالي

قال البحتري:

إلى فارغٍ من كلّ شغل يَشِينُهُ ... ومن يشتغلْ بالمجدِ طاب اشتغالُهُ

قال المتنبي:

ويشغلهم كسبُ الثناء عن الشُغْلِ

● من يتزايدُ في المجْد على مرورِ الدهر

قال شاعر:

وَجَدْتُكَ أمسِ خَيْرَ بني مَعْدِ ... وأنت اليومَ خيرٌ مِنْكَ أمسِ

قال أبو الهول:

ما كُنْتَ في غاية إلا سبقت ولا ... طالَ المَدى بك إلاّ زِدْتَ إحْسَانا

● من لا يحْصَى مجدُه

وقال أبو شراعة:

وحزْتَ بهم لا بلْ بنفسِ ابن حرّةٍ ... مآثرَ يُحْصَى دون إحصائِها الرَّمْلُ

قال دعبل:

معاليه يُحْصَى قَبْلَ إحصائِهَا القَطْرُ

● الموصوفُ بأن تجمّع فيه عالَمٌ لفضله

عقيل بصول إذا استجير به غير، قال أبو نواس:

متى تُخْطِى إليه الرجلُ سالمةً ... تستجمع الخَلْقَ في تمثال إنسانِ

وله:

ليسَ على الله بِمُسْتَنْكَرٍ ... أن يَجْمَعَ العالَمَ في واحدِ

قال المتنبي:

نسقوا لنا نَسْقَ الحِسَابِ مقدما ... وأتى فذلك إذ أتيت مُؤَخَّرا

● من يستحقِرُ في جنبه أجِلاّءَ الناس

قال بكر بن النطاح:

ما الناس إلا ملك واحد ... غير غُثَارات . . . .[1]

---

(١) غثارات: الرديء من كلّ شيء، وسفلة الناس

قال رشيد بن الأبيض:

النَّاس عند علي حين تَذْكُرُهُمْ ... كالشوك يُذْكَرُ بين الوردِ والآسِ

قال ابن العوّام:

فنحنُ السَّنامُ والمناسِمُ غيرُنا ... ومن ذا يسوّي بالسَّنام المَناسِما[1]

وذلك مأخوذ من قول الآخر

ومن يسوّي بأنفِ الناقةِ الذَّنبا

قال أبو العتاهية:

النـاس أيـامُ الشـهـو ... رِ وأنـت فيـهـم يـومُ عيـدِ[2]

- **من تزيَّنَ به الدنيا**

وصف أعرابي رجلاً فقال لئن عابه كونه في الزمن لقد تزين الزمان بكونه فيه.

قال الخريمي:

تجمّلتْ به الدنيا فغطّت عيوبها ... وأمستْ به الدنيا تُجَلُّ وتُحْمَدُ

قال المتنبّي:

أنتَ الذي بَجِحَ الزمانُ بذكْره ... وتزيّنَتْ بحديثهِ الأسمارُ[3]

وقال أبو الفضل بن العميد: أمدَحُ بيتٍ قولُ المتنبي

الـدَّهـرُ لـفـظٌ وأنـتَ مـعـنـاهُ

قال الشيخ رحمه الله وأنا أستحسن قول الشاعر:

فما أحْسَنَ الدنيا وفي الدار خالدٌ ... وأقبحَها لمّا تجهّزَ غاديا

قال ابن الرومي:

يا زينةَ الدينِ والدنيا إذا حَفَلا ... وأطهرَ ما أغذاهُ من الزينِ

- **من تنافسَتِ فيه الأيام**

قال نصيب:

وقد تغايَرَتِ الأيامُ فيك فما ... تَنفكُّ تُسمي لها الحُظْيا وتحتشِدُ[4]

---

(١) السنام: حدبة في ظهر البعير وهو كبير القوم ـ المناسم جمع منسم وهو طرف خفّ البعير

(٢) يقول: أنت بين الناس كيوم عيد في أيام الشهور.

(٣) بجح: فرح ـ الأسمار: جمع سمر وهو حديث الليل

(٤) الحظيا: القسمة من الغنيمة

قال أبو تمام:

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ ... ويُكْثِرُ الوجدَ نحوَهُ الأمسُ

قال ابن الرومي:

تنافسَ الناسُ في أيامِ دولتِهِ ... فما يبيعون ساعاتٍ بأعوامِ

ومن الأقوال المشهورة:

فلانٌ لا يُحْجَبُ في العدمِ ... (أي لا يَخْفَى مكانُهُ)

وقال شاعر:

وهل يَخْفَى على الناسِ النَّهارُ

قال ابن الرومي

شَمْسُ الضحى أَبْرَعُ من أن تُطْمَسا[1]

وقال آخر:

إنّي إذا خَفِيَ الرجالُ وجدتَني ... كالشمسِ لا تَخْفَى بكلِّ مكانِ

قال ابن هرمة[2]:

إذا خَفِيَ القومُ اللئامُ رأيتَني ... مقارنَ شمسٍ في المجرّةِ أو بَدْرِ[3]

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يطوف بالبيت فرآه يزيد. فقال: من هذا؟ فقال له الحارث بن الليث:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحرمُ[4]

● اعتذارُ مَنْ لم يُعْرَفْ

قال رجل لسقراط: ذكرتك عند فلان فلم يعرفك فقال: يضرّه أنه لا يعرفني، لأنه لا يجهل مكان ذي العلم إلاّ خسيس. وقال محمد بن الزيات لبعض أولاد البرامكة: مَنْ أنت ومن أبوك؟ فقال: أما أنا فالذي تعرفني وأما أبي فالذي لم يعرفك ولا أباك. قال المتنبي:

وإذا خَفِيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ... أن لا تراني مقلةٌ عمياءُ

---

(١) تطمس: يذهب ضوؤها.

(٢) ابن هرمة: هو إبراهيم بن هرمة [(١٩٥هـ ـ ٨١٠م) ـ (٢٦٧ ـ ٨٨٠م)] وأحد شعراء المدينة. اتصل بالخليفة المنصور ومدحه.

(٣) المجرة: منطقة في السماء قوامها النجوم.

(٤) البطحاء: مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى ـ الحلّ: ما جاوز الحرم من أرض مكّة ـ الحرم: بيت المقدس ـ يقول: البيت المذكور من قصيدة للفرزدق في مدح زين العابدين.

● وصفُ الإنسان بأنه لا يخلو من العَيْب

قيل لبعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا يموت. وقال الأحنف: الشريف من عُدّت سقطاته، أي الرجل المهذب. قال شاعر

ومنْ ذا الذي تُرضِي سَجاياه كلُّها ... كفى المرء نبلاً أن تُعَدّ معايِبُهْ

ولهذا باب آخر في الإخوانيات

● الحثُّ على إكرامِ النَّفسِ عندَ المذلّة

قال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه إن صانها[1] ارتفعت، وإن قصّر بها اتضعت

قال بعضهم:

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفْسَهُ ... ففي صالحِ الأخلاق نفسك فاجْعل

قال حاتم:

ونفسَك أكرِمْها فإنك إن تَهُنْ ... عليك فلن تلقى لها الدهر مُكْرِما[2]

قال صالح بن عبد القدوس

إذا ما أهنْتَ النفْسَ لم تكُ مكرما ... لها بعدما عَرَّضْتَها لِلهوانِ

أنشد غلام أبي عبيدة

ولاتهِنَنَّ للصديقِ مكرُمَةً ... نفسك حتى تعدّ من خَوَلِه

يُحَمِّلُ أثقاله عليك كمَا ... يحمل أثقالَه على جمَلِه

وإنما يعني بذلك الهوان الذي هو تعسف لا الهون الذي قالت العرب فيه إذا عز أخوك فهن. قال ﷺ: سيد القوم خادمهم

● الممدوحُ بصيانةِ النَّفس

قال بعضهم. جعلت الدنيا دون عرضي فآثره لدي ما صانه وأهونها على ما شانه، ووصف آخر رجلاً فقال: اشترى بالمعروف عرضه من الأذى فلو كانت الدنيا له فأنفقها صيانة لنفسه لاستقلها.

قال ابن نباتة[3]

لَبِسْتُ من الحوادث كُلَّ ثوبٍ ... سوى ثوبِ المذلّةِ والهَوَانِ

---

(1) صانها: حفظها. (2) يدعو حاتم إلى إكرام النفس وعدم تعريضها للهوان

(3) ابن نباتة: هو عبد الرحيم شاعر كبير مدح سيف الدولة وله ديوان شعر مرموق. عاش بين عام ٩٤٦ و٩٨٤.

● مدحُ إهانةِ النفسِ حيثُ تحمد

مدح أعرابي رجلاً فقال: كان يهين نفساً كريمة لقومه ولا يُبقي لغد ما وجد في يومه. قالت الخنساء[1]:

تُهِينُ النفوسَ وهونُ النفو ... سِ يومَ الكريهةِ أوقَى لها

ويروى عن الشافعي رضي الله عنه:

أُهِينُ لَهُمْ نفسي لأكرِمَها بهم ... ولن تُكرمَ النفسُ التي لا تُهِينُها

● ما جاء في الفتوة

قيل: الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول وعفاف معروف وأذى مكفوف، وجاء جماعة إلى حسان فقالوا من الفتى؟ فقال:

إن الفتى لفتى الهواجر والسُّرَى ... وفتى الطِّعان ومِذْره الحَدْثانِ[2]

ذاك الفتى إن كانَ كهلاً أو فتى ... ليس الفتى بمنعم الشبان

● المروءة

قال معاوية للقرشي: ما المروءة؟ قال إطعام الطعام وضرب الهام. وقال ذلك للثقفي فقال: هي تقوى الله وإصلاح المعيشة. فقال لعمرو: أفصل بينهما. فقال: أما ما قال القرشي فهو المروءة وقد أجاد الثقفي ولم يصب ولكن من بدأ بكلام حسن زيّن بذلك سائر كلامه وإن المروءة أن تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

وقال عبد الله بن عباس المروءة أن تحقق التوحيد وتركب المنهج السديد وتستدعي من الله المزيد، وقيل جماع المروءة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]

وقيل لعمرو بن العاص ما المروءة؟ فقال: العفة عما حرم. وقيل للأحنف ذلك فقال: أن لا تعمل في السرّ ما يستحيا منه في العلانية.

وقيل له مرة أخرى فقال: اجتناب الريب[4] فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال فلا مروءة لمحتاج، والقيام بحوائج الأهل فلا مروءة لمن يحتاج قومه إلى غيره، وقيل: لآخر

(١) الخنساء: من شواعر العرب المخضرمات، عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأكثر شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية.

(٢) الهواجر: جمع هاجرة، حرارة الظهر نصف نهار ـ السرى: السير في الليل ـ يقول: إن الفتى الحق هو الجريء المقدم الذي يواجه حر الهجير بجهد عن المذلة والصغار.

(٣) القرآن الكريم: النحل/ ٩٠

(٤) اجتناب الريب: أي الإعراض عن مواقف الارتياب والشك

فقال مواطأة القلب للسان، وقيل الحسب[1] إحصاء المكارم والنسب إحصاء الآباء.

● جوازُ تقبيلِ اليد

روي عن النبي ﷺ أنه قال: لا يحلّ لأحدٍ أن يقبّلَ يد آخر إلا رجلاً من أهل بيتي أو يد عالم

وقال ابن عباس رضي الله عنهما صنع رسول الله ﷺ إلى رجل معروفاً فقبل يد رسول الله ﷺ خمس مرات، ولما قدم عمر بن الخطاب الشأم، قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يده ثم تناول رجله ليقبلها فقال مه[2] أما هذا فلا ودخل عطية بن عبد الرحمن الثقفي فمثل بين يدي مروان ابن محمد فاستأذنه أن يقبل يده، فقال: القبلة من المسلم ذلة ومن الذميّ خدعة. لا حاجة لي في أن تذل أو تخدع مد المأمون يده لأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال. أتقذر لها؟ فقال لا بل أتعززُ بها.

● من مُنِعَ من ذلك أو امتنع

قالت امرأة لأبي مسلم ناولني يدك أقبلها فقد نذرت، فقال: عليك بالحجر الأسود تصيبين أجراً وتقضين نذراً.

ودخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال لا يفعل هذا من العرب إلا هلوع[3] ولا من العجم إلا خضوع[4]

وقيل لما أفضت الخلافة إلى أبي العباس السفاح وفدت عليه قريش فأمروا بتقبيل يده، حتى دخل إبراهيم بن محمد العدوي فقال: يا أمير المؤمنين لو كان تقبيل اليد يزيد في القربة منك لأخذت بحظي منه وإنك لغني عما لا أجر فيه لك وفيه منقصة لنا فأقره ولم ينقصه من حظوظ أصحابه شيئاً

● الممدوحُ بأنه مقبّل اليدِ والرجل

قال إبراهيم الصولي

لـفـضـل بـن سـهـل يـدٌ تـقـاصـرَ عـنـهـا الـمَـثَـلْ[5]
فـبـاطـنُـهـا لـلـنـدى وظـاهـرُهـا لـلـقُـبَـلْ[6]

---

(١) الحسب: شرف الأصل.

(٢) مه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكفف، ويقال أيضاً مَهْ.

(٣) الهلوع: الفزع. (٤) الخضوع: الذليل.

(٥) الفضل بن سهل وزير المأمون.

(٦) الندى: الجود والعطاء ـ يقول إن يده أسمى من أن يضرب بها المثل لمرادتها باطنها للعطاء وظاهرها للقبل.

أخذه ابن الرومي فقال:

فامدُد إليّ يداً تعوّد بطنُها بَذْلَ النوال وظهرُها التقبيلا

قال الخوارزمي:

تعاورت الشفاهُ الكم عنها ونافست الشفاهُ به الخدودا

وله:

يُقبّلُ رجليه رجالٌ أناملُهم تُقبّلُ في الدستِ الرفيعِ أناملَهْ

وفي ضده يقول الهادي لبعض بني هاشم:

يا قُبلةً ذهبتْ ضَياعاً في يدٍ ضرّ الإلهُ بنانها بالنقرسِ

ودخل أبو العميثل على طاهر بن الحسين متمدحاً وقبل يده فقال: ما أخشن شاربك يا أبا العميثل. فقال: أيها الأمير إن شوك القنفذ لا يضر برثن الأسد. فضحك وقال إن هذه الكلمة أعجب إليّ من كل شعر. فأعطاه للشعر ألف درهم ولكلمته هذه ثلاثة آلاف درهم

● المقبّل أرضه

قال المتنبي:

تُقبّلُ أفواهُ الملوكِ بساطَهُ ويَكبُرُ عنها كُمُّهُ وبَراجِمُهْ(١)

قال أبو القاسم بن أبي العلاء:

يُقبّلُ صِيدُ الناس شُدّةَ بابِهِ ويعظُمُ عنه أخمصٌ وركابُ
لدى ملكٍ قد خطّ في كلّ جبهةٍ كتابةَ رقٍّ والمدادُ ترابُ(٢)

قال أحمد بن إبراهيم:

سجدنا للقرودِ رجاءَ دنيا حوتها دوننا أيدي القُرودِ
فما بلّتْ أناملُنا بشيءٍ رجوناه سوى ذلّ الخدودِ

● من يُقامُ له ويُنزلُ إليه وجوازُ ذلك وكرامته

قال شاعر:

فلا تعجبْ لإسراعي إليه فإنّ لمثلِهِ شُرِعَ القيامُ

قال إبراهيم الصولي:

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سروجِهم تناثرتِ الأشرافُ منهمْ على الأرضِ

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع، جمع برجمة، يقول أن الملوك تقبل حين يلقونه بساطه دون ان يبلغوا حدّ تقبيل كمّه او يده

(٢) الرقّ: العبودية والجلد ـ المداد: الحبر.

وقال آخر:

وترى الناس هيبةً حين يبدو ... من قيامٍ ورُكّعٍ وسُجودِ

وقال آخر:

يأتي الجوابَ لا يُراجَعُ هيبةً ... والسائلون نواكسُ الأذقانِ[1]

• الممدوحُ بأنواعٍ من المكارِم

قال عمرو بن عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم إنّ لقريش درجاً يزلق عنه أقدام الرجال وأفعالاً تخضع لها رقاب الأموال، وألسُناً تكلُّ عنها الشفارُ المحدّدة[2] وغايات تقصر عنها الجياد المسومة لو احتفلت الدنيا لم تتزيّنْ إلاّ بهمْ.

وقال عمرو بن معدي كرب[3] في مدح قوم: نعم القوم عند السيف المسلول والخبز المسؤول والطعام المأكول، وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال: مثله يُدرك الثأر وينفي العار ويُؤكّد العهد ويُبْرِم العقد ويَسْهُل الوعرُ ويُحصّنُ الثغر ويغلّ الباب ويُفتح الباب.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان للإخوان وصولاً وللأموال بذولاً وكان الوفاء به كفيلاً.

ووقف أعرابي على قبر عامر ابن الطفيل فقال: لقد كنتَ سريعاً إذا وعدت، بطيئاً إذا أوْعَدْتَ وكانت هدايتك هداية النجم وجرأتك جراءة السهم. وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال: عظمه في عيني صغرُ الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وخارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له رأياً ولا بدناً.

قال امرؤ القيس:

أفاد وجاد وساد وقاد ... وذاد وعاد وزاد وأفضل

قال ديك الجن[4]:

أنّ العُلى شيمي والبأسَ من نقمي ... والمجدَ خِلْطُ دمي والصّدقَ حَشْوُ فمي

قال مسلم بن عقيل[5]:

يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقّعُ

وقال آخر:

يذكّرنيك الجودُ والبخلُ والنهى ... وقولُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجَهلُ

---

(١) نواكس الأذقان: أي مطأطئو الرؤوس. (٢) الشفار المحدّدة: السيوف.

(٣) عمرو بن معدي كرب: من شعراء بني مذحج. كان أحد فرسان العرب المشهورين في الجاهلية. أدرك عمرو الإسلام. شارك في معركة القادسية وأظهر شجاعة وبلاء كما شارك في فتح نهاوند، وفي تلك المعركة قتل.

(٤) ديك الجن: عبد السلام (٧٧٧ ـ ٨٤٩م) شاعر من أهل حمص. رثى الحسين. عُرف بمجونه.

(٥) مسلم بن عقيل: ابن عمّ الحسين بن عليّ. انتصر عليه عبيد الله بن زياد حاكم الكوفة وقتله. مات (٦٠هـ/ ٦٨٠م)

فألفاك عن مذمومها متنزهاً وألفاك في محمودها ولك الفضلُ

● تشبيهُ الممدوحِ بجماعةٍ مختلفةٍ في معانٍ مختلفة

قال رجل للمهدي: إنك ليوسفيّ العفو إسماعيلي الصدق شعبيّ الرفق سليماني الملك داوودي الفصل[1]، وحكى محمد الأسفطي الفقيه يوماً قال: قد تغدينا يوماً عند المأمون، فكان كلما وُضِعَ لون يقول: من به كذا فليأكل هذا ومن به كذا فليجتنبه. فقال يحيى بن أكثم: لله درك يا أمير المؤمنين فإن خضت في الطب[2] فأنت جالينوس، وإن ذكرنا النجوم فأنت هرمس[3] أو العلم فأنت علي بن أبي طالب، أو السخاء فأنت حاتم[4]، أو الصدق فأنت أبو ذر[5]، أو الكرم فأنت كعب بن مامة أو الوفاء فأنت السموأل[6] فقال المأمون: للإنسان فضل على غيره بالنطق والفهم ولولا ذلك لم يكن لحمه أطيب.

قال أبو تمام:

إقدامُ عمروٍ في سماحة حاتمٍ في حِلْمِ أحنفَ في ذكاء إياسِ

قيل: فلان فيه ورع ابن سيرين وعقل مطرف ودهاء معاوية وحفظ قتادة، وقيل له بذل هاشم وعز كليب وضبط عائشة وبرّ عثمان وشجاعة عتيبة ومكر قيصر قال الطائي:

أصبحت حاتِمَها جوداً وأحنفَها حلماً وكيّسانها علماً ودغفلها

قال الرستمي:

سماحةُ كَعْبٍ في رزانةِ أحنفٍ ونجدةِ عمروٍ في دهاءِ ابنِ ظالمِ

قال السريّ الرفاء:

أوفى وكان محلّقاً ومضى وكا نَ مزلقاً وسطاً وكانَ محرقا[7]

تشبيه الممدوح بأشياء مختلفة في معانٍ مختلفة.

قال أبو تمام:

له كبرياءُ المشتري وسعودُه وسورةُ بهرام وظَرْفُ عُطاردِ

---

(١) نسبة إلى التوالي إلى يوسف بن يعقوب وإسماعيل والشعبي وسليمان الحكيم والملك داود وهم من أصحاب النبوة والفضل.

(٢) جالينوس: من أشهر أطباء الإغريق.

(٣) هرمس: لعله يريد هرمس اليوناني ابن جوبيتر، وهناك هرمس المصري من كبار الحكماء.

(٤) حاتم: أي حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم ومثله كعب بن مامة.

(٥) أبو ذر: أي أبو ذرّ الغفاري من صحابة النبيّ.

(٦) السموأل: ورد ذكره، وهو صاحب الحصن الأبلق ومن شعراء العرب اليهود.

(٧) مزلقاً: مكان لا تثبت فيه قدم.

قال مسلم:

كـأنّـه قـمـرٌ أو ضَـيْـغَـمٌ هَـصِـرٌ   أو حـيّـة ذَكَـرٌ أو عـارِضٌ هَـطِـلُ[1]

قال وهب الهمداني تلقاه في الغضاء والهيجاء والمحل المجيع كالغيث والليث المحامي والمقيلة والصديع قال البحتري:

كـالـغيث في أخذامه والعيثِ في   أرهـامـهِ والـلـيـث فـي إقـدامـه

إن كـنـت تُـنـكِـرُ ما أقـول مـجـارِهِ   أَوْ تَـارِهِ أَوْ حَـاكِـهِ أَوْ سَـامِـهِ

قال ابن طباطبا:

كـالـبدرِ إذْ يـجري وكـالـلـيلِ إذْ   يـسْـري وكـالـصّـارمِ إذ يَـفْـري[2]

قال محمد بن وهيب:

تَـحْـكـي أنـاعـيـلَه في كلّ نـائـبةٍ   والعيثَ والليثَ والصمصامةَ الذكرا

قال الخوارزمي:

ستَلْقى به بدراً وبحراً وضَيْغَماً   وسيفاً وإنساناً وطوداً وفَيْلَقا[3]

قال أبو طالب المأموني:

جبالُ الحجا أُسْدُ الوَغا عصمُ الهُدا   شموسُ العُلا سُحْبُ الندى أنجُمُ الفضْلِ

- **الممدوح بمعنى واحِد في أحوال أو جوارح مختلفة**

قال المتنبي:

طـويـلُ الـنِّـجـاد طـويـلُ الـعـمـادِ   طـويـلُ الـقـنـاةِ طـويـلُ الـلـسـانِ

حـديـدُ الـلـحـاظ حـديـدُ الحـفـظ   حـديـدُ الحـسـامِ حـديـدُ الجَـنـانِ

قال الخوارزمي

سـريـعُ الـلـسـان سـريـعُ الـبـنـانِ   سـريـعُ الـبَـنـانِ سـريـعُ الـقَـلَـم

- **الممدوحُ بأنّه لو كانَ كذا لكان خيره**

قال أبو عمرو بن العلاء لو كانت ربيعة فرساً لكان شيبان غرّتها.

قال شاعر:

لـو كـنْـتَ مـاءً كـنْـتَ مـن مـزنَـةٍ   أو كنت نجماً كنت سَعْدَ السُّعُودِ[4]

(١) ضيغم: أسداً - هصر: عطف   (٢) يفري: يشق - فري الكلب: اختلقه.

(٣) يقول: هو البدر في جماله والبحر في عطائه والأسد في قوته والسيف في مضائه والإنسان في أصالته والجبل في شموخه والجيش في زحمه

(٤) مزنة: قطعة من السحاب الممطر

وقال آخر:

فلو كنتَ ماءً كنتَ ماءَ غمامةٍ ... ولو كنتَ نوماً كُنْتَ تعريسةَ الفجْرِ[1]

ولو كنتَ لهواً كنتَ تعليلَ ساعةٍ ... ولو كنتَ ليلاً كنتَ من ليلةِ القَدْرِ

قال الكندي:

ولو خُلِقَ الناسُ من دهرِهم ... لكانوا الظلامَ وكُنْتَ النَّهارا[2]

● ضربٌ من المدح يقالُ فيه يا كذا:

يا مشرباً سائغاً بلا كَدَرٍ ... يا سَمَراً مُمْتِعاً بلا سهَرِ

قال كشاجم:

يا عِوَضاً من فائتٍ ... لم يُحْتَسَبْ مِنْهُ عَوض

يا دَعَةً وراحةً ... من تَعَبٍ ومِنْ مَضَضْ

(٧)

ومما جاء في النذالة والتأخر عن المكارم

● حدُّ السفلة ووصفُها

قال معاوية: السفلة من ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف، وقيل هو الذي لا يعيبه ما صنع له وقيل هو الذي لا يبالي بما يقول وبما يقال له، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى هو الذي يحصي الله تعالى.

وقال أبو ناظرة:

أيا سفلةَ الناسِ و لأصدقاءِ ... ويا سفلةَ الكُتْبِ في المآكلِ

ونحوه لابن الحجّاج

وسخ الثوبِ والعمامةِ والبر ... ذونِ والوجهِ والقفا والغُلامِ

وقيل: المروءة التامة مباينة العامة، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما لله عز وجل على العاقل بعد الإسلام نعمة أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل

● مضرةُ اجتماعِ السفلة والغاغة

يُرْوَى عن النبي ﷺ نعوذ بالله من قوم إذ اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا، وقيل

---

(١) التعريسة: من عرّس القوم إذا نزلوا من السفر للاستراحة

(٢) يقول: إن الناس ظلام الدهر وأنت النهار المشرق

في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[1] أي من السلطان أو من تحت أرجلكم أي من السفل، أتى أمير المؤمنين كرّم اللّهُ وجهَهُ برجل ذي جناية فرأى ناساً يعدون خلفه، فقال: لا مرحباً بوجوه لا تُرَى إلا عند كل سوء. وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس. فقال: خلق الناس أطواراً[2] طائفة للسيادة والولاية وطائفة للفقه والسنة وطائفة للبأس والنجدة ورجرجة[3] بين ذلك، يملّون السعر ويكدّرون الماء، إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

- **من تصاحبه النذالة**

قال الشاعر:

أنـاخَ الـلـؤمُ وَسْـطَ بـنـي ريـاحٍ ... مـطـيّـتَـه فـاقـسـمَ لا يـريـمُ[4]

كـذلـك كـلّ ذي سـفـرٍ إذا مـا ... تـنـاهـى عـنـد غـايـتـهِ مُـقـيْـمُ

قال جحظة:

كَـمْ سَـألْـنـا عـن الـنـذالـةِ والـلـؤ ... م فـكـانـا فـي دارِه راتِـبَـيْـن

- **الموصوف بالذلة**

قيل: هو أذل من النقد ومن القردان تحت المَناسم ومن الوتد

وكـنـت أذلّ مـن مـقـعٍ بـقـاعٍ ... يـشـجـج رأسـه بـالـفـهـر واجي[5]

أي واجئ، فلين الهمزة ويقال هو أذل من الحذاء.

- **المتبجح بالإساءة والنذالة**

قيل: شر الناس الذي لا يتوقى أن يراه الناس مسيئاً ومن هنا أخذ الشاعر

أحقّ الـنـاسِ فـي الـدنـيـا بـعَـيْـبٍ ... مـسـيءٌ لا يُـبَـالـي أن يُـعَـابـا

وقال بعضهم: فلان لا يستحيي من شر ولا يحب أن يكون من أهل الخير لا يقعد مقعداً إلا حرمت الصلاة فيه ولو أنشئت كلمة سوء ثم تضم إلا إليه ولو نزلت لعنة لم تقع إلا عليه.

تشاجر رجلان فقال كل واحد منهما أنا ألأم فتحاكما إلى رجل فقال: قد حكمتماني فأخبراني بأخلاقكما فقال أحدهما: ما مر بي أحد إلا اغتبته ولا ائتمنني أحد إلا خنته وقال آخر أنا أبطر الناس في الرخاء وأجبنهم عند اللقاء وأقلهم عند الحياء فقال الرجل: كلاكما لئيم،

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/ ٦٥.
(٢) أطواراً: جمع طور وهو الهيئة.
(٣) الرجرجة: الاضطراب.
(٤) أناخ مطيته: أي حلّ في أرض هؤلاء القوم ـ لا يريم: لا يبرح.
(٥) المقع: الكمأة.

والأم منكم الحطيئة فإنه هجا أباه وأمّه ونفسه ومن أحسن إليه هجا أباه. فقال:

لحاكَ اللهُ ثم لحاكَ أباً ... وما ألحاكَ من عمٍّ وخالِ[1]

وقال يهجو نفسه.

أرى لي وجهاً شوّه اللهُ خلقَهُ ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُه

وقال فيمن أعطاه:

سُئِلْتَ فلم تبخلْ ولم تعطِ طائلاً ... فسيّان لا لومٌ عليك ولا حَمْدُ[2]

● **الموصوفُ بالشرية**

ذم أعرابي قوماً فقال: ما زال فيهم خميرة سوء يبقيها الماضي للباقي حتى أورثوها فلاناً فعجنها بيده ثم أكلها بنفسه. وقال الصاحب رحمه الله في بعض أهل الزمان فلان راية[3] الشر.

● **المقصّرُ في المكارمِ والمعالي**

قال إبراهيم بن رجاء:

يمدُّ بنو كليبٍ للمعالي ... سواعد لم تزلْ عنها قِصارا[4]

وقال آخر:

متى جرتِ الكودانُ في الرِّهان

وقال آخر:

لن يلحقَ الفرسَ الحمارُ الموكفُ[5]

وقال آخر:

وابن اللئيم معقّلٌ باللؤمِ يُخْصَر

وقال آخر:

جَرى طلْقاً حتى إذا قيلَ سابقٌ ... تداركه عِرقُ اللئيمِ فَبَلّدا

وقال آخر:

جرى المذاكي حسرَت عنه الحمر[6]

---

(١) لحاكَ: شتمك، لعنك.

(٢) لم تعط طائلاً: أي لم تعط شيئاً ذا قيمة

(٣) راية الشر: كناية عن الشهرة بين الأشرار

(٤) يقول: إنّ بني كليب مقصّرون عن نيل المعالي.

(٥) الموكف: المولَّد

(٦) المذاكي: كثير الذكاء

وقال آخر:

وابنُ اللبونِ إذا ما لزّ في قرن ... لم يستطعْ صولةَ البُذْلِ القَناعسِ[1]

وقال غيره:

إنّكَ كالجاري إلى غايةٍ ... حتى إذا قارَبَها قامَ

قال أبو الهدلهد الأصفهاني:

لهمْ عنْ كلِّ مكرمةٍ حِجابٌ ... فقد تركُوا المكارمَ واستراحُوا

● السابقُ إلى المَلاومِ المتأخرُ عن المكارمِ

قال هشام بن قيس:

إذا ما سوءةٌ دارَتْ رحَاها ... وجدتَهم لا سواها ثِقالا

قال الطرماح[2]:

تميم بطرقِ اللؤم أهدَى من القطـ ... ولو سلكَتْ سبلَ المكارم ضلَّتْ

قال البسامي

هو في الخيرِ قطُوفٌ ... وهو في الشرّ وَسَاعْ

وقال آخر.

إذا نهضَ الناسُ للمكرمَاتِ ... وقاموا إليها جميعاً قعَدْ

قال الباداني:

يداكَ يدٌ تطولُ إلى المخازِي ... وعن طلبِ العُلا أخرى قصيرةْ[3]

وقال آخر:

رأوا في اللؤمِ رخصاً فاشتروْهُ ... ويمنعُهم عن الكَرَمِ الغَلاةْ[4]

وقال آخر يهجو امرأة.

تكره ذكرَ الله في بيتِها ... وهي إلى الحشاء مُشتاقَةْ

إنْ ذُكِرَ الخيرُ فما إنْ لها ... من جمَل فيه ولا ناقَةْ

مقدامةٌ هي الشرّ سبّاقة ... وفي تُقى الله على السّاقةْ

---

(١) القناعس: الجمال الضخمة العظيمة.

(٢) الطرماح بن حكيم الطائي (ت نحو ٧٢٣م) من كبار شعراء الخوارج. له ديوان.

(٣) المخازي: جمع مخزية، سيئة قبيحة.

(٤) يقول: استرخصوا اللؤم فاتصفوا به وقصّروا عن منزلة الكرام لأنهم أنذال أخساء لا يقوون على البذل والعطاء.

● ذمّ من يتكلّفُ إدراكَ ما لا يدركُه

ذكروا أن قصاراً كان يعمل على شاطىء نهر وكان يرى كركيا يجيء كلَّ يوم فيلتقط من الحمأة دودا ويقتصر في القوت عليه. فرأى يوماً بازياً قد ارتفع في الجو فاصطاد حماماً فأكل منها بعضاً وترك في موضعه البعض وطار فتفكر الكركي في نفسه. وقال: مالي لا أصطاد الطيور كما يصطاد وأنا أكبر جسماً منه. فارتفع في الجو وانقض على الحمام، فأخطأه فسقط في الحمأة فتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فأخذه القصار وحمله إلى منزله فاستقبله رجل فقال: ما هذا؟ قال: كركي يتصقر. وكان المتنبي ألم بهذا المعنى في قوله:

ومــن جــهــلــت نــفــســهُ قــدْرَه   رأى غــيــرُهُ مــنــه مــا لا يَــرَى

وفي المثل:

- أطرق كرى أن النعام في القرى

ونحو ذلك قول يربوع:

- بخــســت يــربــوع لــتدرك دارمـا   ضــلالاً لــمــن مــنّاك تــلــك الأمــانــيــا

وقد تقدّم ذلك.

● الحكَمُ بين فاضِل ونذْل

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: وما يستوي البحران هذا عذبٌ فُرات وهذا ملح أجاج. وسئل أبو ثور عن حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين جديهما في الصرف، وقال أعرابي: فلان يدعي الفضل على فلان ولو وقع في صحصاح معروقه لعرق شاعر. وهَلْ يُقَسُ ضيءُ الشمس بالقمر!

قال محمد بن مناذر:

ومنْ يَجْعَلِ الوَجْهَ مثلَ القَفَا   وعــالــيــةَ الــزِّمْــحِ كــالــسّــافِلِ

وفي المثل:

مُــذْكِــيَــةٌ تُــقَــاسُ بــالــجِــذَاعِ[1]

وفيه: ليس قطا مثل قطي

وقال سبيع التميمي:

أَسَوِّيكَ بالمرءِ الذي لستَ مثلَه   وكيف يُسوّى صالحُ القومِ بالرّذْلِ

---

(1) المذكية من الخيل: ما تمّت سنّه وكملت قوّته، لذا قيل في المثل جري المذكيات غلاب. الجذع: جمع جذع، الصغير من البهائم.

● **تفضيل رجلٍ على آخر في الفضل**

في المثل ماء ولا كصداء ومرعى ولا كسعدان، وفتى ولا كمالك في كل شجرة نار واستمجد المرخ[1] والعفار[2]

قال حسان بن ثابت للحارث بن أبي الشمر:

أبيت اللعن إنّ النعمان بن الحرث يساميك ووالله إن قفاك أحسن من وجهه، وشمالك خير من يمينه، وإن عذلتك أحصر من عدة وغدك أوسع من يومه، وكرسيك أرفع من سريره وأمك أشرف من أبيه.

● **من يغبطُ أو يحسدُ فاضلاً أن يفعَل مثله**

رأى الحسن رضي الله عنه قوماً يتزاحمون على جنازة بعض الصالحين فقال مالكم تتهافتون عليه اعملوا عمله تكونوا مثله.

قال أبو العميثل:

يا منْ يؤمّلُ أن تكونَ خصالُه ... كخصالِ عبد الله أنصت واسمَعِ
ملاصحتك في المروءة والتقى ... حق الحجيج إليه فأقبل أوْ دَعِ
اصدقْ وعفّ وبرّ وانْصُر واحْتمِلْ ... واحلم وكفّ ودارِ واصبِرْ واشجعِ

أخذ ذلك من قول عروة بن الزبير:

يا أيها المتمني أن يكونَ فتىً ... مثل ابن زيد لقد خلّى لك السُّبلا
أعدُدْ نظائرَ أخلاقٍ عُدِدْنَ لهُ ... هل سُبّ من أحدٍ أو سُبّ أو بخلا[3]

وأنشد أبو العيناء في معناه

إذا أعجبتْكَ خلالُ امرىءٍ ... فكُنْهُ يَكُنْ منكَ ما يُعْجِبُكْ[4]
فليْسَ على الجودِ والمكْرُماتِ ... إذ جِئْتَها حاجبٌ يَحْجُبُكْ

● **الحكَمُ بين نذلين**

سئل أبو العيناء عن رجلين **فقال:** هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما، وتفاخر رجلان في الكرم وتراضيا بأبي العيناء فحكماه **فقال.** أنتما كما قال **الشاعر:**

حمارا عبادي إذا قيل نبنا ... بشرهما يوماً يقول كلاهُما

وفي المثل كثير ويرعو، وكل عير حير. **وقيل زندان في وعاء وقيل زندان في رقعة**

---

(١) **المرخ:** طالت عيدانه وطاب ورقه
(٢) **العفار:** شجر يقتدح منه الزناد
(٣) **النظائر:** المشابهة أو المماثلة.
(٤) **الخلال:** جمع خلّة، الخصلة

وقيل سواسية كأسنان الحمار. وعكس هذا المعنى الصنوبري[1] فأتى بأجود لفظ وأوضح معنى، فقال:

أناسٌ هم المُشْطُ استواءً لدى الوغا ... إذا اختلفَ الناسُ اختلافَ المشاجبِ

- **حذرٌ من ذكرٍ فاضلاً ونذلاً معاً**

قال بعض الكبار لرجل: أتذكرني مع فلان وفلان فقال: قد ذكر الله النار والجنة وفرعون مع موسى وآدم مع إبليس فلم يهن بذلك أولياءه ولم يكرم به أعداءه

- **اختيارُ أراذل**

وصف أعرابي قوماً فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي وهم حنظل وهو هبيد[2] وإن في الشر خياراً وليس العاقل من يعرف الخير من الشر وإنما العاقل من يفرّق بين الشرين. قال محمود

ذممتُكَ أولاً حتى إذا ما ... بلوْتُ سواكَ عادَ الذمُّ حمْدا

ولمْ أحمَدْكَ من خيرٍ ولكن ... رأيتُ سواكَ شرّاً منكَ جدّا

فعدتُ إليكَ مختلاً ذليلاً ... لأني لم أجدْ مِنْ ذاك بُدّا

كمجهودٍ تعاظم أكلَ ميتٍ ... فلمّا اضطرّ عاد إليه شدّا

- **من لا يُفرح بموته ولا يُسَرُّ بحياته**

قال شاعر:

إذا كنْتَ لا ترجَى لدفعِ ملمّةٍ ... ولم يكُ في المعروفِ عندَكَ مطْمعُ[3]

ولا أنتَ ممّن يُستعانُ بجاهِهِ ... ولا أنتَ يومَ الحشرِ ممّن يشْفَعُ[4]

فعيشُكَ في الدنيا وموتُكَ واحدٌ ... وعودُ خلالٍ من وصالِكَ أنفعُ

ذكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء فقال: إن دنوت منه غرّك[5] وإن بعدت منه ضرّك. فبلغ كلامه أحمد فقال: تفسيره أن حياته لا تنفع وموته لا يضرّ. وقيل لرجل: مات فلان فقال: من لم تنفع حياته لم تجزع وفاته

فَبُعْداً لا انقضاء له وسحقاً ... فغير مصابه الخطب العظيم

---

(١) **الصنوبري**: أحد الشعراء الذي عاشوا في بلاط سيف الدولة، وهو أنطاكي المولد والنشأة، اشتهر بوصف الطبيعة. مات سنة (٩٤٥م)

(٢) **هبيد**: نوع حنظل وهو نبات مر

(٣) **الملمة**: المصيبة.

(٤) **الجاه**: الوجاهة والسيادة بين الناس

(٥) **غرّك**: ألحق بك العار

● من لا يُستحضر في المحافل ولا يعرج عليه الأماثل

وقال الأخطل:

أما كليبُ بنُ يربوع فليسَ لهُم عند التفاخُر إيرادٌ ولا صَدرُ[1]
مُخلفونَ ويقضي الناس أمرَهم وهمْ بغيبٍ وفي عمياء ما شعرُوا
الآكلونَ خبيثَ الزادِ وحدَهم والسائلونَ بظهرِ الغيبِ ما الخبر؟

وقيل:

شهادتُه وغيبتُه سَواء[2]

وقال آخر:

كزائدةِ الإبهامِ خلْفَ الرواجِب[3]

وقال آخر:

كزائدةِ النعامةِ في الكُراع

قال عبدان:

خرَجْنا غداةً إلى نزهة وفيْنا زيادٌ أبو صَعْصَعَة
فستةُ رهطٍ به خمسة وخمسةُ رهطٍ به أربعه

قال سحيم بن موسى:

عن المكارم تُنفى طيبه طردا نفيَ الزيوف أبتْها كفُّ مُنتقد[4]

● المتعري من الإنسانية

وصف أعرابي رجلاً فقال: ليس فيه من الآدمية إلا أنه يسمى آدمياً. وقال فتى لأبيه مالي إذا أخذتم في الأشعار والأخبار تسلط على النيام. فقال: لأنك حمار في مسلاخ[5] إنسان. ويقال فلان حارص بن حارص لمن لا خير فيه.

● ذم من لا يبالي بما ارتكب

وصف أعرابي رجلاً فقال: يهون عليه عِظَامُ الذُّنُوب ويحسن في عينه قباح العيوبِ ولو كان في بني آدم سباخ أنه لمن سباخهم.

قال المعري:

قومٌ إذا خرَجُوا من سَوءةٍ ولجُوا في سوءة لم يخشوها بأستارِ

وقيل: من الأبيات الرائعة المعجبة التي لا أرباب لها قول الشاعر:

---

(١) يقول إن بني كليب يبعدون عن التفاخر لحقارتهم.

(٢) أي سيّان حضوره أو غيابه، إذ لا جدوى من وجوده.

(٣) الرواجب: مفاصل الأصابع. (٤) الزيوف: دراهم فيها غش.

(٥) المسلاخ: الإهاب، الجلد.

أن يغدُروا أو يجبُنوا أو يَبخَلوا لا يحفِلوا
وغدوا عليك مرجلين كأنّهم لمْ يفعلوا

● الموصوف بكثرة المساوىء

قيل: مدفع المعائب ومجمع المثالب لو قذف على الليل لونه لانطمست نجومه. الأخطل:

قومٍ تناهى إليهم كُلُّ فاحشةٍ وكلّ مخزيةٍ سُبّتْ بِهَا مُضَرُ[1]

قال أبو تمّام:

مساوٍ لو قسِمْنَ على الغَواني لمـا أمهـرْن إلا بالطّلاقِ[2]

وقال زينا النصراني

لي صاحبٌ لستُ أُحصِي من محاسنه شيئاً صَغيراً ولا أُحصي مساويه
وليسَ فيه من الخَيرات واحدةٌ وأكثرُ السوءِ لا بلْ كلُّهُ فيهِ

قال ابن الرومي:

معايبُ النّاس ومساوئهم قد جُمِعَتْ لي منك في شخصِ

قال ابن أبي عيينة:

جمَعْتَ خصالَ الردي جُملةً ونفيتَ خصالَ الندى جُملةً

وقال آخر

فما لكَ في الخيْر من حِلّةٍ وكمْ لكَ في الشرّ من حلّةٍ[3]

قال ابن الحجّاج:

مقابحُ فيك شتّى أوصافُها لا تُحْصَدُ

● ذمّ من لا يصلحُ لخير ولا شرّ

قال بعضهم: فلان أملس ليس فيه مستقر لخير ولا شر، فقيل ذلك ميت الأحياء وقال حاجب بن زرارة ما هو برطب فيعصر ولا يابس فيكسر، قال شاعر

مسيخٌ مليخٌ كلحْم الحوار فلا أنت حُلوٌ ولا أنت مُرّ[4]

---

(١) مُضَر: مضر بن نزار. قبيلة عربية عدنانية.
(٢) الغواني: جمع غانية وهي المرأة التي أغناها حسنها عن الزينة.
(٣) الحلّة: القصة أو السيئة ـ يقول: أنت في منأى عن كل خير ولكنك في الشرّ طويل الباع.
(٤) المسيخ: الذي حوّلت صورته إلى صورة أقبح كما في قولهم «مسخه الله قرداً» ـ الحوار: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها.

كـأنـك ذاك الـذي فـي الـضـروع بـقـادم أضـرتـهـا الـمـسـتـثـيـرُ

وسمع رجل آخر يقول: أنت لم تأت قط بخير، فقال: إن لم آت بخير فقد أتيت بشر. وقد قيل إذا لم ترفع في الخير شعاراً فرفع في الشر شعاراً، ثم أنشد

إذا أنـتَ لـم تـنـفَـعْ فـضـرّ فـإنـمـا يـرجـى الـفـتـى كـيـمـا يـضـرُّ ويـنـفَـعُ

وهذا ضد قول القائل:

خـمـولُ الـذكـر أسـنـى مـن الـذكْـرِ الـذمـيـم

قال مروان بن أبي حفصة[1]:

ومـا فـعـلَـتْ بـنـو مـروان خـيـراً ولا فـعـلَـتْ بـنـو مـروانَ شـرّا

قال أبو الفرج الأصبهاني:

كـأنـه الـتـيـس قـد أودى بـه هَـرَمٌ فـلا لـحـمٌ ولا عـصـبٌ ولا ثـمَـنُ[2]

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل فقال: هو فصل لا حر ولا برد وهو عوسجة لا ظل ولا ثمر، وقال أبو علي ابن عبدوس الشيرازي

هـمُ الـكـسـوبُ فـلا أصـلٌ ولا ثـمـرٌ ولا نـسـيـمٌ ولا ظـلٌ ولا زهَـرُ

● ذمُّ من لا يضرّ ولا ينفع

قيل فلان إن دنوت منه عزّك وإن تباعدت عنه ضرّك، شرّه يفيض وخيره يغيض

وشـرُّك فـي الـبـلاد يـسـيـلُ سـيـلا وخـيـرُك رمـيـةٌ مـن غـيـر رام[3]

هو كالسمرة التي قلّ ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها لا كالكرمة، التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مجتناها[4] لا يؤمن خباله[5] ولا يُرجى نواله[6] حديثُه غثٌّ[7] وكلامه رثٌّ[8] عيالٌ في الجدب عدو في الخصب قليل الخير جمُّ الضير[9]

قال ابن الحجاج:

أعـيـذُكـم بـالله مـن عُـصـبـة تُـبـاع مـجّـانـاً ولا تُـشـتـرى

فـإنـكـم مـن حـيـث مـا اسـتُـنـشِـقَـتْ روائـحُ الأمـسـالِ فـيـكـم خـرَا

---

(١) مروان بن أبي حفصة: (٧٢٤-٧٩٨) شاعر مخضرم ممتاز بصفاء ديباجته مدح المهدي والرشيد وله رثاء شهير

(٢) عَصَبٌ: نسل.

(٣) يعيره بشره المستطير، وينفي عنه الأصالة في المروءة أو الكرم، فخيره صدفة أو رمية من غير رام.

(٤) المجتنى: القطاف.

(٥) الخبال: الفساد

(٦) النوال: العطاء.

(٧) الحديث الغث: التافه الذي لا قيمة له.

(٨) الكلام الرث: الركيك أو البالي

(٩) جم الضير: كثير الإضرار.

وفي المثل يا عبرى مقبلة ويا سهري مدبرة وقيل أعيرة وجبنا:

يا ليتَ حظّي من نداكَ الصافي والخيرِ أن تركتني كفافِي

وقال آخر:

ليتَ حظّي من أبي كربٍ سدّ عنّي خيرُه خبلُه

وقال آخر:

فراشةُ الحلمِ فرعونُ العذابِ وإن تطلُبْ نداهُ فكلبٌ دونَهُ كلْبُ

● من يرضى منه أن يكفّ شرّه

قيل: أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نده، وأحسنُ ما في اللئيم أن يكفّ عنك أذاه، قال المتنبي في معناه:

إنّا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ به من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

● ذمّ من يعادي أولياءه دون أعدائه

قيل لمعاوية: ما النذالة؟ قال: الجراءة على الصديق والنكول[1] عن العدو. وذم أعرابي رجلاً فقال: هو أقل الناس دوينا إلى أعدائه وأكثرهم تجرؤا على أصدقائه وأوليائه وكتب بعضهم عدوه بمعزل عنه وصديقه على وَجَلٍ منه إن شهد عافه وإن غاب عنه خافه وفي الأقارب باب يقرب من هذا.

● من أخلفَ فيه الظنّ لنذالته

قال أبو علي البصير

كان ظنّي بك الجميل فألفيتُك من كلّ ما ظننتُ بعيدا

قيل لجميفر: أن اقصد فلاناً وسله. فقال: إنه قطوف عن الخيرات لا يثمر شجرة ولا يميه حجره. فقيل ليس كما تظنه فأتاه فلم يَرَ منه طائلاً فقال: له

يا فتى أخلفَ فيه الظـ ـنَّ من كلّ مظنونِ

لم يكنْ ظنّي بك الـ ـخير ولكنْ خدعوني

● الموفي على كلّ لئيم

قد كان لأم طمل لف في حرق، وقيل هو ألأم من الذئب وفي ضده قيل هو أكرم من الليث ولؤم الذئب أنه يأخذه ما يعن له وإن كان شبعان والأسد يتعفف عن ذلك إذا شبع وقيل: لئيم راضع وذلك من باب البخل.

---

(١) النكول: الجُبن

● منْ لا يُبالي بغضبه

قيل لرجل: فلان غضب عليك. فأنشد:

إذا غضبَتْ تلك الأنوفُ لم أرْضِهَا ... ولم أطلُبِ العُتْبى ولكن أزيدُهَا

قال ابن الرومي:

غضبْتَ وطلتَ من سفهٍ وطيشٍ ... تهرهزُ لحيَةً في قدْ وَقشٍ
فما افترقَتْ لغَضْبتِك الثريّا ... ولا اجتمعَتْ لذاك بناتُ نَعْشِ

وفي المثل: غضب الخيل على اللجم، ومما يضرب به المثل في ذلك قول المتنبي:

وغَيْظٌ على الأيامِ كالنَّارِ في الحشا ... ولكنَّهُ غَيْظُ الأسيرِ على القدِّ[1]

وقيل:

فلا سَلَّ من تلْك الصدورِ قذاها

قال أبو علي البصير:

أبو جعفر كالناس يرضى ويغضب ... ويَنْعقِدُ في كلِّ الأمور ويَقْرُبُ
ولكن رِضاهُ ليس يُجْدي قُلامةً ... فما فوقها إذ سُخْطُهُ لَيْسَ يُرْهِبُ[2]

ويقرب من ذلك قولهم ما أبالي ما نهي من ضبك وما نصبح وعكس هذا الباب قول جرير:

إذا غضِبَتْ عليْكَ بنو تَميمٍ ... حَسِبْتَ الناس كُلَّهُمْ غضابا[3]

● وضيعٌ ارتفع

قيل: إذا استنسر البغاث[4] حلت الأحداث، وقيل إذا ذهبت العتاق ارتفعت الدقاق[5]، وجاء ما لا يطاق.

وقال أردشير ما شيء أسرع في انتقال الدول من رفع وضيع إلى مرتبة شريف. قيل السفل إذا تعلموا تكبروا وإذا تموّلوا استطالوا، والكرام إذا تعلموا تواضعوا وإذا افتقروا صالوا، وقيل لأن يسقط ألف من العلية خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

● الاحتياط لوضيع تعرض لرفيع

لما ولي زياد البصرة خطب فقال: إني رأيت خلالاً ثلاثاً نبذت إليكم، فمن النصيحة لا

---

(١) القد: القيد.
(٢) القلامة: ما سقط من ظفره.
(٣) يقول: إذا غضبت عليك بنو تميم خلت الناس جميعاً غضابا.
(٤) البغاث: طائر بطيء الطيران.
(٥) الدقاق: فتات كلّ شيء ـ دقاق العيدان: كسارها.

يأتيني شريف بوضيع لم يعرف شرفه إلا عاقبته ولا أهل بحدث لم يعرف فضل سنه إلا عاقبته ولا عالم بجاهل عنته إلا عاقبته، وإنما لبس أشرافهم وذوو سنهم وعلماؤهم، ووجد في كتب العجم أن باريار الأبرويز أطلق شاهينه[1] على طائر فحطأه فانقض على عقاب تراءت له فضربها ضربة أبان رأسها من جسدها، فأخذ البازيار الشاهين والعقاب وأتى به الملك ليعلمه بفعل الشاهين رجاء أن يسرّه بذلك وينال به مالاً، فلما أخبره أخذ الشاهين من البازيار فقطع رأسه ثم التفت إلى وزرائه وأوليائه وقال يتكايدني أن أرى بدأ دنيئة تسلطت على يد رفيعة.

● وضيع يتعرض لرفيع لعجزه

قال الأعشى:

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهِنَها ... فلمْ يضرها وأوهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

قال كشاجم:

تبارزُني وتمسكُ من رصاصٍ ... وهل يبقى على النار الرَّصاصُ[2]

● من افتخرَ بما ليس عندَهُ

قيل لأبي عبيدة: أن الأصمعي قال: بينا أبي يسير مع سلم بن قتيبة على فرس قال أبو عبيدة: سبحان الله المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور والله ما ملك أبوه دابة إلا في ثوبه. وعمل محر النعي يمدح زينتها فلان يفخر بغير آبائه ويبجح[3] بما في بطن سواه، قال طاهر بن الحسين:

محاربُ يفرحون بعزِّ قيسٍ ... كما فرح الخصيّ بمن يقودُ

وقيل: تجشّي لقمان من غير شبع. وقيل: ليس هذا بعشك فادرجي. وقيل: من فاته الدين والمروءة فرأس ماله العصبية والتبجح بمال غيره، ورؤي رجل من نظارة السبق وقد سبق فرس وهو يظهر النشاط وفرط السرور والابتهاج، فقيل له أهو لك فقال: لا ولكن لجامه لي. وللمتنبي في نفي المفاخرة بما لغيره عن نفسه:

وما أسرّ بما غيري الحميدُ به ... ولو حملتَ إليّ الدهرَ ملآنا

وقال الأجدع الهمداني وهو مما يتمثل به فيمن يتبجح بفعل لم يفعله بعد:

وكيفَ افتخارُ القومِ قبلَ لقائِهم ... إلا أن ما بعدَ اللقاءِ هو الفخرُ

● الموصوفُ بأنواعٍ من المعائب

سئل بعضهم عن رجل فقال: هو غث في دينه، قذرٌ في دنياه، رثٌّ في مروءته سمج

---

(١) الشاهين: طائر من جنس الصقر طويل الجناحين.

(٢) يقول تقاتلني برصاص يذوب في ناري. (٣) يبجح: بجح به: فرح به.

في هيئته منقطع إلى نفسه راضٍ عن عقله، بخيل بما وسع الله عليه من رزقه، كتوم لما آتاه الله من فضله حلاف لجوج لا ينصف إلا صاغراً ولا يعدل إلا راغماً، لا يرتفع عن منزلة إلا ذلّ بعد تعززه فيها. وقال بعضهم فلان قليل الخير جم الضير عسيف السير كذوب الوعد خؤوف العهد قليل الرفد، وقال آخر هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر كثير الفخر ولئن كان للإنسان سبخ أنه لمن مسخ بني آدم، وذكر أعرابي رجلاً فقال: لو أفلتت محزنية لم تصل إلا إليه ولو نزلت نعمة لم تكن إلا عليه وقال إبراهيم بن المدبر في رجل له كبد محنث وجسد نائحة وشره قواد، وذلّ قبلة وملق داية وبخل كلب وحرص نباش[1] وقحة مصلحي ونتن جورب ووحشة قرد، قال ابن الحجاج:

نسيم حش وريح مقمنة ... وسمت أفعى ونتن مصلوب[2]

وقال ابن ثوابة لأبي العيناء أما تعرفني؟ فقال أعرفك ضيق المطن[3] لئيم الوطن نؤوما على الدقن

قال شاعر

الناسُ من كذّبتك من نعم ... فمٌ بذيءٌ وفقحةٌ غلمة[4]

والأصلُ نذلٌ والدِّينُ ذو دخلٍ ... والأب قدمٌ والأم متهمه[5]

قال بعض الأدباء:

أرى فيك أخرقاً ولست بقائفٍ ... ولكنها لم تخف في متحدثٍ[6]

شمائلُ تيّاس وخفةُ حائكٍ ... وتقعيعُ طبّال وطيشُ مخنّثِ

● **المشهورُ بالشؤم**

يضرب المثل في الشؤم بقدار وطويس ووافد عاد فأما قدار فعاقر ناقة صالح عليه السلام، وأما طويس فإنه كان يقول ولدت يوم توفي النبي ﷺ وفطمت يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، وبلغت الحليم يوم قتل عمر رضي الله عنه، وتزوجت يوم قتل عثمان رضي الله عنه، وولد لي يوم توفي علي رضي الله عنه

ووافد عاد هو الذي بعثوه إلى الحرم يستسقي لهم، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يشرب الخمر وتغني له الجرادتان، ثم أتى جبال مهرة فقال: اللهم إني لم أجيء لمائت فأوديه، ولا لأسير فأفاديه ولا لمريض فأداويه، اللّهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فعرضت لهم سحابة أهلكتهم.

---

(١) النبّاش: الذي ينبش القبور

(٢) الحش: البستان

(٣) المطن: مبرك الإبل

(٤) الفقحة: حلقة الدبر ـ غلمة: مضادة للشهوة

(٥) النذل: الفاسد ـ قدمٌ: أحمق.

(٦) القائف: متتبع الأثر

وقيل أشأم من قاشر لفحل أرسل في إبل فماتت عن آخرها. وقيل هو من قولهم أبعث إليهم سنة قاشورة، تحتلق المال احتلاق النورة، وأشأم من داحس والغبراء وحربهما مشهور.

قال محمد بن حازم:

لِقَاؤكَ للمُبَكِّرِ فَالُ سُوءٍ ... ووجهُكَ أربُعَاءُ لا تدورُ[1]

وقال عمرو بن لجا:

جَرَيْتَ ليربوعٍ بشؤمٍ كما جَرَى ... إلى غايةٍ قادَتْ إلى المَوْتِ داحِسُ

وقال إبراهيم بن سبأ:

شؤمُه يفلقُ الصخورَ فلو زا ... رَ أباناً لهدَّ رُكْنَي أبانِ[2]

وقال مخنث لآخر:

يا وجه البوم وعين الزقوم[3] ومقراض الآمال وجلم الآجال

وقال الشاعر:

يا سَعْدُ إنَّكَ قد حجبتَ ثلاثةً ... كلٌّ عليه منك وَسْمٌ لائحُ

وأراك تخدمُ رابعاً لتُشِينَهُ ... فارْفُقْ به فالشيخُ شيخٌ صالحُ

● وصف العائن بعينه

ذكر بعض العلماء إن العين حق ونبه النبي ﷺ أمته، والهند والفرس تتدين به وكذلك اليونانيون. ويذكرون أنه بخار ينفصل من العين والجوف فيدخل في المعيون ولهذا كرهوا الأكل بين يدي السباع والكلب والسنور ورأوا أن يشغلوا السباع عند أكلهم بشيء يرمى به لئلا ينفصل بخار رؤيته فيؤثر في المعيون.

قالوا ومثل تأثير العائن في المعيون نظر الرجل إلى العين المحمرة فتحمر عينه، والطامث تدنو من إناء اللبن لتسوطه[4] فتفسده.

وصعد سليمان بن عبد الملك المنبر يوم الجمعة وقد غلّف لحيته بالغالية. وقال أنا الملك الشاب فأصابته عين فما جمع بعدها.

وكان المعدل بن غيلان العبدي شديد العين، دخل يوماً على جعفر بن سليمان فاستحسن أكله فعانه. فاقشعر جلده فقال: لسمي المعدل بعينه فخرج عبد الله ابن جعفر ليقتله فطار واستخفى، وكتب إلى جعفر لو كنت أخشى أن أعينك قلعتها أتعين عيني نورها وكان ابن الزبير ومعاوية يتسايران فأبصرا ركباً من بعيد، فقال ابن الزبير: هو فلان فلما قدم كان إياه، فقال معاوية: ما أحسن هذه نحذة مع الكبر. فقال: برك يا أمير المؤمنين،

(١) الأربعاء: العمود من أعمدة البيت.
(٢) أبان: جبل.
(٣) الزقوم: شجرة في جهنم ـ جلم: آلة كالمقص.
(٤) تسوطه: تضربه بالسوط.

فسكت فقال ابن الزبير: ما أحسن هذه الشاب وطرأ هذه الوجه. فقال معاوية: برك فسكت فافترقا فشكا ابن الزبير عينه ثم شارفت الذهاب وسقطت ثنيتا معاوية فالتقيا بعد ذلك بسنة فقال معاوية: يا أبا بكر أيما أشوه فقال رجل. معين أصابته العين وشأنه ومشوه وشقذ شديد الإصابة بالعين.

● **المذمومُ بأنه لو كانَ كذا لكان شره**

دخل أبو الأسود على ابن عباس رضي الله عنهم يجر رجله فقال: لو كنت بعيراً كنت ثقالاً. فقال له أبو الأسود: ولو كنت راعي البعير لم يبعثه الكلأ ولما حفظته من الصيمة وقيل لام بهلول كيف ترين ابنك؟ فقالت: قبحه الله لو كان داء ما برىء منه. قال:

لـو كـنـتَ ريـحـاً كـانـتِ الـدبـورا ... أو كـنـتَ غـيـمـاً لـم تـكُـنْ مَـطِـيـرا[1]

أو كـنـتَ مـاءً لـم تـكـن نـمـيـرا ... أو كـنـت بـرداً كـنـت زمـهـريـرا

أو كـنـت مـخـاً كـان مـخـاً ريـرا[2]

وقال آخر:

لـو كـنـتَ مـاءً لـم تـكُـن بـعَـذْبِ ... أو كـنـت سيفاً لـم تكن بعضْبِ[3]

أو كنت لحماً كنت لحمَ كلبِ

● **ضرب من اللمْ يقال يا كذا**

يـا طـيـرةَ الـشـؤمِ ويـا فـأل الـتـلـف ... يـا سـوء كـيـل وغـلاء وحـشـف[4]

قال أبو نواس:

يـا غـرابَ الـبَـيْـنِ فـي الـشؤ ... مِ وميـزابَ الـسـحـابـه[5]

يـا كـتـابـاً بـطـلاق ... ومـراة بـمـصـابـه

يـا مـثـالاً مـن هـمـومٍ ... وتـبـاريـح كـآبـه

قال الناجم

يـا قـوةَ الـيـأس ويـا ضـعـفَ الأمـل ... يـا كـلَّ مـكـروهٍ وكـرب ويـخـل

يـا حـيـرةَ الـمـمـلـقِ أعـيَـتْـهُ الـحـيـلُ ... يـا زحـلَ الـدهـر ومـريـخَ الـدولِ[6]

---

(١) الدبور: الريح الغربية في مقابل الصَّبا الشرقية. ممعمة.

(٢) الرير: المخ الرقيق.

(٣) العضب: السيف القاطع.

(٤) حشف: أردأ التمر.

(٥) ميزاب: القناة يجري فيها الماء.

(٦) زحل والمريخ: كوكبان الأول مثال في البعد والثاني مشؤوم

الحدّ الخامس

في الأبوّة والبنوّة ومدحهما وذمّهما

(١)

فممّا جاء في البنين والبنات

•

• **نفعُ الولد وحمدُه**

قال الله تعالى ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[١] وقال النبي ﷺ إذا مات الرجل انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له

وقال حكيم في ميت. إن كان له ولد فهو حي وإن لم يكن له ولد فهو ميت؟ والعرب تسمّي من لا ولد له صنبوراً، ولهذا قالوا إن محمداً صنبور، **وقيل** لحكيم ما منفعة الولد؟ **فقال**: يُستغذَبُ به العيش ويهون به الموت. **وقيل**. خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والأمن والعمل ولد موافق من زوجة موافقة قال

ومُتْعةُ العيشِ بين الأهلِ والولَدِ

قال ابن أبي فنن في وصف شراب:

أطــيــبُ فــي الأنــف إذا جــئـتـك مــن ريــح الــولَــد

وقيل لبعضهم أيّ ريح أطيب؟ **فقال** ريح ولد أربه وبدن أحبه.

وفي الحديث ريح الولد من رائحة الجنّة. **قيل** لبزرجمهر ما السعادة؟ **قال**: أن يكون للرجل ابن واحد **فقال**: الواحد يخشى عليه الموت **قال**: لم تسألني عن الشقاوة

• **مضرّةُ الولدِ وذمّه**

قيل: لبعض الزهاد ألا تزوجت فيكون لك خلف **فقال**: كفى بالتزهيد فيه قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٢] وقوله ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[٣] وقال النبي ﷺ: الولد مبخلة مجبنة مجهلة **وقيل**: قلة العيال أحد اليسارين. **وقيل** قلة العيال كنز لا ينفد. وسُئِل حكيم عن ولده **فقال** إن عاش كدّني وإن مات هدّني. وبُشّر حسن البصري بابن **فقال** لا مرحباً بمن إن كنت غنياً أذهلني وإن كنت

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ١١. (٢) القرآن الكريم الأنفال/ ٢٨. (٣) القرآن الكريم: التغابن/ ١٤.

فقيراً أتعبني، ولا أرضى كدى له كدّ ولا سعي له في الحياة سعياً، أهتم بفقره بعد وفاتي حين لا ينالني به سرور، ولا يهمه لي حزن، وصحر يوماً فرآى صيداً فقال: ما أكثر ما يقع في شبكتك، قال كل طير زاق. فقال الحسن: هلك المعيلون. قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل معه ولده. إن عاش فتنك وإن مات أحزنك وقد أحسن المتنبي في قوله:

وما الدهر أهلٌ أن يُؤَمّل عنده حياةٌ وأن يشتاق فيه إلى النسلِ

وقيل: النكد كل النكد مَنْ رماه الأبد كل عام بولد

● كونُ الولد مكسَباً لأبويه بأعماله

قال النبي ﷺ: أنت ومالك لأبيك وقال ﷺ أولادكم كسبكم فكلوا من أموالهم. وناول عمر رضي الله عنه رجلاً شيئاً فقال له: خدمك ابنك فقال: بل أغناني الله عنهم

● شفقة الأبوين على الولد

كان النبي ﷺ يخطب فطلع الحسن رضي الله عنه يتخطى الناس فسقط فنزل النبي ﷺ فتناوله ثم رجع فقال: والذي نفسي بيده ما علمت كيف نزلت صدق الله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة. وضرب رجل وطولب بمال فلم يسمح به فأخذ ابنه وضرب فجزع فقيل له في ذلك فقال: ضُرب جلدي فصبرت وضُرب كبدي فلم أصبر. قال شاعر:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض[1]

● من كرهَ الموتَ شفقةً على ولده

قال شاعر

يقرُّ بعيني وهو يُنقِصُ مدّتي مرورَ الليالي كي يشبّ حكيم
مخافةَ أن يغتالني الموتُ قبلَه فيغدو مع الضيان وهو يتيم

وقال آخر:

لقد زادَ الحياةَ إليّ حُبّاً بناتي إنهنّ من الضعاف
مخافةَ أن يذقْنَ اليتمَ بعدي وأن يشربن رنْقاً بعد صافِ

● متحملٌ تعباً لأولاده

قال شاعر:

والله لولا صبيةٌ صغارٌ وجوهُهم كأنّها أقمارُ
لمّا رآني ملكٌ جبّارُ ببابه ما طلَعَ النّهارُ

ونحو هذا قولهم:

---

(١) يقول: إن أولادنا أشبه بقلوب وأكباد تمشي على الأرض

لولا أميمةُ لم أجزعْ من العَدَمِ ... ولم أقاسِ الدجا في حِنْدِسِ الظُّلَمِ[1]

الأبيات وهي مذكورة في الحماسة

قال حطان بن المعلى:

لولا بنيّاتٌ كزغب القطا ... رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكانَ لي مضطرَبٌ واسعٌ ... في الأرضِ ذاتِ الطُّولِ والعرضِ

وقال معاوية رضي الله عنه لولا يزيد لا بصرت رشدي

● محبةُ الولد وملاعبتُه

كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن فقال الأقرع بن حابس: إنّ لي عشرة من الأولاد فما قبلت واحداً منهم، فقال النبي ﷺ: فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك

قال موسى عليه السلام: يا رب أي الأعمال أحب إليك؟ قال الطف الصبيان فإنهم فطرتي وإذا ماتوا أدخلتهم جنتي.

وقال كسرى لغيلان[2] أي الأولاد أحب إليك؟ فقال: الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ. كان عبد الله بن عمير يدخل معه سمون ذكراً المقصورة فقيل له كيف حبك لجماعتهم؟ فقال: يحرق حب الأول عليهم وهذا من غريب الحب

● محبةُ الأبِ للابن وبغضُ الابن له

قال زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم لابنه: إنّ الله رضيني لك فأوصاك بي وحذرني منك. وأجمعوا أن الولد البار أبر من الوالد لأن برّ الوالدين طبيعة وهذا واجب والواجب أبداً ثقيل. كتب إبراهيم بن داحة إلى أحد أبويه: جعلني الله فداك فكتب إليه لا تكتب بمثل هذا فأنت على يومي أصبر مني على يومك

● إعجابُ المرءِ بابنه

قيل: زين[3] في عين والد ولده ونحوه، وإن لم يكن من بابه من يمدح العروس إلا أهلها. قال أبو تمّام الطائي

ويُسيءُ بالإحسانِ ظنّاً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتونُ

وقيل: شكت الخنساء إلى أمها استقذار[4] الناس إياها وإن من دنا منها يبرق

---

(١) حندس: الليل الشديد الظلمة

(٢) غيلان بن مسلم القدري: أبو مروان (ت بعد ١٠٥هـ/٧٢٣م) متكلّم دمشقي وكاتب من البلغاء قال بالقدرية. أمر هشام بن عبد الملك بصلبه بعد أن أفتى الإمام الأوزاعي بقتله

(٣) زين: حسن، وهذا شبيه بقول العامة: القرد في عين أمه غزال.

عليها، فقالت لها: إنهم لحسنك ونظافتك يمشون عليك مخافة العين، أعيذك بالله.

وقال أعرابي:

يا ربّ مالي لا أحبّ حشوته ... وكلّ خنزير يحبّ ولده

● إعجابُ المرء بأبيه

في المثل: كلّ فتاة بأبيها معجبة. وقيل: من يَطُلْ أير أبيه ينتطق به. وحضر صالح العباسي مجلس المنصور وكان يحدثه ويكثر من قوله أبي رحمه الله، فقال له الربيع: لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين، فقال له: ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء. فتبسم المنصور وقال هذا جزاء من تعرض لبني هاشم.

وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن رجاء قلت له يوماً أيبيعك أبوك مني فإني أريد ابناً مثلك، فقال: البيع لا يمكن إن شئت أحمل أبي على امرأتك لتأتيك بولد مثلي.

ومرّ الأخطل بالفرزدق وهو صبي فقال: أيسرّك أن أكون أباك فقال: ولكن يسرني أن تكون أمي ليأكل أبي من أطايبك.

● تفضيلُ كبار الولد وصغاره

قيل: من سرّه نسوه ساءته نفسه ولذلك أنم الشاعر فقال:

نشأ بنيّ فكانَ مثلي ... يا ليتنيّ ما قد نزفتُ عنّي[1]

فسرّني ما رأيتُ منهُ ... وساءني ما رأيتُ منّي

وقال:

إنّ بنيّ صبيةٌ صيفيّون ... أفلح من كان له ربعيّون

وقيل: كان بين عمرو بن العاص وبين ابنه عبد الله اثنا عشر سنة في السن ولا يعلم أحد كان بينه وبين أبيه هذا القدر. فأما من بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة فعددهم كثير. وقال حماد بن إسحاق بن إبراهيم كان أبي أكبر مني بأربع عشرة سنة وأنا أكبر من ابني بأربع عشرة سنة والموفق أكبر من المعتضد بأربع عشرة سنة. وقال أنوشروان لرجل هرم رآه يمشي هلا أدلجت؟ فقال: أدلجت ولكني أضللت والخبر مذكور في فصل النكاح وقيل ابنك ريحانك سبعاً وخادمك سبعاً ثم يصير عدواً ظاهراً أو شريكاً مظاهراً وقيل لرجل أبطأ في التزوج فقال: أريد أن أسبق أولادي في اليتم قبل أن يسبقوني في العقوق.

● فضلُ الابن

(١) الاستقذار: أن يرى الشخص أو الشيء قذراً أي وسخاً يؤذي الناظر.
(٢) نشأ: مخفّف نشأ يقول كان ابني مثلي في شأنه، أفرح بما أراه منه وأستاء منا أراه مني قولاً وعملاً.

قيل: ابنك ابن بوحك أي الذي ولدته بنفسك لا من تبنيته، ونحوُه ابنك من دمي عقبيك أي من نفست به.

وقال بعض العرب أن ابنك بنك وابن أخيك بنك وابن عمك ابنك، وابنك ابن بوحك مصطبحاً بصبوحك.

وفي ضدّه ربّ ابن لم تلده.

● المادحُ ولدَه مدْحاً حسناً

كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين صف لي ابنك، فقال: ابني إن مدحته ذممته وإن ذممته ظلمته، إلا أنه نعم الخلف لسيده من نعمه إذا اخترمت عبده منيته. فكتب إليه المأمون يا ذا اليمينين لم ترض بمدحه حتى أوصيت به.

وقال له يوماً أخبرني عن ابنك فقال قدح في كفّ مثقف ليوم رهان أمير المؤمنين وقيل لرجل صف ابنك، فقال: ولد الناس بنيهم وأولدته أباً يحسن ما أحسن ولا أحسن ما يحسن. مدح أعرابي ابنه فقال:

يا حبذا روحُه وملمسُه　　　أملحُ شيءٍ ظلاً وأكيسُه

الله يرعاه لي من خرشه

● أولادٌ سخنت أعينُ آبائهم لتخلّفهم

مات لعبد الملك ابن فجاءه له آخر يعزي أبيه به، فقال: يا بني مصيبتي فيك أقدح في بدني من مصيبتي في أخيك فقال أمي أمرتني بذلك فقال يا بني إذا كانت الأبناء قرة أعين الوالدين فأنت قرة عين الشامتين. وبعث رجل ابنه ليشتري حبلاً فقال: نجعله عشرين ذراعاً فقال: في عرض كم؟ قال في عرض مصيبتي فيك يا بني وقال أبو حنيفة لشيطان الطاق وكان له ابن معتوه: إنك في بستان من نتف فقال ذاك لو كان ابنك. وقيل لصبي لم لا تتعلم الأدب؟ فقال أخاف أن أكذب والدي لأنه قال لي أنك لا تفلح أبداً. وكان للمبرّد[1] ابن متخلف فقيل له يوماً غطّ سوءتك[2] فوضع يده على رأس ابنه.

● من كثرتْ أولادُه فأنجبَ

قيل: كان لعبد الله بن عمير سبعون ذكراً كلهم يطيقون حمل السلاح، وكانت فاطمة بنت الخرشب الأنمارية يقال لها أم الكملة وأم البنين بنت عامر ابن فارس ولدت عامر بن ملك وطفيل الخيل ومعاوية بن ملك معود الحكماء وسقط للمهلب لصلبه إلى الأرض

---

(1) المبرّد: هو العباس المبرّد من كبار علماء اللغة البصريين [(٢١١هـ ـ ٨٢٦م) ـ (٢٨٥هـ ـ ٨٩٨م) من أهم كتبه «الكامل» وهو كتاب جامع لمأثور الكلام شعره ونثره، والغريب منه أيضاً
(2) السوءة: العورة

ثلاثمائة ولد وكان الرجل في الجاهلية إذا ولد له سبعة ولد تقنع وتمّ شرفه.

وكان يقال فلان من المقتمين فمنهم حليفة من بني بدر وعيينة وعلقمة بن الأحوص. وقال عبد الملك للفرزدق أي الحي[1] أكثر؟ فقال تميم. فقال وأين طيىء؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو أن نساء تميم بُلْنَ على جبل طيىء لغرقوا، فقال صبي من طيىء كان حاضراً: يا أمير المؤمنين لو إنا سددنا مبال نساء تميم تكن بعضهن كمر كثير.

● المشبهُ أباه وغيرُ المشبهه

قيل: من سعادة المرء أن يشبهه ابنهُ. وقيل: فلان ينظر من عين أبيه ويبطش بيديه، وقال سعيد بن صعصعة يرقص ابنه:

أحــبّ مــيــمــون أشــدّ حــبّ ... أعــرفُ مــنــه شــبــهــي ولــبّــي
ولــبّــه أعــرفُ مــنــه ربّــي[2]

وقال قال بعض بني عبس:

وإنّا نرى أقدامنا في نعالهم ... وآنفنا بين اللحى والحواجب

وقال آخر:

واللهِ مــا أشــبــهــنــي عــصــامُ ... لا خَــلْــقٌ مــنــه ولا قــوامُ

● محبّةُ البنات وتفضيلُهن

قال محمد بن جعفر بن محمد: البنات حسنات والبنون نعم والحسنات مثاب عليها والنعم مسؤول عنها وقال المدائني قال وهب بن منبه من يمن المرأة أن تلد الأنثى قبل الذكر، إنّ الله بدأ بالإناث فقال: يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده بنية له يلاعبها فقال له: انبذها[3] عنك يا أمير المؤمنين، فوالله انهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن[4] فقال معاوية: لا تقل فما ندب الموتى ولا تفقّد المرضى ولا أعان على الحزن مثلهنّ

وولدت لأعرابية بنية، فقالت:

ومــا عــلــيّ أن تــكــونَ الــجــاريــه ... تــكــنــسُ بــيــتــي وتــردّ الــعــاريــه
تــمــشّــطِ رأسي وتــكــونُ الــفــالــيــة ... وتــرفــع الــســاقــط مــن خــماريّــه[5]
حــتّــى إذا مــا بــلــغــتْ ثــمــانــيــة ... رديــتُــهــا بــبــردةٍ يــمــانــيّــه[6]

(١) الحي: الرهط أو العشيرة أو القبيلة
(٢) لبّ: الجوهر، والعقل.
(٣) انبذها عنك: دعها جانباً
(٤) الضغائن: الأحقاد، جمع ضغينة.
(٥) خمارية: الخمار ما تغطي به المرأة رأسها
(٦) البردة: الثوب المخطّط والموشّى ـ يمانية: أي من برود اليمن، واليمن مشهورة ببرودها

زوّجتها مروانُ أو معاوية — أصهار صدقٍ للمهور غاليه

وقال آخر:

بنيتي ريحانةٌ أشمّها — فدَيْتُ بنتي وفدتني أمُّها

وكان لمعن بن أوس ثمان بنات وبقول ما أحب أن يكون لي بهن رجال وفيهن قال.

رأيتُ رجالاً يكرهونَ بناتهم — وفيهنّ لا تكذبُ نساءٌ صوالحُ

وفيهنّ والأيامُ يعثُرْنَ بالفتى — عوائدُ لا يَمْلَلْنَهُ ونوائحُ

● كراهةُ البنات

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] وبُشّر الأحنف بابنة فبكى فقيل له في ذلك فقال وكيف لا أبكي العبرة وهي عورة هديتها سرقة وسلاحها البكاء ومهرها لغيري وولدت لأعرابي جرية اسمها حمرة فهجر أمها وبنته فسمع أمها يوماً ترقصها وتقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا — غضبانَ أنْ لا نلدَ البنينا

وإنّما يكرهُ ما أعطينا

فرجع إلى منزله وصالحها وطابت نفسه بها.

وقال الحسين رضي الله عنه ولد بنت متعب وولد بنين مثقل وولد ثلاث فعلى العباد أن يعينوه.

وقال الزهري كانوا لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهاداً والعرب لم تكن تأكل طعام صاحب البنات وقال

إذا ما المرءُ شبّ له بناتٌ — عَصَبْنَ برأسه عنتاً وعارا[2]

وسأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مصيبا عن حاله فقال: كَبُرَ سنّي ورق عظمي وبُلِيتُ ببنات نفضت عليهن من لوني تكسّدْن عني، فبكى عمر رضي الله عنه من قوله

● فائدةُ موتِها وتمنّيه

قال النبي ﷺ نعم الختن[3] القبر وقال دفن البنات من المكرمات وبطر أعرابي إلى بنت تدفن فقال: نعم الصهر صاهرتم وكانوا إذا هنئ بها قالوا أمنكم الله عارها وكفاكم مؤنتها وصاهرتم قبرها وقيل تقديم الحرم أفضل النعم وموت الحرة أمان من المعرّة، قال

ولم أرَ نعمةً شملتْ كريماً — كعورته إذا سُتِرَتْ بقبرِ[4]

---

(1) القرآن الكريم النحل/58

(2) الختن: الزوج

(3) المعرة: العار

(4) العورة: كناية عن الأنثى.

وقال إسحاق بن خلف:

تهوى حياتي وأهوى مَوْتَهَا شفقاً ... والموتُ أكرمُ نزالٍ على الحَرَم

قال: وما ختن فينا أعف من القبر.

● تمنّي موت الأولاد

قال أعرابي كان له أولاد:

النَّاسُ يعطون أموالاً وميسَرة ... وأنت أعطيتني يا ربّ صِبيانا

خذهم إليك فكلٌّ صارَ في خلقٍ ... وأنتَ أعطيته يا ربّ عُرْيَانا

قد كنت كلّفتهم في أمّهم ثمنا ... فخُذْهُم عاجلاً يا ربّ مَجَانا

● وأدُ البنات[1]

كانت العرب تئد البنات إلى أن جاء النبي ﷺ فنهى عن ذلك وأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[2]، ودخل قيس بن عاصم على النبي ﷺ فقال: إني وأدت اثنتي عشرة بنتاً فما أصنع؟ فقال: اعتق عن كل موؤدة نسمة. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فما الذي حملك على ذلك وأنت أكثر العرب مالاً؟ قال مخافة أن ينكحهن مثلك. فتبسم رسول الله ﷺ وقال هذا سيد أهل الوبر.

وقال قيس ما ولدت لي ابنة إلا وأدتها سوى بنية ولدتها أمها وأنا في سفر فلما عدت ذكرتْ أنها ولدت ابنة ميتة، فازدعتها أخوالها حتى كبرت، فادخلتها منزلي مترينة فاستحسنتها فقلت من هذه؟ فقالت هذه بنتك وهي التي أخبرتك أنني ولدتها ميتة، فأخذتها ودفنتها حيّة وهي تصيح وتقول أتتركني هكذا؟ فلم أعرج عليها فقال ﷺ: من لا يرحم لا يرحم

● سياسةُ الولد وتأديبهُ

قال النبي ﷺ: إذا بلغ أولادكم سبع سنين فمروهم بالطهارة والصلاة، وإذا بلغوا عشراً فاضربوهم عليها وإذا بلغوا ثلاثة عشر ففرقوا بينهم في المضاجع. وقيل لاعب ابنك سبعاً وعلمه سبعاً وجالس به إخوانك سبعاً يتبين لك أخلفه هو بعدك أم خلف.

● حقّ الولدِ على الوالدِ

قال النبي ﷺ: من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن كنيته وأدبه وأن يعممه إذا بلغ وقال ﷺ: حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي. وقال رجل لأبيه يا أبت إن أعظم حقك علي لا يذهب بصغير حقي عليك وأن الذي تمت به إليَّ

---

(١) الوأد: دفن البنت حيّة.

(٢) القرآن الكريم: التكوير/ ٨

أمت بمثله إليك ولست أزعم أبهما سوء، ولكن لا يحل الاعتداء

● حقّ الوالدين على الولد والحثُّ على مراعاته

قال الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[2] ولو علم الله أدنى من أف لنهى عنه.

وقال النبي ﷺ إنّ الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب

وقال رجل للنبي ﷺ إني أريد الغزو فقال عليه الصلاة والسلام أحي أبواك قال نعم قال ففيهما فجاهد وقال عليه الصلاة والسلام لآخر هل لك من أم قال نعم قال الزمها وإن مفتاح الجنة تحت رجليها وقال الحسن حق الوالد أعظم وبرّ الوالدة ألزم.

● حقيقةُ برّهما

سئل الحسن رضي الله عنه عن برّ الوالدين فقال أن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك ما لم يكن معصية، والدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[3].

● وصفُ بررَة

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: إنك من أبرّ الناس بوالدتك ولسنا نراك تأكل معها قال إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك، وقيل لعمرو بن ذر لما مات ابنه كيف برّه بك قال ما ماشيته قط بالنهار إلا مشى خلفي ولا بالليل إلا مشى أمامي ولا رقي سطحاً أنا تحته وقيل كان أعرابي يحمل أمه على ظهره ويطوف بها وينشد

أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة
ولا يجاري أحد فعاله

وقيل: في المثل أبرّ من الهرة

● وصفُ عَققَة

قيل الولد العاق إن مات نغصك وإن عاش نقصك. وقال بعضهم لابن له عاق أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت وإن قطعت آدت، وقيل: أعظم الأسف سوء الخلف العقوق ثكل من لا يثكل.

قيل لأعرابي كيف ابنك؟ قال هو عذاب رعف به الدهر وبلاء لا يقاومه الصبر وفائدة لا يجب بها الشكر.

---

(١) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٨، ولقمان/ ١٤.
(٢) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٣.
(٣) القرآن الكريم: لقمان/ ١٥.

وكان لمنازل بن فرعان ابن يقال له خليج فعق والده فقدمه إلى والي اليمامة فقال:

تظلمني حقي خليج وعقني على حين كانت كالحني عظامي[1]
لعمري لقد ربيته فرحاً به فلا يفرحن بعدي امرؤ بغلام

قال فأراد الوالي ضربه فقال الابن للوالي: لا تعجل على هذا منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه:

جزت رحم بيني وبين منازل جزاء كما يستنزل الدين طالبه

(الأبيات)

وهي في الحماسة فقال الوالي: يا هذا عققت وعققت. قال:

إن بني خيرهم كالكلب أبرهم أولعهم بسبي[2]
فليتني كنت عقيم الرب وليتني مت بغير عقب[3]

وقيل: في المثل أعق من ضب.

● احتجاج عاق لعقوقه

قيل لبعض العلامسة: لم تعق والديك؟ قال: لأنهما أخرجاني إلى الكون والفساد، وقال العتبي لابن له صغير: يا بني أطع وصية الله إياك بي. فقال: يا أبت وأنت أعرف وصيته إياك بي. واستجر الأولى بالأخرى وضرب رجل أباه فقيل له: أما عرفت حقه؟ قال: لا لأنه لم يعرف حقي قيل فما حق الولد على الوالد قال أن يتخير أمه ويحسن اسمه ويختنه ويعلمه القرآن ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلف[4] وقال اسمي برغوث ولا أعلم حرفاً من القرآن وقد استولدني من زنجية فقير للوالد حتمله فإنك تتساهل.

● المعارض أبويه فيما ادعيا من حقوقهما عليه بسخف

جفا جحا أمه فقالت هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر فقال: ادخلي في استي حتى أحملك سنين وخلصيني وقالت امرأة لابنها هذا جزائي وقد أرضعتك سنين فقال: ارتجعي عن دورقين لبناً دورقين مخيضاً واعفيني.

● المناقض أباه فيما ادعى عليه من فساد أمه

غضب الرشيد يوماً على المأمون فقال: يا ابن الزانية فقال المأمون: الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك. وقال أبو العيناء مثل ذلك لابنه فقال: لقد كنت والله أحفظ لأهلك من

---

(١) يقول: لقد قابل حناني وحبي بالظلم والعقوق.
(٢) الأبر: الأكثر براً أي إحساناً. الولع: الشغف أو شدة الحب.
(٣) العقب: النسل. (٤) الأقلف: الذي لم يختن.

أبيك لأهله. وعيّر رجل ابنه بأمه فقال: هي والله خير لي منك لأنها أحسنت لي الاختيار فولدتني من حر وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمه.

● المعارضُ أباه في السبّ

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرة، فقال: له يوماً: يا مرة إنك لمر، فقال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة، فقال: إنك خبيث كاسمك فقال: أخبث مني من سماني به، فقال: كأنك لست من الناس فقال: من أشبه أباه فما ظلم. فقال: ما أحوجك إلى أدب فقال: الذي نشأت على يده أحوج إليه مني، فقال: عقمت أم ولدتك. فقال: إذ ولدت من مثلك. فقال: لقد كنت مشؤوماً على حونك دفنتهم وبقيت. فقال: أعجبني كثرة عمومتي. فقال: لا تزداد إلا خبثاً. فقال: لا يجني من الشوك العنب

وقال عبد الله بن صفوان لابنه يا لكع. فقال: أما يشبه الرجل أباه فمهما كان من حسن وقبيح فمنك تولده وفعلك جالبه. وقال رجل لابنه ما أطيب الثكل يا بني فقال الابن اليتم أطيب منه يا أبت.

● اختيارُ الأمّهات للأولاد

قال أبو الأسود لبنيه: أحسنت إليكم قبل أن ولدتم وبعده قالوا كيف أحسنت قبل الولادة؟ فقال: لأني اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعيّرون به. قال شاعر

حميت على الأولادِ أطهار أمّهم ... ويعمضُ الرجال المدّعين جفاة

وقال آخر:

تخيّرتُها للنسلِ وهي غريبةٌ ... فجاءت به للنسل حرّاً سميدَعا[1]

● تأثيرُ أجناسِ الأمهاتِ في الأولاد

سُئلَ بعضهم عن ولد الرومية فقال: صلفٌ معجبٌ بخيلٌ. قيل: فولد الصقلبية. قال: طفس[2] زنيم[3]، قيل فولد السوداء قال: شجاع سخي، قيل فولد الصفراء قال: هم أنجب أولاداً وألين أجساداً وأطيب أفواهاً، قيل فولد النوبية قال: فاسق زانٍ، قيل فولد العربية قال: أنف حسود، قيل فولد اليهودية قال: دغل قذر، قيل فولد الفارسية قال: مكر وخديعة. وقيل لم نرَ أماً حمقاء أنجبتْ إلا أم النعمان بن المنذر وأم هشام ابن عبد الملك، قال:

فلو كنتم لمكيسة أكاست ... وكيسُ الأم يُعرَفُ في البنينا

وقال عبد الله بن زياد لم يكن جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقاً

(١) السميدع: الرجل الكريم. (٢) طفس: قذر. (٣) زنيم: لئيم.

● ضوايةُ الولد من بنات العَمّ

رُوي في الخبر اغتربوا لا تضووا.

قال شاعر:

وقــد يـضــوى ولـيــدُ الأقــارِبِ[1]

ونظر عمر رضي الله عنه إلى قوم من قريش صغار الأجسام فقال: ما لكم صغرتم؟ قالوا قرب أمهاتنا من آبائنا قال صدقتم اغتربوا، فتزوجوا في العداء فانجبوا. قال شاعر:

لــيــس أبــوه بــابــنِ عــمّ أمِــه

وقال آخر:

أنــذر مــن كــانَ بــعـيــداً لــهُــم تــزويــجُ أولادِ بــنــاتِ الــعَــم

فــلــيــس نــاجٍ مــن ضــوًى وسَــقَــم

وقال العتبي: تزوج أهل بيت بعضهم في بعض فلما بلغ البطن الرابع بلغ بهم الضعف إلى أن كانوا يحبون حبوا لا يستطيعون القيام ضعفاً. وفي ضده قال أردشير تزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب وهذا مبنيٌّ على مذهب المجوس.

● أولى الأبوين بفقد الولد

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما وكل واحد منهما يقول أنا أحقه، فقال أبو الأسود حملته قبل أن حملته ووضعته قبل أن وضعته، فقالت امرأته حملته خفاً وحملته ثقلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً، وكان حجري فناءه وبطني وعاءه وثديي سقاءه. فدفع الولد إلى أمه.

● الرضاعةُ

قال النبي ﷺ: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. قالت عائشة رضي الله عنها: دخل علي ابن أبي القعيس[2] فاستترت منه فقال: تستترين مني وأنا عمك قالت من أين قال أرضعتك امرأة أخي قلت إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل. فدخل رسول الله ﷺ فحدثته فقال: إنه عمك فليلج عليك وقال ﷺ: لا تُحَرِّمُ المصة ولا المصتان ولا الإملاجة[3] ولا الإملاجتان.

● مدّة الرضاعِ سنتان وإذا فُطم الصبيّ قبل ذلك يقال له مُخْتل

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[4] لمن أراد أن يتم الرضاعة

(1) يضوى: يهزل.
(2) القعيس: دخيل الصدر والظهر.
(3) الإملاجة: الرضاعة.
(4) القرآن الكريم: البقرة/٢٣٣.

وقال الصاحب في سبطه عباد الحسني وكان أبلغ أنه فُطم قبل حين الفطم

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسن ... يا ربّ حظّي في عبادك الحسنِ

إن كانَ قد فطمُوهُ قبل موعدِهِ ... لا بأس فهو رضيعُ المَجْدِ لا اللّبنِ

وله

لئن فطمُوه عن رضاع لبانه ... لما فطموه عن رِضَاعِ المَكَارِمِ[1]

● تأثيرُ الرضاعِ في الأولادِ والحثُّ على اختياره

نهى النبي ﷺ عن رضاع الحمقاء، وقال لا تسترضعوا الحمقاء فإن الولد ينزع إلى اللبن وقال عبد الملك إياك وحضانة الرعناء ورضاعة الورهاء.

وقال رجل في وصف آخر نسبة إلى الرعونة كيف لا يكون أرعن وقد أرضعته فلانة ووالله أنها كانت ترق الفرخ فأرى الرعونة في طيرانه

وقيل أن الحسن البصري رحمه الله عليه كانت أمه تمشي أم سلمة رضي الله عنها على ثديها فدرت عليه من لبنها فورث منه علمه وفصاحته وإنما قالت العرب لله دره إشارة إلى أنه أرضعته من أورثته الفضائل لا الرذائل.

● اليتم

قال النبي ﷺ لا يتم بعد حلم واليتيم من الناس من فقد أباه، ومن البهائم من فقد أمه، والمحجي من الناس من فقد أمه واللطيم من فقد أبويه وقال ﷺ ما ست بر ولا مدر أكرم من بيت فيه يتيم، قتادة في قوله تعالى ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾[2]، أي يقتهره.

● بلوغُ الصبيان

بلوغ الصبي بالاحتلام أو استتمام خمس عشرة سنة، وبلوغ الجارية الحيض أو استكمال خمس عشرة سنة، والإنبات بلوغ في الكفار دون المسلمين

وقال أمير المؤمنين لا يلقح الغلام حتى يتفلك[3] ثدياه ويسطع ابطاه.

(٢)

وممّا جاء في ممادح الأبوة ومذامّها

●

● اعتبارُ الأب

قيل:

نجلُ الجوادِ جريَه يتقيّلُ[4]

(١) يقول لئن فُطِمَ عن الحليب فلم يُفطم عن المكارم والفضائل

(٢) القرآن الكريم الماعون/ ٢ (٣) يتفلك: يستدير (٤) يتقيّل: يماثل في الشكل

وقال آخر:

وابنُ السُّرى إذا سرى أسراهما[1]

وقال آخر:

ألا إنَّ غصنَ الدّوحِ للدّوحِ تابعُ

وقال عدي بن أرطاة لأياس: دلّني على قوم من القرّاء أوليهم، فقال: القراء ضربان: ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم وضرب يعملون للآخرة فلا يعملون لك ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لا حسابهم قولهم.

قال الحسن رحمه الله لعمر بن عبد العزيز عليك بذوي الأحساب فإنهم إن لم يتقوا استحيوا وإن لم يستحيوا تكرّموا

● **الممدوحُ بأنه من أصلٍ شريف**

مدح أعرابيّ رجلاً فقال: ذاك من شجر لا يخلف ثمره ومن ماء لا يخاف كدره.

قال مصعب:

كأنك جئتَ مُحتكِماً عليه ... تخيَّر في الأبوّةِ ما تشاءُ

وقال آخر:

هم حلُّوا من الشرفِ المُعلّى ... ومن حسب العشيرة حيثُ شاؤوا[2]

قال أبو تمّام:

نسبٌ كأن عليه من شمسِ الضُّحى ... نوراً ومن فلَقِ الصّباحِ عمُودا

وقال آخر:

نمَتْه بدورٌ ليس فيهنَّ كوكبُ

ودخل بعض أولاد ابن الزبير على سليمان بن محمد فجلس على نمرقة[3] فاغتاظ من ذلك، وقال من أجلسك ههنا قال صفية بنت عبد المطلب فسكن غضبه.

● **من تمنّى كلُّ قومٍ كونَه منهم لشرفِه**

قال الفرزدق:

أرى كلَّ قومٍ ودّ أكرمهم أباً ... إذا ما انتمى لو كانَ منّا أوائلُهْ

قال مسلم:

وكم عاتبٍ لي ودّ أني ولدتُه ... وإن كَرُمَتْ أعراقُهُ وزكا الأصلُ

● **المسابقُ أباه في ابتناءِ علاه**

قال الربيع جلس المنصور يوماً فقال: من يصف صالحاً ابني وقد رشحه لأن

---

(١) السّرى: السير في الليل.

(٢) يقول: لقد انتسبوا إلى الشرف وأصالة العشيرة.

(٣) نمرقة: وسادة صغيرة يتكأ عليها.

يوليه بعض أموره فكلهم هاب المهدي فقال شبة بن عقال لله دره ما أفصح لسانه وأمضى جنانه وأبلّ ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه المهدي أخوه ثم أنشد.

هو الجوادُ فإن يلحَقْ بِشأوِهِما ... على تكاليفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقَا

أو يَسْبِقَاهُ على ما كان من مهلٍ ... فمثل ما قدما من صالحٍ سَبَقَا

فقال المنصور[1]: ما رأيت مثل مخلصه مدحه وأرضاني وسلم من المهدي[2]

قال زهير:

وما يكُ من خَيْرٍ أتَوْه فإنما ... توارثه آباءُ آبائهم قَبْلُ

قال الأحنف: إنّ زهيراً ألقى على المادحين فضول الكلام بهذا البيت

● ذكرُ أشرافٍ توالَوا

في الخبر الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة كتب عنهم الحدث إلا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان، ولا أربعة إلا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وكان قيس بن عادة بن دلهم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف سبعة أجواد يتلو بعضهم بعضاً ليس بينهم فرق ولا فضل.

● المشابِهُ أباه في علاء ابتناه

شِنْشِنَةٌ أعرِفُها من أخزَمِ[3]

قال عمرو بن سراقة:

وَمَكْرُمَةٍ كانت سجيّة والدي ... فعلّمنيها والدي فَعَلِمْتُها

وقال شاعر

وإنّ امرأً في الفضل أشبه جدّهُ ... ووالده الأدنى لغيرُ ظَلُومِ

قال أبو الغَمْر:

تشابهوا في العُلا حتى كأنهم ... لم يَفْتَقِدْ لهم مَيْتٌ ولا افترقُوا

---

(١) المنصور: هو أبو جعفر عبد الله الخليفة العباسي الثاني خلف أخاه السفاح قتل قائده أبا مسلم الخراساني. بنى بغداد وتوفي محرماً بالحج سنة (١٥٨ هـ/ ٧٧٥م)

(٢) المهدي: محمد بن المنصور ثالث الخلفاء العباسيين (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) اشتهر بحروبه ضدّ البيزنطيين.

(٣) الشنشنة: التخلق والطبيعة، القطعة من اللحم، جمع شناشن ـ الأخزم: الحيّة الذكر

وقيل: أصل راسخ وفرع شامخ. محمد بن وهيب:

ولـيـس بـديـعـاً بـأن تـحـتـذي ... مـذاهـبَ آسـادِهـا الأشـبُـلُ

ونحوه لعمامة بن عقيل:

وهـل يُـشْـبِـهُ الأشـبـالُ إلا أُسُـودَهـا

وقال بعض المحدَثين:

أنت غُصْنٌ من ذلك المنبتِ الزا ... كي وَنَـصْـلٌ مـن ذلـكَ الـفُـولاذِ

● مَنْ مكارمُه تدلّ على كرم سلَفه

قال أبو تمام:

فـروعٌ لا تـرِفُّ عـلـيـك إلا ... شَـهِـدْتَ بـهـا عـلـى طيـبِ الأرُومِ

وفي الشرف الحديثِ دَلِيْلُ صِدْقٍ ... لِـمُـخْـتَـبِرٍ عـلى الـشَّرَفِ الـقَـدِيْـمِ

قال أبو عفان:

لا تـنـظـرَنَّ إلـى امرئٍ ما أصـلـهُ ... وانْـظُـر إلـى أعـمـالـه ثـمّ احْـكُـم[1]

● المستغني بنفسه عن شرف آبائه

دخل البحتري على بعض العلوية فسأله حاجة بعد حاجة، فأجابه إلى كل ما التمس فأثنى عليه فقال: بعض من حضر كيف لا يعطي وهو من منصب الفضل، فقال

لا تـوجـبـنّ لـكـريـم أصـلـكَ مِنَّةً ... لو كنت من عكْلٍ لكنتَ كريما[2]

قال دعبل:

لَوْ لَمْ تكُنْ لكَ أجْدادٌ تسوِّدُهـم ... إلا بنفسِك نلتَ النجْمَ من كَثَبِ

قال عامر بن الطفيل:

وإنّي وإن كُنْتُ ابنَ فارسِ عامرٍ ... وفي السرِّ منها والصَّميمِ المهذَّبِ

فـمـا سوَّدتْـنـي عـامرٌ عـن وِراثَةٍ ... أبـى الله أن أسـمُـو بـأمٍّ ولا أبِ

قال المتنبيّ:

ويغْنيكَ عمّا ينسبُ الناسُ أنه ... إليْك تناهى المكرماتُ وتُنْسَبُ

وله

خُذْ ما تَرَاهُ وَدَعْ شيئاً سمِعْتَ به ... في طلعةِ الشمْسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحلِ[3]

---

(1) يقول لا يقاس الإنسان بأصله بل بأعماله (2) عكل: بنو عكل، وعكل أيضاً لئيم

(3) يقول: اعتبر بما تراه لا بما تسمعه، فالشمس في إشراقها تغنيك عن كوكب زحل

● من تشرّف به آباؤه ولم يتشرّف بهم

قال الفرزدق:

وإن تميماً كلّها غيرَ سعْدِها زعانفُ لولا عزّ سعْدٍ لذلّتِ

فقيل لقد وضع من قومه أكثر مما رفع من نفسه.

قال علي بن جبلة:

فما سوّدت عجلاً مآثرُ قومه ولكنْ به سادت على غيرِها عِجْلُ

فغير عليه هذا المعنى وقيل غض من حسبه ونقص من شأن نفسه واقتدى المتنبي به فقال:

لا بِقومِي شرفْتُ بَلْ شرفُوا بي وبنفْسي فَخَرْتُ لا بجدودي

أنشد الحسن يوماً:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

فقال الحسن: أمدحه أم ذمه فقيل مدحه وذم قومه فقال: ما مدحة من ذم قومه وما فضل الولد على الوالد بأحسن من قول المتنبي حيث يقول:

فإن تكن تغلب الغلباء عنصرَها فإنّ في الخمر معنى ليس في العِنَبِ

وقوله أيضاً:

فإنك ماءُ الورد إن ذهب الوردُ

● من ازداد شرفُ آبائه به

ولو علمَ الشيخان أدْ ويعربٌ لسرّت إذاً تلك العظامُ الرّمَائِمُ

قال الخوارزمي:

هو ابن الرئيسِ والعميدِ كليهما ومولاهما قدراً وإنْ كانَ منهُما

وقد يوقد الزندان نارَ المقابس فتصحي من الزّندَيْن أعلَى وأعظما[1]

قال ابن الرومي:

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَى شرفٍ كما علَتْ برسول الله عدنانُ

يسمو الرجالُ بآباء وآونةً يسمو الرجال بأبناءٍ وتزْدانُ

● من زانَ شرَفَ أبيه بفعْله

قال شاعر:

زانوا قديمَهُمُ بحُسْنِ حديثِهم وكريمَ أخلاقٍ بحُسْنِ وُجوهِ[2]

---

(١) المقابس: جمع مقبس، موضع الحطب المشتعل بالنار.

(٢) يقول: إن حسن حديثهم ووجوههم زينة تالد مجدهم وكرم خلقهم.

قد زيّنوا أحسابَهُمْ بسَمَاحِهِم ... لا خيرَ في حسنٍ بغَيْرِ سَمَاحِ[1]

- **المزيّنُ أباه والمتزيّنُ به**

قال أبو تمام:

وحَسْبُ امرئٍ أنت امرؤٌ آخرٌ لهُ ... وحسبُكَ فخراً أنّه لكَ أوّلُ

وقال الخبزارزي:

فطُوبى لقومٍ أنتَ فارعُ أصلِهِم ... وطوباك إذْ من أصلِهم أنتَ فارعُ[2]

- **المتزيّنُ بمكانه الناسُ قاطبةً**

قال المتنبي:

تشرُفُ عدنانُ به لا ربيعةٌ ... وتفتخِرُ الدّنيا به لا العَواصِمُ

وقال آخر:

يا زينةَ الدّينِ والدُّنيا إذا احتفَلا ... وأطهرا ما أغداه من الرّيبِ

- **لا اعتدادَ بمَنْ شرُفَ أصلُه ولم يشرُفْ بنفسه**

قال الأحنف: من فاته حسب بدنه فلا حسب له. **وقيل:** الشرف بالهمم العالية لا بالرمم[3] البالية.

وقال أبو وائل لرجل شريف الأصل دنيء النفس: ما أحوج عرضك إلى أن يكون لمن يصونه فيكون فوق من أنت اليومَ دُونَه.

وقال أرسطوطاليس: إذا كان لإنسان خسيس[4] لأبوين شريف النفس كان خسة أبويه زائداً في شرفه وإذا كان شريف الأبوين خسيس النفس كان شرف أبويه زائدة في خسته.

وقال الصاحب: شرف نفسي خير من شرف رمسي وعصامي خير من عظامي يعني قول **النابغة:**

نفسُ عصامٍ سوّدتْ عِصَاما

ويعني بعظامي قول الآخر:

إذا ما الحيّ عاش بعظْمِ ميْتٍ ... فذاكَ العَظْمُ حيٌّ وهو مَيْتُ

وقال ابن الرومي:

وما الحسبُ الموروثُ لا درّ درّه ... لمحتسبٍ إلا بآخرَ مكتسبِ

---

(١) السماح: الجود والعطاء.

(٢) الفارع: الشريف، والفرع الأعلى من الشأن.

(٣) الرمم: العظام البالية.

(٤) خسيس: حقير.

إذا الغصنُ لم يُثمِرْ وإن كان شعبةً ... من المثمرات اعتدَّه الناسُ في الحطَبِ[1]

وقال يغاء:

إذا المرءُ لم يبْنِ افتخاراً لنفسه ... تضايقَ عنه ما ابتنتْهُ جدودُه

ولا خيْرَ في منْ لا يكون طريفُه ... دليلاً على ما شاد قدماً تليدُه[2]

وقال آخر:

وما ينفعُ الأصلَ من هاشم ... إذا كانتِ النفْسُ من باهلَه[3]

● عذْرُ من شرُفتْ نفسُه ولم يشرُف أصلُه

وقال سقراط: لرجل عيره بحسبه حسبي مني ابتدأ وحسبك إليك انتهى. وقال آخر قومي عار عليّ وأنت عار على قومك، وطُعن في حسب رجل آخر فقال لئن يكون حسبي عيباً عليّ أصلح من أن أكون عيباً على حسبي، وقيل لئن يكون لرجل شريف النفس دنيء الأصل أفضل من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل، ألا ترى أن رأس الكلب خير من ذنب الأسد.

● عذرُ دنيء قصّر عن أفعال آبائه الأشراف

قيل لرجل من ولد بشر بن مروان وكان مأبوناً إن أباك كان سهماً من سهام المسلمين وسيفاً لآل رسول الله ﷺ، فقال وأنا جعبة من جعابهم وغمد لسيوفهم.

قال الأصمعي رحمه الله دخلت حضرة روح بن زنباع فإذا أنا برجل من ولده يفسق به في موضع كان أبوه يهب فيه المال ويضرب فيه أعناق الرجال، فقلت يا فضيحة هذا موضع كان أبوك يهب فيه، فأنشد:

ورِثْنا المجدَ عن آباء صدقٍ ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا المجدُ الرفيعُ تعاورتْه ... ولاةُ السوء أوشك أن يضيعا

وقيل لحكيم: كان أبوك أجمل منك وأعقل وأفضل فقال: لأني كنت به ولم يكن بي فهو أولى بالكمال مني.

وخطب أبو العنبري إلى رجل من بني تميم بنته، فقال لو كنت مثل أبيك زوّجتك. فقال: لو كنت مثل أبي لم أخطب إليك. قيل لرجل من الأعراب ما أشبهت أباك، فقال: لو أشبه كلُّ رجل أباه كنا كآدم.

---

(١) الشعبة: الغصن، وهنا بمعنى القليل من الشيء ـ اعتده: حسبه.

(٢) الطريف: المستحدث من الأموال ـ التليد: الموروث.

(٣) أي لا ينفع الأصل في الشرف إذا كانت النفس خبيثة.

● مَن أخذ سوءة خِصالِ أبيه

قيل لرجل كان أبوك أقبح الناس خلْقاً وأحسنهم خُلقاً، وكانت أمك أحسن الناس وجهاً وأقبحهم خلقاً، فأخذت قبح أبيك وسوء خلق أمك، فيا جامعاً مساوىء أبويه.

وقال آخر: إنما أنت كالبغل يأخذ أسوأ خصال الفرس والحمار.

وكان عمارة بن عقيل قال. والله لأتزوجن امرأة جميلة يخرج ولدها على جمالها وفطنتي، فتزوج برعاء[1] فجاءت بابن في رعونتها ودمامته.

● ذمُّ مَن قصّر عن آبائه

ذمَّ رجلٌ آخر فقال: هو مزبلة بين جنبين أي دسه من رفيعين وقال علي بن الجهم:

فإنْ تكُن منهم بلا شكٍّ فسمُود قتار[2]

وقال آخر.

فإنْ قلتُم كعبٌ أبونا وأمُنا فأيّ أديمٍ ليسَ فيه أكارعُ[3]

وقال آخر:

لئن فخرتَ بآباءٍ لهُم شرفٌ لقد صَدَقْتَ ولكنْ بئسَما ولدُوا

وقال آخر:

إذا انتسبُوا فرعٌ من قريشٍ ولكنّ الفعال فعالُ عُكْلِ[4]

وقال أبو خالد، يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه، ولم يجتمع هذان المعنيان لأحد كما اجتمعا له:

أبوكَ لنا غيثٌ نعيشُ بسَيْبهِ وأنتَ جرادٌ لستَ تُبقي ولا تذرْ[5]

وله فيه.

أيا عجباً نبعةٌ أنبتتْ خِلافاً وريحانةً بقلةْ[6]

وله:

خالِدٌ لولا أبوه كانَ والكلبُ سَواء

---

(١) الرعناء: الحمقاء (٢) القتار. الدخان أو الرائحة

(٣) الأديم: الطعام ـ الكوارع عظام الساق المستدقة، جمع كراع

(٤) عكل: أي اللئيم من الرجال، وأيضاً قبيلة فيهم غباوة

(٥) السيب: المطر الجري أو العطاء ـ الجواد. الكريم.

(٦) النبعة. الشجرة، والأصل الخلاف شجر الصفصاف ـ الريحان النبات الطيب الرائحة

وقال الحارثي في معناه:

شريفٌ نجلّيه وضيعٌ بعيبهِ لئيمٌ محيّاهُ كريمُ المركّبِ[1]

وأخذه أبو تمام فقال:

يا أكرمَ الناسِ آباءً ومُفتخَرا وألأمَ الناسِ مبلُوّاً ومُختَبرا

ونظر رجلٌ إلى ابن دنيء من أب شريف، فقال: سبحان الله من قائل ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[2]، ونظر خالد بن صفوان إلى لئيم لنفس كريم الأبوين، فقال:

فلا يعجَبنّ الناسُ منك ومنهما فما خُبثُ من فضةٍ بعَجيبِ

• ذمّ من شأن آباءه الكرام بلؤمه

قال إبراهيم بن العباس:

لئن لحقتَ بأبناء الكرام به لقد تقدّم أبناءُ اللئام بكا

وقال أبو حنش:

لئنْ كانَ مغنٌ زان شيبانَ كلّها لقد شانَ روحٌ كلّ آلِ مُهلّبِ[3]

• من لم يعتدّ بشرفِ النفس ما لم يضامه أبوه

سمع عمر بن أبي ربيعة قول القائل:

كُن ابنَ مَنْ شئتَ واكتسبْ أدباً يُغنيك محمودُه عن النسبِ

فقال اسكت فلا فخر، ثم أنشأ يقول:

لا فخرَ إلا فخارُ مستحبٍ يسمُو بأمٍّ كريمةٍ وأبِ

• منْ يخزَى من ذِكرِ آبائه

سئل رجل عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فقال أعرابي: الناسُ ينتسبون طولاً وأنت تنتسب عرضاً

قال أبو محمد الترمذي:

قلتَ وأدغمتَ أباً خاملاً أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجبِ

وقال دعبل:

سألتُه عنْ أبيه فقالَ دينارُ خالي

فقلتُ دينارُ منْ هو فقالَ والي الجبالِ

---

(1) المركب: الأصل. (2) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٩.

(3) شيبان والمهلب: قبيلتان ـ شان: عاب وشوّه

ولعبد الله بن سليمان في فصل إلى إسماعيل بن بلبل وإن من كان بلبلاً أبوه لجديرٌ أن يُفضَّ فوه[1] ليحرس عن تشقيق الكلام وترويق انكتب بالكذب والآثام

● من نُسِبَ أبوهُ إليه

قال عبدان:

أرى الآباء يـنـتـسـبـون جـهـلاً   إلـى الأبـنـاء مـن فـرطِ الـنـذالـه

ونازع عبد الله بن مسعدة عمرو بن هبيرة، فقال يا واحد ابن واحد عرفت بأبيك فسبت إليه وعُرف أبوك بك فنُسب إليك

● من لا يعتدّ بأبيه

قال الأخطل

فإذا وضـعـتَ أبـاك فـي ميـزانهـم   قـفـزتْ حـديـدتُـه إلـيْـك فـشـالا[2]

ولبعض شعراء أصبهان ويعرف بمحمد بن عبد الله بن كسر

تـبـجـح بـالـكـتـابـةِ كـلَّ وغـدٍ   مـقـبـحـاً لـلـكـتـابـة والـعـمـالـه
أرى الآبـاء ينـسـبـهـم حـمـيـعـاً   إلـى الأبـنـاء مـن فـرط الـنـذالـه

● كونُ الابنِ جارياً مجرَى الأب

العصا من العصية هل تنتج لدعة إلا لمن لعحت له.

قال زهير

وما يـفـعـلوا من فعل صدقٍ فإنما   تـوارثـه آبـاء آبـائـهـم قـبـلُ
وهل يـنـبـتُ الـخـطيَّ إلا وشـيـجُـه   وتُـغـرس إلا فـي مـنـابـتـهـا الـنَّـخْـلُ

وقال الربيع اليهودي:

وفـي أرومـتـه مـا يُـنـبـتُ الـعـودا

وقال الأعشى:

الـعُـودُ يـعـصَـرُ مـاؤُه   ولـكـلِّ عـيـدان عُـصـارَه
هـل تـلـدُ الـحـيَّـةُ إلا حـيَّـةً

وقال الحميري:

كـيـف تـأتـيـك بـخـيـرٍ   بـيـضـةٌ مـن بـيـضِ حـيَّـة
أشـبـه الـمـرءَ أبـاه   والـعـصـا مـن الـعُـصـيَّـه[3]

---

(١) يُفضّ فوه تنثر أسنانه وتفرق. (٢) شال: ارتفعت كفته

(٣) العُصية قيل العصا اسم فرس والعصية اسم أمة فضرب مثلا بتشبيه الرجل بأبيه

وقيل: فلان لا أصل له ولا فصل، فالأصل الوالد والفصل الولد.

وقال ظفر بن الحرث العبدي:

وإنَّ أحقَّ الناسِ أن لا تلومَه ... على الشرِّ مَنْ لم يفعَلِ الخيرَ والدُه
إذا المرءُ ألفى وَالدَيْه كليْهما ... على اللؤمِ فاعذرْه إذا خابَ رائدُه[1]

● قومٌ تشابهوا في اللؤم

قال كثير عزة

سواءٌ كأسْنانِ الحِمارِ فما تَرى ... لذي كثرةٍ منهم على ناشِئٍ فَضْلا

وقال آخر:

إذا ما قُلْتَ أيُّهم لأيٍّ ... تشابهتِ المناكِبُ والرؤوسُ

وقال آخر:

بلَوْناهم واحِداً واحِداً ... وجدْناهم الكلُّ كالواحِدِ
فلا ذرأ الربُّ ولدانَهم ... ولا باركَ الربُّ في الوالِدِ[2]

وقال آخر:

وإن امرأً في اللؤم أشبَهَ جدَّه ... ووالدَه الأدنى لغيرُ ظَلومِ

● من لؤمَ نفسُه وأصلُه

قيل في المثل: الكمأة لا أصل ثابت ولا فرع ثابت

وقال جرير:

فرعُ لئيمٍ وأصلُه غيرُ مغروسِ[3]

وقال معاوية رضي الله عنه: النَّمَّة من ليس له نسب معروف ولا فعل موصوف.

● مَن لؤمَ أبواه

إذا ذُكر الإنسان بغاية اللؤم، قيل: هو عبدٌ قن وهو المملوك الأبوين

قال شاعر:

أبٌ غيرُ محمودِ السَّجيّاتِ سفْلَةٌ ... ووالدةٌ فيها الحديثُ يطُولُ[4]

وقال آخر:

أبٌ كثُرتْ في العالَمينَ فضائِحُه

(1) رائده: مبتغاه

(2) ذرأه الله: خلقه

(3) غير مغروس: غير مثبت

(4) السجيات: الصفات الحسنة، جمع سجية.

● مَن ذكر أن الشرف بالتقى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] قال بعض العارفين ما أبقى الله بهذه الآية لأحد شرف أبوّة.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً يقول أنا ابن بطحاء مكة، فوقف عليه فقال: إن كان لك دين فلك شرف وإن كان لك عقل فلك مروءة وإن كان لك علم فلك شرف، وإلا فأنت والحمار سواء.

وقيل: كان الشرف في الجاهلية بالبيان والشجاعة والسماحة، وفي الإسلام بالدين والتقى. وأما الأبوة فلا أبوة. قال شاعر:

لـعـمـرُكَ مـا الإنـسـانُ إلاَّ بـديـنـهِ　　فلا تتركِ التقوى اتّكالاً على الحسب
فـقـد رفّـع الإيـمـانُ سـلـمـانَ فـارسٍ　　وقد وضعَ الشِّركُ الشريفَ أبا لهب[2]

● كونُ الشريف من شرّفه السّلطان

اصطنع كسرى أنوشروان رجلاً لم يكن له نسب فقيل له في ذلك، فقال: اصطناعنا إياه نسب له.

وقد حاجب بن زرارة على كسرى فاستأذن عليه، فقال كسرى لحاجبه: سله من هو، فقام رجل منهم فلما مثل بين يديه، قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب، قال: أليست زعمت أنك رجل منهم؟ قال: مذ أكرمتني وأجلستني صرت سيدهم فحشا فاه لآلىء.

● ما اختُصّ به كل قبيلة من فضيلة

قال النبي ﷺ: الأئمة من قريش وقال: الناس تبع لقريش في الخير والشر، وقال: لا يقومنّ أحد لأحد إلا لهاشمي.

قال يونس: ما في أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو فارس، وقال: ليس في هذيل إلاّ شاعر أو رام أو شديد العدو.

وقال معاوية: من لم يكن من بني هاشم جواداً ومن بني العوام شجاعاً ومن بني مخزوم ذا أباء وأبهة ومن بني أمية حليماً لم يشبه أباه.

وقال محمد بن إسحاق: ما فتش أحد من بني المطلب إلا عن خصلتين بأس وكرم. وقيل لرجل ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا عشقوا ماتوا، قيل: فأنت إذاً من بني عذرة[3].

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/١٣.

(٢) أي أن سلمان الفارسي ليس من أصل عربي ولكن الإيمان رفعه وشرفه، بعكس أبي لهب ذي الأصل الشريف الذي وضعه الشرك.

(٣) بنو عذرة: قبيلة عربية اشتهر أفرادها بصدق العاطفة وقوة الوجد، ومنهم الشاعر جميل بن معمر، صاحب بثينة.

● المعرِّض بهجاء قبيلة

قصد شويعر أبا دلف يمدحه، فقال أبو دلف: ممن أنت؟ قال: من تميم قال: الذي يقول فيهم الشاعر.

تـميمٌ بطُرقِ اللـؤم أهدى من القطا

فقال: نعم بتلك الهداية جئتك، فخجل أبو دلف وحوله وشارطه أن يستر ذلك عليه

ومازح معاوية الأحنف بن قيس، فقال: ما الشيء الملفّف في البجاد[1]، فقال الأحنف: السخينة[2] يا أمير المؤمنين، أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مـات ميـتٌ مـن تـمـيـم ... فسرّك أن يـعـيـش فجـيء بـزادِ
بـخـبـزٍ أو بـتـمـرٍ أو بـسـمـنٍ ... أو الـشـيءِ المـلـفّفِ في البـجـادِ

وأراد الأحنف ما يعير به قريش من أكل السخينة

ولقي شُريْك النميري تميماً فقال له تميمي: يعجبني البازي، فقال: خاصة إذ اصطاد القطا. أراد التميمي قول الشاعر

أنـا الـبـازي الـمـطـلُّ عَـلى نُـمَـيْـر

وأراد شريك قوله:

تـميـم بطُرق اللـؤمِ أهدى من القطا

وكان سنان النميري يماشي عمرو بن هبيرة الفزاري وهو على بغلة، فقال: غضّ من بغلتك فقال: إنها مكتوبة. أراد ابن هبيرة قول الشاعر

فـغـضِّ الـطـرْفَ إنّـك مِـنْ نُـمَـيْـرِ

وأراد سنان قول الأخطل:

لا تـأمـنـنّ فـزاريـاً خـلـوتَ بـه ... على قـلـوصِـك واكـتـبـهـا بـأسـيـارِ[3]

ومرّت أعرابية بجماعة من بني نمير فرمقوها، فقالت: يا بني نمير ما أخذتم بقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[4]، ولا بقول جرير

فـغـضِّ الـطـرْفَ إنّـك مـن نُـمَـيْـرِ

ودخل محاربي على هلالي وكان على حافة غدير فيه ضفادع، فقال: ما تركتنا البارحة شيوخ بني محارب أن ننام، فقال: إنهم أضلوا برقعاً فكانت في بغائه، أراد الهلالي قول الشاعر:

تـنـقُّ بـلا شـيء شـيـوخُ مـحـارب ... وما خلتُها كانت تريشُ ولا تبري[5]

---

(1) البجاد: الثوب المخطّط

(2) السخينة: نوع من الطعام يتخذ من الطحين

(3) القلوص: الناقة الشابة

(4) القرآن الكريم: النور/ ٣٠

(5) تريش: من راش: أعان وأعطى المال.

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحْرِ

وأراد المحاربي قول الشاعر:

لكلِّ هلاليٍّ من اللؤمِ جُبّةٌ ولابن يزيدٍ بُرقعٌ وقميصُ

ورأى بعضهم على قيسيٍّ بُرداً، فقال: إنكم لتعالونَ بالبرود أراد قول الشاعر:

المشتري الفسْوَ ببُرد حبَره(١)

وعرض ابن هبيرة على ضبيٍّ يلاعبه فصّ فيروزج فخجل منه، أراد به قول الشاعر

ألا كلُّ ضبيٍّ من اللؤمِ أزرقُ

● هجوُ القبائل

رُوي أن رجلاً عطش في مفازة فانتهى إلى خباء فعدت صبية فأقبلت عليه بماء ولبن، فسألها عن قبيلتها فقالت: من بني عامر. فقال: الذي يقول فيهم الشاعر

لعمرُكَ ما تبلى سرائرُ عامرٍ من اللؤمِ ما دامتْ عليها جلودُها(٢)

فتعثرت الصبية كمداً فكسرت الإنائين، وقالت: يا عماه ممن أنت؟ قال: من تميم قالت: الذي يقول فيهم الشاعر:

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا

فقال: بل أنا من باهلة. فقالت:

إذا ولدت حليلةُ باهليٍّ غلاماً زادَ في عددِ اللئامِ

فقال: بل أنا من بني أسد، فقالت:

ما سرّني أنَّ أمّي منْ بني أسدٍ وأنَّ لي كلَّ يومِ ألفَ دينارِ

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبَهمُ قالوا لأمِّهمِ بولي على النارِ

فقال: بل أنا من بني عبس، فقالت:

إذا عبسيّةٌ ولدَتْ غلاماً فبشّرْها بلؤمٍ مستفادِ

فقال: بل أنا من قيس، فقالت:

إذا قيسيّةٌ عطسَتْ فنكْها فإنّ عطاسَها سببُ الوداقِ(٣)

فقال: بل أنا من كلب، فقالت:

إذا كلبيّةٌ خضبتْ يداها فزوّجها ولا تأمَنْ زناها

---

(١) البرد: الثوب المخطّط.

(٢) سرائر: جمع سريرة، وهي السرّ الذي يكتم، والمقصود أن اللؤم يدوم ما داموا أحياء.

(٣) الوداق: تقال لذات الحافر إذ أرادت الفحل ـ وودقت سرته: سالت واسترخت.

فقال: أنا من ثقيف، فقالت:

أضلّ الناسبون أبا ثقيف ... فما لهُمُ أبٌ إلا الضلالُ

فقال: بل أنا من خزاعة، فقالت:

باعتْ خزاعةُ بيتَ الله إذ سكرت ... بزقِّ خمرٍ وأثوابٍ وأبرادِ

فقال بل أنا من جرم، فقالت:

إذا ما اتقى اللّهَ الفتى وأطاعه ... فليس به بأسٌ وإن كان من جُرْمِ[1]

فقال: بل أنا من حنيفة، فقالت:

أكلتْ حنيفةُ ربها ... زمنَ التقحّمِ والمجاعه[2]

فقال: بل أنا من عبد القيس، فقالت:

علامةُ عبدِ القيس لا ينكرونَها ... أعاصيرُ من فسوٍ عليهم تمثّرُ[3]

فضجر الرجل، فقال: أنا من إبليس، فقالت:

عجبتُ من إبليس في تيهه ... وخبثِ ما أظهر من نيّتِه

تاهَ على آدم في سجدةٍ ... وصار قوّاداً لذريّته[4]

فقال: أعفيني، فقالت: إلى لعنة الله إذا نزلت بقوم فلا تجحد إحسانهم

خرج قتيبة متنزهاً فلقي أعرابياً فقال: له ممّن الرجل؟ فقال: من عبد قيس، فقال: نسب مهزول. فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فقال: من باهلة، فقال: وا ويلاه واهولاه أمثلك يقول نسبي مهزول وأنت بين الدعة والحموب. فقال له قتيبة: يا أعرابي أيسرك أنك أمير وأنك باهلي، فقال: لا ولا خليفة الله في أرضه. فقال: ولك حمر النعم، فقال: لا ولا ما طلعت عليه الشمس. فقال: وإنك تدخل الجنة فطرق ثم رفع رأسه فقال: إن كان ولا بد فعلى أن لا تعلم بذلك أهل الجنة فضحك قتيبة ووصله

وسأله أعرابي عن نسبه، فقال: من باهلة فقال: أعيذك بالله. وقال آخر لأعرابي: أنا مولى باهلة، فأخذ الأعرابي يتمسح به ويقول: ما أبلاك الله بذلك إلا وجعلك من أهل الجنة. وتساب رجلان فقال أحدهما: يا ابن الزانية فقال الآخر: يا باهلي فقضي له، وقيل له ربأت عليه.

سأل أعرابي عبد الملك وقد رآه متنكراً ممن أنت؟ قال: من بني أمية، فقال: أنتم في الجاهلية مربون في التجارة وفي الإسلام تعادون أهل الطهرة، سيدكم حمار وأميركم حمار، إن نقصتم عن أربعين لم تدركوا بثأر وإن تممتموه كنتم بشهادة الرسول من أهل النار.

---

(1) بأس: مخفف بأس: قوة ـ جرم: ذنب.

(2) زمن التقحم: زمن الجدب والقحط

(3) تمثر: تسكن.

(4) قواد للذريته: سمسار دعارة لأبنائه

وفخر على خالد بن صفوان ناس من بني الحارث بن كعب عند السفاح، فقال له السفاح: ألا تتكلم يا خالد؟ فقال: أخوال أمير المؤمنين وعصبته وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد[1]، دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وغرقتهم فأرة. فقال الجاحظ وقد بلغه مقاله: لئن تفكر في هذا الكلام وأعده إنه لروية كبير، ولئن حضره حين حرك فما له في العالمين نظير. وقال عمر بن عبد العزيز لحميري: قومك الذين قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وصمموا أنفسهم، فقال: وقومك الذين قالوا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فتبسم عمر رضي الله تعالى عنه.

● من افتخرَ بنسبه فاعترَض عليه بما أخجَله

قال قرشي لشريك: ألا ترى إلى حسن ما قال الله تعالى فينا ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2] فقال شريك قد قال في موضع آخر ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾[3] وقال علويٌّ لرجل: إنك تحتاج أن تدعو لي كل يوم خمس مرات تقول اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، فقال: إني أقول معه الطيبين الطاهرين، فأخرجك منهم.

ودخل رجل من ولد قتيبة الحمام وبشار في الحمام، فقال: يا أبا معاذ وددت أنك مفتوح البصر فترى استي فتعلم أنك كذبت في قولك:

إذا أعييتك سمة باهلي ... فيرفع عنه حاشية الإزار[4]
على أستاه سادتهم كتاب ... موالي عامر وسم بنار

فقال بشار: فأنت من سادتهم أو من سفلتهم، فقال: بل أنا من سادتهم فقال أخطأت، إنما قلت على أستاه سادتهم وأنت من سفلتهم لا من سادتهم.

● من افتخر بأبٍ مطعون فيه فعُورِض بتعريضٍ أو تصريح

قال بلال بن أبي بردة لأبي الأسود: أي ابن الحكمين؟ فقال: أما أحدهما ففاسق وأما الآخر فمخدوع مائق.

أنشد ذو الرمة بلالاً:

وحقَّ لمَن أبو موسى أبوهُ ... يوفِّقه الذي نصبَ الجبالا

فقال ابن أبي علقمة: والله ما وفق الله أبا موسى نفسه فكيف يوفق ابنه.

● تفضيلُ العَلوية على سائرِ النّاس

قال منصور لجعفر بن محمد: نحن وأنتم في رسول الله سواء. فقال: لو خطب

---

(1) عرد: عرد يعرد عرداً الحجر رماه بعيداً، وعرد عرداً: هرب وحرن، والعرد: الصلب الشديد.
(2) القرآن الكريم: الزخرف/٤٤. (3) القرآن الكريم: الأنعام/٦٦.
(4) الإزار: الثوب.

إليكم رسول الله ﷺ وتزوج منكم لجاز له، ولا يجوز أن يتزوج منا فهذا دليل على أنا منه وهو منا.

وقال المأمون لعلوي: ما فضلكم علينا في العرب من رسول الله ﷺ؟ فقال: إنه عليه الصلاة والسلام يدخل على حرمنا ولا يدخل على حرمكم.

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قدم من عنده علي بن الحسين من أشرف الناس، فقيل: أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الإسلام، فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي، فإن أشرف الناس من أحب كل إنسان أن يكون منه ولا يحب أن يكون من أحد وهذه صورته.

● الممدوحُ بأنه من عَتْرةِ الرسول

قال أبو الغمر

تبوّأ من بيْت النبوة مفْخَراً ... علا في السّماء فوق قطبِ الكواكِب
يخاطبُ فيه الروحُ بالوَحْي جدّه ... وقدْك هما من مرسلٍ ومخاطب[1]

وقال بشار:

دم النبيّ مشوبٌ في دمائهم ... كما يخالطُ ماءَ المزنةِ الضَّرَبُ[2]

وقال عبد الله بن موسى

أنا ابنُ الفواطم من هاشمٍ ... ونجلُ عليٍّ وبنتُ النبي
إليّ تناهى فخارُ الورى ... وكلُّهم لي بحقّ وَلي

● الحُجّة في أنهم أبناء الرسول ﷺ

قال الحجّاج ليحيى: أنت تزعم أن الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ، قال: نعم، قال: والله لأقتلنك إن لم تأتِ بآية تدل على ذلك، فقال: نعم، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾[3] إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[4] وهو ابن مريم، وقد نسبه إليه. فقال الحجّاج: أولى لك قد نجوت، ولما أنزل الله تعالى آية المباهلة دعا النبي ﷺ الحسن والحسين فدعا بهما إلى المباهلة، ولما قدم على البصرة اتخذ الأحنف طعاماً فحضره فقعد على سرير والحسن عن يمينه والحسين عن يساره، وجاء محمد بن الحنفية فلم يكن له على السرير موضع فقعد ناحية فتغيّر لذلك، فقال أمير المؤمنين له: إنهما ابنا رسول الله وأنت ابني.

---

(1) الروح: أي جبريل ـ الوحي: غلب فيما يلقيه الله إلى أنبيائه.
(2) الضرب: المطر الخفيف. (3) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٨٤.
(4) القرآن الكريم: الأنعام/ ٨٥.

● **ذمّ علوي**

كتب أبو الحسين بن طباطبا إلى الكادوشي:

لَنْ تحلبَ الشاةُ أفاويقها ... أو يخلعَ التيسُ عليها الرَّسَن[1]
فاحلُزْ على ثغرك من منعظٍ ... يقطعُ عن ضرعك عِرْقَ اللبن[2]

فكتب إليه الكادوشي:

أبا حسنٍ أيما حجةٍ ... دعتك إلى شين هذا النسبْ
تصونُ بعِرْضك عِرضَ اللئام ... كأنك تحلُّهم عن نَشَبْ[3]
وتمشق في سبل المكرماتِ ظلماً لتنصر أهل الريبْ[4]
لذاك الخلافةُ لم ترضكم ... ولا نصرتكم عليها العربْ
تحللت بالسبِّ لمّا رأيت ... أديمك صحّ ومن شُبّ شَبّ[5]
فإن لم تجدْ فيك من مغمزٍ ... سلكنا إليك طريق الكذِبْ
ولولا النبيُّ عليه السلامُ ... ولولا عليٌّ لقيت العجبْ

وقال المتنبي

بها علويٌ جدّه غيرُ هاشم

وله:

إذا علويٌّ لم يكن مثلَ طاهرٍ ... فما هو إلا حجّةٌ للنواصب[6]

وقال الخوارزمي: كأن الله لم يخلقه إلا لتنعصف القلوب على بريده، وقال ابن الحجّاج علوي من أجله رحم الله معاوية، وقال بعضهم في ذم جعفري وبكري

إنْ كان جعفرهم طيار أجنحةٍ ... فإن أولادهم فينا مقاصيصُ
وإن تقولوا إلى الطيّار نسبتُنا ... فالتمر ينبتُ في أصعافهِ الشِّيصُ[7]

قال أحمد بن يزيد: تعدّى بكري على أبي في مجلس، فاحتمله وقال: احتملته كرامة لأبي بكر، فقال ما أمكنك أن تقول فيّ فقل، فقال أبي:

لا باركَ اللهُ في البَكْري أن له ... أبا خيار أو شعباً غيرَ مُختار
ثانٍ لراكبهِ رجلَيه مغتملٌ ... أبوه ثاني رسولِ الله في الغار[8]

---

(١) **أفاويق**: جمع فيقة، اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين.
(٢) **المنعظ**: الذي يعلوه الشبق ـ **الضرع**: مدر اللبن.
(٣) **النشب**: العقار والمال من نقود وماشية (٤) تمتق: يحول عنه
(٥) **أديمك**: جلدك.
(٦) **النواصب**: وأهل النُّصب المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه
(٧) **الشيص**: التمر الرديء. (٨) المقصود هو أبو بكر الصديق.

أبوكَ يعلو إلى الفردوسِ سلمَهُ   وأنت مقتحمٌ تهوي إلى النارِ
وكانَ ثوباه من فضلٍ ومن كرمٍ   وأنتَ ثوباكَ من خِزيٍ ومن عارِ

● استنكافُ العرب من الهُجنة

صار أعرابي إلى سوّار القاضي، فقال: إن أبي مات وتركني وأخي فخط خطين ناحية وترك هجيناً فخط آخر ناحية بعيداً من الأولين فكيف يقسم المال، قال: المال بينكم أثلاثاً فقال الأعرابي لا أحسبك فهمت فأعد عليه ثانياً، فقال: المال بينكم سواء. فقال: أيأخذ الهجين كما نأخذ؟ قال سوار: نعم. فغضب الأعرابي وقال: أعلم أنك قليل الحالات بالدهناء فقال: لا يضرني.

وجاء أعرابي إلى المهدي في طريق مكة فقال يا أمير المؤمنين أنا عاشق بنت عمّ لي وقد أبى أن يزوجنيها، فقال: لعله أكثر منك مالاً قال: لا. قال: فما القصة؟ قال: ادن مني يا أمير المؤمنين، فضحك المهدي وأصغى إليه برأسه، فقال سراً: أنا هجين. فدعا عمه وقال: لم لا تزوج ابن أخيك؟ فقال إنه هجين، فقال: إن ذلك لا يضره، أخوة أمير المؤمنين كلهم هجناء. زوجه فقد أصدقت عنه عشرة آلاف درهم.

قال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان مصيبحاً فقيراً أيسرّك أن تكون هجيناً ولك ألف جريب، قال: لا أحب اللؤم بشيء قلت فإن أمير المؤمنين ابن أمة قال أخزى الله من أطاعه، قلت: نبيا الله محمد وإسمعيل كان بني أمة، قال: لا يقول هذا إلا قدري قلت: فما القدري، قال: لا أدري.

قال شاعر:

لا أرضع الدهر إلا ثُغْر واضِحَة   لواضح الجسم يحمي بجور الجار

● ذِلَّةُ المَوالي عندَهم والاستخفافُ بهم

كانت العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية إذا أقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله معه فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه. وكان إذا لقيه راكباً وأراد أن ينزله فعل، وإذا رغب أحدهم في مناكحة مولاة خطب إلى مولاها دون أبيها وجدّها.

وكان نافع بن جبير إذا مرت به جنازة فيقال عربي يقول يا قوماه، وإن قيل مولى يقول مال الله يأخذ ما يشاء، ويدع ما يشاء ولا يقولون للمولى كريم ولا حسيب وإنما يقولون فاره[1].

● مناقبُ أولادِ السَّراري[2]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس قوم أكيس من أولاد السراري لأنهم

---

(١) الفاره: جمع فُرة، وهو الحمق أو الشديد الأكل.
(٢) السراري: جمع سرية، وهي المرأة المملوكة التي يتخذها الرجل لمتعته.

يجمعون عزّ العرب ودهاء العجم

عاتب هشام زيد بن علي وقال: بلغني أنك تريد الخلافة، وكيف تصلح لها وأنت ابن أمة، فقال: كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم. فقال هشام: إذاً لا تراني إلا حيث تكره.

كانت أم علي بن الحسين عليهما السلام جيهان شاه بنت يزدجرد أخذها الحسين من جملة الفيء، وقال له أمير المؤمنين: خذها فستلد لك سيداً في العرب سيداً في العجم سيداً في الدنيا والآخرة.

ولما فتح قتيبة بعض بلاد العجم أخذ إحدى بنت يزدجرد فقال يوماً لبعض جلسائه أترى ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالت امرأة: نعم من قبل الأب.

● عذرُ الهُجناء

سابق عبد الملك بين بنيه فجاء الوليد سابقاً وسليمان مصلياً ومسلمة مكيثاً[1] وكان ابن أمة، فقال عبد الملك: لله در الأعور الشني حيث يقول:

نهيتُكم أن تحملوا هُجَناءكم ... على خيلِكُم يومَ الرهان فتدركُوا[2]

وما يستوي المرآن هذا ابنُ حرّةٍ ... وهذا هجينٌ بضعُه متشرِّكُ[3]

فتضعف عضداه ويقصر سوطه ... ألا إن عرق السوء لا بدّ يدركُ

فقال مسلمة: يبي ويبك الشني، أليس هو القائل:

وكائن ترى فينا من ابنِ سبيّةٍ ... إذا لقيَ الأبطالَ يطعنُهم شزْرا

فما زادها فينا السِّباءُ نقيصةً ... ولا احتطبَتْ يوماً ولا طبختْ قِدْرا[4]

وقال آخر:

لا تزريَنّ فتًى مِنْ أنْ يكونَ له ... أمٌ من الرومِ أو سوداءُ عجماءُ

فإنّما أمهاتُ النّاسِ أوعيةٌ ... مستودعاتٌ وللأحسابِ آباءُ[5]

● أصنافُ الموالي

الناس ثلاثة أصناف عرب وعجم وموال. فالعرب قسمان. ولد إسماعيل بن إبراهيم وقحطان بن عابر وهم هجان وهو الخالص وهجين وهو الذي أمه أعجمية حرّة كانت أو

(١) المكيث: المقيم في المكان.

(٢) هجناءكم: جمع هجين الذي أبوه عربي وأمه غير عربية ـ تدركوا: توجدوا ثأركم، تُنالوا.

(٣) متشرّك: من تشرّك أي جُعل شريكاً. (٤) السِّباء: الأسر للنساء.

(٥) الأحساب: جمع حسب وهو الشرف الثابت في الآباء.

أمة، فإذا تردد فيه أعراق العجم فهو المطلهج، وأما الفلنقس فهو الذي أمه أمة وخاله عبد، والمكركس الذي أمه أمة وكذلك جدته وجدة أمه. وإذا أحدقت به الإماء فحيوس من الحيس وهو الخلط، وإذا وصفوا الإنسان بغاية اللؤم قيل قن، وهو المملوك الأبوين وعبد العصا لكل دليل وعبد مملكة وكعبيد ذي الكلاع باليمن، وعبيد ابن الأشعث بن قيس من أهل نجران الذين حكم عمر رضي الله عنه بأن يردوا أحراراً بلا عوض، وعبيد الأعتاق من سباهم النبي ﷺ من هوازن وفزارة وبني المصطلق وسماهم بذلك لأنه منّ بهم كسيرته في سبايا غيرهم. ومن الموالي مولى السائبة وهذا كان في الجاهلية، وهو الذي سيب نذراً إلى الآلهة فلا يمنع من ماء ولا كلأ ولا يورث ولا يعقل عنه وصدر حليماً.

● كونُ الموالاة قرابة

قال النبي ﷺ: مولى القوم منهم. وقال ﷺ: الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يورث. وقيل: الرجل لأبيه والمولى من مواليه. وقيل: المعتَق من فضل طينة المعتِق.

وروي أن سلمان أخذ من بين يدي النبي ﷺ تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها النبي ﷺ من فمه، فقال: إنما نحن لك من هذا ما يحلّ لنا. وقال عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا فأجراه مجراه في السودد.

وكان المهدي يمشي وبين يديه عمارة بن حمزة فقال له رجل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال هذا أخي وابن عمي عمارة، فلما ولى الرجل، قال عمارة: انتظرت أن تقول ومولاي، فأنفض يدي من يدك فتبسم المهدي وقال: إن بني هاشم مواليها أحب إلينا من أهالينا.

وكان لرجل عبد عاقل فأراد أن يستحمقه، فقال: لست استأثر عليكم ولأن أكون عبداً أحب إليّ من أن أكون عربياً لاحقاً.

● فضلاءُ الموالي

قال عمر رضي الله عنه لو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستخلفته. وولّى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على المهاجرين والأنصار، وولّى عليهم أبو بكر رضي الله عنه سالماً يوم اليمامة.

وقال أبو بكر حين أرادوه على البيعة: علام تبايعون ولست بأقواكم ولا أتقاكم أقواكم عمر وأتقاكم سالم. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] يعني بقوله أفمن يلقى في النار أبا جهل، وبقوله أم من يأتي آمنا عمار بن ياسر.

● فضيلةُ العجم

قال النبي ﷺ: لا تسبّوا فرساً فما سبّه أحد إلا انتقم الله منه عاجلاً وآجلاً. وحضر

---

(١) القرآن الكريم: السجدة/ ٤٠

عند النبي ﷺ مجوسي حسن الهيئة وضيء أبرحه مجلس تحته وسادة حشوها قرو وأكرمه، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه هذا مجوسي، فقال: قد علمت ولكن أمرني جبريل عليه السلام أن أكرم كريم كل قوم.

قال سليمان بن عبد الملك: لعجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا، فلما ولينا لم نستغنِ عنهم. وقال أيضاً: ألا تعجبون من هذه الأعاجم، احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلّم لغاتنا منهم. قال المأمون: الشرف نسب، فشريف العرب أولى بشريف العجم من وضيع العجم بشريفهم، وشريف العجم أولى بشريف العرب من وضيع العرب بشريفهم، وهذا كلام شريف.

ورأى النبي ﷺ في المنام كأنه ردفه غنم سود فردفتها غنم بيض ما يرى السود فيها لكثرتها، فأخبر النبي ﷺ بذلك أبا بكر رضي الله عنه، فقال: السود العرب ويسلمون والبيض العجم يسلمون بعدهم حتى ما يرى فيهم العرب لكثرتهم، فقال ﷺ: بذلك أخبرني الملك سحراً.

- **الممدوحُ بكونِه من العَجم**

قال بشّار:

نَمَتْ في الكرامِ بني عامرٍ ... فروعي وأصلي قريشُ العجم

وأنشد الموبذ [1]:

أنا ابنُ المكارمِ من آلِ جَم ... وطالبُ إرثِ ملوكِ العجم
لنا علَمُ الكابيانِ الذي ... به نرتجي أن نسودَ الأُمَمْ [2]
فقُلْ لبني هاشمٍ أجمعين ... هلمّوا إلى الخلْعِ قبلَ النّدمْ
وعودُوا إلى أرضِكم بالحجازِ ... وأكلِ الضِّبابِ ورعيِ الغنَمْ
فإنّي لأعلو سريرَ الملوكِ ... بحدِّ الحسامِ ورأسِ القلَمْ

وقال أبو سعيد الرستمي:

بهاليلُ عِزٍّ من ذؤابةِ فارسٍ ... إذا انتسبُوا إلا من عرينةَ أو عُكْلِ [3]
هُمْ راضةُ الدّنيا وسادةُ أهلِها ... إذا افتخرُوا لا راضةُ الشاءِ والإبْلِ [4]

---

(١) **الموبذ أو الموبذان**: حاكم الفرس أو المجوس.
(٢) **الكابيان**: الكابي: المرتفع، والكابي عظيم الرماد كناية عن المضياف.
(٣) **بهاليل**: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير - **عرينة**: حيّ من قضاعة - **عكل**: بطن من طابخة من العدنانية.
(٤) **راضة**: من راض: ذلّل - **والإراضة**: من أراض الإبل سقاها فأرواها.

• المستكَفّ والمُزرى بهم

سمع أعرابي يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة، فقال الآخر: نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة، فقال: توطأ رقابنا والله قبل ذلك.

وكان ناسك يقول: اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة، وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك.

وقال زياد[1] للأحنف: أرى هذه الحمراء قد كثرت وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب وعلى السلطان، وقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة الشرف وعمارة الطرق.

وقال ابن الحجّاج:

لا تــغــتــرز أنـــكَ مـــن فـــارسٍ ... فـــي مــعــدن الــمُــلْــك وديــوانِــه

لــو حــدّثــتْ كِــســرى بــذا نــفــسُــه ... صــفــعــتُــهُ فــي جَــوْفِ إيــوانِــه[2]

• ذمُّ النبط وأهلِ الرساتيق

رُوي في الخبر أن النبي ﷺ قال إذا تنبهقت الأنباط ونطقت بالعربية وتعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم، فإنهم أكلة الربا ومعدن الشر وأهل غش وخديعة. قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان الشيطان إنسياً ما كان إلا نبطياً.

وقال شاعر:

نــبــط إذا عــرك الــهــوان نــبــهــم ... ذلــوا وإن أكــرمــتــهــم ضــغــنــوا[3]

ورُفع إلى المأمون أن رجلاً شكا جاراً له وقال: واسيرة عمراه ذهب العدل منذ مات عمر، فاستحضره وسأله فذكر ما يشكو منه فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل بانقيا وهم نبط، فقال المأمون: إن عمر كان يقول من كان جاره نبطياً فاحتاج إلى ثمنه فليبعه فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه أن ينصفه.

ولمّا نزل الحجاج واسطاً نفى النبط عنه وكتب إلى عامله بالبصرة وهو الحكم بن أيوب، يقول: إذا أتاك كتابي فانف من قبلك من النبط فإنهم مفسدة للدين والدنيا، فكتب إليه قد نفيت النبط إلا من قرأ منهم القرآن وتفقه في الدين. فكتب إليه الحجاج: إذا قرأت كتابي فادع من قبلك من الأطباء وضم بين أيديهم ليبقروا[4] عروقك فإن وجدوا فيك عرقاً نبطياً فاقطعه والسلام.

وأمر بعض الملوك عاملاً له أن يصيد شر طائر ويشويه بشر حطب ويبعثه على شر

---

(1) زياد: أي زياد بن أبيه.

(2) جوف الإيوان: داخل القصر.

(3) النبط: قوم قيل أنهم من العرب قطنوا جنوبي فلسطين من قواعدهم بصرى وصلخد وصلع. ضغنوا: حقدوا.

(4) ليبقروا: ليبحثوا.

رجل، فصاد رخمة وشواها ببحر ودفعها إلى حوزي، فقال الخوزي: أخطأت في كل ما أمرك به الملك. صد بومة واشوها بدفلى وادفعها إلى نبطي ولد زنا. ففعل الرجل وكتب به إلى الملك، فقال الملك: أصبت ولكن كفى أن يكون الرجل نبطياً لا يحتاج إلى ولد زنا فليس يزداد النبطي بذلك شراً فقد بلغ بجنسه الغاية.

قيل إذا جاء الرستاقي[1] بسلة فارغة ومعدة جائعة فاضرب الباب في وجهه. وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن العباس لم يظلم أحد كما ظلم أهل الرستاق لأنهم عرموا الخشب وليست تكسر إلا على ظهورهم. ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: الأكراد جيل الجن كشف عنهم غطاء، وإنما سموا الأكراد لأن سليمان عليه السلام لما غزا الهند سبى منهم ثمانين جارية وأسكنهن جزيرة فخرجت الجن من البحر فواقعوهن فحمل منهم أربعون جارية فأخبر سليمان بذلك فأمر بأن يخرجن من الجزيرة إلى أرض فارس فولدن أربعين غلاماً فلما كثروا وأخذوا في الفساد وقطع الطرق فشكوا ذلك إلى سليمان فقال أكردوهم إلى الجبال فسموا بذلك أكراداً.

(٣)
ومما جاء في الدعوة

● النهي عن ادعاء غير الأب

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾[2] وقال ﷺ: ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه. وقال عليه الصلاة والسلام: الولد للفراش وللعاهر الحجر. ونهى رسول الله ﷺ عن قبول شهادة الزنيم[3].

● المعرّض بنسبه

لقي مزيد رجلاً فقال له ممن أنت؟ قال قرشي والحمد لله. فقال: الحمد لله في هذا الموضع ريبة.

قال أبو نواس:

إذا ذكرت عدياً في بني ثعلٍ ... فقدم الدال قبل العين في النَّسب[4]

وقال أحمد بن أبي سلمة:

حنفيٌّ كما زعم ... وبريءٌ من الكرم

---

(١) الرستاقي: معرّبة، وهو الخادم.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٢.

(٣) الزنيم: اللئيم، والملحق بقوم ليس منهم.

(٤) قوله: قدم الدال ـ يعني: دعياً.

زدْ على الفاء نقطةً وارفعِ النونَ بالقلمِ[1]

وقال زياد لرجل: يا دعيّ، فقال: الدعوة قد تشرف بها المدعي علي فكيف غير بها.

● التعريضُ بمن لا يُشبه أباه أو ذويه خلقة

قال عبد الملك لعبيد الله بن زياد: بلغني أنك لا تشبه أباك قال إني والله أشبه به من الماء بالماء والتمرة، بالتمرة ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه. قال: من هو؟ قال: من لم يولد لتمام ولم يصح في الأرحام ولم يشبه الأعمام، يعرض بعبد الملك. فقال: ومن هو، قال: سويد بن منجوف فقال لسويد: أكذا أنت قال نعم. قال دعبل:

إن بني عمرو لأعجوبةٌ تعجزُ عن وصفهم الفكره
أبوهُم أسمرُ في لونِه وهؤلاء لونُهم شُقْره
أظنّه حينَ أتى أمَّهم صيّرفي نطفتِهِ مُغْرَه[2]

وقال آخر:

كأنّهم خبزُ كتّابٍ وبقّالِ

وقال وهيب الهمداني:

ألوانُهم إلّيك عن أنسابهم مخبره

كان بأصبهان مجنون يعرف بابن المستهام، وقيل لأحمد بن عبد العزيز إنه مليح ذو نوادر، قال فاستحضره فلما تأمله قال:

في اختلاف الوجوهِ من آلِ عجْلٍ لَدليلٌ على فساد النساء

فأراد أن يبطش به ثم كف عنه مخافة أن يتحدث الناس بقوله فيكثر.

● التعريضُ بمَنْ لا يشبه أباه فعلاً

دخل أبو الحسن بن طباطبا على أحمد بن عثمان البري، وكان هجاه أبو الحسن بأهاجي كثيرة، فقال له: بلغني أنك تشعر وتجيد فقال كذا يقول الناس. فقال له تعريضاً أشعرت أن قريشاً لم تكن تجيد الشعر. وقد مروان بن أبي الجيوب في عليّ بن الجهم، وقد أجاد تعريضاً إلى الغاية:

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعرٍ وهذا علّي ابيه يدّعي الشعرا
ولكن أبي قدْ كانَ جاراً لأمّهِ فلما ادّعى الأشعار أوهمني أمرا

● التعريض بالرجل أن ابنه من زانية

اختصم إلى معاوية رضي الله عنه في غلام ادعي، فقال: ائتوني غداً أقض بينكما

---

(١) يعني: حلقي. (٢) المغر: اللون الأحمر

فلما أتوه أخرج حجراً دفعه إلى المدعي، يعني بذلك قول النبي ﷺ وللعاهر الحجر، فقال له الرجل: أنشدك بالله هلاً قضيت بقضائك في زياد. فقال معاوية: قضاء رسول الله ﷺ أولى بأن يتبع من قضائي.

دخل ابن مكرم على أبي العيناء مهنئاً له بابن ولد له، فوضع عنده حجراً، فلما خرج قيل لأبي العيناء: فقال: لعن الله هذا أما يفهمون ما عنى، إنما أراد قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر. ورأى عنده منجماً فقال ما يصنع هذا، قال إنه يعمل طالع مولد ابني، قال: فسله قبلُ هل هو ابنك حقيقة

قال أبو علي البصير:

أتانا أبو العيناء بابنِ مرور ... سنحكُم فيه عادلاً غيرَ جائرِ
نهنِّئه في أسبُوعه وملاكِه ... فإن مات عزّينا سعيدَ بن ياسرِ

وله فيه:

لأبي العيناء أولاد ... دغمٌ في الناس آيه
فأبو القوم سعيدٌ ... وأبو العيناء دايه

وقيل لرجل ولدت امرأة فلان بعد الزفاف بخمسة أشهر، فقال: كان إناؤها صارماً. وقيل لآخر مثله، فقال: إنه بنى جداراً على أس غيره. وقال رجل من أولاد زياد لآخر يا ابن الزانية، فقال: لا تسبني بشيء به شرفت.

● من راجع فاذِلّه بدعوة بأحسن تعريض

كان بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كلام بين يدي معاوية، فقال يزيد: يا إسحاق إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة، فقال إسحاق: وأنت والله لخير لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة، فأنكر يزيد ولم يدرِ ما عنى، فلما قام إسحاق قال معاوية: أتدري ما عناه إسحاق، قال يزيد: لا، قال: فكيف تشاتم رجلاً قبل أن تعلم ما يقال لك وفيك أنه عنى ما زعم الناس أن أبا العباس أبي وكانت هند اتُهمت به وبغيره، ولذلك لما جاءت إلى النبي ﷺ تبايعه فتلا عليها الآية، فلما بلغ قوله ولا يزنين، قالت: وهل تزني حرة؟ فنظر النبي ﷺ إلى عمر وتبسم.

وخاصم غيلان رجلاً من ولد زياد، فقال له الزيادي يا دعي، فأنشد يقول

بثينةُ قالت يا جميلُ أربتنا ... فقلتُ كلانا يا بثينَ مريبُ

فبلغ قولهما ابن عائشة، فقال: ولله در غيلان في التمثل بهذا البيت أشعر من جميل. وشاتم أعرابي ابنه، فقال: لست مني، فقال الابن: أنا والله أشبه بأبيك ولأنت كنت أغير على أمي من أبيك على أمك.

---

(١) يقصد نسب زياد بن أبيه.

• من احتمل عياً لتصحيح نسبه

نافر لهبي[1] رجلاً من ولد عمرو بن العاص فعابه بسورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾[2]، وعاب اللهبي بسورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[3]، فقال اللهبي: إنك لو علمت ما لأولاد أبي لهب من الدرك في سورة تبت لم تفه بها، لأن الله تعالى صحح نسبهم بقوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[4] وأبهم من نكح لا من سفاح ونفى بني العاص بقوله عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم المنتسب إلى غير أبيه. قال العودي مضيت يوماً في حاجة مع يحيى بن أكثم فاختصر بين طريقاً لم أعرفها، فقلت له: يا ابن بجدة[5] هذه البلدة ومن لا يبرحها ولا أعرف هذا الطريق، قال لأن قول الشاعر لم يحقق.

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى من القَطا

فاحتمل هذا الهجاء تصحيحاً لنسبه

• المعروفُ بأنه عجميٌ أو نبطيٌ متعرِّب

قال بشار:

أرفقْ بعمرو إذا حرَّكت نسبته ... فإنه عربيٌّ من قوارير

وقال آخر:

عربيٌّ في مجان ... نبطيٌّ في الحقيقه

وقال مخلد الموليّ

أنت عندي عربيٌّ ... ليس في ذاك كلامُ

عربيٌّ عربيٌّ ... عربي والسلامُ

شعر أجفانك قيصو ... م وشيح وثمامُ[6]

• المدعي أكارم العجم

لبعضهم:

يصيح لِكِسْرى حين يسمعُ ذكره ... بصمّاء عن ذكرِ النبيّ صدوفِ

ويعجبُه أخبارُ كسرى وذكرُه ... وما هُوَ في أعلاجهم بشريفِ

وقال جحظة

وأهلُ القرى كلُّهم ينتمون ... لِكِسْرى ادعاءً فأين النبطُ

---

(1) لهبي: نسبة إلى أبي لهب

(2) القرآن الكريم: الكوثر/ ١

(3) القرآن الكريم: المسد/ ١

(4) القرآن الكريم: المسد/ ٤.

(5) ابن بجدة البلدة: أي العالم بها.

(6) القيصوم: نبات دهني الزهر طيب الرائحة ـ الشيح: نبات طيب الرائحة قويها

● ذمّ مدّعي العلوية

قال محمد بن وهب

فتىً لمّا رأى الأنسابَ عِزّاً | تَسارَعَ غَيْرَ نِسبة والدَيْهِ
ويرضى أن يُقال له شريفٌ | ومَن يرضى إذا كذبوا عليْهِ

● ذمّ من يدّعي نسباً مرغوباً عنه

قال حمّاد عجرد في بشّار بن برد

نُسِبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيرِهِ | فهبْكَ لبردٍ نكْتَ أمّك من بُرْدِ

وهذا البيت في الهجاء من الأبيات النادرة العجيبة، وقيل إن بشاراً لما سمع ذلك قال: تهيأ لحمّاد في هذا البيت بهجائي خمسة معانٍ أرادها جرير في الفرزدق فلم يستكملها، حيث يقول:

لما وضعتُ على الفرزدق مِيسمي | وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطل[1]

وقال أبو محمد اليزيدي في الأصمعي

أنتَ لي دعيٌّ بني أصمع | متى كنتَ في الأسرة الفاضلَه
ومن أنت؟ هل أنت إلا امرؤ | إذا صحّ أصلُك من باهِلَه

● المتقلّب في الدعوة

قال دعبل:

كل يوم لأبي سعد على الأنساب غارَه

فهو يوماً في تميمٍ | وهو يوماً في فزاره[2]

وقال أبو نواس:

لهُم في بيتِهم نسبٌ | وفي وسْط الملا نسَبُ

● من ادّعى نسباً لاستفادته جاهاً أو نشباً

وقال خالد النمار:

عصام بن فيض باللجين وبالذهب | ولبس الكِسا والزعفران الذي يَهبْ[3]
ودار بناها في ثقيف ومسجد | يرجى عصام أن يعدّ من العَرَبْ

وقال دعبل:

ليهنِك دولة حدثت | فأحدث عزُّها نسبا

---

(1) ميسم: علامة، وهنا أراد القوافي والأهاجي - ضغا: صوّت مستغيثاً، وخضع
(2) فزارة: اسم قبيلة. (3) الزعفران: نبات زهره أحمر

● مَن نسبُهُ مقصورٌ عليه

قيل: فلان همج نقاع، ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف.

قال شاعر:

كالوذِ بالقاعِ لا أصلٌ ولا ورقُ[1]

وقال الجاحظ:

نسب الخمار مقصو ... ر إليها منتهاه

وقال آخر:

يقول سهل والدي صاعدٌ ... فقل لسهلٍ مَنْ أبو صاعدِ؟

للناسِ آباءٌ وما ينتمي ... سهلٌ إلى أكثر من واحدِ

وقال آخر:

ليسَ له ما خلا اسمه نسب ... كأنه آدمُ أبو البشر

● من صار مدّعٍ بين جماعة

خبر زياد بن أبيه معروف جعيفران:

ما جعفرٌ لأبيه ... ولا لَهُ بشبيه

هذا يقولُ بنوه ... وذا يخاصم فيه

والأمُ تضحك منهم ... لعلمها بأبيه

● من نفى عنه الدعوة خسةً

قال ابن الزيات لابن أبي دؤاد في مناظرته: ما أنا بدعي. فقال: صدقت ما دونك أحد فتستنزل إليه ولا فوقك من يقبلك فتنتمي إليه. وقال رجل بين يدي أبي عبيدة: إن الأصمعي دعيٌّ. فقال: كذبت لا يدعي إلى أصمع أحد

وقال شاعر:

فما أنفيك كي تزداد لؤماً ... لا ألام من أبيك ولا أذلاً

● المتشكّكُ في أمه فضلاً عن أبيه

قال عبدان، وهو من الأبيات الجيدة المشهورة:

صح لنا والدةٌ أولادٍ ... وأنتَ في جهلٍ منَ الوالدِ

وقال آخر:

إذا أقمت لنا أماً فصحّ لها ... وأنت في حرجٍ إن جئتنا بأبِ

---

(١) الوذ: الوتد.

وقال آخر:

إذا الأدعياء ادعوا والِدا وجدناك مدّعيًا والدَه

وقال مساور الوراق:

ابن عبدِ العزيز أدغمُ فيه شعبةٌ من شرارِ كلّ قبيله
صدرُه من محاربٍ ويداه من عبي ورأسه من بُجَيْله[1]

● ذكاء ولد الزنا وفرعنته

قال قدامة: أولاد الزنا أنجب لأن الرجل يزني بشهوة ونشاط فيخرج الولد كاملاً، وما يكون عن حلال فعن تصنع للرجل إلى المرأة.

قال ابن بوسة الأصبهاني:

إنّي إذا ما رأيتُ فرخ زنا فليس يَخفى عليَّ خَوْقَرُه
لو في جدارٍ يخطّ صورته لصاح في كفّ من يُصَوِّرُه

(٤) وممّا جاء في الأقارب

● فضل صلة الرحم وذم قطيعته

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[2] وقال النبي ﷺ يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. وقال عبد الله بن أبي أوفى: كنا مع النبي ﷺ فقال لا يجالسنا قاطع رحم فقام شاب فأتى خالة له، وكان بينه وبينها شيء فأخبرها بقول النبي ﷺ فاستغفرت له واستغفر لها، ثم رجع والنبي ﷺ في مجلسه فأخبره فقال النبي ﷺ: إن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم. وقال ﷺ: الرحم منماة للعدد مثراة للمال منسأة[3] في الأجل. وقال جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[4] وتذاكر واصلة الرحم فقال أعرابي: منسأة في العمر مرضاة للرب محبة في الأهل. وقيل: الصلة بقاء والقطيعة فناء.

---

(١) بجيلة: اسم قبيلة.
(٢) القرآن الكريم: النساء/١.
(٣) منسأة: من نسأ، أي أخر.
(٤) القرآن الكريم: الرعد/٢٣.

● حث الأقارب على التظاهر

دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته، فاستدعى بضمامة من السهام وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها، ثم بددها، وتقدم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناواكم عن كسركم كعجزكم.

وفي ذلك شعر:

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حرد وبطش أيِّد[1]

عزت فلم تُكسر وإن هي بُددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

وقال عبد المنبري:

إذا ما أرادَ الله ذلّ قبيلةٍ ... رماهُم بتشتيتِ الهوى والتخاذلُ

● المُراعي رحمَه والمحامي عليه

قال بعض بني أسد:

وأستنقذُ المولى من الأمر بعدَما ... يزلّ كما زلّ البعيرُ عن الدحْضِ[2]

وأمنحُه مالي ووُدّي ونُصرتي ... وإن كان محنيَّ الضلوع على بُغْضي

وقال بعضهم:

ومولى جفتْ عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطليٌّ به القارُ أجْرَبُ

رئِمْتُ إذا لم ترأم البازلُ ابنَها ... ولَم يكُ فيهَا للملبسينَ مَحْلبُ[3]

● تفضيلُ الأقاربِ على الأباعِد وإن عادُوا

لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه بجرجان، قال له: انظر إلى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال العباس:

فقومُك إن المرءَ ما عاشَ قومُه ... وإن لامهُم ليسُوا له بأباعِدِ

ونحوه قول بعضهم:

أدناك أدناك وإن رفضك وقلاك[4]

وقال بعض بني قيس:

وآخ لحالِ السلم إن شئت واعلمَنْ ... بأن سوى مولاك في الجَوْرِ أجنبُ[5]

---

(١) الأيد: القوي. (٢) الدحض والدحض: المكان الزلق.

(٣) رئمت: عطفت عليه ـ البازل: الذي طلعت نابه من الإبل.

(٤) قلاك: أبغضك. (٥) الأجنب: الذي لا ينقاد.

ومولاك مولاكَ الذي إنْ دعوْتَه	أجابَك طوْعاً والدماءُ تصبَّبُ

وقال آخر:

لعمْري لرهطُ المرءِ خيْرُ بقيةٍ	عليْه وإنْ عالُوا به كلّ مركَبِ[1]

● استبقاءُ الأقاربِ لدفْع الأباعد

قال النعمان بن حنظلة:

وإني لأستبقي امرأ السوء عدّة	لعدوة عريض من القوْم جانبِ[2]
أخافُ كلابَ الأبعدين وهرشها	إذا لم تهارِشْها كلابُ الأقاربِ

وقال هبيرة المري:

ولا تهجُرْ كلابَك واصطنِعْها	لتطعمَها كلابَ الأبعدينا

وله:

وذوي ضبابٍ مظهرينَ عداوةً	قرْحى القلوب معاودي الأفنادِ[3]
ناسيتُهم نقْصاهم وتركتُهم	وهُمُ إذا ذُكرِ الصديقُ أعادي
كيما أعدّهم لأبعد منهمُ	عندَ السلاحِ إلى ذوي الأحقادِ

● تفضيلُ بعض الأقاربِ على بعض

قيل لامرأة أسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: اختاري واحداً منهم، فقالت: الزوج موجود والابن مولود والأخ مفقود، أختارُ الأخ. فقال الحجاج: عفوتُ عن جماعتهم لحسن كلامها.

● ذمُّ الأقارب

قال بعضهم: الأب رب والعم غم والأخ فخ والولد كمد والأقرب عقارب. قال شاعر:

إنّ الأقاربَ كالعقار	ب أو أضرُّ من العقارِب

وقال آخر:

يقولون عزٌّ في الأقاربِ إن دنَتْ	وما العزّ إلا في فراقِ الأقاربِ
تراهُم جميعاً بين حاسدِ نعمةٍ	وبين أخي بغْضٍ وآخر عائبِ

وقال أبو نواس:

وما أنا مسرورٌ بقرْب الأقاربِ	إذا كان لي منهم قلوبُ الأباعدِ

---

(١) عالوا: جاروا.

(٢) عريض: الذي يتعرض للناس بالشر.

(٣) الأفناد: جمع فَنَد وهو الباطل.

● **تفضيلُ بعيدٍ موالٍ على قريب معاد**

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وقيل: القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغني عن القرابة:

رُبّ بـــعـــيـــدٍ كـــأخٍ نـــاصِـــحٍ ... وابــــنِ أبٍ مـــنـــهـــم الـــغـــيـــب

وقال الزبيري:

لـمُـغْـتـرِبٌ يـسـرّ بـحـسـنِ حـالـي ... وإن لـــمْ تـــدْنِـــهِ مـــنّـــي قـــرابـــه
أحـــبّ إلـــيّ مـــن ألـــعـــمّ قـــريـــب ... تـــبـــاتُ صـــدورُهـــم بـــي مـــســـترابَـــه[1]

وقال بشار:

ربّـــمـــا ســـرّك الـــبـــعـــيـــدُ وأصـــلا ... كَ الـقـريـبُ الـنـسـيـبُ نـاراً وعـارًا[2]

وقال يزيد بن الحكم:

ولـــقـــدْ يـــكـــونُ لـــكَ الـــغـــريـــبُ ... أخـــاً ويـــقـــطـــعُـــك الـــقـــريـــبُ

● **التلمّم لتركِ الأقارب واتّباع الأباعد**

قال الحارث بن ظلامة

سفـهْـنـا بـاتّـبـاع بـنـي بـغـيـضٍ ... وتـركِ الأقـربـيـن لـنـا انـتـسـابـا
ســـفـــاهـــةَ فـــارطٍ لـــمـــا تـــروّى ... هـراقَ الـمـاءَ واتّـبـع الـســرابـا

● **ذم مَنْ نفعُهُ للأباعد دون الأقارب**

قال ابن الأحوص:

من النّاس من يغْشَى الأباعدَ نفعُهُ ... ويشقى به حتّى المماتِ أقاربُه[3]

وقال آخر:

وما خيرُ من لا ينفعُ الأهلَ عيشُهُ ... وإن مـاتَ لـم تـجـزعْ عـلـيـه أقـاربُـه

وقال آخر:

متى هو لابنِ العمّ كالذئب إن رأى ... لـصـاحـبـه يـومـاً دمـاً فـهـو آكـلُـه

● **ذمُّ مَنْ يناوىء ذويه ويضرع لأعاديه**

ذمّ أعرابي رجلاً، فقال: هو أذل الناس دنوّاً إلى أعدائه وأكثرهم تجرؤاً على أصدقائه

---

(١) مسترابة: من استراب، وقع في الشك
(٢) أصلاك ناراً وعاراً: فيهما ألقاك
(٣) يغشى: يعطي، يصيب.

وأقربائه. وقيل لمعاوية رضي الله عنه ما النذالة، فقال: الجراءة على الصديق والنكول عن العدو.

وقال الجعدي:

ألا إنّ قومي أصبحُوا مثلَ خيبرَ بها الداءُ لكنْ لا يضُرُّ الأعاديا

وقال بيهس الضبي:

إذا ما ألقى العدوّ فثعلبٌ وعلى الأقارب شبهُ ليثٍ ضيغَمِ

وقال القطامي:

جهلاً علينا وجبْناً عن عدوّهم لبئستْ الخلّتان النكلُ والجبْنُ[1]

وقال زياد الأعجم:

تلينَ لأهلِ الغلِّ والغمّ منهم وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ

وقال أيوب

تصولُ على الأدنى وتجتنبُ العِدا وما هكذا تُبنى المكارمُ يا يَحْيى
وأنتَ كفحلِ السّوءِ يبدأ بأمِّهِ وتتركُ باقي الخَيْلِ سائمةً ترْعَى[2]

وقال كشاجم:

وتراه يكرمُ من نأى عنه ويؤذي من حضر
كالشمس تنحسُ من دَنا منْها وتُسْعدُ من نَظر

● حذرُ مَنْ يكره بعيداً ويطرح قريباً

إنْ يعجبِ الأقوام أنِي عندَهُم من دون ذي رحم بها يتوصّلُ
فبنو أمية والفرزدق صنوُهُم نسباً وكان وصالهم لا يُقْبَلُ

● عداوةُ الأقارب وتعسُّر إزالتها

أعداؤكم أكفاؤكم والأقارب عقارب وأمسهم بك رحماً أشدهم لك لدغا. وقال جاويدان: فروح ثلاث لا يُستصلح فسادها بشيء من الحيل. العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركالة في الملوك.

وكان ابن هبيرة يقول. اللهمّ احفظني من عداوة الأقارب.

وقال طرفة بن العبد:

وظلمُ ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المَرْءِ من وَقْعِ الحُسَام المهنّدِ

---

(١) الخلّتان: الصفتان ـ النكل. الإحجام والامتناع (٢) السائمة. الماشية التي ترعى.

ويروى عداوة ذي القربى.

قال الهيثم النخعي:

بني عمنا إن العداوة شرها ... ضغائن تبقى في نفوس الأقارب

وقال غيره:

للظلم بين الأقربين مضاضة ... والذل ما بين الأباعد أروح[1]

فإذا أتتك من الرجال قوارص ... فسهام ذي القربى القريبة أجرح

● مَن يتحامل على ذويه إذا رآهم في محنة

قال عامر بن لقيط:

لعمرك إني لو أحاميهم حية ... إلى قعمص ما أنصفتني قعمص

فما لهم ظلما إليَّ كأنهم ... ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس[2]

وقال عدي النبهاني:

أعان على الدهر إذ حل بركه ... كفى الدهر لو وكلته بي كافيا[3]

وقال آخر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدم

● الحمية للأقارب وإن كانوا أعداء

في المثل: آكل لحمي ولا أدعه لآكل. وقيل: الحفائظ تذهب الأحقاد لا يعدم الجوار من أمه حية.

قال شاعر:

لكل امرىءٍ حالان بؤس ونعمة ... وأعظمهم في النائبات أقاربه

وقال حريث بن جابر:

إذا ظلم المولى فزعت لظلمه ... فحرك أحشائي وهرت كلابيا[4]

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم، فقال: عدوك وعدو عدوك. ولما مات عبادة بن الصامت، رضي الله عنه بكى عليه أخوه أوس بن الصامت فقيل له: أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك فقال حركني للبكاء عليه رتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي

---

(١) الذل: معربة، بمعنى المزاد ـ أروح: واسع.

(٢) ظلما ظلما: كان أغبر إلى سواد، فهو أطلس جمع أطلس، والأطلس: الذئب الذي لا شعر على جسده.

(٣) البرك: الكابوس.

(٤) هرت كلابيا: هرت: طعنت بالرمح.

● **التجافي عن ذنوبهم ومداواة عداوتهم**

قال الشعبي: لا يكون الرجل سيداً حتى يكون مستعملاً قول الشاعر:

وإني للبّاسٌ على المقْتِ والقِلى ... بني العمّ منهُم كاشِحٌ وحسودُ[1]
أذبُّ وأرمي بالعَصا من ورائِهم ... وأبدأ بالحُسْنى لهُم وأعودُ

وقال سالم بن وابصة:

ونيربٌ من موالي السّوء ذي حسب ... يقتاتُ لحمي وما تشفيه من قَرَم[2]
داويْتُ صدراً طويلاً غمره حقداً ... منه وقلّمت أظفاراً بلا جَلَم[3]

وقال محمد بن عبد الأزدي:

ولا أدعُ ابنَ العم يمشي على شفا ... وإن مسّني من أداه الجنادعُ[4]

والأبيات كلها.

قال الموسوي:

لويتُ إلى ودّ العشيرةِ جانبي ... على عُظْم داءٍ بيننا وتمائم
وقلّمتُ أظفاري وكنْت أعِدُّها ... لكمريق قربى بينا ومحارم
وأوطأتُ أقوالَ الوشاةِ أخامِصي ... وما كان سمعي مدرجاً للنّمائمِ[5]

● **تأسُّفُ مَنْ جنى عليه أقاربُه فلم يكنْه الانتصافُ منهُم**

قال المتلمّس

فلو غيْرُ أخوالي أرادُوا نقيصَتي ... جعلْتُ لهم فوقَ العرانين ميْسَما
وما كنتُ إلا مثلَ قاطِعِ كفّه ... بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجذَما
يداه أصابَت هذه حتفَ هذه ... فلم تجِدِ الأخرى عليه مقدَما
فأطرقَ إطراقَ الشّجاعِ ولو يرى ... مساغاً لنابَيْه الشجاعُ لصمّما[6]

وقال ذو الأصبع:

لولا أواصِرُ قُربى لسْتَ تحفظُها ... ورهبةُ الله في مَنْ لا يُعاديني
إذاً بريتُك برْياً لا انجبارَ له ... إنّي رأيتُك لا تنفكُّ تبريني

---

(1) الكاشح: العدو المبغض. (2) النيرب: الشرير ـ القرم: شدّة شهوة اللحم
(3) بلا جلم: بغير قطع وجزّ (4) الجنادع: البلايا
(5) الأخامص، جمع أخمص، وهو من القدم باطنها الذي يتجافى عن الأرض
(6) مُساغ: من ساغ (الطعام) سهل مدخله في الحلق ـ يمّم: قصد

● **من جازى أقاربه بذنوبهم فتأسّف للملك**

قال العديل العجلي:

ظللت أساقي الهمّ إخوتي الألى | أبوهم أبي عند المراح ومن الجَدّ
كفى حزناً أن لا أزال أرى القنا | يمجّ نجيعاً من ذراعي ومن عضُدي[1]
وإني وإن عاديتُهم وجفوتُهم | لتألمُ ممّا عضّ أكبادهم كَبِدي

وقال قيس بن زهير:

فإن أكُ قد بردتُ بهم غليلي | فلم أقطع بهم إلا بناني[2]

وقال آخر:

فإن تكُ حين تبلغهُم بجُرم | وإن ظلمُوا لمُخترقَ الضمير

● **الحثّ على معاقبة من يعادي من الأقارب**

قال أوس بن حبنا التميمي:

إذا المرءُ أولاكَ الهوانَ فأوْلِه | هَواناً وإن كانتْ قريباً أواصِرُه[3]

وقال غيره:

إذا مولاكَ كانَ عليكَ عوناً | أتاكَ القومُ بالعجَبِ العَجيبِ
فلا تخشع إليه ولا تزكه | ودامِ بمنكبِه عرضَ الجنوبِ
فما لكَ كالقِلى في غيرِ جدّ | إذا وَلّى صديقُكَ من طَبيبِ

● **مَنْ تبجّح بمعاداة ذويه**

قال أرطاة بن سهية:

ونحنُ بنو عمٍّ على ذات بيننا | زرانيُّ فينا بغضةٌ وتنافُسُ
ونحنُ كصدعِ العسّ إن يعطَ شاعباً | يدعه وفيه عيبُه متشاخِسُ[4]

وتمثّل يزيد بن معاوية لما بلغه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بقول الفضل بن العباس بن عتبة:

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا | لا تنبشُوا بيننا ما كانَ مدفُونا

(الأبيات) وهي في الحماسة.

---

(١) القنا: الرمح ـ يمجّ: يقذف ـ النجيع: الدم.
(٢) الغليل: شدّة العطش.
(٣) أولاك الهوان: جعلك ذليلاً.
(٤) العس: القدح الكبير ـ متشاخس: من شخص بمعنى اضطرب.

● ذمُّ من يتطاولُ على ذويه في الرّخاء ويضرعُ لهمْ في اللأواء[1]

قال علمس بن عقيل:

فأما إذا عضّت بك الحربُ عضّةً ... فإنك معطوفٌ عليك رحيمُ
وأما إذا آنستَ أمناً ورخوةً ... فإنك للقربى ألدُّ خصومُ[2]

وقال شاعر:

إذا أخصبتُم كنتُم عدوّاً ... وإن أجدبتُم كنتُم عِيالا[3]

● الشاكي ظلمَ مولاه وحده

قال شاعر:

إذا ما اقتنى المجدَ ابنُ عمك لم تُعِنْ ... وقلتَ ألا يا ليتَ بنيانَه هوَى
تملأ من غيظٍ عليّ فلم يزَلْ ... به الغيظُ حتّى كادَ في الغيظِ يُشوَى

وقال عبد الله بن طاهر:

أخي مالك لا تنفكّ عن ترتي ... كأن أعضاءنا لم تُغذَ من جسَدِ

● ذمُّ عشيرة يفذ الجهلُ شملَهم

وقال أبو يعقوب الخريمي:

كانوا بني أمٍ ففرّق شملهم ... عدمُ العقول وخفّةُ الأحلام

وقال علاق بن مروان:

وكانت بنو ذبيان عزّاً وإخوةً ... فطِرْتُم وطارُوا يضربون الجماجما

● وجوبُ تعظيمِ الأخِ الأكبر

حضر عند النبي ﷺ أخوة، فتكلم أصغرهم فقال عليه السلام: كبروا كبروا. وقيل لحكيم معه أخ أكبر منه، أهذا أخوك، فقال: بل أنا أخوه.

وكان بين الحسن والحسين رضي الله عنهما كلام فقيل للحسين ادخل على أخيك فهو أكبر منك، فقال: إني سمعت جدي ﷺ يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر فبلغ قوله أخاه فأتاه عاجلاً وأرضاه.

● وصفُ أخوين مختلفَين في الكيس والبلَه

من الأخوين اللذين كانا لأب وأم وتفرقا في العقل جداً علي وعقيل ابنا أبي طالب، أمهما فاطمة الأسدية. ومعاوية وعتبة ابنا أبي سفيان، أمهما هند بنت عتبة.

---

(1) اللأواء: الشدّة والضيق. (2) رخوة: رخاء العيش. (3) عِيالاً: كثير العيال.

● **وصفُ أخوين وضيعٍ ورفيع**

قال الأصمعي: لم يقل أحد في تعصيب أخ على أخ وهما لأب وأم مثل قول ابن المعتز لأخيه صخر:

أبـوكَ أبـي وأنـتَ أخِـي ولـكـن ... تـفـاصـلَـتِ الـمـنـاكِـبُ والـرؤوسُ[1]

وقال ابن أبي عيينة

داود مـحـمـودٌ وأنـتَ مـذمَّـمٌ ... عـجـبـاً لـذاك وأنـتُـمـا مـن عُـودِ

فـلـربَّ عـودٍ قـد يُـشَـقُّ لـمـسـجـدٍ ... نـصـفٌ وسـائـرُه لـحـشِّ يـهـودِ[2]

وقال الموسوي:

تـفـرّدَ بـالـعَـلْـيـاءِ عـنْ أهـلِ بـيـتِـه ... وكـلٌ يُـهَـدّيـه إلـى الـمَـجْـدِ والِـدُ

وتـخـتـلـفُ الأثـمـارُ فـي شَـجَـراتِـهـا ... إذا شـرِقَـتْ بـالـمـاءِ والـمـاءُ واحِـدُ

وقال السيد الحميري:

فإن قـلـتُـم أبـونـا عـبْـدُ شـمـسٍ ... فـإنَّ الـزنـبـعَ مـن أولادِ نُـوحِ

هـمـا عِـرْقـان مـن أصـلٍ جـمـيـعـاً ... ولـكـنْ لـيْـس نـبْـعٌ مـثْـل شـيـحِ[3]

وقال أبو العواذل

عـلـيّ وعـبـدُ الله يـنـمـيـهُـمـا أبٌ ... وشـتّـان مـا بـيـنَ الـطـبـائـعِ والـعقْـلِ

ألـم تـرَ عـبـدَ الله يـلـحـى عـلـى الـنّـدى ... عـلـيّـاً ويـلـحـاه عـلـيّ عـلـى الـبـخْـلِ[4]

وقال رجلٌ لأخيه لأهجونّك، فقال: كيف تهجوني وأنا أخوك لأبيك وأمك. **فقال**

غـلام أتـاه الـلـؤمُ مـن شـطْـرِ نـفْـسِـه ... ولـم يـأتِـه مـن شـطْـرِ أمٍ ولا أبِ

● **عذرُ من صارَمَ أخاه وباعَدَهُ وجفاه**

كتب الفضل بن سهل إلى المأمون أمابعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق كتاب الله بينهما، فيما اقتص علينا من نبأ نوح، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا صلة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والسلام وقيل لأعرابي لم تقطع أخاك شقيقك، **فقال** أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إليّ منه فكيف لا أقصه إذا فسد

---

(١) **المناكب** جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد وقد يعني الأعضاء الأطراف.

(٢) **حش اليهود** الحش القطع، وفي المثل أحشك وتروثني أي ألقي عليك حشيشاً وتلقي علي روثاً

(٣) **النبع** شجر تتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام ـ **الشيح**: نبت طيب الرائحة

(٤) **لحى يلحى**: يلوم ـ **الندى**: الكرم.

● وصفُ أخوة متفاوتةٍ في الخِلْقة

قال محدث لأبي عباد وكان قبيحاً ومعه أخ صبيح. ما أمّك إلا شجرة البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، أخذه ابن طباطبا فقال:

أمّ أبي عيسى وإسحاق غدَت مرتهنَه ... بصورة قبيحة جداً وأخرى حَسَنَه
متى تسَلْ عن قصة ابنيها تقُلْ يا بن هنَه ... أنا التي تشبهها البلوطةُ الممتحَنَه
تحملُ بلّوطاً سنةً ... وتحمل العفصَ سنَه
لقد أتت بحُجّة ... لله درّ القطسنه

وقال آخر:

أما رأيتَ بني بدرٍ وقد جعلُوا ... كأنهم حمرٌ سقّال وكتّاب
هذا طويلٌ وهذا حنبل جحِدٌ ... يمشونَ خلْفَ عميرٍ صاحِب البابِ[1]

● ما يجبُ أن يكونَ عليه فضلاءُ الأقارب

قال عبد الملك لغيلان: أخبرني عن أفضل البنين، فقال: البار البار المأمون منه العار. قال: فأفضل البنات، قال: المتعجلة إلى القبر المعيدة أباها عن الأجر. قال: فأفضل الإخوان، قال: الشديد المعضد الكريم المشهد الذي إذا شهد سرّك وإذا غاب برّك. قال: فأفضل الأخوات، قال: التي لا تفضح أخاها ولا تكسو عار أبيها. فقال عبد الملك: لله أم درّت عليك.

● فضيلة الخؤولة وكونُها كالأبوة

يُروى أن الأسود ابن وهب خال رسول الله ﷺ استأذن عليه فبسط له رداءه، فقال الأسود: حسبي أن أجلس على ما أنت عليه، فقال ﷺ: اجلس فإن الخال والد، فأجلسه عليه.

وقال عمر رضي الله عنه: لئن بقيت لأسوّين بين طرفي رسول الله ﷺ حتى إذا قيل: بنو هاشم قيل: بنو زهرة، فإن الله اختارهم له من قبل أمه كما اختار بني هاشم من قبل أبيه.

وقال الحجّاج لابن معمر: إنك تزعم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما ابنا رسول الله ﷺ، قال: نعم، قال: والله لأقتلنك. فقال ابن معمر: أليس الله يقول ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله وزكريا ويحيى وعيسى وإنما عيسى ابن مريم ابن بنت، فقال: نجوت.

● ذمُّ الخؤولةِ وإنّها ليسَتْ بنسَب

قال حسّان بن وعْلة:

إذا كنتَ في سعْدٍ وأمُّكَ منهمُ ... غريباً فلا يغرُرْكَ خالُكَ من سعْدِ

---

(١) الحنبل: القصير الضخم البطن ـ جحد: قليل الخير.

فإنَّ ابنَ أختِ القومِ مصغٍ إناءه   إذا لم تراجم خاله بأبٍ جلْدِ[1]

وتقدم شاب إلى عبد الله بن الحسين فقال: إن جدّي أوصى بثلث ماله لولد ولده وأنا من ولد بنته والوصي ليس يعطيني منه، فقال: لاحق لك فيه، أما سمعت قول الشاعر

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا   بنوهنّ أبناء الرجال الأباعِدِ

● المدّعي قرابة بعيدة

قال رجل لآخر: لست ترعى حقي وبيننا قرابة فقال من أين؟ قال: إن أباك كان قد خطب أمي فلو تم الأمر لكنت أنا أنت، فقال هذه والله رحم ماسة.

وتعرض رجل لهشام وادعى أنه أخوه، فسأله من أين ذلك؟ قال من الأم فأمر بأن يعطى درهماً، فقال: لا يعطى مثلك درهماً، فقال: لو قسمت ما في بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم يملك إلا دون ذلك.

وقال ابن مفرغ في زياد:

وأشهد أن آلك في قريش   كآل السقب من ولد الحمار

وفي شعر آخر:

كآل السقب من آل النعام

---

(١) الجلد: القوي الشديد على المكروه ـ السقب: ولد الناقة.

في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية والمرض

(١)

فمما جاء في الشكر

●

● حقيقةُ الشكر

قيل: الشكر ثلاثة: شكر لمن فوقك بالطاعة، قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[١]، ولمن دونك بالإفضال، قال الله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢]، ولنظيرك بالمكافأة[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٤].

وقيل: الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، وثناء اللسان، والمكافأة بالفعل. وقال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعم شكر.

● إيجابُ الشكر

قال النبي ﷺ: من كان عليه يد فليكافئ عليها، فإن لم يفعل فليثن عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة. وقيل: إذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر.

قال شاعر:

أعليَّ لومٌ إن مدحتُ معاشراً ... خطبوا إلى المدحَ بالأموالِ[٥]

يتزحزحون إذا رأوني مقبلاً ... عن كلِّ متكامسٍ الإجلالِ

● ذمّ الكفران

خطب نصر بن سيار فقال: قال النبي ﷺ: من أنعم على قوم فلم يشكروه فدعا الله

---

(١) القرآن الكريم: سبأ/ ١٣.

(٢) القرآن الكريم: التغابن/ ١٧.

(٣) القرآن الكريم: النساء/ ٨٦.

(٤) خطبوا: حقروا، وصلوا إلى

(٥) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧

عليهم استجيب له فيهم، اللهم إني قد أحسنت إلى آل سام فلم يشكروه اللهم فاذقهم حر الحديد فما دار عليهم الحول حتى قتلوا جميعاً. وقال الله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] إذا قل الشكر حسن النعم. روي عن النبي ﷺ أنه قال لعن الله قاطعي سبل المعروف فقيل: من هم؟ قال: من أزهد في المعروف لكفران النعمة.

● **الحثّ على استزادة النّعمة وارتباطها بالشكر**

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] وقال عمر رضي الله عنه: أهل الشكر في مزيد من الله تعالى لهذه الآية، قيل: لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت. الشكر نسيم النعم، النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر.

وقال النبي ﷺ: أوطد الناس نعمة أشدهم شكراً، وقال النبي ﷺ: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت وإذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة

وقال ابن المقفع: استوثقوا عن النعم بالشكر. وقيل: النعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت. قال ابن سقلاب: رأيت البحتري نقلت ما حركه فأنشد بديهة

يـريـدُ تـفـضّـلاً وأزيـدُ شـكـراً ... وذلـك دأبـه أبـداً ودأبـي

● **الحثّ عن الإسداء إلى من لا يشكر**

قال عمرو بن مسعدة قيل: لا تصحبن من يكون استمتاعه بما لك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله. وقيل: اصنع المعروف إلى من يشكره ويذكره واطلبه ممن ينساه.

● **من تكفّل لمسترقه بشكره**

قال دعبل:

لأشكرنّ لموحٍ فضلَ نعمته ... شكراً تصادرُ عنه ألسنُ العَرَبِ

وقال البحتري:

فإن أنا لم أشكرك نعماكَ جاهداً ... فلا نلتُ نُعمى بعدها توجبُ الشُّكرا

وقال عمارة بن عقيل:

فلأشكرنّك بالذي أوليتني ... ما بلّ ريقي للكلام لِسَاني

وقال أبو تمّام

لئن جحدتُك ما أوليتَ من حسنٍ ... إني لفي اللؤمِ أحظى منكَ في الكَرَمِ

---

(١) القرآن الكريم: إبراهيم/٧.

(٢) القرآن الكريم: الزمر/٧

ولبعض المتأخرين:

لأملأنَّ لسانَ الشكر فيك فقدْ أطلقته بفعالٍ ملؤهُ كَرَمُ

● من لم يردعه خوفه عن شكر المحسن إليه

بعث المنصور إلى شيخ من بطانة هشام فاستحضره وسأله عن تدبير هشام وأحواله، فأقبل الشيخ يقول: فعل رحمه الله، وقال يوم كذ رحمه الله، فقال المنصور قتحك الله أتطأ بساطي وتترحم على عدوي، فقال الشيخ: إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي، فقال المنصور ارجع إلى حديثك فإني أشهد أنك غرس شريف وابن حرة

ولما قتل مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب أمر بأن يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك، فلم يألوا أن ذكروه بأقبح ما قدروا عليه ما خلا رجلاً من بني دارم فإنه قال: لا أذم رجلاً لا أملك ريماً ولا مالاً ولا أثاثاً إلا منه ولو قطعت إرباً إرباً، ولقد رثيته بأحسن ما يرثى به رجل، فأنشد أبياتاً رائعة فجزاه سليمان خيراً، وقال: إذا اصطنع فليصطنع مثل هذا.

● المظهرُ عجزه عن شكرِ المُنعِم عليه

قال أبو الوفاء

أيادي لا أستطيعُ كنهَ صفاتِها ولو أن أعضائي جميعاً تكلَّمُ

وقال بعضهم:

شُكري لا يقعُ من نعمِهِ المتظاهرة موقعَ النقطة من الدائرة

وقال شاعر:

ولو أنّ لي في كُلّ منبت شعرةٍ لساناً يبثُّ الشكرَ فيك لقصَّرا

وقال آخر:

وأسكتني نُعمى كأنّي مفحَمٌ ولم أرَ مثلي مفْحَماً وهو مقولُ[1]

وقال آخر:

أيادي منهم ليس يبلغُها الشكْرُ

وقال الغسّاني:

أثقلتُ بالشكْرِ كلّ عاقٍ فراقب الله في الرِّقابِ[2]

وقال آخر:

ما زِلتَ تُحسِنُ ثمّ تحسِن عائداً وأعودُ شاكرَ نعمَةٍ متعودُ
فتزيدُني نِعماً وأشكُرُ جاهداً فكذاك نحنُ تزيدُني وأزيدُ

---

(١) المفحم: المسكت. (٢) الرقاب: العبيد.

وقال آخر:

فإن يكُ أربَى عفوُ شكرِكَ عن يَدِي ... أناسٌ فقد أربى يَداه على شُكْري[1]

● المستكِفُ آلاء معطيهِ عجزاً عن شكْرِه

وقال المتنبي:

ولم تملّل تفقّدك الموالي ... ولم تُذمم أياديك الجساما

ولكن الغيوثَ إذا توالت ... بأرضِ مسافرٍ كرِه الغماما

وقال محمد بن أبي عمران:

رويدَك لا تمنعْ عليَّ واعفِني ... على حسب أنصي ما أطيقُ من الشكرِ

وقد أجاد أبو نواس في هذا المعنى

أنت امرؤٌ جلّلتني نِعَماً ... أوهتْ قوى شُكري فقدْ ضعُف

لا تسديَنْ إليّ عارفةً ... حتى أقوم بشكر ما سلَفا[2]

وقد أبدع البحتري في هذا المعنى، حيث يقول

أخجلتني بندى يدِي وسوّدتْ ... ما بيننا تلكَ اليدُ البيضاءُ

وقطعتني بالجود حتى إنّني ... متخوّفٌ أن لا يكونَ لقاءُ

وله أيضاً:

أيها أبا الفضل شكري منك في نصب ... أقصّر فعالي في جَدواك من أرب[3]

لا أقبل الدّهرَ نيلاً لا يقومُ له ... شكري ولو كانَ مسْديهِ إلى أبي

وقال العثماني في الصاحب:

وفدْنا لنشكرَ كفي الكُفاة ... ونسألُه الكفّ عن برّنا[4]

فقال العلوي قد كفيت فإن الصاحب صار لا يعطي شيئاً

● مَن لا يَخفَى أياديه

أياد تتضوع ونعم تسطع وآلاء تتطلع.

قال الشمردلي:

أياديكَ لا تخفَى مواقعُ صوبِها ... فتكفُر إذا ما ضُيّعَ الحمدُ والشكْرُ

وهل تستطيعُ الأرضُ من بعدما ارتوتْ ... على ريّها إنكارَ ما فعَل القطْرُ

---

(1) أربى: زاد.
(2) العارفة: العطية.
(3) فيش نصب: أي به كدّ وجهد. أرب: غاية وهدف.
(4) برّنا: الإحسان إلينا.

وقال نصيب:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلُه ... ولو سكتُوا أثنتْ عليْك الحقائِبُ[1]

وقال آخر:

هبِ الرّوضَ لا يُثني على الغيث نشرُه ... أمنظره تحفَى مآثرُه الحسْنا

وقال أبو الحسين الحسني:

وكيْفَ بكفراني صنائعهُ التي ... إذا جُحِدَتْ يوماً أقرّ بها جِلْدي

● ذكرُ الحالِ بأنها منبئةٌ عن المقال

في المثل: لسان الحال أفصح من لسان الشكر. وقال الجاحظ: نحن نزخرف باللسان والناس ينطقون بالعيان ومن أمرنا أثر ينطق عنا ويتكلم إذا سكتنا

وقال الموسوي:

وإذا سكتُّ فإنّ أنطق من فمي ... عنّي يدُ المَعْروفِ والإحْسانِ

● المسلف شكرَه قبل النعم

وقال محمد بن حمران:

شَكَرْتُكَ قبلَ الخير أن كنتُ واثقاً ... بأنّي بُعَيْدَ الخَيْرِ لا شَكَّ شاكِرُ

● عتبك مَنْ شكرتَه ولما يستوجبْهُ

وقال مسلم

فما مِن يدٍ قدّمْتُها كُنتُ مثنياً ... عليكَ ولكنّي هززتُكَ للمَجْدِ

وإن شئْتَ ألقيتُ التفاضُلَ بيننا ... وقُلْنا جميلاً واقتصرْنا على الحَمْدِ

وقال آخر:

وشكْرُ الفتى من غيرِ عرفٍ ولا يدٍ ... ولا منّةٍ توليه هزّةُ عاتِبِ[2]

وقال الصاحب:

وإذا الصّديق أدامَ شكْري للّتي ... لم آتِها إلاّ على التّقْديرِ

أيقنْتُ أنّ العتْبَ باطنُ أمرِهِ ... فسكَتُّ محتَشِماً على التقْصيرِ

وقال آخر:

إذا ما المدْحُ صارَ بِلا ثوابٍ ... من الممدوحِ كانَ هو الهِجاء

---

(١) عاجوا: رجعوا ومالوا - الحقائب: العطايا

(٢) عرف: اعتراف - عاتب: لائم.

وقال دعبل:

لا يقبلونَ الشكْرَ ما لم ينْعموا نعماً يكون لها الثناءُ ثبيعا

وقيل: من رضي بالثناء قبل الاستحقاق تبين ضعف عقله.

● **الحثُّ على الشكر بقدر الاستحقاق**

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه الثناء من غير الاستحقاق ملق[1] والتقصير عن الاستحقاق عِيٌّ وحسد. وقال رجل لابن الأعرابي: إن نصيباً يقول إنما تمدح الرجال على قدر ثوابها، فقال: إن العرب تقول: على قدر ريحكم تمطرون.

● **شكرُ مَن همَّ بإحسانٍ وإن لم يفعله**

من لم يشكر على حسن النية على إسداء العطية، وكتب الصاحب: إن شكرت فاشكر النية لا العطية، قال شاعر:

لأشكُرنَّك معروفاً هممْتَ به إن اهتمامك بالمعروف معروفُ

ولا أذمّك إن لم يمضهِ قدرٌ فالشيءُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ

● **ثقلُ الحمد وتفضيله على الرفْد**

قال محمود:

فما بلَغَتْ أيدي المنيلينَ بسْطةً من الطولِ إلا بسطةُ الشكْرِ أطولُ

ولا رَجَحتْ في الوزنِ يوماً صنيعةٌ على الشكرِ إلا منّةُ الشكْرِ أثقلُ

وقال آخر:

تَبْهج لي بعُرفٍ تشتريهِ بشكْركَ أنه بالشكر غال

وقال أبو تمام

والحمدُ شهدٌ لا ترى مشتارَهُ يجنيه إلا مِنْ نقيعِ الحنظَلِ[2]

غُلّ لحامِلِهِ ويحسَبُهُ الذي لم يوهِ عاتقَهُ خفيفَ المَحْمَلِ[3]

ومن باب ثقل الشكر ما روى عن بعض الصالحين، وقد قيل له: مالك لا تطلب الدنيا، فقال: مَن خاف السؤال عن الشكر طابت نفسه عن المال.

● **المستغْني عن رفدٍ من استغنى عن الشكر**

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لئِنْ طبْتَ نفْساً عن ثَنائي إنني لأطيبُ نفْساً عن نداكَ على عُسْري

---

(1) الملق: التودد باللسان (2) مشتاره، اشتار العسل: جناه (3) يوهي: يثقل ويضعف.

وقال أبو العتاهية:

ما فاتني خيرُ امرئٍ وصلت ... عني بداهُ مؤونةَ الشكرِ

● ذمّ من كفر نعمة

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[1] وقال ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[2] وقيل: من لم يشكر الناس لم يشكره الله، وأخذه البحتري فقال:

فمَن لا يؤدي شُكرَ نعمةِ خلّه ... فأنى يؤدي شكرَ نعمةِ ربّه

وقال النبي ﷺ: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة قال لعبد هل شكرت فلاناً فيقول يا رب علمت أنك المنعم فشكرتك، فيقول الله تعالى: لم تشكرني إذ لم تشكر من أجريت ذلك على يده. وقيل: إذا وقع الكفر وجب المنع.

وقال الخبزارزي:

منْ لَمْ يُلاقِ كراماتِ الرجالِ لهُ ... بالشكرِ أصبحَ في طرقِ الهوان لقى[3]

وقال أبو تمام

شرُ الأوائلِ والأواخرِ ذمّةٌ ... لم تُصطنعْ وصنيعةٌ لم تُشكرِ

وقيل: هو أكفر من ناشرة، وكان قد أحسن همام بن مرة من أمه وأرادت أن تئده فلما بلغ سعى في قتل همام، وقيل: من لم يحمد صاحبه على حسن العطية كيف يحمد على حسن النية.

(٢)

ومما جاء في المدحِ ومستحقيه والهجوِ وذويه

●

● وصف الثناء بالبقاء والترغيب فيه

فُسر قول الله تعالى ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[4] بأنه الثناء الحسن، وقال تعالى ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[5] أي يقال له هذا أطول الناس عمراً أعمهم بالخير ذكراً، في الثناء الباقي على الدهر خلف من نفاد العمر. وقال الأسدي

وإنّي أحبُّ الخلدَ لو أستطيعهُ ... وكالخلدِ عندي أن أبيتَ ولم أُلَمْ

---

(١) القرآن الكريم: عبس/ ١٧.

(٢) القرآن الكريم: سبأ/ ١٣.

(٣) لقى: مطروح

(٤) القرآن الكريم: الشعراء/ ٨٤.

(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ١٠٩.

وقال آخر:

وبقاءُ الذكْرِ في الأحياءِ للأمواتِ عُمُرُ

وقال الروم: ما فني من بقي ذكره. وقيل لبزرجمهر حين كان يقتل: تكلم بكلام نذكره، فقال: الكلام كثير ولكن إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل.

قال شاعر في معناه

وكنْ أحدوثةً حسُنتْ فإني ... رأيتُ الناسَ كلَّهمُ حديثا

وقال آخر:

أرى الناسَ أحدوثةً ... فكوني حديثاً حسَنْ

ولما جعل ابن الزيات في التنور، قال له خادمه: يا سيدي قد صرت إلى ما صرت وليس لك حامد. قال: وما نفع البرامكة صنيعهم. قال: ذكرك لهم الساعة. فقال: صدقت وقال:

حبُّ الثناءِ طبيعةُ الإنسانِ

● التحذيرُ من ألسنةِ الشعراء وذمِّهم

قيل: اتقوا ألسنة الشعراء فإنها سمة لا تمحى، وأنشد:

وللشعراءِ ألسنةٌ حِدادٌ ... على العوراتِ موفيةٌ دليلَه

إذا وضعتْ مكارمهم عليها ... وإن كمدوا فليس لهن حيلَه

ومن عقلِ الفتى أن يتّقيهم ... ويَدفعهم مدافعةً جميلَه

● فضلُ الشكْرِ على الوفْرِ والحمدِ على الرِّفْدِ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم: ما وهب أبوك لزهير فقالت أموالاً فنيت وأثواباً بليت وأشياء تنسيت، فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكموه زهير لا يفنى ولا ينسى وكتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر أن كل عقيلة يأتي عليه الدهر فيخلق أثره ويميت ذكره إلا ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن يتوارثه الأعقاب.

● التخويفُ من فعْلٍ يورثُ قبح الذكْر

قال بعضهم: فلان حافظ من اليوم أعقب الأحاديث في غد.

قال عوف بن محلم:

فتى يَتقي أن يخْدُشَ الذمُّ عرضَه ... ولا يَتّقي حدّ السيوفِ البواتِرِ

وقال أبو لحاد:

حذارِ الأحاديثَ التي يومَ غبِّه ... عَقَدنَ بأعناقِ الرجالِ المَخازيا[1]

---

(١) غِبّ: ضلال ـ المخازي: العار والذل

● حثّ محبّ الحمد على أسداء النعم

قال حكيم: من أحب الثناء فليصبر على بذل العطاء وليوطن نفسه على الحقوق المرة على احتمال المؤونة.

وقال شاعر:

ما أعلم النّاسُ أن الجودَ مكسبةٌ　　للحمد لكنّه يأتي على النّشبِ[1]

وقال:

أي أحدوثة تحب فكنها

● فضلُ استقبالِ الإنسان بممادحِه

خياركم من ملئت مسامعه من حسن ثنائه وهو يسمع وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر. وقال خالد بن سالم دخلت على أسامة بن زيد فأثنى عليّ ثناء حسناً، ثم قال لي: إنما حملني على أن أمدحك وجهك لأني سمعت النبي ﷺ يقول: إذا مدح الإنسان في وجهه ربا الإيمان في قلبه، وقال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحب أن أمدح، فقال: وما عليك أن تعيش حميداً وتموت فقيداً. وروي عنه ﷺ أنه قال: ما أحد أحب إليه المدح من الله عزّ وجلّ فقد مدح نفسه وأمر العبيد بمدحه.

● كراهية ذلك

سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على آخر فقال: قطعت مطاه[2] لو سمع ما أفلح. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدح ذبح. وقيل إن الإطراء يدعو إلى الغفلة. ولما جرح عمر رضي الله تعالى عنه أثنى عليه الناس، فقال: المغرور من غررتموه لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. وقيل: استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم. وأثنى رجل على هشام بن عبد الملك فقال: إنا نكره المدح، فقال: لست أمدحك ولكني أحمد الله فيك.

● استحسانُ المدْح بين الإخوان واستقباحُه

قيل: إذا قدم الإخاء سمج الثناء

قال كشاجم:

ومُسْتهجِنٍ مدْحي لهُ إن تأكّدت　　لنا عقدُ الإخلاصِ والحَقُّ يفْدحُ
وما بي الذي في القلْبِ إلا تبيّناً　　وكلُّ إناءٍ بالّذي فيهِ يرْشَحُ[3]

---

(١) النشب: المال الأصيل　　(٢) مطاه: ظهره

(٣) يرشح: رشح الإناء تحلّب منه الماء والجسدُ عرق، وفي رواية: ينضح في موضع يرشح

● التحذيرُ ممّن يمدحُك في وجهك تصنّعاً

قيل: أعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري. وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وعلم من قلبه خلاف قوله، فقال له: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. قال الجاحظ: شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك.

وصف العتابي رجلاً بالمداهنة، فقال: ذلك إن وجد مادحاً مدح وإن وجد قادحاً قدح وإن استودع سراً افتضح.

قال أبو فراس:

ولا تَقْبلنَّ القولَ من كلِّ قائلٍ سأرضيك مرأى لست أرضيك مسْمَعا

● التحذيرُ ممّن يتجاوزُ الحدّ في مدحكَ

قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك. وقيل: من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وفي المثل: من حمدنا أو رمانا فليقتصد. وقيل: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية.

● من وضعَ نفْسه وكرهَ الثناء

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال: إني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ الحسن قوله قال: بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني، وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

قال المتنبي:

يحدّث عن فضله مُكرهاً كأنّ له منه قلباً حسوداً[1]

● ما يقول الفاضل عند مدح الناس له

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مدح: اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. وقيل لأعرابي: ما أحسن الثناء عليك، فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا.

● النهيُ عن المدْح قبلَ الاختبار

قيل: لا تمدح قبل أن تعرف. وقيل: لا تحمدنّ أمة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: إن فلاناً رجل صدق فقال: هل سافرت معه أو ائتمنته، قال

(١) أي لأنه لا يحب نشر فضائله بين الناس، كما لا يحب الحاسد نشر فضائل المحسود.

لا. فقال: إذاً لا تمدحه فلا علم لك به لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد[1].

● **عتب من يمدحُ نفسه**

قيل: خطب معاوية خطبة حسنة فقال: هل من خلل فقال رجل: من عرض الناس خلل كخلل المنخل فاستدعاه، وقال: ما ذلك الخلل فقال: إعجابك به ومدحك له. وقيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً قال مدح الرجل نفسه.

وقال معاوية لرجل: من سيد قومك فقال: أنا، فقال له: لو كنت كذلك لم تقله وسئل الشاعر الأهوازي كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت والله أظرف الناس وأشعر الناس وآدب الناس، فقال السائل: اسكت حتى يقول الناس ذلك، فقال: أنا منذ ثلاثين سنة انتظر الناس وليسوا يقولون ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك، فقال: أكله إليكم إذاً لا تقولون أبداً.

● **الرخصَةُ في ذلك**

قال النبي ﷺ: أنا سيد العرب ولا فخر. وحكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال: إني حفيظ عليم ولم يستقبح ذلك من الشعراء، إذ قالوه نظماً.

● **عذرُ من يحوج إلى مدْح نفسه ومن عرّض بذلك**

قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول:

وعزيزٌ عليّ مدحي لِنفسي ... غيرَ أنّي جشمته للدّلاله[2]
وهو عيبٌ يكادُ يسقط فيه ... كلُّ حرٍّ يريد يُظهِرُ حاله

ووصف للمنصور مشير بن ذكوان فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل قال له: أعالم أنت؟ فقال: أكره أن أقول نعم وفيه ما فيه أو أقول لا فأكون جاهلاً، فأعجب المنصور بجوابه وألزمه المهدي. وسأل المأمون عبد الله بن طاهر عن ابيه، فقال: اني إن مدحته ذممته وإن ذممته ظلمته إلا أنه نعم الخلف لسيده من عبده إذا اخترمته منيته.

● **من عجزَ الشعراءُ عن استيعابِ مدْحه**

قال المالكي:

جَهدتُ ولم أبلُغ مداكَ بمِدْحةٍ ... وليسَ مع التقْصيرِ عندي سِوى العُذرِ

وفي شعر آخر:

وليسَ على منْ كانَ مجتهداً عتْبُ

---

(١) يرفع رأسه ويخفضه في المسجد أي لا يعني أنه يقول الصدق.

(٢) جشمته: تكلفته.

وقال آخر:

يـزيـدُ عـلـى شـأوي زيـادُ وجـرولٌ　　　وقد غودرَ ابنُ العبْدِ في نظْمِهِ عَبدي

وقال أشجع:

مـدحْـنـاهُـمْ فـلـم تُـدرِكْ بـمـدحٍ　　　مـآثِـرَهـم ولـم نـتْـرُكْ مَـقـالا

وقال المتنبي:

وقد وجدتُ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ　　　فإن وجدتَ لِساناً قائِلاً فَقُلِ(1)

وقال ابن الحجّاج:

هو البحرُ إن حدثْت عَنِ معجزاتِه　　　ضَعُفْتُ عن استغراقِ تلكَ العَجائِبِ
وإنْ رامَ شِعري بأنْ يحيطَ بوصْفِهِ　　　أحاطَ بشِعْري العجزُ من كلِّ جانِبِ

● من كثرت مدائحُه سهلَ الشعر على مادحه

قيل للفرزدق: أحسن الكميت في الهاشميات، فقال: وجد آجراً وجصّاً فبنى. كتب بعضهم: فتحت شيمه على المداح مستغلقات الكلام. وقال آخر: جود آل المهلب تراهم أهدافاً للمديح.

قال أحمد بن أبي طاهر:

إذا نَحنُ حِكْنا الشعرَ فيكَ تَسَهَّلَتْ　　　علَيْنا مَعانيه وذلَّتْ صِعابُها
فما انتظَمَتْ إلا عليكَ عقُودُها　　　ولا انتشَرتْ إلا علَيكَ ثِيابُها

وقال ابن الرومي:

كرمتُمْ فجاشَ المفْحمونَ لمدحِكمْ　　　إذا رجزوا فيكُم أبيتُم فقصّدُوا(2)
كما أزهرتْ جنّاتُ عدنٍ وأثمرتْ　　　فأضحتْ وعجْمُ الطيرِ فيها تغرّدُ

وله:

عجبتُ لمن يهديه للشعرِ مدحكُم　　　وتُنْطِقُه أيامُكم وهو مفْحَمُ

وقال نصيب الأصغر:

ما لقينا من جودِ فضْلِ بن يَحيى　　　تَـركَ الـنّـاسَ كـلَّـهـم شُـعـراء

فأجمعوا على جودته، وأنه لا عيب فيه إلا أنه مفرد. ولنابغة المهلبيّة:

فَـيـا يَـومـاً أذيـلَ الـمَـوتُ فـيـه　　　وقـالَ الـسَّـيـفُ لـلـشـعـراءِ قُـولـوا

---

(1) يقول: إنّ دواعي مدحه كثيرة، وإنما ينقصها لسان يقوم بتعدادها.
(2) المفحمون: جمع مفحم، وهو من لا يقدر أن يقول الشعر.

● من أحيا بأفضاله طريقة الشعر.

قال أبو تمام

ملك إذا ما الشعر حار ببلدةٍ ... كان الطريق لطرفهِ المتحيّر[1]

وله:

وحياةُ القريضِ إحياؤك الجو ... دَ فإنْ ماتَ الجودُ ماتَ القريضُ

وقال المتنبي:

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهتي ... والشكرُ من قبل الإحسانِ لا قِبَلي

وقالت عابدة المهلبية

إلـيّ إلـيّ أيتـهـا القـوافـي ... سَيُغْلِي مهركِ الملكُ الجليلُ

ويُروى للخوارزمي:

خذي ثأرَ الكسادِ منَ الليالي ... لكلِّ صناعةٍ يوماً مديلُ[2]

وقيل لذي الرمة: لِم خصصت بلالاً بمدحك؟ قال: لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي فاستولى بذلك على شكري ومدحي.

● المستفادُ منه ما يمدحُ به

قال أحمد بن إسماعيل

وإني وإنْ أحسنتُ في القولِ مرةً ... فمنكَ ومنْ إحسانِكَ امتارَها جِسْمي[3]

وقال آخر:

تعلّمتُ ممّا قلته وفعلته ... فأهديتُ حُلواً من جناكَ لِغارسِ

وقال ابن طباطبا

لا تنكرنَّ إهداءنا لكَ منطقاً ... منك استفدنا حُسنَهُ ونظامَه

والله عزَّ وجلَّ يشكرُ فعلَ منْ ... يتلو عليه وحيَهُ وكلامَه

وقال آخر:

إن جدَّ معنى فمنْ جدواه مقتصرٌ ... أو جلَّ لفظاً فمِنْ علياه مُهتَصرُ[4]

● المعني بكلّ مدحٍ حسن

متى ما أقل في آخرِ الدهرِ مِدحةً ... فما هيَ إلا في لَيالي المُكرمِ

---

(1) الطرف: العين والنظر

(2) مديل: دال، انقلب من حال إلى حال

(3) امتارها: جمعها، انتزعها

(4) مهتصر: مأخوذ بشدة

قال المتنبي:

فظلّوني مدَحْتهم كثيراً   وأنت بما مدَحْتهم مُرادي

● من يليق به مدحه

قال المتنبي:

وأصبحَ شِعْري مِنهما في مَكانه   وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يستحْسَنُ العِقْدُ

وقال ابن الرومي:

خذها هدياً ولم أنكحكها عُرُبا   يا ابنَ الوزير وكمْ أنكحْتَ من عزبِ

وقال علي بن عبد العزيز:

وأرَى المديحَ إذا عَداكَ نقيصَة   فأعافُه ولو أنّه في حاتِم[1]

وإذا امتَدحتُ سِواكَ قالَ الشِّعرُ لي   لم ترعَ حَقّي إذ أبحْتَ محارمي

● من يستطابُ مدْحُه

قال أبو تمام:

عذبت مدائحه بأفواهِ الوَرى   فشَذاه يَنْتاب كلّ مكان[2]

وقال المتنبي:

ألَذُّ من الصَّهْباء بالماءِ ذِكرُه   وأحسنُ من يُسْرٍ تَلَقّاهُ مُعْدِمُ

● المجمعُ على مدْحه

ذكر أعرابي رجلاً فقال: كان الألسن والقلوب ريضت له فما تعقد إلا على وُدِّه ولا تنطق إلاَّ بحمده. وقيل: غاية المدح أن يمدحك من لا معرفة له بك ضرورة إلى مدحك، وأن يسلمك حسن الثناء من عسى أن لا يصل منك إلى نفع.

وقال البحتري:

وأرَى الخلقَ مجْمِعِينَ على فضلِكَ   من بَيْنِ سيّدٍ ومَسُودِ

عَرفَ الجاهلون فضلَكَ با   لعلم وقالَ الجهال بالتقليد

وقال ابن أبي طاهر:

وما أنا في شكري عليّاً بِواحِدٍ   ولكنّه في الفَضْلِ والجودِ واحدُ

● من لا يجد أحد من مدحه محيصاً

قال أبو عمر: وغاية المدح أن يمدحك من لا يريد مدحك وغاية الذم أن يذمك من

---

(١) أعافه: أكرهه وأتركه ـ حاتم: أي من باب الإشارة إلى حاتم الطائي الكريم.

(٢) مدائحه: محاسنه ـ الورى: الخلق، الناس ـ الشذا: العطر.

لا يريد ذمك، وكتب بعضهم: الجاحد فضلك كمن سمى النهار ليلاً والشمس ظلاً.

قال ابن الرومي:

يا مَنْ إذا قلتُ فيهِ صالِحَةً عندَ عدوٍ أقرّ واعترفا

وقال آخر:

ليسَ يستطيعُ أن يقولَ المعادي فيكَ إلا الذي يقولُ المُوالي

وقال السلامي:

فما عَثُرتْ لكم تهَمُ الأعادي على خَلَقٍ ولا خَلْقٍ قبيحِ

● من مدحه صدقٌ غير منحول

قال الأحوص:

وما أثني مِنْ خيرٍ عليكَ فإنّه هو الحَقُّ معروفاً كما عُرِفَ الفَجْرُ

وقال ابن الرومي:

إذا امتدحُوا لم يُنحلوا مجدَ غيرِهم وهل يَنحل الأطواقَ وُرْقُ الحمائمِ[1]

وكتب بعضهم: مما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين.

● مَن يتزيّن بممادحه المدّح والمدّاح

قال ابن الرومي:

أنتَ زِنْتَ القلائدَ الزّهرَ قِدْماً ضِعفَ ما زانتِ القلائدُ جِيدَكْ

وقال الرفاء:

إذا القوافي بِذِكْره اشتملتْ عطّرها ذكرُه وحلّاها

وقال آخر:

وتزيّنتْ بصفاتِه المِدَحُ

وقال آخر:

على تطيبُ بريّاها مدائحُنا كالمسكِ تأخذُ منهُ الريحُ أعرافا[2]

● المستغني عن المدْح لكثرة فضله

كتب بعضهم: إذا أنا تعاطيت مدحك فكالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وهل يخفى ذلك على الناظر.

---

(١) الوُرق، جمع ورقاء وهي الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة - ينحل: ينسب إليه ما ليس له

(٢) أعراف: جمع عَرْف، الرائحة الطيبة.

قال البحتري:

جلّ عن مذهبِ المديح فقد كادَ يكونُ المديحُ فيهِ هِجاء[1]

وقال المتنبي:

تجاوزَ قدْرَ المَدْحِ حتى كأنّه بأكثرِ ما يُثنى عليه يُعابُ

● من ذكرَ أن أحداً لا يستغني عن الشكر

وقال شاعر:

فلو كان يَستغني عن الشكرِ ماجدٌ لعزةِ مُلكٍ وارتفاعِ مكانِ
لما أمرَ اللّهُ العبادَ بشكرِهِ فقال اشكُروا لي أيّها الثَّقَلانِ[2]

● مدْحُك محسناً لم ينلك إحسانه

قال أبو تمام:

وحسبي أن أطري الحُسامَ إذا مضى وإن كان يومُ الروعِ غيري حاملُه[3]

وقال عمارة بن عقيل:

أرى الناس طرّاً حامدين لخالدٍ وما كلّهم أفضت إليه صنائِعهُ
ولن يتركَ الأقوامُ أن يحمدوا الفتى إذا كَرُمتْ أعراقُه وطبائعُه

● المُعتذِرُ إلى رئيس لمدحه غيره

كان ابن الزيات عاتب أبا تمام في مدحه سواه فاعتذر إليه بقوله:

أما القوافي فقد حصّنت عذرتها فما يصابُ دمٌ منها ولا سلبُ[4]
ولو منعت مِنَ الأكفاء أيّمها ولم يكنْ لك في إظهارها أربُ[5]
كانت بنات نصيبٍ حينَ ضُنّ بها عن الموالي ولم تحفَل بها العرَبُ[6]

وقال بعض الأكابر لأبي همام مالك لا تمدحني، فقال:

لِسانُ الشُكر تُنطقه العَطايا ويخرسُ عند مقطعِ النوالِ[7]

● تبكيتُ من يلمْ من لا يستحق الذم

قام رجل في أيام صفّين إلى معوية رضي الله عنه، فقال: اصطنعني فقد قصدتك من

---

(١) يقول إنه فوق قدر المدح، فإذا مدحته كنت كأنك تعيبه.
(٢) الثقلان: الإنس والجن.
(٣) أطري: أمدح ـ يوم الروع: يوم الحرب.
(٤) عذرتها: البكارة، الجدة.
(٥) الأيّم: من النساء من لا زوج لها ومن الرجال من لا زوجة له ـ الأرب: الحاجة.
(٦) العوالي: الرماح ـ لم تحفل بها: لم تكترث لها.
(٧) النوال: العطاء.

عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم، فقال: من الذي تعنيه؟ قال: علي بن أبي طالب فقال: كذبت يا فاجر. أما الجبن فلم يك قط فيه وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً ﷺ أحسن من عليّ إذا خطب. قم قبّحك الله ومحا اسمه من الديوان.

وقف رجل على شيرويه فقال: الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك وملّكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوّه ونكده، فقال للحاجب: احمله إليّ. فقال له: كم كان رزقك؟ قال: ألفان، قال: والآن، قال: ما زيد شيء. قال: فما دعاك إلى الوقوع فيه وإنما ابتداء نعمتك منه ولم نزد لك. وأمر أن ينزع لسانه من قفاه.

● بخيلٌ راغبٌ في مدحٍ بلا صِلَة

قال الثعالبي

عثمانُ يَعلمُ أن المدحَ ذو ثمنٍ لكنّه يشتهي حمداً بمجّانِ

والناسُ أكيسُ منْ أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثارَ إحسانِ

وقال علي بن الجهم:

أردت شكراً بلا برٍّ ومرزئةٍ لقد سلكت طريقاً غير مسلوكِ

وقال البحتري

حطبَ المديحَ فقلتُ خلِّ طريقَهُ ليجوزَ عنكَ فلستَ من أكفائه

أخذه أبو تمام حيث يقول:

تزحزحي عن طريق المجد يا مُضَرُ

● عذر من يغتاب مسيئاً

قال المتوكل لأبي العيناء: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساؤوا، وذلك دأب الله عزّ وجلّ رضي عن عبد فمدحه. وقال: نعم العبد إنه أواب، وغضب على آخر فزناه فقال: ويلك وكيف زناه؟ قال: إنه قال في الوليد عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم، ثم أنشد:

إذا أنا بالمعروفِ لم أثنِ صادقاً ولم أذمم الجبسَ اللئيمَ المذمّما(1)

فَفيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمهِ وشقّ لي اللهُ المسامعَ والفما

وقال ابن أبي عيينة

أنا ما عِشتُ عليه أسوأ الناس ثناء

(1) الجبس: الفاسد، والمخلوط النسب.

إنَّ مـــنْ كـــانَ مُـــسِـــيـئـــاً ... لَـــخَـــلِـــيـــقٌ أن يُـــســـاءَ

● تلَمّم من مدحَ لئيماً فحرمه

قال أعرابي وقد مدح رجلاً فخيّبه: إن فلاناً تعدّى بلؤمه من تسمى باسمه ولئن خيبني مأرب قافية قد ضاعت في طلب كرمي.

ومدح بشار المهدي بشعر فخيّبه، فقيل له: لعلك لم تستجد المدح، فقال: لو مدحت بشعري ذلك الدهر لم أخش صرفه على حر ولكن أكذب في العمل وأخيب في الأمل، وأنشد:

إنّي مدحتُك كاذباً فأثبتَني ... لمّا مدحتُك ما يُثابُ الكاذبُ

قال ابن الرومي وقد هجا كبيراً أمل منه كثيراً فأجازه حقيراً:

أتيتُك مادِحاً فهجَوْتُ شِعْري ... وكانَتْ هفوةً منّي وغَلْطَه

لذلك قيلَ في مثلٍ سخيفٍ ... جزاءُ مقبِّلِ الوجعاءِ ضَرْطَه

ولابن رملة:

مدحتُ الغالبيّ بمدحِ صدقٍ ... فقابَل مِدْحَتِي بجريبِ حِنْطَه

فإن لاقيتَه يا صاحِ يوماً ... فقُصَّ سبالَه منّي بفَرْطَه[1]

قال أبو هشام الباهلي:

لكلِّ أخي مدحٍ ثوابٌ يعُدُّهُ ... وليس لِمدحِ الباهليّ ثوابُ

مدحتُ ابنَ سلمٍ والمديحُ مهرةٌ ... فكانَ كصفوانٍ عليه ترابُ

ومدح أعرابي رجلاً فلم يعطه، فقال: امتدحته أباحني عرضه فتنزهت له

وقال أبو الهول:

هزَزْتُك للعُلى فكَبَوْتَ عنها ... كبوَ البغلِ طالَ به التعنّي[2]

وقال آخر:

ولم أُلبِسْك ثوبَ الفخرِ إلا ... وجدتُك قد خَرِيتَ على الطِّرازِ

وقال آخر:

ألا في سبيلِ الله سعيٌ سَعيتُه ... فمرّ ضياعاً لا ثوابٌ ولا يدُ

فخيبةُ آمالي وعِصيانُ خالقي ... وكفّارةُ الزّورِ الذي كنتُ أنشدُ

متى يستحقّ الأجرَ منْ ظلّ عاكفاً ... على صنمٍ يعنُو له ثمّ يسجُدُ[3]

---

(١) سباله: السبال مقدم اللحية، أو طرف الشارب

(٢) هززتك: دفعتك بقوة

(٣) يعنو له: يتخضع له أو يسجد، وعنا (فلان): صار أسيراً.

ومدح مخنث رجلاً فلمه الرجل، فالتفت إلى القوم وقال أكذب عليه ويكذب عليّ، ليعلم أينا أكذب.

● من رَدَّ إليه مدحهُ

مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد إليه طالباً جائزته، فدفع شعره إلى غلامه وقال. أمدح به غيري فلست أرغب فيه، فقال

رددتَ عليّ شِعْري بعد مطْلٍ   وقد دنَّستَ ملبسَه الجَديدا[1]
وقلتَ امدَحْ بهِ مَنْ شِئْتَ غيْري   ومن ذا يقبَلُ المَدْحَ الرَّديدا
وما للحيِّ في أكفانِ ميْتٍ   لبوسٌ بعْدَ ما امتلأَتْ صَديدا[2]

● من استردّه لمّا حُرِمَ الجَدْوى

قال ابن الرومي:

ردّوا عليّ صحائفاً سوّدتُها   فيكُم بلا حَقٍّ ولا استِحْقاقِ

وله.

إن كنتَ مِن جهلٍ حقّي غيْرَ معتذرٍ   أو كُنت من ردّ مَدْحي غيرَ مُتّئبٍ[3]
فأعطني ثَمَنَ الطِّرس الذي كتبتُ   فيه القصيدة أو كفّارةَ الكذبِ[4]

● من لا يليقُ به المدْح

قال البحتري:

حطَبَ المديحَ فقلْتُ حلَّ طريقهُ   ليجوزَ عنك قلست من أكفائِهِ

وقال منصور بن باذان:

تيَتِ المَديحُ عن طبَائِعِهِ   ولقد يليقُ بوَجْهِهِ القَذْفُ

وقال سلم الخاسر:

فإنْ تُعطني جرمٌ لأني امتدحْتُها   فما علمْتُ جرم لها مادِحاً قبْلي[5]

ومدح أبو حنيفة رجلاً فلم يكن منه ما يحب، فقال· لله در الكميت حيث يقول:

وقرّظتُكم لو أن تقريظَ مادحٍ   يواري عواراً من أديمكم النَّغْلِ[6]

---

(١) مطل تسويف
(٢) صديد: قيح
(٣) غير متئب. غير مستح.
(٤) الطرس الكتاب، أو الصحيفة.
(٥) جرم قبيلة
(٦) التقريظ: المدح ـ الأديم الجلد، والأديم النغل الجلد الفاسد في الدباغ.

وقال أبو نواس لما مات جعفر بن يحيى: لا يكون في الدنيا أكرم منه هجوته وقلت فيه:

فلستُ وإن أطنبتُ في مدحِ جعفرٍ ... بأوّلِ إنسانٍ خرى في ثيابه

فأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال اغسل بهذا ثيابك التي خريت فيها.

قال الموسوي:

مدحتُهم فاستَقبحَ المدحُ فيهمُ ... ألا ربَّ عُنْقٍ لا يليقُ بهِ العقْدُ

● من لا يستحقُّ الهجوَ لخسّته ودناءَتِه

قال أبو مسلم لأصحابه: أي الإعراض أدنأ، فقال بعضهم: عرض بخيل. فقال: رب بخيل لم يكلم عرضه أدنأ الأعراض عرض لم يرتع فيه حمد ولا ذم. وقيل للفرزدق: وضعت كل قبيلة إلا تيماً فقال: لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه. وقال ابن مناذر لرجل: مالك أصل فأحقره ولا فرع فأقصره. وقال رجل للشمري: اهجني. قال: إنما يهجو مثلك مثلك، وقال:

إنّي لأكرمُ نفسي أن أكلّفَها ... هجاءَ جرمٍ وما يهجوهمُ أحدُ

ماذا يقولُ لهُم منْ كان هاجيهم ... لا يبلغُ النّاسَ ما فيهم وإن جهِدُوا

قال مسلم:

أمّا الهجاءُ فدقّ عرضُك دونهُ ... والمدحُ فيك كما علمْتَ جَليلُ

فاذهبْ فأنتَ طليقُ جَدِّكَ إنّه ... جدٌّ عزَزْتَ بهِ وأنتَ ذليلُ (١)

وقال المتنبي:

فلو كنتَ امرأً يُهجى هجَوْنا ... ولكنْ ضاقَ فِترٌ عنْ مَسيرِ (٢)

أخذه من قول الراعي:

لو كنتَ منْ أحدٍ يُهجى هجوتُكم ... يا ابنَ الرِّقاعِ ولكنْ لستَ من أحَدِ

● من لا يهتزُّ لمدحٍ ولا يغتمّ لهَجْو

قال رجل لحكيم: لا أبالي مدحت أم هجيت، فقال: استرحت من حيث تعب الكرام. وقيل: من لا يبالي سخط الكرام وشكية الأحرار فطوقه سوءة الحمار. وقيل: ليعد ميتاً من لم يهتز لمدح ولا يرتمض من ذم.

قال ابن الرومي:

فما يرتاحُ للمدحِ ... ولا يرتاحُ للذّمِ

---

(١) وفي رواية: طليق عرضك وهي موضع جدّك.

(٢) إن مسافة الفتر تضيق عن المسير فيه.

وله:

لا يُبالي الشتمَ عِرضٌ ... كلُّه شتمٌ وذمُّ

وقال إبراهيم بن المدبر:

أحقّ النّاس كلُّهم بعيبٍ ... مسيءٌ لا يُبالي أن يُعابا

وقال أبو نواس، وقد تبجح بقلة مبالاته بما يقال فيه، ويعني بذلك في باب تعاطيه الخسارة:

جريتَ مع الصّبا طلْقَ الجموحِ ... وهان عليّ مأثورُ القبيحِ

● من يشرُف بالهَجو

قال أبو نواس:

أصبحَ فضلٌ طاهِرَ التيهِ ... وذاكَ مذ صرتُ أهاجيهِ

كم بين فضلٍ مذ هاجيته ... وبينه قبل هجائيهِ

● من يصدق هاجيه ويكذب مادحه

قال مثقال:

ما قلتُ فيكَ هجاءً خلتُهُ كذباً ... إلا بدتْ لك سوآتٌ تحققه

وقال ابن الرومي:

خيرُ ما فيهم ولا خيرَ فيهم ... أنهم غيرُ آثمي المغتابِ(١)

وقال منصور بن باذان:

أبا دلفٍ يا أكذبَ النّاسِ كلِّهم ... سوى فإنّي في مديحك أكذبُ

ونظر رجل إلى أبي هفان يحدث آخر فقال: فيم تكذبان؟ فقالا: في مدحك.

● منْ لا يأثمُ هاجيه

ورد في الحديث: اذكروا الفاسق بما فيه. وقيل: لا غيبة للفاسق.

قال عيدان:

وقالوا في الهجاء عليكَ إثمٌ ... وليسَ الإثمُ إلا في المديحِ

لأنّي إن مدحتُ مدحتُ زوراً ... وأهجو حين أهجو بالصحيحِ

● المهجوّ بكلّ لسان

ذكر أعرابي قوماً، فقال: قد سلحت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم لباسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الأخرى الندامة.

---

(١) آثم المغتاب: أوقعه في الإثم.

● الداعي على هاجيه وعائبه

نظر الفرزدق إلى رجل ذي عمة، فقال:

قبحت العينان تحت العمة

فقال:

بل قُبّح الهاجي وناك أمه

قال البسامي:

من هجاني من البرية طراً وسعى في مساءتي أو لحاني[1]
فاللواتي عليه حرمهن لله في سورة النساء زواني

وقال أخو دعبل:

بيتٌ قافيةٌ قيلَتْ تناشدَها قومٌ سأترك في أعراضهم نُدُبا[2]
ناكَ الذين رووها أمّ قائلها وناك قائلها أمّ الذي كتبا

● ذمّ قبيح الكلام

قيل: قبيح الكلام سلاح اللئام. وسمع المهلب رجلاً يسبّ آخر، فقال: اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها[3] أبداً. وقال يزيد: إياك وشتم الأعراض فإن الحرّ لا يرضيه من نفسه شيء.

● النهي عن المشاتمة وذمّ الغالب منهما

قال النبي ﷺ: الجداء لؤم وصحبة الأحمق شؤم. وقال ابن عامر: دعوا قذف المحصنات تسلم لكم الأمهات. وقيل: المتدىء شاتم نفسه والبادىء أظلم. وشتم رجل حكيماً فقال: اسكت فلست أدخل في حربٍ الغالبُ فيها شرّ من المغلوب.

وقال أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه: ما تسابّ اثنان إلا غلب الأمهما.

قال شاعر:

وإنك قد ساببتني فغلبتني هنيئاً مريئاً أنت بالسبّ أحذقُ[4]

وقيل: ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى مرتبة الأسفل. وقال حذيفة بن بدر لرجل: أيسرّك أن تغلب شر الناس، قال: نعم. قال: لن تغلبه حتّى تكون شراً منه.

نازع رجل المهلب فأربى عليه فقيل: لِمَ أمسكت عنه، فقال: كنت إذا أردت إجابته رغبت في غلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت نفسه، فإن ظفر

(1) لحاني: من لحاه، قبح ولعن.
(2) ندب: علامات.
(3) السهك: الرائحة الكريهة.
(4) ساببتني: شتمتني.

فيفضل الفحة وسد المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء.

● **الحثُّ على قطعِ مادةِ اللّمّ بالسّكوتِ عنه**

قيل: من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت، وإلا سمع أكثر منها. وما أحسن ما قال الشاعر:

وتقلَقُ نفْسُ المرءِ من أجْلِ شَتْمَةٍ ... فيشتمُ ألْفاً بعدَها ثمّ يصْبِرُ

وقيل: إذا سمعت كلمة تؤذيك متطأطأ لها تتخطاك.

قال شاعر:

كلّما حفْتُ من لئيمٍ جوَاباً ... فاطلُبْ السكوتَ عنه غمَمْته

وشتم الحسن رجلٌ وأكثر، فقال: أما أنت فما أبقيت شيئاً وما يعلم الله أكثر.

● **ذمُّ من يُنزِّه عن سبّه**

قيل: ذمُّ من كان خاملاً إطراء، وشتم رجل آخرَ فلم يرد عليه، فقيل له في ذلك، فقال: أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه أو رمحك حمار أكنت ترمحه. وقال آخر:

قد ينبَحُ الكلبُ النّجوما

وقال آخر:

وما كلّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّني ... ولا كلّما طنّ الذُّبابُ أُراعُ

وقال شاعر:

شاتَمَني عبْدُ بني مسمعٍ ... فصنْتُ منه النّفسَ والعِرْضا

ولَمْ أُجِبْه لاحتقاري لَهُ ... مَنْ ذا يَعَضّ الكلْبَ إن عَضّا

وقال علي بن الجهم:

بلاءٌ ليسَ يشبِهُهُ بلاءٌ ... عداوةُ غيرِ ذي حسَبٍ ودينِ

يُنيلكَ منه عِرْضاً لم يصُنْه ... ويرتَعُ منكَ في عِرْضٍ مَصونِ[1]

ونحو ذلك ما قال جرير لذي الرمة: من لك أن تهاجيني؟، فقال: لا، إن حرمك قد هتكتهن الأشعار عما فيهن مرتع.

قال شاعر:

أوَ كلّما طنّ الذُّبابُ زَجَرْتَهُ ... إنّ الذُّبابَ إذاً عليّ كريمُ

---

(١) يرتع في عرض مصون: يتمادى في شتمه.

وقيل لنصيب: ألا تهجو فلاناً وقد حرمك، فقال: إنما كان ينبغي أن أهجو نفسي حيث سألته، فقيل: ويحك قد هجوته بأشد هجو؟ قال أبو علي بن عروس الشيرازي:

ومتى هُجيتَ فقدْ مُدِحْتَ لقدْ غلاَ   سومُ البعوضةِ إنْ رمَاها الصائِدُ

وقال عبد الله بن خلف:

دنساءةُ عِرْضِكَ حِصْنٌ منيعٌ   يَقيكَ إذا شاء منك الضَّبيعُ[1]

فَقُلْ لعدوّك ما تشتهي   وأنتَ الرفيعُ المنيعُ الوَضيعُ

● من لا يخاف لكونه ممتنعاً بغيره

قيل: وقف جدي على سطح فمر به ذئب فأقبل الجدي يشتمه، فقال الذئب: لست تشتمني وإنما يشتمني المكان الذي تحصّنت به.

قال منصور بن باذان:

لو كنتُ أجسُر أنْ أقولا   لشفيتُ من نفسي الغَليلا

لكنْ لِساني صارمٌ   فُلِّلَتْ مضاربُه فُلولا[2]

وقال آخر:

وما جهلْتُ مكانَ الأمرِ لي إنما   يا مَنْ هويت ولكنْ في فِيّ ماءُ[3]

● إجابةُ من عابك تعريضاً بما عابَك به

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: لست أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه إليك لأنه يضاف إلى حسب دنيء ولسان بذيء وجهل قد ملك عنانك، فكتب إليه أبو العيناء في أسفل رقعته:

وأنتَ رعَاكَ الله فينا فإنَّما   مدحت بفضلِ ضِعْفه فيك يوجَدُ

فعدّوه أبلغ من الأول

قال ابن مكرم لأبي العيناء: بم محنت، فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه. وقال ابن ثوابة لرجل: يا مأبون، فأنشد:

كلانا يرَى الجوزاءَ يا جمل إن بدَت   ونجم الثريّا والمزارُ بعيدُ

وقال رجل لآخر: يا دعي، فقال:

عبد شمسٍ أبوك وهو أبونا   لا نُناديكَ من مكانٍ بَعيدِ

---

(1) الضبيع: المصروع، والمصاب بالهلع   (2) فلول: كسور

(3) في فيّ ماء: لا أستطيع الكلام

وقال رجل لآخر: يا ابن الفاعلة، فقال له ذاك: يا ابن الصالحة، أكذب حتى أكذب، وعلى هذا المعنى قال:

ثالبني عمرو فثالبته ... فأثم المثلوب والثالبُ

قلتُ له خيراً وقال الخنى ... كلٌ على صاحبه كاذبُ[1]

وقال رجل لشاعر: إنك تعتاب المحصنات، فقال: إذاً لا بأس على عيالك مني.

● تعريضات من الأجوبة في اللمْ بالنثر والنظم

لما قال كعب الأشقر لزياد الأعجم:

وأقلفَ صلى بعدما كان أمةً ... يرى ذاك في دينِ المَجوس حلالاً

فقال زياد:

لا جزيتْ أمه خيراً فقد أخبرته أني أقلف

ولما قال جرير لابن الرقاع:

يقصرُ باعُ العامليّ عن العُلا ... ولكنّ أيرَ العامليّ طويلُ

قال ابن الرقاع

أأمك كانت أخبرتك بطوله ... أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقولُ

فقال: لم أدر كيف أقول.

ولما قال أرطأة بن سهية للربيع بن قعنب:

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزِراً ... فما دريتُ أأنثى أنت أم ذكرُ

فقال الربيع:

لكن سهية أدرى يومَ زرتُكم

ومرّ الفرزدق بباب المكاري، فقال:

وكمْ من هنٍ يا بابُ ضخمٍ حملته ... على الرحل فوق الأخدري المراكبُ[2]

فقال باب:

قد حملت النوارَ فيمَن حملْتُ

فقال الفرزدق: غلبني والله.

ولما قال مسكين الدارمي:

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليه قبلي ينزلِ القِدرُ

قالت امرأته: نعم، لأن القدر والنار للجار.

---

(١) الخنى: الفحش

(٢) الأخدري: نوع من الحمر الوحشية.

ولما قال إبراهيم بن هرمة

لأمنع العود بالفصال ولا أبتاعُ إلا قريبة الأجلِ[1]

قال المزيد صدق ابن الخبيثة فإنه يشتري شاة الأضحية فيذبحها من ساعته. وتبجح رجلٌ فقال: إن أبي ممّن قال فيهم شاعر.

يقومُ القعودُ إذا أقبلوا

فقال له: صدقت، لأنه كان بين يديه حمل شوك

● من قصدَ مدحاً فاتفق منه هجوٌ

عيب على جرير قوله:

تعرضت تيم لي عمداً لأهجوها كما تعرّض لإست الخارىء المدرُ[2]

فقيل: جعل نفسه إست الخارىء ولو هجى بهذا لكان كثيراً. وقد تقدم في هذا المعنى باب في كتاب الشعر.

● التهديدُ بالهجاء

لما هجا جرير حنيفة بقوله:

إن اليمامة أضحت لا أنيس بها إلا حنيفة تفشو في مناحيها

لقيه عطية بن دعمل الحنفي، فقال يا جرير: إنك قد عرفت نصرة الفخم وإن لي سيفاً يختصم الجرور فوالله لئن عدت لهجاء قومي لأسيلنه منك بشرطين، فقال: لا أنطق بعد هذا فاعف هذه المرة.

وتهدد الفرزدق رجلاً بالهجاء فقال له قل واصدق فقال إذاً أقول خيراً

قال أبو القاسم بن أبي العلاء:

دع الفضائح تختفي والليثُ في الغيل رابضٌ

وله:

لا تخرجني من خيمي فتنكرني وتؤذي النّاسَ أحياءً وأمواتا[3]

كأنني بك قد ضيّعتَ موعظتي وجئتني نادماً والأمر قد فاتا

---

(1) العود المسن من الجمال والشاء ـ الفصال: الفطم

(2) المدر: الطين اللزج الذي لا يخالطه رمل.

(3) خيمي خيري

(٣)
وممّا جَاء في الغيبة والنّميمة

●

● حقيقةُ الغِيبة

قال محمد بن عبيدة: الغيبة أن تغتابه إذا أقلع لا أن تغتابه وهو مقيم على فسقه، **ولذلك قال النبي ﷺ**: ليس للفاسق غيبة. **وقال عليه الصلاة والسلام**: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته. **وقيل**: ما قلته في وجه الرجل ثم تقوله من ورائه فليس بغيبة. **وقال بعض الفقهاء**: الغيبة أن تذكر الإنسان بما فيه من العيب من غير أن تحوج إليه، وفي ذلك احتراز مما يقول الشاهد عند الحاكم

● ذمّ الغيبة والنميمةِ وفضلُ تركهما

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1] فما رضي بأن جعله آكلاً لحم أخيه حتى جعله ميتاً. **وقال النبي ﷺ**: الغيبة أشدّ من الزنا لأن الله تعالى يتوب على الزاني ولا يغفر الغيبة إلا بتحليل صاحبها. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار.

وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز. وقال المأمون: حسبك من الغيبة أن ليس في الدنيا صدق مذموم غيرها

وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[2]، **وقال النبي ﷺ**: لا يدخل الجنة قتات[3]، وقال: النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء، وقال: من قلّ ماله وكثر عياله وحسنت صلاته ولم يغتب المسلمين كان معي يوم القيامة كهاتين. **وقال**: عذاب القبر من ثلاثة من الغيبة والنميمة والبول. **وقيل**: الساعي غاش وإن قال قول المنتصح. **وقال ابن أكثم**: القول بالمحاسن في المغيب فريضة على كل ذي نعمة. **وقال المأمون لابنه العباس**: قلّم أظفارك من جليسك فأخس الناس من دمّى جليسه بظفره، **قال ولله در القائل**:

لا أخدشُ الخدشَ بالجليس ولا ... يخشى جَليسي إذا انتشبَتْ يدي[4]

● من امتنعَ أن يجعلَ مغتابَه في حِلّ

قال رجل لابن سيرين: قد نلت منك فاجعلني في حلّ، **فقال**: لا أحل ما حرم الله

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ١٢.
(٢) القرآن الكريم: القلم/ ١١
(٣) القتات: النمام والمفسد
(٤) انتشبت: اعتلقت به.

عليك. وقيل للحسن: إن الحجّاج كان يذكرك بسوء، قال: علم ما في نفسي له فنطق وعلمت ما في نفسي له فسكت، وكل امرىء بما كسب رهين.

● من سمحَتْ نفسُه بأن يجعَل في حِلّ

كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا خرج يقول: اللهم إني قد تصدَّقت بعرضي على عبادك، وقد روي عن النبي ﷺ ذلك. وقال كثير

هنيئاً مَريئاً غير داءٍ مخامر لعزّة من أعراضنا ما استحلّت[1]

وقيل لرجل: فلانٌ شتمك وعابك، فقال: هو في حلّ. فقيل: اتحل من يغتابك وبه يقل ميزانك، فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني.

● من قلّت مبالاتُه بمَن اغتابَه

قيل لفيلسوف: فلانٌ يشتمك بالغيب، فقال: لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبالِ به، قال:

وإنّ الذي يُؤذيك منه استماعهُ وإن الذي قالوا وراءك لم يُقَلِ

قال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي أحد إلا عابك، فقال

إذا رضيتْ عنّي كرامُ عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لئامُها

وقيل للأحنف: فلانٌ اغتابك، فقال:

ربّ من يعيبُه امترؤ وهو لميم بخطرٍ ببالي
قلبُهُ ملآنُ من غيظي وقلبي منه خالِ

وقيل لأعرابية: فلانة تقع فيك، فقالت: دعوها فشكاتها ومكاتها عندي سواء. وقيل لرجل: فلانٌ يغتابك، فقال دعني يرفضني الله بذلك، فمن أكثرت فيه الوقيعة رحمه الله فإن بني أمية لعنوا علياً على المنابر فما زاده الله إلا رفعة.

وحُكي عن بعض الشاعر البغدادي أنه قيل له: إن فلاناً يعتابك، فقال: لا ضير أنه أراد أن يمتحن ودّي. وقيل: لآخر ذلك، فقال:

ولم يمحِ من نورِ النبيّ أبو جَهْل

● ذمّ ناقصٍ يغتابُ فاضلاً

قيل: كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً، وهو يقع في الصالحين.

قال شاعر:

عشيشةٌ تُقرضُ جِلْداً أملسا

---

(1) مخامر المرض: خالط جوفه.

وقال المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وقال الموسوي:

عاداتُ هذا الدهرِ ذمّ مفضلٍ ... وملامُ مِقدامٍ ونقصُ جوادِ

وكأنه من قول الآخر:

وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمدَحُ

ونحوه قول الآخر:

إنما الغيبة تلقيحُ الشرَف

● **من رمى غيرَه بعَيبه**

رمتني بدائها وانسلت خير بجير مجره، سبي بجير خيره. وقيل: أتبصر القذاة في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك.

● **اغتيابُ المرءِ غيرَه يدلّ على عيبه**

قيل: من وجدتموه عيّاباً وجدتموه معيباً، لأنه يعيب الناس بفضل عيبه، وفي ذلك قال:

ويأخذُ عيبَ المرءِ من عيبِ نفسه ... مرادٌ لعمري ما أراد قريبُ

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي، فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس، فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيبي، فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية، أعرف الناس بعوار الناس المعور.

● **تشهي الغيبةُ واستطابتُها**

قال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام، فقال: لو تلمظت به ما صبرت عنه. وقال رجل لبنيه: إذا اجتمعتم فميكم حديث أنفسكم ودعوا الاغتياب، فقال أحدهم: نحن نحتاج في هذه السنة إلى كذ وكذا ونعمل ونصنع كذا وكذا، فقد فرغنا من حديثنا فبماذا نشتغل؟ وقيل: الغيبة فاكهة النساك والقرّاء. وقصد رجل ابن عمه مسترفداً لحق له فأحسن إليه فلما عاد سئل فقال: منعني التلذذ بالغيبة والشكوى. ونحوه قول الآخر:

فقضت حاجتي معجلة ... فجعتني بلذة الشكوى

● **من اغتابَ فاغتيبَ**

قيل: من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه، وقيل: بحثك عن عيوب الناس

يدعو إلى بحثهم عن عيوبك، وقال آخر:

ومـن دعـا الـنـاسَ إلـى ذمّـه ... ذمّـوه بـالـحـقّ وبـالـبـاطـلِ

وقال الكلوشي:

تحللت بالسبّ لما رأيت ... أذيتك صحّ ومن سبّ سُبّ
فإن لم نجدْ فيكَ منْ مغمَزٍ ... سلكْنا إليكَ طريقَ الكذب

وقال الشطني

لا تكشفنّ مساوىء النّاسِ ما ستروا ... فيهتك اللّهُ ستراً عنْ مَساويكا

● النهيُ عن استماعِ الغيبة

قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب: ويلك نزّه أذنك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به. قال شاعر:

وسمعَكَ صُنْ عنْ سماعِ القَبيح ... كصَونِ اللسانِ عن النُّطقِ بِهِ

وقال آخر:

والسـامِعُ الذمّ شريكٌ لـه ... والمُطعِمُ المأكولَ كالآكلِ

وقال: الفضيل الرجل يقول سبحان الله وأحسن عليه بذلك النار وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها وقيل: إذا رأيت من مغتاب الناس فاجهد جهدك أن لا يعرفك، فأشقى الناس به معارفه.

قال إبراهيم بن المهدي:

من نمّ في النّاسِ لم تؤمن عقاربُه ... على الصّديقِ ولمْ تؤمَنْ أفاعيه(١)

● الممدوحُ بصيانةِ مجلِسه عن الغيبة

مدح بعضهم رجلاً فقال: ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن النميمة

قال كعب الغنوي:

إذا ما تراآه الرجالُ تحفّظوا ... فلمْ تنطِقِ العوراءَ وهو قريبُ(٢)

ومثله قول البهلول:

نبئتُ أن النار بعدك أوقدت ... واستبّ بعدك يا كليب المجلسُ(٣)

● الحثُّ على التثبّتِ فيما يُسْمَعُ من السعاية

وُشي برجل إلى بلال فلما أتي به، قال: قد أتاك كتاب من الله في أمرنا فاعمل به،

---

(١) العقارب والأفاعي دلالة على فعل الذي يغتاب.

(٢) العوراء: الكلمة القبيحة (٣) استبّ المجلس: استب بعضهم بعضاً، شتم.

قال الله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، فقال: صدقت. وأبلغ ملك عن رجل منكراً فأمر بقتله، فقال: إن قتلتني ومن سعى بي كاذب يحظم وزرك، وإن تركتني وهو صادق قلّ وزرك، وأنت من وراء ما تريد، والعجلة موكل بها الزلل فأمر بإبقائه والفحص عن أحواله.

قال كثيِّر:

وإن جاءك الواشون عني بكذبةٍ ... فروها ولم يأتوا لها بحويلِ[2]

فلا تعجلي يا عزّ أن تتبيني ... بنُصحٍ أتى الواشون أم بحولِ[3]

● من سأل صاحبه أن لا يصغي إلى السعي

لما أراد عبد الملك بن صالح الهاشمي الخروج إلى الشأم استدعى حوائجه من جعفر بن يحيى، فقال: أسألك أن تكون لي كما قال ابن النّعينة:

فكوني على الواشين لداءِ شغبةٍ ... كما أنا للواشي ألدُّ شغوبُ[4]

فقال له جعفر أكون كما قال الآخر:

وإذا الواشي أتى يسعى بها ... نفع الواشي بما جاء يضرُّ

● من بكّت الساعي به ودلّ على بُطلان قوله

سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر فأحضره، فقال: إن رأيت أن تسأله أمراً ائتمنته عليه فخانه أم كذب بقوله فالخائن والكاذب لا يقبل قولهما. ووشى واشٍ إلى زياد بن همام وقال: إنه هجاك فأحضره وعممه، فقال: كلا. فقال: أخبرني بذلك الثقة، فقال: الثقة لا يكون نماماً فأحضر الساعي وجبهه بذلك، فقال:

وأنتَ امرؤٌ ما ائتمنتُك خالياً ... فخنتَ وما قلتَ قولاً بلا عِلْمِ

فأنتَ منَ الأمرِ الذي كان بيننا ... بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثمِ

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: فلان قال فيك كذا، فقال: الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب فيّ ونزّهني عن الصدق فيه.

● من ردّ السعاية على الساعي وبكّته

كان الفضل بن سهل يبغض السعاة، فإذا أتاه ساعٍ، يقول: إن صدقتنا أبغضناك وإن كذّبتنا عاقبناك وإن استقلتنا أقلناك. ودخل رجل على عبد الملك، فقال: هل من خلوة فأقبل عبد الملك على أصحابه، وقال: إذا شئتم، فقاموا. فقال له عبد الملك: اسمع لا

---

(1) القرآن الكريم، الحجرات/ 6.

(2) فرى عليه الكذب: اختلقه ـ الحويل: الشاهد.

(3) الحول: الداهية.

(4) الشغبة والشغوب: المثير للفتنة والشرّ.

تمدحني في وجهي فإني أعرَف بنفسي منك ولا تكذبني فليس لكذوب رأي ولا تسعين بأحد إليَّ، فقال الرجل: أأنصرف، قال إذا شئت، فقام وانصرف.

ووقع عبد الله بن طاهر في قصة ساع سيعمر أصدقت أم كنت من الكاذبين؟ ورفع رجل قصة إلى أنوشروان أن رجلاً من العامة دعاه إلى منزله فأطعمه طعام الخاصة فوقّع في قصته قد أحمدنا فعلك فيما تأتيه وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه. ووقّع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح: قد سمعنا ما كره الله فانصرف لا رحمك الله. ووقّع السماح في قصة ساع: أنت ظاهر السعاية قليل الكفاية. وسعى إلى عبد الملك بن مروان في عبد الحميد فوقّع:

أقـلّـوا عـلـيـه لا أبـاً لأبـيـكـم   من اللوم أو سُدّوا المكانَ الذي سدّا

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: ما زال القوم في ثلبك إلى الساعة، فقال: يا أمير المؤمنين لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والله وليّ جزائه وعقابك من ورائه فما الذي قلت لهم، قال قلت:

وسـعـى إلـيَّ بـعـيـبِ عـزّةَ نـسـوةٌ   جـعـل الإلـه خـدودَهـنّ نـعـالَـهـا

وقال الموسوي:

وأوطأت أقوالَ الوشاة أخامصي   وقد كان سمعي مدرجاً للنمائمِ[1]

● قلّة التخلّص من اغتياب الناس وذمّهم

سأل بعض الأنبياء ربه عزّ وجلّ أن يدفع عنه ألسنة الناس باغتيابه وذمه، فقال: هذه خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك. وقيل: ليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل فانظر إلى ما فيه صلاحك فالزمه. قال شاعر:

إذا كنتَ مليحاً مُسيئاً ومحسناً   فغشيانُ ما تهوى من الأمرِ أكيَسُ[2]

● ذمُّ ناقلِ الغيبة

قيل: الرواية أحد الشاتمين، وقيل من بلّغك فقد سبّك، قال:

مـبـلّـغُـك الـسـوء كـبـاغـيـه لـكـا

وقيل لحكيم: فلانٌ عابك بكذا، فقال: لقد لقيتني نفحتني بما استحى الرجل من استقبالي به. وقيل: ما ضرّت كلمة ليس لها محاصب. ويدخل في هذا الباب قول الشاعر:

وأنـتَ امـرؤٌ مـا ائـتـمـنـتُـك خـالـيـاً

البيتين وقد تقدما.

---

(١) أخامصي: جمع أخمص، وهو باطن القدم.

(٢) الغشيان: الإتيان ـ أكيس: من الكيس وهو العمل الحسن.

وكان أبو ضمضم إذا قعد للحكم يقوم بإزائه رجل يعلق نوادره فعلم بذلك أبو ضمضم فرماه يوماً بلوح في يده فشجّه، فقال له بعضهم: ما أصاب فقال استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب.

● الموصوفُ بالنميمة

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾. وقيل: فلان أنم من الزهر.

قال ابن الرومي:

أنمّ بما استودعته من زُجاجةٍ ... ترَى الشيءَ فيها ظاهراً وهو باطن

وقال آخر:

قد كانَ صدرُك للأسرار جندلةً ... ضنينةً بالذي تحوي نواحيها[1]

فصارَ من بثِّ ما استودعت جوهرةً ... رقيقةً تستشفُ العينُ ما فيها

وأنكر بعضهم لمحة جليس له فنسبه إلى النميمة، فقال: ما نطقت ولكن رمقت ورب عين أنمّ من لسان وطرف، أشد من سيف وأوجع من حتف. وقال الرشيد لأبي عمرو الشيباني: فلان نم بك فقال: يا أمير المؤمنين إن فلاناً لو كان بينك وبين الله واسطة لسعى بك إليه. وقال أعرابي: فلان نميمة منتمة وظنينة مسمعة.

قال العباس بن الأحنف:

أناسٌ أمناهم فنمّوا حديثنا ... فلمّا كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا

من قول أبي نهل:

أمنا أناساً كنت قد تأمنينهم ... فزادُوا علينا في الحديثِ وأوهمُوا

وقالُوا لنا ما لمْ نقُلْ ثم أكثروا ... عليّ وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ

● من اغتابَ غيرَه فرآه

اغتاب أعرابي رجلاً فالتفت فرآه، فقال: لو كان خيراً ما حضرته. ويقال لمن حضر إذا ذكر غائباً بشر: اذكر الكريم وافرش له اذكر الكلب وهيىء له العصا.

● الحثّ على التحرز ممّا يقتضي الغيبة

قال الحسن رضي الله عنه: من دخل مداخل التهمة لم يكن له أجر الغيبة. وقيل: من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن واغتابه.

---

(١) جندلة: صخرة ـ الضنين: البخيل والحريص على الشيء.

● من لا يحرُم اغتيابه

قال النبي ﷺ: للفاسق غيبة، وقال: اذكروا الفاسق بما فيه. وقال: لا غيبة لثلاثة فاسق مجاهر وإمام جائر ومبتدع فاجر.

● نوعٌ من ذلك

روي فيما أظن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال. سعى رجلان بمؤمن آل فرعون إليه وقالا إن فلاناً لا يقول إنك ربه، فأحضره فرعون وقال للساعيين. مَن ربكما فقالا: أنت، وقال للمؤمن: من ربك فقال. ربي ربهما، فقال سعيتما برجل على ديني لأقتله، لأقتلنكما، وأمر بهما فقتلا، فذلك قول الله عز وجل ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ جرى بين عتبة بن رؤبة وبين بشار شيء، فقال عتبة أتقول لي كذا وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ فقال أقول لك ذلك ولو كنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(٤)

وممّا جاء في التحية والأدعية والتهنئة

● الحثّ على التحية ووصفُ فضلها

قال النبي ﷺ: إذا التقيتم فابدؤوا بالسلام قبل الكلام، ومن بدأ بالكلام فلا تجيبوه وقال ﷺ: بلوا أرحامكم ولو بالسلام. وقال بعضهم. بذل السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة واكتساب أخوة بأهون عطية.

قال شاعر:

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيْتَ ممّا ... يـزرعُ الـودَّ فـي قـلـوبِ الـكِـرام

عن تحية فقال هدية فلاناً وقال رجل لآخر. أبلغ حسنة ومحمل خفيف.

● الحثّ على الجواب

روي أن التحية نافلة والجواب فريضة ويدل على ذلك قوله تعالى. ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1] ومر رجل بقوم فسلم فلم يردّوا عليه، فقال. يا عجباً ممن حولتهم نافلة فسمعوا عني واجباً وسلم نصراني على الشعبي فقال: وعليك السلام ورحمة الله، فقيل: أتقول ذلك لنصراني؟ فقال أليس في رحمة الله يعيش؟ وقال ﷺ: أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام.

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٨٥

● ذمّ من يَبْخَلَ بالتحية وعلوّه

أنشد ثعلب:

ومالك نعمَةٌ سلفَت إلينا فكيف نراك تبخَلُ بالسّلامِ

وقال كشاجم:

إذا كاتبُوا صادفُوا في الدعا كأنّ دعاءهم مستجاب

وأنشد المبرّد:

إذا لم تجُدْ بجميلِ الكلام فما الذي بخله تبذُلُ؟

وقال آخر:

يا جواداً بالسّراء وبخيلاً بالدعاءِ

متمضّل بأحب الفضلِ بتفخيم الثناء

وسلم آخر على رجل سوطه فلم يجبه، فقيل له في ذلك، فقال: سلم عليّ بالإيماء فرددت عليه بالضمير:

لقد مرّ عمروٌ على مجلسي فسلّمَ تسليمَةً خافيه

لئِن تاه عمرو بفضل الغِنَى لقدْ فضّل اللّهُ بالعافيه

وقيل: من بدأ مبعضاً بالسلام فهو أبعض منه. وقال ابن المقفع: لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تتهاونن بالبشاشة والهشاشة، فإن أحدهما كبر والآخر سخف. وقال الشعبي: انتهت التحية إلى قولهم وبركاته. ولقي رجل أبا العيناء فقال أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك، فقال: هذا العنوان ما هو. وقال المتنبي في عدم تحقيق السلام:

أقلّ سلامي حُبّ ما خفّ عنكم وسكت كيما لا يكونُ جواب

● مواضِعُ التسليم

جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فقال ﷺ: إذا أتيتني على هذه الحال فلا تسلم عليّ، فإنك إن فعلت لم أرد عليك وقال ﷺ: إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم، فإن قام والقوم جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحق من الأخرى. أتى أبو معكم الأسدي النبي ﷺ فقال:

يقولُ أبو معكم صادقا عليك السلامُ أبا القاسِم

فقال ﷺ: إن عليك السلام تحية الموتى وكذ يقال للميت نحو، عليك سلامُ الله قيس بن عاصم. ودخل الحسن بن الكلبي على عبد الله بن جعفر فأنشد:

عليك السلامُ أبا جعفر ولست بهر لدى المحضَرِ

فقال: أخطأت حييتني بتحية الموتى، وقد أمكنك أن تقول:

سلامٌ عليك أبا جعفر

قال:

ألا طرقتنا آخرَ الليل زينبُ ... عليكَ سلامٌ هلْ لما فاتَ مطلَبُ

فقلْتُ لَها حييتِ زينبُ حِذْلكم ... تحيةَ موتى وهو في الحيّ يشْرَبُ

● ذمُّ تحية مِنْ لا نفع لديه

قال شاعر:

وما مرحبٌ إلا كريحٍ تنسمت ... إذا أنتَ لم تخلُط نوالاً بمرحبٍ[1]

وقال آخر:

إذا كانَ ردّ المرءِ ليسَ بزائدٍ ... على مرحَبا أو كيفَ أنتَ وحالُكا

فلمْ يكُ إلا كاشِراً وموارباً ... فأفّ لودٍّ ليسَ إلا كذلِكا[2]

● التسليم

دخل رجل على أمير المؤمنين كرّم الله وجهه فقال: السلام عليك سلاماً تتصل آماله سمعك أبداً ما بقيت من وليك بطوع قلبه وصدق وده، ومن عدوك برغم أنفه وذل حدّه.

● في التلبية

لبيكَ إذْ دعوتَني لبيْكا ... أحمَدُ ربّاً ساقَني إليْكا

● حمْد المصافحة والحثُّ عليها

قال النبي ﷺ: إذا لقي المؤمن المؤمن فصافح أحدهما الآخر تناثرت الخطايا بينهما كما يتناثر ورق الشجر. وكان ﷺ إذ صافحه إنسان لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده وقيل: المصافحة تزيد في المودة.

قال شاعر:

تصافحتِ الأكفُّ وكانَ أشهى ... إليْنا أن تصافحتِ الخدودُ

نعيشُ إذا التقى كفٌّ وكَفٌّ ... فكيْفَ إذا التقَى جِيدٌ وجِيدُ

وقال آخر:

وصافحْتُ من لاقيتُ في البيت غيرها ... وكلّ الهوى منّي لمَنْ لا أصافِحُ

وقال القصافي:

قد أحدثَ الناسُ ظرفاً ... أرْبَى على كلّ ظرفِ

كانُوا إذا ما تلاقَوا ... تصافَحُوا بالأكفّ

---

(١) النوال: يقول: لا تكفي كلمة الترحيب ما لم ترفق بنوال وعطاء.

(٢) كاشر: ضحك في وجهه وكشف عن أسنانه

فأحدثوا اليومَ لشم الـ ... ـمخدود والملثم يشفي
فعززتُ ألثمُ خدّه ... من طريق التحفّي[1]

- **بقية باب حمدِ المصالحة والحثّ عليها**

قيل لرجل من قريش: كيف حالك؟ فقال: حال من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه. قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية: كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحتُ والله في مضيقِ ... هل من دليلٍ إلى طريقِ

ولها باب في غير هذا الموضع.

- **جوابُ من سُئل من الصالحين عن حالهِ فشكا علّة أو حالةً منكرة**

قيل لأبي عمرو بن العلاء رضي الله عنه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت، كما قال الربيع الفزاري:

أصبحتُ لا أحملُ السلاح ولا ... أملكُ رأسَ البعير إن نفرا
والذئبُ أخشاه إن مررتُ به ... وحدي وأخشى الرياحَ والمَطرا[2]

وقيل للحسن بن وهب: قال: أصبحت على لنشاط كالّ[3] القريحة صدىء الذهن ميت الخاطر من سوء اختيار الزمان وتغيّر الإخوان. وقيل لمحارب بن دثار، فقال: كما قال الأعشى:

ولكنّ أراني لا أزالُ بحادثٍ ... أغادي التي لم تمس عندي وأطرقُ[4]

وقيل لأبي العالية الشامي: كيف أنت؟ فقال: على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس، لأن الله يحب أن أطيعه وأن أعصيه، وإبليس يحب أن أتعاطى ضروب الخسارة ولست كذلك، وأنا أحب أن يكون لي ثروة وصحة وليس كذلك. وقال أبو حزابة ليزيد بن المهلب: كيف الأمير؟ فقال: كما تحب. فقال: لو كنت كذلك لكنت قائماً مقامي وكنت قاعداً محلّك.

- **الدعاءُ بالرحب والسّعة**

قال رجل للأصمعي: مرحباً وأهلاً وسهلاً، فقال: أرحب الله بلدك وأهلّ رحلك وسهل أمرك. وقال رجل لخالد بن صفوان: مرحباً بك، فقال: رحب واديك وعزّ ناديك.

- **الدعاءُ بإطالةِ البقاء**

قيل: ليس في الدعاء مثل أطال الله لك البقاء وأدام لك العلاء، ومثل ذلك: عش ما شئت كما شئت.

---

(١) التحفّي: المبالغة في الإكرام وإظهار السرور.
(٢) المطر: الندى، عكس الحصر.
(٣) كال: تعب.
(٤) أطرق: أسكت ولا أتكلم.

وقال المتنبي:

بقيتَ بقاءَ ما تبغي فإنّي ... أراهُ بقاءَ يُبْلِيُل أو أبانِ

وقال آخر:

فلا زالتِ الشمسُ التي في سمائِه ... مطالعةَ الشمسِ التي في لِثامِهِ[1]

ولا زالَ تجتازُ البدورُ بوجهه ... فتعجبُ من نقصانِها وتمامِه[2]

وقال عمارة:

فذا العرشُ زِدْ في عمرِه من صلاتِنا ... وأعمارِنا حتّى يطولَ له العُمْرُ

وقد نسب قوم: أطال الله بقاءك وجعلني فداءك إلى الإحالة. وقد روي أن أول من خاطب بذلك أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه.

● التفدية

قال ابن برقة:

أفديكَ بلْ أيامُ عمري كلُّها ... يفدينَ أياماً عرفتُكَ فيها

وله:

نفسي فداؤكما وقلت في الورى ... فلسيّد المخدومِ نفسُ الخادمِ[3]

وقال آخر:

بنفسي أنتَ لا بأبي فإنّي ... رأيتُ الجودَ بالآباء لُؤما

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جعلني الله فداءك، فقال:

إذاً يطبل الله هوانك

وقال يعقوب بن الربيع:

فلو أنني إذ كانَ وقتُ حمامِها ... أحكَّمُ في عمري لشاطرتُها عُمْري[4]

فحلّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً ... فماتَتْ ولا أدري ومِتّ ولا تدري

وقال الخوارزمي:

أطالَ اللّهُ أعمارَ المعالي ... وذاكَ بأن يطولَ لكَ البقاءُ

---

(١) المطالعة: المشاركة في الطلوع ـ الشمس في لثامه: يعني وجهه ـ الشمس التي في سمائه: شمس الطبيعة التي فوقه.

(٢) البدور: جمع بدر، وهي تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاماً.

(٣) الورى: الخلق. (٤) حمامها: موتها.

ولا زالـت تُـمَـدُّ إلـيـك كَـفٌّ　　بـمـصـاعـنـهـا ثـنـاءٌ أو دعـاءُ
وإن رضـيَ الـزمـانُ بـمـثـل روحـي　　فـداء عـنـك فـهـي لـكَ الـفِـداءُ

وقال أبو سعيد الرستمي:

وقاكَ بنو الدنيا جميعاً صروفهم　　جميعاً فإن الجفن من خدَم النَّصْلِ

وقال آخر:

فداؤكَ مالي فهو منك ومهجتي　　فإنك قد أقررتَها في جَوانحي[1]

قال إبراهيم الصولي: إن قولهم قدّمني الله قبلك مأخوذ من قول الأقرع بن حابس:

إذا ما أتى يومٌ يفرّق بيننا　　بموتٍ فكُنْ أنتَ الذي تتأخّرُ

وقال منكة الطبيب الهندي ليحيى بن خالد البرمكي: لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت، وهذا يجوز على سبيل الدعاء له.

● الدعاء بصبّحك اللّهُ بخير

كانت العرب تحيا في الجاهلية بقولهم:

صـبّـحـك الله بـخـيـر بـاكـر　　ولـحـم طـيـر وشـراب خـازر[2]
قبل طلوع الشمس للمسافر

صبّحك الإفلاح بكل خير ونجاح، صبّحك الخير وحسُن الصبر وقوّى منك الأثر.

وقال رجل لآخر: كيف أصبحت؟ فقال بخير، فقال: هلا قلت: أحمد الله وأستعمره فكان أوله شكراً وآخره عبادة، صبّحتك الأنعمة بطيّبات الأطعمة.

● الدعاء بكبْتِ العدا والحسّاد والإعاذة من شماتتهما

قال أعرابي: أراك الله في عدوك ما يعظمك عليه وقالت امرأة لرجل كبت الله كلّ عدو لك إلا نفسك، وإنما أرادت بذلك قول النبي ﷺ: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سنّ العدو، أعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الأعداء وزوال النعمة ومجاءة النقمة.

قال الصاحب لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر سحق مضمحل وقال الخوارزمي:

ولا زالَـت عـداك بـكُـلّ أرضٍ　　لـهُـم مـن سـوءِ ظنّـهـم نـذيـرُ
قـصـيـرٌ نـهـارِهـم خـوفٌ طـويـلٌ　　بـهـم وطـويـلُ عـمْـرِهِـمْ قـصـيـرُ

---

(1) جوانحي: أضلاعي لجهة الصدر.　(2) خازر: اسم لنهر.

وقال المتنبي:

وأراكَ دهرُك ما تحاوِلُ في العِدى ... حتّى كأنَّ صروفَها الأقدارُ[1]

- **الدعاءُ ببلوغِ الأمل**

قال شاعر:

أنالك ربّك ما تأمله ... وحقّق لك اللهُ ما تسأله

قال الموسوي

ظفِرْتَ بما اشتهيْتَ من الليالي ... وأُعْطِيتَ المُرادَ من الأماني

- **الدعاءُ بأن جعلَ الله له النعَم وأدامَها عليه**

زادك الله كما زاد بك وأعطاك أكثر مما أعطى منك، وقال ابن القرية: لا زلت في رحب من البال وثروة من المال في غبطة وسرور وبعد من المكروه والشرور. أعطاك تعالى حتى ترضى وزادك بعد الرضى وتوفر لك من سعته ما لا تهتدي لمسألته ولا يحيط قلبك بمعرفته، وجعل ذلك موصولاً بالثواب مدّخراً للمحسنين. أنعم الله عليك بما يعجز عنه شكرك ولا أبلاك بما يضيق عنه صدرك، منحكم الله منحة لا تغار ليست بجداء ولا نكراء ولا ذات داء. جعل الله نعمتك نعمة مخلّدة لا عارية مستردة

قال المتنبي:

أتمّ سعدَك من لقّاك أوّلَه ... ولا استردّ هباتٍ منك معطيها

وقال علي بن الجهم:

أتمّ الله نعمتَه علينا ... فإنّ تمامَه نعمٌ علينا

- **الدعاءُ بزيادةِ النعماء والعلاء**

قال المتنبي:

إن كانَ فيما نراهُ من حسَنٍ ... فيكَ مزيدٌ فزادكَ اللهُ[2]

وقال أبو تمّام:

إسمَعْ أقامتْ في ديارِكَ نعمَةٌ ... خضراءُ ناعمةٌ ترِفُّ رفيفا[3]

وقالت عنان جارية الناطفي:

نعم إذا النعم انتقلْن تخيّمَتْ ... وإذا نَفَرْن عدت عليك ألوفا[4]

---

(١) صروف الدهر: حوادثه. يدعو له بالظفر حتى تصير صروف الدهر أعواناً له على الأعداء.

(٢) من حسن: وفي رواية من كرم - يقول لممدوحه: بلغت الغاية من الحسن أو الكرم، فإن كان سبيل إلى الزيادة، فزادك الله منه.

(٣) وفي رواية: ناضرة في موضع ناعمة. (٤) تخيّمت: أقامت في المكان.

وقال آخر:

أيـا رب زدهُ نـعـمـةً وكـرامـةً ... عـلـى غـيـظ أعـداءٍ وإرغام حـاسـدِ

● الدعاءُ بأن يقيه الله من الفقر ويجعلَ له سعةً من اليُسْر

جعل الله لك في الخير جداً ولا جعل معيشتك كدّاً، أعاذك الله من القنوع والخضوع والخنوع، أعاذك من بطر الغنى ومذلة الفقر، جعل الله لك رزقاً واسعاً وجعلك به قانعاً، وهب الله من غناه ما لا يقدر عليه سواه. قال رجل لمسروق بن الأجدع: أعاذك الله من خشية الفقر وطول الأمل ولا جعلك ردية السفهاء وشيناً على الفقهاء.

وقال أعرابي: رزقك الله من غير طلب شديد ولا سفر بعيد، جعلك الله في الرزق حولاً لغيرك.

● الدعاء بالتوفيق والإعاذة من الشرور

فرّغك الله لما له خلقت ولا شغلك بما تكفل به لك. وقال سعيد بن المسيب: مرّ بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي، فقال لي: رغبك الله في ما يبقى وزهدك في ما يفنى أعاذك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد ومخالفة الهدى وسِنة الغفلة وإيثار الباطل على الحق، وأعاذك من سوء السيرة وإخفاء الضميرة ومن شماتة الأعداء والفقر إلى غير الأكفاء ومن عيشة في شدة وميتة من غير عدة ومن سوء المنقلب وحرمان الثواب وحلول العقاب.

وقال أعرابي: أعاذك الله من هول المطلع وضيق المضطجع وبعد المرتجع.

وقال آخر: أعانك الله على الدنيا بالسعة وعلى الآخرة بالمغفرة.

قال المتنبي:

فلا تنلْكَ الليالي إنّ أيديها ... إذا ضربْنَ كسَرْنَ النَّبْع بالغربِ(1)

ولا تـعـنّ عـدواً أنـت قـاهـرُه ... فإنّهنّ يصِدْن الصَّقْر بالخَرَبِ(2)

وقال ابن الرومي:

فـداكـم بـالـمَـدْح كـلّ قـصـيـدةٍ ... ولا قصدتْكم بالمَراثي القصائدُ

وقال أبو محمد الخازن:

لا زال ألـسـنـةُ الـقـريـض نـواطـقـاً ... تـخـدمْـن مـجـدَك بـالـثـنـاء الأفـصـح

● تهنئةٌ بولاية

أهنيء بك العمل الذي وليته ولا أهنئك به، لأن الله تعالى أصاره إلى من يورده موارد الصواب ويصدره مصادر الحجة. لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه شاب من الأنصار، فقال: ما طيبتك الخلافة ولكن طيّبتها

---

(1) النبع: شجر صلب وقوي - الغرب: الشجر الضعيف.
(2) الخرب: ذكر الحبارى (الحبارى طائر يشبه الأوزة).

وما زينتك الولاية بل زينتها، فأنت كما قال:

وتزيدن أطيبَ الطيب طيبا

وقال إبراهيم بن العباس:

ما حدثتْ لكَ من نُعمى وإن عظمتْ ... إلا يصغرُها القدرُ الذي فيكَا

لا زلتَ مستحدثاً نُعمى تُسرّ بها ... على الليالي ولا زِلْنا نُهنّيكَا[1]

وقال ابن الرومي:

قل لكَ الملكُ ولو أنه ... مجموعةٌ فيه الأقاليمُ[2]

والله يبقيكَ لنا سالماً ... يأتيكَ تبجيلٌ وتعظيمُ

وقال أبو الغمر:

ليهنكَ الفتحُ مشموعاً حساً وركا ... وصحبتكَ الليالي غضةً ضحكا

● تهنئة بنيروز

قال شاعر:

أنعم بنيروزك وابهج به ... متفت ألما مثله بعده[3]

أهدى بعض الأدباء يوم نيروز ورداً وسهماً وديناراً ودرهماً فقال:

لا زلت كالوردِ لديكَ المسلم ... ونافذاً مثلَ نفاذ الأسهُم

في عزِّ دينارٍ ونجحِ درهم

● تهنئة بمهرجان

قال المهلب بن مالك:

جاءك المهرجانُ يختالُ طلقاً ... في هواء صافٍ وفي زعفرانه

نلت فيه الذي به نال افريدون من رغم حاسدٍ وهوانه

● تهنئة بزفاف

نهى النبي ﷺ أن يقال بالرفاء والبنين، وكان يقول: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينما بخير. وهنأ ابن القرية الحجاج، فقال: أقرّ الله عينك ورزقك ودها وولدها وجعلك الباقي بعدها.

قال ابن الرومي:

سيدةٌ زُفّت إلى سيدٍ ... أبدلنا اليُسرَ من العُسرَه

ألف بالتوفيق شملاهما ... في نعمةٍ تمت وفي حبره

---

(١) نهنّيكا: نبارك لك بما استحدثته. (٢) الأقاليم: المناطق من البلاد.

(٣) النيروز: عيد النيروز وهو عند الفرس بمثابة عيد الربيع.

عــمّــره الــلّــهُ وأبــقــى لــهُ   ركــنَــيْــه مــن عــزٍّ ومــن قُــدْرَه

● تهنئة بولد

قال شبيب بن شبة للمهدي: أراك الله في بنيك ما رأيته في أبيك. وقال رجل عند الحسن: ليهنك الفارس، فقال: لعله يكون بغالاً، قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ورزقت رشده وبلغ أشده. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل معه صبي فقال: أهذا ابنك؟ قال: نعم. قال: أمتعت الله به. وقال إسحاق الموصلي للفضل بن الربيع:

مــدّ لــك الــلّــهُ الــحــيــاةَ مــدّا   حــتــى يــكــون ابــنُــك هــذا جَــدّا
ثــم يُــفــدّى مــثــلــمــا تــفــدى   أشــبــه مــنــك ســنّــة وقــدّا

وقال الرفاء:

تملّ فارسَك المذكورَ في شِيَم   بمثلها الذكرُ الصمصامُ مذكُورُ[1]
وافى ومولدُه الوافي بخبّرُنا   بأنه ناصرٌ للمجدِ منصورُ
فعاش ما نشر الديجورُ حلّته   ومن انطوى بضياء الفجرِ ديجورُ[2]
حتى تراهُ وقدحُ السيف في يده   مثلّمٌ وسنانُ الرمح مأطورُ[3]

● تهنئة بابنة

كانوا يقولون: آنسكم الله بها العار وكفاكم منها المؤونة.
قال الصاحب:

إيّــاكَ أنْ تُــنْــكِــرَ الإنــاثَ فــكَــم   أنثــى غــدَت فــي فَــخــارِهــا ذَكَــرا

● الدعاء للمسافر

قال النبي ﷺ لرجل أراد سفراً: اللهم أطوله البعيد وهوّن عليه المسير. وكانوا يقولون: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.

قال السري الرفاء:

الله جــارُكَ ظــاعِــنــاً ومُــقــيــمــا   وظهيرُ نصرِكَ حادِثاً وقَديما[4]
إن تغْنَ كان لكَ النجاحُ مصاحبا   أو تثْوِ كانَ لكَ السرورُ نديما[5]

---

(١) الصمصام: السيف القاطع.
(٢) الديجور: الظلام.
(٣) مأطور: محني ومعطوف.
(٤) ظاعناً: مرتحلاً ـ حادثاً: جديداً.
(٥) تثوي: تقيم.

وقال المتنبي:

وإذا ارتحلتَ فشيّعتكَ سلامةٌ حيثُ اتجهتَ وديمةٌ مدرارُ(1)
وصدرتَ أغنمَ صادرٍ عن موردٍ مرفوعةً لقدومكَ الأبصارُ

وقال الخبزارزي:

رعاهُ اللهُ حيثُ غدا وسارَ وأعقبَهُ الغنيمةَ والإيابا

وقال أبو المعافاة:

ردّكَ اللّهُ إلينا سالماً بعدَ غنمٍ واغتباطٍ وظفرِ

● الدعاءُ للقادمِ من سفرٍ

قال أبو العتاهية

لا زلتَ من غُنْمٍ إلى رحلةٍ تقدمُ يا خيرَ فتًى قادمِ

وقال ابن الرومي:

لا زلتَ منْ غُنْمٍ إلى دعةٍ وأمنٍ قادما(2)

وله:

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يُمْنٍ هو البِشرُ المخفّفُ كلَّ حزنِ

وقيل لما دخل النبي ﷺ المدينة كان نساؤها يقلن:

طلعَ البدرُ علينا من ثنيّاتِ الوداعِ
وجبَ الشكرُ علينا ما دعا للهِ داعِ

● تهنئةٌ بالصَّوْم

قال الصنوبري:

نلتَ في ذا الصّيامِ ما ترتجيهِ ووقاكَ الإلهُ ما تتّقيهِ
أنتَ في النّاسِ مثلُ ذا الشهرِ في الأشهرِ بل مثلُ ليلةِ القدرِ فيهِ(3)

● تهنئةٌ بالعيد

قيل: قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل بك الخير والنعمة.

وقال ابن خلاد:

بأسعدِ طالعٍ عيّدتَ يا مَن بطلعتهِ سعادةُ كلِّ عيدِ

---

(1) ديمة مدرار: مطر غزير (الخير الكثير). (2) الدعة، الأمان.
(3) أي مبارك كليلة القدر في شهر رمضان

وقال المتنبي:

هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُه ... وعيدٌ لمَنْ سمّى وضحّى وعيّدا[1]

ولا زالتِ الأعيادُ لبسكَ بعدها ... تُسَلِّمُ مخروقاً وتُعطى مُجَدَّدا

وقال آخر:

الـمـسِ الـسـمـاءَ مـا أو ... مَـضَ بـرقٌ فـي غـمـامِ

واصِـلاً عـيـداً بـعـيـدٍ ... ودوامـاً بـدوامِ

● تهنئةٌ بخِلْعة

قال أبو بكر الصولي:

خِلَعٌ خُلِعَتْ بها قلوبُ عِداكا ... ملأتْ سروراً كلَّ من يهواكا

لا زلتَ تلبَسُ كلَّ يوم مثلها ... أبداً على إرغام من عاداكا[2]

ووقاك ربُّ الناس ما تخشاه من ... عنَتِ الزمانِ وظلمه وكفاكا[3]

● تهنئةٌ بدار

قال ابن الرومي:

دار أمـن وقـرار ... واعـتـلاءٍ واقـتـدارِ

أسستْ والطيرُ باليُمن وبالسعد جوار

خيرُ دارٍ حلَّ فيها ... خيرُ أربابِ الديار

وقديماً وفّق الله خيارَ الجيارِ

وقال القاضي علي بن عبد العزيز:

ليهنِ ويسعَدْ من به سعْدَ الفضْلُ ... بدارٍ هي الدنيا وسائرُها فضْلُ

● دعاء لتناول شيءٍ من لحيته

نزع رجل من لحية الحسن قذاة، فقال: لا بك «سوء»، وقال آخر: لا عدمت ربك نافعاً. وتناول بعضهم من لحية رجل شيئاً فقال: صرف الله عنك السوء. فقال وليك لا عاد. ورأى الفتح شيئاً في لحية المتوكل فلم يمد يده إليه ولا قال له شيئاً، بل قال يا غلام هات مرآة أمير المؤمنين فجيء بها ونظر فيها فأخذه بيده.

● وعلى العكس من هذا الباب

قال الأصمعي: نزع رجل من لحية آخر شيئاً فقال: نزع الله ما بك من نعمة. وتناول

---

(١) سمّى: أي ذكر اسم الله عند الذبح. يقول إن ممدوحه عيد للعيد.

(٢) لبسك: ما يلبس استعاره للأعياد فأجراها مجرى الملبوسات.

(٣) عنت الزمان: جوره.

بشار من لحية رجل شيئاً فقال: لا يمنعني أن أقول صرف الله عنك السوء إلا محافتي أن يذهب الله بوجهك إنه سوء. ومن هذا الباب قال أبو الأسود: لا يفضض الله فاك أي لا يجعله فضاء بذهاب الأسنان. وقال بعضهم: طاب طيبك وعاش حبيبك ولا زال خير ينوبك. وقال رجل لآخر: رحمك الله فقال له مجيباً له: يغفر الله لي ولكم، فقال ما أنصفتنا آثرناك على أنفسنا بالدعاء وجعلتنا علاوة على نفسك.

● دعاء مكروه المبدأ

دعا رجل لسلطان فقال: لا أضحك الله إلا بخير يأمر بأن يصفع، وقال: من أحوجني باحتمال قبيح ابتداء سلامه والصبر على انتظار تمامه. ولما أنشد أبو مقاتل الضرير الداعي يهنئه بمهرجان:

لا تــقُــلْ بــشـرى ولــكِــن بــشْــرَيــان

أمر بطرده، وقال: أعمى ينشد يوم المهرجان لا تقل بشرى. وقال رجل لبعض الحلفاء في كلام نفاه: لا أطال الله بقاءك، فقال: قد علمتم لو تعلمتم ألا قلت: لا وأطال الله بقاءك، وعنى بذلك ما روي أن رجلاً قال لبعضهم: لا وأطال الله بقاءك. فقال: ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذا الواو. وقال رجل لآخر: كيف أنت؟ فقال: كبر صغعي، فقال قوّى الله ضعفك، فقال: اسكت فإنّا يزيد في ضعفي، قل: قوّاك الله على ضعفك. ويقرب من ذلك ما حكي أن رجلاً تعرض لمصاحبه فقال: أنا قاصي شلمة وأدعو أبداً على مولانا، فقال: ادع على نفسك، فقال: لا بل على مولانا، وقدر أن ذلك زيادة في الدعاء، فقال الصاحب: زادنا في البر.

(٥)
ومما جاء في الدعاء على الإنسان

●

● حذْقُ اللئيم بالسباب وعجزُ الكريم عنه

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما تساب اثنان قط إلاّ غلب الأمهما. أخذه الشاعر، فقال:

وإنــك قـد سـابـبْـتَـنـي فَـغـلَـبْـتـنـي هـنيئاً مريئاً أنت بالسبّ أحذقُ[1]

ونازع رجل المهلب فأربى عليه، فقيل له: لم سكت عنه؟، قال: استحييت من سخف المسابة ورغبت عن غلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستدر لونه وتبجحت

---

(١) سابيتني: شتمتني ـ أحذق: أمهر

نفسه فإن غلب عليه فصل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء

• ما جعلته العربُ تعجّباً من الشتم

تقول العرب: قاتله الله. قال ابن الأعرابي: إذا قيل قتله الله لا يكون إلا شتماً وإذا قيل قاتله الله يكون تعجباً. وماله، لا عُدّ من نفره وتربت يداه وثكلته أمه وهوت أمه كل ذلك يستعمل على طريق التعجب واستعظام المقول فيه، ولهذا قال بعض الشعراء:

أسبب إذا أجدت القولَ ظلما ... كذاك يقال للرجل المجيد

• الحثُّ على التعريض بالشتم دونَ التصريح

قال أبو عمرو بن العلاء: أحسن الشتم ما يتذاكره ذوو المروآت في مجالسهم ولا يتحاشى من روايته أهل الأديان.

• من شتمَ كثيراً معرِّضاً غير مصرِّح

سأل رجل بعض الكبار شيئاً فاعتذر إليه بفقر ناله، فقال: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت محجوباً فجعلك الله معذوراً. كتب هشام إلى ملك الروم: من هشام أمير المؤمنين إلى ملك الطاغية، فكتب إليه ما ظننت أن الملوك تسب وما الذي يؤمنك أن أكتب إليك من ملك الروم إلى الملك المذموم هشام الأحول المشؤوم.

كان محرز الكاتب إذا رأى ابن شاهين قال: قبّح الله وجهاً ألقاك به وهو لا يفهم، فلما أكثر، قيل له: إنما عنى نفسه بما يقوله، فقال: دعوه لي فلما رآه وقال له ذلك، قال: لا حيا الله وجهاً أراك به، فضحك محرز وقال: آمين.

قال بعضهم:

سلامٌ ساقطُ الميم ... على وجهك بالخاء

لنا في البيت حروفٌ ... فكُلْ منه بلا فاء

وقال ابن الحجاج

وزنته ألفين بالبيته ... أصبح في تصحيف ألفين

أي في القبر

وسأل أمير المؤمنين بعض الناس فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مني كهرون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال: كبرت سني ونسيته، فقال: إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فصار ذا برص إلى أن مات.

• من تملحَ في شتم كبير

خرج المهدي إلى الصيد فتفرد مع غلام فرأى أعرابياً، فقال: إني أريد أن أصحك من هذا الأعرابي فأتاه الغلام فقال: أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولأمير المؤمنين؟ فرناه وشتمه. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين هذا شتمني. فقال المهدي: يا غلام اعطه دانقاً،

فقال الأعرابي أدية مريتكم دانق يا أمير المؤمنين، قال: نعم، قال: فأنت زان وابن زانية وابن زان خذ درهماً ومر في حفظ الله. وقال هشام: من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له، فقال له أعرابي: هاته يا أحول، فقال: خذه قاتلك الله. وقال الوشجان: حضرت مجلس المبرّد فسمعت نفاشاً يقول في جر أم أصفهان، فقال أبو العباس: هذا قد شتمكم على قول الله تعالى ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] أي أهلها.

● **الدعاء على إنسان بالمرَض**

قال أعرابي لرجل: إن كنت كذباً فبعث الله عليك داء ليس له دواء. **وقال آخر**: رماه الله من الداء بما يصير به رحمة للأطباء. **وقيل**: ماله حرب وحرب ودرب، معنى ذرب فسدت معدته. ماله وراه الله الورى سعال يقيء منه الدم، **قال عبد بني الحسحاس**:

وراهنَّ ربّي مثلَ ما قد ورينني وأحمَى على أكبادهن المَكاويا

وقيل: بفيه الثرى وحمى خيبرا. فإنه خيبرى بن خاسر أبرد الله مخّه، أي أهزله. ماله ال[2] وعل وسل كساه الله عصابة رمد ورده نكد ورار جذام.

● **الدعاء عليه بفقدان الجوارح**

جدعه الله جدعاً مرعباً، أشل الله عشره

فلا استقلت أبداً وطاً من الأرض يده

وقالت جارية الناطفي

فليت من يضربها ظالماً تيبس يمناه على سوطه

● **الدّعاء عليه بذهاب المال**

شرب بارداً وحلب قاعداً، أي لا كان له لبن حتى يشرب الماء القراح، وعوّض من الإبل صماً يحلبها قاعداً ونحوه. أباد الله رواعيه وأبقى نواعيه. رماه الله بقرع الفناء وصفر الإناء. قرع مراحه وسفا ماله. لا طلبته الخيول ولا تكاءدته المحول، أي لا جعل الله له مالاً تطلبه الخيول للغارة أو يتكاءه[3] جدب الزمان. فعلى هذا حمل قول الشاعر:

وجنّبتِ الجيوشَ أبا زنيبٍ وجادَ على منازلك السّحابُ

● **الدعاء عليه بالهلاك**

رماه الله حيث لا يُرى بماقرة لشرى، أي الأعمى. كقولهم: رماه الله بأفعى حادية ورماه الله ببلية لا أخت لها، وتقول: ثل عشره وجد ندي أمه وهوت أمه، ورال روائه ولا

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/ ٨٢. (٢) الإل: الحقد والعداوة.

(٣) تكاءده الأمر فلاناً: شق عليه ـ السحاب: المطر.

عد من نمره، رماه الله بثالثة الأثافي ورياح عاصفة وسيول جارفة ويقال: مالكم تعاقدتم فجع الله به وادأ ودوداً وأشمت به حاسداً حسوداً، وسلّط عليه هماً يضنيه وجاراً يؤذيه وعدواً يرديه، أقام الله عليه ناعيه وأشمت به أعاديه.

قالت امرأة:

ارمِ بِسهمَيْنِ على فؤادِهِ ... واجعَلْ حِمام نفسِهِ في زادِهِ[1]

● وفي معنى أفقدنيه الله

فقَدْتُ خيالَكَ لا من عمى ... وصوْتَ كلامِكَ لا مِنْ صَمَمْ

قال الحميري:

ربَّ قدْ أعطيتَنِيهِ ... وهو مِنْ خيرِ عطاءِ

فارتجِعْهُ ربِّ عنا ... بِإزارٍ ورِداءِ

● الدعاء بإزالة الدولة

قال أبو هفّان:

أزال الله دولتَهم سريعاً ... فقد ثقلَتْ على عنقِ الزّمانِ

وقال جحظة البرمكي:

سألتُ الله تعميراً طويلاً ... ليبهجَني بخطْبٍ يعتريكُمْ[2]

أخافُ بأن أموتَ ولن تُريني ... صروفُ الدهرِ ما أهواه فيكُمْ

● الدعاء على ظاعن

ودعت امرأة زوجها ورمته بروثة ونواة وحصاة، وقالت: راث خبرك وتمت دارك وانحصى أثرك، ثم أنشدت:

اتبعتُه إذ رحلَ العيسَ ضحى ... بعد النواةِ روثةً حيث انتوى[3]

للروثةِ الريثُ وللنأي النّوى

وقال علي بن عاصم:

أمّا وقدْ ضمّه المزارُ ... فلا يضمّنّه القرارُ

ولا اطمأنّتْ بهِ المغاني ... ولا استقرّتْ به الدّيارُ

وقال ابن حازم:

وداعٌ دون أوبتهِ النّشورُ ... ونأيٌ لا يقرّبُه المسيرُ[4]

---

(١) حِمام: موت. (٢) خطب يعتريكم: أي مصيبة تصيبكم.

(٣) انتوى: انتقل من مكان إلى مكان ـ روثة: من روث الفرس ودوات الحافر ـ الريث: البطء.

(٤) أوبته: رجوعه ـ النشور: يوم القيامة ـ النأي: البعاد.

وقالَ غيرُ ميمونٍ ولكن ... بأنكد ما يدورُ وما يطيرُ

وقال أبو هفّان

في عذاب يطلب الصبـ ... ـب من أدناه موته

وبحوس قاطعات ... لك عما قد نويته

• الدعاء على متزوّج

قال بعضهم: المتزوج بالبيت المهدوم و طائر المشؤوم والرحم المعقوم.

قال أبو الفرج الكاتب:

بالرّزايا والطائر المنكوسِ ... كانَ يومَ الرفاف والتعريسِ[1]

واصلَ الله باتصالك هذا ... نكباتٍ مسيلةً للنفوس[2]

دخلتُ رحلها دخولَ قدار ... وطويسٍ ومَنشمٍ والبسوس[3]

وتبدلّت بالجلاء جلاء ... وبرحب الديارِ ضيقَ الخُنوس[4]

• الدعاء على باني دار

قال البسّامي:

شيدت داراً حلّتها مكرُمَةً ... سلط اللّهُ عليها العرقا

وأراتيكَ فقيراً وسطها ... وأراتيها صعيداً زلقًا[5]

• أنواعٌ مختلفة

قال أبو الوليد الكتاني

بلوناهم واحداً واحدا ... فكلهم شأنهم واحده

فلا ذرأ الربّ أولادهم ... ولا باركَ الربّ في الوالِده[6]

وقال أعرابي:

وصاحب قلت ولم أسمه ... لما به من مقته وغمّه

لعن الإلهُ ثعلبة بن مسافر ... لعناً عليه يشقّ من قدامه

---

(١) الطائر المنكوس. طائر الشؤم (٢) نكبات مصائب ورزايا، جمع نكبة

(٣) منشم. نوع من العطر المشؤوم ـ طويس مصغر طاووس ـ البسوس خالة جساس من بني بكر وهي التي تسبّبت بالحرب بين بني تغلب وبني بكر وهي الحرب معروفة باسمها حرب البسوس

(٤) الخنوس كثرة الانحباس (٥) الأرض الزلق الأرض التي ليس بها شيء.

(٦) ذرأ الرب: خلقه

وقال أبو الأشعث الهمداني وقد سرق له أضحية:

يا سارقَ الكبش رجلاه وجبهته ... في صدع أمّك بالقرنين والذنبِ[1]

هلا سرقت جزاك الله لعنتَه ... من الموالي ولم تسرق من العرب

سمع ذو الرمة رجلاً يقول: على فلان لعنة الله، فقال: لم يرض بواحدة حتى شفعها بأخرى، ومعنى ذلك أنه اعتقد في قوله لما سمعه مفتوحاً أنه مرفوع مثل كقولك: هذان عبد الله.

قال شاعر:

وما دعوتُ عليه قطّ ألعنه ... إلا وآخر يتلوني بآمين[2]

سقط مخنث من جبل فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا جبل ما أصنع بك أضربك لا يوجعك، أشتمك لا تبالي، ولكن بيني وبينك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

ومن كلام أبي العبر: استودعت الله حائطاً مائلاً وكيفاً سائلاً. وقع بين أنس بن مالك وامرأته شرٌّ فقال لامرأته: لأدعون الله عليك، فقالت: قد دعوته على الحجّاج فما زادت رقبته إلا غلظاً.

حكى الصاحب أن أبا علي بن مثوبة كان إذا شتم إنساناً في غضب عظيم يقول: يا قواد يا قواد ثم قال هذه الزيادة لم تسمع إلا منه.

قال الرابية الأسدية:

فمن لامني في حبّ نجدٍ وأهلِه ... فلبم على مثل وأوعبَ جادعه[3]

وقال معاذ النحلي:

لحى الله أدنانا إلى اللؤم رمة ... وألأمنا أمّا وأسقطنا جدا[4]

قال الأصمعي: كان النساء يقلن للشيخ إذا سعل وريا وقحابا، وللشاب عمراً وشباباً. القحب السعال. حكي عن يهودي بأصبهان أنه كان إذا أتاه جندي فيقول: يا أخا القحبة، يقول: لما سمعت صوتك علمت أنه هو، وقال له غلامه: إن هذا يقول يا ديوث، فقال: الديوث إيش يعمل ههنا يعرض به. وقال إنسان امرأته قحبة، فقال: أليست أختاً لك أليست بنتاً لك. قال له إنسان: امرأته قحبة، فقال: حلالت هودا أي أنها امرأتك.

---

(1) الصدع: الشق.

(2) آمين: بمعنى استجب الدعاء.

(3) جادعه: شانئه.

(4) لحاه الله: قبحه الله.

(٦)

وممّا جاء في الهدايا

●

● الحثُّ على الإهداء وذكرُ فضيلته

قال النبي ﷺ: تهادوا تحابّوا، وقال: الهدية تسلّ السخيمة. وقال عمر رضي الله عنه: نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة. وفي الخبر: إذا قدم أحدكم من سفر فليهد إلى أهله وليطرفهم، وإن حجارة. وقيل: أسكتة لسان تصحك من الهدية، وقيل: الهدية هداية. قال:

ما من صديق وإن تمّت صداقته ... يوماً بأنجحَ في الحاجاتِ من طبَق
لا تكذبنَّ فإنّ الناس مذ خلقوا ... عن رغبة يعطمون النّاس أو فرَق[1]
أما الفَعال ففوقَ النجم مطلبُه ... والقول يوجد مطروحاً على الطُّرُق

وقال آخر:

إذا أتــت الــهــديّــةُ دار قــومٍ ... تطـايرتِ الأمــانــةُ مــنْ كُــواهــا[2]

وقيل: الهدية بضاعة تيسّر الحاجة، ومن صانع بالمال لم يحتشم. قال القاضري لأصحابه: أي راكب أحسن؟ فقال بعضهم: تمرة على زبدة، فقال: لا بل هدية على جمال. ومن أمثال الفرس: الهدية تخالط العقول.

● الحثُّ على قبولِ الهديّة

قال النبي ﷺ: إن الهدية رزق الله فمن أهدى إليه شيء من غير سؤال ولا إسراف فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه، وقال: من سألكم بالله فاعطوه ومن استعادكم فأعيذوه ومن أهدى إليه كراع فليقبله. وقال: لو أهدي إليّ كراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت.

● الحثّ على المُقابلة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَاۤ أَوۡ رُدُّوهَاۤ﴾[3]، فسّره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجباً وروي أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها.

---

(١) فَرَق: خوف.

(٢) كواها: جمع كوة، وهي الفتحة أو الخرق.

(٣) القرآن الكريم: النساء/ ٨٦.

أنشدني بعضهم.

رأيتُ النّاسَ طرّاً في الهدايا كبيعِ السوقِ خذْ مني وهاتِ

● طلب الهدية ومعاتبة من تركها

روي أن رجلاً أهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما ولم يهد إلى ابن الحنفية فأنشأ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول:

وما شرّ الثلاثةِ أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا[1]

وكتب رئيس إلى بعضهم: لا تهدين ما يجحف بحالك فإنه لا يريد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير، واللطف استعطفت لمكاني فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير والسلام.

قال المعيطي:

أتاني أخٌ من غيبة كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشده الركبَا[2]
فجاءَ بمعروفٍ كثيرٍ فمدته كما دسّ راعي السوء في حضنه رطْبا
فقلتُ له هلْ جئتني بهديةٍ فقال بلى قلت: أطعمتها الكلْبا
هي النفسُ لا أرثي لها من ملمةٍ ولا أتمنى إن سأبت لها قُربا

● الهديةُ مشتركة

قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها. وكان الهيثم بن عدي يحدث بهذا الحديث فما تمم حتى طعمت هدية فقال: ما حلا عدد

● نهي الولاةِ عن قبولِ الهديّة

صعد النبي ﷺ المنبر فقال: ما بال أقوام استعملتهم على الصدقات فيجيء أحدهم فيقول هذا ما لكم وهذا أهدي إليّ، هلاّ جلس في حجر أمه فينظر أيهدى إليه، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء بقرة لها خوار وشاة لها ثغاء، ثم رفع يده وقال: اللهم قد بلغت

وروي: إياكم والهدية فإنها ذريعة الرشوة. ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي قال الشيخ وقد ذكرت خبر أنوشروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات.

● الممتنعُ من أخذ الهديّة

سأل رجل الخيزران حاجة فاستعفاها فأهدى إليه هدية، فكتب إليه. إن كان ما وجهته ثمناً لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة وإن كان استزادة بها استغششتني في النصيحة.

---

(1) أم عمرو: الضبع (2) الركب: جمع أركب، ركبان الإبل أو الخيل.

وقال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له، فقال: لئن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه، ولئن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك، فمن أي هذين لا أجزع.

وطلب عبد الله بن جعفر لأزادمرد حجة من أمير المؤمنين رضي الله عنه فأهدى إليه أزادمرد أربعين ألف درهم فامتنع عبد الله من أخذها، وقال: إنا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمناً وأهدى عبد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة مع كل واحدة بدرة وبعثها إليه ليلاً، فردها وكتب إليه: لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً وما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

● من لانَ بعد شدةٍ لأخذ هدية

مرّ زياد بأبي العريان بالبصرة، فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان، فقال ما أعرف في ولد أبي سفيان زياداً، فبلغه ذلك، فوجه إليه دنانير ثم مر به، فقال: من هذا فقالوا زياد بن أبي سفيان، فقال لقد ذكرني شمائل أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه، فكتب إليه:

ما لبثتك دنانير رُشيت بها ... إن لونتك أبا العريان ألوانا
لله درّ زياد مذ تقدمها ... كانت له دونَ ما يخشاه قربانا[1]

فكتب له:

ابعثْ لنا صلةً تحيا النفوسُ بها ... قد كدتَ يا ابنَ أبي سفيان تنسانا
من يسدِ خيراً يجده حيثُ يجعله ... أو يسد شراً يجده حيثما كانا
أما زياد فلا أنسيت نسبته ... ولم أرِدْ بالذي حاولتُ بُهتانا[2]

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم، قيل ذلك للأعمش فقال: ظالم ولي المظالم، فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب مجمل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي. وكان رؤبة له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها فأهدى إلى الحاكم شيئاً فنال ما رام، فقال:

لما رأيتُ الشفعاة بلدوا ... أمرتهم برشوة فقردوا[3]
وسهل الله بها ما شددوا

وكان بعض الولاة يحاشي بعض عماله فأرضاه بما أهداه، فسألته كيف حالك مع فلان؟ فقال: قد سد ابن بيض الطريق وخبره معروف.

---

(١) قربان: كل ما يُتقرب به إلى الله. (٢) قوله: أنسيت نسبته: يغمز في نسب زياد بن أبيه
(٣) بلدوا: كانوا قليلي النشاط.

● استرداد ظروف الهدايا وتركها

قال الغنوي: استديموا الهدايا برد الظروف، وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان، فقال لموسى بن عيسى: يا أبا عيسى. حلواؤنا عليك، وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف. فلما كان بعد عشر ليال قطعها، فقال له الرشيد أصغوت فقطعت الحلواء، فقال: ما قطعها غيرك إن أنصفت. قال: كيف؟ قال: إن من يأخذها منا لا يريد صحفة ولا منديلاً ولا طبقاً، قال: بئس ما عمل إن الهدايا تستدام برد الظروف فإذا صرت المتقاضي وأنت القاضي فلا تحتشم أحداً في استرداد الظروف. للصاحب وقد أهدى دنانير على طبق فضة فكتب بأبيات فيها

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه

● الاعتذار من إهداء شيء طفيف

كتب بعضهم: سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم إلى من لا يحتشم. كتب أحمد بن يوسف: الهدية معينان كلاهما يوجب القبول، وإن قل. وقيل: إن كان لك عند المهدي يد فلا تستغصر مزيدك وإن كان مبتدئاً، فالتفضل لا يستقل الهدية. أظرفها أحمها وأقلها أسدها. وكتب آخر قلمت المعذرة في إهداء ما اتسعت به المقدرة. وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بعث تنبرة فأمر الريح أن تجنب عشها الذي فيه فراخها. فجاءت القبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل، فقال سليمان: هي مقبولة فكل يهدي على قدر وسعه. ومما يروى لأبي يوسف القاضي

علينا بأن نهدي إلى من نحبه وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله[1]

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

وقال دعبل:

هذي هدية عبد أنت ملبسه ثوب الغنى فأقبل الميسور من خدمك

وقال الخبزارزي:

تفضل بالقبول على أني بعثت بما يقل لعبد عبدك

أهدى بعض الأدباء إلى المعتز شيئاً، وكتب إليه: لا يعيب العبد أن يهدي إلى سيده القليل من نعمته عنده ولا السيد أن يقبل ذلك وإن كان الكل له والسلام

● المقتصر في الهدية على الشكر

قال المازني: أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الإهداء أحمد بن إبراهيم

---

(١) يشاكله: يشبهه

كتب إليه ابن ثوابة:

إنّي جعلتُ هديّتي ... في المهرجانِ إليك شُكْري
لمّا تعذّر واجبٌ ... منع التعذّر فيه عُذْري
فإذا مررت بذكر مَنْ ... جاءتْ هديّته بِبِرِّ
فادر على اسمي دارةً ... واكتُبْ عليهِ أتى بِعُذْرِ

وقال محمد بن أبي حكيم:

رأيتُ كثيرَ ما يُهْدي قليلاً ... لعبدِك فاقتصرْتُ على الدّعاء

وقال آخر:

وافق المهرجانُ والعيدُ منّي ... رقّةَ الحال وهي داءُ الكرام[1]
فاقتصرنا على الدعاء وفيه ... عونُ صدقٍ على قضاء الذّمامِ[2]

● المقتصِرُ على إهداء النفس

اقتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه، فأخبرت قبيحة بذلك، وكانت معشوقته فزينت ودخلت عليه فأنشدته

طلبتُ هديّةً لك باحتيالٍ ... على ما كانَ من حسني وبثّي[3]
فلمّا لم أجد شيئاً نفيساً ... يكونُ هديّتي أهديتُ نفسي

فقال المتوكل: نفسك والله أحبّ إليّ.

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حبيبي قصدتُ العرق من أجلِ علّةٍ ... فلم تهدِ لي فيه وِصالاً مجدّدا
فأهديْتُ نفسي يومَ قصدي بوصلها ... إليْك فخُذْها كي تكونَ لك الفِدا

● استهداء النفس

كتب أبو العباس بن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

النّاسُ يُهْدون إلى المُفتصِد ... أحسَنَ ما يلقَوْنه في البلَدْ
فاهدِ لي وجهَك يا سيّدي ... فإنّه أحسَنُ شيءٍ يُرَدْ

● المُهْدي شيئاً معيناً

أهدى أبو عبادة الوزير إلى المأمون مصحفاً في يوم مهرجان ووافق أول يوم من شهر

---

(1) المهرجان: من أعياد الفرس، أشرنا إليه في غير هذا الموضع.
(2) الذمام: العهد والأمان. (3) بثي: جهدي.

رمضان فكتب إليه عدلت عن هدايا السلطان إلى التيمن بالقرآن وما يرضى الرحمن فوقع في رقعته ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] وأهدى أحمد بن يوسف إلى المأمون هدايا وكتب إليه رقعة، فلم يستظرف من هديته شيئاً إلاّ قوله في رقعته هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة. وبعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان وكتب معهما قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة فكرهت أن تطوى صحف البر خالية من ذكري، فبعثت بالمبدوء به لبركته والمختوم به لنظافته والسلام. وشرب الرشيد دواء فأهدت إليه الخيزران جارية بكراً معها جام، كتب عليه:

إذا خـرجَ الإمـامُ مـن الـدواءِ وأعـقَـبَ بـالـسّلامـةِ والـشِّـفـاءِ
فـلـيـسَ لـهُ دواءٌ غـيـرُ شـربٍ بـهـذا الـجـام بـنـبـرعُ بـالـطِّـلاءِ
وفـضِّ الـخـاتـمِ الـمـهـدي إلـيـه فـهـذا الـعـيـشُ مـن بـعـد الـدواءِ

وأهدى رجل إلى آخر قلنسوة ونعلاً وخاتماً فقال لقد أشواني فلان بكسوته أي أصاب شواي

● ذكرُ الهديّة بأنها أمارةُ لفضل صاحبِها أو نقصه

قيل: يعرف فضل المرء بفضل هديته وسخافته بسخافة بره. وقيل: ثلاثة تدل على عقول أربابها الهدية والرسول والكتاب. وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت وإني مرسلة إليه بهدية ناظرة بما يرجع المرسلون، فجعلت جواب الهدية دلالة.

قال كشاجم:

إنّ هَـدايـا الـرجـالِ مـخـبـرةٌ عن قدرهم فـأقْلِلُوا أو احتَفِلُوا[2]

● المهدي هديةً سخيفة

أهدى أبو رهم السدوسي إلى قينة كان يتعشقها زنبيل بصل، فقال فيه ابن المعذل قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين احتفل أهدى بصل. أهدى رجل إلى إسماعيل الطالبي فالوذجة عتيقة قد زنخت، وكتب معه إني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي والزعفران الأصفهاني، فكتب إليه برئت من الله إن كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلا قبل أن يوحي ربك إلى النحل. وأهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كرينجات قد كتب على كل واحدة منها ادخلوها بسلام آمنين، فردها أبو العيناء وقد كتب عليها فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن. وكان رجل قد شغف بصبي فأهدى إليه، كلباً فقال أبو شبل:

ومـا رأتْ عـيـنـي ولا قـيـلَ لـي إنّ فـتـىً مـسـتـهـتِـراً صـبّـا[3]

---

(١) القرآن الكريم: الرحمن/ ١٣.
(٢) احتفلوا: بالغوا.
(٣) الصبّ: المشتاق، والعاشق لموله.

لـمّـا دنـا مـن وصْـلِ أحـبـابِـه ... أهـدى إلـى أحـبـابِـه كـلـبَـا[1]

قال الصولي:

أهـدى إلـيّ هـديّـة مـذمـومـةً ... وأذمُّ مـنـهـا عـنـدنـا مُـهْـدِيـهـا

وكـأنّـمـا هـيَ فـي سـمـاجـةِ مـنـظـرٍ ... تـحـكـيهِ فـي قـبْـحٍ كـمـا يـحـكـيـهـا[2]

● الممتنّ بهديّةٍ أهداها

أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح قال: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟ قال: طيبة. ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً فقال: إن خففت من قولك وإلا قئتها. وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكاً فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرّخ بديكه، فيقول إنه كان يوم أهديت إليك الديك وإنه كان قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا. وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة فأعجب بها معاوية، فلما رأى زياد سروره بذلك قال: يا أمير المؤمنين إني دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وغثها وسمينها وحملت لك لبها وسرورها، فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش ومن عبيد إلى أبي سفيان، وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا. فقال معاوية: حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك.

● الشاكرُ المهدي إليه

أتـتـنـا هـدايـا مـنـه أشـبـهـنَ فـضـلَـه ... ومـنْ خُـلـقِـهِ نـعـمـاً مـتـفـضـلا

ولـو أنـه أهـدى إلـيّ وصـالَـه ... لـكـان إلـى قـلـبـي ألـذّ وأوصـلا

(٧)

وممّا جاء في الطبّ والمرض والعيادة

●

قيل: حد الطب دفع الضد بالضد، وقيل: هو معرفة الداء وتلقيه بالدواء. وأصل الطب العلم والطبيب صار اسماً للعالم بمداواة أبدان الناس. وقيل: هو استدامة الصحة ومرمة السقم. وقال عبد الله بن المعتز: المرض حبس البدن والهم حبس الروح.

● مدحُ طبيبٍ حاذق

حكي أن سلمويه طبيب المأمون، وكان قد أسنّ وذهب بصره، كان دخل على

---

(١) الوصل والوصال: نقيض القطيعة والهجر.

(٢) سماجة المنظر: بشاعته ـ تحكيه ويحكيها من حاكى يحاكي أي شابه وماثل.

المأمون يتكىء على صبية تقوده، فلما قام المأمون قام ثم رجع، فرجع سلمويه إلى حضرته واتكأ على تلك الصبية، فقال للمأمون: هذه الصبية كانت بكراً وخرجت من عندي الساعة وعادت ثيباً فاستخبرها[1]، فقالت: إن العباس ابن أمير المؤمنين دعاني إلى نفسه لما خرجت فافتضني، فقال له المأمون: وكيف علمت ذلك؟ فقال: كنت أجدت مجستها فوجدتها قوية ثم جسستها فوجدت نقصانها فعلمت ذلك، فتعجب المأمون من حذقه ونحو ذلك في التنجيم.

● حديثُ الفيلَسُوف

الذي كان ينام على سرير فنام عليه ذات يوم فأنكره وقال: إما أن تكون السماء قد انحدرت أو الأرض قد ارتفعت، فتأمل فإذا قد جعل تحت قائمة السرير شيء ارتفع به عن الأرض.

ومن الحذق البيّن ما حكي أن عمرو بن الليث زلقت رجله فانخلعت إحدى فخذيه فنام على الفخذ الوجعة واستحضر المجبرين، وجعل يعرض على واحد واحد الفخذ الصحيحة ويئن إذا مست، وكان يقول: بهذا نختبرهم إلى أن حضر المعروف بابن المعازلي فلما جسها أنّ عمرو، فقال ابن المعازلي: ما هذه العلة ما بك من قلبة، وإن فخذك أصح من فخذ الظليم، فعرض عليه الفخذ الأخرى فقال: أما هذه فنعم، فعلم عمرو أنه حاذق، فقال: إن مداواتها صعبة لأنها تحتاج إلى إشالة الرِّجل وأنا استسمج ذلك ولكني أحتال له، فعمد إلى زق فوضعه بين رجلي عمرو وشد إبهامي رجليه بعضهما إلى بعض وجعل ينفخ في الزق وهو يربو وينتفخ ويرتفع الفخذ بانتفاخه إلى أن امتد الزق ورد العضو إلى موضعه، ثم حل الإبهامين وشده إلى أن برأ.

وقال رجل: توجعت من رجلي مدة وتداويت بكل دواء فلم ينفع فرأيت طبيباً فوصفت ذلك له، قال: انظر فلعل إحدى ركبتيك أطول من الآخر فتأملت فإذا هو كذلك، فأصلحته فزال الوجع السري.

قال الكندي

أحيا لنا علمَ العلاسفَة الذي ... أودَى فأوضحَ رسمَ طب عاف[2]

فكأنهُ عِيسى بن مريم ناطقاً ... يهبُ الحياةَ بأيسرِ الأوصاف

يبدو له الداء الخفيّ كما بدا ... للعين رضراض الغديرِ الصافي[3]

وله:

كأنّه من لطف تدبيره ... يجولُ بين الدمِ واللحمِ

---

(١) استخبرها: اسألها عن خبرها. (٢) عاف: متروك، مهمل.

(٣) الرضراض: الحصى الدّقاق في مجرى النهر.

لو غضبَتْ روحٌ على جسمِها ... ألَّفَ بينَ الروحِ والجسمِ

● ذمّ طبيب

رأى أفلاطون إنساناً مدعياً للصرع ضعيفاً في دعواه ثم تحول طبيباً، فقال له: الآن أحكمت الصراع، تهيأ لصراع من شئت فإنك تصرعه. ترك لامس التصوير وتطبب فقيل له في ذلك فقال: الخطأ في التصوير تدركه العيون وتلحقه العيوب وخطأ الطبيب تواريه القبور. ورأى فيلسوف طبيباً جاهلاً، فقال: هذا مستحث للموت.

قال الخبزارزي في طبيب اسمه نعمان:

أقولُ لنعمانَ وقد ساقَ طبَّه ... نفوساً نفيساتٍ على ساكني الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا ... حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

● مدحُ الحِمْية

قيل: الحمية طابع الصحة. وقيل للحرث بن كلدة: ما الدواء الأكبر، فقال: الأزم. وقيل حمية شهر أيسر من سهر ليلة، وأن تصبر على الحمية شبراً خير من أن تقاسي العلة متراً. وقيل لا تأكل ما تشتهي فيصيرك إلى ما لا تشتهي. وقيل للسري: قد تركت الشهوة، فقال: تركت ما أحب لأستغني عن العلاج مما لا أحب.

واحتمى أحمد بن المعدل لعلة به فبرأ، فقال: الحمية صالحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الآخرة صالحة تبرئهم من النار. وقال عمر رضي الله عنه: عزم الرجل بحميته وحزمه بمتاع بيته. وقال المأمون لطبيبه: ما الذي يذهب بأكل الطين، فقال: عزمة من عزمات الرجال، قال صدقت، فتركه بعد ذلك ولم يعاوده، قيل للصاحب يوماً: تحتمي وتشرب الأدوية، فقال افعل ذلك بغضاً في الحمية وشرب الأدوية.

● ذمّ الأدويةِ أيامَ الصحة وتجاوزِ الحدّ فيها

قيل: ليس الحمية في الصحة بأوجب من التخبيط في الصحة. واستوصف العباس أخو المنصور طبيباً فقال له: كلّ في الصحة على الطبيب وفي المرض على مقتضى قول الطبيب. ودخل بيادوق طبيب الحجاج على بشر بن مروان فقال: أما ترى هذه العلة قد طالت بي، فقال: إلى أن أختبرك ولا يكون ذلك إلا على الريق فبكر إليه وأضجعه على الحصير وجسه ما بين أخمص قدمه إلى هامته، ثم قال: أيما أحب إليك الصدق أم الكذب؟ فقال وما حاجتي في الكذب؟ فقال: إنك ميت، فقال أرني أمارة ذلك فدفع إليه قطعة لحم طري وشدها في أبريسم وقال ازدردها فعمل، وتركها ساعة ثم قلعها فإذا عليها دود كثير، فقال: كيف أصابني ذلك وقد قدمت بلدكم وكنت نقي من الحر والبرد، فقال: منها أتيت فقد نقل جسمك، فالأبدان لا تقوم إلا بالحر والبرد وإن أذياها. فعاش بعد ذلك ثلاثة أيام. وقيل الجوع للحمية أضر على البدن من العلة.

● صعوبة الحمية ومدح تركها

قيل: الحمية إحدى العلتين، فمن حتمى فهو على يقين من المكروه وفي شك من المحبوب.

قال عبد الصمد بن المعذّل:

وقالُوا شفاؤُكَ في حِمْيَةٍ   تعودُ عليكَ بِها النّضْرَه
فأصبحتُ في بلدٍ مخصبٍ   ببلقعةٍ جدْبَةٍ قفْرَه[1]

وقال الرشيد للفضل: ما أطيب ما في هذه الدنيا؟ فقال: رفض الحشمة وترك علم الطب، فلا عيش لمحتشم ولا لذة لمحتمٍ. وقيل: من عرف ما يضره مما ينفعه فهو مريض. وقال أفلاطون: الموت موتان طبيعي وإرادي، فالطبيعي مفرقة الروح البدن والإرادي منع الأبدان الشهوات. وقيل: الأبدان المعتادة للحمية آفتها التخليط والأبدان المعتادة للتخليط آفتها الحمية.

● مدحُ القليلِ من الطّعام وذمّ الإكثار

اجتمع أربعة من الأطباء عند المأمون عراقي ورومي وهندي وسوادي، فقال: ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه، فقال الرومي: حب الرشاد، وقال الهندي: الهليلج الأصفر، وقال العراقي: الماء الحار، وقال السوادي وهو أبصرهم: حب الرشاد يورث الرطوبة والماء الحار يرخي المعدة والهليلج يرقق البطن، ولكن الدواء الذي لا داء معه أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه، وتقوم عنه وأنت تشتهيه. وقيل لطبيب: كم آكل؟ فقال: فوق الجوع ودون الشبع.

● مضَرةُ الشبعَ فوقَ مضرّة الجُوع

قال أبقراط: الإكثار من المنافع شر من الإقلال من المضار. وقال أرسطوطاليس: المطعم والمشرب إذا كثرا على المعدة أطفآ نارها، فحرت الأغذية في البدن غير نضيجة فصار ذلك نقصاناً للبدن يورث الفترة كالشجرة إذا كثر ماؤها عفنت وإن قل جفت، وكالسراج إذا قل دهنه أو كثر انطفأ.

وقال محمد بن عبد الله بن جعفر: من تغدى وتعشى ولم يأكل فيما بينهما سلم من الأوجاع لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2]. وقال بعض الأطباء: أحب الناس إلينا الرغيب البطن لكثرة حاجتهم إلينا. وقد ذكر بعض هذا الباب في كتاب الأكلة.

● ما تُستدام به الصحة من الأكلِ والشّربِ والصّوم والجِماع

قال طبيب الحجاج: لا يحفظ الصحة كالأكل بالنهار وتقليل الشرب بالليل وأن لا

---

(١) البلقعة: الأرض الخالية من كل شيء.   (٢) القرآن الكريم: مريم/ ١٠.

بحبس البول والنجو والرياح التي تعرض في البطن من أراد حفظ الصحة فليقلّ الغذاء وغشيان النساء وشرب الماء. ولما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع إليه شبان قريش فقالوا أوصنا، فقال: لا يتزوجن أحدكم إلا شابة، ولا يأكل إلا لحم فتي، ولا يتناولن أحدكم الدواء ما احتملت بدنه الداء، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في إبان نضجها. وإذا تغدى أحدكم فلينم عليه نومة وإذا تعشى فليتخطّ على أثر عشائه أربعين خطوة، وعليكم بالنورة في كل شهر فإنها منقية للبلغم مهلكة للمرة.

وقال أبقراط لما حضرته الوفاة. خذوا جامع العلم مني من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره. وقال اسكندر اجمعوا لي الطب في كلمات أتصورها. فقالوا: لا تدخل الطعام على المعدة ولا تمنع نفسك شهوتها فإن النفس تقوى على هضم المشتهي، ولا تنكحن عجوزاً ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه فإنك لا تعل إلا علة الموت وقيل: راع غذاءك فأنت تحكم به بناءك.

أخبر حاتم بن زيد بن المهلب شيخ قد أتت له مائة وخمسون سنة في اعتدال جسم ونضارة لون استدعاه وسأله، فقال: إن كان بما أرى من هذه الموهبة الجميلة سبب بعد تقدير الله تعالى فما أضعه ما احتملت مهجا تبعد على مدافعته، ولا رأيت من زوجة مكروها، ولا اجتمع في بطني طعامان، وإذا شربت شراباً تناولته رقيقاً طيباً لا أتمل منه ولا استدعي الطبيعة من غير عارض، وما استصحبت للباه حركة إلا أن يهيج بالطبيعة على الطلب وإذا فعلت ذلك أقللت الحركة بقية يومي. وكان جالينوس يقول: اجتنبوا ثلاثة وعليكم أربعة ولا حاجة لكم بالطبيب: اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلواء والحمام.

● نفعُ النوم ومضرّة السهر

قال المأمون: قد أصبت دواء يمرىء ولا يؤكل ولا يشرب فقيل ما هو؟ قال: النوم أثر الغداء. وقيل: إذا أكلت فاضطجع على جنبك الأيسر فإن الكبد يقع على المعدة فينضج الطعام فيهضمه.

● ما تتولّد منه العلل

قيل: أضر الأشياء طعام بين شربين وشراب بين طعامين. وقيل: أضر الأشياء للبدن الفكرة والسهر، وأنهك الأشياء للبدن الخوف. وقيل: ثلاثة تورث الهزال، شرب الماء على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع صوت، وقيل: أربع يهدمن الجسم وربما قتلنه، أكل القديد الجاف والجماع على الامتلاء ومجامعة العجوز وإدخال الطعام على الطعام. وشرب الماء في ثلاثة مواضع متلف: عقيب الخروج من الحمام وأثر الجماع وعلى الإعياء. وقيل: من أدوأ الداء الشرب على اللقمة في الفم وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما أخرج الضرع والبحر والنحل تسلموا.

وقال الحارث بن كلدة لأنوشروان: الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها وغشيان المرأة المولية يضعف القوة ويسقم البدن لأنها كالشن البالي ماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك ولا تعطيك. واجمع علماء الطب على مضرة اللحم الجاف والسمك والبيض البارد، واجمعوا على منفعة النبيذ والسويق والسكنجبين. وقيل: من حم يوماً فلا يأكل الكشك سنة، وقيل: كثير الرمان ضار كما أن قليله نافع

● من تناولَ طعاماً وتحقق تولّدَ علّة منه

اجتاز رجل بصديق له محموم فسأله عن سبب علته، فقال: أكلت في هذا الصيف فراخاً وعسلاً وشربت خمراً صلباً ونمت في الشمس، فقال له: عليَّ كل يمين لو كانت الحمى من حملة الشمس ورأتك بهذه الحالة لتركت عملها ووافتك. وقال بعضهم: أكل رجل سمكاً وحبرارز ولبناً وشرب عليه ماء كثيراً بجليد ودخل سرداباً فجامع ونام هناك فأتى الموت حيه ودق عليهم الباب، وقف تعالوا وانظروا إلى هذا المتخلف وفعله، فإن هذا يموت فيقال اختطفته المنية ولا يعرفون سوء تدبيره وقبح صنيعه.

نظر طبيب إلى دهقان يغرس شجرة مشمش فقال له ما تصنع؟ قال: أعمل لي ولك يعني أن الطبيب ينتفع بالمشمش لسوء أثره على آكليه وحاجتهم إلى الطبيب لما يتولد عليهم من الأدواء لأكل الطري منه، وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي

إذا ما رأيت الدهرَ يستان مشمشٍ ... فأيقنْ يقيناً أنه لطبيبُ
يعزُ لهُ ما لا يعزُّ لغيرهِ ... يغلّ مريضاً حمل كلّ قضيبُ

● هيجانُ الدمِ ونقصانُه

قال النبي ﷺ: إذا تبيغ بأحدكم الدم فليحتجم لئلا يقتله. قال ابن ماسويه في الفصد ثلاث منافع وثلاث مضار، أما منافعه فإنه يحد البصر ويصفر اللون ويريد في اللحم، ومضاره أنه يضعف البدن ويجلب الضعف ويقطع الباه، قال جالينوس: الدم في الجسد كالزيت في السراج إذا نفد الدهن طفيء السراج، وقال بختيشوع للمأمون: البدن إلى الدم أحوج منه إلى إخراجه، ألا ترى إلى الطبّاخ الحاذق يجيء إلى القدر وهي تفور فيأخذ رغوتها ويسكنها بشيء من الماء أو غيره وهي ممتلئة، فكذلك يفعل بالدم

وافتصد المأمون يوماً فأراد أن يشرّح وكان قد أتخم فشدوا الرباط عليه فلم يخرج الدم، فقال المأمون: قد عقرتموني فحلوا الرباط واعتزلوا وتشاوروا فظهر العيب مني فالهيبة قد أدهشتكم، فاعتزلوا يتشاورون فدعا فراشاً وأمره بمصه فمصه فخرج الدم. فقال: ادع هؤلاء الحاكة، فلما رأوه أخبرهم بذلك فقالوا لو فعل جالينوس هذا كان عجيباً

● تهنِئةٌ بالفَصْد

قال ابن رزين الواسطي:

أراقَ الـــفَـــصْـــدُ خـــيْـــرَ دم ... دمُ الأذهـــانِ والـــفَـــهَـــم

لقد أخطأ الطبيبُ غداً — أ مصدك طيب الـشـيمِ
وراحَ وفي حديته — دمُ المعروفِ والكرمِ

قال ابن الرومي:

يا فاصِداً من يدٍ جلّتْ أياديها — وذاقَ طعمَ الردَى والبؤسَ شانيها[1]
يدُ الندى هي فارِفُقْ لا تُرِقْ دمَها — فإنْ أرزاقَ طُلاّبِ الندَى فيها

واقتصد جعفر بن يحيى فكتب إليه الفضل:

إذا أنتَ أسيلتَ للباسليقِ — عيوبٌ من أجفانِهِ الواهيَةْ[2]
رأيتَ اعتدالَكَ يبكي دماً — وتضحكُ من جسمِكَ العافيةْ

● جُملة التداوي

قال أبقراط: جملة المعالجة خمسة أضرب، يعالج ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في أسفل المعدة بالإسهال، وما بين الجلد بالعرق، وما في داخل الجلد بإخراج الدم. وقال جالينوس: يعالج ما في قعر الكبد والطحال والكليتين بإخراج البول، وما في المعدة من ضعف أو تغير مزاج أو فضول زائدة يرفق بالأدوية، إن كانت حرارة بردت وإن كانت رطوبة جففت.

● من امتنعَ في مرضه من التداوي وذكرِ قلّة غنائه

قيل لأبي بكر رضي الله عنه ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: قد رآني الطبيب وقال أنا فعال لما أريد. ودخل عثمان على ابن مسعود رضي الله عنهما في مرضه فقال: ما تشتكي؟ قال ذنوبي، قال ما تشتهي؟ قال رحمة ربي، قال ألا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني، قال ألا نأمر لك بشيء قال فما منعني قبل اليوم فلا حاجة لي فيه اليوم، قال تدعه لعيالك قال إني علمتهم شيئاً إذا قالوه لم يفتقروا.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ في كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً. وقيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ذلك، فقال: لو علمت أن دوائي في مسح أذني ما مسحتها نعم المدعوب إليه ربي. وقيل لربيع بن خيثم في مرضه: ألا تدعو لك طبيباً فقرأ: وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً قد كان فيهم مرضى وأطباء فلا المداوي بقي ولا المداوى، واستحسن قول الشاعر:

إن الطبيبَ بطبّهِ ودوائِهِ — لا يستطيعُ دفاعَ مقدورٍ أتى
ما للطبيبِ يموتُ بالداءِ الذي — قد كان يُبرئُ مثلَه فيما مضى
هلكَ المُداوي والمداوَى والذي — جَلَبَ الدواءَ وباعَهُ ومن اشترى

---

(1) شانيها: مبغضها — (2) الباسليق: وريد يمتد في الذراع

وقال المتنبي:

يموتُ راعي الضأنِ في جهلِهِ ... ميتةَ جالينوسَ في طبِّهِ[1]

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب من أين الداء؟ قال من عندي، قال فالدواء قال من عندي، قال فالأطباء ما يصنعون، قال يطيّبون قلوب عبادي حتى تحل عافيتي أو بلائي، وقال ابن نباتة:

تـعـلـلُ بـالـدواءِ إذا مـرضـنـا ... وهـل يـشـفـي مـن الـموتِ الـدواءُ

ونـخـتـارُ الـطـبيـبَ وهـل طـبـيـبٌ ... يـؤخـرُ مـا يـقـدّمـهُ الـقـضـاءُ

ومـا أنـفـاسُـنـا إلا حـسـابٌ ... ولا حـركـاتُـنـا إلا فـنـاءُ[2]

وقال مسلمة ما وعظني شيء بعد القرآن كما وعظني بيتان لعمران بن حطان:

أفـي كـلِّ عـامٍ مـرضـةٌ ثـم نـقـهـةٌ ... وتـنـعـى ولا تُـنـعـى مَـتـى وإلى متى

فـيـوشـكُ يـومٌ أن يـوافـقَ لـيـلـةً ... يـسـوقـان حـتـفـاً راح نـحـوك أو غـدا

- **وصفُ الحمّى**

دخل بختيشوع على يحيى بن خالد تعقب حمى، فقال له: توقَّ فإن حمى ليلة يبقى في البدن تأثيره سنة، وعنده وكيع فقال: صدق، فقال يحيى ما أقرب تصديقك إياه، قال لأن النبي ﷺ قال: حمى ليلة كفارة سنة فعلمت أن هذا كما قال. وقال النبي ﷺ: إن الله تعالى يقول الحمى ناري أسلطها على عبدي فإن لم يشكني إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأخرجته من ذنوبه كهيئة يوم ولد. وقال ﷺ: الحمى من فيح جهنم فاطفؤوها بالماء، ويستجاد قول المتنبي:

وزائـرتـي كـأنَّ بـهـا حـيـاءً ... فـلـيـس تـزور إلاّ فـي الـظـلامِ

بذلتُ لـهـا الـمـطـارفَ والـحَـشـايـا ... فـعـافَـتـهـا وباتتْ في عـظـامـي

إذا مـا فـارقَـتـنـي غـسـلـتْـنـي ... كـأنّـا عـاكـفـانِ عـلـى حـرام

أراقـبُ وقـتَـهـا مـن غـيـرِ شـوقٍ ... مـراقـبـةَ الـمـشـوقِ الـمـسـتـهـامِ[3]

حُمّ أعرابي في أيام لقيط بمكة فأتى الأبطح وقت الظهيرة، فتعرى وطلى بدنه بالزيت ونام في الشمس وجعل يتقلب فيها، ويقول مخاطباً للحمى: لتعلمن ما نزل بك يا حمى عدلت عن الأمراء وأهل الثراء وجئتني، فعرق وذهبت حماه. وقام فسمع قائلاً يقول: حم الأمير، فقال: أما والله بعثها فلعن الله من وشى به عليّ

---

(١) يعني أن الراعي الجاهل يموت كما يموت الطبيب الحاذق

(٢) حساب: يعني معدود.

(٣) المشوق المستهام: يريد أنه يراقب زيارتها خوفاً لا شوقاً

وقيل: التقى حمتان فسألت إحداهما الأخرى فقالت آتي كل يوم رجلاً خريماً ناعماً فيضجعني على فراش وطيء فأضاجعه في أرغد عيش فأنصرف عنه بأطيب حال، فقالت الأخرى. ويحكِ إني وقعت إلى كساح قذر منتن قصدته بأن بي سبحة فبحركتي في التراب فأرجع عنه متربة. فقالت ويحكِ تعالي إلى صاحبي لأعاديه أنا وتراوحيه أنت

● الرَّمَدُ

كتب علي بن القاسم رحمه الله يلعني عن حال رمد عرض له ما أرمد خاطري وأظلم ناظري وأذهلني عن كل مهم وخفف بي عيني وقلبي كل ملم. ويستحسن في عين محبوب رمداء قول ابن المعتز:

قالوا شكتْ عينهُ فقلتُ لهم   من شدةِ الفتك نالها الوصبُ[1]
حمرتُها من دماء من قتلتْ   والدم في النصلِ شاهدٌ عجبُ

وقال ابن الحجاج:

أنا الفداءُ لعينٍ بعض أسهمها   مسكونة بين أحشائي وفي كَبدي
فيها فتورَ سقامٍ لا خفاءَ به   يجرُّ السُّقم في قلبي وفي جسدي
كانت تملُّ فؤادي وهي سالمةٌ   فكيفَ بي وهي تشكو عُلّةَ الرمد

● النقرس

كان أبو الفضل بن العميد يكثر برجله النقرس، فقيل له لا تغتم فإن ذلك يؤذن بطول العمر، فقال طول العمر هو أن من به النقرس يسهر فيصير ليله نهاراً فكأنما يتضاعف عمره، قال شاعر:

ألا فاعجبوا من مفلسٍ حلفُ نقرسٍ   أما نقرسٌ في مفلسٍ بعجيبِ[2]

وقال المبرد ذكر أعرابي رجلاً قد أثرى فقال تنقرس كأنه سمع أن النقرس يكون مع النعمة، ومنه قول أعرابي

عصرتَ بعد الفقرِ والتفلسِ   يُخشى على الحيِّ داءَ النُّقْرسِ

وقال ماسرجويه: لا ينقرس الناطي في رجله وانشطرنجي في يده.

● الحبُون

دخل شبيب بن شبة إلى ابن هبيرة، فقال ما حبسك عنا؟ فقال: علة منعت الحركة ولم توجب العيادة حتى خرج علي، فقال ابن هبيرة: إن لحماً شديداً أعاد قيحاً وصديداً

(١) الوصب المرض، والفتور.
(٢) الحلف. الملازم للشيء لا يفارقه ـ النقرس: الورم يصيب إبهام الرجل

لأهلٌ أن يعاد صاحبه. وقيل: حبتك يؤذن بمالك، وقال بعض الأدباء: إنما يؤذن بمالك بفتح اللام أي يقتضي أن يقال أي شيء لك.

قال شاعر:

وبي دُمَّلٌ في كلّ يوم يَزورني ... فيُقْلقُ أحشائي ويُسهرُ مُقْلَتي

يقولُ لي العوّادُ مالٌ وصحةٌ ... فيا ليْتَهم أبوا بمَالي وصِحّتي(١)

وقال أبو حكيمة:

أيَحسدُني إبليسُ داءين أصبحا ... برأسي ورجْلي دمّلاً وزُكاما

فليتهُما كانا وأزيده ... زمانةَ أيرٍ لا يُطيقُ قياما(٢)

● الجَرَب

في الخبر أن النبي ﷺ قال: لا عدوى. فقيل: إن البعير يجرب في القطيع فيجرب بجربه الإبل كلها، قال فمن أجرب الأول. ويسمى الجرب حبيبات الطرب. وقيل: صاحب الجرب شاكر لأنه أبداً يقول قد ذهب، قال الصنوبري:

الشيبُ عندي والإفلاسُ والجربُ ... بعدُ هلاكٌ وذا شؤمٌ وذا عطبُ

وقال عبدان:

ومستخبرٍ حالتي إذ رأى ... أمضّ على جنبي المضجعُ

فقلتُ مُجيباً لهُ إنّني ... الضّرْي كما قال لي أشجعُ(٣)

إذا الليلُ ألبسني ثوبَه ... تقلّبَ فيهِ فتىً موجعُ

● الزكام

روي أنه قيل: ثلاثة لا يُعدن المزكوم والرمد والجرب، وقالت عائشة رضي الله عنها: من لا يعودني في الزكام لا أبالي أن لا يعودني في مرض آخر. وقيل مؤنة أنف المزكوم أعظم من مؤنة استين. ودعا عيسى بن علي بن المقفع إلى الغداء، فقال: لست اليوم بمواكل للكرام لأني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. ويقال: إن الشيطان قال: ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين العطاس والجقوة، أي الزكام والهيضة.

قال الوزير الرئيس الكافي الأوحد:

ونزلة كنتُ أحمي وجه موردها ... فماجأتني على ضربٍ من الخَمرِ

---

(١) العواد: الذين يعودونه في مرضه ـ أبوا: عادوا ورجعوا.

(٢) الزمانة: العاهة والعطل. (٣) أشجع: أرفد أصواتاً.

سُدتْ عليّ طريقَ الروحِ مُنْشِقاً ... وأسلمتني لأيدي الروعِ والخَذَرِ[1]
وأنشأتْ مزنةً في الرأسِ مصرِمةً ... ينعقُ بارقُها في السّمعِ والبصَرِ[2]
حَتّى إذا مَخَضْتُها مدةً قدرت ... مدتْ بصفوِ حميمٍ غيرِ ذي كَدَرِ
فَمي شُوبي حريقٌ من تَلَهُّبِهِ ... وفي الخياشيمِ ضيقٌ محصد المزرِ
لا الفصدُ يُغني ولا ماءُ الشعيرِ ولا ... طولُ احتماءٍ إذا ما هم بالدرَرِ
فالحمدُ للّهِ حمداً لا كفاءَ له ... على السلامةِ وقاها من الغِيَرِ

● شربُ الأدويةِ المسهلَةِ

سئل طبيب كسرى عن دواء المشي فقال: سهم ترمي به في جوفك أخطأ أم أصاب.

وقيل: الدواء مثل عدوّ إلى جانبه صديق ترمي العدو فلا تأمن من أن يصيب الصديق. وقيل: الدواء في البطن كالصابون في الثوب ينقيه لكن يخلقه.

وقيل لأبقراط: ما بال الإنسان أثور ما يكون بدناً إذا شرب الدواء؟ فقال: مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غبراً إذا كنس. وقيل: لا تستعمل الأدوية في ما تنفع فيه الأغذية. وقيل: النفس إذا ألفت الدواء فسدت لأن الدواء يجب أن يطرأ عليها غريباً فتحتشم.

● الكِنايةُ عنِ الأدويةِ المسهلة

كان ظرفاء البصرة يقولون لشارب الدواء: لم لبست النعل، ويقال: شربت فما أنجاني كناية عنه.

وكتب الصنوبري إلى صديق له شرب دواء:

نَبِّئني كيفَ تحطّيك إلى دارِ الكرامةِ ... كم جدار هُدّ من رعدٍ وكم سحّت غمامه[3]

فلم يجبه فكتب إليه ثانياً:

ابنْ لي كَيفَ أصبحتَ ... وما كانَ من الحال
وكم سارتْ بكَ الما ... قةُ نحو المنزلِ الخالي

فأجابه:

كتبتُ إليكَ والنعلانِ ما إن ... أعيهما من السيرِ العنيفِ
فإن رُمتَ الكتابَ إليّ فكتبْ ... على العنوانِ يوصل في الكنيفِ

---

(١) الروع: الخوف. (٢) المزنة: المطرة، والسحاب.
(٣) نبي: أخبرني ـ سحّت غمامة: نزلت من عل

● **الحقنة**

كان كرتكين أمير بغداد أمره الطبيب بحقنة، قال: يوضع في إسته (كذا) فقال: في إست من؟ فخاف الطبيب، فقال: في إستي أيد الله الأمير. وكان عين الدولة أصابه مغص فأشير عليه بالحقنة فأبى وتمادى معه فلما اشتد به الوجع، قال: يا قوم أدخلوا هذا الجدع في إستي وأريحوني فحقن وبرأ.

واعتلّ أعرابي فأشير عليه بالحقنة، فقال صديق له:

كـفـى سـوءةً أنـا نـراكَ مـجـبـاً على شكوةٍ قبحاً وفي إستِكَ عودُها[1]

● **الحثُّ على التداوي بالأدوية**

روي في الخبر: تداووا فإن الله ما وضع داء إلا وضع له دواء، إلا الهرم، وقال طبيب لرجل: بم تداوي من حمّاك، قال: بالنشرة[2]، فقال: إن رأيت أن تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل. وقال رجل لآخر، وكان معه إبل جرب: هلاّ داويتها؟ فقال: إن لنا عجوزاً صالحة تتكل على دعائها وستغني به عن الدواء، فقال اجعل مع دعائها شيئاً من القطران.

● **التداوي بالقرآنِ والأدعية**

وجد ابن أسقع يشكو حلقه فقال له النبي ﷺ: عليك بقراءة القرآن. ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه، فقال ﷺ: ضع يدك اليمنى عليه وقل بسم الله أعوذ بالله وبقدرته من شرّ ما أجده سبع مراتٍ.

● **ذكرُ التأنّي في المداواة والمبادرة**

قيل: حقّ الطبيب أن يتأنى في المداواة فعثرته لا تقال. وقيل: المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه.

● **نوادرُ الأطباء**

جاءت امرأة إلى طبيب بقارورة. فقال: ما يجد صاحبها؟ قالت به حرارة وضيق ويبوسة، فقال: ليت ذاك في حر امرأتي. وجاءت أخرى بمستوقة فيها ماء، فقال: لو جاز في المستوقة لجاز أن تحمليه في حرك.

وشكا رجل إلى طبيب سوء الهضم، فقال: كله مهضوماً. وجاء آخر إلى طبيب، فقال أكلت الشعير والرطبة فأصابني مغص، فقال: هذا طعم الحمار فاذهب إلى يحيى البيطار يعالجك. واعتلّ رستاقي[3] فجاء إلى الطبيب فقال له: كل الرائب، فقال: والله إني

---

(١) الشكوة: المزة من شكا.   (٢) النشرة: الرقية.

(٣) الرستاقي: نسبة إلى رستاق وفي اللسان الرزتاق وهو والرستاق واحد، وهو من رستق، ألحقوه بالقرطاس.

لو عصرت ما انعصر مني إلا الراتب. وقال طبيب لمريض لا تأكل السمك واللحم، فقال له: لو كانا عندي ما اعتللت.

شكا عبد الله بن جعفر ضرسه، فقال له عبد الله بن صفوان: إن إبليس يقول دواء الضرس قلعه، فقال: إنما يطيع إبليس أولياؤه. شكا رجل إلى أبي السائب وجع رجله، فقال له: لا تأكل القديد، فقال أنا أحبه، قال: فلوجع أيضاً يحب رجلك. وظن خادم أن نشراً المريسي طبيب فعرض عليه ماءه فقال أنا طبيب الأديان لا طبيب الأبدان.

● سخفياتٌ في الطب

نظر عبادة إلى رجل في عينه جرب، فقال: أعطني مائة درهم أصف لك دواء، قال: افعل، فقال: خذ ورق المدر وعروق الحجر واسحقهما واكتحل بهما سبع سنين فإن لم تذهب عينك فخذني به، فرفع رجله وضرط عليه ضرطتين، فقال خذ هذين الدرهمين فإن نفع دواؤك زدناك.

وركب بختيشوع يوماً مع المأمون فتعلق به مجنون، وقال: أيها الطبيب خذ بنضي فأخذه، وقال ما تشتكي؟ فقال المجنون: أشتكي الشبق[1]، فقال بختيشوع: خذ مسواك أراك[2] وأدخله من ورائك فإنه صالح لذلك، فضرط المجنون وقال: خذ هذا لذلك حتى تجرب دواءك فإن كان صالحاً زدناك ولا يكون لنا طبيب سواك، فضحك المأمون.

● شهوة المريضِ للطعام

قيل للخليل في علته أتشتهي شيئاً، قال: لا، ويودي أن أشتهي. وقيل ذلك لآخر فقال: أشتهي ما لا أجد وأجد ما لا أشتهي. وقيل ذلك لآخر فقال: أشتهي أن لا أموت. قال أبقراط: المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي. وقال المتنبي:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يَجِدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا

● من شكا علته

قال أبو نواس، وقيل هو آخر شعر قاله:

دبَّ فيَّ السَّقامُ سفْلاً وعلْواً ... وأراني أموتُ عُضْواً فعُضوا

ليسَ يمضي من ساعَةٍ بي إلا ... نقَصتني بمرها بي جزْوا[3]

لهفَ نفْسي على ليالٍ وأيا ... م تمتَّعتُهنَّ لعْباً ولَهْوا

وقيل لعمرو بن العاص في مرضه: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب.

---

(١) الشبق: شدّة الشهوة. (٢) الأراك: شجر يستاك بعيدانه. (٣) جزواً: مخففة من جزء.

وأجد نجوي[١] أكثر من رزي[٢]، فما بقاء لشيخ على ذلك.

وقيل:

ولا بدّ من شكوى إذا لم يكُنْ صبْرُ

- **حمْدُ شكوى العِلّة**

قال بعضهم: دخلت على سفيان وهو عليل فقال: أشتكي كذا وبت البارحة بكذا، فقلت أما تخشى أن تكون هذه شكاية من الله؟ **فقال**: أن أذكر قدرته عليّ. ولما مرض أمير المؤمنين دخل إليه الناس **فقالوا**: كيف تجدك، **قال**: بشرّ، **قالوا**: أهذا كلام مثلك، قال أجل إن الله تعالى يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣] فالخير الصحة والشر المرض.

وقيل: الشكوى تخفف الهم وتزيل الألم. وقيل لآخر: ما تشكو، **فقال**: تمام العدة وانقضاء المدة. ووجه المتوكل إلى الجاحظ يدعوه، **فقال**: ما يصنع أمير المؤمنين بشخص ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج مائل وعقل حائل

- **شكْوى العِلّة**

قال المأمون لابنه العباس وقد شكا إليه وجعاً في بطنه: يا بني إنك لا تجد مواساة في غرض ما تجده في بدنك ولا يشركك فيه صديقك ولا تشمت به عدوك. وقال بعضهم لمن يشكو: أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ **وقيل** لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، وهو مريض: إن المريض يستروح إلى الأنين وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب، **فقال**: أما الأنين فوالله إنه لجزع وعار ولا يسمع الله مني أنيني فأكون عنده جزوعاً، وأما الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي فإن شاء قبضها إليه وإن شاء منّ بها عليّ.

- **فضلُ الصحّة والعافية**

قيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية. **وقيل**: لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة ولا طعم الرخاء من مسته يد البلاء. **وقيل**: الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية لا تزال غنياً ما دمت سوياً.

- **نفْعُ المرَض**

إعتلّ **الفضل بن سهل** بخراسان ثم برأ فجلس للناس، فهنأوه بالعافية وتصرّفوا في فنون الكلام، فلما فرغوا، أقبل على الناس، **فقال**: إنّ في العلل نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرّض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والإذكار بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة والحضّ على الصدقة. وفي قضاء الله وقدره الخيار.

---

(١) **النجو**: السرّ بين اثنين. (٢) **الرزّة**: صوت البطن. (٣) **القرآن الكريم** الأنبياء/ ٣٥.

ودخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على عليل، فقال: إن الله قد أقالك فاشكره وذكرك فاذكره.

واعتلّ جعفر بن محمد عليهما الرضوان، فقال: اللهمّ اجعله أدباً لا غضباً، وقال عليه السلام: إن المريض تتحات[1] عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجر.

وذكرت الأدواء عند أبي الدرداء، فقال رجل ما اشتكيت قط، فقال: لا جرم أن ذنوبك لم تحطّ عنك.

● وجوبُ عيادةِ المريض

قال النبي ﷺ: حق المسلم على المسلم ثلاث: عيادة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنازة.

وقال ﷺ: من عاد مريضاً خاض الرحمة فإذا قعد عنده استنقع فيها، وإذا خرج من عنده خاض الرحمة. وقيل: عيادة المريض بعد ثلاث. وفي الخبر: عودوا مرضاها وشيعوا هلكاها وعزوا ثكلاها.

● أدبُ عيادةِ المريض

قيل: سوء العيادة تلقيح العلة. وقال الفضل بن الربيع: لا تقولوا كيف أمير المؤمنين ولا تسألوه عن حاله فتكلّفوه الجواب ولعلّه يثقل عليه الكلام، ولكن اجعلوا مسألتكم الدعاء له، وقولوا بدل كيف يجد أمير المؤمنين نفسه؟: أنزل الله عليه الشفاء والرحمة. قال شاعر:

حقّ العيادةِ يومٌ بعد يومين ... وجلسةٌ لكَ مثلُ اللحظِ بالعين[2]

لا تبرمنّ مريضاً في مساءلةٍ ... يكفيكَ من ذاك تسآلٌ بحرفين[3]

ودخل قوم على السري السقطي رحمه الله، وهو عليل، فأطالوا الجلوس وقالوا: ادع لنا، فقال: ارفعوا أيديكم وقولوا اللهمّ اجعلنا ممّن علّمتهم عيادة المرضى.

ودخل قوم على مريض فأطالوا ثم قالوا أوصِ، فقال أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه. ودخل ثقيل على مريض فأطال الجلوس، ثم قال: ما تشتكي؟ قال: قعودك عندي.

● شكايةُ منْ لا يعودُه إخوانهُ

قال جحظة البرمكي:

مرضتُ فلمْ يكنْ في الأرضِ حرٌّ ... يشرفُني بـبـرٍّ أو سلامِ

---

(١) تتحات: تتساقط.

(٢) مثل اللحظ بالعين: أي أن تكون الزيارة خاطفة.

(٣) لا تبرمن: من برم: ضجر.

وضنّوا بالعيادة وهي أجرٌ | كأنّ عيادتي بذل الطعامِ[1]

● الاعتذارُ من تركِ العيادة.

قال شاعر:

إن كُنتُ في تركِ العيادةِ تاركاً | حظي فإنّي في الدعاءِ لجاهدُ
ولرُبما تركُ العيادةِ مشفقٌ | وأتى على غلّ الضميرِ الحاسدُ

● من عاده ممرّضة

قال عبد بني الحسحاس:

يعدنَ مريضاً هنّ هيجنَ داءَه | إلا إنّما بعضُ العوائدِ دائيا

وقال آخر:

وخبرت ليلى بالعراق مريضةً | فأقبلتُ من أهلي بمصر أعودُها
فوالله ما أدري إذا أنا عدتُها | أأبرئها من دائها أم أزيدُها

● مريضٌ عاد صحيحاً

قال شاعر:

إذا مَرضنا أتيناكم نعودكُم | وتذنبون فنأتيكُم ونعتذرُ

قال العبّاس بن الأحنف:

قالتْ مرضتُ فعدتُها فتبرّمتْ | وهي الصّحيحة والمريضُ العائدُ
واللّهِ لو أنّ القلوبَ كقلبِها | ما رقّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ

● وصفُ العلّة بأنها تنال الأماثل

روي أن الله تعالى يجعل تمحيصاً لذنوب أوليائه. وقال النبي ﷺ: مثلُ المؤمن مثل الخرمة من الزرع تميؤها الريح مرة هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق مثل الأرزة المجدبة على الأرض يكون انجعافها[2] مرة.

وقال أبو تمام:

فإنْ يَكنْ وصب عاينْت صورتَه | قالوا رد حلف بليث الغابة الأضم[3]
إنّ الرياحَ إذا ما أعصفتْ قَصَفَتْ | عيدانَ نجدٍ ولم يعرضْن للرّتمِ[4]

وقال البحتري:

وما الكلبُ محموماً وإن طال عمرُهُ | إلا إنما الحمى على الأسدِ الوردُ

(١) ضنّوا: بخلوا
(٢) الانجعاف: القلع.
(٣) وصب: مرض ـ الأضم: الغضبان
(٤) الرتم: الكسر

● ذكرُ تباطؤ زوالِ العلّة

دخل سفيان على جار له مخنث فقال له: كيف تجدك؟ قال: جاءتني العلّة باقات والعافية تأتيني طاقات. وقيل: العلّة تحمل على الجمال وتنقل على النمال.

● حثُّ العائدِ على تنشيطِ المريض

قال يوحنا: بشّروا المريض بالبرء ونشّطوه لشرب الدواء ولا تصعبوا عليه العلة فتخاف نفسه ويموت حسه.

وقال أبقراط: حدّثوا المريض حال من كان في أصعب من علّته فبرأ، ولا تحدثوه عمّن كان في مثل علّته فمات. وقيل: أدب العيادة تشجيع العليل بلطيف اللفظ وحسن الفأل.

● الحثُّ على تخويفه ليتجنّبَ المضارّ

قيل: خوّفوا المريض ليجتنب المضار، فمن خوّفك لتلقى الأمن خير لك ممن أمنك لتلقى الخوف. وقيل: من أوجرك[1] المرّ لتبرأ خير ممن أوجرك الحلو لتسقم. ودخل طبيب على مريض قد أصاب إصبعه ريح فشمّها، فقال: إن أكلت اليوم شيئاً مت فلما كان من الغد برأ فقيل له في ذلك، فقال: لو لم أخوفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه.

● رقيع خوّف مريضاً برقاعته

عاد رجل مريضاً لم يكن به بأس فقال: لا خير إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه، فقد كان أبي به هذا الداء فمات. وعاد آخر عليلاً، فقال: ما علّتك؟ قال: وجع الركبة، فقال: إن جريراً يقول بيتاً ذهب عنّي صدره، وآخره: وليس لداء الركبتين دواء، فقال: ليتما ذهب عنك عجزه مع صدره.

ودخل آخر على مريض، فقال: آجركم الله، فقيل إنه لم يمت، فقال: يموت إن شاء الله.

وقال رجل لمريض: كيف أنت جعلني الله فداءك؟ فقال: على الموت، فقال: إذاً لا جعلني الله فداءك فإني قدرت أن في الأمر فسحة.

● تهنئة من برأ من مرضٍ والدعاة له.

قال أشجع:

لَئِنْ جرحت شكاتك كلّ قلبٍ ... لقد قرت بصحتِكَ العيونُ[2]

وله:

---

(١) أوجرك: أسمعك ما تكره. (٢) شكاتك: شكواك.

لقد أمسى صلاح أبي عليّ لأهلِ الأرضِ كلّهم صلاحا[1]

قيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك، فقال: أو يسلم من الموت في عقبه. كتب عبد الله بن المعتز: أذن الله بشفائك وتلقى داءك بدوائك ومسحك بيد العافية ووجّه إليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

وقال ابن المعتز:

يا ربّ أمسكْ رَمَق الدنيا به واغسله بالصحةِ منْ أوصابِهِ[2]

وقال أبو تمام:

سقمٌ أُتيحَ له برءٌ فزعزعَهُ والرمح يأْدُ طوراً ثم يَعتَدلُ[3]

قد حالَ لونَ فرندِ اللّهُ نضرتُهُ والنجمُ يخمدُ حيناً ثم يَشتَعلُ

وقال المتنبي:

صحتْ بصحتِكَ الغاراتُ وابتهجَتْ بها المكارمُ وانهلّتْ بها الدِيَمُ[4]

وراجعَ الشمسَ نورٌ كان فارقَها كأنّما فقده في جسمِها سَقَمُ[5]

● تفديةُ المريض

قال شاعر:

فَدَيْناك لو يعطى المنى فيكَ والهوى لكانَ بنا الشكوى وكانَ لكَ الأجرُ

وقال البحتري:

بأنفُسنا لا بالطوارفِ والتلدِ نقيك الذي تخشى من السقمِ أو تبدي[6]

بنا معشر العافينَ ما بكَ من أذى فإنْ أشفَقوا ممّا أقولُ فبي وَحدي[7]

وقال آخر:

يا لَيْتَ علّته بي غيرَ أنّ لهُ أجرَ العليلِ وإني غيرُ مأجورِ

وقال ديك الجن:

يا لَيْتَ حُمّاه بي كانَتْ مضاعفة يوماً بشهرٍ وأن اللّهَ عافاه

فيصبحُ السقْمُ منقولاً إلى جسدي ويجعل اللّهُ منه البرءَ عُقْباه

---

(1) صلاح: شفاء وصلاح: خير. (2) أوصابه: أمراضه وأوجاعه.

(3) يأْد: انحنى.

(4) انهلّت: سالت ـ الديم: جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً.

(5) أي أن الشمس فقدت نورها أيام مرضه، وكان فقد ذلك النور كأنه سقمٌ لها.

(6) الطارف: المال الحديث ـ التلد: المال الموروث.

(7) أشفقوا مما أقول: حاذروا وحذروا منه.

- **من ذكر شدّة ما قاساه بعدما صحّ.**

وقال عبد الله بن المعتز:

أتاني برءٌ لم أكنْ فيه طامعاً ... كمثلِ أسيرٍ حلّ بعد وثاقِهِ
فإنْ كُنْتُ لم أجزع من الموتِ جرعةً ... فربي مججتُ الموتَ بعد مذاقِهِ[1]

- **تغيّر اللون**

قال الصولي: لم يُسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بدتْ صفرةٌ في لَونِه إنْ حمدهم ... من الدرِّ ما اصفرّتْ حواشِيهِ في العُقدِ

وقال أبو تمام:

لم يَشِنْ وجهَه البهيجَ ولَكنْ ... جعلتْ وردَ وجنَتَيْه بَهارا[2]

- **أنواعٌ مختلفة في الطبّ**

اشتكى رجل بطنه فقال النبي ﷺ: اذهب إلى امرأتك واستوهب منها درهمين واشتر بهما عسلاً واقرأ عليه القرآن وتناوله، ففعل فبرأ، فقيل له في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى يقول ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[3]، **وقال في** العسل فيه شفاء للناس، **وقيل** في الطعام إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود، وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة فضرّ. **وقيل:** كل شيء ينام من الإنسان إلا أربعة الوريد والسحر والمثانة والمعدة

وقال جعفر بن محمد قيل: الطبائع أربع، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه، والبلغم وهو خصم ألد جدل إن خصمته من جانب فتح عليك من جانب، والصفراء وهي مرة كالصبي ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها. **وقيل:** إذا كان الطبيب حاذقاً والعليل عاقلاً والقيم فهماً فأجدر بالداء أن يزول. لسعت عقرب صرم أعرابي، فقيل أين لسعتك؟ **فقال:** حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر **فقال أعرابي:** عندي دواؤه **فقيل له:** ما هو؟ **قال:** الصياح إلى الصباح. **قيل:** فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية.

ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني، ويقول: إن علتك من حدّة السفر، فدعا الفضل يوماً وقال: أعني

---

(1) **مججت الموت:** قلته.
(2) **شان:** عاب وشوّه - بهاراً: جمالاً وحسناً، والبهار نبت طيب الرائحة.
(3) **القرآن الكريم:** النساء/٣.

رجلاً عاقلاً من التجار أشاوره في أمري وأبعثه إليه بسرّ، فجاءه برجل من أهل طوس[1] فاستنطقه فرآه عاقلاً، فقال: أتحفظ السر؟ قال: نعم. فخلا به وقال: خذ هذه القارورة فأت بها جبريل بن بختيشوع فقل له: هذه قارورة أبي فتأمله فإن كان له دواء فعرِّفني وإن لم يكن له دواء فعرفني ليتجهز ويصلح أمره، فذهب إليه بالقارورة. فلما نظر إليها جبريل أقبل على أبيه، وقال: ما أشبه هذه بماء ذلك الرجل. إن هذا ميت لا محالة، فرجع الرجل وأخبر الرشيد بما قاله، فقال: ويلي على ابن الزانية يا فضل إذهب فاضرب عنقه، يعني الطبيب فأخذه الفضل وحبسه، فقال: أتركني محبوساً عندك ثلاثة أيام فإن عاش فاقتلني، وإلاّ فلا تتقلد دمي، ففعل، فمات الرشيد ليلة الثالث.

قال أنوشروان لوزيريه يوماً أي الفراش ألذ؟ فقال أحدهما: ألذ الفراش الخز محشواً، وقال الآخر: ألذ الفراش الحرير محشواً، وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب، فقال: أيها الملك أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم. قال: ألذ الفراش الأمن، قال: صدقت.

قال: فما ألذ الطعام، قال: ما لا يهيج على طبيعة علة ولا يعقد في عنق آكله منة، فقال: أحسنت. فما ألذ الشراب؟ فقال: ما لا يزيل عقلاً عن محله ولا يهيج على طبيعة شيئاً من علله، قال: أحسنت. فما ألذ الريحان، قال: الولد البار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته، فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه.

وكان بعض الأصبهانيين أصابه صداع فصمد رأسه بدار صيني وفلفل، فقال له الطبيب: هذا يعمل لرأس يوضع في القدور.

(١) طوس: مقاطعة في خراسان شرقي إيران فتحها العرب سنة ٢٩هـ (٦٤٩م).

الحدّ السابع

في الهِمَم والجدّ والآمال

(١)
فما جاء في الهمم الرفيعة والوضيعة

•

• مدحُ رفعِ الهمّة والحث عليه

قيل: الهمة تلقح الجد العقيم، **وقيل**: الهمّة جناح الحظ، **وقيل**: لا تدور رحى الجدّ إلا بقطب الهمّة وقيمة كل امرىء همّته. وقال عمرو بن العاص: عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة أي بجسام الأمور.

قال عمر رضي الله عنه: لا تصغرن همّتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همّته **وقال**: أحسن ما قال لبيد:

أكـذبُ الـنـفـسَ إذا حـدثْـتَـهـا ... إن صدقَ النفسِ يُزري بالأملِ[1]

وقيل: ثلاثة لا تدرك إلا برفع الهمة: عمل السلطان، وتجارة البحر، ومباجرة العدوّ.

قال ابن نباتة:

حاولْ جسيماتُ الأمور ولا تَقلْ ... إن الـمـحـامـدَ والـعُـلـى أرزاقُ[2]
وارغَبْ بنفسك أن تكونَ مُقَصّراً ... عن غايةٍ فيها الطّلاب سِباقُ

• المرءُ تابعٌ لهمته

المرء حيث يجعل نفسه: إن رفعها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت. نظر رجل إلى برذون يستقي عليه، **فقال**: ما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو هملج[3] في سيره ما استقي عليه. **قال شاعر**:

وما المرءُ إلاّ حيث يجعل نَفْسه ... ففي صَالح الأخلاق نفسَكَ فأجْعَلِ

---

(١) أزرى بالأمل: قصر ووضع من قيمته (٢) جسيمات الأمور: الأمور العظيمة
(٣) هملج في سيره: مشى مشية سهلة في سرعة

ولبعض بني عامر:

إذا لم يَكنْ للفتى همةٌ تبوِّئه في العُلا مصعدا
ونفسٌ يَعوِّدُها المكرما تُ والمرءُ يلزم ما عوِّدا
ولم تعد همته نفسه فليس ينالُ بها السؤددا

• من عظُمت همته وقصرت موجدتُه

قيل: ذو الهمة وإن حطّ نفسه، تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً. وقيل: أسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته، أخذ ذلك المتنبي فقال:

وأتعبُ خلقِ الله من زادَ همّه ويقصرُ عمّا تَشْتهي النفسُ وَجدُه[1]

وقال ابن نباتة:

أرى هِمَمَ المرء اكتئاباً وحسرةً عليه إذا لم يسعد الله جَدّه

• الحث على طلبِ الحسام والاعتزالِ عن الأنام

قال في كليلة: ينبغي لذي المروءة أن يكون إمّا مع الملوك مبجّلاً أو مع النسّاك متبتلاً كالفيل إما أن يكون مركباً سنياً أو في البرية مهيباً جليلاً. وقال حكيم: الناس رجلان دنياوي وأخروي فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسن أو سنان لا يمضي على هوان، والأخروي المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سدّاً ولا واسطة بينهما. وقال معاوية رضي الله عنه لابنه: كن مترفعاً عن الناس ومستتراً عنهم.

• الممدوحُ بعظم الهمّة

قال أعرابي: فلان يُرمى بهمّته حيث يشير إليه الكرم، يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه، له همة تناطح النجوم وكرم يشامخ الغيوم.

قال أبو الغمر:

وهمةٌ نبُلت عن أنْ يقالُ لها كأنّها وتعالتْ عن مدى الهمم

وقال آخر:

ولي هممٌ بيني وبين بلُوغِها بحورٌ من الآمالِ ليس لها جسرُ

وقال المتنبي:

له هممٌ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهرِ

(١) الهم: بمعنى الهمة ـ الوجد: الغنى.

وله:

فتىً أصابت من الدُّنيا نهايَتَها ... وهمةٌ في ابتداآتٍ وتَشْتيتِ[1]

وقال آخر:

صدرٌ رحيبٌ لما يأتي الزمانُ به ... وهمةٌ تسعُ الدُّنيا وما تسعُ

● من ضاقَ به الزمانُ لعظَم همّته

قال المتنبي:

فتىً يَشْتهي طولَ البلادِ ووقتُه ... تضيقُ به أوقاتُه والمقاصدُ

وله:

تجمعَتْ في فؤاده هممٌ ... ملءُ فُؤاد الزمان إحداها[2]

وقال الموسوي:

ضاقَ الزمانُ فضاقَ فيه تَقلُّبي ... والماءُ يجعل نفسَه في جدولِ[3]

● تحمّلُ المكارِه في نيل المكارم:

قيل: المكارم موصولة بالمكاره، وقيل: من طمِعَ بمكرمة فليتحمّل مكروهها.

وقال الخبزارزي:

فقل لمرجّي معالي الأمورِ ... بغير اجتهادٍ رجوتَ المحالا

وقال أبو تمّام:

ما ابيضَّ وجهُ المرءِ في طلبِ العُلا ... حتى يسودَّ وجهُه في البِيدِ[4]

وقيل: إذا لم تتعب لم تترفه وإذا لم تتعجل لم تتمتع. دون نيل المعالي هول العوالي. وقيل للربيع بن خيثم: أتعبت نفسك في العبادة وإصلاح أمر الناس، فقال: راحتها أريد فإن أمره العبيد أكيسهم لمولاه. وقيل لروح ابن حاتم: طال وقوفك في الشمس، فقال: ليطول وقوفي في الظلّ. وقد أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط، وما أدرك نعيم إلا ببؤس قبله.

قال شاعر:

وتحمُّل المكروه ليس بضائرٍ ... ما حلتَه سبباً إلى محمودِ

---

(١) نهايتها: منتهى الغاية - تشتيت: تفريق.

(٢) أي لعظم الهمم التي في قلبه واحدة منها تملأ قلب الزمان.

(٣) تقلّب: تنقل من جانب إلى جانب.

(٤) البيد: الصحارى، وهو بمعنى تحمل المكاره والصعاب.

وقال امرؤ القيس:

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ

وقال المتنبي:

إذا غامرْتَ في شرفٍ مرومِ ... فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ

فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

وله:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ

وقال الصاحب:

وقائلةٍ لم عرتْكَ الهمومُ ... وأمرُكَ مُمْتَثَلٌ في الأمَمْ[1]

فقلتُ دعيني على غصّتي ... بقدرِ الهُمومِ تكونُ الهِمَمْ

وكتب بليغ. فلان تعب في طلب المكارم غير صالّ في طرقها، ولا متشاغل عنها.

● استطابةُ تحمّلِ الشدّة للوصولِ إلى الرفْعة

قال المتنبي:

تلذُّ له المروءةُ وهي تُؤذي ... ومن يعشقْ يلذُّ له الغرامُ

وقال أبو فراس:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومنْ يخطبِ الحسْناءَ لم يغلِها المهرُ

وقال أبو دلف

وليسَ فراغُ القلبِ مجداً ورفعةً ... ولكنْ شغْلَ القلبِ للهمِّ رافعُ

وذو المجدِ محمولٌ على كلِ آلةٍ ... وكلّ قصيرِ الهمّ في الحي وادعُ[2]

● ذَمّ من همته نفسه

لمّا قال الحطيئة في الزبرقان:

دعِ المكارمَ لا ترحَلْ لِبُغيتها ... واقعُدْ فإنّكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسي

شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: ما في ذلك هجاء. فقال: يا أمير المؤمنين إنه عرّاني عما ابتنيته من المعالي فدعا حسّاناً وسأله، فقال: ما هجاه ولكنه سلح عليه.

---

(١) عرتك: أصابتك ـ الأمم: القوم.

(٢) وادع ساكن

وقال حاتم:

لحى اللّهُ صعلوكاً مُناه وهمّه ... من العيشِ أن يُلفي لبوساً ومطْعمَا[1]

وقال آخر:

إنّي رأيتُ من المكارمِ حسبكمْ ... أن تلْبسوا حرَّ الثياب وتشْبعوا
فإذا تذوكرتِ المكَارمُ مرّة ... في مجلسٍ أنتمْ به فتقنّعوا

وقال ابن سوادة:

همّهم من همِّهِ كلّه ... في الأكلِ والشربِ وفي الباهِ

أخذ ذلك من قول الأعرابي الذي قال: فلان كالبهيمة تأكل ما جمعت وتنكح ما وجدت، وقال:

إذا الفتى لمْ يركبِ الأهوالا ... فاسعَ له وعدّه عيالا[2]

● **ذمّ من قصرت همّتهُ عن طلبِ المعالي**

ذم أعرابي رجلاً، فقال: هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الأخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه.

قال أبو تمام:

بنو الهمَمِ الهَوامدِ والسقُوّس ... الجوَامدِ والمروآتِ الصيامِ

وكان لأعرابية ابن تحرضه على الإقامة والاقتصار على المطعم والمشرب، فأنشدها:

إذا ما الفتى لم يبغِ إلا لبَاسه ... ومطعمَه فالخيرُ منهُ بعيدُ

وقيل: فلان نطر الدعة بخيل السعة سيء الرعة. قال ابن الأعرابي: فلان يشبه كراع الأرنب إذا كان دنيء الهمة. ويقرب من هذا الباب ما قاله المنصور للمهدي: أشبع العباس بن محمد فإنك إن لم تشبعه يأكلك. وأما محمد بن إبراهيم فإنه إذا قدر على فرج امرأته لم يفارقه، وإياك أن تولّي محمد بن سليمان صمود منبر فإنه إن صعده همّ بالخلافة

● **تلمُّمُ من قصّر في طلَب المعالي**

قال المتنبي:

إلى كم ذا التخلّفُ والتّواني ... وكمْ هذا التمادي في التمادي[3]

---

(١) لحى الله: قبح الله ـ يلفي: يجد. (٢) عيالاً: متكل ومستعين بالآخرين.
(٣) التخلف: التأخر ـ التواني: التقصير ـ التمادي في الأمر: بلوغ مداه.

وشغلُ النفسِ عن طلبِ المعالي ببيعِ الشعرِ في سوقِ الكسادِ[1]

- **ذمّ إيثار الدّعة والنهيُ عنه**

قال ما لزم أحد الدعة إلا ذلّ، وحب الهوينا يكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز **وقال الصاحب**: إن الراحة حيث تعب الكرام أودع لكنها أوضع، والقعود حيث قام الكرام أسهل لكنه أسفل.

وقال آخر:

فتى بهمّته يلتذّ في دعةٍ وراحةٍ ويولي غيرهُ التّعبا

وقال أبو دلف:

ليس المروءةُ أن تبيتَ منعّماً وتظلَّ معتكفاً على الأقداح

ما للرجالِ وللتنعم إنّما خلقوا ليوم كريهة وكفاحِ[2]

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز

- **ذمّ الكسَل وتدرع العجز**

قال الأحنف إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً وإن ضجرت لم تصبر على حق.

قال شاعر

لا تضجرنَ ولا تدخلك معجزةٌ فالنجحُ يهلكُ بين العجزِ والضجرِ

وقيل: زُوّج العجز التواني فنتج بينهما الحرمان

قال ابن المعافى:

كأن التواني أنكحَ العجز بنته وساقَ إليها حين أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثم قال لهُ اتكيء فقصرا كما لا شكَّ أنْ تلد، فقرا

وقال آخر

خاطرْ بنفسك لا تقنع بمعجزةٍ فليسَ حرٌ على عجزٍ بمعذورِ

- **مدحُ إيثارِ الدّعة وقِصر الهِمّة**

قيل لابن المقفع لم لا تطلب الأمور العظام؟ فقال: رأيت المعالي مشوبة بالمكاره فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية، ومنه أخذ العتابي قوله

دعيني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هولَ تلكَ الموارِدِ

---

(١) أي إلى كم يشغل نفسه عن طلب المعالي بنظم شعر كاسد

(٢) يوم الكريهة: يوم الحرب.

فإن جسيمات الأمورِ مشوبةٌ ... بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[1]

- **مدحُ الخُمولِ مع الغِنى**

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟، فقال: من اتسعت مقدرته وقصرت همته. **وقال عبد الملك لأعرابي**: تمنّ، فقال: العافية وخمول فإني رأيت الشر إلى ذي النباهة أسرع، **فقال**: ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة.

وقيل لسعد: أرضيت أن تكون مشغولاً بأغنامك والناس يتنازعون الملك، **فقال** سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحبّ الغني التقي الخفي، **قال اليزيدي**:

وما العيشُ إلا في الخمولِ مع الغنى ... وعافيةٍ تغدو بها وتروح[2]

قال بعضهم: جرّبنا العيش فوجدنا أهنأه أدناه. **وقال محمد بن زبيلة**: أتروني لا أعرف الإيراد والإصدار، ولكنّ شرب كأس، وشم آس، واستلقاء من غير نعاس أحب إليّ من مداراة الناس.

- **مدحُ التوسّطِ في الأمور**

مدح الله تعالى التوسّط في كلّ الأمور، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: خير الأمور أوسطها. **وقيل**: الغلوّ في الحلو مؤد إلى وضع الصحة. وقيل: أكثر الخير في الأوساط.

قال أبو العتاهية:

عليكَ بأوساطِ كلِ الأمورِ ... وعد عن الجانب المشتبه[4]

- **ذمُّ التوسّط**

قال كشاجم:

وقالوا عليكَ وسيط الأمورِ ... فقلتُ لهم أكرهُ الأوسطا

إذا لم أكنْ في ذرا شاهقٍ ... ولا في حضيضٍ وطيءِ المطا[5]

وحاولتُ في مرتقى هائلٍ ... توسطه خفتُ أن أسقطا

وقيل ممّا يستقبح: معنى وسط ومعنى وسط وبادرة وسط وحقيقة الوسط ما لم يكن سيئاً ولا دنيئاً، كما قال أبو مهدية لأعرابي، وقد سئل عن طعام، **فقال**: ليس بخسيس ولا

---

(١) جسيمات الأمور: العظيمة ـ مشوبة: مختلطة ـ الأساود: جمع السواد، أي الشخص.

(٢) يؤثر النعمة والسلامة في ظلّ الغنى على السيادة والمجد محفوفين بالمخاطر.

(٣) القرآن الكريم: المائدة/ ٤ ... (٤) الأمور المشتبهة: الملتبسة والمشكلة.

(٥) الشاهق: الجبل العالي ـ الذرا: القمم، جمع ذروة ـ المطا: الظهر.

نفيس. وقيل لإسحاق الموصلي: قد خبرت فلاناً فكيف هو، فقال: ليس في الكمال كما تهوى ولا في التخلف كما تخشى.

● ذمّ بلوغ النهاية.

عند التمام يكون النقصان وبقدر السمو في الرفعة تكون وحة الوقعة

قال شاعر:

إذا تمّ أمرٌ بدا نقصه ... توقّعْ زوالاً إذا قيلَ تمّ

وفي بعض الأدعية: صرف الله عنك التمام. وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد وهو يحلف الحسن بن سهل: رأيت أن استوزرك، فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني إليها المولى ويخشاني لها العدو، فما بعد الغايات إلا الآفات. ومما يضاد هذا الباب ما كتب القاسم بن عبد الله الكرخي: ولي فيما جدّد الله من هذه النعمة للوزير من بلوغ النهاية ما استديمها به، قال: انتزعته من كتاب الله تعالى في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1] وقد علم أن دين الله بعد نزول هذه الآية لم يزل نامياً عالياً على كل دين، وأنه إنما ضرب بجرانه وقهر الأمم شرقاً وغرباً بعد كماله.

(٢)
ومما جاء في الجد[2]

● تفضيلُ الجدّ على الجِدّ

قيل: جدّك لا كدّك، عارك بجد أودع. وقيل: لا جد إلا ما أقعص عنك. الجَدُّ أجدى والجد أكدى. وقيل: مدّ من حظ خير من صاع من عقل وجد.

قال البديهي:

ليسَ يُجْدي عليك سعيٌ بجِدّ ... لم تيسّر له ملاقاة جَدّ[3]

وقيل:

الحظّ يأتي من لا يرومه ... ليس بالكدّ بلوغُ الراغب

وقال آخر

الجَدُّ أنهضُ بالفتى من سعيه ... فانهَضْ بجَدّ في الحوادثِ أو دعِ

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٤.

(٢) جد (بفتح الجيم): الحظ.

(٣) ليس يجدي: ليس ينفع ـ يقول: إن السعي الجد لا نجح فيه ولا نفع، والجِدّ (بالكسر): الاجتهاد والدأب بغير الجَدّ أي الحظ.

وقال آخر:

هل نافِعي جِدِّي وفرطُ تيقُّظي ... إن كان جدِّي يا أمامةُ جاهِدا

وأنشد محمد بن عمر الورّاق البلخي:

إن السعادةَ أمرٌ ليس يُدركُه ... أهلُ السعادةِ إلا بالمقاديرِ
مخزونةٌ عن أناسٍ طالبين لها ... وقد تُساق إلى قومٍ بتيسيرِ

وقال عمر للنبي ﷺ لما ذكر من أسعده الله من أهل الجنة وأشقاه من أهل النار: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال ﷺ: يا ابن الخطاب اعمل فكل ميسّر لما خلق له. أما أهل السعادة فميسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فميسرون لعمل أهل الشقاوة.

● تفضيلُ الجَدّ على العقل

تقدّم إخوة إلى سوار في ميراث لهم، فقال سوار: خيّروا الأكبر منكم فإنه خلف أبيكم والمنظور إليه دونكم، قالوا: قد فعلنا فأبى الأكبر أن يفعل ذلك، فقال سوار: ما يمنعك، فقال: إني بحظي أوثق مني بعقلي، فأقرع بينهم فخرج سهمه خيراً من سهامهم، فقال: كيف رأيت فقال سوار: استأذن العقل على الحظ فحجبه. وقد تقدم في باب العقل أمثلة لذلك.

● كونُ العاقل محدوداً والجاهلُ مجدوداً

من زيد في عقله نقص من حظه. وقيل: ما جعل الله لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب عليه من رزقه.

قال شاعر:

وخصلة قلّ فيها من يُحالِفني ... الرزقُ والحمقُ ملزومان في قرنِ[1]

وقال آخر:

خابَ امرؤٌ ظلّ يرجو أن ينال غنى ... بالعقلِ ما عاش في دهرِ المجانينِ

وقال المتنبي:

وما الجمعُ بين الماءِ والنار في يدي ... بأبعدَ من أن أجمع الحظّ والفهما

● معارضةُ دنيءٍ ساعده القدر:

ألا ليتَ المقادرَ لم تقدر ... ولم تكنْ إلا حظى والجدودُ
فننظر أينا يُضحي ويُمسي ... له هدي المراكبُ والعبيدُ

---

(١) في قرن: أي مقرونان.

وقيل لرجل: كيف فلان؟ فقال أحمق مرزوق. وقيل لآخر: فقال عيي غنيّ حظيّ.

● الجد يحسن القبيح ويقرب البعيد

قيل: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه. وقال شاعر:

إن المقادير إذا ساعدت　　ألحقت العاجز بالحازم[1]

وقيل: السبب الذي يتقدم به المحدود هو السبب الذي يتأخر به المحدود، قال أبو الشيص:

يخيبُ الفتى من حيثُ يرزقُ غيرُه　　ويعطى الفتى من حيثُ يحرمُ صاحبُه

وقال الموسوي:

لا تحلفنّ طمعاً وَجَدُّكَ مدبرٌ　　واطلُبْ مدى الدنيا وجَدُّكَ مقبلُ[2]

● تعسّر الأمر على من خذله جدّه

قيل: إذا لم يساعد الجَدّ فالحركة خذلان. وقيل: إذا ولّت الدول صارت الحيل وبالاً.

قال شاعر:

إذا كان جَدُّ المرءِ في الشيء مُقبلاً　　تأتت له الأشياءُ من كل جانب
وإن أدبرتْ دُنياه يوماً توعّرتْ　　عليه مآتيهُ ووجوه المطالبِ[3]

قال ثمامة: لما أخبر يحيى بن خالد بتغير الرشيد له، كان يحتال في تخليص روحه فأمرني يوماً بالحضور معه فاجتمعنا على الرأي، فكلما أتى الرأي نقض عليه آخر حتى أعيانا الأمر، فقام وقال: أف لهذه الدنيا كان الرأي يجيئنا على البديهة والأمر مقبل، فصار لا يأتينا على الروية والأمر مدبر، ليصنع الدهر ما شاء. وقيل: إذا أراد الله تعالى أن يزيل عن عبده نعمة فأول ما يزيل عنه عقله.

قال البديهي:

إذا المقاديرُ لم تقلْ مساعدةً　　على بلوغِ المُنى لم تنفعِ الهممُ

وقال مخنث: إذا جاء البخت توقف بيضة على أعلى الوتد، وإذا أدبر البخت أعمى الهاون في الشمس.

● تأسّفُ من جدّ جِدُّه ولم يساعِده جَدُّه

قال أبو تمّام:

ماذا عليّ إذا ما لم يزلْ وتري　　إن مال في الرمي أعراضي فلَمْ أصبِ

---

(1) الحازم: من الحزم، والحازم أيضاً العاقل.

(2) جَدُّك: حظك الجدّ المقبل خلاف الجدّ المدبر أو العاثر.

(3) توعرت عليه: تعسّرت وصعبت.

وقال آخر:

لم أرتَ ويحكَ من سعي فلا تلم ... المنعَ من جانبِ الأقدارِ والقسمِ

وقال آخر:

تـكـامـل فـيّ آلـةُ كـل حـرٍ ... ولـكـن لا يُـسـاعـدنـي الـزمـانُ

وقال الموسوي:

غرستُ غروساً وكنتُ أرجو لحاقَها ... وآمل يوماً أن تـطـيـبَ جـنـاتُـهـا

فإن أثمرتْ لي غيرُها كُنت آملاً ... ولا ذنبَ لي إن حنظلَت نخلاتُها[1]

● المجدودُ

قال معاوية لما أتاه خبر موت أمير المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه: لا جدَّ إلاّ ما أقعص عنك. قال شاعر:

وكانتْ قريش يفلقُ الصخرُ جدُّها ... إذا أقدق الناس الجُدودُ العواثرُ[2]

وقال أبو تمام:

ورثوا الأبوةَ والحظوظَ فأصبحوا ... جمعوا جُدوداً في العلا وجدوداً

وقيل إنه لما قال ذلك أجمع الأدباء أنه أشعر أهل زمانه.

وقالت عابدة المهلبية:

ولـو أرسـلـت سـيـلك باصطلابٍ ... لصارتْ في الطريق لها نصولُ

● التوفيق

قال عمر رضي الله عنه: توفيق قليل خير من مال كثير. وقيل لبزرجمهر: أي الناس أفضل؟ فقال: مجتهد في الخير ساعده القدر، وقيل لحكيم: ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرء في كل حال؟ فقال: التوفيق، من حرم التوفيق، فأقطع ما يكون إذا اجتهد. وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويحدث عن أمر؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

مـن لـم يـكـن لـلـوصـالِ أهـلاً ... فـكـلّ إحـسـانـه ذنـوبُ

وقال بعض الصوفية: إن العنايات لا تضرّ معها الجنايات، وأنشد الشبلي:

ويقبُح مِن سواكَ الشيء عندي ... وتـفـعـلـه فـيـحـسـنُ مـنـكَ ذاكـا

سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

● بُطلان الجدّ والتدبير مع القضاء والقدر

قيل: إذا جاء الحين حار العين وإذا جاء القدر عمي البصر. المرء طالب والقضاء

---

(١) حنظلت النخلة: صار ثمرها مراً.

(٢) الجدود العواثر: الحظوظ الكابية.

غالب. إذا انقضت المدة لم تنفع العدّة. إذا نزل البلاء ذهبت الآراء. إذا حلت المقادير ضلّت التقادير. وقيل: إذا حل القدر بطل الحذر

لما حجّ أبو مسلم قيل له إن بالحيرة نصرانياً أتت عليه مئتا سنة وعنده علم من علوم الأوائل فقصده، فلما نظر إلى أبي مسلم قال له: قمت بالكفاية ولم تأل في الغاية، حتى بلغت النهاية، أحرقت نفسك لمن لا يرحم حسّك، وكأني بك وقد عاينت رمسك، فبكى أبو مسلم، فقال: لا تبك فإنك لم تؤت من حرم وثيق ولا من رأي دقيق ولا من تدبير بارع ولا من سبب قاطع، ولكن ما استجمع لأحد أمله إلا أسرع في تفريقه أجله. قال: فمتى يكون؟ قال: إذا تواطأ الخليفتان على أمر والتقدير في يديّ من يبطل معه التدبير. وإذا صرت إلى خراسان فقد سلمت. وهيهات فلولا أن البصر يعمى إذا نزل القدر لكان في ذلك ما يحث على الاحتيال

انتهى أعرابي إلى أرض، فقيل له: إنها مَفْعاة[1] فبات على ظهر راحلته فتحلقت حية بسمعة كانت في يده فلسعته، فقال وهو يجود بنفسه:

لعمرك ما يدري امرؤٌ كيف يتقي ... إذا هو لم يجعلْ لهُ اللهُ واقيا

ولأمير المؤمنين رضي الله عنه

إذا لم يكنْ عونٌ من اللهِ للفتى ... فأكثرُ ما يجني عليه اجتهادُه[2]

وقال آخر:

سبق القضاءُ بكلِ ما هو كائنٌ ... فليجهدِ المتقلبُ المحتالُ

وقال ابن نباتة:

وإني إذا ما حاجة حالَ دونها ... نهارٌ وليلٌ ليسَ يعتوران[3]

حملتُ على سوءِ القضاءِ مَلامَها ... ولم ألمِ الإخوانَ دونَ زماني

إذا اللهُ لم يأذنْ بما أنتَ طالبٌ ... أعانكَ في الحاجاتِ غيرُ معانِ

وقيل: القضاء يقرب البعيد ويبعد القريب. قال شاعر:

وقد يجلبُ الشيءَ البعيدَ الجوالبُ

وقيل: إذا كان المقدور كائناً فالهم فضل. وكان نقش خاتم أبي العتاهية

سيكون الذي قضي سخط العبد أم رضي

---

(1) أرض مفعاة: أي كثيرة الأفاعي.
(2) اجتهاده: عمله.
(3) يعتوران: يتداولان أو يتواليان.

(٣)
ومما جاء في الأماني والآمال

●

● ما يدلُّ على جواز التمني

قال الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾(١) فدل أن تمني ما لا يكون محظوراً مباح، وقال تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾(٢)، وسمع ذلك رجل من الصالحين، فقال: ليت ذلك تم.

● طيبُ الأماني والآمال

قيل لبعض من كان يخطب عملاً: ما تصنع؟ قال: أحلم الرجاء حتى ينزل القضاء. قيل: ليس سرور النفس بالجدة والمقدرة إنما هو بالأماني والآمال. وقيل لحكيم: أي شيء أدوم إمتاعاً؟ فقال: الأماني.

وقال رجل من بني الحارث:

منى إن تكنْ حقاً تكن أحسنَ المُنى ... وإلا فقد عِشْنا بها زمناً رغْدا
أماني من سُعْدى حِساناً كأنَّما ... سقتْك بها سُعدى على ظمأ بردا

وقال آخر:

إذا ازدحمَتْ هُمومي في فؤادي ... طلبتُ لها المخارجَ بالتمنّي

وقال آخر:

في المُنى راحةٌ وإن عللتْنا ... من هواها ببعضِ ما لا يكونُ

● ذمُّ الأماني وبطلانُها

قيل: إيّاك والمنى فإنها بضاعة النوكى. الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين. الخذلان مسامرة الأماني والتوفيق رفض التواني.

قال ابن المقفّع: كثرة المنى تخلق العقل وتطرد القناعة وتفسد الحس. وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: تجنّبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خوّلتم وتصغر مواهب الله التي رزقتم.

قيل: ثلاث تخلق العقل وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب وطول التمني والاستغراق في الضحك.

---

(١) القرآن الكريم: مريم/ ٢٢. (٢) القرآن الكريم: الدهر/ ١.

قال رجل لابن سيرين رأيتني كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح، فقال: أنت رجل تكثر الأماني. وقيل: المنى والحلم أخوان. إن المنى طرق الضلال. إن ليتا وإن ولو إعناء.

قال كثير: وددتُ وما تغني الودادة أنني... (البيتين).

وقال محمد بن أمية:

أقطعُ الدهرَ بظنٍّ حسنٍ ... وأجلي كربةً لا تنجلي
كلما أملت وجهاً صالحاً ... عرض المكروهُ دونَ الأملِ
وكذا الأيامُ لا تدني الذي ... أرتجي منكَ وتدني أجَلي[1]

وقال البسامي:

أعللُ نفسي بما لا يكونُ ... كما يفعلُ المائقُ الأحمقُ[2]

وقال المتنبي:

تمنٍّ يلذُّ المستهامُ بمثلِه ... وإن كان لا يُغْني فتيلاً ولا يجدي

وقال أبو تمام:

من كانَ مرعى عزمِه وهمومِه ... روضُ الأماني لم يزلْ مهزولا

وقال آخر:

إنّ المنى رأسُ أموالِ المفاليس

وقال أفنون التغلبي:

ولا خيرَ في أن يكذبَ المرءُ نفسَه ... وتقوالِه للشيءِ يا ليتَ ذا ليا

● أماني من تمنّى أمراً فأدركَهُ

اجتمع ابن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، فقال مصعب: هلموا نتمن. فتمنى عروة العقه وأن يحمل عنه العقه، وتمنى عبد الملك الخلافة، وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة، وعبد الله بن عمر الجنة. فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوه، وشهد ابن عمر رضي الله عنهما مدرك ما تمناه وطلبه.

وروي أن كعب بن ربيعة بن عامر أتاه آت في المنام فقال: اجمع بنيك ومرهم بالتمني فإنهم يعطون، فجمعهم فقال لعقيل: تمنَّ، فقال: العدد والرمي فليس في بني كعب أكثر عدداً منهم ولا أرمى. وقال لجعدة: تمنَّ، فقال: المال فهم أكثر بني كعب خيلاً

---

(١) تلني الأجل: تقربه.

(٢) المائق: الأحمق، من ماق يموق موقاً الرجل، حمق في غبارة

وزيلاً. وهم أهل رضاخ وضرية والفلج، وقال لقشير: تمنّ، فقال: البقاء والجمال فهم أجمل بني كعب ويكثر فيهم ذو السن وذو الرقبة منهم أدرك الإسلام وله مائة وعشرون سنة وله ألف من ولده، هذا يقول: يا أبته وذا يقول: يا جداه، وقال لحريش: تمنّ، فقال: الحظ فهم أنكح بني كعب. وقال لخبيب: تمنّ، فقال: المودّة من إخوتي فيما بينهم وأن لا يؤثروا بهم. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: سأل الله أن يعطيا مناانا بعد أن يوفقنا التمنّي ما فيه مصالحنا.

● **من ذكر قلّة مبالاته بالمنية لإدراكه قاصية الأمنية**

قال الله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

وقال قيس بن الحطيم:

متى يأت هذا الموت لا تلف حاجةٌ ... لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها

ونحوه:

أدركتُ في الدهرِ أياماً بلغتُ بها ... من الشبابِ الذي قد كانَ عاصاني

وقال منصور بن طلحة بن عامر: رأيت عبد الله بن طاهر في المنام بعد موته فقلت له: ما خبرك أيها الأمير؟ فقال:

من كلّ شيءٍ قضتْ نفسي لبانتَها ... مذ أتاني رأتني قاصياً أجلي[2]

وقال زهير بن خباب الكلبي وكان من المعمرين

من كلِّ ما نالَ الفتى ... قد نلته إلا التحية

● **طيبُ إدراكِ المُنى**

في المثل: أطيب من نيل المنى ودرك الأمل. وقيل: ليس بعد بلوغ المنى إلا نزول المنيّة. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[3]. وقال أبو الفتح بن العميد:

إذا المرءُ أدركَ آمالَه ... فليسَ له بعدُ ذا مقترحُ

● **أماني قومٍ بحسبِ أحوالِهم**

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما تتمنى؟ فقال: لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الله بن الأهتم ذلك، فقال: رفع الأولياء وقمع

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/١٠١. (٢) لبانتها: حاجتها. (٣) القرآن الكريم: الأنعام/٤٤.

الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء. وقيل ذلك للفضل بن سهل، فقال: توقيع نافذ وأمر جائز. وقيل لحكيم: تمنَّ، فقال: محادثة الأخوان وكفافا من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. وقيل ذلك لمطرف فقال: مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي. وقيل لآخر، فقال: شواء مستنشل وعباء مسترسل ونكاح مستعجل

وقال بعضهم: العيش كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. وقيل لحكيم، قال: هوى وافق حقاً. وقيل لرجل، فقال: أن تمعني جوارحك لذاتها. وقيل لأعرابي، فقال: حباء في أرض خلاء وكلب إذا أصابه المطر راحمني فيه. وقيل لابن سنان فقال: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. وقيل لمأبون. فقال: لذة الأبنة وحك الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا. نعوذ بالله من بعض الأماني

● أماني البُلْه

قال شاعر:

إذا تمنَّى مائقٌ أُمنيةً ... تخضِبها كالةً مقفيَّة

قال الأصمعي: قال شيخ من بني العجيف إني تمنيت أن أبني داراً فمكثت أربعة أشهر للدرجة أين أضعها. ومرّ الحجاج ليمة بدكان لبان وعنده ستوفة فيها لبن وهو يتمنى ويقول: أنا أبيع هذا اللبن بكذا درهماً وأشتري به كذا، ثم أبيعه ثم يكثر مالي ويحسن حالي، وأخطب إلى الحجاج ابنته فأتزوج بها فتلد لي ابناً فأدخل عليها يوماً فتخاصمني، فأضربها برجلي هكذا، ومدّ رجله فكسر البمترقة، فقرع الحجاج بابه واستفتحه فضربه خمسين، وقال: أليس لو ضربت بنتي بوكرة هكذا لفجعتني بها

● نوعٌ من الأماني

قال الوليد بن عبد الملك لبليح المغني: خذ بنا في الأماني فلأغلبنّك، فقال: والله لا تغلبني فيها أبداً إني أتمنى كفلين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً يبشّ عليّ من خلفي ومن قدّامي أتتمنى مثله؟ فقال: غلبتني لعنك الله. وقيل لرجل: أيسرك أن يكون لك ألف درهم؟ فقال: نعم وأضرب مائة، فقال: وضربُ المائة لمه، فقال: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

وقيل: كان رجل يطلبه الحجّاج فمر بسباط فيه كلب، فقال: ليتني كنت هذا الكلب فأستريح من الغمّ والخوف، فما لبث أن جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل، وقيل: ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب. وقعد ابن أبي عتيق فقال: ليت لنا لحماً فنطبخ سكباجاً[1] فما لبث أن جاء جار له بصحفة، فقال أعطونا قليل مرق، فقال إن جيراننا يشمّون رائحة الأماني.

---

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخلّ (واللفظة فارسية)

● التحذيرُ من طولِ الأمل

قال النبي ﷺ أخوف ما أخوف على أمتي الهوى وبعد الأمل أما الهوى فيعدل عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل، من جرى في عنان أمله عاثر[1] لا شك بأجله. الأماني مصائد الرجال

ووجد على حجر مكتوب. يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجوه من أملك.

● تبكيتُ من أطالَ الأمل

أقام معروف الكرخيّ الصلاة فقال لمحمد بن ثوابة. تقدّم، **فقال:** إن صليت بكم الصلاة لم أتقدم بعده، **فقال:** وأنت تحدث نفسك بصلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل، من عدّ غداً من أجله فقد أساء.

● نفعُ طولِ الأمل في الورى

قال النبي ﷺ: الأمل رحمة لأمتي ولولا الأمل ما أرضعت أمّ ولداً ولا غرس غارس شجراً ومن هذا أخذ الحسين رضي الله تعالى عنه لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا **وقال مطرف:** هيبة الغفلة رحمة فلو دخل الناس الخوف من الموت ما انتفعوا بدنياهم

● مضرّةُ انقطاعِ الأمل

قيل أعظم المصائب انقطاع الرجاء **وقيل لبزرجمهر** ما الذي يشدد البلاء على الناس؟ فقال القنوط والاستبسال، **قيل:** فما الذي يهوّنه عليهم، قال الرجاء وحسن الظن **قال النظّام** كنا نلهو بالأماني وتطيب أنفسنا بها، فذهبت من بعد وانقطع الأمل.

● بقاءُ الأمل والمنى ببقاءِ الحياة

قيل: لا ينقطع رجاء المرء ما لم تنقطع حياته **وقيل:** الأمل يساوق الأجل

قال علقمة

والعيشُ شحٌ وإشفاقٌ وتأميلُ

ومثله:

العيشُ إن تَجلُ عنهُ كلّه تعبُ والمرءُ إذ قرّ عيناً كلّه أملُ

قال بشار الإنسان لا ينفك من أمل فإن فاته عوّل على الأماني، فالأمل نفع سبب، والهوى لا يكون نسيباً وبابه مفتوح لمن يكلّف الدخول فيه

---

(1) **العاثر** الساقط والهالك، والعاثر التعس من عثر الفرس إذا زلّ وكبا

● **تضمنُ الرجاءِ للخوف**

قيل: خوف وقوع المكروه مقرون برجاء السلامة، كل رجاء متضمن للخوف ولذلك استعمل كل واحد منهما موضع الآخر، وقول الهذليّ:

إذا لَسعته النحلُ لم يرج لَسعَها

أي لم يخف. **وقيل**: لا ينبغي للعاقل أن يسرّ بالرجاء فإنه مشوب بالذعر والسرور به غرور، إن خاب أضعف الأكداء عليه الغم

الحد الثامن

في الصناعات والمكاسب والتقلّب والغِنَى والفَقْر

(١)

فيمَا جاء في الحِرْفة

●

● مدحُ الحِرفة وفضلُها

قال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ما المروءة فيكم؟ قالوا: العفة والحرفة. وقال النبي ﷺ: خير الكسب كسب اليد لمن نصح. وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله أله حرفة فإذا قال: لا، سقط من عينه.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ، فقال: يا أبا رافع أنت خير مني تؤدي حق الله تعالى وحقّ مواليك. وقيل لأعرابي نسيج: ألا تستحي أن تكون نسّاجاً، قال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع نفسي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس. وقال ﷺ: إن الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لأنه حكيم.

وقال أبو العتاهية:

ولا تدعْ مكسباً حلالاً ... تكونُ منه على ثياب

● ذمّ السّرقَة

قيل: لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان، فيقول حوّلوا إلى الكفة الأخرى ففي الميزان عيب.

● أصنافُ الصنّاع وتفضيلُ بعضِها على بعض

قيل: الناس أربعة: ذو صناعة وزراعة وتجارة وإمارة، وما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار ويكدرون المياه. وقال المأمون: السوقيون سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس.

كتب الوليد إلى صاحب الساحل: اجعل الحائك والإسكاف في مرتبة والحجام والبيطار في مرتبة، والزرّاد والصيرفي في مرتبة، والمعلّم والخصيّ في مرتبة والنخاس والشيطان في مرتبة.

وقيل: ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس: الحياكة والحجامة والدباغة. وقال حبيب بن محمد لمالك بن دينار: لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار؟ فقال: أكون حداداً فأرى لمح النار لعلّي أتقيها، فقال حبيب: كنت أختار أن أكون حفّاراً للقبور.

● المتولّي صناعة تُنافيه

قال شريك بن عبد الله: خمسة من النكائر: عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوماً، وعرابي أشقر. ومن العجائب: منجّم أعمى وأطروش صاحب خبر، وعطار أخشم، وسداد أخرس ومؤاجر أصلع، وجندي محفوف الشارب، وكنّاس متعزز وخبّاز منقرس ولحيي ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش وحجام قليل الفصول، وإمام أمي وكحال أرمد.

وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحاً لم يحسن السباحة، وقال: من العجائب ملاح غير سابح.

● المتولّي صناعة تليقُ به

من تمام آلة القاصي أن يكون لحيانياً، والقاص أن يكون أعمى شيخاً بعيد الصوت، والزامر أن يكون أسود، والمغني فره الدابة برّاق الثوب عظيم الكبر سيء الخلق، والشاعر أن يكون أعرابياً، والداعي إلى الله أن يكون صوفياً. من عمل عمل أبيه كفي نصف المعاش.

● أنذالٌ من الصناع متبجّحٌ بعضُهم على بعض

دعا حجّام كناسين يكنسان له كنيفاً، فقال أحدهما للآخر: أتدري عند من نعمل؟ قال: لا، قال: نعمل عند حجّام، فقال: نحمد لله الذي أعلمنا ذلك قبل أن نشرب من كوزهم أردت والله أن أرمي بكل ما في جوفي. أطلب لي شيئاً أشرب به فضرب يده إلى كوز معه في جوف جرّة ينقلون فيها الخرء، فمسحه بيده وناوله فشرب منه.

اجتمع كناسان على كنيف، فقال أحدهما: فيه من الخرء قامة، وقال الآخر: قامة وبسطة، فنزع ثوبه وقمز فيه وغاص ثم أخرج رأسه، وقال: تظنني حائكاً.

وقع شرٌ بين حجّام وحذّاء، فقال: أنت تمشط وتسرج، وأنا أحذو وأنت تشق بمبضع، وأنا بمخصف فما فضلك عليّ؟

● ذكر من تولّى صناعة دنيئة من الأكابر

قيل: كان طالوت دباغاً فآتاه الله الملك على رغم من كره، وكان داود عليه السلام راعي غنم وآتاه الله الملك والحكمة، وموسى راعياً أجيراً لشعيب عليهما السلام، وعيسى عليه السلام صيّاد سمك وهذا باب يكثر أن يتبع.

● ذمّ الحاكة

قيل: الحمق عشرة أجزاء تسعة في الحاكة. مرّ على أمير المؤمنين كرم الله وجهه رجلٌ فقال له: إلى أين؟ قال: إلى البصرة في طلب العلم، فقال: أتترك علياً وتطلب العلم بالبصرة؟ ثم قال له: ما صناعتك؟ فقال نسّاج فقال رضي الله عنه: من مشى مع حائك في طريق ارتفع رزقه، ومن كلّم حائكاً لحقه شؤمه، ومن اطلع في دكانه اصفرّ لونه. فقال قائل: لم يا أمير المؤمنين وهم إخوان؟ فقال: إنهم سرقوا نعل النبي ﷺ وبالوا في فناء الكعبة، وهم تبع الشيطان وشيعة الدجال، وسرق عمامة يحيى بن زكريا وجراب الخضر وعصا موسى وغزل سارة وسمكة عائشة من التنور، واستدلتهم مريم عليها السلام فدلّوها على غير طريق، فدعت عليهم أن يجعلهم الله سخرية وأن لا يبارك في كسبهم.

وقال حائك لعالم: دلّني على عمل أتواضع به، فقال له: ما عمل أوضع من عملك فالزمه. وقال: شهادة الحائك تجوز مع عدلين.

وكان الطّام يسمّى العروضي أحصر النظر فكشف عن بطنه وقال: ما ههنا حصرة، فقال: إنه يريد أنه حائك. ويقال فلان أحصر النواجذ[1]، والبراجم[2] للأكار بمعنى أنه يأكل الكراث ويتناول الخضراوات

● في مدحه:

لولا الحياكة والديس يلوتها ... سدت ليعروج ولاحت الأذار

وفي ذم صناعة قليلة النفع يتمثل بقول الشاعر:

ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

● مدح الحجّام

قال النبي ﷺ: نعم العبد يقل الدم ويخف الصلب ويجلو البصر. ومن فضلاء الحجّامين أبو طيبة حجّام رسول الله ﷺ حجم النبي ﷺ، وشرب دمه فاختلط دمه بدمه فخُطب إلى الأشراف وزُوج من الكرام ومنهم أبو هند

قال النبي ﷺ: يا بني هند إنما أبو هند رجل منكم فانكحوه وانكحوا إليه. ومنهم عبيد الحجّام بالبصرة وكان أديباً، قيل له: كم يعطيك فلان؟ قال سدوسي، عنى قول الشاعر:

فإن تبخل سدوس بدرهميها ... فإن الريح طيّبة قبولُ[3]

---

(١) النواجذ: الأضراس

(٢) البراجم: جمع برجمة وهي مفصل الأصبع

(٣) سدوس: قبيلة - قبول: ريح الصبا

وقال ابن طباطبا:

أبو سليمان داود بن بتكلة | قد فات في الحجم حذقاً كل حجّام
وزانَ ذاك بصوتٍ لا يحاوزه | إلى الفضول سوى نطقٍ بإبهام
لطفاً ورفقاً وحذقاً في صناعته | وخفّةً لم تشن منه بإبرام
لولا مواقعُ موساه ومشرطه | لخلتني منه في أضغاثِ أحلامِ

وقال محمد بن مسافر:

مريّن حذّفني حاذقٌ | ليس له في الناس من شبه
ظننتُ إذ حذّفني أنه | أحدث لي وجهاً سوى وجهي[1]

وقال أبو ذرّ البلخي:

كأنما المحجمُ في كفه | شمسُ نهارٍ آذنت بالغروب
يأخذ من مجروحه أرشه | فيا لهُ من جارحٍ مستثيبِ[2]

● كثرةُ فضول الحجّامين

استحضر عبد الله بن سليمان حجاماً شيخاً يقال له أبو دلحمة، وقال: أنا متبرم بحجامي لكثرة فضوله. فأخذ آلة التحجيم وطفق يشحذ الموسى فنظر الوزير إلى بعض أصحابه، فقال اعطِ القوس باريها، فقال أبو دلحمة: ما أول هذا البيت أيها الوزير؟ فقال الوزير: الله أكبر هرب من فضول فوقعت فيما فوقه، وقال ما هو يا أبا دلحمة، فقال أنشدني الرياشي بمكة:

يا باريَ القوسِ بَرياً ليس يحسنُهُ | أفسدتَ قوسَك أعطِ القوسَ باريها

وكان أبو دلحمة من الشعراء والفضلاء.

وقال الفضل بن الربيع: قال لي الرشيد أطلب لي حجاماً أصمت من الحجر، فقلت: نعم، لي غلام سكيت، فقال: إبعثه إليّ. فدعوت به وأخذت عليه الوصيّة أن لا يبس ولا يبصّ عرقه إذا خدم أمير المؤمنين وأوصيته بأن يتأهب ثم دخلت إلى الرشيد فرأيته يضحك، وقال لي: إن لذلك الحجام شأناً ولا تراه بعد، ثم سألت فراشاً مختصاً بالرشيد عن خبره، فقال: إنه لما بدأ بالمحجمة قال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن شيء فقال له ما هو؟ قال: لم قدّمت الأمين على المأمون والمأمون أسن منه؟ قال أخبرك بالجواب إذا فرغت، فلم يلبث غير قليل حتى قال: وأسألك عن شيء آخر، قال الرشيد: هات، قال: لم قتلت جعفر بن يحيى، قال: وهذا أيضاً أخبرك به إذا فرغت،

(١) حذّفني: سوّى شعري

(٢) يأخذ أرشه: يأخذ الدية أو الرشوة

قال وأسألك: لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها، قال: نعم أخبرك إذا فرغت. فلما فرغ دعا مسروراً الخادم فقال له: لا تشرب عليه الماء البارد إنه سألني عن ثلاث لو سألني المنصور عنها ما أجبته.

ومر المأمون متنكراً بحجّام فسمعه يقول لآخر: سقط هذا المأمون من عيني مذ قتل أخاه، فبعث إليه ببدرة، وقال: إن رأيت أن ترضى عنّي فعلت. وكان كسرى يستصفي الحجّامين في كل سبع سنين، ويقول: إنهم يبطرون إذا أثروا.

● ذم التكسب به

قيل: إنما يقال للحجّام قيس لأن الصدن تحمل إليهم من جبل أبي قبيس. ويقال إن الحجّامين نقم في بعض الأوقات عضبوا فجتمعوا وخرجوا من البلد حتى طالت شعور أهلها واضطروا إلى أن خرجوا إليهم وقبلوا الأرض بين أيديهم وحلفوا لهم أن لا يؤذوهم ولا يلقبوهم فرجعوا.

وقيل: إن الفرزدق حضر مجلساً فيه بلال بن أبي بردة فجعل بلال يذكره مناقب جدّه، فقال الفرزدق: لو لم يكن له من المنقبة إلا أنه حجم النبي ﷺ، فقال: إنه ما حجم قبله ولا بعده. فقال الفرزدق: جدك والله كان أفضل من أن يجرب الحجم على رسول الله ﷺ.

قال شاعر:

أبــوك أوهــى الــنــجــادُ عــاتــقَــه ... كَمْ من كَمِيّ أدمى ومن بطلِ[1]

يــأخــذُ مــن مــالــه ومــن دمــه ... لم يمْسِ من ثارِه على وَجَلِ[2]

وقال منصور بن باذان:

كَــمْ مــن رقــاب جــرحــت طــائــعــةً ... من غير كفَّيك لا ترامُ حمى[3]

ونهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجّام وقال هو خبيث، وهذا على التنزيه. وروي أنه عليه الصلاة والسلام احتجم وأعطى الحجّام أجره فلو كان حراماً لم يعطه. وروي أنه حجمه عبد لبني بياضة فأعطاه أجره صاعاً من تمر، وسأل مواليه أن يخفّفوا عنه من ضريبته.

● ذمّ الإسكاف

قيل لمجنون: ما تقول في إسكاف مات وترك أختاً وأماً؟ فقال: ميراثه للكلاب ونفقته على الدباغين وليس لأمه ولا لأخته إلا نثر التراب وتحريق الثياب. وقيل: وقع

---

(١) النجاد: حمالة السيف ـ الكمي: الشجاع ولابس السلاح.
(٢) الوجَل: الخوف. (٣) الحمى: الممنوع عن.

كليب في كنيف فدعا إمساكاً فقال: إدفع يدك إلى أخيك واخرج، فقال: ذرني في الكنيف ولا تصحح علي بذلك أخوتك. وقال الشاعر يعرّض به:

أتمدُّ في الطّعنِ من كُلَيـبٍ ومن	عـمـرٍ والـزبـيـدي فـارسِ الـيـمـن

● الخياط

قال النبي ﷺ: عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل. وقال ابن عباس: كان إدريس عليه السلام خيّاطاً وكذلك هود ولقمان عليهما السلام، وكان نوح نجاراً. وأتى أعرابي إلى خياط بثوب ليخيطه قميصاً فقطعه فعلاه الأعرابي بالهراوة، وقال:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِه	فيما مضى في سالفِ الأحقابِ
من فعلِ علجٍ جئتُه ليخيطَ لي	ثوباً فخرقه كفعلِ مُصابِ
فعلوتُه بهراوةٍ كانتْ معي	ضرباً فولّى هارباً للبابِ
أيشقّ ثوبي ثم يقعدُ آمناً	كلا ومُنْزِلِ سورةِ الأحزابِ[1]

● ذم الثقاف

قال رجل لثقاف: لو وضعت إحدى رجليك على حرّاء والأخرى على طور سيناء، ثم أخذت قوس قزح تندف به قطن الغمام في جيوب الملائكة ما كنت إلا ندّافاً. قال الصاحب:

قلْ لابنِ ماسويه العقيه	يا أنفَ النّاسِ من أبيه
جمعتَ ضدّين في مكانٍ	صنعةَ حلجٍ وفرطَ تيهِ[2]

● المخاطرُ بنفسه من الصنّاع

في كتاب كليلة: خمس نفر، المال أحب إليهم من أنفسهم: المقاتل بالأجرة وراكب البحر للتجارة وحافر البئر والأسراب، والمدن بالساحة والمخاطر على السم. وقد تقدم مدح الطبيب وذمه.

● القَيْنُ

قال جرير:

هو القَينُ يدْني الكيرَ من صدرِ إسته	ويعرفُ مدَّ الكلبتينِ أناملُه[3]

---

(١) ومنزل سورة الأحزاب: يقسم بالله الذي أنزل هذه السورة.

(٢) صنعة الحلج: ندف القطن وتخليصه من بذره ـ فرط تيه: التمادي في الخيلاء.

(٣) القين: الحدّاد ـ الكلبتان: آلة من حديد يضرب بها الحداد الحديد المحمّى.

وقال آخر:

القينُ لا يصلحُ إلا ما جلَس لِلكلكلتين والعلاة والقبس[1]

● الراعي

ذمّ قوم الرعاة فنسبوهم إلى الحمق وقالوا: أحمق من راعي ثمانين. وقالوا: لا تشاور راعي الضأن.

ومما يدلّ على فضيلتهم قول النبي ﷺ: ما من نبي إلا وقد رعى وقد رعيت. وقال النبي ﷺ: ما بعث الله نبياً إلا راعياً، بعث موسى وهارون راعيين، وبعثت وأنا أرعى لأهلي.

وشرط صاحب الإبل على الراعي، فقال: عليك أن تهنأ جرباها وتلوط حوضها وتنشد ضالتها وترد نادتها وتستقصي في الرسل ما لم تنهكما حلب أو تضرّ بنسل، فقال الراعي: نعم، على أن يدي مع أيديكم في الحار والقر ولا تذكر أمي بشرّ ولي مقعد موسع من النار، فقال: هذا لك، فإن حنثت فما عليك. قال حلفة: بالعصا أخطأت أم أصبت.

وتفاخر راعيان، فقال أحدهما: والله ما اتخذت عصاً فيها غير هذه منذ شبت وما انكسرت، فقال الآخر: تعست إن اتخذت فيها عصاً غير يدي. ويوصف الراعي بأنه ضعيف العصا أي قليل الضرب بها. قال الشاعر:

ضعيفُ العصا بادي العروقِ ترى له عليها إذا ما أجدبَ الناسُ إصبعا

● الكناس

قال رجل من الكناسين لآخر: ويحك ألا تعجب من فلان يزعم أنه كناس ابن كناس؟ فقال: قل له يا ابن الخبيثة ملك ولكنس، قد والله بعثوا إليك هذا العدم، أف وتف من الموكي رجاء أمس ويقول أنا كناس، أما والله لو شهدنا ونحن نكنس المطابق والسجون فلا نخطىء ما قدرنا بزبيل واحد ولا نتحاشى من الدخول في كنفها. علم من الكناس ابن الكناس، وكان أبو إبراهيم الكساح رئيس الكساحين، قال له أحمد بن سليمان: احمل مائة سفينة مع المائة التي كنت حملتها قبلُ، وخذ ثمنها. فقال: تلك المائة كنت قد حملتها طعمة للأمير.

باب مختلف من الصّناعات

قيل: من حذق في صناعته احتسب حذقه في رزقه، ولذلك ترى أكثر الحاذقين محرومين. وسمعت بعض العلماء يقول: إنما نرى أكثر الحذاق في صناعتهم يضيق رزقهم لاتكالهم على حذقهم لا يبذلون جهدهم فيما يعملونه، وغير الحاذق يبذل جهده ويفرغ نصحه خشية أن تسترذل صنعته، فيبارك الله فيه بجدّه وجِدّه واستفراغ نصحه

(١) القبس: شعلة النار

وقال الحسن بن سهل لا يكسد رئيس صناعة إلا في شرّ زمان ومملكة أنذل سلطان. وقيل: من انتكاس الدهر أن يولى امتحان الصنع من ليس بحاذق في صناعتهم.

روي في الخبر: لا بد للناس من عريف والعرفاء في النار، كأنه أخبر عن علم الله تعالى في أكثرهم أنهم يعملون بالمعاصي فأما العرافة والنقابة فقد كانتا في قوم صالحين يقال: عريف ونقيب ومنكب، والعريف فوق النقيب

نظر حمال إلى راكب، فقال سبحان من حملك وحملني. وعطس حمّال، فقال: رجل راكب مخمور يرحمك من أخرج العطسة من المضيق، فقال يغفر لك من حملك وجعل على قفاي هذه الكارة الدقيق.

(٢)
وممّا جاء في المبايعات

●

● مدحُ السوق

كان النبي ﷺ إذا دخل السوق يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهمّ إني أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفسوق وقيل السوق موائد الله فمن أتاها أصاب منها وقال ﷺ لرجل الزم سوقك...

● ذمّ السّوق

قيل للحسن رضي الله عنه هلا تصلي فإن أهل السوق قد صلّوا، قال من يأخذ دينه من أهل السوق، إن نفقت سوقهم أخّروا الصلاة وإن كسدت عجلوها وقال أهل السوق ذئاب تحت ثياب وقال ابن السماك يا أهل السوق سوقكم كاسد وبيعكم فاسد وجاركم حاسد ومأواكم النار.

● ذكرُ أسواقِ العرَب

كانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام تأثّموا أن يتجروا في الحج، فأنزل الله ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾[1] يعني في مواسم الحج

● مدحُ التجارةِ وذمّها

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾[2] إنها التجارة، وأشراف قريش

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٨ و٢٨٢، النساء/ ١٠٠، النور/ ٢٩.
(٢) القرآن الكريم: الحج/ ٢٨

كانوا تجاراً، قال النبي ﷺ: لا خير في التجارة إلا لستة، تاجر إن باع لم يمدح وإن اشترى لم يذم وإن كان عليه دين أيسر الاقتضاء وإن كان له أيسر الاقتضاء وتجنب الحلف والكذب وقال عليه الصلاة والسلام: بعثت مرحمة ومرغمة ولم أبعث تاجراً ولا زارعاً، وإن شاور هذه الأمة التجار والزارعون إلا من شح على دينه. وقال ﷺ: ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إليّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ (١) فقرن التجارة باللهو وهو مذموم.

● الحث على التجارة في جنس دون جنس

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئاً فليتحول إلى غيره. ودخل ناس على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فسألهم عن صناعتهم، فقالوا: بيع الرقيق، فقال: بئست التجارة ضمان نفس ومؤنة ضرس. وقال ابن المبارك: إياك والتجارة في الإبل فإنها غنم وغرم، وأحب التجارة إلي ما كان بين غنمها وغرمها حجاز من السلامة.

وقال بطليموس: لا يكاد الإنسان يحظى في جميع الأشياء ولا يسعد في جميعها فينبغي أن يعرف وجوه منافعه في وجوه شتى، فمتى دخلت المنحسة في شيء كانت السعادة في شيء. وقيل: شرّ الناس من باع الناس، يعني النخاسين. وقيل: بيع الرجل صاحبه بالطفيف من الأمر، وقد قال ﷺ: التجارة في الرقيق ممحقة.

وقال محمد بن واسع رحمه الله: أفضل التجارات عندي بيع العطر والجوهر والحصر والساج وكل شيء لا يشتريه إلا من في أمواله فضل عن القوت لأن ظلم أصحاب الفضل أهون، وأبغض التجارة إليّ القطن وشراء الحبوب فإن ظلم هؤلاء صعب إذا كان داخلاً على أقواتهم.

● فضل الصدق في البيع

قال النبي ﷺ: ما أفلس تاجر صدوق. وقال رسول الله ﷺ: التجار فجار، قيل: يا رسول الله ولم وقد أحل الله البيع؟ فقال: إنهم يحلفون ويكذبون. وقال الجاحظ رحمه الله: الأحنف حيث يقول: الزم الصحة يلزمك العمل. وقال الأشج الصيدلاني: مرّ بي رجل فرأى قلة الناس عندي وكثرتهم عند غيري، فقال: أتريد أن تكثر مبايعتك ويحسن حالك؟ قلت: نعم، فقال: أصدق وأصبر سنة فإن الصدق يستحي لنفسه أن يبطئ عنك أكثر من سنة، ففعلت، فكثر زحام الناس عند حانوتي. ثم مرّ بي فرأى كثرة الناس عندي فقال: احذر ولا تتكل على ما رهنتهم من الصدق فتدعوك نفسك إلى ضعف ربحك اليوم، فإنك إن عدت إلى الكذب عاد عليك الكساد فلم أزل قابلاً لوصيته، ثم مرّ بي بعد سنيات، فقال: قليل الربح مع كثرة الحرفاء أربح من كثيره مع قلة الحرفاء. وقد قالوا: الزم الصحة

---

(١) القرآن الكريم: الجمعة/١١.

يلزمك العمل، ولو حلفت أنه كلمة سي، لرجوت أن لا أحنث، ثم لم أره بعد ذلك فرحمه الله حياً وميتاً فقد نصح. وقيل: التاجر الصدوق، مع النبيين والصديقين.

● ذمّ الحكْرَة

قال النبي ﷺ: من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس، وعنه ﷺ: من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله ورسوله وقال ﷺ: الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون.

وفي عهد أزدشير: لا تحبوا الاحتكار فيمسّكم القحط. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قلت يا رسول الله ما المحتكر؟ فقال: الذي إذا سمع بالغلاء فرح وإذا سمع بالرخص اغتم. وقال علي رضي الله عنه: لا أسمع بحكرة برجل احتكر إلا أحرقت طعامه بالنار أو أنهبته. وكتب الوليد بن مصعب إلى صاحبه بالساحل: تعهّد أمر الحناطين فإن زادوا في السعر من غير علة فأنهبهم عوامك فالغلاء من أسباب الفتن. مع الغلاء تكون الشكوى ثم الجلاء ثم الوباء.

● تحليلُ البيعِ وذمّ الرّبا

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1] وقال: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[3] ولعن النبي ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه. وقال ﷺ: الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية زناها زان. وقال ﷺ: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره. وروي: كل قرض جر منفعة فهو الربا.

● الحثّ على مراعاةِ العِلْم في المبايعة

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا. وقال الضحاك: ما من تاجر ليس بفقيه إلا أكل الربا شاء أم أبى.

● المكروهُ من البيوع

قال النبي ﷺ: لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه. وقال ﷺ: لا تناجشوا والنجش الزيادة في السلعة من غير حاجة، ونهى عن تلقي الركبان وبيع حاضر لباد. وقال ﷺ: لا يحل شراء المغنيات ولا بيعهن ولا تعليمهن، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[4] ونهى عن بيع فضل الماء، فقال: من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله فضل رحمته يوم القيامة. وقال ﷺ: لا يحل

---

(1) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٥.
(2) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.
(3) القرآن الكريم: البقرة/ ١٨٨.
(4) القرآن الكريم: لقمان/ ٦.

منع الملح، وكل ذلك مكروه، وإذا فعله إنسان صح بيعه وشراؤه.

● **المحرّمُ بيعُه**

نهى النبي ﷺ: عن ثمن الكلب إلا كلب صيد، وفي خبر آخر: نهى عن ثمن الكلب والهر وعن مهر البغي. **وقال جابر**: سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة **يقول**: ألا إن الله حرم بيع الخمرة وبيع الخنازير وبيع الأصنام، فقيل له: أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن به السفن والجلود، **فقال ﷺ**: قاتل الله اليهود إن الله حرم عليهم الشحوم فحملوه وباعوه.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه. **وقال ﷺ**: الورق بالورق والذهب بالذهب والبر بالبر والشعير وبالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح ربا إلا هاء وهاء مثل بمثل، ومن زاد أو ازداد فقد أربى. وأهل الظاهر قصروا الحكم على هذه المذكورات، وغيرهم تعدّاها، فجعل الشافعي رضي الله عنه العلة فيه الأكل فحرم بيع كل مأكول بجنسه إلا مثلاً بمثل. وأبو حنيفة رحمه الله جعل العلة الكيل فحرّم بيع كل مكيل بجنسه إلا مثلاً بمثل. ونهى النبي ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وعن بيعتين في بيعة وعن بيع وسلف وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض. وعن المحاقلة والمزابنة فالمحاقلة بيع البر الموضوع في الأرض والمزابنة بيع ثمر النخل بالتمر ياسباً، ورخص في العرايا والعرية بيع ثمر النخل بالتمر ياسباً إذا كان دون خمسة أوسق، ونهى عن الثنيا وعن المنابذة وبيع القسمة كل القسمة.

وعن بيع المجر وهو أن يباع الشيء بما في بطن الشاة، وعن حبل الحبلة وعن بيع الغرر وعن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها. **وفي الحديث**: أن عليه السلام نهى عن الكالىء بالكالىء وهو بيع الدين بالدين، ونهى عن بيع أمهات الأولاد، **وقال**: لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن، يستمتع بها سيدها ما بدا له فإذا مات فهي حرّة.

● **السَّلَفُ**

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين، **فقال ﷺ**: من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم. وكان ﷺ استسلف بكراً فجاءته إبل من إبل الصدقة، **قال أبو رافع**: فأمرني النبي ﷺ أن أقضي الرجل بكره فلم أجد إلا رباعياً، **فقال ﷺ**: أعطه إياه فإنّ خير الناس أحسنهم قضاء.

● **السَّهلُ البيع**

مر النبي ﷺ برجل يبيع شيئاً، **فقال**: عليك بالسماح أول السوق فالرباح في السماح. **وعن أبي هريرة رضي الله عنه**: أحب الله عبداً سهلاً، إذا باع أو ابتاع سمحاً إذا قضى أو اقتضى. **وقال ابن عون**: ما أرسلني الحسن رضي الله عنه في ابتياع شيء له إلا قال: لما عدت بارك الله فيك، ولم يسألني عن ثمنه وما أرسلني ابن سيرين إلا قال حين عدت

كيف اشتريت؟ وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بِمَ بلغ بسارك فقال لم أرد ربحاً ولم أشترِ عيباً ولم أبع نسيئة

- **جَواز المماكَسة**

قيل: المماكسة في البيع مكايسة. وكان عبد الله بن جعفر يماكس في درهم ويجود بمال، فقيل له في ذلك، فقال: الغبن في البيع ثَلْم وفي الجود كرم. وقيل لآخر مثل ذلك، فقال: الغبن في البيع جور بالعقل وفي السخاء جود بالمال، ولا أسخى بالعقل. وقيل: الحر يتغابن في ابتياع الحمد ولا يتغابن في الشراء والبيع. وقيل: من الغباوة السخاء في التجارة. وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يرى بأساً بالمماكسة والمكايسة. والهند لا تستحل غرارة الجاهل وتستحل غبن البائع.

- **ذمّ المبالغة في المماكسة**

قيل: كثرة المكاس من أعمال الخسيس. ورأى رجل ابنه يماكس في ابتياع لحم فقال: يا بني تساهل، فمما تضيعه من عرضك أكثر مما تناله من عرضك. وكان الأصمعي مضيقاً في معيشته مستقصياً في مبايعته، فقال العتبي: لو بذلت الجنة للأصمعي بدرهم لما رضي واستقصى شيئاً. وقال رجل لخياط: خط لي هذا الثوب وسامحني في الأجرة، فقال: أخيطه لك مجاناً، فقال: زدني، قال: إذا تخرق رفوته لك. ونحو ذلك أن رجلاً كان يستأجر غلاماً فقال كم تطلب، فقال: أخدمك بملء بطني، فقال: سامحني، فقال: لا أعرف مسامحة في ذلك إلا أن أصوم لك الاثنين والخميس في الأسابيع لتربح غداءهما. وكان ابن بالة ببغداد قد اكترى غلاماً كوفياً فاستحضره لمزين فحلق رأسه فلما فرغ وتنحى، جاء الغلام الكوفي إلى المزين فقعد بين يديه ليحلقه، فخرج ابن بالة وقد حلق المزين بعض رأسه فناداه وقال له: هذا من حسابي أو من حسابك يحلق فقام الغلام على حالته محلوق بعض الرأس، وأخذ المنديل وعدا من بين يدي المزين، وحلف بالطلاق أنه لا يحلق رأسه حتى يعود إلى الكوفة

- **عذرُ مبتاعٍ مرغوبٍ فيه بفضل ثمن**

اشترت سكينة شيئاً بفضل ثمن، فقيل: غبنت فقالت: ما غبن من بلغ شهوته، وقيل: استكرمت فاربط واشدد يديك بغرزة ولا تنظر إلى كثرة ثمنه. قال شاعر:

أشدد يديك به وحزّ • فإنه عِلْقُ مضنّه[1]

- **الحثّ على استجادة ما تشتريه**

قال عمر رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيراً فاشتره سميناً فإن أخطأك الخبر لم يخطئك

---

(١) علقُ مضنّة: العِلْق: النفيس من كلّ شيء، والمضنّة: ما يضنّ به.

النظر، وقيل: الغبن غبنان غبن العلاء وغبن الرداءة، فإذا اشتريت فاستجد تربح أحد الغبنين. وقيل لبعضهم: بمَ كثر مالك؟ فقال: لم أشتر قط عيباً ولا شيناً.

● مدحُ متظلف[1] عن المبايعة

وعن الفكر في الطفيف. قال شاعر:

يبيعُ ويشتري لهُم سِواهم ... ولكن بالسيوفِ هم تجارُ

وقال العباس بن المأمون لغلامه: إذ رأيت نقلاً حسناً فاشترِ بنصف درهم، فقال المأمون: لا تفلح إذا عرفت للدرهم نصفاً. وطلب الحسن رضي الله عنه ثوباً، فقيل بثلاثة عشر ونصف، فقال: خذ أربعة عشر فإن المسلم لا يشاطر أخاه الدرهم.

● المتغالي ببيع شيء

ساوم مديني نعلاً، فقال صاحبها: بعشرة، فقال المديني: لو كانت من جلد بقرة بني إسرائيل ما أخذتها بأكثر من درهم، فقال الحذاء: لو كانت دراهمك من دراهم أصحاب الكهف ما أعطيتكها. باع رجل شيئاً مماكسة، فقال البائع لما باعه: لو صبرت لبعت منك بدرهم، فقال المشتري: لو صبرت لاشتريت منك بأصغر ما اشتريت دنانير. ساوم أشعب رجلاً بقوس، فقال: بدينارين، فقال: لو أنها إذا رمى بها الطير في الهواء يسقط مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينارين. كان رجل ضلّ له بعير فحلف إن وجده ليبيعنه بدرهم فوجده فلم تسمح نفسه أن يبيعه بدرهم، فعمد إلى سنور معلقه في عنقه وجعل ينادي عليه: الجمل بدرهم والسنور بخمسمائة ولا أبيعهما إلا معاً، فقال رجل: ما أرخص الجمل لولا قلادته.

● تركُ مبيع لغلائه

كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع إليه، فقال وجدته غالياً، قال: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه. وقال بعضهم: إذا غلا عليّ شيء تركته فيكون حينئذ أرخص ما يكون، قال شاعر:

وإذا غلا شيءٌ عليّ تركتُه ... فيكون أرخصَ ما يكون إذا غَلا

وأنشد جحظة هذا البيت مجيزاً له:

إلا الدقيق فإنه قوتٌ لنا ... فإذا غلا يوماً فقد نزَل البَلا[2]

واشتهت امرأة مزيد يوماً عليه جراد فقالت: اشتر لي فإن مداً منه بدرهم. فقال لو جاء الدجال بزلزلة المدينة وأنت ماخض فتصبحين تتعجرين أن تأكلي الجراد وتصبي الحمل ما اشتريته بهذا السعر.

---

(١) المتظلف: المبعد عن.

(٢) البلا: البلاء. الدقيق: الطحين.

● **من باعَ نفيساً واشترى خسيساً**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾(1). باع رجل دابة واشترى بها بارياً فقال له أبوه: يا أحمق بعت ما تركبه واشتريت ما يركبك. وباع رجل بستاناً واشترى به دابة، فقال له رجل: بعت ما كنت تعلفه السرجين(2) فيعوضك الشعير بما يأكل ويعوضك السرجين. وفي المثل: كالمشتري النافقاء باليربوع وما كل مبتاع من رابح، قال ابن معروف القاضي:

يا خاسرَ الصفقةِ في سفيه ... وبائعاً بالخزفِ الدرّه(3)

كان يباع زرياب بدينار فقال أعرابي: لمن يصلح هذا؟ فقيل إنه يصغب(4) ضغيب السنور، فقال: اشتر سنوراً بنصف درهم يضغب لك أجود من هذا ويصطاد الفأر زيادة.

● **بيعُ نفيسٍ للحاجة إليه**

دخل أعرابي بفرس يبيعه، فقيل له: صف فرسك، فقال: ما طلبت عليه قط إلا لحقت ولا طلبت عليه إلا سبقت، فقيل له: فلم تبيعه؟ فقال:

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ ... كرائمَ من ربٍّ بهنّ ضنينِ(5)

● **ذمّ البيع والابتياع نسيئة**

قيل: إياك أن تتكلم على وجهك في سوقك دون رأس مالك، أو تشري شيئاً بجميع مالك وخير التجارة ما لا يعرف أهلها النسيئة. باع رجل داراً من تركي نسيئة فجاءه يوماً متقاضياً فأخذه وصفعه صفعات، فلما انصرف، قيل له: ما استوفيت من ثمن الدار، فقال: صفعات في قفاي. عُرضت جارية على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأحب شراءها ولم يكن عنده ثمنها، فقال البائع: أنا أؤخرك، إلى العطاء، فقال: لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة. وعُرض على رجل شيء ليشتريه، فقال: ما عندي ثمنه، فقال البائع: أنا أؤخرك، فقال: أنا أؤخر نفسي.

● **بيعُ مرغوبٍ عنه**

قال أبو حكيمة في عبد باعه:

بعْنا تعيساً ولمْ يحزن لهُ أحدٌ ... قد غاب عنّا مصابُ الهمّ والنكدُ

أحسن به خارجاً من بين أظهرنا ... لم نفتقده وكلبُ الدار يُفتقدُ

وباع عبيد الله ضيعة له، فقال:

قيلَ لي كيفَ أنتم قلتُ بعْنا ... ضيْعةً عندَ شيءٍ قليلِ

---

(1) القرآن الكريم: النساء/2.

(2) السرجين: الزبل.

(3) الخزف: الفخار ـ الدر اللؤلؤ.

(4) يضغب: يصوّت كالذئاب والأرانب والسنور.

(5) كرائم الأموال: نفائسها.

فيه أمسى صونٍ وأقسى نوالٍ واسترحنا من طولِ غمّ الوكيلِ

وله

ومبتاعٍ بعضِ الملك مني يقولُ لي ومـ ساعه إلا نوائبُ تعتري
متى صرتَ مضطراً لبيع دخائرٍ فقلتُ له مذ صار مثلُك يشتري

● **المُغالاةُ بما لا يقلّ وجوده**

عاتب محمد بن عبد الملك الزيات أبا تمام في أنه يمدح غيره من السوقة، فقال:

رأيتُك سمح البيعِ سهلاً وإنما يُغالي إذا ما ضنّ بالشيء بائعُه
فأما إذا هانتْ بضائعُ مالِهِ فيوشكُ أن تمضي عليه بضائعُه
هو الماءُ إن أجممتَه طابَ وردُه ويفسدُ منه أن تُباح شرائعُه[1]

وقال وريب النصراني:

وكلّ شيءٍ علا أو عزّ مطلبُه مسترخصٌ ومهانُ القَدْرِ إن رخُصا[2]
أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

قيل: كل مبذول مملول، وكل ممنوع متبوع.

● **الوزْنُ والكَيْل**

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[3] (الآية) **وقال ابن عمر رضي الله عنهما**: أقبل علينا رسول الله ﷺ **فقال**: يا معشر المهاجرين لا ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذهم الله بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم. **قال عكرمة**: أشهد لكل كيال ووزان بالنار إلا القليل منهم، **فقيل له**: سبحان الله وكيف؟ **قال**: لأنه لا يزن كما يتزن ولا يكيل كما يكتال. **وقال ﷺ لقوم شكوا إليه سرعة فناء طعامهم: كيلوا ولا تهيلوا، وقال ﷺ لرجل ابتاع منه شيئاً**: زن وأرجح.

● **مدحُ الإقالةِ في البيع والحثُّ عليها**

قال ﷺ: من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة.

● **الشريكُ في البيع**

قال السائب: كان رسول الله ﷺ شريكي، وكان خير شريك لا يشاري ولا يماري. **وقال ﷺ**: لا تزال يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه رفع البركة عنهما.

---

(1) **أجممته**: جمعته وكثّرته. (2) **مهان القدر**: بخس القيمة. (3) **القرآن الكريم**، المطففين/ 2.

● الشُّفعةُ في البَيع

قال النبي ﷺ: الجار أحق بصقبته . **وقال ﷺ**: الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها إن كان غائباً إذا كان طريقهما واحداً، **وقال ﷺ**: من كان له شريك في ربع أو نخل فليس له أن يبيع حتى يأذن شريكه، فإن رضي أخذ وإن كره ترك **وقال ﷺ**: إذا أرفت الحدود فلا شفعة، يعني ميزت وبينت، **وقال**: الشفعة فيما لم يقسم

● الخيارُ في البَيع

قال النبيّ ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار . وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ أنه يغبن في البيع، **فقال ﷺ**: إذا ما بعت فقل لا خلابة ثم أنت بالخيار إلى ثلاثة أيام **وقال ﷺ**: من اشترى شاة مصرّاة فهو بالخيار إن شاء أمسك وإن شاء ردها ومعها صاعاً من تمر.

● ما هو في حُكم المستثنى منَ البيع

قال النبي ﷺ: من باع عبداً وله مال فماله للبائع إلا أن يشترطه المبتاع. ومن باع نخلاً مؤبراً فثمرته للبائع إلا أن يشترطه المبتاع.

● مدحُ الدلالين وذمّهم

قال بعضهم: نعم المعين على البيع والابتياع وعلى الألفة والاجتماع الدلالون، ولو أمكن الاستعانة بهم في الفراش لانتفع بمكانهم، **وقيل**: أذى بعض الدلالين الأصمعي في شيء، **فقال**: شر الناس الدلالون لأن أول من دل إبليس حيث **قال لآدم**: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى.

● نوادرٌ لأنذالِ الباعة

جاءت عجوز إلى لحام بالمدينة ومعها درهمان، **فقالت**: أعطني بهما أطيب لحم وأخبرني باسمك أدعو لك، فأعطاها أخس لحم، وقال اسمي من يمد، فجعلت العجوز عند الأكل تمد اللحم فلا تقدر على أكله، **فجعلت تقول**: لعن الله من يمد، فتلعن نفسها وهي لا تعلم. **وقال جحظة**: رأيت سوقياً ينادي على جدي عنقه، **يقول**: هذا مانع نفسه، **فقلت له**: ما معنى مانع نفسه؟ **فقال**: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه قال، ورأيت آخر وهو يقول: زبد في أديم . **وقال جراب الدولة**: رأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة **وهو يقول**: إنزل ولك الأمان، **وآخر يقول**: يا قوم الحقوني أدركوني أجذبها وتجذبني والغلبة لها، **والثالث يقول**: أنا لا أدري ممن أكل من هريستي لقمتين أسرع ببوله شهرين. **وقال رجل للحام**: ليس لحمك بسمين، **فقال**: إن فلاناً جالسني ووضع راحته على هذا اللحم وانصرف إلى منزله فجعل ما عبق به في قدر واتخذ منه دعوة، وكان بائع رمان

تقشر رماناً وهو يقول: نزع الأمير قميصه وخرج في غلالة.

- **الكفالة**

قال النبي ﷺ: الزعيم غارم. وكلم رجل آخر في أن يؤخر شيئاً على غيره، **فقال**: إضمن أنت عنه، **فقال**: أردنا منك سعة المهنة فكفتنا ضيق الضمان. **قال الخليل**: في الكفالة ست خصال، الندامة والملامة والكفران والخسران والغرامة والقطيعة. **وقيل**: إن الفرس صورت كل شيء حتى الكفيل ينتف لحيته من الندامة.

- **الحوالة**

قال النبي ﷺ: إذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع، ومن غير هذا الباب احتيج أن يكتب على المعتضد كتاب ليشهد فيه العدول، فكتب في صحة من عقله وجواز أمر له وعليه، **فقال جعفر بن محمد بن ثوابة**: لا يجب أن يكتب هذا للخليفة، فضرب عليه وكتب في سلامة من جسمه وأصالة من رأيه.

- **الإجارة**

روي عن فاطمة رضي الله عنها أنها **قالت**: دخل عليٌ يوماً وأخذ بيد الحسن والحسين فأخرجهما فجاء النبي ﷺ **فقال**: أين ابناي؟ **فقلت**: أصبحنا وليس في بيتنا شيء نذوقه فدخل عليٌ فأخرجهما حتى لا يبكيا، فخرج النبي ﷺ في أثرهما فوجدهم في حائط يهودي وعليٌ ينزع كل دلو بتمرة والحسن والحسين يلعبان في سربة لليهودي وبين أيديهم أفضل من تمر، **فقال**: يا علي، ألا تنقلب يا بني قبل أن يشتد عليهما الحر، **فقال**: إجلس فإني قد أشبعتهما، فجلس حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجره، ثم حمل النبي ﷺ أحدهما وعليٌ الآخر.

وروي: ما أكل أحد طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده. وكان داود عليه السلام لا يأكل إلا من كسب يده. ونهى النبي ﷺ أن يستعمل الرجل أجيراً حتى يعلمه أجرته، **وقال**: من استأجر أجيراً فليعلمه أجرته. **وروي في الخبر**: بينما نفر يتماشون فأخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت صخرة على فم الغار فأطبقت عليهم، **فقال بعضهم لبعض**: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنا. **فقال أحدهم**: اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله سخطه فتركه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاءها، ثم جاء **فقال**: اتق الله ولا تظلمني حقي، فقلت له: انطلق إلى هذه البقر ورعاتها فخذها، **فقال**: أتهزأ بي؟ فقلت: أنا لا أهزأ خذها فأخذها، فإن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرج لهم.

- **إعطاء أجرة الأجير**

قال النبي ﷺ: ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى ثم غدر،

ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فستوفى عمله ولم يوفه أجره. وكان أبو بكر رضي الله عنه لما استخلف، قال للناس: إنكم شغلتموني عن تجارتي، فافرضوا لي ففرضوا له كل يوم درهمين. استأجر رجل حمالاً ليحمل قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، فحمل الحمال القفص فلما بلغ ثلث الطرق، قال: هاتِ الخصلة الأولى فقال: من قال لك أن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه، فقال: نعم. فلما بلغ ثلثي الطريق، قال: هاتِ الثانية، فقال له: من قال لك أن المشي خير من الركوب فلا تصدقه فقال: نعم، فلما انتهى إلى باب الدار قال هات الثالثة، فقال: من قال لك أنه وجد حمالاً أرخص منك فلا تصدقه، فرمى الحمال القفص على الأرض، وقال: من قال لك في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه.

(٣)

ومما جاء في الدَّيْن ومتعلّقاته

•

● ذم الدَّيْن والنهي عنه

قيل إن النبي ﷺ بعث إلى رجل من اليهود يستسلفه إلى الميسرة، فقال: ليس لمحمد زرع ولا ضرع فأي ميسرة له، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: كذب عدو الله لو أعطاني لأديتها إليه، ولأن يلبس أحدكم الرقاع شيئاً خير له من أن يستدين ما ليس عنده قضاؤه. وقال معاذ بن جبل: الدَّيْنُ شَيْنٌ. وقال النبي ﷺ: أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن. وقال بعض الحكماء: الدَّيْن رقّك فلا تبذل رقّك لمن لا يعرف حقك. وقيل: الدَّيْن هدم الدين، وقيل: ما استرق الكريم مثل أعظ عبيه من لدين، وقيل: الدَّيْن غلّ الله في أرضه فإذا أراد أن يذلّ عبداً جعله في عنقه. وسأل فيلسوف رجلاً أن يقرضه مالاً فرده ودمه. وقال بعض الناس إلى الفيلسوف إنه جبهك بالرد، فقال: ما زاد على أن حمّر وجهي بالخجل مرة واحدة ولو أقرضني لصفّر وجهي مرات كثيرة.

● من مات وعليه دَيْنٌ

قال النبي ﷺ: من داين الناس بدين في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء. ومن داين الناس بدين ليس في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه اقتص الله لغريمه منه. وقال النبي ﷺ: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جيء بجنازة يوماً فوضعت بين يدي النبي ﷺ، فقام ليصلّي عليه، فقيل: إن عليه ديناً، فقال صلّوا على صاحبكم، فقال أبو قتادة رضي الله عنه، عليّ دينه يا رسول الله، ثم خطب فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من مات وعليه دين أو ضياع فعليّ ومن ترك مالاً فلورثته.

● مدح الدَّين والرخصة فيه

قال النبي ﷺ: من أعياه الرزق فليستدن على الله ورسوله. دخل عتبة بن هشام على خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد معرّضاً به: إن رجالاً يدانون في أموالهم فإذا أفنيت أموالهم أدانوا في أعراضهم، فقال عتبة: أصلح الله الأمير إن رجالاً تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فلا يدانون، ورجالاً مروآتهم أكثر من أموالهم، فإذا نفدت أموالهم أدانوا على سعة ما عند الله، فخجل خالد وقال: إنك منهم فيما علمت. وقيل: تعرف مروءة الرجل بكثرة ديونه. وقيل: الدين من مواسم الأشراف.

قال المقنع الكندي:

يعاتبُني في الدَّيْن قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهُمْ حمْداً

وقال أبو شراعة:

والـدَّيْن طـوْقُ مـكـارمٍ لا تـلـتـقـي طرفاه في عنُق البخيل الحازمِ[1]

وذلك من قول عمر لرباع، حين قال له: ما أنعمك المدينة؟ قال: دين عليّ فقال: الدَّين ميسم الكرام. وسأل عمرو بن عبيد عن رجل، فقالوا: إنه استتر لديْن حصل عليه. فقال: طالما وفد به الكرام

● مدحُ من أدنت عليه.

وقال سعدان

ولو كنتُ مولَى قيسِ عيلان لم تجدْ على الإنسان من الناس درهما

ولكنني مولى قضاعة كلّها فلستُ أبالي أن أدين وتُغرَما[2]

وهذا أجمع شعر جمع فيه بين مديح وهجاء. وقال ابن الرومي:

عليّ ديْن تسيلُ أنتَ قاضيهُ يا مَنْ يحمّلُني ديناً رجائيه

● من قضى ديناً بديْن

قال شاعر:

إذا ما قضيت الدَّيْن بالدَّينِ لم يكُن قضاءً ولكن كان عزماً على غرمِ

وقال آخر:

أخذْتُ الدين أدفعُ عن تِلادي وكانَ الديْنُ أدفعَ للتلادِ[3]

وقيل لمحمد بن واسع: فلان قد قضى دينه مما كسبه، فقال: ما كان أكثر ديناً قط منه الساعة.

---

(١) لا تلتقي طرفاه: أي لا يتقابلان.
(٢) تُغرم الدين: تلزم تأديته
(٣) تلادي: مالي القديم الموروث.

● **من أعطى ديناً على أن يسترجع.**

قال أبو الأصبع:

أيـهـا الـمـسـتـرفـدون الـقـرضَ فـي بـرد الـشـتـاءِ[1]
لـيـسَ قـرضـي لـكُـم الـدهـر بـقـرضٍ ذي اقـتـضـاءِ
أنـت عـنـدي مـثـلـه فـي حـلٍ إلـى جـن الـطـبـاءِ[2]
فـاسـتـعـن بـالـواجـد الـفـرد وأخـلـص فـي الـدعـاءِ
فـلـعـلّ الـدهـرَ يـأتـي عـن قـريـب بـافـتـلاءِ

● **من تقاضى ديناً قديماً.**

للبحتري:

مـن أمـارات مـفـلـس أن تـراه مـوجـمـاً في اقـتـضـاءِ ديـنٍ قـديـم[3]

وطلب رجل ديناً عتيقاً، **فقال:** دعني من هذا، فهذا دين عتيق **فقال:** لعن الله من أعتقه

● **من أحسنَ التقاضي**

قال النبي ﷺ: خيركم أحسنكم قضاء. **وقال ﷺ**: خيركم الذي إذا كان عليه دين أحسن القضاء وإذا كان له أحسن الاقتضاء. **وقال ﷺ**: من أدان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه إلى صاحبه فهو سارق.

قال ابن الرومي:

هـو ديـنٌ وأحـسـنُ الأمـرِ فـيـه أن يـكـونَ الـقـضـاءُ قـبـلَ الـتـقـاضـي

● **الحثّ عليه**

قال النبي ﷺ: رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل التقاضي. **وقال ﷺ**: من طلب أخاه فليطلبه في عفاف وافياً أو غير واف. **وقال ﷺ**: كفى بالمرء من الشحّ أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً. قال:

إنـي وجَـدتُـك مـن قـوم إذا طـلـبُـوا بـعـد الـسـيـئـة ديـنـاً أحـسـنُـوا الـطّـلـبـا[4]

وقال آخر:

وحـسـبُـك مـن تـقـاضِ الـمـرءِ يـومـاً لـحـاجـتـه الـزيـارةُ والـحـديـثُ

● **الرخصةُ في التقاضي**

استسلف النبي ﷺ من رجل تمراً فلما جاء يتقاضاه قيل له في ذلك، **فقال رسول الله ﷺ**.

---

(1) المسترفدون: المستعينون.
(2) في حلّ: الحلّ ضد الحرام.
(3) أمارات: علامات ـ موجماً: خائفاً.
(4) النسيئة: التأخير في تسديد الدين.

دعه فإن لصاحب الحق مقالاً. انطلق إلى خولة بنت حكيم فالتمسوا عندها تمراً، فقالت: والله ما عندي إلا تمر ذخيرة. فقال: خذوه فاقضوه، فلما استوفى قال له: استوفيت، قال: نعم قد أوفيت وأطيبت. فقال ﷺ: إن خيار هذه الأمة الموفون المطيبون.

● ذمّ ماطلِ ديناً

قال النبي ﷺ: مطل الغني ظلم، وقال ﷺ: الواجد يحل عرضه وعقوبته، فقيل: عقوبته حبسه وعرضه شكواه. قال:

فما بال ديني إذّا يحلّ عليكم أرى النّاس يقضون الديونَ ولا أقضي

يقال: حل الدين يحل وجب محله وحر يحل حصل. وكتب رجل إلى غريم له:

أماطلُك العصرين حتى تملّني وترضى بنصف الدّين والأنفُ راغِمُ[1]

فأجابه:

ستُعطي برغم منك في السجن نادِماً وتشقى بطولِ الحبْس والحَقُّ لازمُ

وقيل: الأكل سلجان[2] والقضاء ليان. وقيل: الأكل سر بطني والقضاء ضر بطني. مرّ بائع زيتون بامرأة فطلبت منه سيئة، فقال: ذوقي لتعرفي جودته. فقالت: أنا صائمة قضاء عن رمضان العام الماضي، فقال: يا فاعلة أنت تمطلين ربك هذا المطل وتطلبين مني الزيتون بنسيئة متى تقضي؟

قال: ومما يتمثل به في هذا الموضع، قول كثير:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمَه وعزّةُ ممطولٌ مُعنّى غريمُها[3]

وقال آخر:

من النّاس إنسانان ديني عليهما مليان لو شاءا لقد قضياني[4]

خليليّ أما أمّ عمرو فمنهما وأما عنِ الأخرى فلا تسلاني

إلى اللّهِ أشكو ما ألاقي وأشتكي غريماً لوَ أن الدين منذُ زمانِ

● الحثّ على إنظار المُعْسِر

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[5]. وروي عن النبي ﷺ أن رجلاً فيما مضى لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر ودع

---

(١) العصرين: الليل والنهار.
(٢) سَلْجان: من سلج: بلع، والسُلجان (بكسر السين): الحلقوم.
(٣) عزّة: هي صاحبة الشاعر كثيّر. ممطول: الذي يُمطَل فلا يستوفي دينه. المعنّى: المتألم.
(٤) المليّ: من ملّى الله عمره أي أطاله. (٥) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٠.

ما تعسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله تعالى له: هل عملت خيراً قط قال: لا، إلا أنه كان لي غلام أقول له خذ ما تيسر ودع ما تعسر لعل الله يتجاوز عنا، فقال الله تعالى لقد تجاوزت عنك. وقال ﷺ: من أنظر معسراً ووضع عنه أظلّه الله عزّ وجلّ في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه. وقال ﷺ: من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

لزم رجل غريماً له وهو يقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1]، والغريم يقرأ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[2]. وسئل ابن الزيات في رجل له عليه دين أن يصالحه على بعض ويحطه به، فقال: إما توفير وتأجيل وإما صلح وتعجيل.

● **المتبجّحُ بمطل الدينِ والتّاوي الذهابَ به**

قال بعضهم:

أماطله العصرين حتى يملّني ... ويرضى بنصف الدّين والأنف راغِمُ

وقال عبّاس السليطي:

إنّي وجدّك ما أقضي الغريمَ وإن ... حانَ القضاءُ ولا رقّتْ لهُ كبدي

إلاّ عصا أرزنٍ طالتْ برايتُها ... تنوءُ ضربتُها بالكفّ والعضُدِ[3]

وقال، وقد نظر إلى غريم له يحمل [illegible]:

يقوي بنانَ الكفّ يحمِلُ رِزمةً ... ولا يحمِلُ المَطْلَ الذي أنا ماطلُه

ومن دون ما يرجو عناءٌ مُبرِّحٌ ... أواجِرُه من تنقضي وأوائلُه[4]

وذهب رجل إلى صديق له، فقال: أقرضني مائة درهم لأشتري بها شيئاً عسى أربح فيه عشرين درهماً، فقال: إني أعطيك عشرين درهماً وأتخلص. فقال: لا أريد إلا المائة، فقال: حديث من لا يريد أن يرد الدين.

● **العاريةُ**

قال النبي ﷺ: العارية مؤداة. قال بشر: أحق الخيل بالركض المعار. وجلس بعض أصحاب الحديث فقال واحد لآخر: تفضل وأعرني قلماً فأعطاه، فقال: وأولني ورقاً فدفعه إليه، فقال: ومحبرة فأعطاه، وقال: يا فتى أتنشط للتروح من أمي فارغة. وفي ذم من لا يعير، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾

● **الإفلاسُ**

قال رسول الله ﷺ: أيما رجل أفلس وعنده مال امرىء بعينه لم يقبض منه شيئاً فهو

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٥٨. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٠.

(٣) أرزنت: ثقلت، والأرزن شجر تتخذ منه العصي ـ البراية: النحاتة.

(٤) عناء مبرح: عذاب متألم.

أحق بعين ماله، فإن قبض منه شيئاً فهو أسوة لغرماء. وقال الحجاج: لا تجعلوا مالي عند من لا يمكنني استرجاعه منه، فقيل: ومن الذي لا يمكنك استرجاعه منه، قال: المفلس.

وقيل لمفلس: يا مرابي، فقال: مال حسن. وفي المثل: أفلس من طنبور بلا وتر. وقيل لمفلس: هل في كفك مال، فقال: هو أمرغ من فؤاد أم موسى. وفلس القاضي رجلاً فأركبه حماراً وطوّف به ونودي عليه أن لا يبايع فإنه مفلس، فلما أنزل، قال له صاحب الحمار: هات الكراء، فقال له: فيم كنا من أول النهار يا أبله.

● الحثُّ على أخذِ الرَّهن

قال الله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌ﴾[1] وقيل: إن الله تعالى لا يسمع دعاء من له على غيره حق، ولا رهن لديه ولا قبالة له عليه، فيقول: قد أمرتك بالاستيثاق فخالفت. ورهن ﷺ درعه بثلاثين صاعاً من شعير كان أخذه رزقاً لأهله.

● حُكم غلقِ الرهن وتلفه

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لا يغلق الرهن الرهن، من راهنه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه. وروي: الرهن بما فيه وروي عنه ﷺ: الرهن مركوب ومحلوب. وقال بعض الشعراء في السخمة:

أمسى هلامُك رهناً لا انفكاكَ له ... والرهنُ في الحُكم مركوبٌ ومحلوبُ
فالدرّ منه حرامٌ ما نطيفُ به ... والظهرُ منّه على الأحوال مركوبُ[2]

● الراهنُ آلاتِ دارِه لفقره

قال زياد الأعجم يشكو فقراً

لقد لجّ هذا الدهرُ في نكباته ... عليّ إلى أن ليس في الكِيس درهَمُ
وأمسَت جواليقي برغم طبيعتي ... رهاناً عليّ ما في الجواليقِ يُعْلَمُ[3]

وأخذ ذلك أبو زوعة الكناني، فقال

وسفرتي في السوق مرهونةٌ ... على الذي يؤكل في السُّفْرة[4]

● الرهونُ الظريفةُ من السخفاء

قيل: تقدم رجل إلى بقال يسأله فامتنع فدنا منه فساره فدفع إليه، فقيل له: ما قال لك؟ قال: رهنني طلاق امرأته وذلك أنه حلف بالطلاق أنه يرده غداً. فقال: ما رأيت رهناً مثله قط

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٣.

(٢) ما نطيف به: أطاف بالشيء ألمّ وأحاط به، قاربه، أو طرقه ليلاً.

(٣) الجواليق: جمع جوالق وهو العدل من صوف أو شعر.

(٤) سفرة: طعام المسافر.

وتقدم فتيان إلى فقاعي[1] فشربوا فقاعاً، وقالوا: ما معنا شيء فخذ من كل واحد منا صفعة رهناً، فصفع كل واحد صفعة، فجاؤوه في اليوم الثاني فقالوا خذ حقك ورد الرهن، فقال: حلال لكم، فأبوا إلاَّ رد الرهن وأخذ الحق فأعطوه حقه وصفعه كل واحد صفعة.

(٤)

ومما جاء في الأيمان

●

● النهيُ عن الأيمان وذمُّ من يكثرها

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[3] قال سعيد بن جبير: هو أن يقول الرجل فيما شكّ على يمين. وقال النبي ﷺ: اليمين الغموس تدع الديار بلاقع. وقال: اليمين حنث أو ندمة، وأخذه بعض الشعراء فقال:

يا أيها المُولي على جَهْد القَسَمْ ... مهْلاً فإن التأنّي لا تُسَفّهُ أو تلُمْ[4]

وقال النبي ﷺ: الأيمان الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة، والتاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه. قيل: العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها مثلاً، والفاجر إذا تكلم أتبع كلامه حلفاً. قيل: فلان لو سكن الفالج في لسانه لما نقص حرفاً من أيمانه.

● النهيُ عن الحلف بغير الله

قال النبي ﷺ: من كان حالفاً فليحلف بالله. وكانت قريش تحلف بآبائهم، فقال ﷺ: لا تحلفوا بآبائكم.

● الرخصةُ في لغو اليمين

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[5] وقيل: لغو اليمين أن يقول كان كذا والله ولا والله ونحو ذلك، وروي أن رجلاً قال للحسن، وعنده الفرزدق، ما تقول فيمن يقول بلى والله ونعم والله. فقال الفرزدق: أما سمعت قولي في ذلك. فقال الحسن ما قلت، فقال:

فَلَسْتُ بِمأخوذٍ بلغوٍ تقولُه ... إذا لَمْ تعمَّدْ عاقداتِ العزائمِ[6]

---

(١) الفقاعي: بائع الفقاع، والفقاع شراب يتخذ من الأثمار أو من الشعير.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٤١. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٤.

(٤) القسم: اليمين بالله أو غيره ـ لا تُسفه: لا تُذل.

(٥) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٥.

(٦) اللغو: الكلام الذي لا يُعتد به ـ تعمد: تدعَم ـ عاقدات العزائم: العزائم المؤكدة والمحكمة والعزائم جمع عزيمة وهي الرقية.

فقال الحسن: أصبت. ثم قيل له: ما تقول في مرأة لها حليل؟ فقال الفرزدق: ألم تسمع قولي:

وذات حليلٍ أنكحتها رماحُنا حلالاً لِمَنْ يبني بها لم تُطلّقِ[1]

فقال الحسن: أصبت. فقال الفرزدق: كنت أراني أشعر منك، وإذا أنا أفقه منك أيضاً.

● وصفُ الكاذبِ بكثرةِ الحلف

قيل: علامة الكذب جوده بيمينه لغير مستحلف، ومنه أخذ المتنبي:

وفي اليمينِ على ما أنتَ واعِدهُ ما دلّ أنّك في الميعادِ مُتَّهَمُ[2]

وقال المنصور لعمر بن عبيد: بلغني أن كتاب محمد بن عبد الله الدارمي ورد عليك، فقال: قد ورد له كتاب وما قرأته وأنت تعلم رأيي في الخروج، فقال له: طيّب نفسي بحلفة، فقال: لا تسمني فإني إن كذبتك تقية لأحسن تقية.

● القليلُ المبالاة بالحَلف

قال النبي ﷺ: ومن لم يحلف على ماله فلا مال له. وادّعى رجل على المأمون مالاً فاستحضر قاضيه يحيى بن أكثم فاستحلفه بمحضر، ثم أمر للمدعي بما ادعى عليه، فقيل له في ذلك، فقال: حلفت له لئلا يجعل إتماي ذريعة إلى أن يدعو عليّ، وبذلت المال لئلا يظن أحد أني حلفت لمبالاتي بهذا المال.

وادّعى رجل على عمر ما لم يلزمه فحلف له واستحلف أبيّ بن كعب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحلف كراهة أن يجعل الناس ترك الإيمان مع معرفتهم بالبراءة سنة، فدخل ذلك في شدة الورع.

واستحلف عمرو بن عبيد على درهم ادعاه عليه بعض من أراد عنته، فقال حفص بن سالم: نعطيه نحن ونعفيك منه ونرفع قدرك عن مطالبة مثله، فقال: ما أكره أن أحلف على حق وما كنت لأعينه على معصية. وادعى رجل على عثمان رضي الله عنه مالاً واستحلفه فأبى واتقاه بدعواه، فقيل له: هلاّ حلفت إذ كان مبطلاً، فقال: خشيت أن يوافق حلفي قضاء، فيقال إن ذلك أصابه لجراءته على الحلف.

قال المتنبي:

وفاعل ما أشتهي يُغنيه عن حلفٍ على الفِعال حضورُ الفعل والكرم[3]

---

(1) ذات حليل: أي ذات زوج، والحليل الرجل الحلال. يقول الحسن البصري: ان الفرزدق صدق في هذا لأنه حكم بظاهر القول، وصاحب العمدة يقول: إنه أراد مذهب الجاهلية في السبايا.

(2) يقول: حلفك على ما تعد من نفسك يدل على عدم الصدق، أي أن الصادق لا يحتاج إلى يمين.

(3) معناه أنه غني عن القسم لأنه موثوق بقوله لكرمه

● **من لم يتحاش من اليمين ولم يبالِ له**

حلف مديني على حق كان قبله، فقيل له في ذلك، فقال: بالله أدفع ما لا أطيق، وأخذ ذلك ابن الرومي فقال:

وإنـــي لـــذو حـــلـــف كـــاذبٍ إذا ما اضطررتُ وفي المال ضِيقُ
وهـل مـن جُـنـاحٍ عـلـى مـعـسـرٍ يـدافـعُ بـالله مـا لا يُـطـيـقُ

ويقال في المثل: جدها جد العير الصليانة إذا أسرع في اليمين، كأنه اقتلعها اقتلاع العير هذا النبت. جاءت امرأة بروحها إلى ابن شبرمة فحلف لها، فلما ولي أنشد:

ألم تعلمي أني جموحٌ عنانُه وأنـي لا أعـدي عـلـيَّ أمـيـرُ[1]
محوتُ الذي في الصكِّ عني بحلفةٍ سيمحوها الرحمنُ وهو غفورُ

فسمعها الحاكم فرده، فعلم الأعرابي أنه أخطأ، فقال: أيها الحاكم أنت أفضل من أن ترجع في قضيتك، فقال: صدقت ولكني أقضي عنك، وقضى عنه. **قال البحتري**:

سألوني اليمينَ فارتعتُ منها لـيـغـروا بـذلـك الارتـيـاع[2]
ثم أرسلتُها كمنحدرِ السَّيلِ تَهَاوى من المكان اليفاع[3]

وكان الشمّاخ عليه دين فقعد له، فقيل له: إنك تحضر القاضي وتحلف فتروع لذلك، فقال: حاش الله أن أحلف، ولو بيتم مني بعطل فكيف وعليَّ حق لازم، فاغتر خصمه فأحضره وحلفه فحلف وخرج من عند الحاكم، فقال:

وجاءت سليم قضّها بقضيضها تـنـفـضُ حولي بالبَقيعِ سبالَها
يقولون لي إحلفْ قلتُ لستُ بحالفٍ أخادِعُهم عنها لكيما أنالَها
ففرّجت همّ النفس عني بحلفةٍ كما قدّتِ الشقراءُ يوماً جلالَها[4]

وقال أعرابي:

إذا حلّفوني بالغموس منحتُهم يميناً كسحقِ الأتحمي المحرقِ[5]
وإن حلّفوني بالعتاق فقد درى سُحيم غلامي أنني غيرُ معتقِ[6]

قال ابن المعتز يودي لو أن لي بيت الخثعمي بألف بيت

وآلتْ يميناً كالزجاج رقيقةً وما حلفت إلا لتَحنثَ مِنْ أجْلي

(1) **الجموح**: المتمرد، الذي لا يرده شيء.
(2) **الارتياع**: الخوف.
(3) **اليفاع**: ما ارتفع من الأرض.
(4) **قدت جلالها**: ترنت وجمحت.
(5) **اليمين الغموس**: الكاذبة.
(6) **حقت اليمين عليه**: قدمت ووجبت.

• الحثُّ على الحنث وكفّارة اليمين

قال النبي ﷺ: إذا حلف أحدكم على يمين فرأى غيرها خيراً له منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه. وقال أبو العيناء: أتي بابن أبي خالد الذي كان بالسند بين يدي المتوكل، فقال: والله لأضربنه بالسياط، والله لا يشفع فيه أحد إلا ضربت ظهره وبطنه. وكان ابن أبي دؤاد حاضراً فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً، ثم قال يا أمير المؤمنين في هذا أدب وإن تجاوزت فسرف. فقال له: أما سمعت يميني، فقال: بلى ولكن ما كان أمير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله، قال: من حلف على شيء فرأى خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه، وكفارة أمير المؤمنين مع العفو أقرب إلى الله وأفضل، فعفا عنه وكفّر عن يمينه.

سأل بعض الناس بعض الخلفاء حاجة، فقال: حلفت أن لا أفعل. فقال يا أمير المؤمنين: إن لم تكن حلفت يمين إلا بررتها فما أحب أن أكون أوّل من يؤثمك وإن كنت ربما حلفت فرأيت ما هو خير منها فكفرتها، فلست أحب أن أكون أهون إخوانك عليك، فقال سحرتني وقضى حاجته.

• الإستثناء في اليمين

قال بعضهم لرجل يحلف: قل إن شاء الله فإنه يدفع الحنث ويذهب الحنث وينجز الحاجة ويدرأ اللجاجة. كانت العرب تسمي الاستثناء في اليمين التحليل والمثنوية على ذلك، قال الشاعر:

تحلّل أنهنّ العفن فهو قول آثم

وقال:

وإذا حلفت ممارياً فتحلّل[1]

وقال تعالى: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[2]

وقال النابغة

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مثنوية[3]

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الاستثناء بعد تراخي الأزمان يصح وكان المنصور دعا أبا حنيفة يوماً، فقال الربيع وكان يعاديه هذا: أبو حنيفة يخالف جدك حيث يقول إذا استثنى الرجل في يمين بعد يوم جاز استثناؤه، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين هذا الربيع يزعم أنه ليس لك بيعة في رقبة جندك، قال: كيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون، فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور، وقال يا ربيع إياك وأبا حنيفة، فلما خرج قال الربيع: كدت تشيط بدمي، فقال أبو حنيفة: أنت أردت أن تشيط بدمي فخلصت نفسي وإياك.

---

(١) تحلّل من يمينه: حلّها وخرج منها (٢) القرآن الكريم: التحريم/٢

(٣) المثنوية: اليمين غير المحلّلة

● المعاريض[1] في الأيمان

قيل: في المعاريض مندوحة عن الكذب. وقال عمر رضي الله عنه: إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب. وقال أبو الحسن اللؤلؤي: واللاءِ لا أفعل كذا، ويعني فاعل اللهو، ومالي صدقة يعني ليس لي صدقة. وفي كتاب المنقذ للمفجع الشاعر ما فيه مقنع من معاريض الأيمان.

● الإيمان بالله

من حلف أمير المؤمنين رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا والذي أمن من آمن به، وبالله جهد المقسم، وبالله الذي لا شيء أعظم منه وكل يمين بعد دونه، وأنا أعلم علم اليقين واحلف إن دعيت إلى ليمين لصابي، والله العظيم مالك يوم الدين وأنا عني عن اليمين، إني أعلم ذلك علم اليقين، بالله يميناً حلوة مرة. ومن أقسام النبي ﷺ: لا ومقلب القلوب، لا والذي نفسي بيده، قال شاعر

وأقسَمْتُ بالرحمَنِ لا شيءَ غيْره ... يمينَ امرىءٍ برّ ولا أتحلّل[2]

قال أبو بكر الصولي: لا أعرف في الأيمان شعراً أعذب من قول البحتري

حلفتُ بربّ زمزم والمصلّى ... وربّ الحجرِ والحجر اليماني

وبالسَّبْعِ الطِّوال ومنْ تولّى ... تلاوتهنّ والسبع المثاني[3]

● اليمينُ بالبيت والهدى

تقول العرب: وحقّ هذه البنيّة.

قال عويف بن الأحوص:

وإنّي والذي حجّتْ قريشٌ ... محارمَه وما جمعت حراءُ

وشهرِ بني أميّةَ والهدايا ... إذا حُبِست تضرّجُها الدماءُ[4]

وقال الفرزدق

حلفْتُ بمن إليه يؤمّ ناسٌ ... من الآفاقِ من يَمنٍ ومضرِ

● اليمينُ بالطّلاق

أول من استحلف بالطلاق ابن مسلمة، وكان والياً على كرمان، استحلف جنده بالطلاق، فقال بعضهم:

رأيتُ هذيلاً أحدثت في طلاقهم ... طلاقَ نساءٍ لم يسوقوا لها مهرا[5]

---

(١) المعاريض: جمع المعرّض وهو خلاف المصرّح به

(٢) البرّ: الصادق - تحلّل من يمينه: خرج منها بكفّارة

(٣) السبع الطوال: السور السبع الطويلة في القرآن - السبع المثاني: الآيات القرآنية التي تثنى وتكرر

(٤) الهدايا: ما يُهدى إلى الحرم من النّعم جمع هديّة (٥) ساق المهر إلى المرأة: حمله إليها

وقيل: أول من استحلف بالطلاق العبّاس بن عبد المطلب استحلف الأنصار ليلة العقبة حين أخذ عليهم البيعة لرسول الله ﷺ.

طلق رجل امرأته عدد نجوم السماء فجاء إلى ابن عباس واستفتاه، فقال: يكفيك من ذلك الهقعة[1]، وهي رأس الجوزاء ثلاثة أنجم. قيل لمزيد المديني: لم تكثر الحلف بالطلاق؟ فقال لأني لما تزوجت امرأتي حلفت بالطلاق إني أحنث بالطلاق في كل حق وباطل كل يوم، فيميني بالطلاق إمساك لها وإلا بانت[2]. حلف رجل بالطلاق فقدمته امرأته إلى القاضي فسأله عن اليمين فأخبره فجعل القاضي يتفكر، فقال له الرجل: فيم تتفكر؟ قال: أطلب لك مخرجاً من اليمين قال قد هون الله عليك. أشهدك أنها طالق سبعين. قال الأصمعي: كان على بعض الأعراب دين ثقيل فتمنق به غرماؤه وكان معدماً فساموه أن يحلف لهم بالطلاق أن لا يهرب فحلف لهم بطلاق امرأتين كانت له ثم هرب، وأنشأ يقول:

لو يعلَمُ الغرَماء ما مقتي لهُم ... ما حلّفوني بالطّلاق العاجِلِ
قد ملّتا ومللتُ منْ وجهيهما ... عجفاء مرضعةٍ وأخرى حاملِ[3]

وقال ابن الرومي:

إذا ما حلف البغلُ ... ففي أيمانه رخْصَه[4]

وقال منصور بن باذان:

يا ذا الذي جعل الطلا ... ق سلاحه عند الحقيقه
لا تحلفنّ بطلاقِ من ... أمسيت حوافرُه رقيقَه
هيهات قد علم الأنا ... مُ بأنّها صارتْ صديقَه

● الأيمان بأهل البيت

كان حمّاد بن موسى يترفض، وكان له صديق يثق إليه ويوافقه في مذهبه فأودعه حمّاد دراهم وطالبه بها بعد مدة، فجحده فضطر إلى أن مضى لمحمد بن سليمان وسأله أن يحضره، ويحلف له بحق علي بن أبي طالب فإنه يتحرج من ذلك، فقال: أعز الله الأمير، هذا الرجل أجل عندي من أن أحنث له بالبراءة من مختلف في ولايته ويمانه، ولكني أحلف له بالمتفق على إيمانهما وخلافتهما أبي بكر وعمر فضحك محمد بن سليمان، والتزم بعض ما ادّعى عليه وصالحه على بعض.

اعترضت امرأة المأمون، وكان قد غصبها ضيعة، فقالت:

ألا أيّها الملك المرتجى ... لريب المَنون وصرف الزمن[5]

---

(١) الهقعة: دائرة في وسط زور الفرس، وهي أيضاً ثلاثة كواكب نيّرة فوق منكبيّ الجوزاء كما أشار.
(٢) بانت (المرأة من زوجها): انفصلت ووقع عليها الطلاق. (٣) عجفاء: هزيلة وضعيفة.
(٤) البغل: حيوان متولّد من الحصان والأتان.
(٥) صرف الزمن وصروفه: نوائبه ومصائبه.

بِحَقِّ النَّبِيِّ وحقِّ الوَصِيِّ   وحقِّ الحُسينِ وحَقِّ الحَسَنْ
وحقِّ التي غُصِبَتْ حقَّها   وولدِها بَعْدَ ذا ما اندفَنْ[1]
شفعتُ إليك بأهلِ الكِساءِ   فإنْ لم تشفّعْ شفيعي فمَنْ[2]

وكان أهل الكوفة إذا حلفوا يقولون. وحق الثلاثة يعنون النبي وأبا بكر وعمر، فرفع رجل إلى الحسن بن زيد وهو أمير المدينة في ذنب فأمر أن يضرب فقال له. بحق الثلاثة عليك إلا ما عفوت عني، فقال وحق أحد الثلاثة عليّ وحقي على الاثنين ألا أوجعتك، فبلغ قوله المنصور، فقال: قاتله الله عما أمر نفسه.

● أيمانُ الأعراب

اختصم أعرابيان في حق فأقبلا إلى ر ب فوجبت اليمين على أحدهما، فقال المدعي: كله إليّ أيها الحاكم أحلفه، فقال له. أنت وذاك فدوّر له دائرة في الأرض، وقال إجلس فيها فجلس، فقال له: جعل الله نومك نعصاً وأكلك غصصا ومشيك رقصا ومسحك برصاً وقطعك حصصاً فأدخلك قفصاً وأدخل في إستك هذه العصا، فأبى أن يحلف واتقاه بحقه

واستحلف أعرابي خصماً فقال قل لا أصحبني الله عصمة ولا سد عني خلة وأحصرني كل نقمة وأثكلني كل نعمة وصرّد لي المشرب وسلبني الأقرب فالأقرب، إن كان ما ادعيت حقاً، فاتقاه بحقه.

اختصم أعرابيان إلى أمير اليمامة فقال أحدهما إن لي قبل صاحبي حقاً فمره يخرج منه فأنكر، فقال الوالي أحالفٌ أنت؟ قال. نعم، فقال خصمه دعني من يمينك حتى أحلفه، فقال: قل لا ترك الله لي خفاً يتبع خفاً ولا ظلفاً يتبع ظلفاً، وحتني[3] من أهلي ومالي حتّ الورق، وحلقني من أهلي ومالي حلق الخضاب، وأحوجني إلى شرّ خلق الله إن كان لهذا قبلي حق فقال: لا أحلف وتقه بما ادّعى عليه

وحلف أعرابي آخر، فقال قل لا استنبتُ الله من خطيئة ولا استجدته لبليّة ولا وفيت له بعهد ولا استجرته أوان جهد، فأتقه بحقه وقال أعرابي لآخر في حق أتحلف، فقال نعم، فقال: قل أرماني الله الرزايا ولا سد عني الخلل، وألبسني القل والملل، وألصق بي الغمّ والعلل، وقطع عني سببه وأصحبني غضبه وأحصرني نقمه وأعدمني نعمه، وكدر لي المشرب وأفقدني الأقرب فالأقرب، إن كان لك عندي حق فاتقاه ولم يحلف.

● أيمانُ الأسخياء وذوي العلاء

كان من يمين يحيى بن خالد لا وعزة الوفاء وحرمة السخاء. قال الأشتر:

بقيت وفري وانحرفت عن العُلا   ولقيت أضيافي بوجهٍ عبوسِ

(1) التي غُصِبت حقها: يعني فاطمة الزهراء
(2) أهل الكساء كناية عن أهل بيت رسول الله
(3) حتني. أزالني.

وقال أبو علي البصير:

أكلبتُ أحسنَ ما يظنّ مؤمّلي ... وهدَمْتُ ما شادَتْه لي أسلافي
وعدِمْتُ عاداتي التي عوَّدْتُها ... قِدَماً من الإخلافِ والإتلافِ
وغضضتُ من ناري ليخفى ضوؤُها ... وقريتُ عذراً كاذباً أضيافي[1]
إنْ لمْ أصِبْ على عليّ حلّةً ... أضحت قذىً في أعيُنِ الأشرافِ

وقال أبو مسلم الرستمي:

إذاً فلا رفعت كأساً بنانُ يدي ... ولا سعَت بي لتطلابِ العُلى قدَمي
وأثكلتْني القوافي رقّتي وغدتْ ... في نسجِها كلْمى غُفْلا بلا علَمِ[2]

وقال الأستاذ الرئيس:

عققتُ العُلى إن كنت خنتُك بالقِلا ... وعفْتُ الندى إن لمْ أكنْ فاجوى يذْوي[3]

وقال التنوخي:

إذاً فرأيت العرف في صورة النكرِ

وقال آخر:

إذاً فلا بلغَت نفسي أمانيها

وقال آخر:

إذاً فثكلتُ سابغتي وصيرمي ... غداة وغى وراحلتي ورادي[4]

وقال الموسوي:

وإلا فلا أمّني النازلون ... ولا جاءني الطارقُ المجتدي[5]

- **أيمانُ الشرب وتعاطي اللهو**

قال وهب الهمداني:

لا والذي سنّ للمدامة والماء نكحاً بغير طلاقِ

وقال المخزومي:

لا والذي قسّم الصهباء من ذهبٍ ... والماءَ من فضّة ما ساءَ من بخُلا

وقال علي الأحول:

كفرتُ إذاً بحقوقِ الصّديق ... وعربدتُ في الشُّربِ عند المُدامِ[6]

---

(١) خفّض ناره: كفّها ـ وقريت أضيافي: استضفتهم.

(٢) أثكلتني: أفقدتني ـ كلمى: مجرحة ـ غفلا: منسية وغير معروفة.

(٣) عققته: تركته واستخففت به ـ القلا: البغض ـ الجوى: شدّة الوجد.

(٤) السابغة: الدرع الطويلة ـ الراحلة: المطيّة (٥) النازلون: الضيوف.

(٦) عربدتُ: ساء خُلقي، والغضب العربيد: الشديد.

- **أيمان الكهنة وأهل الجاهلية**

أقسم بالضياء والحلك، والنجوم والفلك، والشروق والدلك[1]. لقد حبأت لذين فرخ في إعليط مرخ

كانت العرب تتحالف على النار وتتعاقد على الملح، ولذلك قال الشاعر:

حلفْتُ لهُم بالملحِ والقوم شُهَدٌ ... وبالنّار واللاتِ التي هيَ أعْظَمُ

وقال الكميت:

بهولةٍ ما أوقد المحلفونَ ... لدَى الحالفين وما هوّلوا[2]

والهولة نار كانوا يوقدونها ويلقون عليها الكبريت ليستعظم مرآها، ويهابها من أقدم على اليمين، ويحشاها.

- **أيمانُ النوكة والسفل**

من أيمان أهل بغداد: أعطيت الله ألف جوالق عهود، ويقولون: أعطيت الله مائة ألف كر مواثيق. كانت أيمان مزبد، وإلا مسخت في نقبة وحشرت في صورة قرد. قال بعض أعقب الأشياء: ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة، فقال: حلفه، فقال القاضي: إن كان عندك الطنبور فأيري في حجرك، فقال: أي يمين هذه؟ فقال: يمين الطنابيريين

وادّعى رجل على امرأة، فقال الرجل: إن كنت كاذبة فأير القاضي في حرك فتوقفت المرأة. فقال لها القاضي: قولي وإلا أخرجني من حقه. وادّعى ريحاني شيئاً على آخر عند قاض، فقال القاضي له: قل والله الذي لا إله غيره، فقال: ليس هذا من يمين الريحانيين أمي بظراء إن كان له عندي شيء، فقال القاضي: قم فما أراك إلا صادقاً. وحلف مزبد فقال: إن كان كذا فعليّ أن أصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد

- **أيمان الظرفاء**

قال الرصافي:

أما وتفتير طرفك الوسن ... وحسن خالٍ بخدّك الحسَن[3]

وقال الخبزارزي:

بمجاري فلك الحسْنِ التي في وجَناتِك

وقال ابن المعتز:

وحياةِ عاذلتي لقد صارمْته ... وكذبت بل واصلْته وحياته[4]

---

(1) الدلك: ميل الشمس إلى الغروب

(2) الهولة: العجب ـ وهوّلوا: أحلفوا بالهولة وهي نار كما ذكر

(3) الطرف الوسن: العين الناعسة (4) عاذلتي: لائمتي ـ صارمته: قاطعته وهجرته.

وقال البحتري:

وحياةِ من أهوى فإنّي لمْ أكُن أبداً لأحلفَ كاذباً بحياته

● أيمان أهلِ الذمة

قال إسحاق الموصلي وجدت على عون العبادي يمين بحضرة الفضل بن الربيع، وكانت بيننا وحشة، فقلت وليّني استحلافه، فقال: قد فعلت، فقلت: قل بالذي لا يعبد غيره ولا ندين إلا له وإلا فخلعت النصرانية وبرئت من المعمودية، وطرحت على المذبح حيض يهودية، وقلت في المسيح ما يقول المسلمون إن الله خلقه من غير أب كما خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، ولعنك البطريق الأكبر والبطارقة والشمامسة والأساقفة والديرانيون وأصحاب الصوامع عند مجمع الخنزير وتقريب القربان، وعليك لعنة الثمانية عشر أسقفاً الذين خرجوا من رومية حتى أقدموا عهود النصرانية، وإلا فشققت الناقوس وطبخت به لحم الجمل يوم الإثنين عند مدخل الصوم وهدمت كنيسة لد وبنيت بحجارتها مستراحاً لليهود، وهتكت درع داود وإلا سقط عليك قربانك من يدك وأخذته من يد يهودي، وأنت حنيف مسلم، وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك، فقال: والله ما أحرز أن أسمعها فكيف أحلف بها.

● ومن أيمان اليهود

والله الذي لا إله إلا هو منزل التوراة على موسى، وإلا فأنت بريء من اليهودية داخل في الحنيفية، وبرئت من الآيات العشر التي أنزلت على موسى بطور سيناء، وبرأك الله من الأربعة الأحياط التي في كساء هارون أخي موسى، وبرئت من شمعون وشمعي ومن يوم السبت وحقّه، وحرمت الفطير في وقته، وحرقت توراة موسى بأسنانك ومحوت كل آية بلسانك، وعليك المشي إلى بيت المقدس

● أنواعٌ من ذلك

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله أن لا يكلم ابنه، فحضرته الوفاة فقيل له كلمة قبل مفارقة الدنيا، فقال: ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله منّي الساعة كان قوم عليهم دين لأعرابي فقدموا على أن يحلفوا، فقال الأعرابي:

يا ربّ إن كانَ بنو عميرَه قد أجمعوا بحلفةٍ مشهوره
فابعثْ إليهمْ سنةً قاشوره تحتلقُ المالَ احتلاقَ النوْرَه[1]

---

(١) سنة قاشورة: أي مجدبة ـ النورة: أخلاط تضاف إلى الكلس وتستعمل لإزالة الشعر.

(٥)

وممّا جاء في الاكتساب والإنفاقِ

●

● الحثُّ على تثميرِ المالِ في الصغرِ والكبرِ

حُكي أن كسرى مرّ بشيخ كبير يغرس فسيلاً(١)، فقال له يا هذا: كم أتى عليك من العمر؟ **قال**: ثمانون سنة، قال أتغرس فسيلاً بعد الثمانين. **فقال**: أيها الملك لو اتكل الآباء على هذا لضاع الأبناء. **قال كسرى**: زه(٢) يأخذ أربعة آلاف درهم. **فقال**: أيها الملك الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه وهذا قد أطعمني في ساعته. **فقال**: زه يأخذ أربعة آلاف درهم. **فقال**: أيها الملك الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في أول السنة مرتين، **فقال**: زه يأخذ أربعة آلاف درهم، **فقال الوزير**: إن لم ينهض الملك أردى هذا بحكمته بيت المال.

● تثميرُ ذي مالٍ كثيرٍ لمالٍ حقيرٍ

قال سعيد: ولاني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز، **فقال**: تعهد صغير مالي يكبر ولا تجفُ كبيره فيصغر، فإنه ليس يمنعني كثير ما في يدي من إصلاح قليل مالي، ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني. وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة، فصادفوه في حائط له يتبع ممّا يسقط من الثمر فيعزل لعياله ورديئه فقاموا حتى فرغ، فكلّموه في ذلك، فبذل لهم ما أرادوا، **فقال بعضهم**: صنيعك هذا من سبب ترقيح(٣) عيشك، **فقال**: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم. **وقال زياد**: لو كان لي ألف ألف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره، ولو أن عندي درهماً واحداً طرقني حق لوضعته فيه. **قال الوليد بن يزيد**: لأجمعن جمع من يعيش أبداً ولأنفقنه إنفاق من يموت غداً.

● التمدُّحُ بالتكسّبِ والحثُّ على ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾(٤)، فدل على وجوب الطلب أو فضيلته. **قال الموصلي**: عليكم بالتكسب فأوّل ما يبدأ به الفقر دين الإنسان. ولما أقبل النبي ﷺ من غزوة تبوك استقبله معاذ فصافحه، **فقال**: كنبت يداك، **قال**: نعم أحترث بالمسحاة وأنفقه على عيالي فقبله، وقال لا تمسها النار. **وقال بعض الحكماء**: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم محتال والدنيء عيال.

قال عروة بن الورد:

إذا المرءُ لمْ يطْلبْ معاشاً لنفسِهِ ... شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرَا

---

(١) الفسيل: الشتل.
(٢) زه: كلمة استحسان.
(٣) الترقيح: الإصلاح.
(٤) القرآن الكريم: الجمعة/ ١٠.

فسِرْ في بلادِ اللّهِ والتمسِ الغِنى   تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرَا

وقيل: هو أكسب من الذر والنمل ومن الذئب. **وقيل**: فلان يسعى سعي الأم البرّة ويجمع بجهده جمع الذرة.

● تَفضيلُ الكسبِ على السؤالِ

كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى فتى وأعجبه، سأل: هل له حرفة؟ فإذا قالوا: لا سقط من عينه. **وكان يقول**: مكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس. **وقال ابن عباس رضي الله عنه**: قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا إن فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر، **فقال**: أيكم كان يكفي طعامه وشرابه، **فقالوا**: كلنا، فقال: كلكم خير منه. وروى أنس أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ **وقال**: أتيتك من أهل بيت لا أراني أرجع إليهم من الجوع، **فقال**: أما عندك شيء؟ **قال**: لا، فأعطاه درهمين وقال له: إذهب فابتع بأحدهما طعاماً وبالآخر فأساً واحتطب وبع. فغاب خمسة عشر يوماً ثم جاء **فقال**: بارك الله لي فيما أمرتني به أصبت عشرة دراهم فابتعت لأهلي بخمسة طعاماً وبخمسة كسوة، فقال النبي ﷺ: هذا خير لك من المسألة[1]، إن المسألة لا تحِلُّ إلا لأحد ثلاثة دم موجع أو غرم مفظع أو عدم مدقع

وقال إبراهيم عليه السلام: يا رب استحييت من كثرة تصرفي في طلب الرزق فأوحى الله إليه ليس طلب المعيشة من طلب الدنيا.

وقال شاعر:

ولا تــدَعُ مَــكْــسَــبــاً حَــلالاً   تــكْــثَــرُ مِــنْــهُ عــلــى عِــيــالٍ

● تفضيلُ التكسّبِ على التوكّل

قال حكيم لرجل يجلس إليه: ما حرفتك؟ قال التوكل على ربّي والثقة بما عنده، فقال الحكيم: الثقة بربّك تحرم عليك إصلاح معيشتك، أو ما علمت أن طلب ما تعف به عن المسألة حزم والعجز عنه فشل والفقر مفسد للتقي، متهم للبريء ولا يرضى به إلا الدنيء، وأنشد:

فإنْ قلْتَ يَكْفيني التوكّلَ والأسى   فقد يطْلبُ الرزْقَ الذي يتوكّلُ

وقيل لحكيم: إحذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا بإحالتك على القدر، فإن الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم للقضاء بعد الأعذار، **فقال**: خذوا حذركم، **وقال**: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. وقال النبي ﷺ: إعقلها وتوكل. **وقال عمر لرجل**: ما معيشتك؟ **قال**: رزق الله، **فقال**: لكل رزق سبب فما سبب رزقك؟ **قال أبو تمام**:

وصدقْت إنّ الرزق يَطْلبُ أهلهُ   لَكِنْ بِسيرةِ متعبٍ مكْدودِ

---

(١) المسألة: التسوّل والاستجداء

وقال الموسوي وقد أحسن في معناه:

اعزمْ فليسَ عليكَ إلاّ عزمةٌ ... والعجزُ عنوانٌ لِمَنْ يتوكّلُ
أو حمّلِ اللّومَ القضاءَ فإنّهُ ... عودٌ لأحمالِ الملامِ مذلّلُ[1]

● الترغيبُ في طلبِ المعاشِ مع مراعاةِ المعادِ

قال النبي ﷺ: خيركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إحرث لآخرتك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ينبغي للعاقل أن يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم، قال جرير:

فلا هوَ في الدُّنيا مُضيعٌ نَصيبَهُ ... ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدِّينِ شاغِلُه

وقال خالد: يا بني، خصلتان لا تبن ما صنعت بعدهما، دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك.

● التَّرغيبُ في اكتسابِ الحَلالِ

قال ابن المبارك: لقيت رجلاً بمكة يبيع الخرز وكان أبوه خرازاً فسألته عن ذلك، فقال: إن الله لا يسألني هلاّ كنت خرازاً، وإنما يسألني من أين اكتسبت وفيم أنفقت؟ وقال ﷺ: لا يكتسب عبد درهماً من حرام فيتصدق به أو ينفقه أو يتركه إلا كان زاده إلى النار.

وقال سفيان: عليكم بعمل الأبطال الاكتساب من الحلال والإنفاق على العيال. واستأذن رجل النبي ﷺ في الجهاد، فقال: ألك من يقوله؟ قال: نعم، قال: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوله.

● النَّهيُ عن التواني في التكسب

قال هرم: من التوفيق رفض التواني ومن الخذلان مسامرة الأماني.

قال شاعر:

وإنّ وطاءَ العَجزِ أورثَ خَلّةً ... وأصلدُ ما أورى الأكُفُّ القوادحُ[2]

وقال:

وما طلبُ المعيشةِ بالتمنّي ... ولكن ألقِ دلوَكَ في الدِّلاءِ

وقيل:

حُبُّ الهُوَيْنا يُكسِبُ النَّصَبا[3]

(١) عود مذلّل: طريق مسهلة.

(٢) أورى: أشعل. القوادح: جمع قادح وهو الكف الذي يقدح بالزند لإخراج النار، وهو السهم قبل أن يجعل فيه نصل.

(٣) النَّصب: التعب والعناء.

● مدحُ الشغلِ وذمُّ الفراغِ

قال بزرجمهر: إن يكن الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة. الراحة للرجال غفلة وللنساء غلمة. واستشار رجل في عمل يتولاه آخر، **فقال**: إعلم أن الفراغ من شأن الأموات والاشتغال من شأن الأحياء، فإن قدرت أن تكون حياً فاعمل. **وقال حكيم**: لا تفرغ قلبك من ذكر ولا يدك من شغل، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الإثم. **وقال آخر**: أحذركم عاقبة الفراغ فإنه شر من السكر. **وقال الفضل بن مروان**: الكاتب كالدولاب إذا تعطل انكسر.

● الأمرُ بالاقتصادِ في الطلبِ

قال النبي ﷺ: اقتصدوا في الطلب فإن ما رزقتموه أشد طلباً منكم له وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم. **وقيل**: لا يدرك بالحذق هارب الرزق.

قال المرقش الأصغر:

أَجْمِلِ الـعَـيْـشَ إنّ رِزقَـكَ آتٍ ... لا يـرُدُّ الـتَّـرقـيـحُ شَروى فَـتِـيـلِ(١)

وقال أبو الشيص:

لِـكُـلِ امرِىءٍ رِزقٌ ولِـلـرزقِ جـالِـبٌ ... ولَيسَ يفوتُ المرءَ ما خطَّ كاتِبُه(٢)

يُـسَـاقُ إلـى ذا رزقُـهُ وهـوَ وادِعٌ ... ويُحْرَمُ هـذا الـرزقَ وهـو يُـطـالِـبُـه

وقال أبو تمام:

والـحَـظُّ يُـعْـطـاهُ غـيـرُ طـالِـبِـه ... ويُـحْـرَزُ الـدرُّ غـيـرُ مـجـتـلِـبِـه

تـلـكَ بـنـاتُ الـمـخـاضِ راتِـعَـةٌ ... والـعـودُ فـي كُـورٍ وفـي قَـتَـبِـه(٣)

وقال آخر:

حـظُّـكَ يـأتـيـكَ وإنْ لـم تَـرِمِ

وقال راشد الكاتب:

إذا كانَتِ الأرزاقُ في القربِ والنوى ... عَليكَ سواءً فاغْتَنِمْ لذّةَ الدَّعَه(٤)

وإن ضاقَ أمرٌ يفرِجُ اللّهُ ما ترى ... ألا رُبَّ ضيقٍ في عواقِبِهِ سَعَه

وقال المطوي:

لا تَـحـسَـبَـنْ طـولَ الـرحَـلْ ... يَـزيـدُ فـي رِزقِ الأجَـلْ

---

(١) الترقيح: ترقيح العيش إصلاحه ـ الشروى: المثل ـ وشروى فتيل: لا يماثل بأي شيء.

(٢) ما خط كاتبه: أي ما هو مقدّر للإنسان من رزق.

(٣) في كور وفي قتبة: في رحل كبير أو في رحل صغير (الرحل ما يُحمل على ظهر الجمل كالسرج).

(٤) في القرب والنوى: أي في القرب والبعد.

ولا تـقـعـدنّ عـن الـمـكـاسـب واثـقـاً
لا تـقـعـدنّ مـقـامـاً وادعـاً يـدفـعُ رزقـاً قـد نَـزل

وقيل: لبعض من تقاعد به الزمان أنق الدلاء وأجدبها ملاء، فقال: كيف أنزع دلواً خان رشاؤها[1] وأسدد سهماً زالت أعراضها.

● الحثُّ على السفر في طلبِ المالِ

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]. وقال النبي ﷺ: سافروا تغنموا. وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر، فقال: أما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة إن غضبت ترضاها وإن رضيت فداها، يحوم حولها ويطيع قولها.

قيل: رأس العجز أن تقيم فلا تريم وأن تحيم فلا تقلع، فمن طلب جلب ومن تبعل تقل، ومن نام رأى الأحلام. وقيل: الحركة لقاح الجد العقيم.

قال أبو تمام:

أرادَ بأن يَحْوي الغنى وهوَ وادعٌ وهل يفرِسُ الليثُ الطّلا وهو رابضُ[3]

قال بزرجمهر: السعيد يتبع العين والشقي يتبع مسقط رأسه. قال شاعر:

ذو اللبِّ تسرع للرفاهة نفسُهُ وترى الشقيَّ تروعه للموطنِ

أخذه المبرّد:

الفقرُ في أوطانِنا غربةٌ والمالُ في الغربةِ أوطانُ

وقال آخر:

وكـلّ بـلادٍ أحـسـنـتْ فـبـلادِي

وقال المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافِقِ ولا أهلُهُ الأدنون غيرُ الأصادِقِ[4]

● إقامةُ العذرِ في الطلبِ

قال عروة بن الورد:

لِتبلغَ عُذراً أو تُصيب رغيبةً ومبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجحِ

وقال كشاجم:

وعليَّ أن أسعى وليسَ عليَّ إدراكُ النجاحِ

---

(١) رشاؤها: حبلها.

(٢) القرآن الكريم: الملك/ ١٥

(٣) الطّلا: ولد الغزال والصغير من كلّ شيء.

(٤) الأدنون: الأقربون ـ الأصادق: جمع صديق.

وقال آخر:

قد قَضَى ما عَليهِ من بلَغ الجهـ ـدَ وإن لـم يَـصِـلْ إلـى مـا أرادا

● المتكسِّبُ بسلاحِهِ

دخل رجل على أبي دلف فاستماحه وتسبب له، فقال له: أتستميح وجدك القائل.

ومن يفتقر منّا يَعِشْ بحسامه ومن يَفْتقِرْ من سائرِ الناس يَسْأل

فخرج الرجل وجرّد سيفه فاستقبله وكيل لأبي دلف معه مال، فاستلبه وقتله، فاتصل الخبر بأبي دلف. فقال: دعوه، فإني علّمته. وقال بعض الشجعان: التطفل ضرر والاتكال عرر، ولا يكسب الأموال إلا منازلة الأبطال ومصاولة الرجال وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف.

قال الأعشى:

متى لا يَحبُ الزادَ إلا منَ التُقى ولا المَـالَ إلا مـنْ قـنـا وسـيـوف

وقال ابن نباتة:

شرابُهمْ في الحربِ ما تُمطرُ القنا وأكْلُهـم ما تَجْتَنيهِ الصوارِمُ[1]

● وصف الناس بأنّ تصرفَهم في طلب المعاشِ

وقال أبو العتاهية:

الـمرءُ يَـغـلـطُ فـي تـصـرّفِ حـالِـهِ فلربّمَا اختار العناء على الدّعه

كـلٌّ يُـحـاولُ حـيـلـةً يـرجـو بـهـا دفعَ الـمـضـرّةِ واجـتـلابَ الـمـنـفـعَه

وقيل لفارسي: فيم تقلب الناس، فقال بالفارسية أش نياز وار، أي من الفقر والحرص، قال آخر

كـلُّ امـرئٍ مـشـتـغـلٌ بـنـفـسـه يَـطْـلُـبُ مـا يَـطـرَحُـهُ بـفِـرْسِـه

● النّهيُ عن الاغترارِ بما في يدِ الغَيرِ

قيل: غثك خيرٌ من سمين غيرك. قال شاعر:

وإنْ حـدَّثـتـكَ الـنـفـسَ أنـكَ قـادرٌ على ما حَوتْ أيدي الرجالِ فجرّبِ

وقال أبو العتاهية:

لا تـغـضـبَـنّ عـلـى امـرىءٍ لـك مـانـعٍ مـا فـي يـديـه

واغـضـبْ عـلـى الـطـمَـعِ الـذ ي اسـتـدعـاكَ تـطـلُـبُ مـا لـديـه

---

(١) القنا: الرماح ـ الصوارم: السيوف

● **تفضيلُ الحاضرِ على المُنتظر**

في المثل: عِشْ ولا تغتر. **وقيل**: لقمة في فمك أحصر منفعة من فخذ في تنور. معاطاة الموجود خير من انتظار المفقود.

● **الحثُّ على حفظِ المكتسب**

قال سقراط: لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه. **قال شاعر**:

لحفظك مالاً قد عُنيتَ بجَمْعه ... أشدُّ من إدراكِ الذي أنتَ طالِبُه

وقال آخر:

لحفظُ المالِ خيرٌ من ضياعٍ ... وطوفٌ في البلادِ بغير زاد

وقيل: حفظ الموجود أيسر من طلب المفقود. **وقيل**: احذر نفاد النعم فما كل شارد مردود.

● **الحثّ على حفظ المالِ لنُوَب الأيام**[1]

قال محمد بن غالب:

إنما الدُّنيا سحاباتُ قذى ... تكشفُ الأحزانُ عن مَطَرِه[2]

فاتّخذ للدهرِ في يُسرٍ ... عدةً تقضي على عسره

وقال البديهي:

لا تحسبنّ إدخار المرء قنيتَه ... لصونهِ وجههُ بل لا، هُو الكرَمُ[3]

عِزُّ القناعة بالموجودِ يمنعُ من ... ذلّ القنوع، وحفْظُ العرْض معتصمُ

● **حفظُ المالِ بالختم عليه**

قيل: من ختم البضاعة أمن الضياعة. من الكيس ختم الكِيس[4]. طينة خير من ظنّة. **وقيل**: أربعة أشياء لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لنفاسته والطِّيب للإبدال، والدواء للاحتياط.

● **الحثُّ على حُسنِ التدبيرِ والنهيُ عن التبذير**

قيل: حسن التدبير نصف المكسب وسوء التدبير داعية البؤس. الإفلاس سوء التدبير. كن مقدراً لا مقتراً. **وقال النبي** ﷺ: الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. قال الله

---

(١) **نوب الأيام**: مصائب الدهر.

(٢) **سحاب قذى**: أي سحاب ذلّ والقذى أصلاً ما يقع في العين من تبنة ونحوها ـ عن مطره: عن إنزاله.

(٣) **قنيته**: ما يملكه. (٤) **الكيس**: الفهم والفطنة.

تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[1] وقيل: التبذير إنفاق المال في غير الحق. وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن التبذير، فقال: هو أن تنفق الطيب في الخبيث.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[2] ولم يأذن في الفضول وقال عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[3]

وقال ﷺ: أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. وقال: ليس في السرف شرف.

وقال معاوية: ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جنبه حق مضيع. وقال ﷺ: ما عال امرؤ عن اقتصاد.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد.

وقيل: ما وقع تبذير في كثير إلا هدمه ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره.

وقيل: إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه.

● التهكُّم على مُبذِّر

قيل في المثل: خرقاء وجدت صوفاً. وقيل: من بطل ذيله يتطلق به. وقيل: بطأ فيه. ومن وجد دهناً دهن إسته. وقيل: عقد حلي في يديه، وعقد ملك عقداً. وكان بعض المتخلفين ورث مالاً فكان يحمل الدنانير ويأتي الشط فيقذف واحداً واحداً في الماء، فقيل له في ذلك، فقال: يعجبني طليته وصوته. وبنى عون العبادي دكاناً وسط داره وأسرف في الإنفاق عليه إسرافاً متناهياً فليم في ذلك، فقال: ما أصنع بالدراهم إذاً.

● الحثُّ على حفظ المَال والإستغناء به عن الأنذال

كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها، فقيل له: أتحفظ ذلك وأنت موصوف بالزهد؟ فقال: لئلا أكون مناديل الغمر من الرجال. وقيل لأفلاطون: لم تدخر المال وأنت شيخ؟ فقال: لأن يموت الإنسان ويخلف مالاً لعدوّه خير من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته.

وقيل: خلّف للأعداء ولا تحتج إلى الأصدقاء. وقيل لحكيم: لم حفظت الملابسة ما في أيديهم؟ فقال: لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه، فقد علموا أن لا اتكال على ما في يد الغير. وفي المثل: بق نعليك وأبذل قدميك[4].

● النهيُ عن إنفاقِ جميعِ المَال والرخصة في ذلك

رُوي في الخبر: أن كعب بن مالك أراد أن يتصدق بماله كله، فنهاه النبي ﷺ وقال

(1) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٦ (2) القرآن الكريم: البقرة/ ٢١٩.
(3) القرآن الكريم: الفرقان/ ٦٧
(4) أي ابذل نفسك واستبق مالك لئلا يختل أمرك.

له: إمسك عليك مالك فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

وقال ابن عباس رضي الله عنه حث النبي ﷺ ذات يوم على الصدقة، فجاء أبو بكر بماله كله، فقال له النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك فقال الله ورسوله، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله ونصف مالي، فقال ﷺ: بين الرجلين ما بين الكلمتين.

وسئل الشبلي عمّا يجب في مائتي درهم، فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم وأما من جهة الإخلاص فالكل. وقيل للمأمون لا شرف في السرف، فقال: لا سرف[1] في الشرف.

● الإنفاقُ على الأهْل

قال النبي ﷺ: نفقة الرجل على أهله صدقة، وقال: خيركم خيركم لأهله، وقال ابدأ بمن تعول ولا تعجز عن نفسك.

وكان أيوب يقول لأصحابه: تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبر والمعروف ولا تدعوهم يطمحوا بأبصارهم إلى ما في أيدي الناس.

وقال زيد بن علي رضي الله عنه: ثلاث لا يسأل الإنسان عنها: ما ينفقه في مرضه وما ينفقه في إفطاره، وما ينفقه على ضيفه.

● مدْحُ مُفيد مُبيد

مدح إعرابي رجلاً، فقال: هو أكسبكم للمعدوم وأكلكم للمادوم وأعطاكم للمحروم.
وقال الوليد بن يزيد: لأجمعنّ جمع من يعيش أبداً ولأنفقنه إنفاق من يموت غداً.

قال أبو تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشرٍ أغارت عليهم واحتوته الصنائعُ

وقال آخر:

إذا أسلفتهن الملاحم مغنماً دعاهن من كسب المكارم مغرمُ

وقال المتنبي:

وَالسَّقمُ يكسرُ منْ جناحَيْ مالهِ بنواله ما تجبُرُ الهَيْجاءُ[2]

● النهي عن إمساك المال

قال النبي ﷺ: ينادي منادٍ كلّ ليلة، فيقول: اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً.

---

(١) السرف: الإسراف.

(٢) الجناح: بمعنى اليد ـ النوال: العطاء ـ الهيجاء: من أسماء الحرب ـ يقول إنه أنفق في السلم ما كان غنمه في الحرب.

وقال ﷺ: أنفق بلالاً[1] ولا تخش من ذي العرش إقلالاً

قال شاعر:

وإن أشدّ الناس في الحشر حسرةً　　لـمورثُ مـال غـيـرَه وهـو كـاسـبُـه

ولهذا باب في ابتداء فضل الجود.

● الحثُّ على الإنفاق وقتَ السعَة وإظهار أثر النعمة

قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2] (الآية). وبعث عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو أمير الشام مالاً، وقال للرسول: أنظر ماذا يصنع فرآه يوسع على عياله، ثم نقص من أرزاقه فقتر عليهم. فقال عمر: رحم الله أبا عبيدة وسعنا عليه فوسع وقترنا عليه فقتر. وسئل الحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالاً فأنفق على أهله ما لو أنفق دونه لكفى، فقال: وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك فإن الله قد أدب عباده أحسن تأديب. فقال: لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، وما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه ولا عفر لقوم ضيق عليهم فكفروه. وقال ﷺ: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس. وقال ﷺ: من آتاه الله خيراً فلير أثره عليه.

● ذهابُ المالِ الحرام في الأباطيل

قال الحسن رحمه الله: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل المال فانظر في أي شيء ينفقه، إن الخبيث ينفق في إسراف. وقيل: من درى من أين أخذ درى أين أنفق.

● التظلف والتنعم لمكسب دنيء

قيل في المثل: نعم قليل وفضحت نفسي. تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

قال شاعر:

أصبتُ صنوفَ المالِ من كلّ وجهةٍ　　فـمـا نـلـتُـه إلا بـكـفِّ كـريـم

وإني لأرجو أن أموتَ فتنقضي　　حيـاتـي ومـا عـنـدي يـدٌ لـلـئـيـم

● حكم وجود الضالة

سئل النبي ﷺ عن ضالّة الإبل، فقال: مالك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر. قيل: فضالة الغنم، قال: هي لك أو لأخيك أو للذئب. وسئل عن اللقطة فقال: إحفظ عفاصها ووكاءها[3] وعرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها.

---

(١) الإقلال: كل ما يبلّ به الريق.　　(٢) القرآن الكريم: الطلاق/ ٨.

(٣) عفاصها: جلدها وغطاؤها ـ وكاؤها: رباطها.

وروى جارود بن المعلى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ضالّة المؤمن حرق النار. وقيل: ما يوجد بمكة فلا يجوز الانتفاع به، لقوله ﷺ إن الله حرم مكة ما بين لابتيها لا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعروف.

وقال عمر رضي الله عنه: إذا وجدتم تمرة ملقاة في الطريق فليلتقطها من هو أحوج إليها. ووجد النبي ﷺ تمرة ساقطة، فقال: لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها.

(٦)
وممّا جاء في مدح الغِنَى وذمّ الفَقْر

●

● **منفعة المال ديناً ودُنيا**

كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، وقال ﷺ: نعم العون على تقوى الله المال. وقال أبو قلابة: نعم من العافية. نظر أعرابي إلى دينار فقال: ما أصغر مرآك وأكثر منافعك.

قال ابن الرومي:

لم أر شيئاً صادقاً نفعُهُ ... لِمَرْءِه كالدرهم والسيفِ
يقضي له الدرهمُ حاجاتِهِ ... والسيفُ يحميه من الحَيْفِ[1]

وقيل: نعم العون على الدين اليسار. وقال شاعر في معناه:

ما أرسل الإنسانُ في حاجةٍ ... أقضى من الدرهمِ في كُمّهِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي صدّ عني بنبوَةٍ ... فدرهمي المنقوش خيرُ خليلِ[2]

قال أحمد بن أبي طاهر:

ولا يُساوي درهماً واحداً ... من ليسَ في منزلِه درْهَمْ

وقال آخر:

ولا خيرَ في الدنيا لمن لمْ يكُن له ... دنانيرُ فيها جمّةٌ ودراهمُ

وقيل في قوله: فأرسل حكيماً ولا توصه، إنه الدرهم. وقيل: الدرهم هو الأخرس النجيح[3]. قال وهب بن منبه: الدرهم والدينار خواتيم رب العالمين أينما بعث قضى الحوائج.

---

(١) الحيف: الظلم. (٢) صدّعني بنبوة: جفاني، وابتعد عني.
(٣) النجيح: الذي تنجح مراميه، والنجيح أيضاً الصائب من الآراء.

- **محبةُ الناس للمال**

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما أشد حبك للمال، **قال**: ولم لا أحبه وأنا أستعبد به مثلك، وأبتاع به مروءتك ودينك. **وقال بعض الفرس**: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه، وإذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق. **وقيل لابن زياد**: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ **فقال**: هي وإن أدنتني منها فقد أغنتني عنها. **وقيل**: تقليب الدرهم يوقف الشيب ويزيل الهم والتعب، **وقيل**: من نقر درهماً زرع في قلبه شهوة.

- **تشاحُحُ**[1] **الناس بالمال**

قال يونس: لو أن الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من أخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد. **وقيل**: لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ إبليس صرخة وجمع أصحابه، **فقال**: قد وجدت ما ستغنيت به عنكم في تضليل الناس فالأب يقتل إبنه والابن يقتل أباه بسببه.

- **وصفُ أنواعِ المال وتفضيلُ بعضها على بعض**

سئل أبو بكر عن أصناف الأموال، **فقال**: أما الماشية فإنها تقبل من السنة إذا أقبلت وتدبر معها إذا أدبرت، وأما الرقيق فإنه يغدو عليها ضرها ونفعها وقليل الصبر يأتي على كثير النفع، والصامت مال من لا مال له، لأنه إن أبقاه أتلفه وإن أمسكه أعان به نفسه، وكان كمن لا مال له.

وقال: خير المال ما أطعمك ما لا تطعمه. **وقال عبد الله بن الحسن**: غلّة الدور مسألة[2] وغلة النخل كفاف[3]، وغلة الحب غنى. وقيل للأحنف: أي المال أبقى وأزكى؟ **فقال**: المساكن والأرضون، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[4] إن له غلة شهر بشهر. قيل لمجنون لم صار الدينار خيراً من الدرهم والدرهم خيراً من الفلس؟ **فقال**: الفلس ثلاثة أحرف والدرهم أربعة أحرف والدينار خمسة.

وقيل لآخر: لم صار لون الذهب أصفر؟ فقال لأن طلابه كثير. وقيل لآخر، **فقال**: لخوف الدفن.

وقيل لرجل: لم فضل الدينار على الدرهم؟ **فقال**: لأن الدينار يؤدي إلى النار والدرهم دار هم، وعذاب الهم عاجل وعذاب النار آجل، وإلى ذلك محيا وممات.

ودفع إلى أعرابي دينار فحمله إلى الصراف فملأ له يديه دراهم، **فقال**: ما أصغر منظرك وأعظم مخبرك.

---

(١) **التشاحح**: التباخل. (٢) **المسألة**: الحاجة.
(٣) **الكفاف** (من الرزق): ما كفى عن الناس وأغنى. (٤) **القرآن الكريم**: المدّثر/١٣.

وقال أنصاري لابن عبد الرحمن بن عوف: ما ترك أبوك لك من المال؟ فقال: ترك أموالاً كثيرة. فقال: ألا أعلمك ما هو خير لك مما ترك أبوك، قال: نعم، قال: إعلم أنه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال، فحسبك من المال بما يعولك لا بما تعوله.

● **وصف الحيوان من بين المال**

قيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: غنى، قيل: وفي مائة من الضأن قالت: غنى، قيل: وفي مائة من الإبل قالت: منى. قيل: فما تقولين في الحمير قالت: أخزاه الله، مال لا يزكي ولا يذكي.

وقيل لرجل: أي مركب إذا كان أكبر كان أنذل[1]؟ **فقال**: الحمار. **وقيل لآخر**: أي المال أحب إليك؟ **فقال**: الذي يقيم بقيامي ويظعن ويحملني ومالي وداري، يعني الإبل وعلى عكسه، قول الآخر:

وإن اقتناء النوق موقٌ وحرفةٌ ... يبيتُ على يسرٍ ويغدو على ثكلِ[2]

● **قدرُ ما يحمدُ من المال**

قال النبي ﷺ: نعم المال الأربعون والكثير الستون، وويل لأصحاب المائتين إلا من أعطى في نجدتها، ونحر سمينها ومنح لبونها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها. قال خالد بن صفوان: من كان له مال كفافاً فليس بغني ولا فقير، لأن النائبة إذا أتت أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني.

● **وصفُ درهم أو دينار ثقيل الوزن**

كان المتوكل ضرب دراهم وزن كل واحد عشرة، وعلى جانب منه مكتوب:

أمازحُها فتغضبُ ثم ترضى ... وكلُّ فعالها حسنٌ جميلُ

وعلى الآخر:

فإن غضبت فأحسنُ ذي دلال ... وإن رضيتْ فليس لها عديلُ

ووُجِد في خزانة جعفر بن يحيى دنانير، في كل دينار مائة مثقال ومثقال، نقشه:

وأصفر من ضرب دار الملوك ... يلوحُ على وجهه جعفرُ[3]

يزيدُ على مائةٍ واحداً ... إذا ناله معسرٌ يوسرُ

وأهدى **عضد الدولة إلى ركن الدولة** دنانير كل دينار منها مائة مثقال، ونقشه:

بذكرِ الله أكرم مستجارِ ... ضربناه من الذهبِ النضارِ

---

(١) أنذل: أكثر نذالة، والنذالة: الخسة والاحتقار.

(٢) موق: حمق في غباوة ـ حرفة: حرمان ـ الثكل: الفقد.

(٣) جعفر: المقصود هنا جعفر بن يحيى.

جعلنا وزنَه مائةً فأضحى عديمَ النِّدِّ مفقودَ النِّجارِ[1]
لنهديَه إلى الركن المرجَّى بويه إلى علي ذي الفخارِ

وأمر الصاحب أن يضرب دينار من ألف مثقال، وأهداه إلى فخر الدولة وكتب عليه

وأحمرُ يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً وأوصافُه مشتقةٌ من صفاتِه[2]
فإنْ قيلَ دينارٌ فقد ذَكرَ اسمُه وإن قيل ألفٌ كانَ بَعْضَ سِماتِه
بديعٌ فلم يطبعْ على الدهر مثلُه وإن ضُرِبَت أضرابُه ببراتِه
لقد أبرزَتْه دولةٌ فلكيّةٌ أقامَ بها الأفلاكَ صدرُ قناتِه
وصارَ إلى شاهان شاه انتسابُه على أنه مستصغَرٌ لعُفاتِه[3]
تأنّقَ فيه عبدُه وابنُ عبدِه وغرسُ أياديه وكافي كفاتِه

- **وصفُهما إذا كانا خفيفَين**

كان المتوكل أمر أن يضرب له ألف ألف درهم في كل درهم قيراط، لينثره مكان الورد، وأمر بأن تصبغ صفراً وحمراً وحصراً وكان الدرهم يبقى في الهواء بقاء الورد.

قال العبّاس في وصف دينارين خفيفين:

حاد بدينارين لي جعفر أصلحه الله وأخزاهما[4]
وكاد لا كانا ولا أصلحا عليهما يرجحُ ظلاهما

قال ابن الرومي في دينار خفيف:

كأنه في الكفِّ من خفّةٍ مقدارُه من صفرة الشمسِ

وقيل لرجل ما أولاك فلان، فقال درهماً كأنما عناه الشاعر بقوله:

مرّ بنا والعيونُ ترمقُه تُجرَحُ منه مواضِعُ القُبَلِ[5]

- **وصفُ مالٍ بالكثرة**

قيل هو في خير لا يطير غرابه، ووجد فلان تمرة الغراب. وعنده عائرة عين وله كحل وسواد، والنشب والمرص والطم والرم وجاء بما صأى وصمت وبالصح والريح

---

(١) النجار: الأصل والحسب

(٢) براته: جمع بُرة وهي الحلقة من فضة أو نحاس أو نحوهما

(٣) عفاته: التاركين له. (٤) أخزاهما: أذلهما.

(٥) ترمقه: تطيل النظر إليه ـ مواضع القبل: الشفة

● **كونُ المالِ موفياً على الحَسبِ والنَّسَب**

قال النبي ﷺ: إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه هذا المال، وفي مثل: ربّ حسبٍ دفنه الفقر. قال شاعر:

وأجهدُ الناسِ مَنْ يفتخرُ بعنصرهِ ... يزهو على مَن يزينُه النَّشَبُ[1]

وقف إعرابي من بني فقعس يسأل وهو عريان:

كساني فقعسٌ وكسا بنيه ... عطافَ المجدِ أن لَه عطافا[2]

فقال له بعض الحاضرين: لو كساك خرقة تواريك لكان أصلح لك

● **من سوّده مالُه**

قيل: المال يسوّد غيرَ السيد ويقوّي غير الأيد[3].

قال شاعر:

الفقرُ يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ ... وقد يسوّد غيرَ السيدِ المالُ

وقال عمارة:

حيّاك من لم تكنْ ترجو تحيّته ... لولا الدراهم ما حيّاك إنسانُ

● **تعظيمُ النّاسِ لذي المال**

قيل للحسن رضي الله عنه: ما بال الناس يكرمون أرباب المال؟ فقال: لأن عشيقتهم عندهم. ومر موسر بالشعبي فترعرع له، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت ذا المال مهيباً. وعوتب ابن أبي ليلى لتحصره لغني مرّ به، فقال: إن تعظيم ذوي المال شيء جبله الله في القلوب لا يستطاع دفعه.

وقال المطوي:

اقصدْ إلى أيّ ودٍّ شئت معتصما ... بحبل ودٍّ فلا ذنب ولا صنعُ

المالُ أعضَبُ سيفٍ عند صولته ... من أن يعنّ له في منهَلٍ منبَعُ[4]

وهذا كقول بعض اللصوص لبعض أصحابه: لا تقبلوا على صبي، وكونوا مع الله على المدبر.

● **مصادقةُ الناسِ للأغنياء ومعاداتُهم للفقراء**

قيل لبعض العقلاء: كم لك من صديق، فقال: لا أعلم ذلك لأن الدنيا مقبلة عليّ

---

(١) النشب: المال الموروث والأصيل. (٢) عطاف: رداء يلبس فوق الثياب في البرد.

(٣) الأيد: القوي. (٤) السيف العاضب: السيف القاطع، ويعن له: يظهر أمامه.

والأموال موجودة عندي، وإنما أعرف ذلك إذ ولت، ألم تسمع قول طريح:

الـنـاسُ أعـداءٌ لـكـلِّ مـدْقـعٍ ... صفر اليدين وإخوةٌ للمكثر[1]

ولما استوزر **علي بن عيسى** ورأى اجتماع الناس عليه، **تمثل بقول أبي العتاهية**:

ما الناسُ إلاّ معَ الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبُوا

يعظّمون أخا الدنيا فإن وثبت ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا[2]

وقال شاعر:

إذا مالتِ الدنيا على المرءِ رغبتْ ... إليه ومال الناسُ حيثُ يميلُ

ومثله لأبي العتاهية

الـنـاسُ أخـوة نـعـمـةٍ ... لـه مـا دامـت عـلـيـكـا

وقول الآخر:

إن الحبيبَ إلى الإخوان ذو المَال

وقال آخر:

الـنـاسُ خـلانـك مـا دامـت تـمـتـلـئ

وقيل: إذا أيسرت فكل رجل رجلك وإذا افتقرت أنكرك أهلك. **وقيل**: العسرة والعشرة لا يجتمعان.

● زيارةُ النّاس لذي المال

قال بشار:

يـزدحـمُ الـنـاسُ عـلـى بـابـه ... والمنهَلُ العذب كثيرُ الزّحامِ[3]

وقال آخر:

إن الـغـنـى يـهـدي لـك الـزوّارا

وقال آخر:

وأيّ الـنـاس زوّار الـمـقـلّ؟

● الفقرُ مجمَعُ العُيوب

قيل: الفقر مجمع العيوب. **وقال بعضهم**: وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرة في شيئين، وشرّهما في شيئين، خيرهُما الغنى والتقى، وشرّهما الفقرُ والفجور.

---

(١) **المدقع**: الشديد الفقر.

(٢) **أخا الدنيا**: يعني صاحب المال، الذي تكون الدنيا إلى جانبه.

(٣) **المنهل**: المورد، والمنهل العذب (هنا): المقصود ذو المال.

قال جرير:

تـرادفـهـم فـقـرٌ قـديـم وذلّـةٌ ... وشرّ الرديفات المذلّةُ والفقرُ[1]

وقيل: ما روي أجود من قول عروة في ذم الفقر.

ذريـنـي لـلـغـنـى أسـعـى فإنّـي ... رأيـتُ الـنـاسَ شرّهـم الـفـقـيـرُ

وما من خصلة تكون للغني مدحاً إلا وتكون للفقير ذماً. إذا كان حليماً، قيل: هو بليد، وإذا كان شجاعاً قيل: هو أهوج، وإذا كان لسناً قيل: مهذر. ولقد صدق من قال

إن ضَرَطَ الـمـوسِـرُ فـي مـجـلـسٍ ... قـالـوا لـه يـرحـمُـك الـلّـهُ

أو عـطـسَ الـمـفـلـسُ فـي مجلس ... سُـبَّ وقـالـوا فـيـه مـا سـاءه

فـضـرَطُ الـمـوسِـر عـرنـيـنُه ... وعـطـس الـمـعـسـرِ مَـفْـسـاه[2]

وقال حسّان:

ربّ حـلـم أضـاعـهُ عـدمُ الـمـا ... لِ وجـهـلٍ غطّى عـلـيـه الـنـعـيـمُ

وكان الحسن رضي الله عنه إذ رأى المساكين، قال: هؤلاء مناديل الخطأ. وقيل: الخلّة[3] تقدح في الذهن وتغمز في العقل.

● خفة الموت في جنب الفقر

قيل: القبر ولا الفقر

ولا الموت خيرٌ للفتى من قعوده ... عديماً ومن مولى تدبّ عقاربُه[4]

وقال آخر:

خيرُ حـال الـفـقـيـر عـنـد ذوي الـ ... ـألـبـاب أن تـنـطـوي عـلـيـه الـقـبـورْ

وقال ابن طباطبا:

قـد يـصـبـرُ الـحـرُّ عـلـى الـسـيـف ... ويـجـزعُ الـحـرُّ مـن الـحـيـف

ويـؤثـرُ الـمـوتَ عـلـى حـالـةٍ ... يـعـجـزُ فـيـه عـن قِـرى الـضَّـيـف

● التعوذ من الفقر وكونه كالكفر

كان النبي ﷺ يتعوذ من الكفر والفقر، فقال له رجل: أيستويان؟ فقال: نعم. كاد الفقر أن يكون كفراً. ودعا رجل لمسروق فقال: جنبك الله الفقر وطول الأمل. وقال سفيان: كان من دعائهم اللهم زهّدنا في الدنيا ووسّعها علينا ولا تزوها عنا وترغبنا فيها.

وقالت المجوس: من لا مال له لا عقل له، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا دين.

---

(١) ترادفهم: تبعهم ولحق بهم ـ الرديفات: جمع رديفة، تبعات الأمور.

(٢) عرنينه: أنفه. (٣) الخلّة: الحاجة والفقر.

(٤) العقارب: الشدائد والمصائب.

● عدم المجد حيثُ عدم المال

كان طلحة رضي الله عنه يقول اللهم ارزقني مجداً ومالاً فلا يصلح المجد إلا بالمال، ولا يصلح المال إلا بالأعمال.

قال المتنبي وقد أخذ هذا المعنى:

فلا مجدَ في الدنيا لِمَنْ قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجدهُ

وقال هرم بن عمير التغلبي:

إني امرؤٌ هدم الاقتار مأثرتي واجتاحَ ما بنتِ الأيامُ من خطَري[1]

أرومةٌ عطّلتني من مكارمِها كالقوس عطّلها الرامي من الوتَرِ

ومما يناقض هذا الباب قول جرثومة بن مالك:

فتًى إنْ تجده معوِزاً من تلادِه فليس من الرأي الأصيلِ بمعوِزِ[2]

وقال الأحنف:

وإن المروءةَ لا تُستطاعُ لِمَنْ لم يكُنْ مالُه فاضِلا

● صعوبةُ الفقر على ذي همّة وجود

قيل لحكيم من أشقى الناس؟ فقال من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته.

وقال أعرابي. لا تنظر إلى هيئتي وانظر إلى همّتي.

وقال الطرمّاح:

أرى نفسي تتوقُ إلى أمورٍ ويقصّرُ دون مبلغهنّ مالي

فنفسي لا تطاوعُني لبُخلٍ ومالي لا يبلّغُني فعالي

وقال المتنبي.

إلى اللّهِ أشكو لا إلى الناسِ أنني أرى صالحَ الأخلاق لا أستطيعُها

أرى خلّةً في إخوةٍ وقرابةٍ وذي رحمٍ ما كنت ممّن يضيعُها

وقال آخر:

أرى الدهرَ يجفوني ونفسي عزيزةٌ وليس معي زهدٌ فأسطو على الدّهرِ

● صعوبةُ الفقر على متعوّدي اليُسْر

كان النبي ﷺ يتعوذ من الحور بعد الكور[3]، وقال ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالماً بين جهال.

---

(١) الإقتار: الحاجة والعوز ـ خطري: ارتفاع قدري

(٢) معوزاً من تلاده: فقير المال، والتلاد الموروث من المال والمجد

(٣) الحور. النقص والهلاك ـ الكور: الزيادة.

وقيل: جهد البلاء أن تزول النعمة وتبقى العادة ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً وعدواً شامتاً وزوجة مختلفة وجارية مستبيعة وعبداً يحقرك وولداً يتهرك.

وأتى عبد الله بن معاوية بأسير، **فقال:** هذا هو جهد البلاء، **فقال الأسير:** كلا جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع.

● صعوبةُ مقاساة الجوع

قتل رجل بصفين أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها، ثم أتت تسأله، **فقال:** ما أظن على ظهر الأرض أبغض إليك مني، فقالت: بلى، إن الذي ألجأني إليك أبغض إليّ منك، وهو جوع بطني.

وأخذ رجل بلجام عبد الملك، **فقيل له:** ما جرّأك، **فقال:** الجوعُ شجاع. **وقيل:** الجائع فقير ضيّق النفس والشبعان واسع الصدر غنيّ النفس.

● سترُ الحال في العسر واليُسر

قال عبد الملك للهيثم بن الأسود: كم مالك فلم يخبره به. فقيل له في ذلك، **فقال:** صاحب المال يتحدى مرتين إن كان كثيراً حُسِد وإن كان قليلاً حُقِر. **وقيل:** رضي بالذلّ من كشف ضرّه وبالحسد من كشف يسرته.

● شاكٍ فقره

قال الحاركي:

من كانت الدنيا له شارة | فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كثب حسرة | كأننا لفظ بلا معنى[1]

قال العطوي:

أنا طرح بين خلا | ت حديدات النصال[2]
بين دين وشتاء | وعيال واختلال

وقال آخر:

من رآني فقد رآني ورحلي

وقال آخر

ومن عجبٍ أنْ حلفَ الفسوق | غنى وقدْ أعدم الأتقياءْ

وقال مخنث: أنا عظيم البلية أموت من حبّ ررقي، ويموت هو من بغضي.

● نادرةُ ماجنٍ شاكي الفقْر

شكا بعضهم فقره، **فقيل له:** احمد الله الذي رفع السماء بغير عمد، **فقال:** وددت

---

(١) نرمقها من كثب: ننظر إليها من قرب.

(٢) خلات: صديقات ـ حديدات النصال: كناية عن صرامة وقعها عليه.

أنه وسع رزقي وجعل بين كل ذراع أربع أسطوانات، فليس لي دار يضيقها. سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول: يذهبون بك إلى بيت ليس له غطاء ولا وطاء ولا عشاء ولا غداء ولا سراج، فقال الصبي: يا أبتِ إنهم يذهبون به إلى بيتنا. وقيل لمزبد: بع قطيفتك، فقال له: ما ملكت قط ولا قطيفة لرحم، قيل له ما عندك من آلة الخبيص، قال: الماء، وقيل له ما أعددت للبرد، قال: الرعدة

● متعذرٌ لفقره بأنّ الجودَ فرق ماله

طلب قوم ابنَ هرمة فلم يجدوه في منزله فقالوا لابنته: أقرينا، قالت: مالنا شيء، قالوا فأين قول أبيك:

لا أمتع العود بالفصال ولا ... أبتاع إلا قصيرة الأجل

قالت فذلكم الذي معكم القِرى.

قال دعبل:

قالت سلامةُ أينَ المالُ قلتُ لها ... المالُ ويحَك لاقى الحمْد فاصطحَبا

الحمدُ فرّق مالي في الحقوق فما ... أبقين ذماً ولا أبقت له نشَبا[1]

وقال جحظة:

جاء الشتاء وما عندي له ورقٌ ... مما وهبت ولا عندي له خِلَعُ[2]

كانت فبدّدها جودٌ ولعتُ به ... وللمساكينِ أيضاً بالندى وَلَعُ[3]

● منْ نسيَ فقره بعد زواله

قال شاعر:

يعيشُ الفتى بالفقْر يوماً وبالغِنى ... وكلّ كأنْ لم يلقَ حينَ يزايلُه[4]

وقال آخر:

كأن الفتى لم يعرَ يوماً إذا اكتسَى ... ولم يكُ صعْلوكاً إذا ما تموّلا

● تأسّفُ من ضيّعَ ماله ثم احتاج إليه

وكانَ المالُ يأتينا فكنّا ... نبذرُهُ وليس لنا عُقولُ

فلمّا أن تولّى المالُ عنّا ... عقلْنا حينَ ليسَ لنا فُضولُ[5]

● تأسّفُ من وجد خيراً لم ينتفع به

قال القلابي: دخلت على الجاحظ في منصرفي من عند السلطان، وقد حسنت حاله

---

(1) ذماً: لوماً ـ النشب: المال الأصيل.

(2) خلع: ثياب.

(3) ولعت به: علقت به ـ الندى: الكرم.

(4) يزايله: يفتض ويزول.

(5) الفضول: ما لا فائدة منه.

واشتدّت عليه، فسألته، فقال: كنا إذا أردنا لم نجد حتى إذا وجدنا لم نرد.

● الموصوفُ بالفقر والجهل

وقال شاعر:

يــظــلّ عــديــمَ أمــوالٍ ولُــبّ   يـرقُّ لـه الـمُـكـاشـحُ والـمُـعـادي(١)

وسئل أعرابي عن رجل، فقال: ماله حول ولا معقول ولا مال ولا حال.

● ذمّ دنيء تموّل

إذا أيسر الدنيء ابتلي به ثلاثة، صديقه القديم يفارقه، وامرأته يتسرّى عليها وباب داره يغيّره، وقد نظم ذلك في قوله:

إذا استغنى الوضيعُ ونال جاهاً   وأنكرَ نخوةً في الناس نفْسَه
حبا خلصانَ إخوته جفاءً   وغيّر بابَه وأبانَ عِرْسَه(٢)

أخذه من ابن أبي البغل:

إذا ما ساقِطٌ أثرى تعدّى   وأنكر قبلَ كلّ الناس نفسه
وغيّر بابَ منزله وأربى   على جيرانه وأبانَ عِرْسَه

قال عمرو بن العاص: لأن يسقط ألف من العِلْيَة خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

وقال البحتري:

محاريبُ الدنيا ساقةُ جاهلٍ   فلا ترتقبْ إلا خمول نبيه

● النهيُ عن البطَر عند الغنى وذمّ ذلك

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾(٣) وقيل: البطر يقتضي الفقر والنظر يقتضي العبر. وقيل: أكثر شكر الله على نعمه فالبطر من قلّة الشكر.

وقال شاعر:

خُلقان لا أرضى طريقهما   خلقُ الغنى ومذلّةُ الفقر
فإذا غَنيت فلا تكُنْ بطراً   وإذا افتقرت فتِهْ على الدّهرِ(٤)

وفي كتاب كليلة: لا يبطر العاقل لمنزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذي تحركه أدنى الرياح.

---

(١) المكاشح: من كاشح، وهو المعادي.
(٢) العرس: الزوجة، وقوله أبان عرسه: أي فارق زوجه وتعلّق بأخرى.
(٣) القرآن الكريم: العلق/٦.
(٤) تِه على الدهر: أي تكبّر على الزمان، والتيه الزهو والكبر.

وقيل: سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً وسوء حمل الفقر أن يكون الطلب شرهاً. وقيل: حمل الغنى أشدّ من حمل الفقر ومؤنة الشكر أصعب من مشقة الصبر.

وقال بعضهم في من لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه

تأبى الدراهمُ إلا كشْفَ أرؤسِها ... إن الغنى طويلُ الذيْلِ ميّاسُ[1]

وقال المرقّش:

إنْ يُخْصِبوا يعيوا بخصبهم ... أو يُجْدِبوا تجدبهم الأم[2]

وقال الخبزارزي:

قد كانَ في حالٍ مَحسودٍ فأبطَرَه ... طغيانُه فاغتدَى في حالِ مرحومِ

وقال مسلم بن الوليد:

فالكلبُ إن جاعَ لم يعدمْك بصبصةً ... وأن ينَلْ شبعةً ينبَح على الأثرِ[3]

● مدح من لا يبطره اليسر ولا يدقعه الفقر

وقال هدبة:

ولستُ بمفْراحٍ إذا الدهرُ سرّني ... ولا جازعٍ من صرفِه المتقلّبِ

وقال طرفة بن العبد:

إن نَنَلْ منفسةً لا تلفِنا ... فرحَ الخيْلِ ولا نكبو لضُرّ[4]

وقال الزبير بن الأسدي

ولا يراني على ما ساء مكتئباً ... ولا يرَاني على ما سرّ مبْتهِجا

ومثله:

فتىً إنْ هوَ استغْنى تحذّقَ في الغنى ... وإن قلّ مالاً لم يضعْ سنّةَ الفقْرِ[5]

● اجتناب عرض الدنيا

قيل: العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به علماً بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الأعمام. وقيل: وكل الله الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل ليعلم العبد أن ليس له من أمر الرزق شيء.

---

(١) طويل الذيل: غني ـ مياس: مختال في مشيه

(٢) يعيون: يتعبون ـ يجدبون: يصيبهم الفقر

(٣) بصبص الكلب: حرّك ذنبه

(٤) المنفس: النفيس من المال والثروة ـ لا تلفنا: أي لا تجدنا ـ نكبو: نسقط ـ يفتخر طرفة بروابة قومه فهم لا يبطرون في الرخاء، ولا يكبون في الشدائد.

(٥) تحذّق: صار حاذقاً ماهراً

وقيل: أبت الدنيا أن تعطي أحداً ما يستحقه، إمّا محطوط عن درجته أو مرفوع فوق قدره. وقيل لأفلاطون: لم لا يجتمع العلم والمال، فقال لعزّة الكمال، قال:

ومن الدليلِ على القضاء وكونه بؤسُ اللبيبِ وطِيبُ عيشِ الأخمَقِ

وقيل: من أعطاه الله عقلاً احتسب عنه من الرزق، وقيل لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال، فلما جعله في أيدي الجهال استقلّهم العقلاء واسترلوهم عنه بلطفهم. وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا.

● علّة ميل الدنيا إلى الأنذال

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال. وقال حكيم: إذا أردت أن تزهد في الدنيا فانظر عند من هي. وقال النظّام: مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام فالشيء يصير إلى شكله ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

وشِبْه الشيءِ منجذِبٌ إليه وأشبهُنا بدنيانا الطَّغامُ(١)

وقال حسان:

المالُ يغشى رجالاً لا طباخَ لهم كالسيلِ يغشى أصولَ الدندنِ البالي(٢)

وقال أبو تمام:

لا تنكِري عطَل الكريمِ من الغِنى فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالِي

وقال ابن الرومي:

رأيتُ الدهرَ يرفعُ كلّ وغدٍ ويخفضُ كلَّ ذي رتبٍ شريفَه(٣)
كمثلِ البحرِ يرسُبُ فيه حيٌّ ولا ينفكُّ تطفو فيه جيفَه(٤)
وكالميزان يخفضُ كلّ وافٍ ويرفَعُ كلّ ذي زِنةٍ خفيفه

● معاتبةُ الدهرِ لتقديمِ جاهلٍ وتأخيرِ فاضل

وقال جحظة البرمكي:

غلطَ الدهرُ بما أعطاكُم وفعالُ الدهرِ جهلٌ وغلط

وقال الموسوي:

ومما يحلّل دمَ الزما نِ إقصاؤه الأفضلين الخيارا

---

(١) الطغام: أرذال الناس.
(٢) الدندن: النبات الأسود لتقادم عهده.
(٣) وفي رواية: كل ذي زنة في موضع رتب.
(٤) وفي رواية: درّ في موضع حيّ.

وقال أبو حاتم:

أظنّ الدهر قد آلى فبرّا ... بأنْ لا يكسِبَ الأموالَ حُرّا[1]

لقد قعد الزمانُ بكلّ حُرٍّ ... ونقّص من قُواه ما استمرّا

وقال أبو تمّام:

لقد ساسَنا هذا الزمانُ سياسةً ... سدى لم يسُسْها قطّ عبْدٌ مجدّعُ[2]

حلّتْ نطفٌ منها الكسى وذو الحجى ... يداف له سمٌ من العيشِ منقعُ[3]

فإنْ نكُ أُهمِلْنا فأضعفْ بسعينا ... وإن نكُ أُجبِرْنا ففيمَ نتعتعُ[4]

وما أحسن ما قال:

ليسَ المقلّ على الزمانِ براضٍ ... ومن السخف قولُ التماري[5]

وقيل:

أرى فقحةَ الدنيا على معشر تجرى ... فإن أقبلتْ نحوي رأيتُ بها حصْرا

ومن الجيد في هذا قول عابدة المهلبية ويروى للمهلبي:

ألستَ ترى استراقَ الدهر حظّي ... وكيف يُغيِّبُ في أدبٍ الخمُول

ألمي العونَ منه وهو خضمٌ ... كما استمسكتْ ضرائرها الثَّكُول[6]

وقال رجل لمتنجم: أنظر في نجمي من ترى لي عني؟ فقال: دع عنك هذا فإن الدهر مشغول بالسفل فلا يتفرغ إلى أحد. وقيل: الدهر لا يعطي أحداً ما يستحقه إما أن يزيده أو ينقصه.

● معاتبةُ القَدَر في ذلك

قال أبو العيناء لرجل سأله: ما بال الركيك الأحمق يرزق والأديب يحرم؟ فقال: لأن هذا الدنيا دار اختبار وأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست لهم، فإن علات السواد تاع بكف أنموذج فهلا اكتفى في ذلك بنفرة

وقال جحظة:

يا ربِّ إن الشكوكَ قد علقتْ ... أوكارَنا والشكوكُ تعترضُ

وعَبْدٌ له نعمة مؤثّثة ... وسيّد لا يزال يعترضُ

---

(١) آلى فبرا: أقسم ووفى بقسمه (٢) عبد مجدع: عبد مقطوع الأذن أو الشفة

(٣) ذو الحجى: ذو العقل ـ يداف: يخلط له السم مع الماء

(٤) نتعتع: نتلجلج في الكلام. (٥) التماري: التمادي والبغض.

(٦) الثكول: الفاقدة ابنها

فنحن من قبحِ ما نشاهدُه	من معشرٍ في قلوبهم مَرَضُ

وقال عبدان:

لقوله نحنُ قسمنا	بينهم زال المرا[1]
ولو تولّى غيره	قسمة أرزاق الورى
جرتْ حظوظ بيننا	لكننا تحت الثرى!

وقيل: إذا رأيت الجاهل مرزوقاً والعاقل محروماً فاعلم أن بين السماء والأرض أكراداً يقطعون الطرق. وقيل لمدني شكا الفقر: احمد الله فإنه رزقك الإسلام والعافية، فقال: أجل لكن جعل بينهما جوعاً تتقلقل منه الأحشاء. قال شاعر:

يا حجةَ الله في الأرزاقِ والقسمِ	ومحنة لذوي الأخطار والهمَمِ
تراكَ أصبحتَ في نعماء سابغةٍ	إلا وربّك غضبان على النعمِ[2]

وقال آخر:

عجباً للناس في أرزاقهم	ذاك عطشانٌ وهذا قد غرق

● سؤال الله تعالى الغنى بغلظة مقال

قال الأصمعي: رأيت بالموقف أعرابياً قد رفع يده إلى السماء، وهو يقول:

أما تستحي يا خالق الخلْقِ كلّهم	أنا جيبك عرياناً وأنت كريمُ
أترزقُ أولادَ اللئام كما ترى	وتحرمُ شيخاً من سَراة تميم

فقلت له: ما هذه المناجاة؟ فقال: إليك عني فربي أعرف من أناجيه، إن الكريم إذا هز اهتز. فرأيته بعد أيام عليه ثياب حسنة، فقال لي: ألست ترى الكريم كيف أعتب.

ودعا أعرابي، فقال: يا رب إن كنت تدع رزقي لهواني عليك فنمرود كان أهون مني، وإن كنت تدعه لكرامتي عليك فسليمان بن داود كان أكرم مني، فقيل له: أخذت الحبل بطرفيه.

(٧)

وممّا جاء في الزهد ومدح الفقر وذمّ الغنى

●

● حقيقةُ الزهد والحرصِ واليقين

قال النبي ﷺ: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق ممّا في يدك.

---

(١) زال المرا: (٢) سابغة: واسعة.

سئل حكيم عن الزهد، فقال: أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود. وقيل: ظلف النفس عن الشهوة. وقال سفيان: هو قصر الأمل لا أكل الغليظ ولبس العباء.

وقال يونس بن حبيب: هو ترك الراحة. وسئل الجنيد عنه، فقال: خلو الأيدي من الأملاك وخلو القلب من التتبع. وسئل مرة، فقال: ترك ما في الدار على من في الدار.

وذكر الزهد عند الفضيل، فقال: هو حرفان في كتاب الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم. وهذا يوافقه قول من قيل له من الزاهد؟ فقال: من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره.

وسئل الجنيد رحمه الله عمّن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة، فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

وقال يحيى: الزاهد هو الذي بلغ من حرصه في تركها حرص الحريص في طلبها. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الزهد ثلاثة، زهد فرض وذلك في الحرام وزهد فضل وذلك في الحلال وزهد سلامة وذلك في الشهوات.

وقيل: أصل القناعة والزهد اليقين، فمن أيقن قنع وزهد وقال ذو النون: الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء بالنفس والشيء والخلق فإذا استخف بالنفس عزّ به وإذا استخف بالشيء ملكه، وإذا استخف بالخلق خدمه. اليقين ترك التدبير فيما لا تملك. الحرصُ طلب ما في يد الغير. وقيل: الحرص تضييع الكثير وطلب القليل.

● حقيقةُ التوكّل ووصفهُ

قيل: التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلّي من الخلق. وقيل: الاستسلام لما قضى. وقيل: الثقة بالله فيما ضمن. وقيل: الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهم في قضائه.

وقيل للحارث ما علامة المتوكل؟ فقال: أن لا يحركه إزعاج المستطيء فيما ضمن له من رزقه، فقيل له: هل ينقص من توكله قصده من يسد جوعته، فقال: لا، لأن النبي ﷺ خرج فلقيه أبو بكر وعمر، فقال: ما الذي أخرجكما، قالا الجوع، فقال: أخرجني الذي أخرجكما، فدخلوا منزل أبي الهيثم فأكلوا وشربوا.

وقيل: التوكُّل الانقطاع إلى الله تعالى في إيصال النعمة ودفع البلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]

خيّر يوسف عليه السلام بين خصلتين، فاختار إحداهما، فقيل له: اخترت فتركناك مع اختيارك فبقي في السجن ما بقي.

● ذمّ المال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2] وقال المسيح عليه السلام: لا خيرَ

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ٥٠. (٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢٨.

في المال، فقيل ولم يا روح الله؟ فقال. لأنه يجتمع من غير حلّ. قيل: فإن جمع من حلال؟ قال: لا يؤدي حقه، قيل. فإن أدى حقه، قال لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء، قيل فإن سلم قال: يُشغل عن ذكر الله، قيل فإن لم يشغل، قال: يطول عليه الحساب يوم القيامة

وذكر المال عند أفلاطون، فقال. ما أصنع بما يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه الكرم؟ وقيل لآخر، فقال: ما أصنع بشيء يجيء بالإتفاق لا الإستحقاق، والزهد والجود يأمران بإتلافه والشؤم والبخل يأمران بإمساكه.

وقال النبي ﷺ تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش.

وقال أبو الدرداء أعوذ بالله من تفرقة القلب، قيل وما تفرقة القلب؟ قال أن يكون للإنسان مال في كل واد. وقال النبي ﷺ من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل

● كثرةُ المال سببُ الهلاك

وقال ابن طباطبا:

إنّ في نيل المنى وشك الردى ... وقياسُ القصد ضد السّرف[1]

كسراجٍ دهنه قوتٌ لهُ ... فإذا غرّقته فيه طُفي[2]

وقال ابن الرومي:

ألمْ ترَ أن المال يُهلكُ أهلَه ... إذا جم آتيه وسُدّ طريقُه[3]

ومن جاوزَ الماء الغزير مجمّهُ ... وسُدّ سبيلُ الماءِ فهو غريقُه[4]

وقيل صاحب الدنيا كدودة القز لم يزدد الأبريسم على نفسه إلاّ زاد من الخلاص بعداً. وقال عبد الله بن رؤبة

يرى راحةً في كثرةِ المال ربّه ... وكثرةُ مالِ المرء للمرء متعِبُ

إذا قلّ مالُ المرء قلّت همومُه ... وتشعب الأموالُ حين تشعَبُ

● كون العدم نعمة وبسط الدنيا نقمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾[6] وفي بعض المناجاة يا من منعه عطاء. وقال رسول الله ﷺ:

---

(1) وشك الردى: سرعة مجيء الموت.
(2) طفي أي انطفأ وذهب نوره.
(3) إذا جم آتيه تركه صاحبه يتجمع
(4) مجمه: المجم: الصدر.
(5) القرآن الكريم. الشورى/ ٢٧.
(6) القرآن الكريم المؤمنون/ ٦٥.

يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» وقال ابن أبي عيينة:

لا تشعرنَّ قلبَك حبَّ الغِنى   إنّ من العصمة أنْ لا تجد
كم واجد أطلق وجدانه   عنانه في بعض ما لم يرد[1]

وقال الحسن رضي الله عنه: ما بسط الله على أحد دنياه إلاّ اغتراراً، ولا طواها عنه إلا اختباراً. وقال بعضهم: نعمة الله علينا فيما طواه عنا أعظم من نعمته علينا في ما بسطه لنا.

وقال محمود الوراق:

من شرفِ الفقر ومن فضله   على الغِنى لو صحّ منك النظرْ
أنك تعصي لتنالَ الغنى   ولستَ تعصي الله كي تفتقِرْ

وقال عبدان

تبيّن فضلُ الفقرِ عندي على الغِنى   بواحدةٍ فيها عزاءٌ لذي حجرِ
متى متّ لم آسَف على فقد نعمةٍ   يودّ الفتى من أجلها المدّ في العُمُر

● صنوفُ الفقر وما يُحمد منه:

قيل: الفقر على ثلاثة أقسام: فقر الخلق إلى الله وعدم الأملاك لعرض الدنيا والحرص وهو فقر الناس إلى الناس، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ، والمشار إلى فضله ما حُكي عن الجنيد أنه قيل له: متى يكون الفقير مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؟ فقال: إذا كان موافقاً لله تعالى، يعد فقره نعمة يخاف على زوالها مخافة الغني على زوال نعمته وغناه، مستحيياً بربه، كما قال تعالى للفقراء: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2] الآية.

● نفيُ العارِ بالفَقْر

كان النبي ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين. وكان ﷺ يستنصر بصعاليك المهاجرين، وقال ﷺ: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وقال العطوي:

ما الفَقْر عارٌ إنّما العارُ الثرا والبخْلُ[3]

---

(١) أطلق له العنان: أرسله وتركه مطلقاً.   (٢) القرآن الكريم: البقرة/٢٧٣
(٣) الثرا: الثراء، الغنى.

وقال رجل من بني قريع:

وكائن رأينا من غني مذمّم ... وصعلوك قوم مات وهو حميدُ

وقال أبو تمّام:

لا يحسَبِ الإقلالَ عدماً مَن يَرى ... أنّ المقلّ من المروءة مُعْدَمُ[1]

● طيبُ عيشِ مؤثرِ الفقرِ وعزّتُه وفضلهُ

كان سقراط فقيراً، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجّع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. وقيل له: لِم لا يرى أثر الحزن عليك؟ فقال: لأني لم أتخذ ما إن فقدته أحزنني. وقال بعض الحكماء: من أحبّ أن تقلّ مصائبه فليقلّ قُنيته للحارجات من يده، لأن أسباب الهمّ فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا يسلم منهما إنسان، لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد وبهذا ألمّ ابن الرومي، فقال:

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءه ... فلا يتّخذْ شيئاً يخاف له فقْداً

حُكي أنه لما غرقت البصرة أحد الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، فقال: نجا المخفّون. وقال بعض الزهّاد، وقد قيل له أترضى من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بدون هذا؟ قال: بلى، قال: من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة.

وقيل لمحمد بن واسع رحمة الله: أترضى بالدون، فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

● طيبُ عيشِ من قَنعَ بما رُزِق

سئل الجرجاني عن الفتوّة، فقال: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر أي الناس أقل هماً، فقال: ليس في الدنيا إلا مهموم، ولكنّ أقلهم هماً أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم.

وقيل لبعضهم: من أنعم الناس عيشاً؟ فقال: من رضي بحاله ما كانت. وقيل: من رضي بما قسم له كان دهره مسروراً. وقيل لابن عوف ما تتمنى؟ فقال: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي، قال بعض القدماء:

دُنيا تخادِعُني كأنّي ... لستُ أعرفُ حالَها

حَظَرَ الإلهُ حرامَها ... وأنا احتميْتُ حلالَها[2]

---

(١) الإقلال: قلة المال ـ عدماً: فقراً ـ يقول ليس المعدم من كان يفتقر إلى المال، بل هو المفتقر إلى المروءة.

(٢) الحظر: المنع ـ احتمى الشيء: اتقاه.

وجدتُها مُحتاجةً   فرغبْتُ لأنّها لها

● كونُ الدنيا عبداً لمن زُهِد فيها

قال زاهد لملك: أنت عبد عبدي لأنك تعبد الدنيا لرغبتك فيها، وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها. ويقوي ذلك ما رُوي عن النبي ﷺ أن الله أمر الدنيا **فقال:** من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه. **وقيل:** من زهد في الدنيا ملكها ومن حرص عليها أملكها. **وقال الحسن رضي الله عنه:** أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان.

وقال أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه   عذاباً كلما كثرت لديه
تهينُ المكرمين لها بصُغْرٍ   وتكرِمُ كلَّ من هانَتْ عليهِ
إذا استغنيت عن شيءٍ فدَعْهُ   وخذْ ما أنتَ مُحتاجٌ إليهِ

● الحثّ على التوكّل في أمرِ الرزقِ وترك الحرص

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة. **قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]

وسئل بزرجمهر عن الرزق، **فقال:** إن كان مقسوماً فلا تعجل وإن كان لم يقسم فلا تتعب. **وقال الحسن رضي الله عنه:** الحريص الجاهد والقانع الزاهد كلاهما مستوفٍ حقّه، وأكله غير منتقص ما قدر له، فعلام التهافت في النار؟

وقال النبي ﷺ: لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[2] وتروح بطاناً[3]. وقيل للحارث كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح؟ **فقال:** مهلاً إن الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بملك، مع أن الطير لم يخاطب بالضمان منه لرزق ولم ينزل عليه كتاب.

وقال سهل بن وهبان: لا تكونوا للمضمون مهتمين. وقال أعرابي لآخر رآه حريصاً: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك طالب ولن تفوته وتطلب ما كفيته كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً.

وقال آخر: إنك لا تدرك أملك ولا تسبق أجلك ولا تغلب على رزقك ولا تعطي حظ غيرك، فعلام تهلك نفسك؟ لكل صباح صبوح ولكل عشاء عشاء. وفي بعض كتب الله: يا ابن آدم لو أن لك الدنيا كلها لم تنل منها إلا القوت فإذا أعطيتك القوت، وجعلت حسابه على غيرك ألم أكن محسناً إليك

---

(١) **القرآن الكريم:** الطلاق/٣.
(٢) **خماصاً:** أي ضامرة البطن من الجوع.
(٣) **بطاناً:** أي ممتلئة البطن.

● من قلّ تفكّرُه في أمرِ الأرزاق وتوكّل على الرزّاق

قيل لصوفي من أين رزقك؟ قال: الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين. وقيل لآخر، فقال: من كدك على زعم أنمك رب صاع تقعد. وقيل لزاهد من أين المطعم؟ فقال: من عند المنعم. فقال: هل بالقرب من يأتيك برزق من قوم؟ قال يأتيني به من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه، فقالت امرأته قد خرج إلى الجهاد، فقال: وما خلف عليكم؟ فقالت: أرزاق شقيق أو مرزوق؟ فقال: بل مرزوق، فقالت: إن المرزوق خلف علينا الرزاق. يا هذا لا تعد إلينا فتصد على الله قلوبنا، وسئل آخر فقال:

إن الــذي شــقّ فــمــي ضــامِــنٌ　　　لــي الــرزْقَ حــتّــى يــتــوفّــانــي

وسئل أحمد بن الجلاء عن قوم يدخلون البادية بلا زاد، فقال: هم رجال الحق، قيل: فإن هلك أحدهم، قال: الدية على العاقلة. وقال عبد الواحد بن زيد: اجتزت بجبل لكام[1] فرأيت جارية سوداء عليها جبة صوف، فقلت من أين؟ قالت: من عند من لا تخفى عليه خافية، فقلت: إلى أين؟ قالت: إلى من يعلم السر وأخفى، فقلت ليس معك زاد، فنظرت إليّ شزراً وقالت:

مــن قــصــد الله لا يــســألــي　　　بــأيّ أرض ســبــهــا يــمــوتُ

ولــم يــحــاوزه مــسـح عـيـزم　　　إن هـو أبـطـأ عـلـيـه قـوتُ[2]

روي عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده أن قوماً من ليمن يحجون بلا زاد، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[3]. وقيل: عجباً لمن آمن بكتاب الله تعالى ثم رفع بعد سماعه لقوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[4] حاجة إلى غير الله تعالى.

● تبكيتُ من يشفِقُ لفقْدِ القوتِ ويبكي لضُرّ

شكا رجل إلى الحسن سوء الحال وجعل يبكي، فقال الحسن: يا هذا كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا، والله لو كانت الدنيا كمه لعبد سلبها ما رأيتها أهلاً لأن يُبكى عليها، قال كشاجم:

لا تــعْــدُ كــلاً واجــتــنِــبْ　　　أمــراً يــخــافُ الــعــبــدُ عــارَه[5]

وإذا عــبــثــتَ مــن الــمــنــى　　　كــلِ كــلّــهــا فــكــل الــحــجــارَه

---

(١) جبل لكام: شديد، وهذا استعارة من قولهم: رجل لكّام أي صلب يكسر الحجارة.
(٢) فسح عزم: فساد وضعف.
(٣) القرآن الكريم. البقرة/١٩٧.
(٤) القرآن الكريم. الحجر/٢١.
(٥) الكل: متعب، والذي لا ولد له ولا والد.

● ذمّ المشتغل برزقِ مستقبل الزّمان

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا تحمل همّ يومك لغدك فإن غدك إن كان من أجلك يأتي الله برزقك. وقيل: إذا حدثتك نفسك برزق غد فقل هاتي كفيلاً بالغد.

وقال شاعر:

إن ربّاً كانَ يكفيكَ الذي ... كانَ بالأمسِ سيكفيكَ غدكْ

وقال آخر:

ولا يكُنْ همُّكُمْ في يومكم لِغَدِ

وقال آخر:

من كانَ لم يعطَ علماً في بقاءِ غدٍ ... ماذا تُفكرُهُ في رزقِ بعدَ غدِ

● النهيُ عن النظر إلى مَنْ هوَ فوقَه

روي في الخبر: أنظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري بنعمة الله. وقال الضحاك: خصلة من رُزِقَ لها وفق لحظة من نظر في دنياه إلى من هو دونه فاستكثر قليل ماله.

● نُهي ذوي عيالٍ عن الاهتمام برزقهم

شكا رجل إلى الشبلي عياله، فقال: له ارجع إلى بيتك، ومن لم يكن منهم رزقه على الله فأخرجه من دارك. وقيل لرجل كان كثير الحاشية: لو أخرجت بعضهم لكان يكثر مالك، فهمّ بذلك فرأى ليلة في المنام كأن العيال الذين همّ بإخراجهم يدخلون بيته ويخرجون دقيقاً يحملونه، فسألهم عن حمل ذلك فقالوا: هذا رزقنا نخرجه من دارك إلى من يتكفل بنا، فانتبه وعلم خطأ عزمه فتركهم وزاد لكل منهم.

● مدحُ مَنْ لا يدّخِر

أتي عمر رضي الله عنه بمال فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لو حبست من هذا المال في بيت المال شيئاً لنائبة، فقال: كلمة ما عرض بها إلا شيطان لقنني الله حجتها ووقاني فتنتها، أأعصي الله العام مخافة القابل[1] أعد لهم تقوى الله، قال تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولتكونن فتنة على من بعدك.

قال النابغة:

ولست بخابىءٍ لغدٍ طعاماً ... حذارَ غدٍ، لكلّ غدٍ طعامُ[2]

وأخذه الآخر فقال:

إن كانَ عندكَ رزقُ اليومِ فاطرحنْ ... عنكَ الهمومَ فعندَ الله رزقُ غدِ

---

(١) القابل: أي العام المقبل.

(٢) حذار غد: أي خوف الغد.

وقال آخر:

رزق غـد يـأتـي مـعـه

وقال آخر:

لأصبرنَّ على عُسْري وميسَرتي ... يوماً بيومٍ كمَا تحيَى العصافيرُ

● نهيُ من لا عيالَ له عن الاهتمامِ بالمعيشة

قيل: : لا تهمنك المعيشة ما كنت وحدك، فإن المرء يعيش بالبقلة كما يعيش بالكسرة، ويروى بالمذقة[1] كما يروى بالضرع[2] وقيل: قلة العيال أحد اليسارين

● طيبُ عيشِ من لا مالَ له ولا عيال

وقال أبو حازم:

فـلا ولـد يـروعُـنـي بـسُـقْـم ... ولا مـالٌ عـلـى شـرف الـثّـواء[3]

ولا لـي صـاحـبٌ أبـكـي عـلـيْـه ... ولا عـقِـبٌ أُخَـلّـفُ مـنْ وَرائـي

وقال ابن عبد القدوس:

لله أحـــمَـــدُ شـــاكـــراً ... فـــلاؤه حـــســـنٌ جـــمـــيـــلُ

أصـبـحـت مـسـتـوراً مـعـا ... فـى بـيـن أنـعـمـه أجـولُ

خـلـواً مـن الأحـزان خـفّ ... الـظـهـر يـقـنـعُـنـي الـقـلـيـلُ

حـراً فـلا مـنٌّ لـمـخـلـوقٍ ... عـلـيَّ ولا سـبـيـلُ

ونـفـيْـتُ بـالـيـأس الـمُـنـى ... عَـنّـي فـطـاب لـي الـمـقـيـلُ

● طيبُ عيشِ مَن عندَه قوتُ يومه

قال رسول الله ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. وقال سفيان رضي الله عنه: مَنْ كان عنده قوت يومه فليس بفقير.

وقيل: من أعطي القوت فطلب مالاً كمن أعطي السلامة فطلب المال، فإن المال ألم.

وقال شاعر:

إذا ما أصـبـنـا كـلّ يـوْم مـذيـقـةً ... وخمسَ تُمَيراتٍ صغارٍ جوائزِ

فنحنُ ملوكُ النّاس خصْباً ونعمَةً ... ونحن أسودُ الغِيل عنْد الهزاهزِ[4]

وقال آخر:

أراني وقارونا سويين في الغِنى ... إذا كانَ عنْدي ما يزجّى به الوَقتُ[5]

---

(١) المذقة: اللبن الممزوج بالماء. (٢) الضرع: مدرّ اللبن للشاء والبقر وهو كالثدي للمرأة.

(٣) يروعني بسقم: يخيفني بمرض - الثواء: الإقامة في المكان.

(٤) الهزاهز: الفتن والبلايا التي يقع فيها الناس - يزجى به الوقت: يسهل مروره.

(٥) قارون: الموصوف بأنه ربّ الغنى.

وقال أبو العتاهية:

إذا الـقـوتُ تـأتّـى لـك والـ ... ـصـحـةُ والأمْـنُ
وأصـبـحـت أخـا حـزنٍ ... فـلا فـارقَـك الـحُـزنُ

وقال آخر:

إذا كان لي قوتٌ بيومي وصحةٌ ... فلا حال أرجو بعدها أن أنالَها
ولم أتتبع رتبةً إن بلغتُها ... أخاف بعزل أو بموتٍ زوالَها

● **ذمّ النفس لخوفِ الفقر والطمع**

قيل: أهلك الناس حب الفخر وخوف الفقر.

وقال أبو العتاهية:

رأيتُ النفسَ تحقرُ ما لديْها ... وتطلبُ كل ممتنع عليْها
فإنْ طاوعْت حرصَك كنْت عبداً ... لكلّ دنيئة تدعو إليْها[1]

● **تبكيتُ شيخ يعمرُ دنياه**

قال محمود:

يا عامر الدنيا على شيبه ... فيك أعاجيبُ لمن يعجبُ
ما عذْرُ من يعمرُ بنيانَه ... وعمره مستهدمٌ يخربُ[2]

وقال آخر:

عجبتُ لتغريسي نوى النخلِ بعدما ... طلعتُ على الستين أو كدتُ أفعلُ
وأدركتُ ملءَ الأرض ناساً فأصبحوا ... كأهلِ ديار أدلجوا فتحمّلُوا[3]
وما الناسُ إلا رفقةٌ قد تحملتْ ... وأخرى تقضي حاجَها ثم ترحَلُ

● **راحةُ القَنِع وعزّته**

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[4]، أنها القناعة. **وقال النبي** ﷺ: الزهد في الدنيا يريح البدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن. وقيل لمحمد بن واسع أوصني، فقال: كن ملكاً في الدنيا ملكاً في الآخرة. فقال: أخله. وكيف لي هذا، **قال:** ازهد في الدنيا واقنع.

وقال بزرجمهر: القنع عزيز في عاجله مثابٌ في آجله، وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ما كرمت على أحد نفسه إلا هانت عليه دنياه، من حصن شهوته صان قدره.

---

(١) حرصك: تمسكك بالشيء.
(٢) مستهدم: يداخله الخراب.
(٣) أدلجوا: ساروا ليلاً.
(٤) القرآن الكريم: النحل/ ٩٧

وقال الموسوي:

مَن كانَ يرجُو نعيماً لا زوالَ لهُ   فلا تكُنْ هذه الدنيا لهُ شجَنا[1]

قال وهب: خرج العزّ والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا. قال شاعر:

بلوغُ المنَى أن لا تكاثر بالمُنى   ونيْل لغِنى أن لا تنافَسَ في الغِنى

ومنْ كانَ للدنيا أشدّ تصوّراً   تجِدْه عن الدنيا أشدّ تصونا[2]

وقيل: ثمرة القنع الراحة وثمرة التواضع المحبة.

قال الموسوي:

وإنّي لألقى راحتي في تقنّعي   وفي طلبِ الإثراء طولُ عَنائيا[3]

وله:

حسبي غِنى نفْسي الباقي فكلُّ غنى   من المغانمِ والأموال ينتقلُ

وقال ابن نباتة:

وإنّ المرء ما استغنى عنى   وحاجتُه إلى الشيء احتقارهُ

● ذمّ الحريصِ وتعبُه

من لم يكن قنعاً لم يزل جزعاً. الرضا مفتاح الخصب وغاية الخصب. وقيل: جعل الله الخير في بيت وجعل مفتاحه الزهد، وجعل الشر في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا.

وقال بزرجمهر: الغنى قلة التمني والرضا بما يكفي. عمّ الذنب الحرص عمّا لعلك لا تناله، إياك والحرص فإنه يورد المشارب الكدرة ويسف للمطاعم القذرة.

وقال عمر رضي الله عنه: ما كنت لنبي هم أحد إلا لزم قلبه أربع، فقر لا يدرك غناه وهم لا يقضي مداه وشغل لا تنفد أولاه وأمل لا يدرك منتهاه، وقيل: لا تخدم لحرص تعش ذا سرور. واجتاز عبد الله الصفار بسجن فقال لصاحب له: بم حبس من في السجن؟ فقال: لا أدري، فقال: حطى النعيم على قلبك في شيئين التشفي والشره.

● ذمُّ الحريص وعزّة القنع

قال النبي ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة ومن خطبها تأهب للذل. من قل قنوعه كثر خضوعه. الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع. الطمع طبع من صبر على الحل والبقل لم يستعبد.

وقال أبو العتاهية:

إذا ما المرءُ لم يقنَع بعيشٍ   تقنّع بالمذلّةِ والصّغارِ[4]

(١) الشجن: الحزن.

(٢) تصونه عنها: تكلّفه حفظها.

(٣) طول العناء: طول التعب والكدّ.

(٤) القنع: لبس قناعاً ـ الصغار: المذلة والاحتقار وقلة الشأن.

بينما فتحٌ الموصلي في أصحابه إذا بصبيين معهما رغيفان، على رغيف أحدهما كامخ وعلى رغيف الآخر عسل، فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل: أطعمني من عسلك، فقال: أطعمك على أن تكون لي كلباً، فقال: أنا كلبك، فجعل في فمه خرقة يجره بها، فالتفت فتحٌ إلى أصحابه، وقال: لو قنع هذا بكامخه لم يصر كلباً لصاحب العسل.

ولقي صاحب سلطان فيلسوفاً يلتقط الحشيش ويأكله، فقال له: لو خدمت الملوك لم تحتج إلى أكل الحشيش، فقال: وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج إلى خدمة الملوك.
وقيل: يا عجباً من مسكين بقناعته ثري ومن غنيّ بحرصه دني.

قال عبد الصمد لأبي تمام:

لستَ تنفكُّ طالباً لوصالٍ … من حبيبٍ أو راغباً في نوالِ(١)
أيّ ماءٍ لحرّ وجهك يبقى … بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

وقال آخر:

أذلّ الحرص أعناقَ الرجالِ

وقال أبو العتاهية:

الحرصُ داءٌ قد أضرّ … بمن ترى إلا قليلا

● **طالبُ الدنيا متحمّلٌ للذلّ**

قال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إنما الدنيا جيفة حولها كلاب فمن أحبها فليصبر على معاشرة الكلاب. ومن ذلك أخذ ابن حجاج:

تركتُ مطالب الدنيا لقومٍ … دعتهم للمخازي فاستجابوا
وليس الليثُ من جوعٍ بغادٍ … على جيفٍ يطوفُ بها كلابُ(٢)

ومثله:

إنّما الدنيا ومن يصـ … ـبو من الناس إليها
جيفةٌ بين كلابٍ … قاتلوا حرصاً عليها

● **الحرصُ فقرٌ حاضر**

قيل في قول الله تعالى: ﴿فإنّ له معيشة ضنكاً﴾، إنه الحرص. الحرص فقر واليأس غنى. قد يكثر المال والإنسان مفتقر، وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سئل: أفلان غني، فقال: لا أدري غناه ولكنه كثير المال. سأل النعمان ضمرة بن ضمرة عن الفقير، فقال: الذي لا تشبع نفسه وإن كان من ذهب حلسُه. وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدهم شيئاً، فقال: ألك مال، قال: نعم، قال: أتحب أكثر منه، قال: شديداً، قال: إنك فقير، وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني، على ذلك ما رُوي: الغنى غنى النفس.

---

(١) النوال: العطاء.
(٢) غدا على: انطلق.

● **الحرصُ عِمادُ كلِّ شرّ**

قال الفضيل: جعل الشر كلّه في بيت وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. وقيل: الحرص رأس كل خطيئة. وفي الحديث إن الصفاة الزلاء التي لا يثبت عليها قدم العلماء الطمع.

● **الحرصُ يمنعُ صاحبَه التمتّعَ بما خوّله**

قيل: الحريص يشغله طلب ما أمل عن التمتع بما خول، ومن هذا أخذ كشاجم

ومستزيدٍ في طلابِ الغنى ... يجمعُ لحماً ما لهُ طابِخُ

ضيّع أموالاً بما يرتجي ... والنارُ قد يطفئُها النافِخُ[1]

● **الحرصُ سبب التلف**

الليث يبعث حتفه كلبه. في كتاب كليلة. من لم يرض بما يكفيه وطلب الفضول، كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فترديه

وقيل:

إن المطامعَ تنصِبُ الشبكا[2]

وقال ابن أبي الأسود

قد دعاةُ الطمعُ الكـا ... ذبُ والحرصُ اللجوجُ

صيدَ بالحرصِ وقد يصطا ... دُ بالحِرصِ الزّروجُ

● **قدْحُ الحِرصِ في العقْل**

قيل: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. وقال عمر رضي الله عنه: ما الخمر صرفاً أذهب لعقول الرجال من الطمع، ما أعمى النفس الطامعة عن العقبى الهاجعة. وقيل: الحرص والطمع إلهان معبودان.

● **عودُ حريصٍ على نفسه باللائمة**

وقال شاعر:

ولو أنّي رضيتُ مقسومَ أمري ... لكفاني من الكثيرِ القليلُ

وقال آخر

نسعى وأيسرُ هذا السعي يكفينا ... لولا تطلّبنا ما ليْسَ يغنينا

وقال أبو العتاهية:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعتُ لكنتُ حرّاً

---

(١) النار التي تُهيّج بريح النافخ قد يطفئها هذا النفخ لكثرة ما يُخرج الريح من فيه.

(٢) تنصب الشبك: توقع بصاحبها في التهلكة

وقال آخر:

رأيتُ مخيلة فطمعتُ فيها ... وفي الطمَع المذلّةُ للرّقابِ[1]

وقال الحارثي:

حتّى متّى وإلى متّى ... طولُ التّمادي في اللعِب

لا تستفيق ولا تفيق ولا تمَل من الطلب

وقال سابق البربري:

النفْسُ تكلّفُ بالدّنيا وقد علمَتْ ... أن السلامة منها تركُ ما فيها

وقال أبو جرير السلمي:

كلّفني حِرْصي على الدراهِم ... خدمَة من لسْتُ لهُ بخادِمِ

وقال أحمد بن فارس:

أجيءُ به من حلّه وحرامهِ ... إلى حامدٍ لي فيه أو غير حامدِ[2]

وأشقى به من بينهم بحسابهِ ... وحظّي من إنفاقه حظٌ واحدِ

وأنشد عبد الله الخازن لنفسه:

يا نفْس يا نفْسُ ثقي ... بالله ربّاً واتّقي

لا تحسَبي أنّك إن ... لم تطمعي لمْ تُرزَقي

واقتصدي واقتصري ... فإنما أقلّ ما يبقي

● نهيُ المرءِ عن جمْع ما عساه لا ينفعه

قال النبي ﷺ: إن لك في مالك شريكين الحارث والوارث فلا تكن أخس الثلاثة نصيباً. وقال ﷺ: إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو تصدقت فأمضيت أو لبست فأبليت، وما سوى ذلك فهو للوارث.

وقيل لبخيل: لِمَ تحبس المال وتقاسي الشدة؟ فقال: خشية الفقر، فقيل: قد نزل بك الفقر بتضييقك عن نفسك، ومن هنا أخذ المتنبي:

ومنْ ينفقِ الساعاتِ في جَمْعِ ماله ... مخافَةَ فقْر فالذي فعَل الفَقْرُ

وقال العطوي:

جمعتْ مالاً ففكر هل جمعتَ له ... يا جامعَ المالِ أياماً تفرّقه

وقال أبو العتاهية:

نرقّع دنيانا بتمزيقِ ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

---

(١) مُخيلة: المخيلة من السحب التي تحسب ممطرة وهي ليست كذلك.

(٢) أجيء به: يعني المال.

وقال آخر:

نُرقّعُ بعْضَ دنيانا ببعْضٍ ... ونتركُ ما نرقعه ونمضي

وقال آخر:

وما تصنعُ بالدنيا ... وضلّ الميلِ يكفيك[1]

● التزهيدُ في الإدخارِ للوارثِ والتحسّر على ذلك

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا بنيّ لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا فإنك تخلفه على رجلين: رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له على ذلك، وليس أحد بحقيق[2] على أن تؤثره على نفسك أخي العبن كذلك فيما نفعه لغيرك.

وقال أبيّ لأخيه، وكان مثرياً بخيلاً: يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له فلا تبق عليه فإنه لا يبقي عليك، وكله قبل أن يأكلك.

قال الخليل: لم يَر الرجل يجمع المال إلا لثلاثة أنفس، وهم أبغض خلق الله إليه، لزوج امرأته وامرأة ابنه وزوج ابنته. وقيل: المأكول للمدد والموهوب للشكر والمدخر والمحفوظ للعدو. وقيل: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه. وقال جعفر بن يحيى: شر مالك ما لزمك مكسبه وحرمك أجر إنفاقه.

وقال أبو الشيص:

يقولُ الفتى ثمّرتُ مالي وإنّما ... لوارثهِ ما ثمّر المال كاسبُه

يحاسبُ فيه نفسَه بحياته ... ويتركه نهباً لمن لا يحاسبُه[3]

وقال آخر:

بقيت مالك ميراثاً لوارثه ... فليت شعري ما أبقى لكَ المالُ

القومُ بعدك في حالٍ تسرهم ... فكيف بعدهم حالت بكَ الحالُ

ملّوا البكاء فما يَبْكيك من أحدٍ ... واستحكَم القيلُ في الميراثِ والقالُ[4]

وقال آخر:

هالُوا عليه الترب ثم انثنوا ... عنه وخلّوه وأعماله

لم ينقضِ النوح من داره ... عليه حتى اقتسموا ماله

وقال آخر:

إذا كنت جمّاعاً لمالك ممسكاً ... فأنت عليه خازنٌ وأمينُ

---

(1) الميل: ما يجعل به الكحل في العين والكلمة يونانية، وظلّ الميل كناية عن القناعة بالقليل.

(2) حقيق: جدير. (3) لمن لا يحاسبه: أي الوارثون.

(4) استحكم القيل والقال: دار الحديث في الميراث بين الوارثين.

● الخودان

قال بعضهم:

وكأنّ الخودانَ فيها لآلٍ   مشرقاتٌ نُظِمْنَ في عُنْقودِ[1]

● الخطمي[2]

قال الحسن بن محمد:

وقد أظهر الخطميّ نوراً كأنّه   صحافٌ من الياقوت فيها ذرائرُ

● الزعفران

قال الباذاني:

كأنّ صبايا الزعفران إذا بدَتْ   نصالُ سهامٍ أمردتْ لا تركّبُ

وقال الباذاني الأصفهاني:

وردٌ يعظّم والشرابُ محلّه   وترى الكريمَ يعزّ حين يهونُ

وقال محمد بن بحر:

هاكَ خذْها عرائساً يتصبّـ   ـنَ صباحاً ويختفين مساءْ
يتفلّقن عن صباب ثلاثٍ   قد تعانقن زلعةً وصفاءْ

وقال آخر:

كخطيطِ المطرّزِ في الكمّ   ـسلامٍ ثم لامٍ ثم لامِ

● القطنُ النابتُ

قال أبو العويص:

نشا عن ضمور واستدارة قالب   فصارَ مريضاً ناتئَ القصَباتِ[3]
وأثمرَ تفّاحاً سمَيْرِ تفكّه   طويلٌ على تفّاحةِ الشجراتِ
نمَا وربَا حتّى تفتّقَ صلبُه   بأربعِ فقراتٍ له حدباتِ
وإن بُزّ عليه شحمُه وسديفُه   تزيّدَ شدقُ الصخلِ للنزواتِ[4]
شبيهُ فمٍ لشاهينٍ ينقضّ فاغراً   ليَلْهَمَ يعفوراً على وكراتِ[5]

---

(١) لآل: مخفف لآلئ.
(٢) الخطمي: زهر من فصيلة الخبازيات، له ساق طويلة ـ الذرائر: جمع ذرارة وهي ما تناثر من الذريرة وهي من ضروب الطيوب
(٣) نشا عن: أي نشأ عن بتخفيف الهمزة. (٤) السديف: شحم السنام.
(٥) الشاهين: طائر من الجوارح ـ فاغراً: من فغر فاه أي فتحه ـ اليعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر أي التراب.

● **الكماة**

قال النبي ﷺ. الكماة بقية من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السحر والسمّ وأنشد **الأصمعي** لرجل من بني بكر.

وأشعثٍ قد ناولتُه أحرشَ القَوي ... أدرت عليه المدجنات الهواضِب
تخطّاه القنّاصُ حتّى وجدته ... وخرطومُه في نبْعِ الماءِ راسِب

يعني بالأشعث فقيراً وبأحرش لقوي كمة خشنة.

قال الراعي:

بأرضٍ يبينُ النقْعُ فيها قاعة ... كما انتصَّ شيخٌ من رماعة أجلّحُ[1]

● **اللبلاب**[2]

قال الواواء:

لبلابتي أحسنُ لبلابه ... قد حوَت الحسنَ وأسبابَه
كأنّها بالغُصْنِ ملتفّة ... متيّمٌ عانق أحبابه

● **الريباس**

قال المرادي:

ومكنونةٍ من بنات الثرى ... تخلّع في الباب خطّابُها
تمدّ يداً برزت كفُّها ... بمثل الزمرّد عنّابُها

● **الباقلاء**

قال كشاجم:

تخالُ فيه النور جزعاً في سخبٍ ... أو بُلقِ طيرٍ وقعت على قُضُبٍ[3]

قال الصنوبري:

ونبات باقلاء يشبهُ وردُه ... بلقَ الحَمام مُقيمةً أذنابَها[4]

وقال

فصوصُ زمرّد في غلف درّ ... بأقماعٍ حكَتْ تقليمَ ظُفْرٍ[5]

وقال آخر:

زبرجدُ ضمّن درّةَ لبِسَت ... حريرةً بطّنَت بكافورِ[6]

---

(١) **الأجلح**: المنحسر شعره عن جانبي رأسه

(٢) **اللبلاب**: نبت يتعلّق على الشجر من فصيلة القرنيات، أصفر الزهر

(٣) **السخب**: السحاب قلادة من قرنفل **القضب**: الأغصان، جمع قضيب

(٤) **البلق**: البيض

(٥) و (٦) الزمرّد والزبرجد من الحجارة الثمينة

● البطيخ

قال بعضهم في وصفه: هو فاكهة وادم وأشنان وحلواء وعند العدم قعب للمدام ويطن في الحمام.

قال كشاجم:

وزائـــرٍ زارَ وقـــد تـــعـــطَّـــرا أسرَّ شهداً وأذاعَ عنبرا[1]
ملتحفاً للصيف ثوباً أصفرا يظنه الناظرُ إن يقدرا
دنّ الوسا بشمعه فأنشرا

وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقله رأساً وأعظمها ملساً وأخشنها متناً

قال أبو طالب المأموني:

وحمراء خلماها أذاعت وأضمرت وقد علّ برديها جسامٌ وعندمُ
قراضةُ تبرٍ في صفائح فضّةٍ تضمّنها حقٌ من الجزع مبهمُ[2]
إذا قطّعت كانت صمائن لجةٍ وإن لم تُقطّع فهي عكمٌ محزّمُ[3]

وله:

رياضةٌ مسكيّةٌ عسليّةٌ لها لونُ ديباجٍ وعرفُ مدامِ

● وله في البطيخ الهندي

ومبيضة فيها طرائقُ خضرةٍ كما اخضرّ مجرى السيلِ في صبب الحَزْنِ
كحقّةِ عاجٍ صيغت بزبرجدٍ حوت قطعَ الياقوت في قطع القُطْنِ[4]

● القِثّاء

قال الخوارزمي:

يا ربّ قثّاءٍ ورود المورد درّ لحشا رمرّد المجرد
سخت الروس لصور المقلدِ مثل قنابي ريش ديك أعقدِ
قد التوى فوق الثرى الرطبِ النّدى كما تلوّى أسودٌ بأسودِ
ذي زغبٍ وفيه لينُ الأجرد كالخدّ بين الملتحي والأمرد[5]
كأنه في اللونِ والتأوّدِ صوالجٌ ركّبن من زبرجدِ
يكادُ للّين وللتعقّد تجنيه ألحاظُ الفتى قبل اليدِ
ماء كطعم السكّر الطبّرزد

---

(١) العنبر: ضرب من الطيب، والعبير الزعفران
(٢) القراضة: ما سقط بالقرض وقرض الشيء قطعه (٤) الحقّة: الوعاء الصغير
(٣) العكم: ما شدّ من الثوب، أو الكارة أو العدل (٥) الأمرد: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته

● الباذنجان

وصفه بعضهم فقال: كرات أدم قمعت نكيمحت وحشيت بصغار الدرّ وسط لبن حليب وقمعت بنفسجا.

● الزَرْعُ والغَرْسُ

قال النبي ﷺ: ما من رجل يغرس غرساً فيأكل من إنسان أو طائر أو بهيمة إلا كان له صدقة.

وقالت عائشة: التمسوا الرزق في خبايا الأرض

وقال ابن الزبير: عليك بالزرع فإن العرب كانت تتمثل لذلك ببيت شعر:

تَتَبَّعْ خبايا الأرض وادع مليكَها لعلَّك يوماً أن تُجاب فتُرزَقا

وقال بعض البلغاء: أجود الزرع ما عظمت قصبته وعرضت ورقته، وادهامت خضرته، وعظمت سبلته، والتفّت نبته.

وقيل لبعض الفلاسفة: ما بال الحشيش أنضر وأعصى من الزرع؟ فقال لأن الحشيش ابن للأرض والأرض داية للزرع. وقيل: للزرع آفة آفة ليس فيها أعظم من جور السلطان.

وقال النبي ﷺ: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليغرسها. وقال ابن عباس: المتوكل من يبذر.

● البُرّ[1]

قيل: أفضل نابت وأحب مأكول البر. وقال بعضهم: ما ظنك بشجرة فتنت آدم وحواء وأخرجتهما من الجنة إلى دار الكلفة والمهنة وعصيانهما للرحمن، وقال لهما إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ الآية.

● مفاضلة البُرّ والتمر

قيل: غلة النخل الغنا وغلة البر الغنى. وقيل: البرّ خبز والتمر أدم والخبز أفضل من الأدم. وقيل البرُّ إذا أُكِلَ لا بد وأن يداس ويُذَرّى ويغربل ويعجن ويخمر، ثم لا يأكله بغير أدم إلا جائع، ومن أكله بغير طحن وخبز تولّد في بطنه الدود.

والتمر يؤكل من النخلة على أي نوع أردت، ثم منافعه لا تحصى. واختلف في البر والتمر إثنان عند محمد بن سليمان فقال: طالما اختلف في ذلك الأمم. وقال لابن داحة اقض بينهما فقال لصاحب البُرّ: خبرني أيهما أوجد في الجدب؟ قال: التمر. قال: فأيهما أبقى على الغرق؟ قال: النخل قال: فأيهما الحرق أسرع إليه؟ قال: السبل قال: أيهما أمنع من النار؟ قال: النخل. قال: أي الأرضين أعز؟ قال: أرض النخل. فقال سلمان: قد

(١) البرّ: القمح.

فقبيت وفضلت النحل.

● الكرم

قال أبو نواس:

لنا هجمةٌ لا يدرأ الذئبُ سخلَها ولا راعَها زر العجالةِ والخَطَرْ[1]
إذا منحت ألوانها مالَ صفرها إلى الحجز إلاَّ أن ألوانها خضرُ

قال إبراهيم بن المهدي:

سلافةُ كرم تستظل النبيط ترفعُ منه عريشاً عريشا[2]
إذا أمستَ قابلته حملته مطارفَ خضراً كُسين النقوشا

قال الرفاء:

وشاحبةُ الظلالِ مفرطات ظروفُ الراحِ من زنج وروم

قال أبو رافع الهروي:

كأنّ عناقيدَ العرائشِ فوقَنا زنوجٌ ورومٌ علّقوا بالحناجرِ

● مدح النخل

قال ابن المعتز:

ظلّت عناقيدُها يخرجن من ورقٍ كما احتبى الزنجُ في حضر من الورق

وقال النبي ﷺ: أكرموا النخل فهي عمّتكم. وقال: خلق آدم والنخلة والعنبة والرمانة من طينة واحدة. وقال: نعمت نعمة لكم لنخلة تغرس في أرض خوّارة وتسقى من عين خرّارة.

وقال ابن دريد: سألت أعرابياً فقلت ما أموالكم؟ قال: النخل. فقلت: أين أنتم من غيره فقال: النخل سعفها صلاء وجذعها غماء وليفها رشاء وفروها إناء ورطبها غذاء.

وقال جعفر بن محمد: نعمت النعمة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان وتلقيحها كتلقيحه.

وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم. ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل فقال: هنّ الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، تخرج أسقاطاً عظاماً وأوساطاً كأنها ملئت رياطاً[3] ثم تفتر عن قضبان لجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في هواء ووصفها بعضهم فقال: شريعة العلوق سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب. وقيل: إن النخلة تقول للنخلة: أبعدي ظلك من ظلي، أحمل حملي وحملك. وقيل:

---

(1) السخل: الحمل (2) السلافة: سمسر (3) الرياط: الملاءة من قطعة واحدة

الحرب الحمي أن تقرب النحلة من النخلة وهو كما قيل. الحرب الحقيّ إذكار الإبل. وقال بعض البصريين: النخلة تقتل بعضها سنة وصحبها سنة لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً قال شاعر.

لنا على دجلة نخل منتحلٌ | سلفه ماء فيعطينا عسلْ
مسطر على قوام مختيل | يُسْقى بماء وهو شيء في الأكل

وقال أحيحة بن الجلاح وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل:

يلومونني في اشتراء النخيل قو | مي وكلهم يعذلْ
تغشى الحسبوب بأدنابها | ويجلبْ من ضرعها من علْ
نعم لعمكم نافع | وطفلٌ لطفلكم يؤملُ
هي المالُ والظلّ حق الظلي | لِ والمنظر الأحسنُ الأجملُ

وقيل: سمّي النخل نخلاً لأنه منتخل.

● ذمّ النخل ووصفُ الرديء منه

عاب أعرابي النخل فقال. صعبة المرتقى بعيدة لهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل

وأهدى رجل إلى جحظة[1] نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يتعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقله فجاء الرجل فسأله عنها فقال: ما فعلت قرشيتك؟ فقال هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جلوعاً:

إلى الله أشكو هجمة هجرية | تحرمها مر السنين الغوابر[2]
فأصبحت رذايا تحمل الطين بعدما | تكون غنى للمقترين المفاقرِ

● خرص[3] النخل والكرم

كان لخثعمة البكاري نخيل فجاء خارص، يخرص عليه فأخذ فاساً وجعل يضرب أصولها، ويقول أقطعها فاستريح، فقال غريمه أكفف فليس عليك إلا الحق فقال.

لئن كان هذا الخرصُ فيك دائب | فأبعدك الله من نخلات
أفي كل عامٍ خارصٌ غيرُ عادلٍ | تصعدُ من أعمالِه زفراتي

(١) جحظة شاعر عباسي مرّ ذكره سابقاً. (٢) السنين الغوابر السنين الماضية
(٣) الخرص: جريدة النخل.

● شجر التفاح المثمر

قال أبو العلاء السروي:

وأشجار من التفاح زهر ... ثقلن بحمله ثقلاً وبيدا
تظل الريح تنثرها علينا ... فنلقطها وتحسبها خدودا

● نفع التفاح وحسنه

روي أن أرسطاطاليس حضرته الوفاة فاستدعى ثلاثة من تلامذته، فعجز عن مناظرتهم، فاستدعى تفاحة اعتصم بها وبرائحتها ريثما قضى وطره.

وقال أبقراط: الحمرة في التفاح صديقة الجسم وريحه صديقة الروح.

وذكر التفاح بحضرة المأمون فقال: في التفاح الصفرة الدرية والحمرة الذهبية وبياض الفضة ونور القمر تلذها من الحواس ثلاثة: العين بلونها والأنف بشمها والفم بطعمها وفي وصف احمراره قيل:

خدود ملاح كنها لوم لائم

وقيل

خدود عذارى قد جمعن على طبق

قال أبو نواس:

الخمر تفاح جرى ذائباً ... كذلك التفاح خمر جمد
فاشرب على جامد ذا ذوب ذا ... ولا تدع فرصة يوم لغد

وقال الرفاء:

لو جمدت راحنا اغتدت ذهباً ... أو ذاب تفاحنا غدا راحا[1]

وقال المأمون: لو أن التفاح ينحل لكان قرحاً، ولو تجسم قزح غدا تفاحاً.

● التفاحة المهداة

وقال ابن المعتز:

تفاحة معصوضة ... صارت رسول القبل

وقال أبو عفان:

تفاحة من عند تفاحة ... بالمسك والعنبر نفاحه[2]
أخذتها من كف ظبي وقد ... كانت إليه النفس مرتاحه
ما مسها طيب ولكنها ... بشرها بالكف والراحه

---

(١) الراح: الخمر

(٢) نفاحة: مبالغة من نفح، أي شديدة الانتشار

وقال:

أهدى لنا التفاحَ من كفه		يا ليته أهداهُ من خده

● معاتبةٌ من أكلِ التفاح

نظر بعض الفتيان إلى آخر وقد أقبل على أكل التفاح في بعض المجالس فقال:

يا ذا الذي يأكلُ التفاحَ من شرَه		رِفقاً فديتك يا حتفَ التحيّات

وقال أبو إسحاق بن العباس:

إن الذي يأكلُ تفاحة		مُستخِفٌ بمهاديها

وقال الخبزارزي في الاعتذار لأكلها.

أكلتِ تفاحة فماتني		فتى رآها كخدِّ معشوقهِ

فقال خذ الحبيب تأكلُه		فقلت: لا، بل أمصّ مِنْ رِيقِه

وقال رجل لآخر أكل تفاحة حيّاه بها: أتأكل التحيّات فقال: والمباركات والطيّبات

● اختلاف الأمكنة في إدراك الأصناف بصنعاء

تدرك الحنطة بصنعاء مرتين، والشعير والذرة ثلاث مرات وأربعاً، والعنب دمعيني. وعندهم نحو سبعين لوناً عنباً. ويدرك الموز كل أربعين يوماً وعندهم قصب سكر، وباقلاء ولوز وتين ورمان وسفرجل.

● تعانق الأشجار

قال بعضهم:

كأنّ فروعها في كلّ ريحٍ		جوارٍ بالذوائبِ يتنصينا(١)

وقال أبو محلم:

تشاوى تثنيها الرياحُ فتنثني		ويلثمُ بعضٌ بعضها ثم يرجعُ

وقال سعيد بن حميد:

وترى الغصونَ إذ الرياحُ تنفّست		ملتفّةً كتعانقِ الأحبابِ

وقال التنوخي:

عذارى تباثثنَ الحديثَ المكتّما(٢)

وقال آخر:

فكأنّما يلوي التعا		نُقَ لم يدركهُ الخجَلُ

---

(١) الفروع: الأغصان المتفرعة ـ الذوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

(٢) بثّ الحديث: أذاعه ونشره ـ الحديث المكتّم: المكتوم أي غير المذاع.

● ارتجاسُ الريحِ في الشجر

قال التنوخي:

كأنَّ إرتجاسَ الريحِ في جنباتِه إذاعةُ شكوى أو مرازُ تعاتُبِ

وقال عبدان:

أنَّ رقارقَ الأرواحِ فيه نشيشُ ملهوجاتٍ في المَقالي[1]

● السروُ[2]

كان بعضهم يبغض السرو ويقول: كأنه نساء لابسات حداداً. وكان يقول: كان السرو ذنب عرس

خرج عبد الله بن طاهر فقال له رجل: قد جئتك ببشارة، قد صدق الله قولك حيث تقول:

أيا سروتيّ بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلما بضمان

أيا سروتيّ بستان زكي سلمتما وغال حبيبي غائلُ الحدثانِ

فقد سقطت إحداهما. فقال له عبد الله: ألم يكن بالرقة حمّى تشغلك؟ وأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: أخشى أن لا أحقق ظنك

● نورُ شجرِ الخلاف

قال أبو حاتم الوزّاق:

كأنّ نور شجرِ الخلاف أكفُّ سنّورٍ بلا خلافِ

مردودةُ البرنسِ في الغِلافِ

● ضروبٌ من الأشجار

أشجار اللبان لا تورق بل تحمل أغصانها. الكنذر أطول الشجر عمراً. شجر الزيتون فإنه يقال إنه يبقى ثلاثة آلاف سنة وكل زيتونة بفلسطين فمن غرس اليونانيين، وكانوا قبل الروم.

والبقم ينبت من غير أن يغرس، والساج تتصاعد في الهواء ملساء مستوية لا تخرج أغصاناً، وغاية طول الشجر مائة وعشرون ذرعاً وأوراقها عراض في رأس الشجرة كل ورقة تقطع لرجل سراويل.

وأشجار الكافور طوال ولها أغصان وعلى رأسها ورق مثل الترس وفي نفس الشجر

---

(١) النشيش: صوت الماء وغيره إذا غلى

(٢) السرو: أي شجر السرو، وهو من فصيلة الصنوبريات

عقد، فإذا أراد الرجل الكافور عمد إلى مهر فيعلوها به فيضربها، فإذا أحس بها أنها قد فجرت، عمد إلى حبل فقلع الشجرة وتناثر الكافور الرياحي منها، فيجتمع في كل شجرة نحو ثلاثين منها وأما ماء الكافور فإنه يعمد إلى الأشجار التي لم تعقر فيضرب بالقدوم مواضع العقد، ثم توجد قلّة وتشد على وقع القدوم فيسيل ماء الكافور من تلك الضربة ويجتمع في تلك القلّة.

وبالزنج القرنفل ومشتريه يأتي بالدنانير فيضعها على ساحل البحر وينصرف إلى منزله فإذا أصبح عاد إليه، فيجد هناك القرنفل وتكون الدنانير قد حملت. وبها الخيزران ويقال إنه خيزرانه يبلغ طولها تحت الأرض ست فراسخ.

ولبعضهم في العوسج[1]:

عـذرنـا الـنـخـلَ فـي إبـداء شـوكٍ | يـذود بـه الأنـامـل عـن جـنـاه[2]
فـمـا لـلـعـوسـجِ الـمـلـعـون أبـدى | لـنـا شـوكـاً بـلا ثـمـرٍ نـراه
تـراه ظـنَّ فـيـه جـنـى كـريـمـاً | فـأبـدى عـدةً تـحـمـي جـنـاه
فـلا يـتـسـلَّـخـن لـدفـعِ كـفٍ | كـفـاه لـؤم مـجـنـاه كـفـاه

(٤)
ومما جاء في الأمكنة والأبنية

● **مكّة**

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[3] وهي حرم إلى يوم القيامة، وأيّ ناحية من الكعبة يصيبها المطر فالخصب في تلك السنة في تلك الناحية. ومن علا الكعبة من العبيد فهو حرّ، وإن الذئب لا يصيد بها ظبياً، وإن الطير لا يعلو الكعبة إلا وهو عليل، وإذا طار فانتهى إلى الكعبة افترق فرقتين. وشأن الفيل معروف.

● **المدينة**

تسمى طيبة فإنّ من دخلها وأقام وجد من تربتها وحيطانها رائحة ليس لها اسم في الأرايج، وأنواع الطيب تزداد بها طيباً وقال ﷺ: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وأنا حرمت ما بين لابتي[4] المدينة. ونهى أن يعضد شجرها، وقال: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يكون بها مجذوم قطّ. وقال: «اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة وأشدّ

---

(١) **العوسج**: جنس شجر أغصانه شائكة.
(٢) **يذود عن جناه**: يدافع عن ثماره.
(٣) **القرآن الكريم**: العنكبوت/ ٦٧.
(٤) **بين لابتي المدينة**: اللابة الحرّة من الأرض

وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة.

● مِصْر

لم يذكر الله تعالى شيئاً من البلدان باسمه سوى مصر، وذكرها في مواضع بالكتابة فقال: وقال نسوة في المدينة وقال: فلن أبرح الأرض يعني مصر. وسئل بعضهم عن مصر فقال: عيش رخي وموت وحي

● الكوفة

قال ابن عباس: لو كانت البصرة أمة مكروفة فصلّت ما طلبت رغبة عنها.

وقال كوفي لبصري: أتمدون أرجلكم مع أهل الكوفة، ولقد كانوا يقرؤون بقراءة أسلاف الحرمين. فجاء حمزة الزيات من الكوفة فقرأ بلغة لا تعرفها العرب فتتابع الناس على قراءته حتى سكان دور الخلفاء.

وكانت القضاة والفقهاء على أحكام سلفهم، حتى جاء أبو حنيفة فتتابع كل الناس على رأيه.

● البصْرة

قال الأحنف: نحن أعذب منكم برية وأكثر بحرية وأبعد سرية. وقال خالد بن صفوان: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً، وقال: مياهها قصب وأنهارها عجب وسماؤها رطب وأرضها ذهب، وتبقى النخلة بالبصرة مائة وعشرين سنة وتبقى كأنها قدح وما تطول نخلة بالبصرة إلا أعوجّت، وقيل: تمثلت الدنيا على مثال طائر فمصر والبصرة جناحاها.

● وصفُ جماعةٍ من البلدان

قال الحجّاج لابن القرية: صف لي البصرة، قال: حرّها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فواسط، قال: جنة بين حمأة وكمأة[1]. قال: فالكوفة، قال: نقصت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشأم فطاب ليلها وكثر خيرها. قال: فالشأم، قال عروس بين نسوة جلوس أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

قال: فخراسان، قال: ماؤها جامد وعدوّها جاهد، بأسهم شديد وحرّهم عتيد. قال: فكرمان، قال: ماؤها وشل[2] وتمرها دقل[3] وعدوها بطل. إن قلّ الجيش بها ضاعوا وإن كثر جاعوا.

قال: فأصبهان قال في حضرة من الأرض زائغة[4] من الطريق الأعظم. قال:

---

(١) الكمأة والكمء: جنس فطر يعيش تحت الأرض، يميل لونه إلى الغبرة

(٢) ماء وشل: أي قليل. (٣) تمرٌ دقل: الدقل أردأ التمر.

(٤) زائغة: منحرفة.

وأحسن الأرض مخلوقة الري، وأحسن الأرض مصنوعة جرجان[1]، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور[2] وهو شر البلاد.

ودخل محمد بن عبد الملك الزيات على المأمون فقال: صف لي أصبهان وأوجز. قال: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران، وجبالها العسل، إلا إنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان، وغلاء الأسعار، وقلة مياه الأمطار وأطرق ساعة، وقال: لعلّ تجارها مرابون وقُرّاءها منافقون.

وقال المأمون: صف لي فارساً تدل فيه من كل بلد بلد

وسئل أعرابي عن شهرزور[3] فقال: إن رجالها لتزق وعقاربها لبرق أي شائلة أذنابها.

وقال في بغداد: هي الشمطاء الحرقة والعجوز المتدللة والعمياء المتكحلة، والشملاء المحتشبة. هواؤها دخان وسيمها صدام تنقبض فيها أيدي المستغنين، وتصغر أنفس المفضلين. تجارها أسد مفترسون وصناعها لصوص مختلسون جارها حاسد ومزاجها فاسد.

● مضارّ البُلدانِ ومنافعُها

حيبر يحمّ بها كل يوم مقيموها دون الطارئين عليه

ولكنّ قومي أصبحُوا مثلَ خيبرٍ بها داؤهـا ولا يـضـرُّ الأعـاديـا

وقيل حمى خيبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وطاعون الشأم. ومن أقام بالأهواز حولاً تفقد عقله وجد فيه نقصاً بينا. ومن أكثر الصوم بمصيصة[4] خيف عليه الجنون.

وحمى الأهواز تقلب من نزلها إلى طبائع أهلها، ومحموميها إذا نزعت عنه الحمى عادته من غير علة. ومن جبالها الأفاعي وفي بيوتها الحرارات.

وقيل من نزل الكوفة ولم يقرّ لهم بثلاث فليست له بدار بفضل أمير المؤمنين وماء الفرات ورطب المشان. ومن نزل البصرة ولم يقر لهم بثلاث فليست له بدار فضل عثمان والحسن ورطب السكر.

وقال حكيم بن جابر. قال الجوع أنا لا حق بأرض العرب قالت الصحة: وأنا معك.

● عجائبُ البُلْدان

بشيراز تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ونصفها في غاية الحموضة. وبقرب

---

(١) جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، أخرجت العديد من الأدباء والعلماء (انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٩).

(٢) جندي سابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه (انظر معجم البلدان ٢/ ١٩٨)

(٣) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان (معجم البلدان لياقوت ٣/ ٤٢٥).

(٤) مصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس

قرميسين[1] قرية يقال لها كركان[2] من أخذ من طينها ليلة الميلاد، وطيّن به داره وبيته أمن الغوائل إلى قابل.

وفي بعض جزائر الصين حيّات تبتلع الإبل والبقر، وقردة كالحمير وبمصر حجر من يمسكه في يده يتقايأ ما دام في يده. والسف حجر يطفو على الماء والأبنوس والشير يرسبان فيه والمغناطيس حجر يجذب الحديد، وإذا مسح بالثوم لم يجذب

وبالأندلس السفلى وبالهند نار تشتعل في حجرة ولو رام أن يحمل منها شعلة لم تتّقد وبمدينة ختن من حدود الصين، طواحين كثيرة يدور الحجر الأسفل والذي فوقه قائم لا يتحرك. وبأذربيجان[3] واد لا يقدر أحد أن ينظر إليه.

● **أرضُ العَرَبِ**

قيل: إن نجداً من العذيب إلى ذات عرق وإلى اليمامة وإلى اليمن وإلى جبلَيْ طيء، ومن ظهر البصرة وهو المربد إلى وجرة. وذات عرق أول تهامة[4] إلى البحر وإلى جدّة وإن المدينة لا تهاميّة ولا نجديّة، فإنها حجاز فوق الغور ودون نجد. وأنها جلس لارتفاعها عن الغور ونجد

وقيل القرى العربية مكة والمدينة والطائف واليمامة، فأما البحرين فهو خلط فيه عرب وعجم.

● **حدّ السّودان**

من لدن الموصل[5] ماراً إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة. هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل، من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، وعليه وقع الخرج والمساحة.

● **الأبنيةُ المحْكَمَةُ**

من ذلك الخورنق بناه سنمار لكسرى على فرات الكوفة، فلما صعده كسرى أعجب منه وخاف أن يبني لغيره مثله فقتله. وقيل: إنّما قتله لقوله أعرف في أركانه موضع حجر إن نقصته تداعى هذا البناء كله. ومن ذلك مارد والأبلق الفرد، وفي المثل تمرد مارد وعز الأبلق

وغمدان باليمن من أعجب ما بنى ملوك أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض، فهدم الحبشة بعضها وهدم عثمان بعضها، كما هدم آطام المدينة والمشقر وقصر سنداد بالكوفة وفيه يقول الأسود:

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلِ محرّقٍ ... تركوا منازلَهم وآلَ إيادِ

---

(١) قرميسين: بلد معروف على مسافة من همذان. (٢) كركان: قرية بفارس (معجم البلدان: ٤/٥١٣)

(٣) أذربيجان: إقليم واسع غربي أرمينية

(٤) تهامة: السهل الساحلي الضيق الممتد من شبه جزيرة سيناء إلى أطراف اليمن

(٥) الموصل: مدينة مشهورة تصل بين دجلة والفرات تقع على طرق دجلة وفي مقابلها خرائب نينوى. ا

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

وبناء الإسكندرية وقد ذكره النابغة في قوله:

وخيّس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وكان المنصور تقدّم بهدم إيوان كسرى، وحمل نقضه إلى مدينة السلام. فقال له خالد: لا تهدم بناء دلّ على فخامة قدر بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه، فتعجز عنه فيدلّ ذلك على عجز منك، فقال: هذا الميل منك إلى المجوس، وأمر بهدمه فعجز عنه، فقال: يا خالد صرنا إلى رأيك، فقال: الآن أشير أن لا تكفّ عنه. فإن الهدم أيسر من البناء. ويتحدث الناس أنك عجزت عن هدم ما بناه عدوّك.

وقال المأمون لما سمع هذا: قد حسب إليّ هذا الحمر، أن لا أبني بناء يعجز عن هدمه.

والهَرَمان قيل كل هرم سمكه أربعمائة في الهواء مبنية بحجارة المرمر والرخام، وغلظ كل حجر وطوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمان أذرع، مهندم لا يستبين مبناه إلا حادّ البصر، عليها مسطور كل عجب من الطب والطلاسم ومكتوب عليه: إني بنيتها فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمها، والهدم أيسر من البناء. وأراد بعض الخلفاء هدمها فإذا خراج مصر لا يقوم به فتركها.

وفي الخبر أن الإسكندرية بقيت مئة لا يدخلها أحد إلا على بصره خرقة سوداء من بياض حصّها وبلاطها، وقيل بيت من الرخام مبنية، وكان فيها ستمائة ألف من اليهود خولاً لأهلها.

● اختيارُ بلدٍ دونَ بلَد

قيل: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسوقٌ قائمة وقاضٍ عدل. وقيل: لا تبنى المدن إلا على الماء والمرعى والحصب.

● مدحُ الدورِ الواسعة

مر النبيّ ﷺ ببناء يبنى، فقال: أوسعوه. وقيل: خير المنازل ما سافر فيه البصر وارتع فيه البدن. وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر: تريد أن تبني دارك فاعلم أنّ عمرانها عمران قليل وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمّة مع السعة. وقال: دارك قميصك فإن شئت فوسّعها وإن شئت فضيّقها.

وسئل بعضهم ما العيش؟ فقال: سعة البيوت ودوام القوت. وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: دار قوراء[1] وامرأة حسناء، ويسار مع طول البقاء.

(١) الدار القوراء: الواسعة.

- ذمّ الدور الواسعة

دخل بعض الناس على كبير بني داراً واسعة، كبيرة الدرج واسعة الصحن رفيعة السمك عظيمة الأبواب، فقال: أعلم أنك ألزمت نفسك مؤنة وعيالاً يقلّ حمل مثلهم ولا بدّ لك من الخدم والستور على حسب ما انتبه فقد حملت نفسك عناء معنياً.

- ذمّ الدور الضيقة

وصف رجل داراً ضيقة فقال: أضيق من أفحوص[1] القطاة، وأضيق من بياض الميم ومن خرق الإبرة ومن عقد تسعين ومن مفحص الضبّ. وقيل شؤم الدار أن تكون ضيقة فيكثر سخط مالكها ولا يرضى بما قسم له فيها. وشؤم الدابة أن لا تكون فارهة، وشؤم المرأة أن لا تكون موافقة.

قال ابن المعتز:

ولكنها في دار سوء كأنها ... بقية ناوس على ساحل البحر[2]

وقال ابن الحجّاج

في منزلٍ غمر الـو ... قت أهله بالرخاء
وقلّم السحاء حتى ... يصح معنى الهجاء
خالٍ على كل حالٍ ... من سائر الأشياء
سوى كنوز بطون ... مكنوزة في الخلاء
أخاف فيه وأخشى ... من لا يخاف هجائي
ومن ضراطي وشخري ... في وجهه بالتواء
جزاهم الله عني ... تصحيف معنى الهجاء

- الحثّ على إحكام البناء

لما بلغ عمر رضي الله عنه أن سعداً وأصحابه بنوا بالمدر كتب إليهم: قد كنت أكره إليكم البنيان بالمدر. أما إذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب.

ولمّا بنى معاوية رضي الله عنه داره باللبن دخلها الروم فقالوا: ما أجودها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر. وقال يحيى البرمكي: ينبغي للإنسان أن يتنوق في دهليزه فهو وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق إلى أن يؤذن له.

- الدّارُ الحَسَنَة

دخل المعتصم على خاقان في داره عائداً له، والفتح[3] يومئذ غلام فقال له: يا فتح

---

(1) الأفحوص: الموضع الذي تفحص فيه القطاة التراب لتبيض فيه.

(2) ناوس: أي الناووس وهو حجر منقور توضع داخله جثة الميت

(3) الفتح: يريد الفتح بن خاقان الذي أصبح وزير المتوكل، وهو تركي الأصل

دارنا أحسن أم داركم؟ قال دارنا ما دام أمير المؤمنين فيها

وقال جعفر بن سليمان ليس في الدنيا أحسن من داري قيل: كيف؟ قال: لأن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد.

وقيل لأبي النعمان أين دارك؟ فقال: إذا دخلت سكة بني العنبر، فالدار التي تدل على شرف أهلها هي داري. وقيل أجود الدور وأكثرها غلة ثلاثة دار البطيخ بسرّ من رأى[1]، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد.

قال شاعر:

مــنــزلٌ فــيــه كــلّ مــا صــنّــت ... الــعــيــنُ إلــيــهِ مــن بــهــجــةٍ وضــيــاءِ

وقال رجاء بن الوليد:

كــانَ الــربــيــعُ بــالــزخــارفِ أرضَــه ... وحــشــنَ الــسّــمــاءِ بــالــكــواكــبِ سَــقْــفَــهُ

وصف بعضهم دهليزاً فقال:

ودهــلــيــزِ دارٍ فــيــه لــلــمُــحْــسِــنِ بــهــجــةٌ ... ولــلــنــفــسِ فــيــه لِــلّــذاذةِ أوطــارُ

إذا دخــلَ لــم يــخــتــبــرِ مــا وراءَه ... تــوهــمَــه مــن طــيــبِــهِ أنــه الــدارُ

وقال عملان:

دهــالــيــزُنــا ضــاقَــتْ لخوفِ نزولِهِم ... كــأنّــا يــهــودٌ نــدخــلُ الــبــابَ سُــجّــدا

• القصورُ الرفيعَة

لما بنى عيسى بن جعفر بناءه بالبصرة، دخل إليه عبد الصمد فقال: بيت أجلّ بناء بأطيب فناء، وأوسع فضاء على أحسن ماء بين صرار ورعاء وحيتان وظباء، فقال عيسى: كلامك أحسن من بنائنا البحتري في الجعفرية

مــخــضــرةٌ والــغــيــثُ لــيــسَ بــســاكــبٍ ... مــبــيــضّــةٌ والــلــيــلُ لــيــس بــمــقــمــرِ

أربى على همـمِ المـلـوكِ وغضَّ من ... بنيانِ كِسْرى في الزّمانِ وقيصرِ[2]

عـالٍ عـلـى لـحْظِ الـعـيـون كـأنّـمـا ... يـنـظُـرْنَ منه إلى بياضِ المـشْتري[3]

مـلأت جـوانـبُـه الـفـضـاءَ وعـانـقـتْ ... شرفـاتُـه قـطـعَ الـسـحـابِ الـمـمـطـرِ

وقال ابن عيينة

فـيـا حـسـنَ ذاكَ الـقـصـرِ مـن مـتـنـزهٍ ... بأفيح سهلٍ غيرِ وعرٍ ولا ضَنْكِ[4]

---

(١) سرّ من رأى: هي بلدة السامراء في العراق، بناها العباسيون سنة (٨٣٦م)، على مسافة ١٠٠ كيلو متر شمالي بغداد.

(٢) أربى: زاد. غضّ منه: قلّل من شأنه. كسرى: من ملوك الفرس. قيصر: ملك الروم.

(٣) المشتري: كوكب يتفاءل به، بخلاف المريخ الذي يتشاءم باسمه.

(٤) ضنك: ضيق.

بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ كأن ثراها ماءُ وردٍ على مِسْكِ
كأنّ قصورَ القومِ ينظرْنَ حولَه إلى ملكٍ مترفٍ على منبر المُلكِ
يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ويضحكُ منها وهي مطرقةٌ تبْكي

وقال الأشعري في قلعة افتتحها المسلمون بخراسان:

محلّقةٌ دونَ السماءِ كأنّها عمامةُ صيفٍ زالَ عنها سحابُها
فما يلحقُ الأروى شماريخَها الذرى ولا الطيْرُ إلا نسرُها وعقابُها[1]
فما روعت بالذئبِ ولدانُ أهلِها ولا نبحت إلا النجوم كلابُها

وقال أحد الخالديين:

وخرقاء قد تاهتْ على مَنْ يرومُها لمرقَبِها العالي وجانبِها الصعْبِ
يزرّ عليها الجوُّ جيبَ غمامةٍ ويلبسُها عِقداً بأنجمه الشهْبِ

● اختيارُ طرفِ البلدِ ووسطِهِ

قيل: الأطراف للأشراف وقيل لرجل: في أيّ موضع من القرآن الأشراف في الأطراف؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2] فهذا أشرفهم وكان أقصى المدينة وطرفها.

وسأل الرشيد عبد الملك بن صالح عن منزله أهو لك؟ فقال: هو لك ولي بك. قال: كيف هواؤه وماؤه؟ قال أطيب هواء وأعذب ماء قال. كيف ليله؟ قال: سحر كلّه.

● أبنيةٌ متفاوتة

استدان بعض الحمقاء خمسمئة درهم فأنفقها على مخرجه، فبلغ ذلك بعض إخوانه، فقال. ليت شعري ما يريد أن يخرأ فيه؟ وسأل رجل آخر: كم بيت في منزله؟ فقال صفة وكنيفان. فقال: هذا تقطيع رجل مبطون.

● من بَنى بناءً نفعُه لغيره

لما بنى الحجاج مدينة واسط قال لابن جامع كيف ترى؟ قال. بنيته في غير بلدك وورثته لغير ولدك.

قال شاعر:

ألم ترَ حوشبَاً أضحى ويبني بناءً نفعُه لبني نُعيلَه
يؤمل أن يعمّرَ عمرَ نوحٍ وأمرُ الله يأتي كلَّ ليلَه

(1) العقاب: من الطيور الجارحة.
(2) القرآن الكريم: القصص/ ٢٠.

وقال:

لِدُوا للمَوْتِ وابنُوا للخَرابِ ... فكلُّكم يصيرُ إلى التُّرابِ[1]

وبنى أزدشير[2] بناء عظيماً فدخله هو ووزيره، فقال: هل فيه عيب؟ قال: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخول بعده، أو دخول لا خروج بعده. فقال: لقد نغّصته عليّ.

ودخل ابن السائب القاضي على المتقي وقد بنى داره، فقال له: كيف ترى؟ فقال: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً.

● الرغبةُ عنِ البناء

قيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبني بالبصرة داراً؟ فقال: أنا لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً. فإن كنت أسيراً فالسجن داري، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري.

ومرّ رجل من الخوارج على دار تبنى، فقال: من هذا الذي يقيم كفيلاً؟ وقيل: كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل. ولما بنى مروان داره قيل لأبي هريرة: كيف ترى؟ فقال: بناء شديد وأمل بعيد وعيش زهيد.

● حرصُ الإنسان على البناء وذمُّ الاشتغال به

قيل خلق الله ابن آدم من تراب فهمته في حفر التراب، وخلقت المرأة من ضلع الرجل فهمتها في الرجل. وقيل: ليس في الأرض حوادث ولا بخيل ابتاع داراً إلا هدم هذا وبنى هذا وإن قلّ.

ونظر الحسن إلى قصور لبعض المهالبة فقال: يا عجباً رفعوا الطين وركبوا البراذين[3] واتخذوا البساتين وتشبهوا بالدهاقين، ذرهم في غمرتهم حتى حين.

ومر عبد الله بن جعفر بعبد الله بن صفوان فأدخله بساتين اتخذها وقال له: كيف ترى؟ قال: أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[4]، وأنت قد اتخذتها بساتين.

● المعيرُ بأن شرفَه بناؤه

هجا بعضهم بني عميرة وكان لهم دار شريعة في الدور الشارعة على المسجد فقال:

بنو عميرٍ مجدُهمْ دارهُمْ ... وكلُّ قومٍ لهمْ مجدُ

---

(١) إلى التراب: وفي رواية إلى يباب. (٢) أزدشير: من ملوك الفرس.

(٣) البراذين: جمع برذون وهو دابة الحمل الثقيلة، والتركي من الخيل.

(٤) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٣٧.

كــأنــهُـــم مــقــمــع بــسدرّيـــة — لــيــس لــهــم قــبــلُ ولا بــعــدُ

ومجا بعضهم بني علي فقال:

لـيسَ لـهـم مـجـدٌ سـوى مـسـجـدٍ — بـــه تـــمـــدوا فـــوقَ أطـــوارهـــم

لـو هُـدمَ الـمـسـجـدُ لـم يُـعْـرَفـوا — يـومـاً ولـم يُـسْـمَـعْ بـأخـبـارهـم

وقال عمر الخارق:

قـــد رأيـــنـــا حـــسَـــنَ بـــنـــا — طـــك والـــدارَ الـــجـــلـــيـــلَـــه

وعـــلـــمـــنـــا أنّ فـــيـــهـــا — كـــلُّ مـــا يـــكـــمـــي قـــبـــيـــلَـــه

غـــيـــرَ أنّ الـــجـــنَّ لا تـــخـــفـــيـــن — فـــي خـــبـــرك حـــيـــلَـــه

وقال:

يـا مـنْ تـشـرّف بـالـبُـنـيـان يـرفـعـهُ — لـيْـس الـتـشـرّفُ رفـعَ الـطـيـن بـالطّـيـنِ

إذا أردتَ شـريـفَ الـنـاس كـلّـهـم — فـانـظـر إلى مـلـكٍ فـي زيِّ مـسـكـيـنِ

وقال مسكويه:

لا يـعـجـبـنّـك حـسـنُ الـقـصـر تـنـزلُـه — فـضـيـلـةُ الـشـمـسِ لـيـسـتْ مـن مـنـازلـهـا

- **الجار**

قيل: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. **وكان ابن المقفع** مجسب داره دار، وكان يستامها[1] وصاحبها يمتنع من بيعها. فاتفق أن ركب صاحب الدارين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه **فقال**: ما قمت إذاً بحرمة الجوار إن رغبت من ابتياعها بعد أن باعها معدوماً. وحمل إليه ثمن الدار **وقال**: بق دارك عليك ورد هذا على ديك.

وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن **فقال**: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟ **قالوا**: وهل يباع الجوار؟ **قال**: نعم لا أبيعه إلا بإضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار

- **هدمُ دورِ السلاطين المتقدّمة**

قيل لابن الزبير: أهدم دور بني أمية؟ قال: لا أمس إن ظفرت بهم **فهي** مبنية أفضل وإن عطفت عليهم بأرحامهم **فهو** أجمل. فلما قتل ابن الزبير لم تمس لهم لبنة ولما همّ أهل البصرة بهدم دار زياد وانتهاب أهلها، **قال الحسن رضي الله عنه**: قل بلدة خربت الدور التي بنيت عليها إلا خربت وإن البصرة بنيت على دار زياد، فانتهوا عن ذلك.

- **بيعُ الدار وابتياعُها**

قيل: لتكن الدار أول الشيء الذي يبتاع وآخر ما يباع. **وقيل للأحنف**: أي المال أبقى وأوفى؟ **فقال**: المساكن والأرضون.

---

(١) استام يستام فلاناً السلعة: سأله تعيين ثمنها.

وقال ﷺ: من باع داراً أو عقاراً فلم يرد ثمنهما في مثلها، كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. وفي حديث آخر: فذلك مال جدير أن لا يبارك فيه. وباع رجل داراً فلما أراد أحد الشمن وأشهد، قال البائع: أما أنك قد أحدتها عليظة المؤنة قليلة المعونة، فقال المشتري: أما أنك قد أحدتها سريعة الذهاب بطيئة الاجتماع.

● ذكرُ غلّةِ الدّار

قيل: غلة الدار مسيل، وغلّة النحل كفاف، وغلّة الحب غنى. وقال الحكم من سعيد قال لي ملك سرنديب: صف لي أهل البصرة، فقلت: قوم لهم نخل يأكلون فضول ثمارهم، وقوم لهم دور يكرونها، وقوم لهم أرقاء يستعملونهم، وقوم لهم أموال يغدون إلى الأسواق فيأكلون فضولها فقال: من كان معاشه من كراء منزله فلئيم، ومن استعمل الأرقاء فكلب ولكن أصحاب النحل بها.

● نوادرُ في كِرائها

دخل رجل ليكتري حجرة فقال: أين المطبخ؟ قيل: في الجيران من يطبخ لك قال: فأين المخرج؟ قيل: هم يخبرون لك. قال: فأين المرتقى إلى السطح؟ قيل: على باب الدار ساحة يطيب النوم بها. قال: إن كانت حوائج الدار كلها خارجها فنحن خارجون ونربح الأجرة.

● الرحاء

قال بعض الشعراء فيها:

وصيفَيْن جاءا من بعيد مقربا | على فرش حتى اطمأنّ كلاهُما
قريناهما ثم استرَحْنا قِراهما | لضيفينِ جاآ من بعيدٍ سواهما

وقال:

أعدو على كالماء في جِحارها | الشارفِ الماهرِ من حوارها
بصاحب قد صحّ من إمرارها | كأنَّ فوقَ النار من غبارها
شيب عجوز شفَّ من خِمارها

● الحمام

قال النبي ﷺ: بئس الحمّام يهتكُ العورة ويذهب الحياء

وقال الرقّاء:

يتمشّى إلى النعيم الذي فيـ | ـه صلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ تروذُ عينُك فيـ | ـه بسوادِ الطلى وبيضِ الفقاحِ

وقيل للفضل الرقاشي: صف الحمّام، فقال: نعم البيت الحمّام يذهب

القشافة[1] ويعقب النظافة، ويهضم الطعام ويجلب المنام، وينفي الغضب ويقضي الإرب. قيل: قد مدحته، فذمّه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار ويؤلف الأقذار ويحرق كالنار، وقال شاعر:

وبيتُ خزيٍ ترى فيه العُراةَ كمَا ... يومَ القيامةِ موقوفون للنّار
أيدي عُفاةٍ وقد مدّت إلى ملكٍ ... يعطي الجزيل بقلْبٍ غيرِ خوّار[2]

ورد أعرابي الحضر فمر بحمّام فقيل له: أدخل وتطهر فدخل فشجّ رأسه، فقال:

وقالوا تطهّر إنه يومُ جمعةٍ ... فرحتُ من الحمّام غيرَ مطهّرِ
وزوّدتُ منه شَجّةً فوقَ حاجبي ... فيليتني إني شيما كان متجري
وما تخينُ الأعرابُ في السّوقِ مثبةً ... فكيفَ ببيتٍ من رُخامٍ ومَرمَرِ

وقال السري:

ذو قبّةٍ كسماءٍ والبدورُ لها ... جاماتُها في أعالي الجوّ تنسرجُ
حرّ وبردٌ وماءٌ والهواءُ به ... معتدل منهما ما شانه عوَجُ

وقال:

كأنّ ما قبَ من سقفه ... قحفٌ من البلّورِ مكسوبُ

وقال ابن المعتز:

وحمّامنا كالمهجور ... ويشقى بها الواردُ
وبيت له مختنق ... وبيت له باردُ

● النورة

قال السري الرفاء:

ومجرّد كالسيف أسلمَ نفسه ... لمجرّد يكسوهُ ما لا يُنسَجُ
ثوبٌ تمزّقه الأناملُ رقّةً ... ويصيبُه الماء القراحُ فينهَجُ
وكأنّه لما انتهى في خضرةٍ ... ثوبانِ ذا عاجٌ وذا فيروزَجُ

وقال:

وقمص حجارة نسجت بماءٍ ... ويلبسُها الغنيُّ مع الفقير

● الأطلالُ البالية

قال بكر بن النطاح:

لعبَ البلاءُ بطولها ورسومِها ... لعبَ الصبابةِ في فؤادِ العاشقِ

---

(1) القشافة: سوء الحالة

(2) الخوّار (صيغة فعّال للمبالغة). الضعيف.

وقال معلى الطائي:

لَبِسَ البِلى حتى كأنَّ رسومَها طَمِسْنَ الهوى أو ذقنَ هجرَ الحبائبِ

وقال:

هو مُلْقى على الطريقِ الليالي

وذكر أعرابي قوماً فقال كانوا بدور جموع وجمال ربوع، فصارت منازلهم معتصر الدموع، جرت بها الريح أذيالها وحطت بها الغيوث أثقالها وسلبتها الأيام جمالها.

● البالية بالمطر

قال ماني:

المزنُ يمحو بكفٍّ ما له قلمُ[1]

وقال:

رهينـةُ أرواحٍ وصوتُ رُعودِ

وقال بشار:

وأبدي البِلى فيها سُطوراً مبينةً عباراتُها أنَّ كلَّ بيتٍ سيدثُرُ[2]

وقال ابن المعتز:

وحيطانٌ كشطرِ سطرِ صفوفٍ فما تنفكُّ تضربُ شاه ماتا

وقال:

أرى سرّ مرّا مذ سنين كئيبةً تزيدُ خراباً كلَّ يومٍ وتذبلُ[3]

كأنَّ بها داءً دخيلاً فجسمُها على ما بها من سقمِها يتسلّلُ

● دارٌ شوهدَ منها النعيم

قال:

لعهدي به والسعدُ في جنباته وثغرُ نعيمِ الحمضِ يُبدي تبسّما

● استقباحُ المنزلِ لارتحال الحبيب عنه

قال سليمان المحاربي:

إذا لم تكنْ ليلى بنجدٍ تغيّرتْ محاسنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

وقال:

فما أحسنَ الدنيا وفي الدا رِ خالدٌ وأقبحَها لمّا تجهّزَ غازيا

وقال علي بن محمد:

إنّما الدارُ بالحلولِ فإنْ هم فارقوها فحيثُ حلّوا الديارا

---

(١) المزن: السحاب الممطر. (٢) سيدثر: الدثور: الزوال والفناء.

(٣) سرمرا: أي سرّ من رأى أو السامراء وهي مدينة في شمال العراق.

● دارٌ خلَتْ عن كثب

أنشد أحمد بن أبي طاهر:

أمـا الـطـلـولُ فـمـحـبـرا | تُ أنّـهـم ظـعـنـوا قـريـبـاً
لـم يـعـفـهـا مـطـرٌ ولـمْ | تـسـفُ الـريـاحُ بـهـا كـثـيـبـا
وطء الـنـعـالِ وأثـر مـفـ | تـرّش ومـغـتـسـلاً رطـيـبـا

● الأطلال اللائحة

مرّ الفرزدق بمؤدب ينشده صبي قول لبيد.

وجلا السيولُ عن الطلول كأنّها | زُبُرٌ تجد متونَها أقلامُها[1]

منزل وسجد لقبل. ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار. وهذا البيت موضع سجدة.

وقال طرفة.

يلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليَدِ

قال أبو نواس:

لـمـن طـلـلٌ تـزداد حـسـنَ رسـومِ | على طول ما أقوَتْ وطيب نسيم
تجافى البلى عنهُنّ حتى كأنّما | لبِسن على الإقواءِ ثوبَ نعيمِ

وقال البحتري:

دمنٌ موائِلُ كالنجومِ وإن عفَت | فبأيّ نجم للصبابةِ تهتدي

وقال مخلد الموصلي

لم تجرِ فيها الصّبا إلا مسلّمةً | ولم يشُنْ وجهها الأرواحُ والدِّيَمُ

● عرفان المركوب المحال المعهودة

قال المتنبي

مررتُ على دارِ الحبيبِ فحمحمَتْ | جوادي وهلْ تشكُو الجيادُ المعاهدُ[2]
وما تنكرُ الدهماءُ من رسمِ منزلٍ | سقتْها ضريبَ الشوْلِ فيه الوَلائدُ[3]

وقال السلامي:

أنا المشوقُ فما للخيْل والإبل | تحنّ قبلي إذا مرّتْ على طلَلِ

---

(١) الزبر: الكتب، جمع زبور.
(٢) حمحم: ردد صوته إذا رأى من يأنس به.
(٣) الولائد: جمع وليدة وهي الخادمة أو الأمة أو المولودة

- **استبدالُ الدار بأهلِها الوحوش**

قال بعضهم:

عَهدتُ بها وحْشاً عليها براقعٌ ... وهذي وحوشٌ أصبحَت لم تبرقَعِ

وقال الوائلي:

فكَمْ آنسٍ بُدِّلَتْ منه بنافرٍ ... وحالي الشوى بدِّلَتْ منه بعاطلِ[1]

وقال أبو سعيد الرستمي:

ظباءٌ سرت بالأبطحَيْن عواطِلا ... وكنتُ أراها في الرعاثِ وفي الحجلِ[2]

- **الدارُ المتغيرةُ بالرياح**

قال ذو الرمّة

رسومٌ كساها لونُ أرضٍ غريبةٍ ... سوى أرضها منها الهباءُ المغربَلُ

وقال النابغة

كأنّ مجرّ الراسيات ذيولَها ... عليه قضيمٌ نمّقتْهُ الرواسمُ[3]

وقال:

وأربتْ بها الأرواحُ حتى كأنّما ... تهادَيْن أعلى تربة بالمناخلِ

وقال الحماسي:

تمرّه بالعدوّ والأصائلِ ... كلُّ هدوجٍ ذات ذيلٍ ذائلِ
كأنّما ينخُلُ بالمناخِلِ

وقال التنوخي:

كأن إرتجاسَ الريحِ في جنباتها ... إذاعةُ شكوى أو سرارُ تعاتُبِ

- **استطابةُ أرضِ المحبوبِ**

قال بعض الأعراب:

أرى كلَّ أرضٍ دمنتها وإن مضَتْ ... لها حججٌ تزدادُ طيباً ترابُها

وقال النميري:

تضوّعَ مِسْكاً بطنُ نعمان إذ مشَت ... به زينبُ في نسوةٍ خفراتِ[4]

---

(١) **الشوى** ما هو ليس مقتلاً من الأعضاء، **والشوى** رذال المال

(٢) **الرعاث**: القرط، جمع رُعْث

(٣) **القضيم**: السيف، والصحيفة ـ **الرواسم** جمع روسم وهو الخاتم وما يطبع به الطين، **والرواسيم** كتب كانت في الجاهلية

(٤) **النسوة الخفرات**: الحييات.

وقال:

استودعت نشرَها الرياحُ فما ... تزدادُ إلا طيباً على القِدَمِ

● دارٌ تفانى سكانها

قال ذو الرمة:

منازلُ آلافٍ أتى الدهرُ دونَهم ... وما الدهرُ والألافُ إلا كذلك

وقال أعرابي:

تشكو إليَّ الدارُ فرقةَ أهلِها ... وعندي ما بالدار من فرقةِ الأهلِ

أخذه محمد بن حبيب فقال

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... درسا فلا علَمٌ ولا قصَدُ

لبسا البِلى فكأنما وجَدا ... بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجِدُ

● محاورةُ الديار ومجاوبتُها

قال ذو الرمة

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي ... فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبُه

وأسقيهِ حتى كادَ مِمّا أبثُّه ... تُخاطبني أحجارُهُ وملاعبُهُ

● البكاءُ في الديارِ الدارسة

قال بشّار:

وقفتُ بها صحبي فظلّت عِراصُها ... بدمعي وأنفاسي تراحُ وتمطرُ

وقال العتابي:

منازلُ لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقلع إلا عن دموعٍ سواكبِ

وقال الصمة

أخادعُ عن أطلالِها العينَ إنه ... متى تعرفُ الأطلال عنك تلذعُ

● المنعُ من البكاءِ عليها ومساءلتها

قال البحتري:

لا تقِفي على الديار فإنّي ... لستُ من أربعٍ ورسمٍ محيلِ[1]

في بكائي على الأحبّةِ شغلٌ ... لأخي اللهوِ عن بُكاء الطلولِ

وقال أبو نواس.

يا كثيرَ النوحِ في الدِّمَنِ ... لا عليها بل على السكَنِ

---

(١) الرسم المحيل: الدارس.

سُنَّةُ العُشَّاقِ واحدةٌ فإذا أحببتَ فاستكِنِ

وقال ابن المعتز:

إنَّ دمعي لضائعٌ في رسومٍ وسُؤالي عن المُحالِ مُحالُ

وقال:

أحسنُ من وقفةٍ على طلَلٍ ومن بكاءٍ في أثرِ مُحتَمِلِ
كأسُ صبوحٍ أعطتْكَ فُضلَتَها كفُّ حبيبٍ والنقْلُ من قُبَلِ(١)

● معاتبةُ من لمْ يقِفْ عليها

قال إسحاق بن إبراهيم:

يا ذا الذي جازَ الديارَ ولمْ يقِفْ قفْ لا وقفْتَ أما ترى أطلالَها
لو كنتَ ذا وجدٍ بساكِنها لما جاوزْتَها حتى أطلْتَ سؤالَها(٢)

● الاستسقاءُ للدار

قال أبو تمّام:

لا زلتِ ناضرةَ العِراصِ ولم تَزلْ فيكِ الرياحُ ضعيفةَ الأنفاسِ(٣)

وقال ابن الرومي:

لا يحرِمِ اللهُ الطلولَ الدرَسَا أقاحياً وسوسناً ونرجسَا
يكادُ ريّاه إذا تنفَّسَا ينشرُ في تلكَ المواتِ أنفُسَا(٤)

وقال الوابلي:

سقيتَ رجوعَ الطاعنين فإنه غنى لكَ عن سُقْيا الغُيوثِ الهواطلِ

● الدعاءُ على الدار

قال زياد بن جملة

إذا سقى اللهُ أرضاً صوبَ غاديةٍ فلا سقاهُنَّ إلا النارُ تضطرمُ(٥)

● تنكرُ الدارِ وعرفانُها

قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طللٌ درستْ دارُه وغيَّره سالفُ الأخرسِ

---

(١) الصبوح: خمر الصباح - النقل: ما يتناقله في مجلس الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.
(٢) الوجد: المحبة
(٣) العراص والعرصات: جمع عرصة وهي الساحة الواسعة أمام الدور
(٤) رياه: رائحته
(٥) الغادية: السحابة الممطرة في الغدوة، باكراً

تنكره العينُ من حادث ويعرفه شغفُ الأنفسِ

وفيه:

تعرفهُ لعينَ ثم تنكِرهُ

وفيه:

فتعرفهُ عيْني وينكرهُ قلبي

وقال البحتري:

وما أعرفُ الأطلالَ من بطنِ توضحٍ لطولِ تعفّيها ولكن إخالُها

● الأثافي والرماد

قال بشر:

كأنَّ خوالداً في الدار سفعاً بعرصتِهم حماماتٌ وقوعُ

وقال جرير:

مَطايا القدْرِ كالحِدا الجثوم

وقيل: ما بقي إلا ثلاث سفع كحمام وقع، كأنها مطايا القدور فانهلن في عرصة الدور، وقال شاعر:

أثافيّ كالخيلانِ في حدِّ كاعبٍ وسفعٍ كنقط الشاه من كفِّ كاتب[1]

وقال الكميت:

إلا ثلاثاً في المُعَقَّبَةِ ما يحولُهن ناقلْ

سفعُ الخدودِ كأنّما خُفِرَتْ عليهن المكاحِلْ

وقال ابن المعتز:

عفا غيرُ سفعٍ ماثلاتٍ كأنّها خدودُ عذارى مسّهنَّ شحوبُ[2]

وقال آخر:

رمادٌ كما طارَ على بوّ ظائر

وقال الراعي:

أنخْنَ وهنَّ أغفالٌ عليها وقد ترك الصلاة بهنَّ نارا

● النؤي

قال أبو تمام:

ونؤي مثل ما نقصم السِّوارا[3]

وقال:

والنؤيُ أهمدَ شطرُه فكأنّه تحتَ الحوادث حاجبٌ مقرونُ

---

(١) الخيلان: جمع خال ـ الكاعب: الشابة التي كعب ثديها

(٢) السفع (هنا): حجارة الموقد. (٣) النؤي: الحوض حول الخيمة

وقال:

ونؤيٍ كمفلى القَوسِ حالَتْ شحونُه

وقال التنوخي.

وعـطـفـنـا نـؤيَ كـسـونٍ عـرقـت

● الوَتد

قال ابن مقبل:

وقـلـدتُ أرسـانَ الـجـيـاد مـعـبـدأ إذا مـا ضـربـنـا رأسَـه لا يـرنـحُ
فـبـاتَ يـقـاسـي بـعـد مـا شـجّ رأسَـه محولا جمعناها تشبّ وتضرح

(٥)

وممّا جاء في المفازة

■

قال بعضهم

وبـيـداءَ سـمـحـالٍ كـأنّ نـعـامَـهـا بـأرجـائـهـا الـقـصـوى أبـاعـرُ هـمـلُ
ترى الـثـعـلـبَ الـحـولـيّ فـيـهـا كـأنّـمـا إذا مـا حـلـلـنـاهـا نر حـصـان مـجـلـلُ

وقال بعضهم:

كـأنّـمـا الـمـكـاءُ فـي بـيـضـهـا سـرادقٌ قـد أوقـدتْـه الأصـلُ[1]

وقال:

تـخـالُ بـهـا راعـي الـحـمـولـةِ طـائـرا

● الطريقُ الواضحُ

لاحبٌ كقربي الثعبان وكفرق الرأس وكحصير الراملات، قال شاعر

كـأنـه تـشـطـب بـالـمـرو مـرمـول

وكالسحل اليماني وكظهر برجد.

وقال الراجز

عـودٌ عـلـى عـودٍ لأقـوامٍ أول يـمـوتُ بـالـتـركِ ويـحـيـا بـالـعـمَـل

وقال آخر:

مـلـسُ الـحَـصَـى بـدرسِ مـا لَـمْ يـنـبـس

---

(١) المكاء جمع مكاكي طائر من القنبر وهو أبيض اللون ـ الأصل جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى الغروب.

● **المفازةُ المهلكة للمطي**

وقال عمرو بن معدي كرب:

بـه جـيـف الـمـواغـب بـالـيـات ... كـأن عـظـامَـهـا الرخْـمُ الـوقـوعُ[1]

وقال كثير:

بـدويـةٍ يـكـونُ بـهـا كـثـيـراً ... نـتـاجُ الـمـعـجـلاتِ مـن الـسِّـخـال

وقال الموسوي:

تـلـقـى الأحبّةُ قتلى في مسالِكـهـا ... ديـاتـهـا فـي رقـابِ الـفـرز والأكـمِ

● **المفازة التي تضبح منها المطايا**

قال امرؤ القيس:

عـلـى لاحـب لا يـهـتَـدي لـمـنـارِه ... إذا سـاقَـه الـعـودُ الـنـبـاطي جرجَرا[2]

● **المفازة المجهولة**

وصف بعضهم مفازةً فقال: هي غبراء الجوانب مجهولة المذاهب، **تقطع المطا ويحار فيها القطا.**

قال علقمة:

ودويّـة لا يُـهـتـدي لـفـلاتـهـا ... بـعـرفـان أعـلامٍ ولا ضـوء كـوكـبِ

وقال

وهـي ذكْـرها عـنـد الأنـيـسِ حـمـولُ

وسأل رجل أعرابياً عن مفازة فقال: صادفتها عانسة عذراء، فافترعتها بعيرانة[3] أدماء.

وقال الوزير الرئيس أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم

وبـهـماء مثلِ الوهْم عذراء أعرَضَتْ ... فقالتْ لنا نكْحا وقلْنا لها خطْب

● **المفازة الواسعة**

قال دعبل:

وفـضـاءٍ يـرجـعُ الـطَّـرفُ بـهِ ... قـبـلَ أن يـرجـعَ مـأواه الـبـصَـرْ

وقال ديك الجن:

يـا ربَّ خـرقٍ كـأنّ الـلُّـمّـةَ قـالَ لـه ... إذا طـوتْـك رقـابُ الـقـومِ فـانـتـشِـرِ

---

(1) المواغب: جمع اللاغب الضعيف.

(2) اللاحب: الطريق الواضح.

(3) العيرانة: الناقة.

وقال ذو الرمة:

دوٌّ ككف المشتري غير أنه ... بساط لأخفاف المراسل واسع

وقال:

مجهولةٌ تعتسُّ خطوَ الخاطي

وقال المتنبي:

مهالكُ لم يصحَبْ بها الذئبُ نفسَه ... ولا حملتْ فيها الغرابَ قوادمُه[1]

وقال:

مشتبهةُ المعالمِ واليَفاعِ

وقال المأموني:

وكأن السرابَ راحةُ داعٍ ... أو قطا ساجدٍ عليه ملاءْ

● المفازة الموصولة بالأخرى

وقال جابر بن حيي:

إذا زال رعنٌ عن يديها ونحرِها ... بدا رأسُ رعنٍ وارِدٍ متقدِّمِ[2]

وقال آخر:

إذا قطعنا علماً بدا علمْ[3]

● المفازة التي يلمعُ فيها الآل

وقال عدي بن الرقاع:

وإذا بدا علمٌ لهنّ كأنه ... في الآل حين يرى ذؤابةُ عالم

ووصف أبو النجم جبلاً في الآل فقال:

سائخٌ ماءهم بالرسوبِ

وقال المرقش في وصفه:

رؤوسُ رجالٍ في خليجٍ تغامس

وقال آخر:

كأن أعلامها في آلها القرع[4]

وقال آخر:

وقوض الآلِ ساحرةُ السراب

---

(١) القوادم: الريش الطويل في جناح الطائر.

(٢) الرعن: أنف الجبل. (٣) العلم: الجبل.

(٤) الآل: السراب ـ القرع: قطع السحاب الصغار المتفرقة، وصغار الإبل.

● المفازةُ التي تتخرقُ فيها الرّياح

حرق تتخرق فيه الرياح فتحسر طوراً وتلعب طوراً، وقال مسلم:

تمشي الرياحُ بها مرضى مولهةً ... حيرى تلوذُ بأطرافِ الجلاميدِ

وقال الموسوي:

توهمتْ عصفَ الريحِ بين خروجه ... يسيرُ إلى سمعي بسرٍّ يصمصم

● المفازةُ التي يعزفُ فيها الجان

قال الأعشى

وبلدة مثلِ ظهرِ الترسِ موحشةٍ ... للجنّ بالليلِ في حافاتها زجَلُ[1]

وقال آخر:

شياطينُها في أوجهِ القوم كُلَّحُ[2]

وقال حميد بن ثور:

وخرقٍ تحدثُ عيطاتُه ... حديثَ العذارى بأسرارِها

● المفازة التي تصيح فيها الأصداء

وقال رؤبة:

وبلدةٍ عاميةٍ أعماؤهْ ... قد صحت في ليلةٍ أصداؤه

داع دعا لم أدر ما دعاؤه

وقال المرقش الأكبر:

وتسمع تزقاءً من البوم حولنا ... كما ضربت بعد الهدوّ النواقسُ[3]

وقال ذو الرمّة:

يظلّ بها الحرباءُ للشمسِ ماثلاً ... على الجِذلِ إلا أنه لا يكبرُ

إذا حول الظلَّ العشيُّ رأيته ... حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصرُ[4]

وقال:

كأن يدَي حربائها متشمساً ... يد مذنبٍ يستغفرُ الله تائبُ

وقال المرار:

كأن حرباءها يصلي بتنّور

(١) الزجل: الجلبة والصوت المرتفع (٢) كُلَّح: عابسة مقطبة

(٣) النواقس: أي النواقيس، جمع ناقوس، والناقوس الجرس

(٤) الحنيف: المستقيم

وقال ابن المعتز:

كأن حرباءها والشمسُ تصهرُه ... صالٍ دنا من لهيبِ النار مقرورُ(١)

(٦)
ومما جاء في التغرب

●

● **حمدُ التغرّب والسَّفر**

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٢) **وقال النبي ﷺ** سافروا تغنموا، فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً.

وقال سافروا تصحوا **وقيل**: السعي جناح الجدّ والزماع(٣) أخو النجح. **وقيل**: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

وقيل: من لزم القرار سيم الصغار **وقيل**: شمّر ذيلاً وأدرع ليلاً اتخذ الليل جمل

وكان بشر بن الحارث **يقول لأصحابه**: سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا وقف تغيّر

● **الحث على الانتقال من مكانٍ نبا بصاحبه والتمدّح بذلك**

قيل: أوحش وطنك إذا كان في إيحاشه أنسك، واهجر منزلك إذا نبت(٤) عنه نفسك.

وقف بهلول على قوم من أهل الأدب فقال لهم: كيف ترون قول الشاعر؟

وإذا نبا بك منزلٌ فتحوّلِ

قالوا: جيّد، فضرط لهم وقال: إذا كان في حبس كيف يتحول؟ **قالوا**: فما عندك قال:

إذا كنتُ في دارٍ يهينُك أهلُها ... ولم تكُ مصنوعاً بها فتحوّلِ

وقال أبو دلف:

وإذا الديارُ تنكّرت عن حالِها ... فدعِ المقامَ وأسرعِ التحويلا
ليسَ المقامُ عليك فرضاً واجباً ... في موطنٍ يذرُ العزيزَ ذليلا(٥)

---

(١) **الصالي**: المستدفئ ـ **مقرور**: مرتجف من البرد.
(٢) **القرآن الكريم**: سورة الملك/ ١٥، **والنشور**: البعث، يوم القيامة
(٣) **الزماع**: العزم والمضاء في الأمر ... (٤) **نبت عنه نفسك**: جفته
(٥) **يذر**: يترك

وقال المتلمّس:

ولن يقيمَ على خسفٍ يُسامُ به ... إلا الأذلاّن عيرُ الحيّ والوتَدُ(١)

هذا على الخسفِ مربوطٌ برمّته ... وذا يشجّ فلا يُرثي له أحدُ(٢)

وقال قيس بن الحطيم:

وما بُغضُ الإقامةِ في ديارٍ ... يهانُ بها الفتى إلا بلاءُ

وقال حرب بن خباب:

إذا ما اجتوتْني بلدةٌ لم أكنْ بها ... نسيباً ولم تسدُدْ عليّ المطالعُ(٣)

وقال البحتري:

ومنْ عادتي والعجزُ من غيرِ عادتي ... متى لا أرحْ عن منزلِ الذلّ أُدلِجُ(٤)

وقال أبو فراس:

إذا لمْ أجِدْ من بلدةٍ ما أريدُه ... فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ

● مخالفة العذّال في الترحّل والنهيُ عن مخافة نزول الأجل

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب تعلقت به عاتكة وهي تبكي وتقول قاتل الله القائل:

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثنِ همّه ... حصانٌ عليها نظمُ درٍّ يزينها(٥)

وقال ابن جبلة:

وخافتْ على التطوافِ موتي وإنما ... تُصادُ غرارُ الوحشِ وهي رتوعُ

وقال بشّار:

يخافُ المنايا إن ترحلتُ صاحبي ... كأنّ المنايا في المقام مناسبُه

● كراهةُ إطالةِ الإقامة بمكان

قال أبو تمام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلِقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدّدِ(٦)

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... على النّاس إذ ليستْ عليهم بسرمدِ(٧)

---

(١) الخسف: الذل.
(٢) الرمة: القطعة من الحبل.
(٣) اجتوتني: كرهتني.
(٤) أدلج: الإدلاج: السير في آخر الليل.
(٥) الحصان: المرأة العفيفة ـ وقوله: لم يثن همه أي لم يضعف همته أو إرادته.
(٦) مخلق لديباجتيه: أي يبلي ديباجتيه ـ اغترب (هنا): أي هاجر.
(٧) ليست بسرمد: أي ليست دائمة الشروق.

وقال آخر:

السيفُ إن قرّ في الغمد صدأ

وقيل: الإغراب يعيد الجدّة ويفيد الجدة، إذا أخلقك الوطن جددك الظعنُ لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلّب:

وإنّ لزومَ قعرِ البيت موتٌ وإن السيرَ في الأرض النشورُ

● النهيُ عن الإقامةِ بمكانٍ مخصِبٍ فيه هوان

قال سعدُ بن ثابت:

ولسنا بمثلين دار هضيمة مخافة موت إن بنا نبت الدارُ[1]

وقال المتنبي:

وما منزلُ اللذات عندي بمنزلٍ إذا لم أُبجَّلْ عندَه وأكرم

● تأنّفُ من يلحقُه إذلالٌ فيعسرُ عليه الانتقال

قال شاعر:

أما لي في بلاد الله بابٌ يؤديني إلى سُبلِ النجاحِ

بلى في الأرض متسعٌ عريضٌ ويكفيني مشمخثٌ من البراح

وما يُغني العقابَ عيانُ صيدٍ إذا كان العقابُ بلا جناحِ

وقرىء على حائط بأسد آباد

حيرتُ بين عزيمتين كلاهما أمضى عليّ من شَباة سنانِ

همم تشوّقُني إلى طلبِ العلى وهوى يشوّقُني إلى الأوطانِ

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أعيى الجلاء عن العطن[2]

● إيثارُ اليسر في الغربة على العُسْر في الوطن

قيل: اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة. وقيل: إذا أيسرت فكل رحل رحلك، وإذا أعسرتَ اجتنبك أهلُك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة الغربة مع النجدة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.

---

(1) لسنا بمثلين: من أثلاه أي أحلاه. دار هضيمة: أي دار ظلم وغصب، والهضيمة أيضاً طعام يعمل للميت. نبت بنا الدار: جفتنا.

(2) العطن: مبرك الإبل.

وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللبّ تنزعُ للرفاعةِ نفسُه ... وترى الشقيّ تزوعُه للموطنِ[1]

وقال المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أهلُه لأدنَوْن غيرُ الأصادقِ

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقاً ببعض ستائر الخاصة، وهو يقول:

طلبُ المعاشِ مفرِّقٌ ... بينَ الأحبّةِ والوطَنْ
ومصيِّرٌ جلدَ الرجا ... لِ إلى الضراعةِ والوهَنْ
حتّى يقادَ كما يقا ... دُ المقرومي ثني الرسَنْ
ثم المنيةُ بعده ... فكأنّه ما لم يكنْ

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك فجاء معي فأكل وشرب وقال: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنتَ في أرض عزيزاً وإن نأَتْ ... فلا تكثرنْ منها نزاعاً إلى الوطنِ
فما هي إلا بلدةٌ مثلُ بلدةٍ ... وخيرُها ما كان عوناً على الزمنْ

فسرّي عنه وحياني مالاً جزيلاً.

● إيثارُ العسرِ في الوطن على اليُسْرِ في الغُربة

قيل: عسرك في وطنك أطيبُ من يسرك في غربتك. وقيل: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت. وقيل: احفظ بلدنا ريث. وقيل: بلدٌ أصبت فيه السلامة فلا تزايله[2].

وقال:

وإن اغترابي كي أنالَ معيشةً ... وفضلَ غنىً للوارثين خسارُ

● ذمّ الخروجِ عن الوطن

قيل الغربة ذلّة وكربة. وقد قال النبي ﷺ: من رضي بالذل فليس منّا. وقيل السفر سقر، ولكن غلط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك قيل: لولا فرحة الأوبة لعلمت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسّعاً ... ومعنى اسمه إن حقّقوه إسارُ

---

(1) تنزع نفسه: تحنّ وتشتاق.

(2) لا تزايله: لا تفارقه ولا تتركه إلى سواه.

وقيل: عذابان لا يعرف قدرهما إلا من بلي بهما، السفر الشاسع والعذاب الواسع، وقال:

وإن اغترابَ المرءِ من غير خلّةٍ ولا همّةٍ يسمو بها لعجيبُ

وقال مروان:

إذا ما جِمامُ المرءِ حُمّ ببلدةٍ دعته إليها حاجةٌ وتطرّبُ(١)

وقال البحتري:

وإن اغترابَ المرءِ في غير بغيةٍ يطالبُها من حيفِ دهرٍ يطالبُه(٢)

وقال الحسن رضي الله عنه في دعائه: اللهمّ إنا نعوذ بك أن نملّ معافاتك. فقيل له في ذلك، فقال: أن يكون الرجل في خفض فتدعوه نفسه إلى سفره، وقيل: ما دار من يشتاق إلى السفر بدار سلامة.

● ذمّ الإقامة في غير الأهل

قيل: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذلّ، وقال:

نصيبك من ذلّ إذا كنت جاليا

وقال:

إذا كنت في قومٍ ولم تكُ منهمُ فكُلْ ما علفت من خبيثٍ وطيّبِ

الغريب كالغرس الذي زيل عن أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لا يجدْ له على من له رهطٌ حواليه مغضبا
وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسئ يكن ما أساء النار في رأس كوكب

وقال:

ولم أر عزًّا لامرئٍ كعشيرةٍ ولم أر ذلاًّ مثلَ نأيٍ عنِ الأهلِ

وقال أبو عيينة:

وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهم فقلتُ لها لا علمَ لي فسلي القدَر
فيا سفراً أودى بلهوي ولذّتي ونغّصني عيشي علمتُك من سفر

وروي أنه رئي القاسم بن عبيد الله فقيل له: ما خبرك؟ فقال:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ النازح ماذا بنفسه صنعا(٣)
فارقَ أحبابه فما انتفعوا بالعيشِ من بعده وما انتفعا

---

(١) الجمام: الموت (٢) الحيف: الجور والظلم (٣) البلد النازح: البلد النائي البعيد

● الحث على إجمال المعاشرة في السَّفر

قيل: لا تحمدنّ امرأ حتى تجربه في معاملة أو سفر. وقيل: السفر ميزانُ القوم.

وقيل: سمّي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة.

وقال المطوي:

أكرمْ رفيقَك حتى ينقضي السفرُ   إنّ الذي أنتَ موليه سينتشرُ

ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا صَحَراً   إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجروا

وقال أبو دلف:

ومما يسكّنُ قلبَ الغريبِ   رفيقٌ تطيبُ به الصحبة

وأراد الحسن الحج فقال له ثابت: نصطحب، فقال: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت[1] عليه.

● الكثيرُ التقلّبِ في البلدان

مدح بعضهم رجلاً فقال: يذرع النيل ويستحقر السير، فيطل بموماة[2] ويمسي بغيرها:

أشيَّرُ في الآفاقِ من مَثَلِ

وقال البحتري:

تقاذفُ بي بلادٌ عن بلادٍ   كأنّي بينها خبرٌ شرودُ

وقال آخر:

وذاكَ تروكٌ لميراثِ المُمهّدِ

وقال أبو تمام:

خليفةُ الخضرِ من يربع على وطنٍ   في بلدةٍ فظهورُ العيسِ أوطاني

وقال آخر:

وأيّ بلادٍ لم تطأها ركائبي

● المُتشمِّر في السَّفر

قال زياد بن جميل:

مخدّمون ثقالٌ في مجالسهم   وفي الرّحالِ إذا صاحبتَهم خدمُ

وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيّدهم في الحضر، وقال شاعر:

وعبدٌ للصحابةِ غيرُ عبدِ

وقال هشام لرجل أراد سفراً: أخدم أصحابك وإيّاك أن تكونَ كلبَهم، فإن لكل رفقة

---

(١) تماقت عليه: تباغض بسببه.

(٢) الموماة: الفلاة الواسعة لا ماء فيها.

كلباً يبيح دونهم، وإن كان خيراً أشركوه وإن كان شراً تقلده دونهم.

● **مشاركةُ الرفيقِ في المركوبِ والزاد**

قال ابن مسعود: كنّا يوم بدر ثلاثة على بعير، وكان أمير المؤمنين وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ وإذا دارت عقبتهما. قالا: يا رسول الله إركب ونمشي عنك، فيقول: ما أنتما بأقوى منّي وما أغنى بالأجر منكما.

وقال حاتم:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا تدعْ ... رفيقك يمشي خلفَه غيرَ راكبِ

أنخْها وأردفه فإنْ حملتكما ... فذاكَ وإن كانَ العقابُ فعاقبِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي ظلّ ينسلُ خلفها ... وفي ناقتي فضلٌ فلا حملَتْ رجلي

ولمْ يكُ من زادي له مثل مزودي ... فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا رحلِ

● **حمْدُ الإيغالِ[1] في السّير والتبجّح به**

قيل لرجل: كيف كان سيرك؟ قال: كنت آكل الوجبة، وأعرس إذا أسحرت، وأرتحل إذا أسفرت، فأسير الموضع وأجتب الملمع، فجئتكم بمنّي سبع.

وسار ذكوان من مكة في يوم وليلة فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة فقال له أبو هريرة: حاج غير مقبول منه. فقال: لمه؟ فقال: لأنك نفرت قبل الزوال فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزوال؛ وحذيفة بن بدر أغار على هجاء بن المنذر بن ماء السماء فسار في ليلة مسير ثمان، وبه يقول قيس بن الخطيم:

هممْنا بالإقامةِ ثمّ سِرْنا ... مسيرَ حذيفةَ الخيْرِ بن بدْرِ

● **ذمّ الإيغالِ في السّير**

في الحديث: إنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وفي الحديث: خيرُ الأمور أوساطها. وشرّ السير الحقحقة.

قال المرار:

نقطعُ بالنّزولِ الأرضَ عنّا ... وبُعْدُ الأرض يقطعُه النزولُ

● **الشاحب اللون لسفره**

يقال: فلان رجيع سفر، ووقيد سهر، وقال المرار:

وغبره تهجير ركبٍ يلفّهم ... سمومٌ أتتْ دونَ العجائبِ تلفحُ[2]

---

(١) الإيغال: التوغل والإمعان في السير، ويقال أيضاً عند إعداد السير وفي السير أسرع وحث مطيته.

(٢) تلفح: تصيب الوجه وتحرقه.

وقال: نضوُ هوى بالٍ على نضوِ سفَر[1]

وقال آخر: أتـرك أنـقـاضـاً عـلـى أنـقـاص

وقال البحتري:

ردّ الهجيرُ لحاهُم بعد شعلتِهِ ... سوداً فعادُوا شباباً بعدَما اكتهلُوا

● من غلبه النعاس لإدامةِ السّرى

قال شاعر:

فلانٌ يجودُ من صباباتِه الكرَى ... سقاهُ السُّرى خمراً فصارَ به سكْرُ[2]

وقال كعب بن زهير[3]:

وأشعثُ رخوُ المنكِبَيْنِ بعثتُه ... وللنّومِ منه في العظامِ دبيبُ

وقال إسحاق:

ومـعـرِّسٍ نـبّـهـتُـه ... فـكـأنّـمـا نـبّـهـتُ فـهْـدا[4]

● قطعُ المفاوزِ بالّليل

وقال علي بن جبلة:

وليلٍ بعيدٍ صبحُه من مسائِهِ ... صدوحِ السّرى لا يستطيه هيوبُ

بتيتُ على أولاه أخراه فالتقى ... على العيسِ منه مطلعٌ ومغيبُ

وقال أعرابي جبت أودية الظلام وهجرت لذيذ المَنام، إلى أن وصلت إلى المرام،

وقال شاعر:

ونضوتُ سربالَ المفاوزِ بالسّرى ... وجعلتُ أرديةَ السُّرى سربالي[5]

وقال المتنبي:

وأسري في ظلامِ الليلِ وحدي ... كأنّي منه في قمَرٍ مُنيرِ

---

(1) النضو: السهم الذي فسد من كثرة ما رمي به والنضو الثوب البالي، والمهزول المجرّد من اللحم

(2) الصبابة: الولع الشديد ـ الكرى: النوم ـ السرى: السير في الليل

(3) كعب بن زهير: شاعر مخضرم، أدرك الإسلام عرّض بالإسلام، ثم جاء النبي وأسلم فصفح عنه، وهو صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مدح النبي ﷺ

(4) المعرس: المستريح من السفر قبل الارتحال

(5) نضوت: خلعت ـ سربال: لباس ـ المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة ـ الأردية: جمع رداء وهو الكساء

● **قطع المفاوزِ بالهاجِرَة**

قال أعرابي: خرجت في هاجرة كادت النفوس لها تلتهب، والحرابي من شمسها تصطلب. وقال النابغة:

إذا الشمسُ مجّتْ ريقَها بالكَلاكِلِ[1]

وقال علقمة

وقدْ علوتُ قتودَ الرحلِ يسفعُني … يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسمومُ
حامٍ كأنّ أوارَ الشمسِ شاملُه … دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ معمومُ[2]

● **من ألِفته السِّباع والمفاوز**

وقال تأبط شراً:

أبيتُ بمغنى الوحشِ حتّى ألِفتُه … وتصبحُ لا يحمي لها الدهرُ مرتَعاً

وقال أبو تمام

أنَسْ معَ السِّباعِ الماءَ حتّى … لَخالتْه السِّباعُ منَ السِّباعِ[3]

وقال المتنبي:

صحبتُ في الفلَواتِ الوحشَ مُنفرداً … حتّى تعجّبَ منّي القورُ والأكَمُ[4]

وقال الشنفرى:

ولي دونكم أهلونَ سِيدٌ عملّسٌ … وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ[5]

● **المهتدي بالنجوم والعارفُ المفاوزَ**

وقال بشّار:

وبهماءَ يستافُ الترابَ دليلُها … وليسَ له إلا اليَماني مخلقُ[6]
تجاوزتُها وحدي ولمْ أرهبِ الرّدى … دَليلي نجمٌ أو حوارٌ محلّقُ[7]

وقال حميد:

تيهاءَ لا يتخطّاها الدليلُ بها … إلا وناظرُه بالنجمِ معقودُ

---

(١) **الكلاكل:** جمع كلكل، وهو الصدر.
(٢) **الأوار:** شدة الحر ـ **الرأس المعموم:** المغطى بالعمامة
(٣) **خالته:** ظنته وحسبته.
(٤) **القور:** الجبل الصغير ـ **الأكم:** جمع أكمة، وهي المرتفع من الأرض
(٥) **العملس:** الذئب الخبيث ـ **الأرقط:** النمر، **والأرقط:** الأسود المشوب بنقط بياض، أو أبيض مشوب بنقط سواد ـ **الزهلول:** الأملس ـ **العرفاء:** الضبع الكثيرة الشعر ـ **الجيأل:** من أسماء الضبع.
(٦) **البهماء:** الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرقها ـ **اليماني:** السيف المنسوب إلى اليمن
(٧) **الحوار:** التجاوب في الكلام.

وقال تأبط شراً:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيسَ ويهتدي بحيثُ اهتدتْ أمّ النّجوم الشوابكِ

وقال آخر: ترى الليلَ كورا والمجرّةَ مقودا

وقال المتنبي:

وإنّي لنجْمٌ يهتدي صحبتي به إذا حالَ من دونِ النجومِ سحابُ

وقيل: فلان أدلّ من دعيميص[1] الرمل لأنه علم آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي ﷺ ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

● القادرُ على المشي

قال أعشى باهلة:

لا يغمزُ الساقَ من أينٍ ولا وصَبٍ ولا يعضّ على شرسوفه الصفرُ[2]

وقال:

تحسبني محجلاً سبط البها فبمن أبكي أن يظلَعَ الجملُ[3]

● المسرّة بالعودِ من السفرِ سالماً

قال ابن عيينة:

إذا نحنُ عدنا آيبينَ بأنفسٍ كرامٍ رجتْ أمراً فخابَ رجاؤها

فأنفسُنا خيرُ الغنيمةِ إنها تؤوبُ وفيها ماؤها وحياؤها

وقال:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[4]

وقال آخر: رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

● مسرةُ الراجعِ بقضاء الحاجة

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبةٌ بغير خيبة وقال آخر: غيبةٌ تفيد غِنًى وأوبةٌ تعقبُ منىً وقال أبو تمام

ما آبَ من آبَ لم يظفرْ بحاجته ولمْ يغبْ طالبٌ للنجحِ لم يخبِ

---

(١) الدعيميص: دودة سوداء.

(٢) الأين: التعب والإعياء - الوصب: الوجع - الشرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن.

(٣) ظلع يظلع الجمل: غمز في مشيه.

(٤) النوى: البعد، الوجه الذي يذهب فيه ويتويه المسافر - الإياب: العودة، الرجوع.

وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل: التمريخ[1] وقيل الحمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من قول القطامي:

وقد يهونُ على المستنجحِ العمَلُ

● الدعاءُ للمسافر

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وقال النبي ﷺ لرجل: اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير وقال: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهمّ أنتَ الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل والوطن.

(٧)

ومما جاء في الحنينِ إلى الأوطان

●

● رضى الناس بمسقط رأسهم

قال النبي ﷺ: لولا حب الوطن لخربت بلاد السوء. وقيل: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. وقيل لأعرابي: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

● فضلُ محبة الوطَن

روي في الخبر: حبّ الوطن من طيب المولد. وقال أبو عمرو بن العلاء: مما يدلّ على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها توّاقة. وسمع أبو دلف رجلاً ينشد:

ألقَى بكلّ بلادٍ إن حللتُ بها ... ناساً بناسٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى الأهل.

● الحثّ على صيانةِ مسقط الرأس

قيل: لا تجفُ بلداً فيه قوابلك، وأرضاً نسكها[2] قبائلك. وقيل: إحفظ بلداً

---

(١) التمريخ: مصدر مرّخ جسده: أي دهنه. (٢) نسكها: تقيم فيها.

رشحك عداؤه وأرع حمى أكلك[1] ماؤه وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

● حبّ مسقطِ الرأسِ وصعوبةُ مفارقته

قال حفص الطائي رأيتُ جارية تقود عنزاً فقلت يا جارية أيّ البلاد أحب إليك؟ فقالت

أحـبُّ بـلاد الله مـا بـيـن مـنـعـج إليّ، وسلمى إن تصوبَ سحابُها

بـلاد بـهـا نـيـطـت عـلـيّ تـمـائـمـي وأول أرض مسّ جلدي ترابها[2]

وقال ابن الرومي:

ولـي وطـنٌ آلـيـتُ أن لا أبـيـعـه ولا أن أرى غيري له الدهرَ مالِكا[3]

عـهـدتُ بـه شرخَ الـشـبـاب ونـعـمـةً كنعمة قوم أصبحوا في ظلالِكا[4]

فـقـدْ ألـفـتـه الـنـفـسُ حـتـى كـأنـه لـهـا جـسـدٌ إن بـان غـودرَ هـالِكـا

وحـبّـبَ أوطـانَ الـرجـالِ إلـيـهـم مـآربُ قـضـاهـا الـشـبـابُ هـنـالـكـا

إذا ذكـروا أوطـانـهـم ذكـرتـهـم عـهـودُ الـصّـبـا فـيـهـا فـحـنـوا لـذلِـكـا

وقال آخر:

وكـلّ نـفـس تـحـت مـحـيـاهـا

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[5] الآية وقال الشريف الموسوي

وفي الوطنِ المألوفِ للناس لذةٌ وإن لم ينلْنا العزّ إلا التنقلُ

● المستشفي بتراب أرضه وريحها

لما أسر سابور[6] ببلد الروم قالت له بنت الملك، وكان قد مرض وعشقته، ما تشتهي؟ قال. شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر[7]. فحملا إليه فبرأ واعتلّ أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟ قال: حسل[8] فلاة وحسي قلاة

وكان من عادة العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها فتنشقه عند نزلة أو صداع

● من تشوّق مكان إلفه بعدما كرهه

قال بعضهم:

ألـفـنـا ديـاراً لـم تـكـن مـن ديـارنـا ومـن يـتـألـف بـالـكـرامـة يـألـف

---

(1) أكلك: مترك

(2) نيطت تمائمي: علقت والتمائم جمع تميمة، وهي الخرز أو التعويذة التي تعلق لدفع الروح الشريرة

(3) آليت. أقسمت وأخذت عهداً

(4) شرخ الشباب: ريعانه وأوّله

(5) القرآن الكريم النساء/ ٦٥.

(6) سابور من ملوك الفرس.

(7) اصطخر: مدينة في إيران

(8) الحسل: ولد الضب.

وقال:

نزلنا مكرهين بها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حبُّ البلاد بنا ولكن ... أمرُّ العيش فرقةُ من هوينا

● الحنينُ إلى البادية والتبرّم بالحاضرة

قال بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول

بلغتُ إلى حلوان والقلبُ نازعٌ ... إلى أهلِ نجد أين حلوانُ من نجدِ
لجنجاثُ أرض حين يضربه الندى ... أحب وأشهى عندنا من جنى الوردِ[1]

قيل لزينب أم حسانة الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر أما ترين حسن هذا المكان؟ فأطرقت ساعة وقالت

أقولُ لأدنى صاحبي أسرّه ... وللعين دمعٌ يحدر الكحلَ ساكبُه[2]
أحبّ إلينا من صهاريج ملئت ... نلعب ولم تملح إليّ ملاعبُه[3]
فيا حبّذا نجدٌ وطيبُ هوائه ... د، أهضبَتْه بالعشيّ هواضبُه[4]
وريحُ صبا نجدٍ إذا ما تنسّمتُه ... ضحىً وسرت جنح الظلام جنائبُه[5]
فأقسمُ لا أنساه ما دمت حيّاً ... وما دام ليلٌ عن نهارٍ يعاقبُه
ولا زالَ هذا القلبُ مسقيّ لوعةٍ ... بذكراه حتى يترك الماء شاربُه

● الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه

وقال لرجل من بني طهم.

أحنّ إلى نجدٍ وإني لآيسٌ ... طوالَ الليالي من قفولٍ إلى نجدِ

وقال:

يقرّ بعيني أن أرى رملَة الغضا

وقال آخر:

فلستُ وإن أحببتُ منْ يسكنُ الغضَا ... بأولِ راجٍ راحة لا ينالُها

وقال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوَى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مُغرِبُ[6]

---

(١) الجنجاث: لعلها الجثيث وهو فسيل النخل ـ الندى: المطر.
(٢) يحدر الكحل: يسيله ويجعله ينحدر. (٣) الصهاريج: أحواض الماء.
(٤) أهضبته الهواضب: نزلت فيه الأمطار أو دفعت المطر.
(٥) الصبا: ريح لينة مهبّها من جهة الشرق ـ الجنائب: جمع جنيبة وهي الشريحة من اللحم.
(٦) عنقاء مغرب: العنقاء طائر لم يوجد، وقوله: عنقاء مغرب كناية عن استحالة الشيء وبطلانه.

● حمد سكون البادية وذمّه

وقال شاعر:

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأيّ أناس بادية ترانا

وقال ﷺ: من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن.

(٨)
وممّا جاء في النيران

●

● ماهية النار

قال النظّام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران متضادان والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحرّ لا للضياء.

وقال: النار مكنة في الأشياء كلّها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرّها ولم نجدها مصيبة فلأن حرّ النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشدّ كالصاعقة.

● منفعة النار

قيل: من أكبر المواعين الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾[1] (الآية) وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي وقد جعله الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم ناراً، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرّى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضرّ وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شمعاً[2] فصعدوا بها جبلاً وأوقدوها ناراً وضجوا بالدعاء.

وناراً كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان وناراً كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وجمة أقوام حملت ولم أكن ... لأوقد ناراً خلفهم للتندّم

---

(١) القرآن الكريم: يس/ ٨٠.

(٢) شمعاً: الشمع زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

● **حسنُ النار ووصفُها**

إذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا: ما هو إلا نار موقدة. وقالت امرأة: أنا والله أحسنُ من النار الموقدة. وقال قدامة في وصف الذهب: شعاعٌ مركوم ونسيم معقود.

ونظر مجوسيّ في مجلس الصاحب إلى لهيب نار فقال: ما أشرقها! فقال الصاحب: ما أشرقه وقوداً وأخسأه معبوداً. الناس:

ما ترى النارَ كيفَ أسقمَها القرُّ ... فأضحت تخضر رماناً وتصفرُّ
وبدا الجمرُ والرمادُ عليها ... في قميصَيْن مذهب ومعنبَرْ

وقال أحمد بن الضحاك:

كأنما النارُ حينَ ترمُقُها ... وجمرُها من رمادها يُحجَبُ
وجنةُ عذراء مسَّها خجلٌ ... فالتهبَتْ تحت عنبرٍ أشهبْ

وقال الصاحب: الاصطلاء طيب عند الامتلاء[1]

وقال شاعر:

وشعثاء غبراء الفروع منيعة ... بها توصفُ الحسناء أو هي أجملُ
دعوتُ بها أبناء ليلٍ كأنهم ... إذا أبصروها معطشون قد أنهلوا

وقال الجريمي:

نارٌ كهادي الشقراء نامرةٌ ... تركضُ من حولها أشافرُها

● **النيرانُ التي جعلَها اللهُ تعالى آيةً**

كانت بنو إسرائيل إذا قرّب أحدهُم قرباناً مخلصاً لله، نزلت نار فتأكله ومتى لم تنزل النار وبقي القربان على حالته دلّ على أن صاحبه مدخول النيّة. وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾[2] (الآية) وقيل إن الحجّاج لما جنّق[3] الكعبة جاءت نار فوقعت في المنجنيق فأحرقته فامتنع أصحابه من الرمي، فقال الحجاج: إن هذه نار القربان دلّت على أن عملكم متقبّل. ومن ذلك، النار التي قصدها موسى فكانت سبب نبوّته[4] ومنه نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً[5] ومنه نار الحرّتين[6] وذلك أنه ظهر

---

(١) **عند الامتلاء**: أي عند الشبع وامتلاء البطن أو المعدة بالطعام.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٨٩.

(٣) **جنّق الكعبة**: ضربها بالمنجنيق.

(٤) **قوله**: النار التي قصدها موسى، إشارة إلى الآية رقم ١٠ التي وردت في سورة طه ونصّها **﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس﴾**

(٥) **قوله**: نار إبراهيم إشارة إلى الآية الكريمة **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** [الأنبياء: ٦٩]

(٦) **نار الحرتين**: الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار.

في حرة بلاد بني عبس نار تسطع بالليل و بنهار، ويظهر دخانها بالنهار، وكانت طيء تنفش فيها الإبل من مسيرة ثلاث. وربما بدرت منه عنق فتحرق ما تأتي عليه، فبعث الله خالد بن سنان وهو أول ولد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن في أولاده غيره فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها فيه والناس ينظرون، وهو يقول. كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وجبيني يندى. ثم لما حضرته الوفاة قال إذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فلما حضروا بعد الثلاث ورأوا العير، احتلفوا قال ابنه: لا أفعل إني أدعى إذاً ابن المنبوش. وقدمت ابنته على النبي ﷺ فقال: هذه بنت نبيّ ضيّعه قومه، وبسط لها رداءه. وقيل: سمعت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة والمتكلمون[1] ينكرون ذلك. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ﴾ وخالد كان من العمد بين أعرابياً من أهل الوبر. وما بعث الله نبياً قط إلا من أهل القرى وسكان المدن.

● **النيرانُ المعبودةُ المعظّمة**

أما النار العلوية فقد عُبدت. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2] وقد يجيء في الأثر وسنة بعض الأنبياء تعظيماً على جهة المحنة وإيجاب الشكر على النعمة.

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم وقال: لا تطفئوا النيران من بيوتي وأما المجوس فقد جاوزوا الحدّ حتى اتخذوا لها البيوت والسدنة[3] والوقوف[4] الكثيرة.

● **نيران كانوا يوقدونها في أوقاتٍ مختلفة**

إذا أرادوا حرباً وقصدوا جمعاً، يوقدون ناراً عظيمة يجعلونها أمارة[5] لاجتماعهم، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ غداة أوقِدَ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا[6]

وقال الفرزدق:

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا ... نارَيْن أشرفتا على النيرانِ

---

(١) **المتكلمون**: علماء الكلام الذين يدافعون عن قضايا الدين بالأدلّة العقليّة.

(٢) **القرآن الكريم**: النمل/ ٢٤

(٣) **السدنة**: خدم الكعبة أو خدم بيت صنم، جمع سادن.

(٤) **الوقوف**: جمع وقف وهو حبس العين على ملك الواقف، أو على ملك الله والتصدّق بالمنفعة

(٥) **الأمارة**: العلامة

(٦) **خزازى**: أي يوم خزازى وهو من أيام العرب

ومنها النار التي يوقدونها ليحبروا بها الظباء بالليل ويهوّلوا على الأسد إذا حدق إليها.

● **ما يتراءى من النيران ولا حقيقة لها**

يحكى أن السعالي[1] توقد ناراً حوالي الإنسان تحوّفهم بها.

قال عبيد الأبرص:

لـلّـه درّ الـغـول أي رفـيـقـة ... لصـاحب قـفـر خـائـف متـقـتـر
أرنّـت بلحن فوق لحنٍ وأبـعـدث ... حـوالـي نـيـرانـاً تـبـوخ وتـزهـر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران. ونار البرق وكل نار تحرق العود لا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار اليراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمع لها لمع ينص[2] ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول أكذب من يلمع.

● **أنواعٌ مختلفة من ذلك**

قال بعضهم:

كـأنّ نيـرانـنـا في جنب قلعتهم ... مـصـقّـلات عـلـى أرسـان قـصـار

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز

مـا كـانَ قـدر حـريـق إن سـنـيـتُ لـه ... وكـلّـنـا قـلـقُ الأحـشـاء حـرّانُ
تـفـاءلَ الـنـاس واشـتـدتْ ظـنـونُـهـم ... والـمـالُ مـنـه لـبـعـض الـنـاس تـبـيـانُ
وأيقـنـوا أنّ تـنـويـر الـحـريـق هـو الـنـ ... ـيـا تـمـلـكـهـا والـنّـارُ سُـلـطـانُ

وقال بعض الحكماء: النيران أربع. نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة، ونار تأكل ولا تشرب النار الموقدة، ونار تشرب ولا تأكل، وهي نار الشجر، ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الحجر.

● **مدحُ السراج**

قال النبي ﷺ: المصباحُ مطردة للشيطان، مذبة[3] للهوام مدفعة[4] للصوص.

وقال النابغة.

ولا يضلّ على مصباحها الساري

---

(١) **السعالي**: جمع سعلاة وهي أنثى الغول. (٢) **ينص**: يسيل قليلاً أو يرشح

(٣) **المذبة**: ما يذبّ أي يمنع به الذباب، جمع مذبات ومذاب.

(٤) **المدفعة**: ما يدفع به اللصوص.

يضرب ذلك مثلاً للمصباح المضيء

● الزّند

قالت العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وقيل: أرح يديك واسترح إن الزناد مرح.

وقال ذو الرمة وقد الغز:

وسقط كعين الديك عاودت صاحبي ... أباه وهيأنا بالموضعه وكرا
مشهرة لا تمكن الفحل أمها ... إذا هي لم تمسك بأطرافها قسرا
أخوها أبوها والصوى لا يضيرها ... وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا

وقال الأعشى

ولو بت تقدح في ظلمة ... حصاة بنبع لا ورنت نارا

وقال آخر

وزندك أفضل أزنادها

● الدّخان

يقال دواخن تصب ودخان الرمث. وقال في صفة ذئب:

كأن دخان الرمث خالط لونه

وقال الراعي

كدخان مرتجل بأعلى تلعة ... غرثان ضرم عرفجاً مبلولا[1]

والمرتجل الذي يطبخ رجل جراد أي جماعتها.

---

(1) التلعة: ما علا من الأرض. العرفج: نبات سهلي

الحدّ الثالث والعشرون

في الملَك والجنّ

•

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ليس من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة. وعن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والمقسمات أمراً﴾ قال: الملائكة ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء. وعن مسلم عن مسروق ﴿وَالنَّزِعَٰتِ غَرْقًا﴾. قال: هي الملائكة. وعن الحكم وما ننزله إلا بقدر معلوم.

قال: يعني أنه ينزل مع المطر أكثر من ولد آدم وولد إدريس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات.

وعن العلاء بن عبد الحكم عن ابن سابط في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. ووكل به ثلاثة من الملائكة يحفظونه: فوكل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكّل جبريل بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكّله أيضاً بالنصر عند القتال.

ووكّل ميكائيل بالحفظ والقطر[2] ونبات الأرض. ووكّل عزرائيل بقبض الأرواح فإذا ذهب الله بالدنيا جمع بين حفظهم وبين ما في أمّ الكتاب فيجدونه سواء.

وعن ابن عباس ويتلوه شاهد منه جبريل وعن النبي ﷺ أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وعن الربيع ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ قال: جبريل، وهو بالأفق الأعلى، قال: ﴿بالسماء الأعلى﴾ يعني جبريل، ثم ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني جبريل، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾. قال على لسان جبريل. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني جبريل رآه في صورته وعن النبي ﷺ أنه قال: الروحُ الأمين جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس.

عن ابن شبابة، قال: يدبر الأمر أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

---

(١) القرآن الكريم: الزخرف/ ٤.

(٢) القطر: المطر.

فجبريل على الريح والجنود، وميكائيل على القطر والنبات، وملك الموت على قبض الأرواح وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به.

وعنه ﷺ أنه قال لجبريل لم أر ميكائيل ضاحكاً قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.

عن عليّ بن أبي طالب في قوله يسألونك عن الروح، قال: ملك له سبعون ألف وجه فيها سبعون ألف لسان لكل لسان منه سبعون ألف لغة يسبّح الله بكل اللغات.

عن ابن عبّاس قال: أتى نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ قال: جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأرجل يأكلون الطعام. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰئِكَةُ صَفًّا﴾[1] قال هؤلاء جند وهؤلاء جند. وعن الأعمش قال: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ﴾ قال: هم الملائكة.

(١)
وممّا جاءَ في إبليس والجِنّ

● **حقيقةُ الجِنّ**

الجنّ من الخلق التي لطفت أجسادها، ويشهد لحقيقته القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وذكر بعض الفلاسفة ممن لا يثبت القديم أن لا حقيقة للجن والملائكة.

● **بعضُ التحذير الواردِ في الشريعة من الشيطان**

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وذلك في آيات كثيرة. وقال ﷺ: خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، وأكفتوا صبيانكم، فإن للشيطان انتشاراً وخطفة.

وقال ﷺ: لا تشربوا من ثلمة[3] الإناء فإنها كفل الشيطان.

● **رجْمُ الشياطين**

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[5].

---

(١) القرآن الكريم: النبأ/ ٣٨.
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٩٨.
(٣) الثلمة: محلّ الكسر، الخلل.
(٤) القرآن الكريم: الملك/ ٥.
(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ٦.

وحكى الله تعالى عنهم أنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً (الآيات) وكان الشياطين يتسمعون ما يوحونه إلى أوليائهم. وقد زعم بعض الناس أن الله تعالى جعل الرجوم حجة لنبيه ﷺ وقال قوم ليس كذلك. فقد قال بشر:

فجالَ على نفْر كمَا انقضَّ كوكبٌ ... وقد حالَ دون النقْعِ والنقْعُ يسطعُ[1]

وقال أمية بن أبي الصلت:

وترى شياطينا تروغُ مضافةً ... ورواغُها صـر إذا ما تطـردُ[2]

تلْقَى عليها في السّماءِ مذلّةً ... وكواكبُ تُرمى بها فتعـردُ

● صرْعُ الجنِّ للإنسانِ وغيره

عندهم أن الجن يصرع الإنسان لحنه له. وقيل: إن فتى قبيحاً خطب جارية مليحة فقال لها: ما في الدنيا أملح مني. فجاء إلى بابه يوماً فتى ظريف يطلبه فتطلّعت فرأته فلما عاد قالت له: ألم تقل إن ما في الدنيا أحسن منك؟ وقد جاء فلان يطلبك فرأيته أملح منك. فقال الرجل. يريد أن يقبحه في عينها: هو مليح لكن له جنية تصرعه كل شهر مرة. فقالت: لو كنت جنيته لصرعته القيء.

واستدل على أن نتيجة الصرع من الجنّ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[3] وقالوا في بعير مجنون: إنه لا يرى ما لا ترى الإبل. وقالوا: قد يجي الجن. وينشد لدعليج الحكم

وكيف يفيقُ الدهر كعب بنَ ناشب ... وشيطانُه عند الأهلّةِ يصرعُ

● تصوّرُ الجنِ للإنسان بصور

تزعم العامة أن الجنّ تتصور بأي صورة تشاء، إلا الغول[4] فإنها تتصور في صورة امرأة، إلا رجليها فإنهما لا بد وإن يكونا رجلي حمار. وقاسوا ذلك بتصوير جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي، وتصوّر إبليس بصورة سراقة بن مالك، وبصورة الشيخ النجدي.

والغول تتصور للإنسان فتغوله أي تهلكه، ويقولون من ضربها ضربة قتلها. وإذا زيدت لم تمت ولو ضربت ألوفا. قال شاعر:

فقالتْ زدْ فقلْتُ رويدَ أني ... على أمثالِها ثبتُ الجَنانِ

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) الرواغ: مصدر راغ يروغ، أي حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا.

(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٥.

(٤) الغول: حيوان لا وجود له.

● من ادّعى أنه قتله الجنّ

قالوا: خرج علقمة بن صفوان في الجاهلية يريد مالاً على حمار ومعه سوط في ليلة، فإذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول:

علقم إنك مقتول وإن لحمك مأكول

فقال علقمة: شق مالي ولك تقتل من لا يقتلك أغمد عنّي منصلك. فتواثبه وضرب كل واحد صاحبه فخرّا ميتين. وقالوا: إن الجن قتلت حرب بن أمية، وفيه قالت الجنّ:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

وقتلت سعد بن عبادة وقالت:

قد قتلنا سيّد الخزرج سعدَ بن عباده[1]
ورميناه بسهمين فلم نخطِ فؤاده

● من ادّعى أنه قتلَ الجنّ

من ذلك ما روي أن تأبط شراً قتل غولاً، وعاد إلى قومه وقد تأبط رأسه، فقيل: تأبط شراً. وروي أن عمر رضي الله عنه صرع جنّياً.

● ما نسبَ إليهم من الداء

قالوا: الطاعون من الجنّ وسمّي رماح الجن، قال:

ولكنّي خشيتُ على أبي رماح الجنّ أو إياكَ جاري

● الإستجارةُ بالجنّ

كانت العرب إذا صار أحدهم في تيه من الأرض وخاف الجنّ يقول، رافعاً صوته، أنا مستجير بسيّد هذا الوادي ويصير له بذلك حمارة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾[2] الآية.

● رئيّ الشعراء

ادّعى كثير من فحول الشعراء أنّ له رئياً يقول الشعر بفيه، وله إسم معروف من ذلك مسحل شيطان الأعشى وفيه يقول:

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعوا له جهنام جدعاً للهجين المذمّمِ

---

(١) الخزرج: قبيلة يمنية، وهي مثل الأوس من أصل واحد وقد رحلوا جميعاً من جنوبي جزيرة العرب إلى المدينة المنوّرة بعد خراب سدّ مأرب.

(٢) القرآن الكريم: الجن/٦.

وذكر أن خال مسحل هميم شيطان الفرزدق قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر   شيطانُه أنثى وشيطاني ذكر

وقال آخر:

إنّي وإن كنتُ صغيراً سنّي   فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

● **رؤية الجنّ وسماعُهم وصحبتُهم**

روي أن ابن علاثة قضى بين الجنّ في دم. وقال ابن الأعرابي: نزلت بأعرابي فاستطبت ماءه فسألت عن مكانهم. فقال: هو كثير الجان. فقلت: أو ترونهم؟ قال: نعم مكانهم في ذلك الجبل وأومأ بيده إلى جبل يقال له سواج.

وقد ادعى عدّة من العرب أنهم رأوا خياماً وناساً ثم فقدوهم من ساعتهم، قال ذو الرمّة:

للجنّ باللّيلِ في غيطانِها زَجَلٌ   كما تناوحَ يوم الريحِ عيشومُ[1]

وقال:

ورملٌ عزيفُ الجنّ في عقداته   هزيزٌ كتضراب المغنّين بالطبْلِ[2]

ولا تتحاشى العرب من سماع الهاتف وذلك كثير. وقالوا: دويّ الفيافي عزيف الجن. وأصل ذلك أن من سكن الفيافي وتوحّش وقلّت أشغاله ربما يتوسوس، فيتصور الصغير كبيراً ويتفرق ذهنه ثم يجعل ما يتصوره أحاديث يحكيها. قال عبيد بن أيوب:

أخو فقرات حالفَ الجن واتقى   من الإنس حتى قد تقضّتْ وسائله

● **من ادّعى أنه تجيبُه الجنّ**

يقال: فلان محذوم إذا كان إذا عزم[3] على الجنّ أجابوه. فمنهم عبد الله بن هلال الحميري صديق إبليس، وكرباس الهندي وصالح الديبري.

وقالوا: من أراد أن يصحبه الجن فليتبخر باللبان ويراعي سير المشتري[4] ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات.

وقالوا إذا آخى الجنيّ إنسياً أخبره ووجد حسه ورأى خياله.

ومنهم الكهان نحو جارية جهينة وكاهنة باهلة وشق وسطيح. والعرّاف دون الكاهن.

● **من استهوته الجنّ**

قالت العرب: استهوت الجنّ سنان بن أبي حارثة يستفحلونه فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر قط. وعمرو بن عدي اللخميّ ثم ردّوه إلى جذيمة

---

(١) الزجل: عزيف الجن ـ العيشوم: نبت يتخشخش إذا هبّت عليه الريح.

(٢) عقدات الرمل: ما تعقد وتراكم من الرمل ـ الهزيز: دوي الريح وصوت الرعد.

(٣) عزم على الجن: أي قرأ العزائم واحدتها عزيمة وهي الرقية، والمعزّم: الراقي.

(٤) المشتري: نجم من السيّارات.

الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله فصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجنّ ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل فقيل: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استخبر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟ قال: الفول. وقيل الرمّة وما لم يذكر اسم الله عليه.

● من ادّعى أنه من ولد الجنّ

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحوي أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقاً يلمع من نحو ديارهم حنّت فطارت إليهم، وفيهم قال الشاعر:

يا قاتل الله بني السعلاةِ عمراً وقابوساً شرار النات

أي الناس. وذكروا أن جرهماً من ولد الملائكة. واستدل على صحة تنسل الجن من الأنس بقوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[1] وقوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[2]

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان.

● مساكنُ الجنّ

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة وبار، كما أهلك طسماً وجديساً وعاداً وثموداً، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان غالط حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي نكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل لم أر عبقرياً مثله.

● مراكبُ الجنّ

ادعوا أن الجنّ يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذ جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل[3] وأنشدوا للجن:

وكلّ المطايا قد ركبنا فلم نجدْ ألذّ وأشهى من ركوب الجنادبِ

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤.
(٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥٦ و٧٤.
(٣) الورل: من الزواحف على خلقة الضب وهو طويل الذنب ودقيقه.

ولـمْ أرَ فـيـهـا غـيـرَ قـنـفـذ بـرقـة ... يـقـودُ قـطـاراً مـن عـظـيـم الـعـنـاكـبِ

وقالوا من قتل من أول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتراه غمّ أو مرض في ماله وأهله، حكموا بأن ذلك عقوبة من قتلهم.

● **ما نسبَ فعلُه إلى الجنّ**

نسب كثير من الناس أبنية محكمة إلى الجن واستدلوا على أنهم كانوا يبنون، بقول الله تعالى فيهم ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾(١) وقال النابغة:

وخـيّـس الـجـنّ إنـي قـد أذنـتُ لـهـم ... يـبـنـون تـدمـرَ بـالـصـفّـاح والـعـمَـدِ(٢)

وقالوا للمأثور من السيوف عملته الجن. **وقالوا** في الإبل فيها عرقاء من سفاد الجن حتى قالوا الحوشية من نسل حوش وهي إبل الجن. **والمهرية** منسوبة إلى فحل لهم وذهبوا إلى أن النبي ﷺ كره الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. **وقال الجاحظ** جهلوا مجاز الكلام فحملوا اللفظ على غير جهته

---

(١) القرآن الكريم: ص/ ٣٧.

(٢) خيّس: أي ذلّل ـ تدمر: بلدة بالشام بناها سليمان الحكيم ـ **الصفّاح**: الحجارة العراض الرقاق ـ **العمد**: السواري من الرخام وهي الأساطين جمع أسطوانة

الحدّ الرابع والعشرون

في الحيوانات

•

(١)
فيما جاء في الخيل والبغال والحمير

•

قال الله تعالى ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[١] وقال خالد بن صفوان: الخيل للإيغال[٢] والبغال للجمال، والحمير للأحمال.

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: الجفاء مع أذناب الإبل والمذلّة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعزّ في نواصي الخيل.

● وصفُ البغل مدحاً وذماً والاعتذار لركوبه

قال شاعر في مدحه:

الـبـغـلُ فـيـه لـمَـنْ يُـمـارسُـه ... صـبـرُ الـحـمـار وقـوةُ الـفـرس

وقال البحتري:

وأقـبَّ يـهْـد لـلـصـواهـل شـطـرُه ... يـومَ الـفـخـار وشـطـرُه لـلـمِـسْـحَـجِ[٣]

خـرقٌ يـتـيـهُ عـلـى أبـيـه ويـدّعـى ... عـصـبـيـة لابـنِ الـصـلـيـبِ وأعـوجِ

مـثـل الـمـدرع جـاء بـيـن عـمـومـةٍ ... فـي عـاتـقٍ وخـؤولـةٍ فـي الـخـزرجِ

وقيل: ما من شيء بين جنسين أخذ منهما الشبه على السواء كالبغل. وسئل بعضهم: على أي مركب كنت في الطريق؟ فقال: على التي بين الحمار والبغل.

وروي أنه وقع بين حيّين منازعة، فخرجت عائشة رضي الله عنها، وقالت: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما، فقال ابن أبي عتيق: ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل كيف توقعينا بهم يوم البغلة؟ قال الجاحظ: وهذا الحديث من توليد الروافض. فأما عائشة فكل

---

(١) القرآن الكريم. النحل/ ٨.

(٢) الإيغال: مصدر أوغل في كذا أدخله فيه، وفي السير أسرع.

(٣) الأقبّ (من الخيل): الضامر البطن والدقيق الخصر ـ النهد: البارز أو العالي الصهوة ـ المسحج: كل ما يجري دون الجري الشديد من الدواب.

أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب وأي شيء يتعاظم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب ثم لا يعرف خبره

وقال بعضهم في تفضيل الإناث منها:

عليكَ بالبغلةِ دونَ البغلِ ... مركبِ قاضٍ وإمامِ عدلِ
وعالمٍ وسيّدٍ وكهلِ ... تصلحُ للوحلِ وغيرِ الوحلِ

ويضرب به المثل في تلوّن أخلاقه. قال الشاعر:

خلقٌ جديدٌ كلّ يو ... مٍ مثلُ أخلاقِ البغالِ

وقال آخر.

متلوّنٌ كتلوّنِ البغلِ

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فاستنكر ذلك، وقال: أتركب دابة إن طلبت عليها لم تلحق وإن طلبت لم تسبق؟ فقال: لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب فوقها دابة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلّة الحمير وخير الأمور أوساطها.

● وصفُ الحمار مدحاً وذمّاً

وصفَ الفضلُ بن عيسى الحمارَ فقال: هو أقرب الدواب داء وأكثرها دواء وأكبرها جماحاً، أنعص مهوى وأقرب مرتقى، لقد شرجيع راكبه. ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهرياً وفرساً عربياً، لكنه ركب الحمار أربعين سنة. وعارضه أعرابي، فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث لا ترقأ به الدماء ولا تمهر[1] به النساء ولا يهدى به الإناء.

ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة، فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم.

وقرّب إلى أبي لجيم حمار له ليركبه وهو والي البصرة، فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله أيها الأمير من ركوبه فإنه عير، والعير عار وشنار منكر الصوت بعيد الفوت متعرق الصحل، متورط في الوحل سائره، مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم. أمصله فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك فعاد عليه راكباً. فلما بصر به، قال: ما هذا؟ قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج[2] القوائم يحمل الرجل ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جباراً.

وقيل: شر المال مالاً يزكى ولا يذكى يعني الحمير، لأنها لا تجب الزكاة في سائمتها

---

(١) تمهر به النساء: أي يعطى مهراً لهن.

(٢) المحملج: من حملج الحبل إذا فتله فتلاً شديداً.

وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعياة: إبعث إليّ بشر الطعام على شرّ الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبناً على حمار مع حوري.

وقيل: اصبر على الذلّ من الحمار. ويضرب تمثل به في الصوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1] وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عشرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمارَ معَ الحمار مطيّة ... وإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كبر كان أذلّ لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلساً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قصيمه؟ فأنشأ يقول:

لا تنكرني على حمار ... يضيعُ في مثله الشعيرُ
وكيفَ لا يمتطي حماراً ... منْ جُلُّ إخوانهِ حميرُ

وقال:

ولا عنْ رضا كان الحمارُ مطيتي ... ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركب

(٢)

فضل الفرس

■

قال الله تعالى في الامتنان به ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ومن فضيلته أن النبي ﷺ أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهماً. وقال ﷺ: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرىء القيس:

الخيرُ ما طلعت شمسٌ وما غربتْ ... معلّق بنواصي الخيل معصوبُ

ويروى أن النبي ﷺ أمرغ فرساً له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذ، ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحيّ شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب[3] عن عرضك، وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.

(١) القرآن الكريم: لقمان/١٩.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/٦١.
(٣) ذبّ عن: دافع، والعرض: كل ما يحامى عنه.

وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي

وعرض الحجاج أفراساً وجواري وبين يديه أعرابي فخيّره بين فرس وجارية، فقال

لَصَلصلةُ اللجامِ برأسِ طِرْفٍ   أحبّ إليّ من أن تنكحيني
أخافُ إذا حللنا في مضيقٍ   وجدّ الركضُ أن لا تحمليني(١)

● الحثّ على إيثاره والإحسان إليه، والتمدحُ بذلك

قال النبي ﷺ: من قدر على ثمن دابة فيشترها، فإنه تعينه على رزقه وتأتيه برزقها.

وقال أبو ذر: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه

وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟ قال: لمؤنتها. فقال: تراه حلق عليك رزقه. وقال مالك بن نويرة:

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي   بما بات أطواء بنيّ الأصاغرُ
رأى أنني لا بالقليل أموره   ولا أنا عنه في المواساة ظاهرُ

وقال يزيد العبدي:

قصرنا عليه بالمقيض لقاحنا   بصاعية أو بارلاً أو شداسيا

وقال:

مفدّاة مكرّمة علينا   تجاع لها العيالُ ولا تجاعُ

وقال:

هاجرتني يا بنتَ آلِ سعد   أأن حلبت لقحة للوردِ
جهلت من عنانه الممتدِ   ونظرتي في عطفهم الألدّ
إذا جيادُ الخيل جاءت تردى   مملوءة من غضب وحردِ(٢)

وقال:

تلومُ على أن أعطي الوردَ لقحة   وما تستوي والوردُ ساعة تفرعُ

وقال عامر بن الطفيل:

وللخيل أيامٌ فمن يصطبرْ لها   ويعرفُ لها أيامَها الخيرَ تعقبُ

---

(١) المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور.
(٢) تردي (الفرس): ترجم الأرض بحوافرها. الحرد: غضب واسترخاء عصب يد البعير.

● كونه معقِلاً

قال شاعر:

إن الحصونَ الخيلُ لا مدرُ القرى

وقال لبيد:

معاقلُنا التي نأوي إليها ... بناتُ الأعوجية لا السيوفُ[1]

وعن بعض الفرس: الخيلُ حصون منيعة، ومعاقل رفيعة. وقيل: لا حصن كالحصان ولا جنة كالبيتان

● الأمرُ بإهانته وإعارته

قال بعضهم:

أهينوا مطاياكم فإني رأيتُكم ... يهونُ على البردون موتُ الفتى الدبِ[2]

وقال آخر:

وإني إذا ما المرءُ آثرَ بخلَه ... على نفسه آثرتُ نفسي على بخْلي

وأبذلُه للمستعيرين لا أرى ... به علّةً ما دام ينقادُ للحبْلِ

● مدحُ إناث الخيل

قال ﷺ: عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز. وقيل له ﷺ: أي المال خير؟ فقال: سكة مأبورة ومهرة مأمورة. وقال: بطون الخيل كنز وظهورها حرز

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الخصاء لأمرت به فإنه أحمى للغارة وأكمن، ولكن عليكم بالإناث

● مشاهيرُ الأفراس

كان ملك الهند أهدى شبديز إلى كسرى، وكان من أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وكان لا يبول ولا يروث تحته وكان يصحر ولا يريد، وكان استدارة حافره ثلاثة أشبار، فبقي مدة ثم نفق. فلإعجاب كسرى به أمر بتصويره. فلما تأمل صورته استعبر.

ومن فحول الخيل عند العرب العسجد والوجيه والغراب ولاحق ومذهب ومكتوم.

وقال طفيل:

بناتُ الوجيه والغرابُ ولاحقٌ ... وأعوج ينمي نسبةَ المتنسبِ

وأشقر مروان من نسل المائد، والمائد من ولد يطين من البطان، وهو الذي بعث الحجاج إلى الوليد. ومن نسل أعوج داحس كان لعيسى بن جذيمة العبس، والغبراء لحمل بن بدر بن حذيفة. وتشامت العرب بداحس لوقوع الحرب بسببها.

---

(1) الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى فحل يدعى الأعوجي.

(2) الفتى الدب: السريع إلى المضائل.

والعصا فرس جذيمة الأبرش، وقيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلد الروم فركضها فلم تقف إلا على رأس ثلاثين ميلاً. ثم وقف هناك فبالت، فبنى على ذلك الموضع برج يسمى برج العصا.

وزهدم فرس عنترة، **والنعامة** فرس الحارث بن عباد. ومن أفراس النبي ﷺ **اللزاز** هداه المقوقس إليه من مارية، **والسكب واليعبوب** وبغلته دلدل وحماره يعفور. وله ناقتان **العضباء والقصواء** وكان لعلي رضي الله عنه بغلة يقال لها **الشهباء**، **واليحموم والرقيب** فرسا النعمان. **والعباب** فرس مالك بن نويرة **وهمون** فرس الزبير بن العوام. **والغزالة** فرس خولان. **والحرون** لمسلم بن عمرو. واشتراه بألف دينار **وكامل** لزيد الفوارس **وقسام** لبني جعدة **والزائد** لمحمد بن عبد الملك

● **الماهرُ بالركوب العاجز**

قيل:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا

وقال آخر:

وإنـي لأرثـي لـلـكـريـم إذا غـدا ... على حاجة عند اللئيم يطالبه

وأرثـي لـه مـن وقـفـة عـنـد بـابـه ... كمرثيتي للطرف والعلجُ راكبه

● **اللازمُ لظهر الدابة**

يقال فلان حلس دابته وقال شاعر:

أراكَ لا تـــنـــزلُ عـــن ظـــهـــره ... ولـو مَـرّ الـبـيـت إلـى الـحَـبْـس

قال أمير المؤمنين: اضرب الفرس على نفاره، ولا تضربه على العثار، فإنه يرى ما لا تراه، وقال رجل لأمير المؤمنين: متى أضرب حماري؟ قال: إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت.

● **المستغني عن الضرب**

قال ثعلبة.

وتعطيكَ قبلَ السوط ملء عنانها

وقال ابن المعتز

أضيعُ شيء سوطُه إذ يركبُه

وله:

حسمنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرجلُ

● **الخائفُ من الضّرب**

قيل: أكرم الخيل لأمهاتها أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للكتاب، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

وقال البحتري:

مواهبُ ما تجشّمنا السؤالَ لَها ... إنّ الغمامَ قليبٌ ليسَ يحتفَرُ

وقال أبو تمّام:

أعطي ونُطْفَةُ وجهي في قرارتِها ... تَصُونُها الوجناتُ الغضّةُ القُشُبُ
لَنْ يكرمِ الظّفرُ المُعْطى وإن أخِذَتْ ... به الرغائبُ حتى يكرمَ الطّلَبُ

- **مَنْ يكتفي في سؤالِه بالتّعريض**

قال ابن الرومي:

يا منْ إذا التعريضُ صافحَ سمْعَه ... أغنَى العُفاةَ به عنِ التّصْريحِ

وقال المتنبي:

ومثلُك منْ كانَ الوسيطَ فؤادُه ... فكلّمَه عنّي ولَمْ أتكلّمِ

- **المُغْني سائلَه عن سؤالِ غيرِه**

سُئل بعض الأدباء عن جعفر بن يحيى بعد ما قتل، فقال: تركني مقطوع الآمال راهداً بعده في طلب الأموال. قال ابن الرومي في معناه:

سألتُك إغنائي عن النّاسِ كلّهم ... فأغنيتني عنهم وعنك جميعاً

وقال أبو تمّام:

لم يدعْني وفي يَمِيني فضلٌ ... لِندى غيرِه ولا في شِمالي

وقال ابن نباتة:

لم يُبقِ جودُك لي شيئاً أؤمّلهُ ... تركتَني أصحبُ الدنيا بلا أمَلِ

ولعابدة المهلبية:

بحَمْدكَ لا بحَمْدِ النّاسِ أضحى ... وكيلي ليس يقسمُه وكيلُ
وكانوا كلّما كالوا وزنّا ... فصارُوا كلّما وزَنوا نكيلُ
وكنتُ وناقص وزني فأضحى ... مفاعيلُن مفاعيلُن فعولُ

- **مَنْ يصيرُ سائلُهُ مسؤولاً بِما يُعْطيه**

مدح أعرابي رجلاً، فقال: يعود عليه المجتدي مجدياً ومستعطي رفده معطياً والمنتجع منه منتجعاً. قال أبو تمّام:

وكمْ لحظةٍ أهديتُها لابن نكبَة ... فأصبَح منْها ذا عفَاة ونائِلِ[1]

---

(1) لحظة: إلتفاتة ـ ابن نكبة: المنكوب ـ ذو عفاة: أي سماح ـ النائل: العطية

وله:

وما يلحَظُ العافي جداكَ مؤمّلاً ... سوى لحظةٍ حتى يؤوبَ مؤمّلا

● مَنْ لا يَرُدُّ سائِلَه

قال أعرابي في مدح رجل: لم ينظر قط إلى محروم. قال ابن حارجة: لا أرد سائلاً فإنما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه.

وقال أبو علي البصير:

فتىً لا يفيدُ المالَ إلا لبذلِه ... ولا يتلقى صفحةَ الحقِّ بالعُذْرِ

وقال حاتم:

أماوي أني لا أقولُ لسائلٍ ... إذا جاء يوماً حلَّ في مالِنا نَذْرُ(١)

وقال النمر بن تولب:

ولا رحلي بمخزونٍ عليه ... إذا جاري استعارَ، ولا ردائي

● المُحققُ رجاءَ آمليه

قضى رجل حاجة أعرابي، فقال: وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.

قال أبو تمام:

رجعت المنى خضراء تثني غصونَها ... علينا وأطلقت الرجاء مكبلا

وله:

همّ سرى ثم أضحى همّه أمماً ... راحتْ رجاه وباتت وهي في شَسَبِ(٢)

وقال الخوارزمي:

كنّا وردْنا وكلّنا أمَلٌ ... ثمّ صدَرْنا وكلّنا نِعَمُ(٣)

وقال البحتري:

ولئن كفيت مهمها ... فلمثلها أعددتُ مثلَكْ(٤)

● مَنْ لا يقطعُ نوالَه عمّن غَضِبَ عليه

كان العبّاس بن محمد يجري على رجل شيئاً فغضب عليه، وكان ابنه كتب إطلاقات رفعت إليه، فترك اسم المغضوب عليه، فقال: فأين ذكر رزق فلان؟ فقال: إنك قد كنت غضبت عليه، فقال: يا بني غضبي لا يسقط هبتي، إن أباك لا يغضب في النوال.

---

(١) السائل: المحتاج، طالب العطاء ـ النذر: ما تقدّمه الإنسان لله أو يوجبه على نفسه إذا نذر.

(٢) الأمم: القرب واليسير. (٣) الورود والصدور: المجيء والرجوع.

(٤) المهمه: المفازة البعيدة جمع مهامه، ومهمهه عن الشعر منعه.

وسئل بعض الصوفيين: لم وُصف الله تعالى بخير الرازقين، فقال: لأنه إذا كفر أحدُهم لا يقطع رزقه.

وكان محمد بن سليمان يجري على رجل شيئاً، فغضب عليه فقطعه، ثم رضي عنه فردّه، فأبى الرجل أن يقبله، وقال: إني كنت أظن أن إعطاءه مكرمة، فأما وقد صار غضبه يقطعه فلا حاجة لي فيه.

● **مَنْ عطاؤه لا ينقطع**

قال الأعشى:

وليس عطاءُ اليوم مانعَه غدا

وقال ابن الرومي:

نوالُك كالسيْل المسهل بعضُه ... لبعض طريق الجري في السّهْل والوَعْرِ

وقال آخر:

كلّما عدْنا لنسائله ... افترزنا جوده جذَعا[1]

وقال آخر:

وما كانَ نفعُك لي مرّةً ... ولا مرّتين ولكن مِراراً

وقال الحطيئة:

وما أجمَ المعْروفَ من طولِ كرِّهِ ... وأمْرى بأفعالِ الندى واحتمالِها[2]

● **المُتجنِّبُ لفظَ المَنْع**

قال بعضهم: فلانٌ خُلقت نعم بلسانه قبل أن خلق لسانه، فاجتنب «لا» ولزم «نعم»

وقال لبيد:

وبنُو الديّان أعداءٌ لـلا ... وعلى ألسُنهم ذلّتْ نعَمْ

وأنشد عبد الرحمن الكندي:

لو قيلَ للعبّاس يا ابن محمّدٍ ... قُلْ لا، وأنتَ مخلّدٌ ما قالَها

فقال: ليس يجب أن يقول الإنسان في كل شيء نعم، وكان الوجه أن يستثني. **ثم قال:**

هجرْتُ في القوْل لا إلا لـلائمةٍ ... تكونُ أولى بلا في اللفظ لا بنعَم

ويُستحسن قول الآخر:

لا فرْقَ في ناطقٍ بالشرْك عندَهُم ... وناطقٍ في جواب السائلين بلا

---

(١) افترزنا جذعاً: افتز (الشيء): استشفه ـ جذعاً: من قولهم أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ.

(٢) أجم: وأجم الطعام ونحوه أي كرهه ومل من المداومة عليه ـ أمرى بأفعال الندى: استدرها من أمرى الناقة إذا حلب لبنها ـ يقول: إن ممدوحه لم يمل أفعال الجود بل ما زال يستدر الندى.

وقال العتبي:

مـــا قـــال لا إلاّ لــــعـــذّالـــه ... وهـــو بـهـا عـن سـائـل أعـجَـم[1]

- **من هو مَقْصِدُ العُفاة**

قيل: أطيب الناس عيشاً من كثرت عفاته[2] وعاش الناس في كنفه، وقيل فلان داره مجمع عفاته ومربع عطياته. قال أبو نواس:

تَرَى النّاس أفواجاً على بابِ داره ... كـأنّـهـمـا رِجـلا دبـى وجَـرادِ[3]

وقال وهب الهمداني:

فـتـىً دارُه مـغـمـورةٌ بـعُـفـاتِـه ... ومـجلـسُـه بـالـمـكـرُمـات مـمـجـدُ

وقال أشجع:

عـــلـــى بـــاب ابـــن مـــنـــصـــور ... عـــلامـــاتٌ مـــن الـــبـــذْلِ

جـــمـــاعـــاتٌ وحـــســـب لـــبـــا ... بِ فـــضـــلاً كـــثـــرةُ الأهـــل

وقال بشار

يـطـوفُ الـعُـفـاة بـأبـوابـه ... كـطوْفِ الـحـجـيـج بـبـيـت الـحَـرَم

وقال البديهي:

ولـلـجُـود حُـسْـنٌ أيّ وقـت بـذلـتَـه ... وأحْـسَـنُـه مـا كـان فـي زمَـن الـمَـحْـل

- **باعثُ رِفْدِه إلى تاركِ قَصْدِه**

قال الحجّاج يوماً: قلّ عفاتي، فقال رجل: أصلح الله الأمير إنك أكثرت حمر البيوت فاستغنى الناس بما يصل إليهم عن الترحال، فسرّ الحجاج، وقال: بارك الله فيك وأحسن إليه.

أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر:

إذا جئتُ أعطاني وإنْ أنا لم أجئه ... أتـانـي مـن جَـدواه مـا كـنـت أرتَـجـي

فقال مروان قد قلت أحسن من هذا، بعث إليّ عبد الله بن طاهر عشرين ألفاً فقلت فيه:

لعَمْرِي لنعمَ الغيْثُ غيثٌ أصابَنا ... ببغدادَ من أرْض الجزيرة وابلُه[4]

ونِعْمَ الفتَى، والبيدُ بيني وبينه ... بعشرين ألفاً صبّحتْنا رسائِلُه

---

(١) أعجم القول: يقول: أن ممدوحه لا ينطق بـ«لا» إلا في محاطة عذاله، وهو لا يفصح بها لطالب نواله.

(٢) عفاته: جمع العافي وهو كل طالب رزق أو فضل.

(٣) الرِّجل: القطعة العظيمة من الجراد ـ الدبى: الجراد الصغير ـ شبه أمواج الناس على باب داره لكرمه وجوده.

(٤) الوابل: المطر الغزير.

وقال ابن الرومي:

ويشركُ أدنى الأرض في صَوْبه القُصْوي[1]

وقال آخر:

لا أشتكي البدرَ على بُعْدِه   لقد أضاءَتْ لي آفاقُه

وقال عمارة:

لعمرُك ما النائي البعيدُ بنازحٍ   إذا قربت ألطافُه ونوائلُه[2]

وما ضرّنا أن السماكَ محلّقٌ   بعيدٌ، إذا جادت علينا هواطلُه[3]

● مَنْ أعطى الغنيّ والفقيرَ

رُوي في الخبر: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، وقال ﷺ كل معروف صدقة لغني أو فقير. وقيل لبعضهم ما الجود؟ فقال أن تعطي الغني والفقير ولا تخص ولأحمد بن أبي طاهر:

وندَاهُ مثلُ الغيثِ جادَ لمجدبٍ   وعْرٍ، وحلّ على المحلّ الممرعِ[4]

وقال المتنبي:

ويدّ لها كرمُ الغمام لأنه   يسقي العمارة والمكانَ البلقعا[5]

● المستشهدُ على فَرْط جُوده بعُفاته وزمانه

قال الخطيم:

وإنْ تلْق ندماني تخبرْك أنني   وكاءُ لكيسي لمْ أعدْ منه بالفقْرِ[6]

وقال ديك الجن:

سلا هنْ كمجْدي أو كفخْري لفاخرٍ   وعندكُما من قبْلِ إن تسألا خبرُ

وقال المتوكل الليثي:

فإنْ يسألِ اللّهُ الشهودَ شهادةً   تنبيء جمادى عنكُم والمُحرّمُ[7]

بأنكما خيرُ الحجازِ وأهلِه   إذا جعل المعطي يملّ ويسأمُ

● مَنْ يباري الرياح

قال عبد الله بن أبي السمط:

أعطى أبو دلف والريحُ عاصفةٌ   حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يقِفِ

---

(١) الصوب: العطاء. (٢) نوائله: عطاياه

(٣) السّماك: برج في السماء وكل ما سمكت به أي رفع

(٤) وعر: صلب وصعب ـ الممرع: الخصيب

(٥) العمارة: أي الأرض العامرة ـ البلقع: الخالي، يعني جوده لا يفوت فقيراً ولا موسراً

(٦) وكاء لكيس: رباط لكيس. (٧) جمادى والمحرم: شهران قمريان

وقال آخر:

يـكـلـونَ الـريـاحَ إذا تـبـارَتْ ... ويـمـتـثـلـون أفـعـالَ الـسـحـابِ[1]

● **المُعطي بلا شفاعة**

قال ابن الرومي:

الـنـائِلُ الـمـعْـطـي بـغَـيْـرِ وسيـلَةٍ ... كـالـمـاءِ مـغـتـرَفـاً بـغـيْـرِ رشَـاءِ[2]

وقال آخر:

أفـردتـه بـرجَـائـي أن يـشـاركَـنـي ... فـيـهِ الـوسـائِلُ أو ألْـقـاه بـالـكُـتُـبِ

● **مَنْ شارَكَ في مالِهِ عُفاتَه**

قال ابن الرومي:

وامـدحْ فـتـىً حـظُّـه مـنْ ومـأثـرةٍ ... كـحـظِّ نـاظِـرِنـا مـن وجـهـه الـحـسـنِ

وقال أبو تمام:

لو كـنْـتَ شـاهـدَ بـذْلِـهِ لَـشـهِـدْتَ لـي ... بِـوِراثَـةٍ أو شِـرْكَـةٍ فـي مـالِـه

● **مَنْ لا يُبقي مالاً.**

كـأنَّ عـلـيـه أن يـمـزق مـالَـهُ ... الـبـه مـجـرورِ الألـبـة مـخـتـرزِ[3]

وقال المتنبي

عـجـبـاً لـه حَـفِـظَ الـعِـنـانَ بـأنْـمُـلٍ ... ما حِـفْـظُـهـا الأشـيـاءَ مِنْ عـاداتـهـا[4]

وله:

لـو كـانَ ضـوءُ الـشـمـوسِ فـي يـدِه ... أضـاعَـهُ جـودُه وأفـنـاهُ[5]

وقال آخر:

يـقـولُ أنـاسٌ لـو جـمـعْـتَ دراهـمـاً ... وكـيْـفَ ولـم أخْـلَـقْ لـجـمـعِ الـدَّراهـم

أبَـى الـلَّـهُ إلا أنْ تـكـونَ دراهـمـي ... مدَى الدَّهرِ نَهْبى بين عافٍ وغانمِ[6]

وقال أعرابي، حسن الحديث ضعيف حبل الدرهم.

---

(١) يكلون: من واكل، بمعنى يتكلون على. (٢) الرشاء: حبل الدلو

(٣) الآلية: القسم ـ المحترز: المتوقي

(٤) العنان: سير اللجام ـ الأنمل: رؤوس الأصابع ـ يتعجب كيف حفظ العنان بأنمل ما عدتها أن تحفظ الأشياء، يكني عن شجاعة ممدوحه وركوبه الخيل وأنه معطاء.

(٥) ضاعه: فرّقه ـ الشموس، على تقدير أن لكل يوم شمساً.

(٦) نهبى: غنيمة

● مَنْ لا تَجِبُ عليه زكاةٌ لإنفاقه ماله

قال بكر بن النطاح

وما وجبَتْ عليَّ زكاةُ مالٍ　　وهل تجبُ الزكاةُ على الفقيرِ

وقال رجل من بني عذرة:

واللَّهِ ما بلغْتُ للجودِ ماشيَتي　　حدّ الزكاةِ ولا إبلي ولا مالي

● مَنْ مالُهُ ممدٌّ للبذل

قال البحتري:

فتىً لا يريدُ الوفرَ إلا ذخيرةً　　لمأثرةٍ تزدادُ أو مغرَمٍ يعْرو[1]

وقال عليّ بن الجهم:

ولا يجمَعُ الأموالَ إلا لبذلِها　　كمَا لا يُساقُ الهديُ إلا إلى النَّحْرِ[2]

● مَنْ لا يبخلُ بروحِهِ ولا مالِهِ لو سُئل

مَدح رجل آخر، فقال: كيسه مفتوح وماله مبذول، يطعمك نفسه إن أوكلتها ويسقيك روحه إن شربتها، ومنه أخذ بعض بني غطفان

ولو لمْ أجد لنزيلي قِرىً　　قطعْتُ لهُ بعض أطرافيَه

وقال بكر بن النطاح:

ولوْ لمْ يكنْ في كفِّه غيرُ روحِه　　لجادَ بها فليتّقِ الله سائلُه

وقال الكميت

وتبتذلُ النفْسَ المصونَةَ نفسُه　　إذا ما رأى حقّاً عليْه ابتذالُها

وقال أبو هفّان في معناه، وإن كان في وصف الضيافة

ولو نزل الأضيافُ ليلةَ لا قِرى　　لأطعمْتُهم لحمي وأسقيتُهم دَمي

وقال ابن نباتة:

وحكّمني حتى لو أنّي سألتُه　　شبَابي وقد ولّى به الشّيبُ ردّه

● المُتخدعُ المُتبالِهُ في ابتذال مالِهِ

قيل: الكريم هو المتخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع ويستعمل في ماله الخدع

وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ فقال: الإنخداع عن المال. ولا تجد أحداً يتغافل عن ماله إلا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعه، وقد أدّبنا نبيّنا ﷺ بقوله: رحم الله سهل البيع سهل الشراء وهذا خلاف قول الناس: المغبون غير محمود ولا مأجور.

---

(١) يعرو: يأتيه طالباً معروفه.　　(٢) الهدي: ما أهدي إلى الحرَم من النعم

وقد قال ﷺ: ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: التعاون للضعيف.

قال شاعر:

وممّن يعزّ على لقائه فيُمْدَحُ

وقال البحتري:

وإذا خادعتُه عن مالِه ... عرف المسالكَ فيه فانخدَع

وله:

وقد يتغابَى المرءُ في عظْم ماله ... ومن تحت برديه المغيرةُ أو عمرو(1)

وله:

إذا معشرٌ صانُوا السماحَ تعسّفت ... به همّة مجنونةٌ في ابتذالِه

وتخطّى أبو تمّام ذلك حتى استُقبح قوله، فقال:

ما زالَ يهذي بالمكارمِ والعُلى ... حتى ظننّا أنّهُ محمومُ

والهذيان والحمى مستقبح ذكرهما في المدح، قال المنذر الغساني يوصي ابنه: آمرك بالبذل في نفسك والإنخداع في مالك

● مَنْ عَيبُه إفراطُهُ في الجود

فتىً كمُلتْ أخلاقُه غيرَ أنّه ... جوادٌ فلا يُبقي من المال باقيا

وقال كشاجم

ما فيهم عيبٌ سوى الإ ... فراطِ في الجودِ فقط

وقال أبو عفان:

عيبُ بني مخلد سماحتُهم ... وأنهم يُتلفون ما مَلكُوا

وقيل للحسن بن سهل، وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله: ليس في السرف خير، فقال: ليس في الخير سرف

وقال المأمون لمحمد بن عباد: إنك متلاف، فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود

وفي الزهد أخبار من ذلك.

● الساتِرُ عَطِيّته

رُوي أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾(2) الآية.

---

(1) المغيرة وعمرو: أي المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص.

(2) القرآن الكريم: النساء/ 37.

وقال المتنبي:

ستروا النّدى سترَ الغراب سفادَه ... فبدا، وهل يخفَى الربابُ الهاطِلُ[1]؟

ووصف أعرابي رجلاً، فقال إذ أعطى شكر وإذا أعطى ستر

● المَسرورُ بِما يُعطيه

لمّا دخل الفضل بن يحيى الرقة، قال لوكلائه أحصوا منزل من يعطيه ألف درهم فأحصوا ثلاثمائة منزل فوجه إليهم ثلاثمائة ألف درهم، ثم وضع له الطعام، فقال: ما أكلت طعاماً أهنأ منه اليوم، وقد علمت أني أغيث ثلاثمائة بيت.

قال أبو تمام:

لو يعلَمُ العافون كمْ لكَ في النّدى ... مِنْ لذّةٍ وقريحَةٍ لم تُحمَدِ[2]

وقال زهير:

تراه إذا ما جئتَه متهلّلاً ... كأنّك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُه

وقال الأعشى:

يرى البخلَ مرّاً والعَطاءَ كأنّما ... يلذّ به عذباً من الماءِ بارداً

وقال أبو تمام:

ونغمةُ مُعتَفٍ يرجوهُ أحلى ... على أذنيه من نغم السّماع

وقال معاوية يوماً لجلسائه: ما بَقِي من لذاتكم؟ فقالوا: ضروب من القول، فقال ذلك لوردان مولى عمرو، فقال: النظر في وجه كريم أصابته من دهره جائحة فاصطنعت إليه، فقال معاوية: أنا أحق بهذه منك، فقال: أحق بها من سبق إليها وأنت أقدر عليها فافعل.

ودخل هشام بن عروة على المنصور، فشكا إليه ديناً، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين رُوي عن النبي ﷺ أنه قال من أعطى عطية وهو طيب النفس بورك للمعطي والمعطى منها، أفنفسك طيبة بها، قال: نعم

● مَنْ اشتغالُه بالعَطاء

قال بعضهم:

فتى لا تراهُ الدهْرَ إلا ونفسُه ... تجودُ بخيْرٍ أو تهمّ بخَيْرِ

وقال آخر:

لا يعدّ المالَ إلا وفبا

---

(١) الرباب: السحاب الأبيض ـ السفاد: المجامعة.

(٢) القريحة: الطبع ـ الجائحة: المصيبة.

وقال دعبل:

يعدُّ ما أنفقَ من مالِهِ ... غنماً وما وفّره غرماً

وله:

فتىً لا يرى المالَ إلا العطاءَ ... ولا الكنزَ إلا اعتقالَ البخلْ

● مَنْ لا يعدُّ مالَه إلاّ ما وَهَبَه

قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة جهد من مقل. وقال بعض الصوفية: ليس السخاء أن تعطي الواجد العادم إنما السخاء أن تعطي العدم الواجد قال شاعر:

إذا تكرّمتَ أن تُعطي القليلَ ولم ... تقدِر على سَعة لم يظهرِ الجودُ

بُثَّ النوالَ ولا يمنعْك قلّتُه ... فكلُّ ما سدّ فقراً فهو محمودُ

وقال آخر:

ليس العطاءُ من الفضُول سماحةً ... حتى تجودَ وما لديك قليلُ

وقيل: لم يحرم من قصد له.

● من يُكثِر العطاءَ وإنْ قلَّ مالُه

قال ابن هرمة

ويبالُ بالمالِ القليلِ تبرّعي ... فيما يضيقُ بها ذراعُ المكثرِ

وقال العرندس:

ولم يكُ أكثرَ الفتيانِ مالاً ... ولكن كانَ أرحبَهم ذراعاً

وقال آخر:

ما كانَ عاراً إذا ضيفٌ تضيّفني ... ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي

جهدُ المقلّ إذا أعطاكَ نائلَه ... ومُكثِر من غنى سيّان في الجُودِ

وقال معن بن زائدة: طلبني المنصور فهربت منه متنكراً، فلقيني أسود فتعلق بي وقال: أنت طلبة أمير المؤمنين، فقلت: إتق الله فإني غريب، فقال: دعني من هذا، فقلت: إنك إن أتيته بي لا تنتفع منه بكثير نفع، فدونك هذه الجواهر فقيمتها ألوف دنانير، فقال: دعني من ذا أنت موصوف بالجود، هل أعطيت مالك كله أو نصفه أو ثلثه، فقلت: لا، فقال: أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً ومالي على ظهر الأرض ما قيمته مائة درهم، وها أنا قد وهبت لك هذه الجواهر ووهبتك لنفسك لتعلم أن لله عباداً أسخى منك، ففارقته وأنا بعد في طلبه.

● مَنْ أعطى الكثيرَ لِمَنْ يُرضيه القليلُ

سوّى حجّام شاربَ الحسن فأعطاه درهمين، فقيل: إنه كان يكتفي بدانق، فقال: لا تدنقوا يدنق عليكم.

ومرّ يزيد بن المهلّب بأعرابي في خروجه من السجن، فسأله شيئاً، فقال لغلامه: ما معك؟ قال: مائة دينار، فقال: أعطه، فقال الغلام: هذا يرضيه اليسير، فقال: أنا لا يرضيني إلا الكثير. قال: إنه لا يعرفك، قال: أنا أعرف نفسي. وأثنى أعرابي على رجل فقال: ما زال يعطيني حتى ظننت أنه يودعني وما ضاع مال أورث حمداً.

● المُحكِّم سائِلَه في مالِهِ

قال المتنوخي:

إن جاءهمْ سائِلٌ يبغي نوالَهم أعطَوْه من مالهم ما شاءَ واقترَحا

وقال ابن نباتة:

وحكّمني حتّى لو أني سألتُه شَبابي وقد ولّى به الشيبُ ردّه

ودخل العامري على الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، فقال: إني عصيت رسول الله ﷺ، قال: بئس ما صنعت، كيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: لا يفلح قوم ملكت أمرهم امرأة وقد ملكت عليّ امرأتي، أمرتني أن أشتري عبداً فاشتريته فأَبَقَ مني، فقال: اختر إحدى ثلاث إن شئت فثمن عبد، فقال: قف هاهنا ولا تتجاوزه، فقد اخترته فأعطاه ذلك.

● مَنْ جادَ بالعَرَض دون العِرْض

قال أبو شراعة:

عِرْضٌ مصونٌ وتُراثٌ مُنْتَهَبُ

وقال ابن الرومي:

قريبُ السؤالِ بعيدُ المنالِ ومسكنُه شَرَفٌ ممتنعْ(١)

كمثلِ السحابِ نأى شخصُه ولم ينأ منه صيّبٌ هَمِعْ(٢)

وقال يعقوب التمّار:

حمى أعراضَه ضنّاً وشحّاً وصيّر مالَه نهباً مُباحا

● الصَّائِنُ عِرضَه بِمالِهِ

قيل: فلان منع الناس من عرضه، بما نثر عليهم من فضله.

وقال آخر:

خيرُ العُروضِ وقايةُ الأعراضِ

وقال آخر:

وما أنالَ المالَ صانَ الجاها

---

(١) الشرف: المكان المرتفع. (٢) صيب همع: سحاب ذو مطر غزير.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

العِرْضُ لَيْسَ يصونُه مالٌ إذا ... ما المالُ عندَ حقوقِه لم يُبْذَلِ

وقال آخر:

لا يقي بالإحسانِ مالاً ولكن ... يجعَلُ المالَ جُنَّةَ الإحْسانِ[1]

● المُبتاع الحَمْدَ بالمال

ذهابُ المالِ في حَمْدٍ وأجرٍ ... ذهابٌ لا يُقالُ لَهُ ذهابُ

وقال مجنون:

وما اشتريْتُ بمالٍ قطّ مكرمَةً ... إلا تيقنْتُ أنّي غيرُ مغبونِ

ومزّق علي بن موسى الرضى ماله بخراسان كلّه في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: ما هذا المغرم؟ فقال: بل هو المغنم لا تعدن مغرماً ما ابتعت به أجراً وكرماً.

● مَنْ يُعطي طوْعاً ويأبى خَسفاً

خبر الدهقان الذي طالبه بالمال قد تقدم في خبر السلاطين. وقيل: فلان لا يسمح بالغلب ولا يدرّ على العصب. وقال معن بن أوس:

ونأبى فلا نُعطي على الخسف درّةً ... عبيساً ولكن بالتودّد نُختَلُ[2]

وقال البحتري:

حرونٌ إذا عازرْتَه في مُلِمَّةٍ ... فإنْ جئتَه من جانبِ الذلِّ أصحبا[3]

وقال المتنبي:

وأنتم فتيةٌ تسخو نفوسُكم ... بما يهونُ ولا تسخونَ بالسَّلَبِ[4]

● إعطاءُ المُستحقِّ وغيرِه والشاكرِ والكافر

قيل: لأن أخطئ باذلاً أحبّ إليّ من أن أصيب مانعاً. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: لا يزهدنّك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم يصطنع إليه.

قال بعضهم:

يدُ المعروفِ غُنْمٌ حيثُ كانَتْ ... تحمّلها كفورٌ أو شكورُ

---

(١) الجنة: الدرع الذي يدرأ الأذى.

(٢) الخسف: الضعف والذل ـ عبيساً: العبيس: نوع من الزبيب يجنى من شجر حرجيّ ـ نختل: نخدع. يقول: بالقهر لا نعطي شيئاً ولو كان من ثمر العبيس غير المرغوب فيه، ولكن بالودّ نجود ونسخو.

(٣) حرون: يرفض الانقياد ـ عازرته: عارضته.

(٤) السلب: الشيء المسلوب والمقصود أنكم قوم أهل عزة وأنفة تسخون بالذي تهبونه ولا تسخون بما يُسلب منكم قهراً.

فـعـنـدَ الـشـاكـريـن لـه جـزاءٌ وعـنـدَ الـلّـهِ مـا كـفـر الـكـفـورُ

وقال محمود:

سأمنَحُ مالِي كلَّ من جاء عافِيا واجعلُه مَرْضاً على الفَرْضِ والفَرْضِ
فإما كريمٌ صنتُ بالجودِ عرضَه وأما لئيمٌ صنتُ عن لؤمِهِ عِرْضي

وقال آخر:

لا يـذهـب الـعـرفُ بـيـن الله والـنـاس

● الحثُّ على منْعِ اللِّئَامِ وَمَنْ يَستَغِيرُ بإعطائِه

قيل في التوراة: مكتوب من صنع معروفاً إلى غير أهله كتب له خطيئة. وقال بزرجمهر: المصطنع إلى اللئيم كمن طوق لخنزير تبراً وقرّط الكلب دراً وألبس الحمار وشياً وألقم الحية شهداً.

وقيل: من أشبع لئيماً فقد ضرى عدواً عاتياً وسبعاً عادياً. وقيل: اللئيم يزداد بالعرف خبالاً كما يزداد المريض من كثرة الطعام وبالاً.

قال أبو بجيلة:

متى تسدِ معروفاً إلى غيرِ أهلِه رزئتَ ولم تظفرْ بحمدٍ ولا أجرِ

وقال آخر:

ومن يصنَعِ المعروفَ في غيرِ أهله يلاقِي كمَا لاقى مُجيرُ أمّ عامرِ

وقال آخر:

هم سمّنُوا كلْباً فأتْلفَ بعضَهم ولو أخذوا بالحزْمِ ما سمّنوا كلْباً

وقال آخر

لـيـس فـي مـنْـعِ غـيـرِ ذي الـحـقِّ بُـخْـلُ

● مَنْ لا يبخلُ في حقٍّ يلزمه ولا يُسرفُ فيما يخوّله

قيل للمتبوذ: إنك بخيل، فقال: ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل. وقيل لفيلسوف: متى يكون قليل النوال موفياً على الكثير؟ فقال: إذا كان قليله في الحقوق وكثيره في الإسراف.

وقيل لمعاوية: ما الجود؟ فقال: إصابة موضع البذل والمنع. وقيل: السخاء أن تأخذ الشيء من حل وتضعه في حق.

قال الراعي:

فـلـسـت إن نـابـتـني حـقٌّ بـمـنـتـكـر فـيـه ولا بـرم تـعـيـى بـه الـسُّـبُـلُ

● **الممدوحُ بِمَنْعِ العطاءِ غيرِ مُستحقِّه.**

قيل:

إذا المالُ لم يوجِبْ عليكَ عطاءَه ... صنيعَةُ تقوى أو خليلٌ تُخالِقُه[1]
منعتَ وبعضُ المنْعِ حزمٌ وقوةٌ ... ولمْ يبتذِلْكَ المالُ إلا حقائِقُه

● **المُشارِكُ ذويه في ما يَمْلِكُه ويَحْويه**

صادف رجل موسراً يصحبه معسر، فسأل الموسر عن صاحبه، فقال: هو أخي، فقال له: ولم أنت غني وهو فقير؟ أما سمعت قول عبد الله بن معاوية:

وإذا أصبْتَ من القوافِلِ رغبةً ... فامنَحْ عشيرتَكَ الأدنى فضلَها[2]

وأحسن بقول الآخر:

بدا حين أثرى بإخوانِه ... فقلّل عنهم شباةَ العدَم[3]
وعرّفَه الحزمُ صرْفَ الدهورِ ... فبادرَ بالعرْفِ قبلَ الندَمْ[4]

وقال عمرو بن الأطنابة:

كريمٌ رأى الإقلالَ عاراً فلَمْ يزَلْ ... أخا طلبٍ للمالِ حتى تموّلا
فلمّا أفادَ المالَ عادَ بفضْلِهِ ... على كلّ من يرجو جداه مؤمّلا[5]

وقال أبو عمر القاضي:

وتزكي مواساةَ الأحلامِ تألُّفي ... بحوزٍ يدي طلْمٌ لهُم وعقوقُ

وقيل: لا تمدنّ غنياً من لم يكن غناه مشتركاً

● **الإعطاءُ في حالِ السُّكْرِ والصَّحْوِ**

لما كان السكر قد يدر البخيل كريماً، كرهوا مدح المرء بأنه يسخو في حال السكر، فنقضوا من قول عمرو:

إذا ما الماءُ خالطَها سخينا

واستجادوا قول امرىء القيس

ينالُ جودكَ في صحوٍ وفي سكْرِ[6]

---

(١) تخالقه: تعاشره بخلق حسن. (٢) الأدنى: الأقربون
(٣) شباة العدم: جمع شية، الوشي والنقش وتحسين الثوب بالألوان
(٤) العرف: المعروف. (٥) جداه: عطاؤه
(٦) الوارد في ديوانه قوله
وتعرف فيه من أبيه شمائلا ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاءَ ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ

وقد استجيد قول زهير:

أخو ثقةٍ لا يهلكُ الخمرُ مالَه ... ولكنه قد يهلكُ المالَ نائلُه

أي ليس ممن يعطي لسكره ولكن يعطي لسخائه. وقيل: ليس ينفق ماله في شرب الخمر ولكنه في البذل. قال البحتري:

تكرمت من قبْل الكؤوسِ عليهم ... فما استطعنَ أن يحدثْن فيك تكرّما

وقال المتنبي:

لا تجد الخمرُ في مكارمه ... إذا انتشى خلّةً تلافاها[1]

● عُذْرُ سخيٍّ بَخُلَ في بَعْضِ الأحْوال

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لرجل سأله شيئاً، فلم يمكنه: لو أمكنني لكان الحظ فيه لنا دونك، فإن حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك. قصد رجل الحسن بن سهل في حالة عسره فاستماحه، فلم ينل منه مطلبه فعاتبه، فقال الحسن:

الجودُ طبْعي ولكن ليْس لي مالٌ ... وكيف يسمح من بالدين يحتالُ

وشيمتي في العطايا لا تزايلني ... وليس ما أشتهي يأتي به المَالُ

واستعطأ دعبل أبا دلف، فبعث إليه دنانير، وكتب معها:

أعجلتنا فأتاكَ عاجلُ برِّنا ... قلاً ولو أمهلتنا لم تقللِ

فخذ القليل وكنْ كأنّك لم تَسَلْ ... ونكونُ نحن كأننا لم نُسْئلِ

ومدح البحتري طاهر بن محمد، فبعث إليه دنانير، وكتب معها بأبيات منها:

والشريفُ الظريفُ يسمَح بالعُذْ ... ر إذا قصّر الصديقُ المُقِلّ

فكتب إليه البحتري:

وإذا ما جريتَ شعراً بشعر ... يبلغُ الحقّ فالدنانيرُ فضْلُ

دخل بعض الطالبيين على إسحاق الموصلي فأطال الجلوس، فلما خف الناس كلمه في حاجة، فقال: ما إلى ذلك سبيل. فسكت قليلاً ثم عاوده، فقال له كذلك، فقال:

لا يؤيسنّك من كريمٍ نبوةٌ ... ينبو الفتى وهو الجوادُ الخضرمُ[2]

فإذا أبى فاستبقِه وتأنّه ... حتى يفيءَ به الطباعُ الأكرمُ

فاهتز لكلامه، وقال: قد عاد الطباع الأكرم وخوّله.

وفي المثل: بيتي يبخل لا أنا. وقال وال لرجل كان يكثر سؤاله: دع الضرع يدرّ لغيرك كما درّ لك.

---

(١) انتشى: سكر ـ الخلّة: الثلمة ـ تلافاها: تداركها.

(٢) الخضرم: الكريم الكثير العطاء.

ووقّع عبد الحميد في رقعة مستميح كان قد برّه مراراً: قد نفد ما عندنا لمثلك فارغب إلى من لا ينفد ما عنده.

● عُذر مَنْ أعطى قليلاً

أتى رجل زياد بن أبي سفيان سائلاً، فأعطاه درهماً، فقال: صاحب العراقين يعطيني درهماً، فقال: إنّ من بيده خزائن السموات و الأرض ربما رزق أخص عبيده التمرة واللقمة وما يكثر عندي أن أصل رجلاً بمائة ألف درهم ولا يصغر أن أعطي سائلاً رغيفاً، إذا كان رب العالمين يفعل ذلك.

ورفع حشم جعفر بن يحيى إليه قصة يستزيدونه أرزاقهم، فقال لعمرو بن مسعدة، فكتب إليه: قليل دائم خيرٌ من كثير منقطع، فقال جعفر أي وزير بين جنبيه.

● عُذرُ مَنْ أفقره الجودُ

قصد جماعة ابن هرمة فخرجت بنية له فاعتذرت، فقالوا: أليس أبوك الذي يقول:

لا أمتعُ العوذَ بالفِصال ولا ... ابتاع إلا قريبة الأجل

فقالت: نعم. هذه العادة منه تركتكم بلا قِرى

قال جحظة:

جاء الشتاءُ وما عندي له ورقٌ ... فيما عددتُ ولا عندي له خلعُ

كانت فِينْدهما جودٌ وليَيْتُ به ... وللمساكين أيضاً بالندى ولعُ

وقال أبو الشمقمق:

الجودُ أفلسهم وغيّر حالهم ... واليوم إن سُئلوا السؤال تمحّلوا[1]

وسأل رجل آخر شيئاً فاعتذر إليه فقال السائل: العذر الصادق مع النية الجميلة يقومان مقام النجح.

● أنواعٌ مختلِفةٌ من بابِ الجودِ

قال ابن الرومي:

يُعطي ويمنعي البلَهُ أموالَه ... والبحرُ لا ينقصه النزحُ[2]

ومما رُوي في الخبر: أن لله ملائكة تنادي كل صباح ومساء اللهمّ اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً.

وقال البحتري فيمن سامحه بخراجه.

وكنتُ إذا ما رمتُ عندك حاجةً ... على كَنَدِ الأيام هانَ علاجُها[3]

---

(١) تمحّلوا: تكلّفوا (٢) النزح: الماء الكدر، أو الماء القليل (٣) كند الأيام: الأيام المجدبة

فلم لا أُغالي بالضِّياع وقد دنا ... عليّ مداها واستقامَ اعوجاجُها
إذا كان لي تربيعُها واعتلالُها ... وكان عليه عشرُها وخراجُها[1]

وقال شرحبيل للرشيد: أعطني عطية تشبهك أو تشبهني، فقال: فوقك ودوني فأولاه مالاً. والعطايا تختلف أسماؤها فالحبياء للمبشر والحذية للعذل والبسلة للراقي، والحلوان للكاهن، والشوع للساحر، والربد للدلال، و شبر للنكاح والعرير ثمن المرعى، والجعل للشرط.

(٥)
ومِمّا جاء في البخل بالأموال

●

● حقيقةُ البُخل

سئل الحسن رضي الله عنه عن البخل، فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه سرفاً وما أمسكه شرفاً. وقال آخر: البخل جلباب لمسكنة. وقيل للأحنف: ما اللؤم؟ فقال: الاستقصاء على الملهوف، فقيل: وما الجود؟ فقال: الاحتيال للمعروف.

● ذمُّ البُخلِ وتَعظيمُهُ على كلِّ الذنوبِ

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ فقال: عابد بخيل. قيل: فمن أبغض الناس إليك، قال: فاسق سخيّ لينجيه سخاؤه.

وقيل: من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل. وقيل: السخي حرّ لأنه يملك بماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية، لأنه يملكه ماله.

وقال بشر بن مروان: لو أن أهل البخل لم يلحقهم من بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيباً. وقيل: أعجب ما في البخيل أنه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء. قال شاعر:

إنّ البخيلَ فقبرُ غيرُ مأجورِ

وقال الديسق اليربوعي:

إذا ذو المال ضنّ بما لديه ... وأشفقَ فهو محتاجٌ فقيرُ

● كثرةُ البُخلِ وقلّة الجودِ في الناس

لما قال أبو العتاهية

أطرح بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخيلاً

---

(١) التربيع: الربع من الخراج

قيل له: بخلت الناس كلهم، فقال: كذّبوني بواحد.

قال كشاجم:

إجتنبَ النّاسُ طريقَ النّدى ... كأنّما قد أنبتَ العوسجا[1]

وهذا مأخوذ من قول بعضهم، وقد سمع رجلاً يقول: تجنّب الناس طريق الندى، فقال: ذاك طريق نبت فيه العوسج:

أكلّ وميضٍ بارقةٍ كذوبُ ... أما في الدّهر شيء لا يُريبُ

وشاعَ البخلُ في الأشياء حتّى ... يكاد يشحّ بالريحِ الهبوبُ

فكيف أخصّ باسمِ العيبِ شيئاً ... وأكثرُ ما أشاهده معيبُ

وقال ابن نباتة:

كيف السبيلُ إلى الغنى ... والبخلُ عند النّاس فِطْنَه؟

● مُعاتَبَةُ مَنْ يَرْجو لَئيماً

قيل: من أمّل فاجراً فأدنى عقوبته أن يحرمه. وسأل أعرابي رجلاً فحرمه، فقال له أخوه: نزلت بواد غير ممطور ورجل غير مسرور، فارتحل بندم أو أقم بعدم. ذمّ العبّاس بن الحسين بعض الوزراء، فقال: الذليل من اعترى إليك والفقير من أملك. وقيل كدمت غير مكدم[2]، نفخت لو تنفخ في فحم، فيهاك تضرب في حديد بارد.

وقال رجل: إني أقصد فلاناً راجياً نده، فقال له صاحبه:

ترجُو النّدى من إناءٍ قلّما ارتشحا ... كالمستليب لشحمِ الكلْب من دبه[3]

وقال أبو العتاهية:

وإنّ من يرتجي نَداك كمَن ... يحلبُ تيساً من شهوةِ اللبن

وقال بعضهم:

أمن دار الكلابِ ترومُ عظماً ... لقد حدّثْت نفسك بالمُحالِ

وقال إسماعيل القراطيسي:

لقدْ أحللْتُ حاجاتي ... بوادٍ غيرِ ذي زرْعِ

وقال أبو تمّام:

ومالي من ذنبٍ إلى الرزّق حلته ... سوى أمَلي إيّاكم للعظائمِ

ونحوه:

سجَدْنا للقرودِ رجاءَ دُنيا ... حوَتْها دونَنا أيدي القُرودِ

---

(١) العوسج: جمع عوسجة جنس شجيرات شائكة الأغصان، يستعمل سياجاً.

(٢) كدمت غير مكدم: طلبت من غير مطلب. (٣) أي ليس في دب الكلب شحم.

فـمـا بـلـغـتْ أنـامـلُـنـا بـشـيءٍ عـلـيـمـنـاه سـوى ذلّ الـسـجـودِ

وقال المتنبي:

تَظُنُّ ابتساماتي رجاءً وغبطةً وما أنا إلاّ ضاحكٌ من رجائيا[1]

● من لا يُنالُ خَيرُهُ ولا يُرجى فَضلُه

قال الصاحب بن زرارة في أخيه حاجب: هو والله ليس برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر، ما عنده حلّ ولا حمر، سواء هو والعدم.

وكان عبد الملك يقال له رشح الحجر لبخله.

وشاتم أعرابي رجلاً فقال: إنكم لتقصرون العمد وتعيرون النساء وتبيعون الماء، ما عنده فائدة ولا عائدة، ولا رأي جميل ولا إكرام دخيل. وقالت امرأة لزوجها: والله ما يقيم الفأر في دارك إلا حبّ الوطن. وقيل في رجل: بئس متنجع المجدب. قال شاعر:

ومخرُ السرابِ يفوت الطّلاب عـقـلُ فـي طـلابـك جـئـنـا بـهِ

وقال المتنبي:

ولا يـدُرّ عـلـى مرعـاكُـمُ الـلـبَـنُ[2]

وقال أبو هفّان:

سـواءٌ إذا مـا زرتَـهـم فـي مـلـمّـةٍ أزرتَـهـم أم زرت مـن فـي الـمـقـابـرِ

وقيل لأبي العيناء: كيف وجدتَ فلاناً لما قصدته؟ قال: وجدته لا يعود إليه حرّ.

وقصد رجل سلطاناً فلما رجع، قيل له: ما ولاّك؟ فقال: ولاّني قفاه وأولاني سمعه وحماني نعمه.

● مَنْ تأبى نفسُهُ السَّماحَةَ

قال شاعر:

يـعـالـجُ نـفـسـاً بـيـن جـنـبَـيـه كـزّةً إذا همّ بالمعروف قالَتْ له: مَهْلا[3]

وقال آخر:

كـأنـمـا يـعـطـيـكَ مِـن سـرّه

وقال سعيد بن عبد الرحمن:

أبى لكَ فعلَ الخيرِ رأيٌ مقصرٌ ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخيرِ باعَها

إذا هي حثّته على الخيرِ مرّةً عصاها وإن همّت بشرٍّ أطاعها

---

(١) الغبطة: المسرة وحسن الحال. يقول: إذا ابتسمت إليك حسبت ابتسامتي رجاء لك وغبطة، ولكني لست براضٍ عنك لتقصيرك في حقي.

(٢) يقول: إذا رعت النعم في أرضكم لم يدرّ لبنها على مرعاكم لو حلبته.

(٣) كزّة: يابسة ومنقبضة، كناية عن البخل.

● المُتلقّي سائِلَه بلَفظِ المَنْع

قيل: فلان مشجب، من أي النواحي أتيته وجدت لا. وقال عمرو بن عبيد لرجل قد أكثر من لا: أيها الرجل أقلّ من لا فليس في الجنة لا. قال أعرابي: وجدت فلاناً أخرس بنعم فصيحاً بلا.

● بخيلٌ متكبِّر

قال النبي ﷺ: خصلتان لا يجتمعان في مؤمن، البخل وسوء الخلق

قال خلف الأحمر:

أناسٌ تائهون لهُم رواءٌ | تغيمُ سماؤهم من غيرِ وبْلِ[1]

وقيل: رب صلف تحت راعدة.

وقال أحدهم:

أتجمع مُحلاً فاحِشاً وتكبّراً | وما جزعاً كالتكبّر والبُخْل
فلَوْ كان مع البخل منك تواضعٌ | أو الكبرَ جودٌ كنت منْ ذاك في وَعَلْ[2]

وقد تقدّم بعض ذلك في الكبر

● مَنْ عادَتُهُ البُخلُ

قيل لثمامة: أي الناس أبخل؟ فقال: لم أر الديكة في بلد إلا وتأخذ بمناقيرها ما تلتقطه فتلقيه قدّام الدجاج إلا ديكة مرو فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبوب، فعلمت أن البخل في طباعهم.

وقال بعضهم: من لم يأتِ الخير صغيراً لم يأته كبيراً، أما سمعت قول الشاعر

إذا المرءُ أعيَتْه المروءةُ ناشئاً | فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

وقال ابن العميد:

البخْلُ مُسْتَحْسَنٌ في شيمَةِ الخُوزِ[3]

● ذمّ من لا يُعطي إلاّ على العُنف

قال أبو ثمامة: جلّ الناس لا ترشح أناملهم إلا بعسف وعنف. هذا محمد بن علي بن عصمة صرت إليه أطواراً أقتضيه، فكان يعد ويماطل، فأتيته يوماً فقلت: أتسمع بيتاً حضر، قال: هات، فقلت:

محمد بن علي بن عصمة بن عاصم

---

(١) من غير وبل: من غير مطر ـ الرواء: الحبل تشد به الأمتعة على ظهر الجمل
(٢) في وعل: في حصن
(٣) الخوز: المعاملة

فقال: هذه نسبتنا، فقلت:

جليلٌ فضلٌ كريمٌ ... من أهل بيتٍ كرامِ

فقال أحسنت، فقلت: أتسمع بيتاً أم تجر لوعد؟ فقال: عداً، فقلت: فاسمع.

لكنه مستهامٌ بأخذ أير الغلام

فقال: آه آه ويلك يا غلام أعطه وأرحنا منه. قال بعضهم:

العبدُ لا يَطلبُ العلاء ولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا رَهِبا

مثلُ الحمارِ الموقع الظهرِ لا ... يُحسِنُ مشياً إلا إذا ضُرِبا

وقال آخر:

رأيتُكَ مثلَ الجوزِ يمنَعُ خيرَه ... صَحيحاً ويُعطي نفعَه حينَ يُكسَرُ

وقال شاعر:

صاحِبٌ لي ليس فيه ... خصلةٌ أشكرُها له

سمجاً شخصاً ومخبراً ... رأ وتفصيلاً وجُملة

ومريداً من جفاه ... ومهيناً من أدلّه

فهو كالديك ... ولا يكرِمُ الأمن أذلّه

● بَخيلٌ أعطى عَطيّةً لِطَمَع

قيل لأعرابي: أعطاك فلان، فقال: نعم أعطاني طمع الثواب وصانع المعروف لعاجل الجزاء، كملقي الحب للطير ليصيده به لا ليتعمه. ومن هنا أخذ المتنبي تعريضاً بكافور:

ومنْ قدْ ظنّ نثرَ الحبِّ جُوداً ... وينصبُ تحتَ ما نثرَ الشِّباكا

● المُصطنِعُ إلى الأراذِلِ دُونَ الأفاضِل

قال ابن الرومي:

تنبّه للأنذالِ يرفَعُ أمرَهم ... وأصبَح عن أهلِ المروءة ساهِيا

وقال آخر:

صنائعُه لدى الأنذا ... لِ تُنبِي أنّه سَفِله

وقال آخر:

وابنُ اللئيمةِ للّئام وَهوبُ

● بَخيلٌ مُتشبّهٌ بالأسخياء

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه، فقيل له: لو واسيت أخاك كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته، فقال: والله ما أنا ببخيل، لو ملكت ألف ألف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم، ثم التفت إلى القوم، فقال: يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس واحد

خمسمائة درهم يقال له بخيل. قالو: والله أنت أجود من يمشي على قدم. قال جحظة:

ومـمـخـرقٍ يـصـفُ الـسـمـا ... حَ ونـفـسُـه نـفْـسُ بـخـيـلـه[1]

وقيل للماجشون كيف رأيت أهل العراق؟ قال.

مـا شـئـتَ مـن رجُـل بـخـيـلٍ ... يـأوي إلـى عـرضٍ دخـيـل

يـأتـي الـجَـمـيـلَ بـقـوْلـه ... ومـا لـه غـيْـرُ الـجَـمـيـلِ

• المُتعجّبُ مِنْ بَخيلٍ سَمح وقتاً بطفيف

تعجّبْتُ لما ابتدا بالجَميل ... وما كانَ يعرفُ فعْلَ الجميل

فأطلعَ لي كوْكباً كالسُّهى ... قليلَ الضياءِ سريعَ الأفولِ

وما كانَ إعطاؤه سؤدَدا ... ولكنّها غلطةٌ من بَخيل

قال الخليل بن أحمد في سليمان، وقد ذكر له إنسان أنه جاءه فأعطاه شيئاً

وخصلة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجّبُ جاءتْ من سليمانا

لا تعجبنّ لخيرٍ جاء من يده ... فكوكبُ النحسِ يسقي الأرض أحياناً[2]

وقال أبو تمام:

ربّما أمكنت جناها السحوقُ[3]

وقال الموسوي:

ومبخلٍ أعطى القليلَ وربّما ... سمحت حروفُ التاء للتمتامِ

• مَن أعطى للتهوُّر

قال شاعر:

لا تمدحنّ حسناً في الجودِ إن مطرت ... كفّاه يوماً ولا تذمُمه إن رزَما[4]

فليس ببخل إبقاءً على نشبٍ ... ولن يجودُ بفضل المال محتزمًا

لكنّها خطراتٌ مِنْ وساوسهِ ... يعطي ويمنعُ لا بُخلاً ولا كرَمَا

• رَدُّ عَطِيّةٍ خَسيسة

قصد أعرابي أبا العمر، فسأله فأعطاه درهمين، فردهما إليه، ثم قال:

رددتُ لبَحْرٍ درهميْه ولم يكُنْ ... ليدفعَ عن فاقتي درهما عمْرِو

فقلتُ لبحرٍ خذهما واصطرفْهُما ... وأنفقهما في غير حمدٍ ولا أجرِ

---

(١) الممزق: المختلف والكاذب.

(٢) كوكب النحس: زحل أو المريخ ـ وضم نحس: مجدب.

(٣) السحوق، جمع سحق، وهو السحاب الرقيق. (٤) الرزم: المطر لا ينقطع رعده.

أتمنعُ سؤالَ العشيرةِ بعدما تسمّيتَ بحراً واكتنيتَ أبا الغَمْرِ؟

وكان ربيعة مدح العباس بن محمد بقوله:

لو قيلَ للعبّاس يا ابنَ محمّدٍ قُلْ لا وأنتَ مخلّدٌ ما قالَها

فأعطاه بعد مطل كثير دينارين فوهب ربيعة ذلك لصاحب دواته، وقال: خذ هذه الرقعة وأوصلها، وكتب فيها:

مدحتُك مدحةَ السيفِ المحلّى لتجريَ في الكلامِ كما جريتُ

فهبْها مدحةً ذهبتْ ضياعاً كذبتُ عليكَ فيها وافتريتُ

● وَصْفُ غنيٍ لا يُعطي ولا يُنفق

قيل: فلان سمين المال مهزول النوال. وقيل: عطر الدعة بخيل السعة. وقيل لجعفر بن محمد إن منصوراً لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلا الخشن ولا يأكل إلا الخشن، فقال: ويحه مع ما يكون له من السلطان وجبي له من الأموال، قالوا: إنما يفعل ذلك بخلاً، فرفع يده إلى السماء، فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك من أجله دينه. وقيل: إنه كان أعد اثني عشر ألف عدل من الثياب، فأخرج يوماً ثوب خز، وقال: يا ربيع إقطع منه جبة لي وقلنسوة، ويحل إذا بلي بثوب آخر، فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أنهبها الغلمان.

قال البسامي:

لقد أوتيت من ملكٍ عظيمٍ فما أتيت إنساناً فقيرا

وقال آخر:

ولو يكونُ على الخزّانِ يملكُه لم يسقِ ذا غلّةٍ من مائه الجاري

وقال آخر:

ألا ليتَ شعري آل خاقان هل لكُم إذا ما سلبتم نعمةَ الله ذاكِرُ

فأما وأنتم لابسون ثيابَها فما لكم والحمدُ للهِ شاكِرُ

● المُزدادُ بالثَّراء بُخلاً

أحسن ابن الرومي في قوله:

إذا عمرَ الماءُ البخيلَ وجدته يريد به يبساً وإن ظنّ يرطُبُ

وليس عجيباً ذاك منه فإنه إذا عمرَ الماءُ الحجارةَ تصلُبُ

وكان ذلك ممّا روي في الخبر. أن الله رد سأله عبد شيئاً يقول خلقه وضعفيه حرصاً

قال ابن الحجّاج:

أناسٌ كلّما ازدادوا علاءً تناهَوا في نفوسِهم اسيفالا

● مَن لا يخرجُ ممّا يقعُ في أنامِله

فلان لا تندى أنامله ولا تُرجى فواضله، ألين من كفيه الحجر، هو نزر العرف جامد الكف

كأنما خلقت كفّاه من حَجَرٍ   فليس بين يديه والندى عَمَلُ

وقال آخر:

وهل للصّفا العادي ماءٌ إذا عُصِر[1]

هو نكد الحظيرة أي مانع لما في يديه. قال شاعر:

لو عبّر البحر بأمواجه   في ليلة مظلمة باردة
وكفّه مملوءةٌ خردلاً   ما سقطت من كفّه واحدة

وقال البحتري:

جدّة يذودُ البخلَ عن أطرافها   كالبحرِ يدفع مِلحهُ عن مائِه[2]

وقال الفرزدق:

متى ماله كالبحر يمنع صادياً   من الريّ منه وكدرُه أجاجه[3]

وقال الزبرقان:

طوى كلّ معروفٍ وأحصر دونه   عقارب أحشى لسمّها وأفاعيا

● الرّاجعُ في هِبتِه والقاطعُ لِصلته

قال النبي ﷺ: الراجع في هبته كالعائد في قيئه، وهذا مما يستدل به على تحريم الرجوع في الهبة بأنه حرام، كما أن أكل المتقيء حرام.

قال ابن الرومي:

لا تكنْ كالنّفرِ في أفعاله   كلّما أعطى عطاياه رجع

وقال البحتري:

أعطى القليل وذاك مبلغُ قدره   ثم استردّ وذاك مبلغُ رأيه

وأجرى بعض الكبار على أعرابي شيئاً فقطعه عنه، فقال فيه:

إن الذي شقّ فمي ضامنٌ   لي الرزق حتى يتوفّاني
حرمتني نفعاً قليلاً فما   زادك في نفعك حرماني

وقال ابن هرمة:

كممكنةٍ من درّها كفّ حالبٍ   ودافقةٍ من بعد ذلك ما حلّت

---

(١) الصّفا: جمع صفاة، وهي الصخرة العريضة الملساء.

(٢) جُدّة: النّعمة، والجدّة أيضاً شاطئ النهر.

(٣) الصادي: الشديد العطش ـ الأجاج: الشديد الملوحة.

● السَّالِبُ مُسْتَعطيه

قيل في المثل: طلب القرن فجدعت أذنه، وقال بشار:

فصرت كالهيقي غدا يبتغي   قرناً فلم يرجع بأذنين[1]

وقيل:

سقطَ العشاء به على سِرْحانِ[2]

وقال آخر:

كمبتغي الصيدِ في عريسَةِ الأسَدِ[3]

● الصَّائنُ مالَهُ بِعِرْضِهِ والممنوعُ مِن سؤاله.

قيل: أبخلُ الناس بماله أجودُهم بعرضه. من صان نفسه أهان فلسه.

وقيل: كان جحا إذا جلس كشف إسته ورفع عنه ثوبه، فقيل له في ذلك، فقال: جلدة الإست أبقى من الثوب. وهذا نحو المثل: إتق نعليك وابذل قدميك.

قال أبو تمّام:

أضحوا بمستن سيلِ الذمّ فارتعت   أموالُهم في هضاب المطْل والعِلل[4]

وقال ابن الرومي:

لا تطالبه بالثواب فحبا   ء ثوابٍ من مثله بحلالِ

● المُقتِّر على نَفْسِهِ والتاركُ لِشَهْوَتِهِ.

قال شاعر:

ولو يستطيع لتقتيره   تنفّس من منخرٍ واحدِ

وقال آخر

يحبُّ المديحَ أبو خالدٍ   ويفزَعُ من صلةِ المادِحِ
كبكرٍ تودّ لذيذَ النكاحِ   وتخشَعُ من صولة النّاكِحِ

● الضَّنينُ بِمالِ غَيْرِهِ والسَّمحُ بِهِ

قيل فلان يمنع درّه ودرّ غيره. الحرّ يعطي والنذل يألم قلبه. وقيل البخيل يجمع ماله ويغضب على الجواد إذا رأى ابتذاله. قال أبو تمّام:

وإن امرأ ضنّتْ يداه على امرئٍ   بنيلِ يدٍ من غيره، لبخيلُ

وقال آخر:

سبْط البَنان بما في رحْل صاحبه   جعْدُ البنان بما في رحْله قططُ

(١) الهيقي: الجبان وفاقد العقل.
(٢) السرحان: الذئب أو الأسد.
(٣) العريسة: مأوى الأسد.
(٤) المطل: من طلّ، وطلّ الماء: أحسن العناية به.

- **المَوْصوفُ بالسّكوتِ عِنْد السُّؤال**

قال بعضهم: فلان مرتز نكد كز[1] وقال بعضهم:

كـأنّـهـم عـنـد الـسـؤال جَـلامِـد[2]

وقال آخر:

إن الـلـئـيـمَ إذا سـألـت بـهَـرْتَـهُ　　عـنـد السّؤال وقلّ منه المنطِقُ

وأتى بعض الشعراء رجلاً فسأله فمد رده على التنحنح والتحوقل، فقال:

فـلا حـولَ إلا بـالإلـه وقـوّة　　إذا قلتُها دلّتْ على طرْق البخْلِ

وإنّـي لأرجـو أن أفـوزَ بـأجـرهـ　　كما قلتُها بعْد التنحنُح من أجْلي

- **الحَزينُ الهارِبُ مَخافَةَ أن يُسأل**

قال بعضهم:

مـخـافـةَ أن يُـرجـى نـداه حـزيـنُ

وقال جحظة:

إذا ذكر النـاسُ التطولَ أرعدت　　فرائصُه خوفاً لذكر التطوّل[3]

وقال بشار:

إذا سلّمَ المسكينُ طارَ فؤادُه　　مخافةَ سؤالٍ واعتراه جُنونُ

وقيل: فلان يغص نعمة الله عليه مخافة أن يستماح.

- **المُتَلَقّي عافِيَةً بِقُطوب وَجْهِهِ**

ذم أعرابي رجلاً، فقال: رآني فحدثني في نداه راغباً ولجدواه طالباً، فقرب من حاجبٍ حاجباً

كـأنّـمـا وجـهُـه بـالـخَـلّ منضوحُ

وقيل لامرأة: كيف وجدت فلاناً لما أتيته، فقالت:

تـلـقـانـي بـوجـهٍ مـكـفـهـرّ　　كـأنّـمـا عـلـيـه أرزاقُ الـعِـبـادِ

وقال آخر:

وعـنـونَ لـي إطـراقَـه عـن قُـطـوبـه[4]

وقال آخر:

طـعْـمُ الـنّـدى عـنـدهُـم حـامِـضُ

وقال شاعر:

كـالِحُ الـوجـه كـأن مصّ حماضاً　　وسمـا تـعـبـيـسـه دون حماضِ

---

(1) مرتزٌ وكَزٌّ: بخيل وقليل الخير.　　(2) جلامد: صخور.

(3) التطوّل: التفضل عليه.　　(4) أطراقه: سكوته ـ القطوب: التقطيب وعبوس الوجه.

وأصل ذلك من قول الأعشى:

يزيدُ يغُضُّ الطرْفَ دوني كأنما ... زَوَى بين عينيْه عليَّ المحاجِمُ[1]

● **المُتلقِّي عافِيَه بِبشاشةٍ مِنْ غَيرِ جَدْوى:**

قيل لرجل: ما رأيت من فلان، فقال: برقٌ بلا مطر وورقاً بلا ثمر، وجه كريم وفعل لئيم.

وقال أبو العيناء لعبيد الله بن سليمان: أيّد الله الوزير لي منك قرب الولي وحرمان العدو.

وقال ابن الرومي في معاتبة بعض الرؤساء:

لولا الثمارُ التي ترْجى منافعُها ... ما فضّل الناسُ تفّاحاً على غَرَبِ[2]

ولجحظة:

وبأحسنْتَ لا يُباعُ الدقيقُ

وقال أبو العتاهية:

إنّ السلامَ وإن الردّ من رجُلٍ ... في مثلِ ما أنتَ فيه ليْسَ يكْفيني

● **المُعتذرُ إلى سائِلِه بِبشاشةٍ مِنْ غَيرِ جَدوى**

سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر إليه وحلف أنه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟

وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار، فقال: يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله. واعتذر آخر، فقال السائل: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت معتذراً فجعلك الله معذوراً. وهذا مأخوذ من قول الآخر: لا جعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة. قال الجريمي:

لا ينْهَضُون إلى مجْدٍ ولا كَرَمٍ ... ولا يجُودون إلا بالمَعاذيرِ

● **المُخلِفُ إذا سَأل الحارِمُ إذا سُئل**

قال أعرابي: فلان إذا سأل ألحف، وإن سئل سوّف، وإذا حدث حلف، وإذا وعد أخلف، ينظر نظر الحقود ويعتذر اعتذار الحسود. وقيل: إذا سئل أقنط وإذا سأل أفرط. وقال آخر: لم أر أحصر يداً منه بالنوال ولا أطول لساناً منه بالسؤال[3]، إن سئل مجّحد وإن سأل محرب. إن سئل أرز[4] وإن سأل انتهز، هو بالإنجاح إذا سأل واثق، وبالرد إذا سئل حاذق.

---

(١) المحاجم: من حجم الطرف عنه أي صرف وجهه عنه.

(٢) الغرب: الشجر الضعيف.

(٣) يلقه قائلاً: إنه يبخل يضيق بالعطاء إذا سئل، ويلحف بالسؤال إذ استجدى.

(٤) أرز: تقبض.

وقال شاعر:

وأخٍ إن جاءني في حاجةٍ ... كانَ بالإنجاحِ مني واثِقا
وإذا ما جئتُه في مثلِه ... كانَ بالرَّدِّ بصيراً حاذِقا
يعمِلُ الفكرةَ في ردّي بها ... قبلَ أن أفرغ منها ناطقا

● ومِمَّنْ تَلطَّفَ لِرَدِّ سائِلٍ.

كان لسعيد بن خالد قصر بإزاء قصر عبد الملك، فقال له عبد الملك: إن لي إليك حاجة فقال: مقضية، قال: إجعل لي قصرك، قال: هو لك، فقال عبد الملك: فلك خمس حاجات مقضية، فقال سعيد: أولها أن ترد عليّ قصري، قال: فعلت فما بعد ذلك، قال: أنت في حل من الأربع.

وقال رجل لآخر: إن لي إليك حاجة، قال: بشرط، أن تقضي قبلها لي حاجة، قال: لك ذلك، قال: حاجتي أن لا تسألني حاجة، قال: قد فعلت.

● مَنْ رَدَّ سائِلَهُ بِشَتْمٍ أو سَفاهَة

سأل أعرابي شيخاً من بني أمية وحوله مشايخ، فقال: أصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتاً، فقال الشيخ: وددت أن الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح حديد، فلا تقطر عليك قطرة، وأضعف بناتك أضعافاً وجعلهن مقطوعي اليد والرجل، ما لهن كاسب سواك، ثم صفر بكلب له فشدّ عليه وقطع ثيابه، فقال السائل: ما أدري ما أقول لك إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر فأعضك الله ببظور أمهات من حولك

ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك، فقال: لي بك سببان، الجوار وسوء الحال، وذلك داع إلى الرحمة، فقال: أما الجوار فبين الحيطان والرحمة من أخلاق الصبيان، اخرج عني. فما مضى عليه أسبوع حتى نُكب

● ذَمُّ مَنْ يَنْسِبُ بُخْلَ نَفْسِهِ إلى القَدَرْ

خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] فلِمَ تلام نحن؟ فقام إليه الأحنف، فقال: إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه، فسكت معاوية.

وقال بعض الشعراء

إذا أعطاكَ قصّر حينَ يعطي ... وإن لم يعطِ قال أبى القضاءُ
يبخِّلُ ربَّه سفهاً وجهلاً ... ويعذرُ نفسَه فيما يشاءُ

---

(١) القرآن الكريم: الحجر/٢١.

● **المُحْسِنُ لِلبُخْلِ المُحتَجُّ له**

قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق ومالُك عريض؟ **قال**: الدهر أعرض منه. **قيل له**: كأنك تؤمل أن تعيش أبداً؟ **قال**: لا، ولا أخاف أن أموت في أوله.

قال الجاحظ: قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت أن يقال لك إنك بخيل؟ **قال**: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال، أعطني المال وادعني بما شئت من الأسماء.

من وهب ماله في عمله فهو أحمق ومن وهبه في عزله فهو مجنون. **وقيل لأبي الأسود**: أنت ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل، **فقال**: وما خير ظرف لا يُمسك ما فيه. **وقيل**: من لم يمنع لم يكن له ما يعطي. **قال**: ولبخل خيرٌ من سؤال بخيل.

وقيل: الشحيح أعذر من الظالم. وقال المنصور: الناس يزعمون أني بخيل وما أنا ببخيل، ولكني رأيت الناس عبيد المال فحظرت ذلك عنهم ليكونوا عبيدي.

وعمل سهل بن هارون كتاباً في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل، وطلب منه ثواباً، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك ما جبته وأمرت به.

قال الموسوي في عذر فاضل بخيل:

لا عرو إن كنتَ حراً لا تفيضُ يدي ... فالبحرُ عمرٌ ولكنْ ليسَ بالجاري

● **ذمّ ممتنٍ بالإعطاء**

قيل: المنّة تهدم الصنيعة. **وقيل لأعرابي**: فلان يزعم أنه كساك، **فقال**: المعروف إذا منّ به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه. وقيل لآخر في المعروف إذا أحصى، **قال**:

إنّ الذين يسوغُ في أعناقهم ... طعم يمن عليهم للئامُ

وقال آخر:

أفسدْتَ بالمنّ ما قدّمْتَ من حسنٍ ... ليسَ الجوادُ إذا أسدى بمنّانِ

وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ **فقال**: لا خير في ثمرة مقترنة بزنبور.

ومنْ ذا الذي يلتذُّ شهْداً بعلقمٍ ... أتتْ لهواتي ذاكَ والشقتانِ(1)

وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد، وقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾(2)، قال فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد لم يكن ذلك منهم مقالاً وإنما أخبر عما كان لهم اعتقاداً.

---

(1) **اللهوات**: جمع اللهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق، من أعلى الفم.
(2) **القرآن الكريم**: الدهر/8.

دعا المنصور طبيباً للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، فقال: إن هذه في عينها شوكة سنبل فانتزع من عينها، فإذا هو شيء صار من السبل ولصق بعينها وتراكيت الأكحال التي تعالج بها فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم. فأوصاه فقال: إحفظها فإنها مال له خطر، فقال: نعم، وفارقه فاسترده، وقال: إياك أن تنفق منها شيئاً حتى تتفق ضيعة تشتريها بها، فقال: نعم وفارقه، ثم استرده فأوصاه فقال: إن رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك، فضحك وخلاه.

● النَّهْيُ عن الامتِنان

قال النبي ﷺ: إياكم والامتنان بالمعروف، فإن ذلك يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. وقيل: تمام البذل ترك المنّ، وقال بعضهم: لا تمنّ بالمعروف فالمعروف إذا ذكر كدر، وإذا أنسي أمر. تعداد المنة من ضعف المنة. وقيل: المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة فنزه منتك عن الامتنان. وسأل رجل آخر حاجة فجعل يؤسه، فقال: أترى أن تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة

● أنواعٌ مِنه

قال المتنبي:

وما كـلّ بمـعـذورٍ ببُخْـلِهِ ... ولا كـلّ عـلـى بـخـلٍ يُـلامُ

وقال نُصيب الصغير

متى يجتمع يوماً حريصٌ ومانِعٌ ... فليس إلى حَمْدٍ هناك سبيلُ

وقال آخر:

ولو عليكَ اتكالي في الطّعام إذاً ... لكنتُ أول مدفونٍ من الجُوعِ

أحقر الناس البخيل لكي يستغنوا عن ماله. وسأل ابن عباس إنساناً حاجة فرده، فقال: أبوك لم يرد حاجة أحد جوداً كان قد أتاه قوم يستعيرون كلباً لينزوه على كلبتهم، فقال: لا ينزو عليها غيري إيجاباً لكم. وقيل: أتاك رزق بلسنه إذا أعطى ما يفضل منه.

قال أبو علي المحمودي:

أعزّ عليّ من أخوي عندي ... ومن نفسي أعز علىّ فلسي
فلولا الفِلْسُ هنتُ على صَديقي ... ولم تكرمْ على الأطماعِ نفسي

وله:

ومتّ على الدرهم المنقوشِ موت فتىً ... يرى الممات عليه أكرمَ الكرَمِ
ولولا غناكَ لكنْتَ الكلبَ عندهم ... فإن أبيتَ فجرّب واشقَ بالنّدَمِ

وقال آخر

لا لومَ في القصْدِ على ذي حبا … بكرْم ما يكرَم مِن أجلِهِ[1]

وقال آخر:

لا أحسبنك بعدَ الموْتِ تنفعُني … وفي حياتي ما زوّدتني زادي

ومن أمثالهم:

لأيِّ يومٍ يخَبّىء المرءُ المتعةَ

وقال آخر:

إذا فات في الدنيا الذي بك أرتَجي … فنفعُك عنّي في المَعادِ قليلُ

وقال محمد بن يزيد، كتبه إلى من استعان به في أمر فلم يجد عليه:

أترضى لي بأن أرضى … بتقصيرِكَ في أمري
لعلّ الله أن يصنع … لي من حيث لا تدري
فألقاك بلا شُكرٍ … وتلقاني بلا أجرِ

(١) ذو حبا: ذو عطايا

في الأطعمة

(١)
فيما جاء في أوصاف الأطعمة

•

● **الخُبزُ**

قيل: الخبز يسمّى جابراً وعاصم بن حبة، كما **قيل:** التمر بنت نخلة. **وقال أعرابي** خبز بعمل تعاطاه.

فلا تَلومَاني ولُوما جابراً ... فجابرٌ كلّفَني الهَواجِر[1]

وقيل لأعرابي. الخبز أحب إليك أم التمر؟ **فقال:** التمر طيب، وما عن الخبز صبر **وقيل لبعضهم:** ما طعم الخبز؟ **قال.** طعيم أدامه. وقال النبي ﷺ أكرموا الخبز، فإن الله تعالى سخّر له ما في السموات والأرض.

● **السَّويق**

عاب عائب السويق عند الطهوية، وكانت امرأة أدركت أصحاب النبي ﷺ **فقالت:** لا تعب فإن السويق طعام المسافر والعجلان و نحرين و لسمنة والنفساء والمريض **وقيل** هو يرفو الضعيف ويشدّ فؤاد السقيم وفقاره ويجبر اللحم ومسموته يصفّي الدم، إن شئت كان ثريداً وإن شئت كان خبيصاً

● **حَمْدُ اللّحم وَذَمُّه**

قيل: أطيب اللحم عوده أي ما عاد منه بالعظم، **وقيل** اللحم أقل الطعام نجواً[2].

وقيل: من لم يأكل اللحم أربعين يوماً نقص عقله **وقيل** من تركه أربعين يوماً ساء خلقه.

وقال بعض الأطباء عجباً لمن أكله الخبز واللحم وشربه ماء الكرم[3]، ثم اقتصد في تناولها كيف يموت واستقبل عمر رجلاً ثلاثة أيام على الولاء وقد اشترى لحماً فعلاه بالدرة، **وقال:** إن الله تعالى يبغض قوماً لحميين، عاقب بين اللحم وغيره. **وقيل** إياكم

(١) جابر: اسم للخبز ـ الهواجر: شدّة الحر (٢) النجو. ما خرج من البطن من ريح أو غائط.
(٣) ماء الكرم: الخمر.

وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. وقال لمسيح: ألجم[1] تأكل لحما، أف لهذا عملاً.

وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم، فقال: إنا رأينا الموائل تتولّد من أكل اللحم، ألا ترى أن أكلة اللحم من السباع هي أشد ضرراً من أكلة الحشيش.

● السكْباج والزيرباج

يقال للسكباج: الخلية والمحللة والشمقمقة والصفصاف لغة ثقيف، وسمّوه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج[2] أن يطبخ في أيام العرس إلا بخاتم من الملك وسئل بعضهم عنه، فقال: إنه يشفي العرم ويمتق الشهوة ويقدم في الثرائد وتزيّن به الموائد، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامّة.

قال الحجاج لطباخه: اتخذ لنا صمصماة[3] وأكثر فيجنها[4]، فلم يدر الطباخ ما عناه، فسأل ابن القرية، فقال: اتخذ سكباجة وأكثر سذابها.

وقال المنصور يوماً لحظية له: إلى كم تأكل السكباج، يعرّض بها، فقالت: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة لا نملّ حارّها ولا يكره باردها، فاستحيا منها.

قال عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

وسكباجة تشفي السقام بطيبها ... على أنها جاءت بلون سقيم
إذا زارها أيدي الرجال تراحمت ... كأيدي نساء في ظلال نعيم

وقال بعضهم:

فتنتنا بريحها السكباجة ... فتركنا من أجلها ألف حاجة

وأكل أعرابي القريش، فقيل له: ما أكلت قال: الفالوذج[5] إلا أنكم عصمتموه بعد.

وقال بعضهم:

قدم طباهيك زيرباجه ... وهي على الدهر خير باجه
صبيغة الزعفران تحوي ... أطايب المزج والدجاجه

وقدم إلى طفيلي سكباجة بلا زعفران، فقال: ما لها خرجت متفضلة بلا لباس.

● الثّريد

قيل لأعرابي: أي الطعام أطيب؟ فقال: ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص

---

(1) لحم لحامة: كان شديد الشهوة في اللحم، وألحم الرجل: كثر اللحم في بيته.
(2) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل. (3) الصمصماة: السكباجة.
(4) الفيجن: السذاب أو السداب وهو ضرب من البقل.
(5) الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وهي فارسية.

ذات حفافين من الصبع، لها جناحان من عراق أضرب فيها ضرب الولي السوء في مال اليتيم

قال حسّان:

ثريدٌ كأنّ السمْن في جبابِه نجومُ الثريا أو عيونُ الضياوِن[1]

قال الأصمعي: قلت لأعرابي هل لك في ثريدة؟ قال نعم:

ثـريـدةً مـحـمـومَـه في صـحـفـة مـكـمـومـه
قـدْ ألـحـفَـت رِقـاقـا وكـلـلـتْ عُـراقـا[2]

● المَرَق

قيل المرق أحد اللحمين، وقال النبي ﷺ: إذا طبخ أحدكم اللحم فليستكثر من المرق، فمن عدم اللحم أكل المرق، فهو أحد اللحمين، قال

وأكثر الشُرْبَ إنْ لمْ يكثِر اللبن

وأهدى صالح بن عميرة إلى سعيد بن سلم جودابة، فكتب إليه:

بـعـثـتَ إلـيّ بـجـودابـة فـأيـنَ الـتـي جـاءَ جـودابـهـا[3]

فقال لابن أخيه أجبه، فكتب إليه:

بـعـثـنـا إلـيـك بـجـودابـة وجـار الأوزّ أصـحـابـهـا

● الشِّواء

قال ابن الرومي:

وسـمـيـطـةٍ صـفـراء ديـناريـةٍ ثـمـناً ولـونـاً زفّـهـا لـك حَـزوَرُ[4]
ظلْنا نقشّرُ جلدها عن لحمِها فـكـأنّ تبراً عن لُجينٍ يُقشَرُ[5]

ويقاربه في صفته:

شديدُ اصفرارِ الكشحَين كأنما يُطلى بورسٍ بطنُه وشواكلُه[6]

وقال ابن طباطبا

لا أنسَ لمْ أنسَ قبلَ الحشرِ مائدةً ظلْنا لديْك بها في أشغلِ الشغُلِ
إذْ أقبلَ الجَدْيُ مكشوفاً ترائبُه كـأنـه مـتـمـطٍ دائـمُ الـكَـسَـل
قد مدّ كلتيْ يديْه لي فأذكرني بيتاً تمثّلتُه من أحسنِ المثَل

(١) عيون الضياون: عيون الهررة. (٢) عراقا: العُراق العظم أكل لحمه.
(٣) الجودابة: طعام يصنع بسكّر وأرز ولحم. (٤) الحزوّر والحَزْوَر: الغلام إذا اشتدّ وقوي.
(٥) شبه إهاب الدجاجة بالتبر لاصفراره ولحمها باللجين لابيضاضه
(٦) الورس: نبات كالسمسم، يصبغ به. شواكله: جمع شاكلة وهي الخاصرة

كـأنـه عـاشِـقٌ قـدْ مـدّ بـسـطـتـه يـوْمَ الـفـراقِ إلـى تـوْديـعِ مـرتـحِـلِ

وقدّم إلى بعضهم جديٌ حشب لم ينضج، فقال: كأنه شريحة من قصب. قال ابن طباطبا يذمّه:

قـد أتـيْـنـا بـهِ عـواري ضـلـوع هـيّ فـي الـوصْـفِ والـمـدارِ سَـواءُ

حـارَ فـهْـمـي فـلـسْـتُ أدْري أبِـدْرَا ةُ بَـدَتْ أم شـريـحَـةٌ أم شِـواءُ

وقدّم لأبي علي القسري مرّة شواء غير نضيج، فقال. هذا لا تعمل فيه العوامل

وقال بعض القدماء في سفود عليه لحم:

وذي شعـب شتّـى كـسـوْتُ فـروجَـه بـغـاشـيـةٍ يـومـاً مـقـطّـعـة حـمْـرا

وينشد في غير النضيج عبدة بن الطبيب:

لـمـا نـزلْـنـا رفـعْـنـا ظِـلّ أحـسـيَـةٍ وفـارَ لـلـحـمِ بـالـقـوْمِ الـمـراجـيـلُ

ورداً وأشـقـر لـم يـنـهـئـه طـابـخـه مـا غـيّـر الـغـلْـي مـنْـه فـهـو مـأكـولُ

● القديد

حُمل إلى أعرابي لحمٌ مقدّد صلب، فقال: ما هذا لحم مقدّد بل حبل ممدّد.

● البيض والعِجّة

قال ابن أبي البغل.

وصُـفّ عـلى الـكـانـون بـيـضٌ كـأنّـه فـرائـدُ دُرّ سُـلّ مـن صـدَفِ الـبـحْـرِ

كـمـا اصـطـفّ أرجـاء الـنـدى وصـائـف عـلى دسْـتـبـيـد قـد تـمـلّـى من الـخـمْـرِ[1]

أكل بعضهم بيضاً مع سلطان يأكل الصفرة ويؤثره بالبياض، فقال الرجل: سقى الله العجّة ما أعد لها. وكتب منصور الفقيه إلى حر له يستدعي منه بيضاً لابنه

لأبـــي الـــفـــضـــل إذا هـــمّ بـــمـــا يـــهْـــوى لـسـجـاجـه

فـــلـــه عـــنـــدك مـــطـــلـــوبٌ ومـــأمـــولٌ وحـــاجـــه

درّة لـــيـــسـت مـــن الـــبـــحـــرِ ولـــكـــن مـــن دجـــاجـــه

● البرزماورد

قيل: البرزماورد نرجس الموائد، وقد أحدثه الفرس في بعض الحروب واستخفوا حمله في المعارك، وسموه رزماورد وهو طعام أفاد الحرب، ثم قيل برم أورد وقيل سمي زماورد وسمي المهيأ والميسر، قال الشاعر:

كـلّ الـمـيَـسّـرِ من راسين يا سكـني لا يـسـتـطـاعُ ولا سـيـفـان فـي غِـمْـدِ

(١) دستبيد: معربة عن الفارسية.

● **البقل**

قال أبو نواس: مائدة بلا بقل كشيخ بلا عقل، ومجلس بلا ريحان كشجرة بلا أغصان.

● **الخلّ**

قال النبي ﷺ: نعم الإدام الخلّ، وقال: ما أقفر بيت فيه خلّ

● **الأرز**

كان الحسن بن سويد يأكل مع المأمون، فقدم الأرز، فقال: الأرز يزيد في العمر. فقال المأمون: كيف؟ فقال: ذكر أطباء الهند أن الأرز يرى المنامات الحسنة، ومن رأى مناماً حسناً كان في نهارين، فاستحسن المأمون منه ذلك. وجرى ذكر البهطة[1] في مجلس إبراهيم التيمي القاضي، فقال رجل حضر لإقامة شهادة: ما هو؟ فقيل: الأرز باللبن، فقال: لا أشتهيه. فسكت ثم قال: وما أظن عاقلاً يشتهيه. فقال إبراهيم: أما الأولى فقد احتملناها وأما الثانية فلا نحتمل عيبها، فأخر شهادته

وكان بعض شعراء الزمان عند عضد الدولة، فقدم البهطة، فقال: صفها فعجز عن ذلك، فقال عضد الدولة:

وبهطةٍ تعجزُ عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزّور
كأنها في الجامِ مجلوةً ... لآلئٌ في ماءِ كافور

وقال آخر:

ولستُ أحبّ الرزَّ إنْ قلَّ طبخُه ... فكيفَ أحبّ الرزّ وهوَ مسخّنُ

● **الطباهجة[2]**

قال ابن الرومي:

طباهجةٌ كأعرافِ الديوكِ ... تروقُ العينَ من شرطِ المُلوكِ
هلمّ إلى مساعدتي عليها ... فلستُ لمثلِ ذلكَ بالتروكِ

● **الهريسة**

روي عن النبي ﷺ أن نبياً من أنبياء الله تعالى شكى ضعفاً في بدنه ووجعاً في صلبه،

---

(1) **البهطة**: كلمة سندية وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، والعرب تقول بهطّة طيبة، والبهطة فارسية معرّبة وفي هذا يقول الأزهري

من أكلها الأرزّ بالبهطْ

(2) **الطباهجة**: ضرب من قلي اللحم والبهطة فارسية معرّبة

فأوحى الله تعالى إليه أن أطبخ اللحم بالبرّ وكُلْ، فإني قد جعلت القوة فيهما قال ابن الرومي:

هلُمّ إلى من عذّبت طولَ ليلها   بأضيقِ حبسٍ في تنورٍ تعذّبُ

وقال آخر:

وقد ضربتْ حنّين وهي بريئةٌ   فقوموا إلى دفن الشهيدةِ تؤجروا

وقيل: الهريسة أوطأ فراش لبيد. وللخوارزمي:

هل تنشطونَ لتنوريّة خنقتْ   من أولِ الليلِ حتّى قلبُها يجفُ
كأنّها وهيَ فوقَ الجام قد غرقتْ   في دمعها، قمرٌ بالشمسِ ملتحِفُ
أو درهمٌ فوقَه الدينارُ منطبقٌ   أو لوحُ عاجٍ على الزرياب مُكْتنفُ[1]

وقال أبو طاهر المأموني:

درّ نثير أسلاكُه قِطَعٌ   في ماءِ وردٍ وصندلٍ نُقِعا[2]

● الرؤوس

كان الثوري يعجب بالرؤوس ويسمّيها مرة عرس لما تجمع من الألوان المختلفة الطيبة، ومرّة الجامع، ومرّة الكامل ويقول: هو شيء واحد ذو ألوان عجيبة وأطعمة مختلفة. وقيل لأعرابي: تحسن أكل الرؤوس؟ فقال: نعم، أبخص عينيه وأقلع أذنيه وأفك لحييه وأشحّ شدقيه وأرمي بالعظم إلى من هو أحوج إليه مني.

ودعا بعضهم آخر إلى دعوته، وقال: عندي رغف حوّارة ورؤوس موّارة. ودُعي رجل إلى أكل الرؤوس، فلما قام قال: أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة. وقال ابن الرومي:

هامٌ وأرغفةٌ وضاءٌ ضخمةٌ   قد أخرجت من هاجمٍ فوّارِ
كوجوهِ أهلِ الجنّةِ ابتسمتْ لنا   مقرونةٍ بوجوهِ أهلِ النّارِ

● الدّماغُ والمُخّ

قيل: أضرُّ الأطعمة للبدن الدماغ، فإنه يعلق بالمعدة ويتعرى ما بين عضويها، فلا يدخلها غذاء ولا دواء إلا زلق عنها. والعرب تكره أكل المخ وتتعير به، وذلك قول الشاعر:

ولا ننتقي المُخّ الذي في الجماجم

قال الأصمعي: كان أعرابي في يده عظم وعنده ثلاثة بنين، فقال للأكبر: إن أعطيتك هذا العظم ما تصنع به؟ قال: أتعرّقه حتى لا أدع للذرّ فيه مقيلاً، قال الأوسط: أتعرّقه حتى لا يدري أهو لعامنا أم لعام أول، فقال للأصغر: أتعرّقه ثم أتمشّشه ثم أدقّه فأستفه، فقال:

---

(١) الزرياب: الذهب، والأصفر من كل شيء. (٢) الصندل: جنس شجر هندي خشبه طيب الرائحة.

خذه، فأنت صاحبه. وقال في صفة جذب:

وبـات شـيـخُ الـعـيـال يـصـلـتُ

أي يطبخ العظم فيخرج الدسم ويسمى ذلك الصلب

● المَضيرة

قيل: شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى الله تعالى ضعفه، فأوحى إليه أن أطبخ اللحم باللبن وكلْه تقو.

قال بعض الشعراء:

مضيَرةٌ تنتمي في طِيبِ نكْهتِها ... وفي الصّفاء إلى مسْكٍ وكافورِ
كأنما البصَلُ الثاوي بصفحَتِها ... فرائدٌ فرِشَتْ في صحْنِ بلّورِ

● المصلية

قال ابن أبي البغل:

ومصَلِيّة أما مجالُ وشاحِها ... فقرَّعٌ وأما خصْرُها فشريدُ
كأن هبيرَ اللحْمِ في جنباتِها ... قطا جثَّمٌ وسْطَ الفلاةِ ركودُ

● الشيراز

لا أحمَدُ المراقصي ما يبحثريه ... إذا اعتصرْناه أضياف الشوَّاريرِ
ما متعَةُ العيْنِ في خدٍّ توردُه ... يرمي إليك بخالٍ فيه مَرْكُوزِ
أشهى إليك من الشيراز قد وصحت ... في صحْنِ وجنتِه خيلانُ شونيزِ[1]

● الكشك

قال بعضهم:

أمْ ذا الـكـشْـكِ زانـيَـه ... إن طبخناه ثـانـيـه

وقيل: من خُتم يوماً واحداً فلا يأكلن الكشك سنة، ونزل رجل بأعرابي مكان كل يوم يقول لامرأته: قومي ائتني بخبز وما رزق الله، فكانت تأتيه بالخبز والكشك، فقال يوماً ذلك، فقال لها الضيف: هاتي الخبز ودعي ما رزق الله.

● الكامخ

دُفع إلى إعرابيين رغيفان بينهما كامخ، فقال أحدهما: خرء ورب الكعبة، فذاقه

---

(١) الشونيز. نبات عشبي سنوي من الشقيقات، حبه أسود تلون وهو يستعمل تابلاً ـ الخيلان. جمع خال وهو شامة في البدن أي بثرة سوداء، والخيْلان (بفتح الخاء) وحش بحري يقال إن نصفه إنسان ونصفه سمك

الآخر واستطابه، فقال: نعم، ولكنه خره الأمير. وقال آخر: لا يفرق بين الكامخ والخره إلا بالذوق.

وأضيف أعرابي فأطعم الكوامخ مراراً، فاستفتح الصلاة خلف الإمام، فقرأ الإمام حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير. فقال الأعرابي: والكوامخ فلا تنسها.

وقال البيختي:

أتتني سكرجة لونها | يروق كلوزة صافيه
مضمنة من وضيء الطعام | لمن يذكر العيشة الراضيه
فلم أدر هل ضمنت كامخاً | من الطيب أم ضمنت غاليه

وقال آخر ضده:

شيب رأسي وحنى أعظمي | طول إدمانى الخبز بالكامخ
فهو إلى نفسي من بغضه | يعدل سم الأسود السالخ[1]

● اللبن

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾[2] لم يتغير طعمه. وقال: من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. وقيل: اللبن أحد اللحمين، وسموه شحماً لما كان من الشحم يتولد. وقيل لرجل الحليب أحب إليك أم الرائب؟ فقال: الرائب، فإنه على كل حال بات مع اللحم لسنة. وقيل: ما غص أحد باللبن قط لقوله تعالى: ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[3]. وفي الحديث: أن البقر لحومها داء وألبانها شفاء، وقال ﷺ: عليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر. وقيل: ما رغى من اللبن أطيب من المصرح، وقيل: إن الرثيئة مما يفثأ الغضب. قال ذو الرمة: كان إذا نزل بنا نزيل، قلنا له الحليب أحب إليك أم المحيض، فإن قال المحيض، قلنا: عبد من أنت، وإن قال الحليب، قلنا: ابن من أنت وقال شاعر:

إذا شئت غنابي على رحل مثية | الحصجر يداوي بالبذور كبير[4]

يعني أنه يمحض له. وقيل لبعضهم: الحليب أحب إليك أم الرائب، فقال: هو أكرم وأطيب من أن يتقى له حال.

● الجبن

قال خالد بن صفوان لجاريته: أطعمينا جبناً فإنه يشهي الطعام ويدبغ المعدة ويهيج الشهوة، فقالت: ما عندنا، فقال: لا عليك فإنه يقدح في الأسنان ويلين البطن وهو من طعام أهل الذمة. فقال بعض أصحابه: بأي القولين نأخذ؟ فقال: إذا حضر فبالأول وإذا

(1) السالخ: الحية السوداء.
(2) القرآن الكريم: محمد/ ١٥
(3) القرآن الكريم، النحل/ ٦٦.
(4) الحصجر: العظيم البطن والمنتفخ الخواصر

غاب فبالثاني.

وكتب كسرى إلى واليه: ابعث إليّ بشرّ إنسان على شرّ دابة مع شر طعام، فبعث إليه بخوزي على خنزير معه جبن. قال شاعر:

إنما الجبنُ آفةُ الجسم سُقماً ... وعلى القلب كربةُ الأوهام[1]

بذلوها للمُقتني مِكباجٍ ... أو شواءٍ مفصلٍ مِن عِظامِ

● **السمك**

قال أعرابي: كل من السمك اعتدل ودع منه الصبال وقال آخر. كل ما تفلس ودع ما تملس، وقدم إلى جعفر بن يحيى سمك، فقال: هذا إن لم يكفن بحبيص ويقبر ببيذ فالحذر منه. وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما يخرج من الصرع والنحر. قال أبو طالب المأموني:

مائيةٌ مضيئةٌ لحمُها ... ألذ ما يأكله الآكلُ

يصمتها من جلدها جوشنٌ ... مذبل فهو لها شاملُ[2]

تعيشها اللجةُ ما خيمت ... بها كما يتلفها الساحلُ

لو نلت من فضتها عشجلا ... بقلبها ما ضفني نازلُ[3]

● **الباذنجان**

في الخبر: كلوا القرع واجتنبوا الباذنجان. **قيل لأعرابي**: ما تقول في الباذنجان، **قال**: لونه لون بطون العقارب وأذنابه كأذناب المحاجم وطعمه طعم الزقّوم، **فقيل**: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيباً، **فقال**: لو حشي بالتقوى وقلي بالمغفرة وطبخته الحور العين وحملته الملائكة ما كان إلا مبغضي.

وقيل لآخر: ما تقول في باذنجان عملته بوران، فقال: إن شققته مريم وطبخته سارة وقدمته فاطمة لا رغبة لي فيه. وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، **فقيل له**: إلى أين؟ **فقال**: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمرّ عليه فأخاصمه. **وقال الوأواء الدمشقي**:

أتانا بمقلي بورانه ... وشيرازه من لبان الغنم[4]

وقد شنج القلي منه الجلودَ ... كتشنيج أوجه سود الخدمِ

وقال آخر:

كرةٌ من المسك الذكيّ تضمنت ... من تحت مسك لؤلؤاً مقشوراً

---

(١) كربة: حزن شديد ـ **الأوهام**: جمع وهم، وهو ما يقع في القلب من الخاطر.

(٢) جوشن: صدر ـ المذبل: في غاية السمن.

(٣) نازل: ضيف.

(٤) لبان: الصدر.

وقال عبد العزيز:

وسودٍ تروّتْ بالدهان فأبدلَتْ ... بتوريدِها لوناً من النار أكلَفَا[1]
كأفواه زنْجٍ تبصر الجلدَ أسودا ... وتبصر إن فرّت لُجَيْناً مؤلّفَا[2]
كخلق حبيبٍ خافَ إكثار حاسدٍ ... فأظْهَر صرماً وهو يعتقدُ الوَفَا[3]

● المزور

قال أحمد بن حمدون:

قلّت الطعامُ فقالُوا من مزورة ... مقلّت زورٌ وليْسَ الزورُ من وطَرِي
هاتُوا أطايبَ ثورٍ فائقٍ سمَنًا ... كالفيل قدّاً وإن عدّوه في البَقَرِ
وسكبّجوها ووفُوها توابلَها ... وزعْفروها وصفُّوها عن الغيَرِ[4]
وقدّموها على بيْضاء صافيةٍ ... كأنّما خرطَتْ من دارةِ القَمَرِ
فمَن نجَا فلداعُ الله سلّمه ... ومن مضَى فإلى الفردوسِ أو سقرِ[5]

وقال ابن سكرة:

قد صرت كالزور في أكْلي مزورَة ... فإنّها كاسمِها مِنَ الورى زورُ
خلِ الحقائقَ واتْركْ ما تزوّره ... فالحَقُّ متّبعٌ والزورُ مهجورُ
ولا تؤخّر لذيذَ الأكْلِ خوف أذى ... مليْس في الموْت تقديمٌ وتأْخِيرُ

● طَعامٌ يُعادُ على مائدة واحدة

قال ابن طباطبا:

أرزٌ جاءَ يستتبعه أرزٌ ... هوَ الإيطاءُ يتّخذُ اتّخادا[6]
وإيطاءُ القريضِ كما علمْنا ... وإيطاءُ الطّعام كمثْل هذا

● الملح

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من بتدأ عداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من الداء، منها الجذام والبرص. وقال الخوارزمي:

فهو بقْل وروضةٌ وجوارشن وأدم وزادٌ حاملُ زادِ

وقال المأموني:

لا تدنِ منّي الملْحَ إن شبْته ... من لأبازيرِ بألوانِ[7]

---

(١) لون النار الأكلف: اللون المحمّر الكدر.
(٢) فرّت: شُقّت وقطعت.
(٣) الصرم: القطع والهجر.
(٤) زعفر الطعام: أضاف الزعفران ليطيب.
(٥) الفردوس أو سقر: الجنة أو جهنم.
(٦) الإيطاء: الإيطاء في الشعر: تكرار القافية بلفظها ومعناها، وهو من العيوب.
(٧) شبته: خلطت به ـ الأبازير: جمع البزر، التابل الذي يطيّب به الطعام.

فوجهه أبرصٌ دو نمشة بين ثآليل وخيلانِ
وهاته من غير خلط له إدام زعفار ورغبانِ

● العسل

قيل: أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه على الأرض قطرة استدارت استدارة الزئبق ولم يتفش ولم يختلط بالتراب. وقيل: أجوده ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلق. وكتب هشام إلى عامله: أن ابعث إليّ بعسل من عسل خدار من النحل الأبكار من المستشار الذي لم تمسه نار.

وقيل لرجل: ما تشتهي؟ فقال جنى النحل وجنى النخل. فقيل له: أيهما أحب إليك؟ قال: أشفاهما وأنقاهما وأبعدهما من الداء وأدناهما من الشفاء، وحمله الله تعالى في الجنان اللطيف بلا ثفل، الحميف بلا ثقل. وقال ديموقراطيس، وقد سئل عما يزيد في العمر، فقال: من أدام أكل العسل ودهن جسمه زاد الله في عمره.

● الحلواء

قال بختيشوع: الحلواء كلّها، حقها أن تؤكل بعد الطعام، لأن للمعدة ثوراناً عقيب الامتلاء كثوران القفاع، فإذا صادفت الحلاوة سكنت. وقول الناس إن في المعدة زاوية لا يسدها إلا الحلاوة على أصله، قال: ولآكل إذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها وجد في حواسه نقصاً.

● الفالوذج والخبيص

قال سفيان: لا بد للعاقل في كل أربعين يوماً من خبيصة تحفظ عليه قوّته. كل طعام بلا حلو فهو خداج[1]، وقال رجل في مجلس الأحنف: ما شيء أبغض إلي من الحلواء، فقال: ربّ ملوم لا ذنب له.

وسمع الحسن قائلاً يعيب الفالوذج، فقال: لُباب البرّ بلعاب النحل بسمن الماعز، ما عاب هذا مسلم قط.

وقال أعرابي: وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا في صدري. وبعث رجل إلى مزبد فالوذجاً قليل الحلاوة، فقال: ينبغي أن يكون هذا عمل قبل أن يوحي ربك إلى النحل. وقيل: ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل.

وأتي يزيد بن الوليد بفالوذج فجعل الغاضري يأكل ويسرع، فقال يزيد: أرفق، فالإكثار منه يقتل. فقال الغاضري: منزلي على طريق المقابر، وما رأيت جنازة قيل إن صاحبها مات من أكل الفالوذج.

---

(١) الخداج: كلّ نقصان في شيء.

● اللوزينج

قيل لبعض الناس: إن التمر يسبح في البطن، فقال: إذا كان التمر يسبح في البطن فإن اللوزينج يصلّي فيها التراويح. وقيل: اللوزينج قاضي قضاة الحلاوات. قال شاعر في وصفه:

مستكثف الحشو ولكنه أرق جسماً من نسيم الصَّبا
يُخالُ من رقةِ خرشائه شاركَ في الأجنحة الجُندُبا[1]
لو أنه صوّر من خبزه ثغرٌ لكانَ البارِدَ الأشنَبا[2]

وقيل لآخر: ما تقول في لوزينجة قد رقّ قشرها وعرقت في سكرها ودهن لوزها، فقال: فما أشدّ الوصف إذا عدم الموصوف.

● العصيدة

قال بعض الأعراب:

وقدم من قبل الخبيص عصيدةً مغشى أعاليها بمنثور سُكّر
ترى الجمر أثناء العصيدة كامناً فتحسبُ مسكاً بين إقطاع عنبرِ[3]

ورئي محارق، وهو يدور حول قدر يتخذ فيها عصيدة، ويقول بلحن عجيب

أنتِ يا ذاتَ الأثافي أنا مضنىً في هواكِ
فيك أنسٌ وشفائي لا عدمتُ اشتهاكِ
إنما أُبلي لنفسي واجتهادي لمكانكِ

● القطائف

قال كشاجم:

قطائفُ مثلُ أضابيرِ الكتُب كأنها إذا تبدّت من كثُب
كوائرُ النحلِ بياضاً وثقب

وقال آخر:

ألذُّ شيءٍ على الصيام من الحلاوات في الطعام
قطائفٌ نضدت محاكت مراشدَ الدرّ في النظام
منوّمات على جنوب في الجام كالصبية النيّامِ[4]

---

(١) خرشائه: قشرته ـ الجندب: نوع من الجراد الصغير.

(٢) البارد: المستطاب ـ الأشنب: الأبيض الأسنان الرقيقها.

(٣) العنبر: مادة صلبة تنبعث منها رائحة ذكية إذا أحرقت ـ المسك: نوع من الطيب.

(٤) الجنوب: الجهات ـ الجام: الإناء من فضة.

● **التمر**

قال النبي ﷺ: من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر وقال ﷺ: أول ما يفطر به الرطب والتمر وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[1].

وقال شيخ: ما وضع الناس في أفواههم شيئاً أطيب من عجوة، ووصف أعرابي تمراً، **فقال**: تمرات جرد فطس يغيب فيهن الضرس، كأن نواها ألسن الطير تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك.

وقال أعرابي: صفنا فلاناً فأتى بتمر كأعناق الورلان يوحل فيه الضرس. **وقيل**: خير التمر ما غلظ لحاه ورقّ سحاه ودقّ نواه.

قال النابغة يصفه:

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها ... إذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

وقال آخر:

وكنتُ إذا ما قرّب الزادُ مولَعاً ... بكلِّ كميتٍ جِلدُهُ لم يوسَّفِ

مداخلةِ الأقرابِ غيرِ ضئيلةٍ ... كُمَيْتٍ إذا حمّت مرادة محلف

وقال آخر:

يا حبذا التمرةُ ما أحلاها ... تدينُ الفقحةُ من ذكراها[2]

وقال الحجاج يوماً لجلسائه: ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إليّ، فكتب كلهم: التمر والزبد، **وقال** سوار لرجل حضر الشهادة، بم تشهد، **فقال**:

شهدتُ بأن التمرَ بالزبد طيّبٌ ... وأن الحبارى خالةُ الكروان

فقال أما الأول فإني أشهد به أيضاً.

● **أكلُ التمر**

قال بعضهم: لم أتمتع بأكل التمر إلا مع الريح وأهل أصبهان، فالريح لا تختار وأنا أختار، وأهل أصبهان يأخذون قبضة فإلى أن يفرغوا من أكلها لم يأخذوا من غيرها وأنا أختاركما أحب. **وقيل**: فلان برم قرون أي لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين.

---

(١) **القرآن الكريم**: مريم/ ٢٤

(٢) **الفقحة**: الزهر من كل نبت. والفقحة حلقة الدبر وهو المقصود هنا

- **الرُّطَب**

قال ابن هبيرة: أي لقمة مخروطة غير مصنوعة، وصرف غير ممزوجة أطيب، فقال بعضهم البيضة، وقال بعضهم: التمرة، فقال: هلا قلتم رطبة.

قال المتوكل يوماً للمفتح: الحلواء أطيب أم الرطب؟ فقال يد الله أصنع. وقال الثوري: ما أعنف رجلاً يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها.

ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر، أي الرطب أطيب؟ فقال الرشيد: القريثا، وقال عيسى: السكر، فأرسلوا إلى الأصمعي، فسأل الأصمعي الرسول عمّا دعي له فقال الرسول: كان كذا، فلما دخل سألاه، فقال: هذا لا يخفى أن القريثا أجود، إنّا كنا بالبصرة صبياناً نلعب بالنوى، فنجعل نوى القريثا دنانير ونوى السكر دراهم، فنعطي نواة من قريثا ونأخذ عشرين من سائر النوى، فضحك الرشيد وأمر له بصلة.

- **العِنب**

قيل: أجود العنب ما غلظ أعمده واخضر عوده وسبط عنقوده. **وقال أبو حنيفة الدينوري** عن بعض أهل دمشق: إنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب، فكان وزنها عشرة دراهم، وإن العنقود منها يملأ السلة. **قال ابن الرومي**:

وزارقي مخطّف الخصور | كأنه مخازنُ البلّور
قد ضُمِّنَتْ مسكاً إلى الشطور | وفي الأعالي ماءُ وَرْدٍ جُوري
لم يُبقِ منه وهجُ الحَرُورِ | إلا ضياءً في ظروف نورِ
لو أنه يبقى على الدهورِ | قرطُ آذانَ الحِسانِ الحُورِ

وقال الصاحب:

وحبةٍ منَ العنب | من المثنى مُتخذه
كأنها لؤلؤةٌ | في وسطها زمرّذه

وله:

حسبتُها من بعدِ تمييزي لها | لؤلؤةً قد ثقبَتْ من جانبِ

- **الخَوخ**

قال الطيلساني:

وخوخةٍ أعطيتُها هشّةً | بيضاءَ مثلَ اللبنِ المخضِ
كأنها كفُّ امرىءٍ شدّها | قبضاً لضربٍ منه أو عَضِّ

وقال آخر:

كأنه الزبدُ إذا ما التَوى | بالعَسلِ الماذيّ في صَحْنِهِ

وقال الصنوبري:

كوجنةِ البنتِ خَرْقاً ... فزالَ عن بعضِها الخَلُوقُ[1]

● الرمان

قال النبي ﷺ: نعم الشيء الرمان، ما من رمانة إلا وفيها حبة من الجنة، من أكلها نورت قلبه وأذهبت عنه الوسواس. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة. وقال الواسطي:

رأيتُ رمّانةً من فوق دوحتِها ... ولونُها ببديعِ الحسنِ منعوتُ

فالقشر حقٌّ لماصٍ ضمّ رائحة ... والشحم قطنٌ له والحَبُّ ياقوتُ[2]

أبو طالب المأموني

حقٌّ خليعٌ ناصعٌ دهنُه ... مستودعٌ حمرِ اليواقيتِ

وله في وصفه عند تفتيته:

الجامُ أرضٌ وبناتي حيا ... تمطرُ منه برداً أحمرا[3]

وقال ابن شاه:

ورمانةٍ شبهتُها إذ رأيتُها ... بثدي كعابٍ أو بحقّةِ مرمرِ

منمنمةٍ صفراءَ نضّد حولَها ... يواقيتُ حمرٍ في مُلاءٍ معصفرِ

لها قشرُ عقيانٍ ورأسٌ مشرّفٌ ... وأعصانُ جيري وأوراقُ عنبهري[4]

● التين

قال كشاجم:

أهلاً بتينٍ جاءنا ... منتظماً على طبقْ

كنُغَرةٍ مصرومةٍ ... قد جُمِعَتْ بلا خَلَقْ[5]

وقال البحتري:

وتينٍ كأطرافِ الثُدي مُغَسلِ

وقال كشاجم:

سُفَرٌ جُمِعْنَ من الحريرِ الأصفرِ

---

(١) الخلوق: نوع من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران، والمخلوق: الشيء الحلق أو البالي.
الخلوق: من ضروب الطّيب يدخله الزعفران.

(٢) الحق: وعاء صغير يوضع فيه الطيب خصوصاً.

(٣) الحيا: المطر.

(٤) العقيان: الذهب الخالص. جيري: زهر المنثور الأصفر. العبهري: المنسوب إلى العبهر، وهو النرجس.

(٥) النغرة: واحدتها نغار وهي حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير، شبّه بها حبّات التين.

- **الزبيب**

خطب أعرابي امرأة، فطلب سكّراً للنثار فرآه غالياً، فاشترى زبيباً فنثره، وقال:

ولما رأيتُ السكّرَ العامَ قد غلا ... وأيقنتُ أنّي لا محالةَ ناكِحُ
نثرتُ على رأسي زبيباً وصحبتي ... وقلتُ كلُوا، كلُّ الحلاواتِ صالِحُ

وقال بعضهم:

حوى زِقّينُ من عسلٍ مصفّى ... نسينا عند طيبته الرّضابا[1]
وهابَ الاغتصابَ عليه منّا ... فأنشأ فيه تدبيراً عجابا
أرانا فوقَ عاتقِه سِنانا ... وأودعَ بينها حشماً صلابا

وله:

خذْ عسلاً في زبرجدٍ حملُوا ... لهُ صماحاً يصونُ ما فيه[2]

وقال المأموني:

وذاتِ احمرارٍ صادقِ اللونِ حسنُها ... أرتنا بأعكانٍ لها شطبَ النصلِ[3]
قد انتحلَتْ لوناً من النّخلِ مُصمتاً ... ليعلَم ما تحويه من عسلِ النّحلِ

- **الكشمش**

قال المأموني:

وكشمشٍ كصغيرِ [illegible] لم يُثقبِ
تُعلى بها الكاسُ لما [illegible]بينهما من تعبِ
كأنّه أوعيةٌ ... يحملن دوبَ الضَرَبِ[4]
أو لؤلؤٌ حُلّي أعـ ... ـلاه بماءِ الذهبِ

- **الطين**

سئل بعض الفقهاء عن أكل الطين، فقال: لا يجوز، لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾[5] ولم يقل كلُوا الأرض. وقيل لرجل: كل من هذا الطين، فقال: أو بلغك أن في بطني ركناً أو ثلمة يجب سدّها.

وكان المأمون مولعاً بأكله، فسأل ابن بختيشوع عن دوائه، فقال: عزمة من عزمات الرجل فآلى على نفسه أن لا يعاود تناوله.

---

(١) الزق: وعاء الخمر ـ الرضاب (هنا): لعاب النحل أو رغوة العسل.

(٢) الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد، متعدّد الألوان.

(٣) الأعكان: جمع العُكنة، الثنيات والعنيات. (٤) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

(٥) القرآن الكريم. البقرة/ ١٦٨.

● **الموز**

قال ابن الرومي:

إنما الموزُ حينَ يمكن منه   كاسمه مبدلاً من الميم فاء

وكذا فقدُه العزيزُ علينا   كاسمه مبدلاً من الزايَ تاء

فلهذا التأويلِ سمّاه موزاً   من أفادَ المعانيَ الأسماء

وله مثله في طيب الطعم:

يكادُ من موقعِه المحبوبِ   يدفعُه البلعُ إلى القلوبِ

● **الجَوز واللّوز**

قال ابن الواسطي في وصفه:

قطعُ العاجِ لففتْ في حريرٍ   أخضرٍ في مداهنٍ من ساجٍ[1]

وقال المأموني:

ومحقّقِ التدويرِ يبعُد نفعُه   من كفِّ من يجنيه ما لَمْ يُكْسَرِ

درعٌ يسوغُ لآكليه بصمته   صدفٌ تكوّنَ جسمُه من عرعرِ[2]

متدرّعٍ في السلمِ فوقَ غلالةٍ   درعاً مظاهرةً بثوبٍ أخضرِ

وله في اللوز

ومستجنٍّ عن الجاني ممتلئ   بجُنّةٍ لم يحكْها كفُّ نسّاجِ[3]

درٌّ تكوّن من عاجٍ تضمّنه   من لولا البحرِ أصدافٌ من العاجِ

● **الفستُق**

قال الصنوبري:

من الفستقِ الشاميّ كلّ مصونة   تُصانُ عن الأحداثِ في بطنِ تابوتِ

زبرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ   مضمّنةٍ درّاً مغشّى بياقوتِ

وقال ابن الواسطي

مثلُ الزمرّدِ في حريرٍ أخضرٍ   قد ضمّه صدفٌ من العاجِ الحسَنِ

● **الشاهبلوط**

قال ببغا

وشاهبلوط تنافى واستقم   كخَرَزٍ من سبَحٍ لم ينتظِمْ[4]

---

(١) الساج: الثوب الأخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء

(٢) العرعر: شجر يشبه السرو تستخدم ثماره لتعطير المشروبات الروحيّة.

(٣) المستجن: المستتر - الجنّة: الترس، السترة.

(٤) السبح: مخفف السبحة وهي خرزات تنظم في سلك للصلاة والتسبيح

كـأنّـهُ لـمّـا تـراءى مـن أَمَـمِ في صِحّةِ التشبيهِ أطلافُ الغَنَمْ[1]

- **العِنّاب**

قال بعضهم:

بـنـادِقٌ قـد خـرطَـت مـن الـعـقـيـقِ الأحـمـرِ

- **الأجاص**

قال بندار:

إجّاصةٌ تـحـكـي إذا حـدّ الـنـظـرْ في شكلها سودَ صغيراتِ الأكَرْ

مـحـزورةٌ ولا يـرى فـيـهـا أثـرْ

- **المشمش**

قال رجل طبيب لرجل يعرس مشمشاً: ما تصنع؟ فقال: أغرس شجرة تثمر لي ولك، فأخذ هذا المعنى ابن الرومي، فقال:

إذا ما رأيتَ الدهرَ بستانَ مشمشٍ تـعـلـمْ يقيناً أنه لـطـبـيـبُ

يـعـلّ لـه مـا لا يـعـلّ لأهـلـه يغلّ مريضاً حِمْلُ كلّ قضيبِ[2]

وقال آخر:

كـأنّـهـا بـوتـقـةٌ أُحْـمِـيَـتْ يـجـولُ فيـهـا ذهَبٌ ذائبُ[3]

- **الفرصاد**[4]

قال بعضهم

وجـنـيُّ فـرصـادٍ كـأنّ مـتـونَـه بـرشٌ عـلـى يـاقـوتـةٍ حـمـراء

- **السّفرجل**

قال أبو علي بن أبي العلاء في وصفه:

نـضـفُ الـسـفـرجـل نـديّ والـنـصـفُ يُـخـشـبُ شَـرّه

فـــمـــن أحـــبّ رآه فـــمـــا يـــغـــادرُ ذرّه[5]

وقال آخر:

إن الـسّـفـرجـل ريـحـانٌ وفـاكـهـةٌ يحظى المشمّ بها والذوقُ والنظَرُ

---

(١) من أمم: من قريب.

(٢) يقول: كل غصن في الشجرة يغلّ ثمرة من المشمش مريضاً، والكلام من باب المجاز.

(٣) البوتقة: الوعاء الذي يذاب فيه المعدن.

(٤) الفرصاد: التوت. (٥) ذرّه: الذرّة الجزء المتناهي في الصغر.

يحكي وديكة تبرٍ ملْ لهيبَ لظىً ... شتّت ضحىً وشعاعُ الشمْس منتشِرٌ[1]

وقال ابن طباطبا.

سـفـرجـلـةٌ حـذفـوا رمـهـا ... تـجـم الـفـؤاد لـقـوْل الـنّـبـي

وقد ذكر ما يضارع ذلك مع ذكر الأشجار والنبات في حده

● جهلُ العرَب بطيباتِ الأطعمة

كانت العرب لا تعرف طيّبات الأطعمة، إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتى أدرك معاوية رضي الله عنه الإمارة، فاتخذ ألوان الأطعمة. قال أبو بردة: كانوا يقولون من أكل الخبز الحواري سمن، فلما فتحنا خيبر أجهضناهم عن خبزهم فقعدت عليه آكل وأنظر في أعطافي هل سمنت.

وقال خالد بن عمير العطوي شهدت فتح الأبلة فوجدنا سفينة مملوءة جوز، فقال رجل: ما هذه الحجارة؟ ثم كسروا واحدة، فقالوا طعام طيّب.

وقال بعضهم أصابوا أجربة من الكافور فقالوا هاه الملح فذاقوه، وقالوا. لا ملوحة لهذا الملح، ففطن ناس من أهل الحيرة فجعلوا يعطونهم جراباً من الملح ويأخذون جراباً من الكافور.

وقدّم إلى أعرابي خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز، وقال. خذوا الطبق وقدّم فالوذج إلى أعرابي فقيل له ما هذا؟ قال: الرجيع المطلق

● قاذوراتُ أطعمةِ العرب

كانت بنو أسد يأكلون الكلاب، ولذلك قال الفرزدق

إذا أسـدي جـاعَ يـومـاً بـبـلـدة ... وكـانَ سـمـيـنـاً كـلـبُـه فـهـو آكـلُـه

ويأكلون الهبيد، وهو الحنظل الفج، وقال بعضهم. نزلت برجل فأصابني فأتى بحيّة فشواها فأطعمنيها، ثم أتى بماء منتن فسقانيه، فلما أردت الارتحال قال: ألا أقمت، طعام طيّب وماء نمير.

وكانوا يأكلون في الجدب العلهز وهو محلم الكبار يدق مع الوبر

وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل. ولذلك قال شاعرهم:

بـنـي أسـد جـاءتْ بـكُـم قـمـلـيّـةٌ ... بـهـا بـاطـنٌ مـنْ داءِ سُـوءٍ وظـاهـرِ

ومن طعامهم الفظ وهو ماء الكرش. وقيل لأعرابي ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دب ودرج إلا أم حبين، فقال: لتهن أم حبين العافية.

---

(١) الوَدِيكة: الدقيق خلط بودك، والودك الدسم من اللحم والشحم، والوديكة أيضاً الدجاجة، والوديكة السمينة.

قال أبو نواس:

ولا تأخذُ عن الأعرابِ طعماً ... ولا عيشاً فعيشُهم جديبُ

وكان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له ألا تستقذره، فقال: هو والله ما يأكل إلا ماخرات متاعنا. وبنو تميم يعيَّرون بأكل الضبّ.

قال أبو نواس:

إذا ما تميميّ أتاك مفاخراً ... فقُلْ عدِّ عن ذا كيف أكلُكَ للضَّبِ

● أكلُ قاذوراتٍ على غلط

قال الأصمعي: دنوت من بعض الأخبية في البادية فسُقيت لبناً في إناء، فلما شربته، قلت: هل كان هذا الإناء نظيفاً؟ فقيل: نعم، إنا نأكل منه بالنهار ونبول فيه بالليل، فإذا أصبحنا سقيناه الكلب فيه فلحسه ونقاه. فقلت: لحى الله هذه الطاقة ولعنكم من قوم متقذرين. قال: ونزلت على امرأة فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط فأمعنت في أكله، فأقبلت المرأة، فقالت: يا هذا ليس ما أكلت مما يؤكل، فقلت ما هو، قالت: إني امرأة خاتنة أختن جواري الحي، فكلما خفضت واحدة نظمت خافضتها في هذا الخيط لأعرف عددهن، فتقيأت استبشاعاً.

وقعد رجل في سفينة وركب معه يهودي قد احتضن سلّة قديد فاستولى عليها الرجل، وأخذ يأكلها حتى لم يبق إلا عظيمات. فلما أراد الخروج إلى البرّ، رأى اليهودي السلّة فارغة فسأل عنها، فقيل: إن هذا الرجل أكل ما فيها فولول، وقال أكلت أبي! فسئل عن ذلك، فقال: كان أبي أوصى أن يدفن ببيت المقدس فلما مات قددناه ليسهل حمله، فأكله هذا.

● المَوْصوفُ بالطِّيب

يقال: ألذ من زبد بنرسيان[1] وأحلى من الشهد وأزكى من الورد وأشهى من إنجاز الوعد. أحلى من المنّ والسلوى، ألذ من نظر لمعشوق في وجه عاشق متشمم. قال آخر:

وألـذ مـن أنـغـام خـلـة عـاشـقٍ ... زارتـه بـعـد تـمـنـعٍ وشِـمـاسِ[2]

أعذب من الماء الزلال. أطيب من قبلة الحبيب على غفلة الرقيب. طعام تضنّ به العين عن الفم.

وقال رقبة بن مصقلة في صفة دعوة: جاؤونا بخوان كالقاع في بياض الفضة عليه رقاق كقباطي مصر، ورغف كدارة القمر وبقول كوشي السندس، وخلّ كذوب العقيق، ثم جاؤوا بفالوذج كأن الزئبق الجاري ينبع من حسنه للجريان على وجهه، ترى نقش الدرهم من تحته ظاهراً يذوب قبل التطعم ويبلع قبل التبيع.

---

(١) بنرسيان: من قرى نهوند. (٢) الشماس: الإباء.

● **المَوْصُوفُ بالنَّتَن**

أنتن من الجيفة، ومن ريح الجورب، ومن العذرة، ومن مرقات البعجة، أي ما تمرق من شعرها أي ما ينتف.

● **كِنى الأَطْعمةِ وأسماؤها الأعلام عند الصّوفية**

قد أكثر الناس من ذلك وذكرت منه طرفاً هو أقرب: **الخبز** أبو جابر، **والسكباج** أم القدور، **والقلية** زلزل المغني، **والطباهج** الرزرز المسمج، **والمضيرة** الشيخ اليهودي أبو الزئبق، **البقل** أبو زحام بلا منفعة، **الخل** أبو عامر الغضبان، **الجبن** أبو الأحمر البندق، **القثاء** أبو القرون، **البصل** أبو قمصان، **الدجاج** أم حفص، **الفروج** بنات مؤذن، **السكر** أبو شيبة الخوري.

● **أنواعٌ من ذِكْرِ الأَطعِمَة**

كان الظّام إذا خلط كلامه في ذكر الأطعمة ببعض الفاكهة **يقول**: الزيت نصراني والخل يهودي، واللبن والريبان نصرانيان راهبان. وعلى لون صبغهما صبغوا ثيابهم **وقيل**: الصحناة والعشيل يهوديان، والسمن مسلم.

من تعود أكل الطعام وإن كان ضاراً لم يضره بل ينفعه، حتى أن السم من تعود أكله لم يضره. **والطعام** الجيد النافع للعامة إذا أكله من يكون مستغرباً له غير عاهده يضره.

وقد ذم الأطباء ما يخرج من الصرع. وقريش تعودت أكلها وانظر كيف كرمها وسخاؤها وعقولها ودهاؤها.

ومرّ جالينوس مع تلامذته ببقلة فسألوه عنها **فقال**: هي سم ساعة فإذا رجل يأكلها ولا تضره فسألوه، **فقال**: هذا غذاء لنا، **فقال جالينوس**: هل لك في مصاحبتي فأحسن إليك؟ **فقال الرجل**: بلى، فصاحبه زماناً يأكل ما يأكلونه ثم عرض عليه ذلك البقل، فأكله فمات لوقته. قال أبو طالب المأموني في السكنجبين:

ومستمتع ما بين خلّ وسكّر دوائي من دائي به وشفائي
رأيتُ به في الكاس أعجبَ منظرٍ مذابَ عقيقٍ فيه جامدُ ماءِ

(٢)

وممّا جاء في أحوال الأكل والأكلة والتطفل

●

● **الرُّخصة في تَنَاوُلِ المُباحات**

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾[1] وقال: ﴿وَكُلُوا

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٠

﴿وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[1]. وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[3] وقال النبي ﷺ: اعمل صالحاً وكل طيباً والبس ليناً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطاك إسراف ومخيلة. ورغّب الله تعالى آدم في الخلود في الجنة، فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[4]. فبدأ باشتراط الشبع.

ومرّ عمر رضي الله عنه بشاب فاستسقاه ماء فخاض له عسلاً فلم يشرب، وقال: إني سمعت الله تعالى يقول أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، فقال الفتى: إنها والله ليست لك اقرأ ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار، فشربها عمر رضي الله عنه، وقال: كل الناس أفقه من عمر. واجتمع فرقد السنجي والحسن على مائدة، فأتي بجام خبيص فأبى فرقد أن يأكل، وقال: أخاف أن لا أؤدي شكر الله تعالى عليه، فقال الحسن: كل فنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منها في الخبيص. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: فانظر إلى فقه الحسن وفهمه وإلى ضعف رأي فرقد مع إسلامه، واعتبر بهما قول النبي ﷺ: فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

● غَسْلُ اليدَيْنِ قَبْلَ الطَّعام

دُعي سلمان رضي الله عنه إلى طعام فلما دخل توضأ للصلاة فصلى، ثم قدم الطعام فاستدعى الماء وغسل يده، فقيل: ألم تغسلها بماء، فقال: نعم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول من غسل يده قبل الطعام وبعده أكل في سعة من رزقه. وقال الحسن رضي الله عنه: غسل اليد قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم[5]. وامتنع رجل من غسل اليد للطعام عند موسى الرضا، فقال: أغسلها فالغسلة الأولى لنا والثانية لك، فإن شئت فاتركها. وغسل رجل يده عند المأمون ومدّ يده إلى رأسه فأمر بإعادة غسلها، ثم مدّها إلى لحيته فأمره بإعادته. وقال: لا يلي غسل اليد لطعام إلا الطعام.

وقُدّم إلى مالك بن أنس رضي الله عنه حيث يراه المهدي الماء ليغسل يده للطعام، فقال: هذا بدعة، فقال المهدي: يا أبا عبد الله البدعة تعتبر في الشرّ، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنة. وغسل رجل يده مراراً فلم تذهب عنها الدسومة، فقال: كاد هذا الدسم أن يكون لنا نسباً وصهراً. وامتنع أعرابي من غسل اليد بعد الطعام فسئل عنه، فقال: فقد رائحته كفقده.

وكان أعرابي عند سعيد بن مسلم فقعد لطعام فقتل قملة، فقيل له: أغسل يدك، فقال: لا ضير ما بقي على يدي الأخرى شأوها. وكان أعرابي يفلّي ثوبه ويأكل ويحبق[6] فقيل له: أما تستحي ويحك، فقال: وما أنكرت، أدخل حديثاً وأخرج عتيقاً وأقتل عدواً. وكان عبد الله بن

---

(1) القرآن الكريم. الأنعام/ ١٤١
(2) القرآن الكريم: البقرة/ ٥٧، ١٧٢.
(3) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٥٩.
(4) القرآن الكريم. طه/ ١١٩
(5) اللَّمم: صغائر الذنوب.
(6) يحبق: يضرط.

سلمان يطوله في غسل اليدين ويقول: يجب أن تكون مدته مدة زمان الأكل.

● ذِكرُ اللّهِ على الطّعام

قيل: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل، إذا كان حلالاً وكثرت عليه الأيدي وسمّي الله في أوله وحمد في آخره. وقال طاوس: من سمّى الله على طعامه لم يسأله عن نعيمه.

وقيل: ذكر الله على الطعام شفاء يبرىء من الداء، وذكر الناس داء لا يقبل الشفاء. وقيل: إذا أكلتم فسمّوا وأدنوا، أي اذكروا الله وكلوا مما بين أيديكم.

وكان ابن عباس إذا وضع الطعام يقول: بسم الله عنّي وعن كل آكل معي. وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من الطعام يقول: اللهم قد أشبعت وأرويت وطيبت فهنئنا برحمتك. وقال بعض القصاد: يا معشر الناس إن الشيطان إذا سمّي الإنسان على الطعام والشراب لم يأكل معه، فكلوا خبز الذرة والمالح ولا تسمّوا ليأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسمّوا الله حتى تقتلوه عطشاً.

● حَمدُ الأكلِ مِن جانبِ الصّحفةِ وعُذرُ ذلك

قال النبي ﷺ: إن البركة تنزل في وسط الصحفة فكلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها. وقال أنس بن مالك: كل بيمينك وتناول مما يليك. وأكل أعرابي مع بعض السلاطين، فقال: كل مما يليك، فقال: رأيت جانبك أمرع ومن أجدب انتجع. وأكل أعرابيان على مائدة، فمدّ أحدهما يده، فقال له الآخر: كفّ يدك، فإن لك في ما بين يديك مقنعاً، فقال: إني من قوم إذا أجدبوا انتجعوا، فقال له: ويلك وهل على مائدة أمير المؤمنين جدب، ثم مد الآخر يده، فقال له صاحبه: كفّ يدك، فقال: إني من قوم إذا أخصبوا تخيّروا فاستحسن عبد الملك كلامه، وأمر له بصلة.

وأكل أعرابي من بني عذرة مع معاوية، فمدّ يده إلى ثريدة بين يدي معاوية، فقال معاوية: أحرقتها لتغرق أهلها، فقال الأعرابي: ولكن سقناه إلى بلد ميت، فضحك معاوية وأمر له بجائزة. وكان أبو علي بن حمدون في مجلس وعند القوم نقل[1] فمد يده إلى ما بين يدي صديق له، فقيل له: ما تعمل؟ فأنشد:

وأحيـانـاً عـلـى بـكـر أخـيـنـا   إذا مـا لـم نـجـدِ إلا أخـانـا

وكان الهائم الشاعر على مائدة عليها جدي فجعل يجز الجدي الذي كان يليه ولم ينجر، وكان الجانب الذي عليه اللحم يلي قوماً آخرين، فقال:

فـفـيـنـا غـواشـيـهـا وفـيـهـم صـدورُهـا

---

(١) النقل: ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق.

● أوقاتُ الطّعامِ المحمودةُ والمذمومةُ

سئل طبيب أي أوقات الطعام أحمد، قال: أما من قدر فإذا جاع، ومن لم يقدر فإذا وجد.

● الغَداءُ والعَشاءُ

قيل: العشاء متخمة وتركه مهرمة، وقال بقراط: من تعوّد العشاء ثم تركه التبس عليه طبعه. وقال عمر رضي الله عنه لابنه: لا تخرج يا بنيّ من منزلك حتّى تأخذ حلمك يعني حتى تتغدى.

دعا الحجّاج رجلاً إلى غدائه فقال: قد أكلت، فقال له الحجاج: إنك لتتاكر الغداء، فقال الرجل: لخلال ثلاث إن تموجت لم يوجد من فمي خلوف، وإن شربت شربت على ثفل، وإن حضرت قوماً أكلت ومعي بقية من عرضي.

وقيل: خير الغداء بواكره فقيل: أمحمود ذلك في كل وقت؟ فقال: نعم إذا كان شتاء فلطول الليل وإذا كان صيفاً فلبرد الماء وقلّة الذباب. واستدعى رجل الغداء، فقيل له اصبر حتى تطلع الشمس فقال: أنتظر بغدائي قدماً من وراء خراسان. وقيل: خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره، أي أن تأكل وعليك ضوء.

وسأل رجل الحسن عمن يأكل مرة، فقال: أكل الصالحين، فقيل: مرتين، فقال: غداء وعشاء أكل المتخير، فقيل: ثلاث مرات، فقال: ذاك حمار يبنى له آري[1].

● ذمُّ الشّبَعِ والإكثارُ من الأكلِ وحَمْدُ الإقلالِ منه

قال النبي ﷺ: إياكم والبطنة فإنها مفسدة للبدن مورثة للسقم مكسلة عن العبادة. وقال ﷺ: الرغب شؤم، وقيل: الموت جوعاً خير من الحياة شبعاً. وقال ذو الرياستين: ما عجبت لإتفاق الأطباء على ثلاث كلمات، قال طبيب الروم: كل قليلاً ولا تكن عليلاً. وقال طبيب فارس: كل قصداً لا تلق من الكظّة جهداً، وقال طبيب الهند: كل قدراً لا تضيق به صدراً.

وقيل: صحة الجسم قلة الطعم، وصحة الروح اجتناب الإثم. وجاء رجل إلى أبي مسلم فقال: أعطيك دواء تأكل معه ما شئت فلا يضرك، فقال: لا حاجة لي فيه فقبيح بالإنسان أن يدخل المستراح في كل يوم أكثر من مرة، وقبيح به أن يحن في الشهر أكثر من مرة.

وقال الخليل: أثقل ساعاتي ساعة آكل فيها. وقال مالك بن دينار: وددت أن رزقي حصاة أمصها فقد ضجرت من كثرة ترددي إلى الخلاء.

---

(١) الآري: مأوى أو مربط الدابة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1].

وقال ﷺ: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسبُ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ليُعد من البهائم من همّته بطنه وفرجه. وكانت العرب تسمي الشبع أبا الكفر. وقيل: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. البطنة تذهب الفطنة.

قيل: لا تسكن الحكمة بطناً مليء طعاماً. من أنكرم تسريه القرم. وقيل: الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة.

قال الحسن: مسكين ابن آدم صريع تشبع أسير الجوع.

قال شاعر:

وإن امتلاء البطن في جسد الفتى ... قليلُ غناء، وهو في الجسم صالحُ

وقال طرفة في عمرو بن هند:

ويشربَ حتى يغمرَ المحضُ قلبه ... وإن أعطه أترك لقلبي مجثما[2]

ونعع مالك بن دينار جارية مرارته يوماً، فقال: كيف ترين مواليك؟ فقالت: ما أكثر خير بيوتهم، فقال: أخبرني عن عمران حشوشهم.

وقال يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عوقب بثلاث، يلقي الغطاء على قلبه والنعاس على عينيه والكسل على جسمه. وقال بشر الحافي: ـ من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلّها. وقال بشر بن الحارث: لا تعوّد نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام. وسأله رجل عن غسل الجمعة، فقال: أغسل بطنك بكميك عن غسل بدنك. واشتهى أبو مسلم الهريسة، فقال لطبّاخه: شتهيت هريسة فاتخذها أجود ما يكون، فلما قدمت إليه أمر بأن ترفع ولم يأكل، ثم قال له من بعد اتخذ هريسة فاتخذها وقدمها إليه فلم يأكل، وتقدم إليه ثالثاً فعملها وقدمها فلم يأكل، فقال الطبّاخ: أيها الأمير لقد أحدثت حتى لا غاية، فما الذي يحجزك عنها؟ قال: رأيت نفسي قد شرهت إلى تناولها فكرهت أن تغلبني شهوتي. وقيل: لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب.

● حَدُّ الشِّبَعِ

قيل لأعرابي سأل ما حدّ الشبع، هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه، فقال: وهل يكون ذلك إلا في الجنة. وقال أعرابي: اللهم إني أسألك ميتة كميتة عرفجة، فقيل كيف مات؟ قال: أكل بزخاً وشرب مشعلاً والتف في كسائه ومات فلقي الله شبعان ريان دفآن.

---

(1) القرآن الكريم: السجدة/ ٢٤.

(2) المحض: من اللبن أو غيره الخالص الذي لا يخالطه غيره ـ المجثم: الثقل.

● حَمْدُ الطَّوى وَذَمُّه

قال المغيرة بن شعبة: علِّموا أولادكم الحفاف احملوهم على الطوى، لأن من اتبع أمراً لرمه، ومن أكثر من تركه أجمه[1] وقال الحارث بن كلدة: هي خير الدواء الأزم[2] وشر الدواء إدخال الطعام على الطعام قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال. أخاف أن أشبع فأنسى الجائع. وقيل: ترك الأكل يضيق الأمعاء.

● الصَّابِرُ على الجُوع

قال:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّه | حتى أنال به لذيذَ المطعَم

وخرج أبو خراش في سفر فعدم الطعام أياماً، فمر بامرأة، فقال: هل من طعام فأتته بعمروس[3] فقالت إذبحه فذبحه وسلخه ثم شواه، فلما وجد رائحة الشواء قرقر بطنه، فقال. أتقرقر من رائحة الشواء يا ربة البيت هل من صبر؟ فأتته بصبر فاقتحمه وأتبعه بماء ثم ارتحل، ولم يأكل، وقال.

وإني لأثوي الجوع حتى يملَّني | فيذهب، لم تدنس ثيابي ولا عِرضي

وقال آخر:

وأغتبقُ الماء القَراح وأنتهي | إذا الزادُ أمسى للمُزلَّج ذا طعْم[4]
مخافة أن أحيا برغم وذلةٍ | وللموت خيرٌ من حياةٍ على رُغْمِ

● الصَّائنُ بَطْنَه عمَّا يلزم منَّةً أو مَذَمَّةً

قيل أحسن بيت في هذا المعنى قول نهشل.

أغرّ كمصباح الدجنّة يتّقي | قذى الزادِ حتّى يستفادَ أطايبُه

وقال:

إذا مَطْعَمي كانَ ذا غُصَّةٍ | عَصَلْتُ يدي منه قبل اكتفائي

وقال آخر:

ألبانُ إبْلِ تعلّة بن مسافر | ما دامَ يملكُها عليَّ حرامُ
وطعامُ عمران بن أوفى مثلُها | ما دامَ يسلكُ في البُطون طعامُ
إنَّ الذين يسوغُ في أعناقِهم | زادٌ يمنّ عليهم للئامُ

قال بعضهم: اكتريت من جمّال، فكان يحدو بما يقول الشاعر:

أبلجُ بين حاجبيه نورُه

---

(١) أجمه حضره أو قرب منه. (٢) الأزم. الإمساك عن الاستكثار من الطعام.
(٣) العمروس. الخروف.
(٤) اغتبق: أشرب في العشي - المُزلّج البخيل والذي لا خير فيه

فلما بلغ قوله:

إذا تَغَدّى رفَعَتْ ستورُه

أمسك حتى بلغنا المنزل، فقلنا: لم لم تكن تنشد قبل هذا؟ فقال: تفادياً من أن تحسبوني أعرّض بزادكم.

● حَمْدُ الرِّضا بِما يَتَسَهَّل

قال النبي ﷺ: كفى بالمرء عيباً أن يتسخّط ما قرب إليه. وقيل: كلْ في شهوة أهلك. قال الأصمعي: رأيت إعرابية تأكل قشور الرمان، فقلت: ما هذا؟ قالت: أدمع به الجوع، فإن الجوع إذا دفعته بشيء اندفع. قال شاعر:

تنافس في طيبِ الطعام وكلُّه ... سواءٌ إذا ما جاوزَ اللهَوات

وقال ابن الرومي:

ومتى شرهتَ فإنّ أيسر لذةٍ ... لكَ إن نظرت مع السلام كافية

وقال آخر:

وما هي إلا جَوعةٌ إن سددتَها ... فكلُّ طعامٍ بيْنَ جنبيكَ واحدُ

وقال آخر:

وما أكلةٌ إن نلتَها بغنيمةٍ ... ولا جوعَةٌ إن جعتَها بغرامِ

وقال بعضهم: لقيت أعرابياً، فقلت من أين؟ فقال: من البادية من جبل ضربة، أرض لا يبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً، في أرغد عيش وأنعم معيشة، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة، أو ما سمعت قول قائلنا:

إذا ما أصبْنا كلَّ يومٍ مذيقةً ... وخمسَ تُمَيْراتٍ صغارٍ هوامِزِ[1]

فنحنُ ملوكُ النّاسِ خصْباً ونعمةً ... ونحن أسودُ الغابِ وقْتَ الهزاهزِ[2]

وكَمْ مُتَمنٍّ عيشةً لا ينالُها ... ولو نالَها أضحى بها جدّ فائزِ

● الشّاكي عَدَمَ المآكِلِ

قيل لرجل: بم تسحرت البارحة؟ فقال: باليأس عن المطمور الليلة. وقيل لرجل: ما تأكل؟ قال: الخبز والزيت، فقيل: أتصبر عليهما؟ فقال: ليتهما صبرا عليّ. قال جرير:

تكلّفني معيشةُ آلِ زيدٍ ... ومَنْ لي بالمرقّقِ والصّنابِ[3]

وقال أعرابي لامرأته: لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقاً واستعرنا طنجيراً واتخذنا

---

(١) المذيقة: اللبن الممزوج بالماء ـ الهوامز: المعصورة أو المكسرة

(٢) الهزاهز: البلايا والحروب

(٣) المرقق: الرغيف المرقق الواسع ـ الصّناب: إدام يتخذ من الخردل والزيت، واللفظة يونانية

عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. قيل لأعرابي، أتعرف أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصمر. وقيل هو حية في البطن تعضّ إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: مالي عهد بمصاص ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج مند زمان.

وقيل: نزل به أبو عمرة وهو كناية عن الجوع، وقال:

حلّ أبو عمرة وسط حجرتي

● استطابةُ الجائعِ الطعامَ

قيل لأبي العملس أي الطعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة. قيل فما ألذ الأشربة؟ قال. شربة ماء تصيع بها غلتك

وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوباً على مائدة أنوشروان ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. وقيل: أحدّ شيء ضرس جائعة

● مَنْ جِسْمُهُ يُنْبِىء عن جُودَةِ أَكْلِهِ

في المثل. أمواهه مجاسة. قيل يريك البشر ما أجاد مشمر وقيل لرجل ما أسمنك؟ فقال: أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على الشمال وقيل لآخر، فقال قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظه

● وَصْفُ الأَكَلَة

من الأكلة سعد القراقر، الذي قيل فيه: أجوع من كلب حومل ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء والعبوق دواء والطليل حمص والجاشرية حمص. وزهمان الذي قيل فيه في بطن زهمان زاده.

أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها وثمانين جردقة[1]، وأحضر الإجاص فأحصى له ثلثمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيميّ أكل فصيلاً وأكلت امرأته فصيلاً، فلما تضاجعا لم يصل إليها، فقالت. تصل إليّ وبيننا جملان. وقال سالم بن قتيبة. عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري وكان معاوية يأكل حتى يتربّع، ثم يقول. ارفع ما شبعت حتى مللت.

قال ابن أبي الأسود:

كأنما في فيه أحجارُ الرحا   وكأنما في جوفه تنّورُ

(1) الجردقة: الرغيف بالفارسية.

وقال آخر:

أقلّ مـا يـأكـلـه أقـلـه ... لا يـحـمـل الـنـيـل ولا يُـقِـلُّـهُ

ووصف أعرابي رجلاً، فقال: هو أُكلة[1] وَكَلة تكلة[2].

وقال آخر:

كـأنـه بـرذونـة رغـموث[3]

وقال آخر:

قرضابة طرّفاه الدهر في تعَب ... ضرسٌ طحونٌ ومرْج يفسد الدّينا[4]

وقال آخر:

خبٌّ جبانٌ وإذا جاعَ بكَى ... ولا يواري فرجه إذا اصطَلى[5]

ويأكُل التمر ولا يلقي النوى ... كـأنـه غرارة ملأى خنـا[6]

وقال آخر:

أيـا آكـلُ مـنْ نـارٍ ... ويـا أشـرَبَ مـنْ رمـلِ

وكان بلال بن أبي بردة أكولاً، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه. يتكي على شماله ويأكل غير ماله، حتى إذا كظّه الطعام يقول: إيتو لي هاضوماً وقيل وهل تهضم إلا دينك وقيل لرجل كيف أكلُ فلان، فقال كمـ لا يجد لنحيل

ويتمثل في هذا الباب بقول جرير

كالحُوتِ لا يلْهيه شيءٌ يَلْهمُه ... يصْبِحُ ظمآن وفي البحر فمُه

وفي الجشاء، لابن عيينة

وتصبح تقلس عن تخمةٍ ... كـأن جشاءك عن فـخـلـه

● المُسرعُ اللّقَم

قال شاعر

ما بيْن لقمته الأولى إذا ردُرِدَت ... وبيْنَ أخرى تليها قيس أظفور[7]

وقال آخر:

يدارِكُ اللقْمَ ولا يخشى الغصَص ... تـلـقُّـمـاً يـقـطّـع أزرارَ الـقـمـص

---

(١) أكلة: كثير الأكل.

(٢) وكلة: بليد وتكلة: الذي يسلّم أمره إلى الناس

(٣) برذونة: دابة غليظة الأعضاء ضخمة تتخذ للحمل خصوصاً ـ الرغموث: كل مرضعة

(٤) القرضابة: النهم في أكله. (٥) الخب: المخادع

(٦) الغرارة: الكيس الكبير توضع فيه الحبوب أو غيرها ـ الخنا: الفحش

(٧) الأظفور: مادة قرنية في أطراف الأصابع

وقال آخر: فلان إذا أكل شدق وعلق وحملق أي لقمة في فمه وأخرى في يده وأخرى يرمقها بعينه. وقيل: فلان برم قرون لمن لا يدخل في الميسر ثم يأكل تمرتين تمرتين.

وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً فرفع إلى فيه لقمة لم يأخذ غيرها حتى ينقي فاه منها.

● المُعظِّم اللُّقَم

قال شاعر:

أعددت للقم بَناناً مجرماً   وضرسَ نابٍ كالرحا مخرفا
ومعدةً تغلي وبطناً أكتفا   حولا دكيكاً ما يذوقُ علما[1]

وقال أعرابي:

يحشو زوايا بطنه إذا اضطرم   لُقَماً كأمثالِ جلاميد الأكَم[2]

وقال البحتري:

وكأن الفتى يطمّ ركاما   قد تهورن أو يسد بثوقا[3]

وقال آخر:

يلقمُ لقماً ويعدى زادَهُ   برغل بأمثال القطا مزادَه

وقال آخر:

ترى كلّ محلول الإزار كأنّه   بطين سَطيحاً أو يلقم ناضِحا[4]

وقيل: فلان إن أكل لفّ وإن شرب اشتف

قال شاعر:

وكأنما صوتُ التلطم منهم   قُبَلٌ بفيه بهنّ صوتُ شفاه

وقال آخر:

كأن ذوبه في الحلق لمّا   يهمهم صوتُ رعد في سَحاب

● الأكْلُ بالمِلْعَقة

أكل أعرابي بملعقة شيئاً فاحترق فمه، فقال: أعدني الله أن أحكم على فمي غير يدي، فإنها رائد حق وبدير صدق، وكره الأكل بالملعقة مع الغير، فإن إدخالها في الفم وإعادتها إلى الصحفة مستقبح. وكان بعض أهل المروآت يضع بين يديه ملاعق فإذا التقم بواحدة لم يعد إليها.

---

(1) أكتف: حبط ـ حولاً دكيكاً.
(2) جلاميد الأكم: صخور التلال.
(3) البثوق: اندفاع الماء فجأة.
(4) الناضح: المطر.

● المملوءُ فَمُهُ من الطَّعام

سلّم رجل على أعرابي، وكان في فمه لقمة، فلما بلعها قال: حياك من خلا فوه. وقال حميد الأرقط:

أتانا وما داناه سحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زالَ عنه اللقمُ حتّى كأنّه من العيِّ لما أن تكلّم باقِلُ[1]

● مَنْ أكَلَ ما اشْتَهاهُ وَلَمْ يَخَفْ عُقْباه

حضر أعرابي طعام أمير فأكل معه، فأحضر الفالوذج، فقال الأمير: إن أكلت هذا حزرت رأسك، فنظر ملياً ثم رأى تركه حسرة، فمد إليه يده وقال: أوصيك بصبيتي خيراً.

مرّ أعرابي بقوم وعندهم طعام، فقال: ما هذا؟ قالوا: زقوم[2]، قال طيّب، والله لأساعدنكم على أكله.

● استدعاءُ الطَّعام

قال الأصمعي: أضفت أعرابيّ فلما أكلنا قلت يا جارية: أطعمينا تيناً فنسيته، فقلت له بعد ساعة أتحسن شيئاً من القرآن، قال: نعم، فقلت: إقرأ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والزيتون وطور سينين، فقلت وأين التين؟ فقال: نسيته أنت وجاريتك من ذلك الوقت.

دخل رجل على قوم يشربون فأولوه أقداحاً، وكان جائعاً، فقال للمغنّي غنّ:

خليليّ داريتما ظاهراً فمَنْ ذا يُداوي جوى باطنا

فعلم صاحب الدار أنه جائع، فقال غنّ له:

من يسألِ الناس يحرموه وسائلُ اللهِ ما يَخيبُ

ودخل آخر على قوم، فقالوا له: أي صوت أحب إليك؟ فقال: صوت المقلى.

ودُعي ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام، فقال لصاحب الدعوة:

يا ذاهباً في داره آتياً من غير ما معنى ولا فائدة
قدْ جُنّ أضيافُكَ من جوعِهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعوة، فاستبطأ الطعام، فقال: ائتونا بالخوان نأنس به إلى أن يحضر الطعام، وقال النبي ﷺ: إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة.

ودخل أعرابي على رجل بين يديه سلّة فيها طعام، فقال: ما هذا؟ قال: بظر أمك. فقال: أعضضني به.

---

(١) باقل: شخص معروف عند العرب بالعيّ، فيقال: أعيا من باقل.
(٢) الزَّقُوم: كل طعام يقتل.

ودخل الشعبي على أبي عمرو متطاولاً، ثم قال للشعبي: أعندك تحفة؟ فقال: نعم، أي التحفتين أحب إليك، أتحفة إبراهيم أم تحفة مريم. فقال: تحفة إبراهيم عهدي بها الساعة يعني اللحم. ولكن التي بتحفة مريم مأته، بالرطب. وقيل لأعرابي: ما تشتهي؟ فقال: حرف جردق وعرق مرق.

وقال بعض أهل الكوفة: دخل عليّ جعيفران، فقال له: هل من طعام؟ فقلت: سلق بخردل، فقال: فاشتر بطيخاً، فقلت للجارية: قدمي الطعام واذهبي فاشتري بطيخاً، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت، فقال جعيفران:

سلقتنا وخردلت ... ثم ولّت وهرولت

وأراها بواجد ... وافر الأير قد خلت

فخرجتُ في طلبها، فإذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف.

● الاحتجاجُ للتطفُّل والتبجُّح به

عوتب طفيلي، فقال: كلكم طفيليون لكنكم تجهلون أنكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا إليها، وسواء تطفل على طعام أو على تمتع.

وقال طفيلي، وقد عوتب: قد تطفل بنو إسرائيل على الله فقالوا ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، وقيل لطفيلي: لا يحلّ لك أن تأكل من طعام لم تدع إليه، فقال: هذا خلاف قول الله تعالى، حيث قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾[2] إلى قوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾[3] وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

وقال طفيلي: إن لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة، ثم أنشد:

نزوركُمْ لانكفاتكُمْ بجفوتِكُمْ ... إن المحبّ إذا لم يُستزَرْ زارا

وقال آخر:

لا أرى التطفّلَ إلا ... في فتىً حرٍّ كريم

وقال علي البصري:

أحسنُ الإخوانِ إنْ حققت ... منَ الإخوانِ جفوه

طرحك الحشمة عنهم ... وتجي من غير دعوه

وقال آخر:

قد أتيناك زائرين جياعا ... وعلمنا بأنّ عندك فضله

---

(١) القرآن الكريم: النور/ ٦١.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٦١.

(٣) القرآن الكريم: النور/ ٦١.

(٤) القرآن الكريم: الحجرات/ ١٠.

إن تـجـدْنـا كـمَـا تـحـبّ وإلا فـاحـتـمِـلْـنـا فـإنَّـمـا هـي أكْـلَـه

● المَهجوُ بالتطفُّل وَذَمُّه

قيل: فلان أطفل من ليل على نهار، وألزم للخوان من منديل الغمر، يأكل لمًّا ويوسع الحي ذماً.

قال ابن طباطبا:

ولـو نـشـر الـنـبـيّ لـكـنـت مـنـه مـكـان أبـي هـريـرة غـيـر مـيْـنِ[1]
ألـحّ زيـارة لـبـلـغـت زاداً مـعـدّاً لابـن فـاطـمـة الـحـسـيـنِ

وقال آخر:

لـو يـسـمـعـونَ بـأكـلَـةٍ أو شـربَـةٍ بـعُـمَـانَ أصـبـح جـمـعُـهـم بـعُـمَـان

وقال النبي ﷺ: من مشى إلى طعام لم يُدعَ إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً. وكان أبو دلف العجلي كتب من الكرج إلى محمد بن فاخر بأصبهان: إني أريد أن ألم بك يوماً فأصيبك وأرى أصبهان، فهيأ ابن فاخر وأنفق مالاً جماً، وكان بأصبهان شويعر بينه وبين ابن فاخر عداوة، فكتب رقعة ودفعها إلى من يصدى لأبي دلف لما قرب من أصبهان، فقرأها، فإذا فيها:

جـئـت مـن الـعـب فـارس [illegible] الـعـداء مـن الـكـرج
مـا عـلـى الـمـرء بـعـيـداً في [illegible] الـنـفـس مـن حـرج

فانصرف أبو دلف راجعاً، وأفسد على محمد ما كان هيأه. قال ابن بشر فيمن أكل وحمل:

أكـلـوا حـتـى إذا شـبـعـوا حـمـلـوا الـفـضـل الـذي تـركـوا

● احتمالُ المَشقّةِ فيه

قال أبو الجهم

كـمْ لـطـمـةٍ في حـرّ وجـهـكَ صـلـتةٍ مِـنْ كـفّ بـوّاب سـفـيـهٍ ضـابـطِ
حتّى وصلْتَ فنلتَ أكلةَ ضيغَم متضمّخ بدمٍ وأنـفٍ سـاقـطِ[2]

فسمعها طفيلي، فقال: نعم، من طلب عظيماً خاطر بعظيم

● الشّديدُ الطّمعُ

قيل: هو أطمع من أشعب، وكان قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما زفّت عروس إلا كنت بأبي ورشته، طمعاً أن تحمل إلى داري، وما سارر أحد أحداً إلا ظننته

---

(١) أبو هريرة: من أصحاب النبي ومن رواة الحديث النبوي ـ الميْن: الكذب.

(٢) الضيغم: الأسد ـ أنف ساقط: ذليل

يأمر لي بشيء. وقيل لطفيلي: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما سألتني عن هذا إلا وفي نيتك أن تعطيني شيئاً.

● حَثُّ المُتَطَفِّلِ على الوَقَاحَة

رأى طفيليٌّ آخر فقال له: هلاَّ حضرت دعوة فلان، فقال: لا يجتمع التطفيل والحياء، أما سمعت قول الشاعر:

لا تستحيينَ من القريـ ـب ولا من الفظّ البعيدِ
ودَعِ الحياء فإنّما وجهُ المطفّلِ منْ حديدِ[1]

● نَوادِرُ المُتَطفّلين

سمع طفيلي خشخشة الإبريق فأمسك عن الطعام، فقيل له في ذلك، فقال: حتى يسكن هذا الإرجاف. وقيل لآخر: ما بال وجهك أصفر؟ فقال: للفترة بين القصعتين أخاف أن يكون الطعام انقطع. وقيل لآخر: ما تحفظ من القرآن، قال قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[2] وقيل لآخر: اشتر لنا لحماً، فقال: لا أحسن الشراء، فقيل له أوقد النار، قال: أنا كسلان، فقيل له أطبخ قال: لا أحسن الطبخ. فلما عرف الطعام، قيل: له تقدم فكل، فقال: أكره أن أكثر مخالفتكم. وحصر طفيلي باب دعوة فمنعه البواب، فقام ينظر من صير الباب إلى الأطعمة، وأنشد:

ومالك منها غير أنك ناظرٌ بعينيك عينيها وهل ذاك نافعُ

وأكل أعرابي عند قوم، فلما أراد الخروج قيل له: هل تعود إلينا؟ فقال: ليس مثل السوء لي، ولكن الكلب لا يدع حائطاً شبع منه. وقال طفيلي لقوم يحضرون دعوة: اجعلوني لحقاً بين سطرين.

● أكْلُ فُضالةِ المائدة

روي عن النبي ﷺ: من أكل من فضلة ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من الرزق ما كان، ووقي هو وولده وولد ولده الحمق. وقيل: مهور الحور العين أكل فتات المائدة.

● الخِلال

قال جعفر بن سليمان: لا بد من الخلال[3] وهو مخربة للأسنان. ودخل رستاقي على قوم يأكلون فأطعموه فلما فرغوا أعطوه، فأخذ يتأملهم ظناً منه أنهم يريدون قلع

(١) المطفل: الذي يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها.
(٢) القرآن الكريم: الكهف/ ٦٢.
(٣) الخلال والخلالة: ما تخلّل به الأسنان وتزال بقيّة الطعام بين الأسنان.

أسنانهم، فأخرج مسلة معه فقمع ضواحكه والتفت إليه، وقال: أنتم بعد في حفر أصل واحدة، وها أنا قد نزعت أربعاً.

وأكل طبري مع قوم فلما فرغوا دفعوا إليه خلالاً فظنه مما يؤكل فأكله فنظر الغلام إليه فلم ير الخِلال معه، فدفع إليه آخر، فقال الطبري: قد أكلت واحداً ولا أشتهي غيره.

● أنواعٌ من هذا الفصل

قال النبي ﷺ: إذا صنع خادم أحدكم طعاماً فليجلسه معه أو يناوله، وقال: لا تأكلوا في غربال ولا منخل، فإنه يمحق البركة ولا يشبع. وأتي ﷺ بطعام شديد الحرارة، فقال: ما كان الله ليطعمنا النار أقروه حتى يبرد، فإن الطعام الحار ممحوق البركة وللشيطان فيه شرك.

قال البحتري:

تنازعنا المدامة وهي صِرْفٌ وأعجلنا الطبائخ وهي نارُ

(٣)

ومما جاء في الدعاء إلى الدعوات

● أسماءُ الدَّعوات

المأدبة، والمأدبة الدعوة والوليمة عند الأملاك، والعرس عند البناء بالأهل، والخرس للولادة، والأعذار للختان، والنقيعة للقدوم من سفر، وكذلك السفرة والوكيرة، والحيرة للبناء، والوضيمة للمأتم، والعقيقة لأول ما يؤخذ من شعر الولد، والنقرى التخصيص في الدعوة، والجفَلى التعميم فيها[1]. قال بعض الأدباء العارفين بالفارسية: ليس في اللغة الفارسية شيء من أسماء هذه الدعوات.

● الحثُّ على اتخاذِ الدَّعوةِ والإجابةُ إليها.

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أولم ولو بشاة. وقال ﷺ: لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذرع لقبلت.

ورُوي أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا اجتمعوا لم يتفرقوا إلا عن ذواق[2]. وقال ﷺ: إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك. وفي حديث آخر فإن كان مفطراً فليأكل وإن كان صائماً فليصلِّ، أي ليدعُ لهم بالبركة.

---

(١) فيها: أي في الدعوة.

(٢) الذواق: الطعم

وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا ادعي إلى طعام يحضر، فإن كان مفطراً أكل وإلا قال كلوا بسم الله ويذكر أن النبي ﷺ قال: الصائم إذا أكل عنده سبّحت أعضاؤه.

● المُستدعي صاحبَه زاعماً أنّ به يتمُّ السرورُ

كتب أبو الفرج الدمشقي إلى صديق له

شَـهِـدَ الله أنّ كـلَّ سـرورٍ غبتَ عنه فليسَ لي بسرورِ

وقال آخر:

نحنُ في أطيبِ الحُبور ولكن ليس إلا بكُم يتمُّ السرورُ
عيبُ ما نحنُ فيه يا أهلَ ودّي أنكم غِبتُم ونحن حضورُ
فاغذوا المسيرَ بل إن قدرتُم أن تطيرُوا مع الرّياحِ فطيرُوا

وقال الصولي:

حضَرَ السرورُ وعيبُه أن لستَ مسعدَنا عليه

وقال آخر:

إنّنا إن عندنا نفرٌ من أنت له وامقٌ من الأصحابِ[(١)]
وأناسٌ فيهم وفيهم ولكن لم يكن بدٌّ من القذى في الشرابِ

● مَنْ دعا صَديقَه وَوَصفَ له طعامَه وشرابَه

كتب جحظة إلى صديق له:

لنا يا أخي فرحةٌ وافرةْ وقدرٌ موفّرةٌ حاضرهْ
وراحٌ تُريكَ إذا صُفّقتْ سَنا البرق في الليلةِ الماطِرهْ[(٢)]
ومُسْمِعَةٌ لمْ يخُنْها الصّوابُ وزامرةٌ أيّما زامِرهْ[(٣)]
وما شئتَ من خبَرٍ نادرٍ ونادرةٍ بعدها نادِرهْ
فوافِ وإن كنتَ يا ابنَ الكرام وحاشاكَ في الساعةِ الآخِرهْ

وكتب الوزير العباس إلى نديم له:

أيّها الكوفيّ شيخي قمْ بنا نحو الدويرهْ
فلَنا فضلةُ سكبا ج لدينا في قُديرهْ
ومدامٌ من دمِ الكر مةِ باتتْ في ذكيرهْ[(٤)]
وإذا ما ارتاحتِ النفسُ من الراحِ فُطيرهْ[(٥)]

---

(١) وامق: محبّ.
(٢) الراح: الخمر.
(٣) مسمعة: منشدة.
(٤) الذكيرة: الجيّدة الحفظ.
(٥) الفطيرة: القطرة الصغيرة.

فـصـجـيـجـي سـاجِـدا عـمـد ـرو وشـيـخـي مـع عـمـيـرة

ودعا رجل صديقاً له، فقال ما عندك؟ قال: مرقة طيبة ونفس تستطيب أكلها، فقال: مثلك يجاب.

وكتب أبو سعد بن نوفة إلى أبي مسلم بن بحر، وراسله برسول يكنّى أبا بكر

إن كـنـتَ تـأكـلُ مـا حـضَـره ـر فـإنـك مـتـنـطّـز
والـسـاعـةُ اقـتـربـتْ لـفـز ط الـجـوع وانـشـق الـقـمـز[1]
ورسـولُـنـا بـكـتـابِـنـا هـذا الـظـريـفُ أبـو بـكـز
ويـزادنـه حـرّكـتُ مـنـه الـكـاف كـيـلاً يـنـكـسـز[2]

وقال محمد بن ماج:

عـنـدنَـا قِـدْرٌ لـديـذٌ لـيـس لـلـقـدْرِ شـريـكُ
ونـبـيـذٌ مـن زبـيـب وعـزالٌ يـمـتـنـيـكُ
فـأتـنـا نـأكـلْ ونـشـربْ ثـم نـخـلـو فـنـيـكُ

وقال آخر:

ومـاذا تـرى فـي بـرمـة بـقـريـصـةٍ وأخـذٍ بـأطـراف الـحـديـث الـمـنـمّـق

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندي سكباج يرعف المجنون وحديث يطرب المحزون وإخوانك المتحدثون، فلا تخلوا عني وأنتم تأتون، فكتب إليه أبو العيناء: اخسأوا فيها ولا تكلمون.

● مَنْ دَعا أصحابَه وَوَصَفَ لَهم مِنَ الأطعمة ما لَمْ يفِ به

قال الأعمش لجليس له: أتشتهي جدياً سميناً وأرغفة باردة وخلاً حادقاً؟ فقال: أي والله قال: فانهض معي، فحمله إلى داره وقدم إليه خبزاً يابساً وبقلاً وخلاً، قال: فأين الجدي والأرغفة؟ قال: لم أقل لك هما عندي وإنما قلت تشتهيه.

والمسمّى بابن العباس الأبله قال لبعض من استقبله: هل لك في قديد هش وخبز لين وخبيص ملبق، قال: أي والله قال: إذهب إلى السوق فاشترها فإني قد اشتهيتها وها أنا أعود إلى دارك لآكلها.

قال العطوي: دخلت على أبي سعيد المخرومي وهو بين نبيين وعلى أحدهما:

نـعـمَ الـنـديـمُ نـديـم لا يـكـلـفـنـي ذبـحَ الـدجـاج ولا ذبـحَ الـفـراريـج
يرضى بقدرين من بُرّ ومن عدس وأن تـشـهّـى فـزيـتـونٌ بـطـيـبـوج[3]

---

(1) انشق القمر: تعبير عن الكشف والظهور. (2) حركت الكاف: يعني حُركت بلفظ بكر
(3) الطيبوج: ضرب من الطعام

فقلت قد رضيت بزيتون واعميتك من القدرين، فقال: إقرأ ما على الحائط الآخر فإذا عليه:

إشرَبْ على الخبْزِ والريق ... ليبعدنا الآنَ من السوقِ
لا تطلبَنّ الخبْزَ من بيتِنا ... فإنّما تنفُخُ في البُوقِ[1]

● مَنْ دعَا أخاه فاستعْجَلَه

قال كشاجم في أبيات كتب بها إلى صديق له يدعوه:

فكُنْ جَوابي ولا تركُنْ إلى عذرٍ ... فإن ركنت إلى شيء أتيناهُ
فقد تيقّنتُ أني ما التمَسْتُ أخاً ... مساعِداً قط إلا كنتَ إيّاهُ

وكتب أبو مسلم بن بحر إلى أبي سعيد بن نوفة

تلقَاكَ يومُك بالأسعدِ ... وأعطيْت سؤلَك في أحمَدِ
فبادِرْ إليّ وُقيتَ الرّدى ... وهبْ لي صلاتَك في المسْجِدِ[2]

وقال آخر:

جُعِلْتُ فداكَ قدْ حضَرَ الطعامُ ... وصاحتْ من تأخُّرِكَ المُدامُ
فإما جئْتَنا عجِلاً وإلاّ ... أخذْنا في اغتيابِك والسلامُ

وقال منصور:

كنتُ والكأسُ في بمساي مترعةٌ ... وأحسنُ الناس يُلهيها ويَسقيهنا
ونحْنُ في مجلسٍ حلَّ السرورُ به ... حلْوَيْن من ثالثٍ حتّى توافينا
فكُنْ جوابَ كتابي والسّلام فما ... أراكَ تدركنا إلا مجانيئا

وقال آخر:

كنْ جوابي إذا قرأتَ كِتابي ... لا تردنّ للكتاب جَوَابا
أعقِبي من نعَم وسوّف ولي شعـ ... ـل، وكنْ سيّداً دُعِي فأجَابا

● مُعاتَبة مُتباطِيء

قال بعض الناس: دعاني رجل إلى وليمة في يوم جمعة فمضيت إلى الجامع وتشاغلت فجئته مع العتمة، فقال لي: يا هذا عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات، مضيت إلى الصلاة قبل النداء، وقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]. وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[4]

---

(١) تنفخ في البوق: كناية عن الطلب المستحيل.

(٢) بادر: أسرع بالمجيء، وقوله وقيت الردى: دعاء بأن يكلأه الله ويحميه، والردى الموت.

(٣) القرآن الكريم: الجمعة/٩. (٤) القرآن الكريم: الجمعة/١٠.

فأقمت إلى العتمة، وعصيت الرسول، حيث قال: الداعي مستغيث فأغيثوه، فأخجلني.

قال كشاجم:

تأخرتَ حتى كددت الرسولَ ... وحتى سئمتُ من الانتظارِ
وأوحشتَ إخوانَك المسعدين ... وفجعتهم بشبابِ النهارِ
وأضرمتَ بالجوع أحشاءهم ... سنارٍ تزيدُ على كلّ نارِ
فإن كنت تأملُ أن لا تُذمّ ... فأنتَ وحقّكَ عينُ الحمارِ

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن العلوي في أبيات، وكان قد عاد إلى داره لشغل ووعد أن يعود إليه، فلم يعد

لم ملت في العود إلى التقصير ... كما يُقالُ حَوصلي وطَيري[1]

● الحَثُّ على تَرْكِ مَنْ تَباطأ أو تأخر

قال ابن المعتز:

إذا ما تأخرَ مَنْ قد دعوْتَ ... فدعْه وما اختارَ من أمرِهِ
ولا تشرَنّ بتذكاره ... ولكن تشاءبْ على ذِكْرِهِ

وقال آخر:

إن المفترة كلّها ... فيها أقلّ ما يتلوحُ؟
فإذا تعجّل خمسةٌ ... من ستةٍ قد أزعجُوا
فدَعْ انتظارَكَ واجداً ... لجماعةٍ قد زوّجوا
إن التبطيءَ عن الدعا ... وإلى الإجاعةِ أحوجُ

● المُعتذِرُ لتأخرهِ عن مَنْ دَعاهُ

كتب المهلّبي إلى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور:

لولا شغلٌ عاقني ... بالقُرْبِ حاولَ عن مزارِك
لأتيتُ نحوك مسرعاً ... ولعزتُ من غلمانِ دارِك
فبحق طرفك واقتنا ... بك والمهذّبِ من نجارِك[2]
إلا منُنت وقلت لي ... إني وهبتك لاعتذارِك

وقال ابن طباطبا:

أبسطوا العذر في التأخر عنكم ... شغلَ الحلي أهلَه أن يُعارا

---

(١) يقال: حوصل الطائر: ملأ حوصلته.

(٢) النجار: الحسب والأصل.

● فَضْلُ المُجيبِ الدَّعوةَ على داعِيه

قال ناصر الدولة، وقد دعاه إنسان إلى دعوته.

مَن دعَانا فأبَيْنا ... فلهُ الفضْلُ علَيْنا
فإذا نحنُ أجبْنا ... رجعَ الفضْلُ إليْنا

ودعا بعض الناس أديباً فامتنع، فقيل له في ذلك، فقال: إنه دعاني مرة فأجبته فلم يشكرني عليه.

قال شاعر:

أتاني رسولُك يبغي الحضورَ ... فحلّيت من كنتُ في دعوَتِه
وجئتُك يا سيّدي مسرعاً ... كأنّي سؤالُك في سرعَتِه

وقال ابن الحجاج في أبيات له

جئتُ بلا وعْدٍ لأنّي مستن ... يضجرُني التسويفُ والوعْدُ

● مُعاتبَةُ مَنْ شَرِبَ الدَّواءَ فلم يَدعُه

قال أبو القاسم بن أبي سعد الأصبهاني:

أبا فرج عِشْ سعيداً لنا ... ودُمْتَ وبلغْتَ أقصى المُنى
أسأتَ إلينا وأوحشْتَنا ... وكنتَ قديماً فتىً مُحسِناً
وللبيتِ مصراعُه المستفيض ... ولولاك جئتُ به معلنا
فبيِّن لنا العذرَ فيمَا أتيتَ ... وصل جمعَنا واعتبِم شكرَنا

● الذّامي مَنْ لا يَدْعوه

كان بدمشق شاعران يتعاشران، وأحدهما مكثر عن الآخر ولا يدعوه إلى منزله، فكتب إليه:

أبداً تحصلُ عندي ... ثم لا أحصَل عندَكْ[1]
إن تُنَاصِفْني وإلا ... أبتُ يا طائي وحدَكْ[2]

ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقياً فاتفق أن دعاه يوماً، قال: فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة فعثرت برقعة بخطه فيها: فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا، فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له علي دعوات، فخرجت وقلت: عليّ أن لا

---

(١) لا أحصل عندك: أي لا أكون ولا أبيت. (٢) الطائي: المقصود الكريم.

أتناول طعامك حتى أرد ما عليّ، قال. فقلت في ذلك

أرى الدعواتِ قد صارتْ قُروضاً ولا أدعو فيلْقاني بعيضاً

وقال آخر:

إذا كنتَ تدعُوني لأدعوكَ مثلَه فمملْتُ منحولٌ إلى فحْل تاجرِ[1]

● الحَثُّ على تَجْديد الإرسال إلى مَنْ دَعوتَه والتعريض

إذا ما كانَ بينَك في عشيّ وبين أخٍ من الإخوان وعْدُ

فجَدِّدْ بالغداةِ له رسُولاً فإن حوادِثَ الأيام تغْدو[2]

ومثله:

إذا صاحبٌ لك واعدْتَه ليوم اجتماع من الجمْعة

فقوِّ عزيمتَه في الوَفا بتذكرَة لك في رقْعَة

واجتمع قوم في دار ليلةً فأرادوا الصبوح، فقال المغني: دعوا صاحب الدار لي فإني أحمله على أن يحتسكم، فغنّى:

ومعرسٍ طلب الصبوحَ ورمْني لفتى يوافقني الصباح وحسْنُه[3]

فقال الرجل لجاريته: القوم أرادوا الاصطباح فما الحيلة؟ فقالت الجارية: دعهم لي وأخذت العود، وغنت:

ودارِ تدامى عطّلوها وأدلَجُوا بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارسُ[4]

فانصرف القوم.

(٤)

ومما جاء في الأجواد بالقرى

●

قيل لأعرابي: ما القِرى؟ فقال: نار يعلو شرفها وخيمة يوطأ كنفها. وقال آخر: ملقى النزيل بالوجه الجميل. وقيل: بذل القِرى فوق بذل الندى.

● الحَثُّ على الإضافة

قال الله تعالى في مدح قوم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[5] وقال

---

(١) منحول إلى تاجر: منسوب إلى التجارة.

(٢) الغداة: وقت طعام الغدوة - تغدو: تبكر وتتحول.

(٣) الصبوح: ما أكل وشرب في الصباح - المُعرِّس: مكان للراحة والطعام.

(٤) أدلجوا: ساروا ليلاً - الدارس: الذي انمحى. (٥) القرآن الكريم: الدهر/ ٨.

النبي ﷺ: أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، وقال ﷺ: إذا نزل الضيف بقوم نزل برزقه وإذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم. وقال: أيما مسلم أضاف فأصبح الضيف محروماً، فحق على كل مسلم نصرته حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه أو ماله.

وقال أنس بن مالك: كلّ بيت لا يدخله ضيف سبعة أيام لم تدخله الملائكة.

ومرّ قتيبة بمنزل فقال: إن من يبخل يصير حاله إلى هذا البخيل. وقيل لبعضهم: ما الكرم؟ فقال: طعام مبذول ونائل موصول ووعاء لا يحول. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لأن اختبر صاعاً أو صاعين فأدعوا إليه نفراً من إخواني أحب إليّ من أن أعتق رقبة.

• حثّ الشّافع المشفوعَ إليه على الاصطناع

كلّم علي بن الحسين رضي الله عنهما عاملاً في رجل، فقال: أنا لا أكلمك في ما يوهي دينك ويوتغ[1] أمانتك، ولكن الحُر القدر إذا أراد أن يحسن أحسن. وقال الواثق يوماً لأحمد بن أبي داود، تضجراً بكثرة حوائجه! قد أخليت بيوت المال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين إليك، فقال: يا أمير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك وذخائر أجرها مكتوب لك، ومالي من ذلك إلا أن أخلد المدح فيك، فقال: أحسنت، وشفعه. وكتب الصاحب في فصل:

والمتنى إن أراد نفع أخيه ... فهو يدري في أمره كيف يسعى

(٥)

وممّا جاء في الجود والأجواد

•

• ما حدُّ به الجُودُ والأجواد

قيل للأحنف: ما السخاء؟ قال: الاحتيال للمعروف، قيل: فما اللؤم؟ قال: الاستقصاء على الملهوف. وقيل: السخي من كان بماله متبرعاً وعن مال غيره متورّعاً.

وقيل لصوفي من الجواد من الناس؟ فقال: الذي يؤدي ما افترض عليه. وقيل للحسن رضي الله عنه من السخيّ؟ فقال: الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى عليه بعد ذلك حقوقاً. وقال بعضهم: الناس أربعة: جواد وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته، وبخيل وهو الذي لا يعطي واحداً منهما، ومسرف وهو الذي جمع ماله لدنياه، ومقتصد وهو الذي أعطى كلاً بقدره.

---

(١) يوتغ أمانتك: يفسدها

● كَونُ السَّخاءِ واقياً من النِّقم

قال الله تعالى. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1]، وقال تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فلن تكفروه﴾[2] وقال النبي ﷺ أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وقال: عليكم باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وقال ﷺ: السخاء شجرة من أشجار الجنّة أغصانها متدلّية في الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها أدّاه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار فمن أخذ بغصن من أغصانها أدّاه إلى النار.

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة إذنه وبذل طعامه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ وقيل لحكيم ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله؟ فقال: الإحسان إلى الناس.

● كَونُ المُحْسنِ محبوباً عندَ اللهِ ورسولِه

قال النبي ﷺ. ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله، قالوا بلى، قال التغابن[3] للناس وقال ﷺ. تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله تعالى آخذ بيده. وقال السخي قريب من الله قريب من الناس، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس وقال ﷺ. سادةُ الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء وقال: الخَلْق كلّهم عيال لله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

وقالت عائشة رضي الله عنها. جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها. وقيل من بذل دراهمه أحبه الناس طوعاً أو كرهاً وقيل: من عزز عوارفه كثر معارفه. وقيل لحكيم: هل شيء خير من الدراهم والدنانير قال معطيهما، ابن علقمة

ولا تسألِ الأضيافَ مَنْ هُمْ فإنَّهم | هُمُ النَّاسُ من معروفِ وجهٍ ومنكَرِ

● مَنْ لاَ يتعلّل على مُعْتَفيه

قال معاوية بن جعفر:

بـل لا تـقـولُ إذا تـبـوّأ مـنـزلاً | إن الـمـحـلّـة شـعـبُـهـا مـكـدودُ[4]

إذ بعضُـهـم يـحْـمـي مراصد بيتـه | عـن جـاره وسـبـيـلُـنـا مـورودُ[5]

وقال آخر:

أضفْتُ ولم أفحش عليه ولم أقُل | لأحـرمـه إن الـمـبـاءة ضـيـقُ

---

(1) القرآن الكريم البقرة/ ١٩٧ و٢١٥ (٢) القرآن الكريم. النساء/ ١٢٦.

(٣) تغابن القوم أن يغبن القوم بعضهم بعضاً، ويوم التغابن يوم البعث إذ يغبن أهلُ الجنة أهلَ النار أي استنقصوا عقولهم لاختيارهم الكفر ومن معاني التغبن التعفل والنسيان ولعلّه المقصود في هذا السياق

(٤) المكدود: المغلوب. (٥) وسبيلنا مورود: طريقنا سالك.

● مَنْ لا يُغلِقُ بَابَه على مُعْتَفِيه

قيل: أمدح بيت قالته العرب، قوله:

يُغْشَوْن حتى ما تهرّ كلابُهم لا يسألون عنِ السّواد المقبِلِ[1]

وقال الرستمي:

ولم يُغْلِقوا أبوابَهم دون ضَيفِهِم ولا شتَموا خدّامهم ساعةَ الأكْلِ

إذا تغــذّى رفــعَــت ستــورَه

وقال آخر:

وإذا حصرْنا الباتَ عند غدائه أذنَ الغداة لنا برغم الحاجبِ

ولما عرس جعفر بن يحيى بابنه علي بن عيسى بن ماهان، جعل الطعام في الشوارع، فكلّ من شاء أكل، وجعلت الغوالي[2] في مراكن من ذهب فمن شاء تطيب ومن شاء أخذ وانصرف.

وكان عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما يُسمّى معلم الجود، وهو أول من وضع الموائد على الطريق وكانت نفقته كل يوم خمسمائة دينار

● النازِلُ الرَّوابي والأطرافَ

وقال أبو فراس:

لنا بيتٌ على عنقِ الثريا رفيعٌ مذاهبِ الأطنابِ سامِي[3]

تظللهُ الفوارسُ بالعوالي وتفرشُه الولائدُ بالطّعامِ[4]

وقال ابن هرمة:

أغشى الطريقَ بقبّتي ورواقِها وأحلّ في نشزَ الربا فأقيمُ[5]

قيل للحسن رضي الله عنه كيف نزلت بالأطراف، فقال هي منازل الأشراف يتناولون من أرادوا بالقدرة عليه ويتناولهم من أرادهم بالحاجة إليهم.

● المبادِرُ إلى حَمْلِ الضَّيف

قال شاعر:

وقمتُ إليه مسرِعاً فغنمتُه مخافةَ قومي أن يفوزوا به قبلُ

فأوسعَني حمداً وأوسعتُه قِرىً وأرخصْ بحمدٍ كان كاسِبَه الأكلُ

---

(١) تهر الكلاب: تنبح خائفة ـ السواد: العامة من الناس

(٢) الغوالي: جمع غالية وهي وعاء الطيب أو العطر.

(٣) الأطناب: النواحي ـ الثريا: مجموعة من الكواكب، والمقصود البيت العالية

(٤) الولائد: جمع وليدة، المحدثة من كل شيء (٥) نشز الربى: الربى المرتفعة

● **المسرورُ بِمَجيء الضَّيفِ وَشاكِرُهُ عليه**

قال دعبل:

اللهُ يَعلَمُ أنَّني ما سرَّني   شيءٌ كطارقةِ الضيوفِ النزَّلِ

ما زلتُ بالترحيبِ حتَّى خلتُني   ضيفاً لهُ والضيفُ ربُّ المنزلِ

وله:

نغماتُ الضيفِ أحلى عندنا   من ثغاءِ الشاءِ أو تلكَ الوَغا[1]

وقال آخر:

لم يُطيقُوا أن يسمعوا فسمِعنا   مصَبْرَنا على رحَى الأسنانِ

صوتُ مضغِ الضيوفِ أحسنُ عندي   من غناءِ القيانِ بالعيدانِ

وقال الحرمازي:

لضيفي على الطَّول ما دام نازلاً   عليَّ وفوقَ الطولِ ما استوطَن الرحلا[2]

● **المُحتشِدُ لأضيافِهِ**

قال بعضهم

فتىً لا تعدُّ الرسل تقضي دمامَه   إذا نزل الأضيافُ أو تُنحرُ الجزرُ

وقال بعضهم: دعا فأحسن جواباً وبرح حتى لم يبق في داره ما يتعقدنا به مرة أخرى وقيل لبعض ما اتخذ دعوة. أسرفتَ، **فقال**: ليس في الشرف سرف. وقال الحسن فيما ظن لرجل أولم أسرف فليس في الطعام سرف. **قال كشاجم:**

كأنَّ الزائرينَ إذا أتَوْه   مفاجأةً أتَوْه على تَعادِ[3]

● **الحَثُّ على تَرْكِ التكلُّف وتَعجيل الحاضِر**

قال النبي ﷺ: هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من أصحابه فيحتقر ما في بيته أن يقدم إليهم، وقال: لا أحب المتكلفين. دعي أمير المؤمنين إلى دعوة **فقال**: على أن لا تحتشد ما ليس عندك ولا تحتبس ما عندك. **وقال بكر المزني**: إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما هو عندك، قدم إليه ما حضر. **وقيل**: الضيف إلى القليل العاجل أحوج منه إلى الكثير الآجل، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[5]، وقال بعض العلوية

إذا طرقْتَ فما حضَر   وإذا دعَوْتَ فلا تَسَلْ

---

(١) الوغا: الصوت والجلبة.

(٢) الطول: مدى الدهر. استوطن الرحل: أقام في المنزل.

(٣) على تعاد: أي أتوه متسابقين في العدو.

(٤) القرآن الكريم. هود/ ٦٩.

(٥) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٥٣.

- **عُذْرُ مَنْ قدَّمَ ما حَضَر**

نزل ضيف بأعرابية فقدمت له خبزاً يابساً ولبناً حامضاً، فذمّها وقال:

ألم ترَ أن المرءَ من ضيقِ عيشه ... يُلام على أخلاقِه وهو معذَرُ
وما ذاكَ من لؤمٍ ولا مِن ضراعةٍ ... ولكنه إن يطبلُ الدهرُ يزمرُ[1]

وقال آخر:

إذا أنتَ لمْ تشرِكْ رفيقَك في الذي ... يكونُ قليلاً لم تشاركْه في الفَضْلِ

وقال آخر:

أقلّ عاراً إذا ضيفٌ تضيّفني ... ما كانَ عندي إذا أعطيْت مجهودي
جهْدُ المقِلّ إذا أعطاك نائلَه ... ومكثِرٌ من غِنى سيّان في الجُودِ

- **عُذْرُ مَنْ لم يَقْدِرْ**

استضاف قوم ابن هرمة فخرجت بنيّة له فبصرتهم واعتذرت إليهم، فقالوا لها: أليس أبوك القائل:

لا أمنعُ العوذَ بالفِصال ولا ... أبتاعُ إلا قريبةَ الأجل

قالت: هذا الفعل هو الذي ترككم بلا قِرى. وقال رجل لمن سأله فلم يعطه فعاتبه: بيتي يبخل لا أنا.

- **عَتْبُ مَنْ لم يَرْضَ بما حَضَرْ**

قال شقيق: دخلنا على سلمان، فقدم إلينا شيئاً، وقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن نتكلف للضيف لتكلّفت لكم. فجئنا بخبز وملح فاقترحنا عليه السعتر فذهب بمطهرته، فلما أكلنا، قال أحدنا: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعتم لم تكن مطهرتي[2] مرهونة. وقيل: ليس بكريم من لم يقنع بما حضر.

- **مَدْحُ مَنْ آثَرَ على نَفْسِهِ أوْ أهْلِهِ**

نزل ضيف على أنصاري، وكان عنده شيء طفيف فأحضره، وأطفأ السراج ليأكل الضيف فلا يشاركه فيه، فلما أصبح قال النبي ﷺ: عجب ربكم تعالى من البارحة منكم فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3] وقال صوفي لآخر: كيف يعمل فقراؤكم؟ قال: إذا وجدوا أكلوا وإذا عدموا صبروا، فقال: هذا فعل الكلاب، إن الفقير منّا إذا عدم صبر وإذا وجد طعاماً آثر به غيره. وقال مالك بن دينار يوماً: ما أكلت

---

(1) يزمر: يصوّت.
(2) المطهرة والمطهرة (بفتح الميم وكسرها): إناء يتطهّر به.
(3) القرآن الكريم: الحشر/9.

العام رطبة، وكان حوله سبعمائة في تلك السنة لحطمة نالتهم. قال شاعر:

وزاد رفعْتُ الكفَّ عنه تكرّماً ... إذا ابتدرَ القومُ القليلُ من الثِّقْل

وقال آخر:

كريمٌ مكانُ الكفّ من ذي إنائِه ... إذا قلّ زادُ القوم من جانِب اليَدِ

وقال آخر:

سأقدحُ من قدْري نصيباً لجارتي ... وإن كانَ ما فيها كفافاً على أهلي

● المُساعِدُ ضَيْفَهُ في مُؤاكَلَتِهِ

قال النبي ﷺ لبعض نسائه: آكلي ضيفك، فالضيف يستحي أن يأكل وحده. وكان ملوك الهند يؤاكلون أضيافهم وملوك الفرس يأكلون بعدهم.

قال بعضهم.

حسنُ أكلِ الفتى يدلّ على إينا ... سِه ضيفَه وبسْطِ أكيلِه

وتراهُ يفُلّ منه ويدعو ... ذاك أضيافَه إلى تبجيلِه

وقال آخر:

وزادٍ وضعْتُ الكفَّ فيه تأنّساً ... وما بيه لولا أنسة الضَّيْفِ من أكْلِ

● المُساعِدُ رُفقاءه بِلذاتِ يَدِه

قال بعضهم:

وإني إذا ما ضمّني السيْر والسّرى ... جعلْت مطايا الرحْل منّا تعاقُبا

فأوسعُ ركبانِ الفيافي مزّاودي ... وما زالَ مأدومي لصحْبي تناهبا[1]

أأوب وقد نعّضتُ ما في حقائبي ... جميعاً إذا ردّ اللئام الحقائبا

وقال أرطأة بن سهية:

وما دونَ ضيْفي من تِلادٍ تحوزُه ... لي النفْس إلا أن تصانَ الحلائِلُ

● الحَثُّ على إكرام الضَّيْفِ

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، وقال ﷺ: ليس مني من بات شبعان وضيفه بطنه طاوٍ. وقال عمرو بن الأهتم:

وجاري لا يهينْنُه وضيْفي ... إذا أمسى وراءَ البيْت كور[2]

---

(١) مزاودي: ما بقي من حطام الزاد في المزود، رب بعضه القدم من السفر. المأدوم: من الطعام المخلوط بالإدام.

(٢) الكور: موضع الزنانير، والكُور أيضاً: رحل البعير.

وقال آخر:

والضيف أكرمه فإن مبيته ... حق ولاتك لعنة للمنزل

● **مَدْحُ القائِمِ بِخِدْمَةِ الضَّيف**

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[1]، قيل: وصفهم بذلك لأنه قام بخدمتهم بنفسه. قال المقنع:

وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دامَ نازلاً ... ولا فيَّ إلا تلْكَ من شيمَة العبْدِ

وقال:

وعبدٌ للضحافة غيرُ عبْد

وقال جحظة البرمكي:

يا أمَّ طارق ليل قد ألمَّ بنا ... ستممي أجره فالأجر مغْتنَمْ

كوني له أمَة فيما يحلُّ له ... ورقُهبه فمي ترفيهه كَرَمْ

ونزل ضيف بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فتخفّف هو وغلمانه عند نزوله وعاونوه في حلوله، فلما أراد الارتحال عنهم لم يعنه غلام، فشكاهم، فقال: إن غلماننا لا يعينون على الارتحال عنا.

● **الاستِقْصاءُ على الأكيل مَدْحاً وَذَمّاً**

قال ابن عون: ما رأيت أسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين. وكان الحسن رضي الله عنه يقول: الطعام أهون من أن يحلف عليه، وكان ابن سيرين يحلف يقول: أقسمت لتأكلن. قال دعبل:

كيفَ احتيالي لسُطِ الضيفِ من حصرٍ ... عنْد الطَّعام فقد ضاقتْ به حِيَلي

وقدّم رجل إلى الشعبي طعاماً فقصّر في أكله، فقال: قصرت، فقال: يا هذا أما أن تحلف علينا أو تدعنا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من داخل إلا وله حيرة فابدأوه بالسلام، وما من مدعو إلى طعام إلا وله حشمة فابدأوه باليمين.

● **مُحادَثَةُ الأكيل**

كَره قوم الحديث على المائدة واستحبه قوم، ومن صاحب الدعوة أحسن، ولذلك قال الشاعر:

صادف أنساً وحديثاً ما اشتهى ... إنّ الحديث طرَفٌ من القِرى[2]

وقيل: محادثة الإخوان تزيد في لذة الطعام.

---

(١) القرآن الكريم. الذريات/ ٢٤

(٢) القِرى: الكرم وما يقدم للضيف.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

وأكثرُ ما ألذُّ بهِ وألهو — محادثةُ الضيوفِ على الطَّعامِ

وقيل: من أكثر الكلام على طعامه غش بطنه، وثقل على إخوانه.

● مُضاحَكَةُ الأضيافِ

قال شاعر:

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحلِه — ويخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ

وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القِرى — ولكنّما وجهُ الكريمِ خصيبُ

وقال أعرابي:

نقريهم الوجه ثُمّ البذلُ يتبعُه — لا نتركُ الجهدَ منّا قلّ أو كثُرا[1]

وقال آخر:

أبسُط وجهي للضيوفِ النزّل — والوجهُ عنوانُ الكريمِ المفضِلِ

● فَضلُ الاجتِماعِ عَلى الأكلِ

شكا رجل إلى النبي ﷺ قلّة البركة في طعامهم، فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم، قال نعم، قال: اجتمعوا عليه واذكروا اسم الله لديه. وقال ﷺ: ألا أخبركم بشراركم، من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. وكانت العرب تعد التفرد بالأكل احتقاب وزر[2] حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[3]، وقال أبو أمامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[4] أنه الذي يأكل وحده، قال شاعر

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي لهُ — أكيلاً فإنّي لستُ آكلُه وحدي

وقال عبد الله بن المعتز في اجتماع الأيدي على الطعام:

كأنّ أكفَّ القومِ في جفنائِه — قطًا لم ينفرْه عن الماءِ صارخُ[5]

● مَنْ نَحرَ سِمانَ الإبِلِ للضَّيف

وصف أعرابي رجلاً فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد[6] وبيء غير مصرد، فقدّمه في جفان كالجوابي[7] وقدور كالخوابي

---

(١) نقريهم: نضيفهم ونكرمهم ـ الجهد: الطاقة والوسع

(٢) احتقاب وزر: ارتكاب إثم. (٣) القرآن الكريم: البقرة/١٩٨

(٤) القرآن الكريم: العاديات/٦.

(٥) جفنائه: جمع جفنة، وهي القصعة ـ القطا: طائر بحجم الحمام يعيش في الصحراء

(٦) ذو سديف: أي جمل ذو شحم في حدبته ـ مسرهد: كثير الشحم في الحدبة

(٧) الجوابي: جمع جابية وهي الحوض والخوابي الجرار الضخمة

قال العجير السلولي:

وإن ابـنَ عـمّـي لابـن زيـد وأنـه ... لـبلال أيدي حلّة الشوْل بـالـدمِ[1]

وقال ابن المعتز:

والـسـيْفُ راعـي إبلـي فـي المحْـل ... يـسـلـمـهـ إلـى قـدور تـغْـلـي

يـرقُـلُ فـيـهـا بـالـوقـودِ الـجـزل ... لرقالِها في السيْر تحتَ الرحْلِ[2]

وقال المتنبي:

تفري صوارمه الساعاتِ عبطَ دمٍ ... كـأنـمـا الـسـاعُ قُـفّـال ونُـزّال[3]

- مَنْ نَحَرَها لَهُ لمّا قَلّ لَبَنُها

قال لبيد:

إذا مـا درُّهـا لـم يُـقْـرِ ضـيْـفـاً ... ضـمِـنَّ لـه قِـراه مـن الـشُـحـوم

وقال عوف بن الأحوص:

إذا الشّوْلُ راحتْ ثم لَمْ يفْدِ حملُها ... بـألـبانها ذاقَ الـسـنان عقيرَها[4]

- الخائفُ إبله النَّحْرَ

قال أبو هرمة:

وكانتْ تطير الشول عرفانَ صوته ... ولـم تمْسِ إلا وهي خائفة العَقْرِ[5]

وقال أبو فراس:

وتـصـبـح الـكـومُ أشـتـاتـاً مـروعـةً ... لا تـأمـن الـدهرَ إلا من أعاديها[6]

- مَنْ لا يُبْقي إبْلَهُ لِحُسْنِها عَن النّحْر

قال بعضهم:

إذا أخلت بزل المخاضِ سلاحها ... تجرّد فيها مُتْلفُ المالِ كاسبه[7]

وقال اليمامي:

تـرى إبـلَ الـبـخـيـل لـهـا سـلاحٌ ... ثُـهـاب ومـا لإبـلـي مـن سـلاحِ

تـنـاوح إنْ رأتْ شـخـصـاً غـريـبـاً ... بُـوافـي عـنـد هـبّـات الـريـاحِ

---

(١) بلال أيدي: كناية عن الأيدي التي تعطي ـ الشول. بقية اللبن في الضرع

(٢) يرقل: يسرع ـ رقالها: سرعتها.

(٣) صوارمه: سيوفه ـ العبط: العبيط، الطري ـ الساع: جمع ساعة ـ نُزّال: نازلون ـ قفّال: راجعون.

(٤) السنان: نصل الرمح ـ العقير: ذبحها ـ الشول: الناقة وقد جفّ لبنها

(٥) خائفة العقر: خائفة الذبح (٦) الكوم: القطعة من الإبل ـ مروّعة: خائفة

(٧) البزل: قتيل لحم العجز والمحد ـ المخاض: وجع الولادة

● **المُوقِدُ نارَهُ للأضياف**

قيل لأعرابي: ممن أنت؟ قال: ممن لا يزجر وفودهم ولا يسر وقودهم. وقيل لآخر مثله، فقال: ممن يهتدي برأيه الصحب ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد[1] قديمة الولاد تضيء لها البلاد ويحيى بها العباد.

وقال مضرس:

وإني لأدعو الضيفَ بالضوء بعدما ... كسا الأرضَ نضّاحُ الجليدِ وجامدُه[2]

وقال آخر:

لـه نـارٌ تـشـبّ بـكـلّ قـاعٍ ... إذا الـنـيـرانُ أُلـبـسـت الـقـنـاعـا

وقال ابن مطرود:

أوقدَ الـنـار بـالـفـضـا حـين لـم يـز ... نَ تـبـاحَ الـكـلابِ لـلأضـيـافِ

وقال كعب الأشعري:

رفعُوا الوقودَ على الجِبال ترفّعا ... أن يـسـتـدلّ عـلـيـهـم بـنـبـاحِ

وقال ابن ميادة:

وناراه نار يجذبُ الضيفَ ضوؤها ... وأخرى يُصيب المجرمين سعيرُها

وأما قول الآخر:

متى تأتِنا تلمِمْ بنا في ديارنا ... تجدْ حطباً جزلاً وناراً تأجّجا[3]

فلم يتبجح إلا بوجود الحطب والنار في اللفظ، وقد أحسن القائل:

متى تأتِه تعشُو إلى ضوءِ ناره ... تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ موقِدِ

● **المُتَبَجِّحُ بأنَّ كِلابَهُ تُسَرُّ بِمَجيءِ الضَّيف**

قال جرير:

حبيبٌ إلى كلبِ الكريم مناخُه ... بغيضٌ إلى الكوماء والكلبُ أبصرُ[4]

وقال آخر:

وكـلـبُـك أبـصـرَ بـالـمـعـتـفـيـن ... مـن الأمّ بـابـنـتـهـا الـزائـدة

وقال عبد الأعلى العبدي:

فللكلب لمّا أن هداه إلى القِرى ... نـصـيبٌ ولـلـنـورِ الـدلـيـل نـصـيـبُ

وقال ابن هرمة:

ويدلّ ضيْفي في الظلام على القِرى ... إشـراقُ نـاري أو نـبـاحُ كِـلابـي

---

(1) وارية الزناد: التي خرجت نارها.
(2) نضاح الجليد: منثور الماء الجامد.
(3) جزل الحطب: عظم وغلظ.
(4) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

حتى إذا واجهته وعرفته — فديته بصبابص الأذناب[1]

وقال آخر:

يبصبصُ كلبُنا إن جاء ضيفٌ — ويقتل إن ترمرَم بالهرير[2]

● المُتَبَجِّحُ بأنَّ كِلابَهُ لا تَهِرُّ على الضَّيف

قال حسّان بن ثابت:

يُغْشَوْن حتى ما تهرّ كلابهم — لا يسألون عن السّواد المقبِلِ[3]

وقال آخر:

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي — جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

قال الأصمعي لبعض الأعراب: ما تعرفون من مكارم الأخلاق؟ قال: تضيء نارنا للضيف ولا تنبح كلابنا، ونقريه وجوهنا قبل طعامنا.

قال الفرزدق:

وإنّي سفيهُ النّار للمبتغي القِرى — وإنّي حليمُ الكلبِ للضيف يطرقُ

فجمع بين سفه النار وهو فرط لهيبها وحلم الكلب، وذلك بديع

● البارزُ قِدْرُه

قال بعض بني غطفان:

قدوري بصحراء منصوبةٌ — ولا تمنعُ الضيف أسجافيه[4]

وقال حاتم:

لا تستُري قدري إذا ما طبختها — عليّ إذاً ما تطبخين حرامُ

وقال الراعي:

إنّي أقسمُ قِدْري وهي بارزةٌ — إذ كلّ قدر عروسٌ ذاتُ جِلبابِ[5]

● العظيمُ قِدْرُه

قال حسّان:

رأيتُ قدورَ الصاد حولَ بيوتنا — قنابلَ دهْماً في المباءة صيما[6]

---

(١) بصابص الأذناب: الجمال الدقيقة الضعيفة.

(٢) يبصبص: يحرك ذنبه - ترمرم بالهرير: صوت تكلّف دون نباح.

(٣) تهر كلابهم: تنبح خائفة - السواد: العامة من الناس.

(٤) أسجافيه: الأسجاف جمع سجف، الستران بينهما فرجة.

(٥) قدر ذو جلباب: مغطى، ومستتر.

(٦) الصاد: النحاس - القُنابِل: العظيم الرأس - دهماً: سوداً - المباءة: المنزل.

وقال آخر:

تصبّنا له جوفاء ذات ضبابة ... من الدهم منطاناً طويلاً ركودُها[1]

ولما قال مضرس:

وقِدْرٍ كحيزوم النعامة أحمشت ... بأجذل خشم زالَ عنها هشيمُها[2]

سمع ذلك زياد الأعجم، فقال: وما حيزوم النعامة لعن الله هذه من قدر، فما أحسبها تشبع آل مضرس، فقيل له: فكيف تقول أنت؟ قال أقول:

وقِدْرٍ كجوف الليلِ أحمشتُ غليَها ... ترى الفيلَ فيها طافِياً لم يفصّلِ

لو أن نبي حواء حول رمادها ... لما كانَ منهم واجدٌ غيرُ مصطلي

● غَلَيَانُ القِدْر

قال الفرزدق:

كأن المجالَ الغرّ في حجُراتها ... عذارى بدت لمّا أصيبُ حميمُها[3]

وقال دعبل:

وباتت قدرُنا طرِباً تُغنّي ... علانيةً بأعضاء الجزور[4]

وقال الكميت:

كأن هرير الغَلْي في جنباتها ... تغيّظ غيْرَى عند نغص الضرائر[5]

وقال الشاعر:

وقدورٌ على اليفاع بوادي ... الضيف منها تغيّظُ الغليان[6]

وقد زاد هذا الشاعر حيث زعم أن غليان قدره يدعو أضيافه، وإن كان فيه علو

معن بن زائدة في وصفه

إذا اختلفت أوصالُها فكأنما ... يزعزعُها من شدّة الغَلْي أفكلُ[7]

وقال آخر:

كأن صياحَ الغَلْي في سجراتها ... نغايا عليهن الحديُ يُقَعْقِعُ[8]

---

(١) ذات ضبابة: حديدة عريضة يضب بها اللف أو غيره

(٢) حيزوم النعامة: صدرها ـ أجذال خشم: ما بقي من الخيشوم ـ الهشيم: اليابس المتكسر

(٣) المجال: محل المجولان ـ حجراتها: نواحيها ـ بدت: ساءت حالتها

(٤) الجزور: ما يجزر من النوق

(٥) هرير: صوت ـ تغيظ: تحصب ـ الضرائر: جمع ضرة وهي امرأة الزوج

(٦) اليفاع: التل المشرف

(٧) الأفكل: الجماعة ـ يقال: جاء القوم بأفكلهم أي بأجمعهم

(٨) سجراتها: سجر التنور أوقده وأحماه ـ يُقعقع: صوّت

وقال عامر بن الصلتان:

كأنّ تتابعَ الغَلَيانِ فيها ... هوارسُ عامرٍ تبغي قِراعا

● العظيم الجِفان

قال الأعشى:

يروحُ على آلِ المحلّق جفنة ... كجابيةِ الشيخِ العِراقي تفهَقُ[1]

وقال السفاح بن بكيرة:

المالىء الشيزى لأصحابه ... كأنّها أعضاد حوضٍ بقاعِ

وقال أبو خراش:

نقاتلُ جوعَهم بمكلّلاتٍ ... من الفُرنيّ يرعبُها الجميلُ[2]

● المُكْثِرُ مَرَقَه لمّا قلَّ لَحْمُهُ

قال زيد الفوارس

وسّع بمذقك ماء اللحمِ تقسمه ... وأكثر الشربَ إنْ لم يكثرِ اللبَنُ

وقيل: أكثروا المرق، فإنه أحد اللحمين.

● المُرخصُ لَحْمَهُ مَطبوخاً

قال شبيب بن البرصاء:

وإنّي لأغلي اللحمَ نيئاً وإنني ... لمِمّن يهينُ اللحمَ وهو نضيجُ

وقال بعض بني ضبة:

أرى ذاكَ في عيْني قبيحاً وللفتى ... سوى الجارِ ربحٌ في التجارة واسعُ

(٦)

وممّا جاء في البُخلاء بالقِرى

●

● بَخيلٌ بالطَّعامُ مُتجوِّزٌ

قال ابن الحسن المصفوري:

لا تكارم تشبّهاً بالكرامِ ... ليس تحمى الوجوهُ عند الطَّعامِ

---

(١) الجفنة: القصعة ـ الجابية: الحوض الضخم ـ تفهق: تمتلىء حتى تنصب.

(٢) الفرني: خبز غليظ مستدير يروى بالسمن واللبن والسكر.

● مَنْ لا يَحْتَشِدُ لِضَيْفِهِ إلاّ بَعْدَ حُضورِهِ

قال شاعر:

خافَ الضياع على شيءٍ يعجلهُ من المآكل إن أصحابُه ثقلُوا
فما يقلّ على العجْلان برمته حتى يرى أنّهم في الدارِ قد حصَلوا[1]

وحكي عن بعض البخلاء أنه رؤي في داره جمل قد نُثر وجمل سميطاً، وهو يجول في داره، قال فسألته عنه، فقال: إنا دعونا قوماً فخشينا أن يتأخروا فجعلنا الجمل على هذا لكي إن حضروا سهل إصلاحه وإن تأخروا لم يلحقنا ضرر بذبحه.

● مَنْ قَلَّ في دعوَتِهِ الطَّعَامُ

أكل رجل مع بعض الهاشميين فكان على مائدته أرغفة متعددة، فلما فرغ من رغيفه، قال: يا غلام فرسي، فقال الهاشمي: وما تصنع به قال أركبه إلى ذلك الرغيف. وقال وهب بن شاذان

مــاتَ فــي عــرسِ سـلـيـمـا نَ مــن الـجُـوعِ جـمـاعَـه
مــات أقــوامٌ وقــومٌ عـلـمـوا فـيـه الـسـاعـه
لــم يــكــن ذلــك عــرسـاً إنـمـا كــان مـجـاعَـه

وقال بعضهم: من صاف فلاناً استغنى عن الكيميا وأمن التخمة.

قال محمد بن يوسف:

أبـنـي سـعـيـد إنكـم مـن مـعـشـرٍ لا يـعـرفـونَ كـرامـةَ الأضـيـاف
قربوا الغداء إلى العشاء وقرّبوا زاداً لـعـمـر أبـيـك لـيـس بـكـافِ
بيـنـا كـذلـك جـاءهـم كـبـراؤهـم يـلـحـون في التبذيرِ والإسرافِ

وأضاف رجل أعرابياً فلم يأته بشيء يأكله، حتى غشي عليه من الجوع، فأخذ يقرأ عليه القرآن، فقال:

لـخـبـزٌ يـا أخي عـلـيـه لـحـمٌ أحبّ إلـيّ مـن حـسـن الـقـران
تـقـلـقـل تـلـقـلـيه الـقـرآن حـولـي كـأنّي مـن عـفـاريـتِ الـزمـانِ[2]

● مَنْ لا تَمَسُّ يدُ ضَيْفِه طعامَه. قال شاعر

أمـا الـرغـيـفُ لـدى الـخـوا ن فـكـالـحـمـامِ لـدى الـحـرَمْ
مـا أن يُـمَـسّ ولا يُـمـسّ ولا يُـذاقُ ولا يُـشَـمْ

---

(1) العجلان: المسرع - برمته: بقدره (2) تلقلقه: تقلب بعضه على بعض

وقال المصيصي:

يقعُ الطعامُ وليس إلا شمّه ... علقت روائحه بأنف الزائرِ
فعلى جليسك غسلُ عينيه إذا ... رفعَ الخِوان معَ الهجاء السائرِ

وقال جحظة:

طوبى لمَن يشبَع من خبزكم ... فهو على مهجته آمِن

● مَنْ شَبِعَ وضَيْفُهُ جائعٌ

قال فضالة:

وحسْبُ الفتى لؤماً إذا باتَ طاعِماً ... بطيناً وأمسى ضيفُه غيرَ طاعِمِ

وقال آخر:

وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاعَ صاحبُه

قال الأعشى في علقمة:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونُكم ... وجاراتُكم غرثى يبتْن خمائِصا[1]

فقال علقمة: مصحي والله، اللهم أخزه إن لم يكن صادقاً.

● مَنْ يُؤذي ولا يَقْري

قال بعضهم:

إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يَعْركُما ما تُنضِج النارُ

وقال آخر:

لا يرتجي الجارُ خيراً في بيوتهم ... ولا محالةَ من شتم وإلغابِ[2]

● المُنفرِدُ عن أصحابِهِ بالأكْل

قال بعضهم:

يروغُ ويأكلُ في جفنةٍ ... وأكبادُ ضيفانه جائِعه[3]

وقيل للجماز: من يحضر مائدة الهيرا، فقال: أكرم خلق الله الكرام الكاتبون.

واصطحب رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نأكل معاً، وقال: معي خبز ومعك خبز، فلولا أنك تريد الشر لأكلت وحدك. وقيل لآخر: ألا تأكل معنا؟ فقال: الجماعة مجاعة. قال الشاعر:

الآكلونَ خبيثَ الزّاد وحدَهم ... والسائلون بظَهر الغَيْبِ ما الخَبَرُ[4]

---

(١) غرثى: جائعات ـ الخمائص: الخاليات البطن الضامرات من الجوع.
(٢) إلغاب: قبيح الكلام. (٣) جائعة: جائعة.
(٤) الخبيث: عكسه الطيّب ـ الزاد: الطعام يتخذ للسفر، والمقصود: يجنون سوء ما زرعوا وحدهم

ومر رجل بآخر يأكل فسلم عليه فقال له: هلمّ. فهمّ الرجل أن يقعد معه، فقال الآكل: رفقاً أما عرفت هذا ما هو؟ فقال: ما هو؟ قال: عليّ أن أقول هلمّ، وعليك أن تقول هنيئاً، حتى يكون كلاماً بكلام. تقدم الرجل، فقال: قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد، فقال: قد أعفيت نفسي إذاً من هلمّ.

قال شاعر:

وجيرة لا ترى في النّاس مثلهم   إذ يكون لهم عيدٌ وإفطارُ
أن يوقدوا يوسعونا من دخانهم   وليس يدركنا ما تُنضج النّارُ

● المُستأثِرُ بِسَنى الطَّعامِ على الضَّيف

قيل: كان مالك بن المنذر يقدم إليه ثريدة ملقاه ما يليه منها حواري، وما يلي الناس خشكار، فقال شاعر:

أميرٌ يأكلُ الفالود سرّاً   ويطعم ضيفَه خبزَ الشّعير

وقال أبو بكر بن أبي سعيد لأبي الفضل بن العميد وقد استبد بأكل طعام دون ندمائه: أيها الأستاذ هذا من الصفايا، أراد به قول الشاعر:

لك المرباعُ منها والصّفايا[1]

وقال: وقد قُدّم طعام عند أبو الفضل بسط العميد يده فتناوله، فقال: أنت كما قال:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بسيبه[2]   وأنت جرادٌ لست تُبقي ولا تذرُ

● مَنْ حَرَدِ لِتناوُلِ أكيلِهِ ما بَيْنَ يَدَه

أكل أعرابي مع سليمان بن عبد الملك، فتناول الأعرابي من بين يديه شيئاً فأكله، ثم مدّ يده فتناول شيئاً آخر، فقال سليمان: كل ممّا يليك، فقال: أو ههنا حمى، فقال: خذها لا هنأ لك المرتع.

وأكل صعصعة مع معاوية فأخذ شيئاً من بين يديه، فقال معاوية: انتجعت، فقال: من أجدب انتجع ومن لم يعد الجواب انقطع. وأكل آخر مع معاوية فجعل يمرق جدياً على المائدة ويمعن في أكله، فقال معاوية: إنك تحرد عليه كأن أمه نطحتك، فقال الرجل: وإنك المشفق عليه كأن أمه أرضعتك

● ذَمُّ مَنْ لا يَظْفَرُ بِخُبْزِهِ

قيل لرجل: كيف وجدت فلاناً؟ قال: كان بي الجوع فانتظرت الطعام فأبطأ

---

(1) الصفايا: ما يختاره القائد لنفسه من الغنيمة قبل القسمة.
(2) السيب: المطر الجاري، وهنا بمعنى العطاء.

حتى درسته بمضغ اللبان مخافة السبال. قال ابن باذان:

قد علمنا أنّ في دا ... رك ما يكفي قبيلَه
ورأينا عرض بستا ... نك والفرش النبيلَه
غير أن الجن لا تقـ ... ـدر في خبزك حيلَه

وقال شاعر:

لو دخلت منزلَه درة ... لم تجدِ الذرةُ ما تأكُلْ

وقال آخر:

قد فرّ من منزله فأرُه ... وعاذَ بالجيران مسترزقا[1]

هو مأخوذ من قول امرأة لزوجها: والله ما تقيم الفأرة في دارك إلا لحب الوطن.

وقال أبو نواس:

وما خبزه إلا كعنقاء مغربٍ ... تصور في بسطِ المُلوك وفي المثل[2]

وقال آخر:

وخبزك خبزُ مستطيع التراب

وقال بعضهم: خبزه في الهواء لا يوصل إليه إلا بسلم من زبد في يوم صائف.

● الصغيرُ الأواني

ذمّ رجل آخر، فقال: غضائره[3] رِقاق والأواني أوارق. وقال آخر: فلان دعواته ولائم وأقداحه محاجم وكؤوسه محابر ونوادره نوادر. قال أبو نواس:

رأيتُ قدورَ الناس سُوداً من الصلى ... وقدرُ الرقاشيين زهراء كالبَدْرِ[4]
يبينُها للمعتفي بفنائِهم ... ثلاثٌ كخط الثاء من نقطة الحِبْر
ولو جئتها ملأى عَبيطاً مُجزلاً ... لأخرجتَ ما فيها على طَرَف الظُفْرِ[5]

وقال معن بن زائدة:

وقدر ككف القرد لا مستعيرُها ... يعار ولا مَنْ ذاقها يتدسّمُ

● الصَغيرُ الرُغفان

قال الخوارزمي:

كأنّ رغفانَه إذا وضعت ... عشورُ نقط كتبن في ورق

---

(١) عاذ بالجيران: لجأ إليهم.

(٢) عنقاء مُغرب: طائر خرافي مجهول الجسم ولا وجود له، ويقال للإخبار عن هلاك الشيء وبطلانه.

(٣) غضائره: جمع غضارة، وهي القصعة الكبيرة ـ وأوارق: قليلة الطعام.

(٤) زهراء كالبدر: متلألئة.   (٥) على طرف الظفر: كناية عن القلة والخسة.

وقال البسامي:

أتانا بخُبْزٍ له حامِضٍ   شبيهِ الدراهمِ في حليتِهِ
يفرسُ آكلَه طعمُه   وينشب في الحلق من حشْنتِهِ[1]
فلمّا تسفّستُ عند الخوانِ   تطايرَ في الجوّ منْ حفتِهِ

● مَنْ يَصْعُبُ عليه كَسْرُ رُغفانِهِ

قال البزهدي: سيان كسر رغيفه أو كسر عظم من عظامه

ونحوه:

كأنّما كلّ لقمةٍ أكلتْ   منزوعةٌ من يديه مختلسه

قال جحظة

ولمّا كسرْتُ لهُ جردقاً   ومن ذا يُطيقُ له كسر جردَقْ[2]
تغيّر لي عن جميع الودادِ   فصار جريراً وصِرتُ الفرزدَقْ[3]

● الصّائِنُ طَعَامَه البَاذِلُ عِرْضَه وأَهْلَه

قال شاعر:

وبات رغيفاً عنده صونُ عرْضه   ورُغفانُه في الناس جدّ نوالِ[4]

وقال وهب:

قد كان يعجبني لو أن غيرته   على جرادقه كانت على حرمه

وقال عبدان:

رغيفُك في الأمنِ يا رستمي   يحلّ محلّ حمامِ الحرَمْ
فلله درّك يا سيّدي   حرامُ الرغيف حلالُ الحرم

وقيل لبخيل. إنك تكرم خبزك وتهين لإكرامه نفسك، فقال. كيف لا أفعل ذلك والخبز هو الذي أخرج حواء وآدم وإبليس والطاوس من الجنة بسببه؟

● المُعَيِّرُ ضَيْفَه بِكَثْرَةِ أَكْلِهِ والمانِعُ

قال رجل لبعض الكبار: لم لا تدعوني لدعوتك؟ فقال لأنك جيد المضغ شديد البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى، فقال أتريدني إذا أكلت لقمة أن أصلّي ركعتين بين كل لقمتين.

وصنع أعرابي طعاماً ودعا إليه صديقاً فلما أراد أن يمدّ يده، قال له مهلاً لا تصدمها

---

(١) ينشب في الحلق: يعلق به.   (٢) الجردق: الرغيف الغليظ.
(٣) جرير والفرزدق الشاعران الأمويان المعروفان بشعر النقائض
(٤) جد نوال: عظيم العطاء.

ولا تشرمها ولا تقعرها، أي لا تأكل من أعلاه ولا تخرقها ولا تأكل من أسفلها.

وقال بعضهم لآخر: لم لا تدعوني؟ فقال: لأنك تعلق وتشلق وتحدق، أي أن تحمل واحدة في يدك وأخرى في شدقك وتنظر إلى أخرى بعينك.

● مَرَقٌ قليلُ الدَّسَمِ واللَّحْمِ

تغذى الجماز عند هاشمي فمز الغلام بصحفة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز، فقال الهاشمي: ائته بطست يغسلها، فقال الجماز. دعه فمرقتكم لا تغير الثياب، أي لا دسم لها. قال جحظة:

قَدَّمَ سكباجةً مزوّرةً ... أحمقَ من وجهه إذا أكلتْ

وقال ابن سكرة:

أكلتُ بالأمس جرورية ... تخبر عن خسّة أربابها

للحم فيها أثرٌ دارسٌ ... كأنما مرّ على بابها[1]

وكان رجل في دعوة، فأخذ عراقاً فلم يجد عليه لحماً فوضعه، وأخذ آخر، فقال صاحب الدار: ألعب بعصك. ووجد آخر قدراً كثيرة العظام، فقال: أطبخت الشطرنج أو أسنان الزنج. وقال آخر: أقدرٌ هذه أم قبر؟

● مَنْ يَصْعَبُ عليه أكْلُ طَعامِهِ

وقال عباد.

كأنما الآكلُ من خبزه ... يقتلع منه شحمة العَيْن

وقال آخر:

يرى أنه من بعض أعضائه أكلي

وقال أحمد بن أبي طاهر:

لوْ لمْ تكنْ حركاتُ المضغِ تؤلمه ... لكانَ أكثرَ خلقِ الله إخواناً

وأكل أشعب عند زياد الحارثي مضيرة فأمعن فيها، فقال: ليس لأهل السجن من يصلّي بهم التراويح في رمضان فليحمل أشعب ليصلّي بهم، فقال أشعب. الطلاق لي لازم لا أذوق المضيرة، فاستحيا زياد وتركه

بعث رجل إلى امرأته بلحم طفيف فطبخته لوناً فلما جاء قدمته إليه، فقال: كم طبخت؟ قالت: لوناً واحداً، فقال: أنت طالق، قد كانت لي امرأة قبلك إبعث إليها بجرادة فتطبخ منها سبعة ألوان غير القديد

---

(١) أثر دارس: ممحو.

● ذَمُّ المُتأمّلِ أكيلِهِ

أكل أعرابي مع معاوية فرأى معاوية في لقمته شعرة، فقال: خذ الشعرة من لقمتك، فقال: وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر معه الشعر، والله لا آكلتك بعدها. وقال بعضهم فلان عينه دولاب لقمة أكيله. وقال حاتم:

وللمَوْتُ خيرٌ من زيارَةِ باخِلٍ ... يلاحِظُ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ

● الشّاتِمُ غُلمانَه على الطّعام

قال أبو نواس:

رأيتُك عند حضورِ الطّعام ... سريعاً إلى العبْد والعبْدَه

وتحشد حتى يخافُ الأكيلُ ... شراك عليه من الجعْدَه[1]

وقال جحظة:

إن كنتَ تهوى أن أزو ... رَك أو حننتَ إلى الزّيارَة

فدعِ الشتيمَةَ للغلا ... مِ إذا دنوْت من الغضارَه[2]

● المُغْلِقُ بابَه عند الأكْل

قال بعض المبخلين لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال يا مولاي: هذا خطأ أغلق الباب أولاً ثم أقدم الطعام، فقال: اذهب فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم.

قال بعضهم:

قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامَهم ... واستوثقوا من رتاجِ البابِ والدّارِ[3]

وقال جحظة:

القاطعين مخافة الإ ... ملاقِ أسبابَ الصّديق

وقال الرقاشي:

تراهم خشيةَ الأضيافِ خرساً ... يُقيمون الصّلاةَ بلا أذانِ[4]

● المُعتذِرُ إلى أضيافِهِ ببُخْلِه

قيل: المعذرة طرف من البخل، وقال زيد الأرانب لما سئل عن جراعة، قال: جوع وأحاديث.

وقال جرير:

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِرى ... حكَّ إستَه وتمثّلَ الأمثالا

وقال: رميت الأخطل ببيت لو نهشته لأفعى في إسته ما حكّه

---

(1) الجعدة: البخيل.

(2) الغضارة: القصعة الكبيرة.

(3) استوثقوا: تأكدوا ـ الرتاج: الباب المغلق.

(4) بلا أذان: بلا صوت.

● النابِحُ كَلْبَهُ والدّافِنُ نارَهُ خِشْيةَ الطُّرّاق

قال الحطيئة:

دعمت إليه وهو يكعمُ كلبه — ألا كلّ كلبٍ لا أبا لك نابِحُ

وقال زياد الأعجم:

وما ترك الكلبُ النباحَ مخافةً — على زادهم لكن على النفس يحذَرُ

وقال عقبة بن مرداس:

نيرانُهم محجوبةٌ ونساؤهم — مبذولةٌ وصحيحُهم مكلُومُ[1]

وقال آخر:

كأن كلابَهم والليلَ داجٍ — كهولٌ لا يحبّون السفَاهَا[2]

وقال آخر

قومٌ إذا النيرانُ شبّت للقِرى — بالَتْ بناتُهم على النيرانِ

وقال آخر:

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهم — قالوا لأمهم بُولي على النارِ

● الأكلُ في وَقْتٍ يأمَنُ فيه الزُّوّار

قال رجل: إنا لا نأكل إلا نصف الليل، فقيل له، قال: يبرد الماء وينقمع الذباب وتأمن فجأة الداخل وصرخة السائل.

● النّظيفُ المَطْبخِ والطَّبّاخ

قال شاعر:

مطبخ داود من نظافته — أشبهُ شيءٍ بصرح بلقيسِ[3]

ثيابُ طبّاخه إذا اتسخَتْ — أنقى بياضاً من القراطيسِ

وقال البسامي:

مطبخه قفرٌ وطبّاخه — أفرغُ من حجام ساباطِ[4]

● البَخيلُ بالماء

قال أبو الشيص

شرابُك في السماء إذا عطشنا — وخبزُك عند منقطَع الترابِ

---

(١) مكلوم: مجروح. (٢) السفاه: الجهل والطيش

(٣) صرح بلقيس: قصر بلقيس (الملكة المعروفة).

(٤) «أفرغ من حجام ساباط»: مثل للحجام الذي حجم كسرى مرة في سفره، فأغناه، فلم يعد للحجامة.

ومــا روحـتـنـا لـتـذبّ عـنّـا ولـكـن خـفْـتُ مـرزيـة الـذبـابِ[1]

وقال آخر:

الـمـاءُ فـي مـنـزلـه طُـرفـةٌ يـشـربُـه الـضـيْـفُ بـمـقـدارِ[2]

● **المُقتِّرُ على نَفْسِه بُخلاً**

قال بعض البخلاء: ترك العشاء للمشاء ربح العشرة عشرة.

قال ابن الرومي:

يـقـتّـر عـيـسـى عـلـى نـفـسـه ولـيـس بـبـاقٍ ولا خـالِـدِ

ولـو يـسـتـطـيـعُ لـتـقـتـيـرِه تـنـفَّـسَ مـن مـنـخـرٍ واحِـدِ

وقيل: أهل الكوفة إذا عتق عندهم السُّور وتكثّر دقّقوه وجعلوه في الفتيت لما تشرب من الحبر. وقيل: إن بعض البخلاء حقن فلما حركه الطبع دعا بطست فقعد عليه، وقال للغلام: صف هذا الدهن للسراج. وقال رجل لغلامه: اشتر من لحم وأطبخه سكباجاً لأعتقك، ففعل فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثاني، قال: أطبخه مصيرة ففعل، فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثالث، قال: أطبخه قلية ففعل، فقال له العبد: يا سيدي أعتق هذا اللحم وتركني وفيقاً فلقد آذيتني من كثرة ما أعذبه بالنار.

وكان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة فلا تؤكل بل ترفع، ثم تسخن في اليوم الثاني، وتقدم فسرك بحالها، فقال بعض الحاضرين: دجاجتنا هذه من آل فرعون تعرض على النار غدوّا وعشيّا.

● **المُتَبجِّحُ بِجفائِهِ للضَّيف**

قال شاعر:

وأجبهُ ضيفي حينَ يحتلُّ ساحتي بسيفي ولا أرعى بما يفعلُ الكَلْبُ

وقال آخر:

وأنا لنجفو الضيفَ من غيرِ عسْرةٍ مخافةَ أن يضرى بنا فيعُودا[3]

وقال آخر:

أعددتُ للضيفان كلباً ضارياً عندي وفضلَ هراوةٍ من أرزنِ[4]

ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً وتشكياً عضّ الزمان الألْزنِ[5]

---

(١) لتذبّ عنّا: لترفع عنّا العطش.

(٢) الطرفة: الغريب المستحسن المعجب.

(٣) يضري: يعتز ويعود.

(٤) هراوة: عصا ـ وأرزن: شجر صلب تتخذ منه العصي.

(٥) وجه باسر: وجه مقطّب ـ الزمان الألزن: الشديد.

الحد الحادي عشر

في الشُّرْب والشَّراب

(١)

فما جاء في الشُّرْب

•

● **سَبَبُ تحريمِ الخَمْر**

أصل ذلك أن رجلاً من جلّة المهاجرين سكر فصلّى بالناس، وخلط في القراءة فأنزل الله تعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[١] فشربوها بعد ذلك في غير وقت الصلاة، ثم شرب أنصاري فشجّ رأس صاحب له بلَحْيَي جمل فنزل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢]، فقالوا انتهينا يا ربنا وتركوا شربها في كل وقت. وقيل: إنما حرمت لأن حمزة رضي الله عنه كان في شرب فسكر فاجتب سنام مشارفين لأمير المؤمنين على أناخهما إلى جانب حجرته، فدخل عليه النبي ﷺ فلامه، فقام ثملاً محمرّ العينين، وقال: هل أنتم إلا عبيد وأبناء عبيدنا، فعرف النبي ﷺ فكرّ على عقبيه.

● **ما يدلُّ على تَحْرِيمِ الخَمْر**

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[٣] وهذا أول ما نزل في تحريم الخمر، ثم قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[٤] ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[٥] وقال النبي ﷺ: حرمت الخمرة بعينها والسكر من كل شراب، وقيل للنبي ﷺ ألا نبيعها، فقال: ألا إن الله لعن الخمر وغارسها وشاربها وعاصرها ومعتصرها وساقيها وحاملها وبائعها وآكل ثمنها وقد أجمع المسلمون على تحريمها.

● **تَحْرِيمُ النَّبِيذ**

قال النبي ﷺ: كل مسكر حرام، وقال: كل مسكر خمر، وقال: ما أسكر كثيره

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٤٢.
(٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٤.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢١٩.
(٤) القرآن الكريم: النساء/ ٤٢
(٥) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٣.

فقليله حرام. ورُوي أن إبليس لما لعن، قال: يا ربِّ اجعل لي شراباً، فقال: شرابك كل مسكر. ورُوي أنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة: العنب والتمر والبر والشعير والعسل، ونهى عن الفضيخ[1]. وقال: ما خمّرته فهو خمر.

● تَحْليلُهُ

قال النبي ﷺ: حرمت الخمرة بعينها والمسكر من كل شراب. وسمعت بعض العلماء يحتج في ذلك بقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[2] فأخبر على سبيل الامتنان علينا باتخاذ السكر منه، وأخبار لا يصح بها النسخ. ورفع إلى النبي ﷺ رجل شرب مسكراً، فأمر به فضرب، فقال:

ألا أبـلـغ رسـولَ الله عـنـي ... بـأنـي مـا سـرَقْـت ولا زنـيـتُ
شـربْـتُ شـريـبَـةً لـمْ تـبْـقِ جِـرْصـاً ... ولا أنـا لـذّةً مـنـهـا قـضـيـتُ

فقال ﷺ: لو علمت ما ضربته.

استحضر عيسى بن موسى ابن عياش وابن إدريس فسألهما عن النبيذ، فقال ابن عياش: حلال، وقال ابن إدريس: حرام، فقال ابن عياش: أدركنا أبناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونه في الولائم حلالاً كانت أم حراماً، ويكاؤنا على أصل الدين أشد من مكاننا على النبيذ.

سئل بعض القدماء عن نبيذ العسل، فقال: حرام، فقيل لم؟ قال: لأنكم لا تؤدون شكرها. وقال بعضهم: سقاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه نبيذاً شديداً، وقال: إنا نأكل لحوم هذه الإبل فنشرب عليها النبيذ الشديد فيقطعها في بطوننا. وأُتي النبي ﷺ بنبيذ فشمّه وقطب وجهه ثم ضربه بالماء، وقال: إن هذا الشراب فيحتلم ويشتد فما عليكم فافعلوا به هكذا.

وقال حفص بن غياث: كنت عند الأعمش وعنده نبيذ فاستأذن قوم من أصحاب الحديث فسترته بمنديل فكرهت أن أقول لئلا يراه الداخلون، فقلت: لئلا يقع فيه الذباب، فقال: هيهات هو أمنع جانباً من ذلك.

قال النخعي: كانت الرواية كل سكر حرام فردوا فيه الميم، وليس ما قاله بصحيح.

● نَوادِرُ في تَحْليلِه

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه؟ قال: نعم، قال: أفيسرك أن أمك نباذة. فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه؟ قال: نعم، قال: أفيسرك أن أمك مغنية؟

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي: من يشتري

---

(1) الفضيخ: الغبن في البيع.

(2) القرآن الكريم: النحل/ ٦٧.

رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة، فقال له أبو حنيفة. يا رجل إنك فعلت قبيحاً، فقال: ألست حللته؟ قال صدقت ومن الحلال انك تجامع امرأتك ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك.

ولقي أبو حنيفة سكران، فقال له السكران. يا أبا حنيفة يا ابن الزانية إني شربت النبيذ، فقال: ما أحسنت حيث أحللت النبيذ حتى شربه مثلك. قال شاعر:

رأيهُ في السَّمَاعِ رأيُ حِجَازي ... وفي الشُّرْبِ رأيُ أهلِ العِراقِ

وقال بعضهم: أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق.

قال بعضهم:

مَنْ ذا يحرم ماءَ المزْنِ خالطَه ... في جوْفِ باطيةٍ ماءُ العناقيدِ[1]

إنّي لأبْغِضُ تحريمَ الزَّواةِ لها ... فيها ويعجبني قَوْلُ ابن مسعودِ

يعني ما رواه من قول النبي ﷺ تمرة طيبة وماء طهور.

وقال إبراهيم بن محمد بن إسماعيل. النبيذ من المستصعبين في الأرض يتركه من يتركه ويأتي ما هو أعظم منه

● استباحةُ الخَمْرِ

مرّ عمرو بن معدي كرب بعيينة بن حصن فأطعمه تمراً، ثم قال. أسقيك لبناً، أو ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية، فقال. أليس قد أمرنا بتحريمها، فقال عيينة كلا إن الله تعالى قال: فهل أنتم منتهون، فقلنا لا، فسكت وسكتنا، فقال عمرو: فإنها فأنت أفقه مني

قال بعضهم: الخمر من الجنة، لأن الله تعالى يقول في صفة أهل الجنة إنهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والخمر تذهب الحزن. قيل لإياس بن معاوية ما تقول في الكرم والتمر والماء هي حلال أو حرام؟ فقال: حلال، فقيل لم حرم الخمر وإنما يتخذ من ذلك؟ فقال: أرأيت لو صبّ عليك ماء وتراب وتبن أكان يوجعك؟ قال لا، قال. فلو جمع ذلك كله وجعل لبنة وضرب به رأسك أليس يوجعك. وقال ابن الرومي:

أباحَ العراقيّ النّبيذَ وشربه ... وقالَ. حرامانِ المدامَةُ والسُّكْرُ

وقالَ الحجازي: الشرابان واحدٌ ... فحَلّ لنا من بيْنِ قوليْهما الخَمْرُ

سآخذُ من قوليهما طرفيْهما ... وأشربُها لا فارقَ الوازرَ الوِزْرُ

● تعظيمُ السُّكْرِ واخْتِلافُ الناسِ فيه

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. ما ذنب أعظم من السكر، وذلك أن

---

(١) الباطية. إناء كبير من زجاج يوضع فيه الشراب. المزن السحاب

العبد يذنب فيتصور له دنبه، ويعلم أن الله ربه، وإذا سكر نسي ذنبه ولم يعرف ربه، وشرّ الذنوب ما فرق بين العبد وبين معرفة ربه. وروي أن إبليس قال: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا سكر أن آخذ برمامه فأقوده حيث أشاء، وأحمله على ما أريد.

قال شاعر:

وإنّ امرأً يبتاع سكْراً بصحّةٍ لفي سكرةٍ تغْنيه عن ذلكَ السُّكْرِ[1]

● حَدُّ السُّكْر

قيل لبعضهم: ما حد السكر؟ قال هو أن تعزب عنه الهموم ويظهر سرّه المكتوم وقيل: حده أن يحسن عندك ما كان قبيحاً، وأخذ ذلك أبو نواس، فقال:

إسْقِيني حتّى تَرَاني حَسَناً عندي القَبيحُ

وله:

لا تلُمْني على التي فتنتني وأرتني القَبيحَ غيرَ القَبيحِ

● وَصْفُ سَكْران

انتهى المأمون إلى يحيى بن أكثم فرآه ثملاً نائماً في الرياحين، فقال له: قم، فقال رجلي لا تطاوعني، فقال: خذ، فقال: كفّيَ لا تواتيني، فقال فيه:

وصاحبٍ ونديمٍ ذي محافظة سبط البنان بشربِ الرّاح مفتونِ[2]
ناديته ورواق الليل منسدلٌ تحتَ الظلام دفينٌ في الرّياحينِ
فقلْتُ: قُمْ قالَ: رجْلي لا تطاوِعُني فقلْتُ: خُذْ، قال كفّي لا تواتيني
إنّي غفلت عن الساقي فصيّرني كما تراني سليبَ العقل والدّينِ

وقال ابن المعتز:

مشوا إلى الرّاحِ مشي الرخِّ وانصرفُوا والرّاحُ تمْشي بهم مشْي الفرازينِ[3]

وقال أبو الوفاء:

حتّى يروحَ السكْرُ فيه وقدْ قامَ مقامَ الشكْلِ والعقْلِ

وقال آخر:

مرة تتركُ عقْلي دائماً في النّزهاتِ

(١) المقصود إن الذي يبادل الصحة بالسكر هو في سكرة تغنيه عن ذلك
(٢) سبط البنان: الكريم
(٣) الرخ: طائر خرافي ضخم. الفرازين: جمع فرزان وهو الملك في لعبة الشطرنج

وقال ابن طباطبا:

جُعلت أسيراً في يدِ الراحِ موثَقاً ... فأقبلْتُ أمشي مِشيةَ المُتقاعِسِ[1]

تماكسَ رِجْلي في خطاً أستزيدُها ... ولم آكُ في إتراعِها بالمماكِسِ[2]

وقيل لسكران: تبعث معك من يحمعك، فقال. لا أريد، فما مضى من عقلي في خمارة ما بقي:

لو يرى النّاسُ في المُدامة رأيي ... لمْ يبيعوا ببدرةٍ عنقوداً

وقال أبو محجن:

إذا متّ فادفنّي إلى جنْب كرمَةٍ ... تروّي عظامي بعْد موتي عروقُها

ولا تدفنَنّي بالفَلاة فإنّني ... أخافُ إذا ما متّ أن لا أذوقَها

وقال عبد العزيز بن مسلم العقيلي: رأيت قبره بأرمينية تحت شجرات كرم فذكرت قوله، فتعجبت من الاتفاق الواقع له

وقال إسحاق الموصلي:

اشربْ هُديت علانيه ... أمّ المروءة زانيه

اشربْ فديتك واسقني ... حتى أنامَ مكانيه

ودع التستّر والريا ... ءَ فإنما هما من شانيه

وقال أبو الهندي:

يا خليليّ إجعَلا لي كَفَناً ... ورَقَ الكَرْم وقبري المعْصَرَه

إنّني أرجُو غداً من خالقي ... بعْد شرْبِ الراحِ حسْنَ المغْفِرَة

وله:

أنا الشيْخُ الخليعُ فسبّوني ... لكم إسلامُكم وعليّ كفْري

● مَنْ شَرِبَ مع إقرارِهِ بتَحْريمِها

قيل لبعضهم: لم لا تترك النبيذ؟ قال: لا أدعه حتى يكون أسوأ عملي. قال أبو العيناء: جمعني ورسول ملك الروم مجلس المتوكل، وقد أحضر الشراب، فقال الرسول: مالكم حرم عليكم الخمر ولحم الخنزير فشربتم الخمر وتركتم لحم الخنزير، فقلت: إن لحم الخنزير لما حرم وجد خير منه الحملان والجدي فاستغني عنه، والخمر لم يوجد خير منها فكان يستغنى به عنها.

قال عبيد الله بن عبد الله بن سلام:

وقد يشرَبُ الإنسانُ ما لا يُحلّه ... وتحسَنُ أحياناً له الشبُهاتُ

---

(١) تقاعس: تأخر.

(٢) تماكس: تحالف وتشاكس. إتراعُها: ملؤها

وقال أبو نواس:

فحثها إن أردتَ لذيذَ عيشٍ ... ولا تعدل خليلي بالمُدام
فإنْ قالوا حرامٌ قُلْ حرامٌ ... ولكنَّ اللذاذة في الحَرامِ

وله:

لا تسقِني الدَّهر ما كنت لي سكَناً ... إلا التي نصّ بالتحريم جبريلُ
إن كانَ حرّمها الفُرْقانُ بعدُ، فقد ... أحلّها قبلُ توراةٌ إنجيلُ

● الحثُّ على الكِنايةِ عَنْ ذِكْرِها

قال ابن بانان:

ألا فاسقِني صهباءَ من حلب الكرمِ ... ولا تسقِني خمراً بعلمك أو عِلْمي[1]

وقال أبو نواس:

أثنِ على الخمر بآلائِها ... وسمِّها أحسن أسمائِها[2]

● الإستغناءُ بِها عن مُباشرَةِ الأعمال ومُصاحَبةِ السُّلطان

قال عبد الصمد

يبيتُ ونفسُه من كلِّ شيءٍ ... بلوى تدبير لهو مستريحه

وقال يعقوب بن الربيع:

إذا كانَ عندي قوتُ يومٍ وليلةٍ ... من الرّاحِ ينفي الهمّ عنّي إذا اتّسع
فلستُ تراني سائِلاً عن خليفةٍ ... ولا عَنْ وزيرٍ للخليفةِ ما صنع

● حِفظُ المُدام عن اللّئام

قال بعضهم: وددت أن الكأس بألف ولجر في وجه الأسد حتى لا يشرب إلا كريم ولا ينكح إلا شجاع.

قال أبو نواس:

أُجِلّ عنِ اللئامِ الرّاح حتّى ... كأنّ الراحَ يُغْصَرُ من عِظامِي

وله:

ووقّر الكأسَ عن سَفيهٍ ... فإنّ حقّاً لها الوَقارُ

وكان ابن الرومي في مجلس فيه ثقيل بغيض، فعرض الكاس عليه فامتنع ولام ابن الرومي، فقال له ابن الرومي:

يا لائمي في الرّاح غير مقصر ... لا رن رأيتك سيّئاً في الرّاحِ

---

(1) الصهباء: الحمرة.   (2) آلائها: نعمها.

فأقلُّ ما في تركِ مثلِكَ شربَها ... توفيرُها وطهارةُ الأقداحِ

وقال ابن بابان

صرفُ الكأسِ عن دُناةٍ لئامٍ ... همُّهم للشقاءِ جمعُ الكنوزِ

● الحثُّ على مُسابقةِ الزمانِ بتناولِ المُدامِ وتعاطي اللذّاتِ

قال العتابي:

بادِرْ إلى اللذاتِ مهما أمكنتْ ... بورودهنّ بوادرُ الآفاتِ

كم من مؤخّرٍ لذّةٍ قد أمكنتْ ... لغدٍ وليسَ غدٌ له بمُواتِ

حتى إذا فاتتْ وفاتَ طلابُها ... ذهبتْ عليها نفسُه حسَراتِ

تأتي المكارهُ حينَ تأتي جملةً ... وترى السرورَ يجيءُ في الفلَتَاتِ[1]

وقد أحسن المتنبي في هذا المعنى، حيث يقول:

ذرِ النفسَ تأخذْ وسْعَها قبلَ بينِها ... فمفترقٌ جاران دارُهُما عُمْرُ[2]

وقال آخر:

بادرْ فإنّ الزمانَ عزٌّ ... من قبلِ أن يفطِنَ الزمانُ

وقال آخر:

وبادرْ فإنّا للخطوبِ فرائسُ

وقال ديك الجن

خذْ من زمانِكَ ما صفا ... ودعِ الذي فيه الكدَرْ

فالعمرُ أقصرُ مدّةً ... من أن يُمحّقَ بالغِيَرْ[3]

وقال أبو الفرج الدمشقي.

وتغنّمِ المُهلاتِ من ... دهرٍ يجودُ على الكرامِ

وقال الخبزارزي:

وذرِ الهمومَ نسيئةً ... وتعجّلِ اللذاتِ نقدا

وليزيد بن معاوية.

ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بها ... بادرَ باللذاتِ قبلَ العوائقِ[4]

وقال آخر:

وخذْ من الدنيا ولذّاتِها ... فإنّما نحنُ بها عاريّةْ[5]

---

(١) الفلتات: جمع فلتة وهي الأمر الذي يقع من غير تفكير أو إحكام

(٢) ذرِ: دع ـ الوسع: الجهد والطاقة، ويريد بالجارين الروح والبدن، يجتمعان مدة العمر، فإذا فرغ افترقا

(٣) يمحق: ينقص وتذهب بركته

(٤) العوائق: الشواغل.

(٥) العارية: جمع عوارٍ، ما يتداوله القوم بينهم

وقال الصاحب: حضرت الوزير المهلبي يوماً وقد جاءه خادم عمر المطيع، وفي يده رقعة وفيها: خُذْني لنا بيتان وهما:

عرِّج على الخمر وحاناتها ... وأسقِنا في وسط جنّاتِها

وعلِّلِ النفسَ ولو ساعةً ... فإنّما الدّنيا بساعاتِها

فاجعلهما أربع أبيات، فقال لي: تفضل، فقلت:

والرّوحُ في الرّاح إذا اتبعتك ... بهاكِها يا خشف أو هاتِها[1]

وقينةٌ تشبي بأصواتِها ... تأخُذُ من أطيبِ أوقاتِها

● الحثُّ على اعتبارِ الوقتِ في المَسَرّات دونَ ماضِيه ومُؤتَنِفِه

قال أبو العتاهية:

ليس فيمّا مضى ولا في الذي لم ... يأتِ من لذّة لمستحْلِبيها

إنّما أنتَ طول عمرِك ما عمر ... تَ في السّاعةِ التي أنتَ فيها

وقال يزيد المهلبي:

أعجزُ النّاس مضيعٌ يومَه ... وهو لا يعلم ما يأتي غدُه

وقال ابن الحجاج:

خذِ الوقتَ أخذَ اللص واسرِقْه واختلِسْ ... فوائده بالطّيب أو بالشّطايب

ولا تتعلّلْ بالأماني فإنّها ... مَطايا أحاديثِ النّفوس الكواذِب[2]

● الحثُّ على مبادَرةِ الشّيبِ بتناوُلِ المَسرّات والخُمور

قال عبد الله بن السمط:

بادِرْ شبابَك أن يغتاله الزّمنُ ... واقضِ ما أنتَ قاضٍ والصّبا حسَنُ

وقال ابن الجهم:

فبادِرْ بأيامِ الشّباب فإنّها ... تفوتُ وتقضي والغوايةُ تنجلي

وقال أبو عليّ:

أعطِ الشّبابَ نصيبَه ... ما دمْتَ تُعذَرُ بالشّبابِ

وقال المتنبّي:

أنعمْ ولذَّ فللأمورِ أواخرٌ ... أبداً إذا كانت لهُنّ أوائلُ

ما دمْتَ من أربِ الحسانِ فإنّما ... روقُ الشّبابِ عليْك ظلٌّ زائلُ

للّهوِ آونةٌ تمرُّ كأنّها ... قُبَلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ

---

(١) الخشف: الذل. (٢) المطايا: الدواب التي تركب.

ولهذا باب في الشيب والشيب

• مَنْ شَرِبَ على الكِبَر

كان إسماعيل بن حمدون يصطبح ويغتبق خمسين سنة، ثم ترك النبيذ فعمي فعاود عادته في الشرب، فقيل له، فقال: لا يجتمع عمى وظمأ

وقال أبو نواس:

قالوا كبِرتَ فقلْتُ ما قصّرتْ يدي ... عنْ أن تخبَّ إلى فمي بالكاسِ[1]

وقال اليعقوبي:

هل لكَ في عذْل ابن ستين فرّك ... شيخٌ إذا ما عمّه العَذْلُ فتَك

فهو خليعٌ في الضلال منهمِك

• استقباحُ الشُّرْبِ بالمشايخ

قال بعضهم:

أبعد ستين قد ناهزتها حججاً ... أحكّم الراحَ في عقلي وجثماني

يا قبح معتجرٍ بالشيب من كبرٍ ... راحت تميلُ به أعطافُ سَكْرانِ[2]

وقال آخر:

أمن بعد ستين ناهزتها ... أعلّلُ قلبي بإطرابه

• تَرْكُ الشُّرْبِ قَبْلَ الكِبَر

وقال بعضهم:

لا أجمعُ الحلمَ والصهباءَ قد سكنَتْ ... نفْسي إلى الماءِ من ماءِ العناقيدِ

لم تنهَني كِبْرةٌ عنها ولا فنَدٌ ... لكنْ صحوْتُ وعضْني غيرُ مخْضودِ[3]

• مُخَالَفَةُ اللُّوّامِ في تَنَاوُلِ المُدام

قال أحمد بن أبي طاهر:

اسقنيها برغم من لامَ فيها ... من نصيحٍ وعاذِلٍ وحسودِ

وقال ابن المعتز:

خليليّ طُوفا بالمُدام وبادرا ... بقيّةَ عمْري والسّلامُ على مثْلي

ألا إنّما جسْمي لرُوحي مطيّةٌ ... ولا بدّ يوماً أن تعرّى من الرحلِ[4]

---

(١) تخب: تسرع
(٢) معتجر: من اعتجر: ملتف بالشيب
(٣) الفند: العجز - وعضني غير مخضود: أي عضي غير ضعيف.
(٤) الرحل: الحمل

أيا عاذِلي هلا اشتغَلْتَ بسامِعٍ ... كما أنا مشغولٌ بكاسي عنِ العَذْلِ

وقال البسامي:

حلِّ عنّي لستَ من أرَبي ... أرَبي في الكاس والطّرَبِ[1]
دونَك العذْبَ الزُّلالَ ولي ... مُتعةٌ في صَفْوَةِ العنبِ

وقال آدم بن عبد الله بن مروان:

قلْ لمَن يلحاكَ فيها ... مِن فقيهٍ أو خليلِ
أنتَ دعْها وارجُ أخرى ... من شرابِ سلسبيلِ

● الحثُّ على مُدافعةِ الهُمومِ بالشّرابِ والتّبجُّحِ بذلك

قال ابن المعتز:

خلِّ الزمانَ إذا تقاعسَ أو جمَحْ ... واشكُ الهمومَ إلى المُدامةِ والقدَحْ
ودعِ الزّمانَ فكَمْ لبيبٌ حاذِقٍ ... قد رامَ إصلاحَ الزّمانِ فما صلَحْ

وقال ابن الرومي:

سأُعرِضُ عمّا أعرَضَ الدّهرُ دونَه ... وأشربُها صِرفاً وإن لامَ لائِمُ[2]

● نوادرُ السُّكارى

سقط سكران، فجاء كلب يلحس فاه، فجعل يقول:

أخوكُم ومولاكُم وصاحِبُ سِرِّكُم ... ومَن قد نشا فيكُم وعاشَرَكم دهراً

وسقط آخر في مستراح مملوء، فجعل يقول:

أأصحابَنا ما للقُعودِ هنا معنى

وقال العتابي: كان في دارنا سكران فقعد على مصلى وسلح فيه، فأخذت بيده إلى المستراح فنام فيه، فقالت جاريتي: يا عجباً، كل شيء منه مقلوب، خرأ حيث ينام الناس ونام حيث يخرأ الناس.

● الخمّار

الخمّار يداوي بالخمرة، ولذلك قال أبو نواس:

وداوِني بالّتي كانَتْ هِيَ الدّاءُ

وذلك من قول الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ ... وأُخرى تداويتُ منها بِها

ومات الأعشى في بيت خمارة فارسية، فقيل لها: ما كان سبب موته؟ فقالت: منها

---

(١) أربي: الغاية والهدف.

(٢) الشراب الصرف: غير الممزوج.

بها يكشتش، أي قتله قوله في هذا البيت.

وكان المتنبي ينادم أبا الفوارس بن مهد فانصرف من عنده ليلة، وقد أثخن سكراً، فلما أصبح أتاه الرسول يدعوه، فقال:

وقــد مــتُّ أمــس بــهــا مــوتَــةً ... ولا يــشــتــهــي الــمــوتَ مــنْ ذاقَــه

وقال آخر:

كـصـريـع الـخـمـر داوى مـا بـه ... مـن خُـمـارٍ بـعُـقـار فـانـتـشـى

● مَنْ ذمَّها بأنّها تزيلُ العقل

حضر نصيب عند عبد الملك بن مروان فدعاه إلى الشراب، فقال: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي، وإنما قربت منك بعقلي، فإن رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل. وقيل لأعرابي: لم لا تشرب؟ فقال: لا أشرب من يشرب عقلي. ورُوي أن ابن أبي شيبة مر بغلام يلعب بالتراب، فقال: لا تفعل يا أحمق، فقال الغلام: الأحمق من يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه ويقيء في جيبه ويسلح في ذيله، ويصبح مخمراً ويمسي مصفراً.

وقيل للعباس بن مرداس: لو شربت النبيذ لازددت جراءة، فقال: ما كنت لأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي. وقيل لأعرابي لم لا تشرب؟ فقال: لأنه يفني مالي ويغير عقلي.

وعلى هذا الحديث وإن لم يكن من صريح المعنى، قال بشر المريسي: دخلت على بعض أصدقائي، فقلت: مر جاريتك تسقني سيداً، فقال: أخاف أن تأتمر، ثم قال: إسقيه، فلما شربت، قال: تفكرت في أمرك فرأيت النبيذ يزيل العقل ولم أجد لك عقلاً أخاف أن يزيله، قال شاعر:

سـألـة لـلـفـتـى مـا لـيـس فـي يـده ... ذهّـابـةٌ بـعُـقـول الـقـوم والـمـالِ

وقال المحكم بن هشام لابنه، وكان مولعاً بالشراب: يا بني، دع الشراب فإنما هو قيء في شدقك وسلح على عقبك أو حدّ في ظهرك.

● مَنْ تركَها تفادياً مِن ذمّ الناس

قال بعضهم: تركت كثيره لله تعالى إجلالاً وقليله للناس جمالاً. وعوتب بعضهم على تركه، فقال: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما ذقته. قال الوليد للحجاج: هل لك في الشراب؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين وليس بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه وأخاف أن أخالف قول العبد الصالح، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، فأعفاه.

وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ، فقال: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.

• **ذمُّها بأنها تَدعو إلى الفِسْق**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] مرت أعرابية بقوم يشربون نبيذاً سقوها منه ما شربت أقداحاً اعترتها أريحية، فقالت: أيشرب هذا نساؤكم؟ قالوا: نعم، قالت: إذاً زنين ورب الكعبة، فما يدري أحدكم من أبوه. **قال جحظة:**

لـم يـبـلـغِ الـشـيْـخُ إبـلـيـس إرادتَـه ‌ ‌ ‌ ‌ حـتـى تـكـاثـف فـي عـنـقـوده الـعِـنَـبُ

سئل عبد الله بن إدريس عن الشرب، **فقال:** إشرب ما لا يشربك.

• **قَدْرُ الشُّرْبِ وزَمَنُهُ**

قال المأمون: إشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا سهّلته فدعه. سئل أبو محمد بن عبد الله عن شرب الربيع، **فقال:** ربيع أهل المروآت وميدان اللذات، وفي إدمانه ذهاب الفطنة وفي تركه فقد السرور. **قيل:** فما تقول في محادثة الرجال؟ **قال:** روضة لا يجف نورها وغدير لا ينضب ماؤه وجوهر لا يصلح إلا للملوك. **قال شاعر:**

شـربـت الـنـبـيـذَ عـلـى الـطَّـعـام ثـلاثـةً ‌ ‌ ‌ ‌ فـيـهـا الـشِّـفـاء وصـحـةُ الأبـدانِ

وقيل: القدح الأول يكسر العطش والثاني يمرىء الطعام والثالث يفرح النفس، وما زاد على ذلك فضل. **وقال لقتيبة القاضي مرة:** بلغني أنك تشرب، قال: أجل، **قال:** فكم تشرب؟ **قال:** ما بل الثمل[2] وطيب النفس وأعفى عن الماء. قال فما أبقيت منه؟ **قال:** أكثره وأخبثه التكاءة على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف إلى المبال[3]. وقال بعض الظرفاء: للنبيذ حدّان، حدّ لا هم فيه وحدّ لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني، **وقال ابن المقفع:**

سـأشـربُ مـا شـربْـتُ عـلـى طَـعـامـي ‌ ‌ ‌ ‌ ثـلاثـاً ثـم أتـركـه صـحـيـحـا

فـلـسـت بـقـارف مـنـه أثـامـاً ‌ ‌ ‌ ‌ ولـسـت بـراكـب مـنـه قـبـيـحـا

• **ذَمُّ إدمانها**

قال بعض الظرفاء: أربعة أشياء إن أفرط فيها الرجل أهلكته واستهوته، إدمان الخمر وحب النساء وشهوة الصيد والمماراة. **وفي الخبر:** لا يدخل الجنة مدمن خمر.

• **الحثُّ على استيفاءِ شُرْبِها أوْ تَرْكها**

قال ابن شبرمة لكاتبه: أتشرب؟ النبيذ؟ قال: القدحين والثلاثة، **فقال:** والله ما شربته شرب من يلتذ به ولا تركته ترك من يتحرج منه.

وقيل في جواب هذا: المثل: إشرب شرب فتوة أو اترك ترك مروءة. وقيل

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٩١.

(٢) الثمل: ما استقر في أسفل الشيء من كدرة، أو من الحب

(٣) المبال: الأماكن التي يبال فيها.

لبعضهم. كم تشرب، قال: مقدار ما أفسد به ديني، وقيل ذلك لآخر، فقال: مقدار ما أقوى به على ترك الصلاة.

● مَنْ أَظْهَرَ رَغْبَتَهُ فيها وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَنْها

رُوي أن الحسن بن زيد رضي الله عنه لما ولي المدينة، قال لابن هرمة: لست كمن باع دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ الممادح وجنّبني المقابح، وإن من حقه عليّ أن لا أغضي على تقصير في حق ربه، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنك حداً للخمرة وحداً للسكر، ولأزيدن لموضع حرمتك بي، فليكن تركك ذلك لله، تعن عليها ولا تدعها للناس فتوكل إليهم، فقال ابن هرمة:

نهاني ابنُ الرسولِ عنِ المُدامِ ... وأدّبني بآدابِ الكِرامِ
وقال لي اصطبِرْ عنها ودَعْها ... لخوف الله لا خوْفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحبّي ... لها حبٌّ تمكّنَ في عِظامي
أرى طيبَ الحلالِ عليَّ خبثاً ... وطيبُ النفْسِ في خبْثِ الحَرامِ

كان أبو الهندي مولعاً بالخمر، فقال له أبوه: إنها تورث السقم وتقل الطعم وتنحف الجسم، فقال: كلا إنها جوهرة قد امتزج فيها عرضان حمرة الهرمان وصفرة العقيان قد وصفها الله تعالى باللذة لشاربيها في القرآن، فوضح بذلك محنتها في الأبدان تجمع ما شت من شمل الإخوان.

وكان حارثة بن بدر مشتهراً بالشراب، وكان غلب على زياد فقيل لزياد: إنك تتهم لمصاحبته، فقال: كيف لي بأطراح من يسايرني مذ دخلت العراق، يصطك ركابه في ركابي ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنقي له، ولا أخذ الشمس عليّ في الشتاء، ولا الظل في الصيف، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لا يحسن غيره، فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله، فقال له: أيها الأمير ما هذا الجفاء وقد عرفت مكاني من أبي المغيرة؟ فقال: إن أبا المغيرة لم يكن ليلحقه عيب وأنا حدث، ولا آمن أن تشم منك رائحة الخمرة إن جالستني، فأتهم فاتركها، وكن أول داخل وآخر خارج، فقال: أنا لا أتركها لمن يملك ضري ونفعي، أفأتركها لك. قال: فاختر إذا ما شئت من عملي فاختار رامهرمز، وقال: إن شرابها موصوف فلما توجه إليها استقبله جماعة، فيهم إياس بن إياس فأنشده

أحار بن بدر قد وليت ولاية

الأبيات وتقدمت.

● مَنْ رَغِبَ فيها غَيْرَ مُفَكّرٍ في دينٍ ولا مُروءَة

قيل للفرزدق: أي الأشربة أحب إليك؟ قال: أقربها من الثمانين يعني الخمر. وقال عبيد الله بن زياد للأحنف: أي الأشربة أطيب؟ فقال الخمر، قال: وما يدريك ولست من أصحابها؟ قال: رأيت من أحلت له لا يتعداها ومن حرمت عليه يتناولها، فلذلك عرفت طيبها.

دخل أبو العيناء على المتوكل فقال: هل لك في الشراب؟ فقال: ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه.

وكان أبو نواس يقول: خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة، والله قد وصفها بأنها لذة للشاربين، فقيل: كيف هي أجود، قال: لأن الله تعالى جعلها نموذجاً، والنموذج أبداً أجود. وقيل له: أتشرب الخمر؟ قال: نعم إذا اشترى بثمن خنزير قد سرق حتى يحرم ثلاث مرات.

قيل لثمامة: لا تشرب الخمر فإنه يزيل بعقل، فقال: إنه إن زال اليوم لا يزول غداً.

باع بعض الأشراف ضيعة، فقيل له: احضر لعشية للإشهاد، فقال لو كنت ممّن يصان بالعشيات لما بعت الضيعة.

وقال رجل لآخر: وجهت إليك رسولاً عشية أمس فلم يجدك، فقال: هذا وقت لا أكاد أجد فيه نفسي. سئل بعضهم عن استطابة الشراب، فقال: وددت أني كنت بعوضة فأموت تحت قربة نبيذ، حتى يكون موتي في حلال نعيم. قال شاعر:

ورفضُ امرىءٍ لهْواً يواتيهِ طائعاً	لآخرَ إنْ عاصاهُ رأيٌ موهمُ
ومن صارَمَ اللذّاتِ أو خانَ بعْضَها	لِيرغمَ دهراً ساءهُ فهو أرْغَمُ

وقد وصف ذلك في وصف المدام بإزالته الهموم

● الشّارِبُ بَعدَ تَوْبَتهِ والمُمْتنِعُ مِن التّوْبَةِ عَنْهُ

كتب بعضهم إلى صديق، قد تاب من شرب النبيذ:

إن كنت تبت من الصهباء تتركها	نسكاً فما تبت من بر وإحسان
تبْ راشداً واسقنا منْها وإن عذلُوا	فيما فعلْتَ فقُل ما تابَ إخْواني

وقال كشاجم:

يقولون تبْ والكاس في كفّ أغيد	وصوْتُ المثاني والمثالِثِ عالي[1]
فقلْتُ لهُم لو كنْتُ أضمرْتُ توبةً	وعاينْتُ هذا في المنَام بَدا لِي

وحكي بعضهم، قال: كان لنا صديق يكثر التوبة من الشرب والعود إليه، ففارقنا يوماً على أنه قد تاب فجاءنا صبيحة غداة وقد انمحت من أحد عارضيه لحيته، فقال: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه فأتى به إليه بعض أعوانه، وقال قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب، ثم يرجع فحلّفوه على أن لا يتوب فحلفت، ثم قال: ألحسوا لحيته من جنب يكون ذلك تذكرة معه، فأصبحت على تلك الحالة.

---

(١) الأغيد: المائل العنق واللّين الجوانب ـ المثاني والمثالث: الآيات القرآنية التي تتلى وتكرّر.

● الشُّرْبُ سِرّ

مرَّ الفرزدق على الحكم بن المنذر بن الجارود وهو مستسقٍ لبناً، فأمر غلامه أن يجعل في العقب خمراً ويحلب عليها لبناً ويسقيه، فلما كرع فيه جعل الخمر ينبع من تحت اللبن، فشرب، فقال له: بأبي أنت ممن يخفي الصدقات.

ودخل الغضبان الأسدي على قوم يشربون فاحتشموه ورفعوا نبيذهم فجعلوه تحت السرير، ورمقت السنور فأرة فطفرت فكسرت الآنية وفاح ريح الشراب، فقال الغضبان: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، فقالوا له: تالله إنك لفي ضلالك القديم ثم أخرجوا النبيذ فساعدهم عليه.

● الشُّرْبُ جَهْراً

لما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون، كان المأمون يخطب بخراسان بمساوي الأمين، ويقول في جملة مساويه: ومن ظلكم بخليفة يغني شاعراً ينشد بحضرته جهاراً نهاراً في مجلسه هذا القول:

ألا فاسْقِني خَمْراً وقلْ لي هيَ الخَمْرُ ... ولا تسقِني سرّاً إذا أمكنَ الجهرُ
فمَا الغُبْنُ إلا أنْ تراني صاحياً ... وما الغنْمُ إلا أنْ يتعتعني السكْرُ

وقال المكتفي للصولي: أتعرف أجلى بيت قالته العرب، قال قول أبي نواس:

ألا فاسقِني خَمْراً وقلْ لي هيَ الخَمْرُ

فقال: بل قول الحسين بن الضحاك:

أتيتُ سكْراً بسُكْرٍ ... ما تيبتُ خمراً بخمرِ

● الضَّعيفُ الشُّرْب

قيل لبعضهم: كيف شربك؟ قال: لو رمت زبيباً لسكرت شهراً.

قال الخبزارزي:

اصرِفْ سفاتج هذا الشُّرْب عن رجلٍ ... لهُ بضيعة في الشُّرب مزْجاة[1]

وقال آخر:

ولو علم الأكارمُ ضعفَ شربي ... لأعفوْني عن النُّجُبِ العِظَامِ

وقال خالد الكاتب:

لا أسقين ما ليس لي طاقةٌ ... به فإنّي ضيّقُ الحَوْصَلةْ

(١) السفاتج: جمع السفتجة، وهي الوثيقة التي بها تسترد مالك من رجل كنت أعطيته مالاً ـ البضيعة: الماء ـ مزجاة: رديئة.

وقال الخباز البلدي يعاتب من كثر سقيه:

يسارقني في كل دورين حبة ... ألا إن قيراط النبيذ كثيرُ

● مَنْ تَرَكَ الشُّرْبَ بُخلاً وَرِياءً

قال شاعر

ما حرم الخمرُ ولكنه ... يتركها بقيا على حاله
يشربها في بيت إخوانه ... ويُظهرُ التوبةَ من ماله

وقال آخر:

وما أن حرموا المطبوح نسكاً ... ولكن دققوا فيه المعيشه[1]

وفاحت رائحة الشراب عند وال فامتحن قوم بأفواههم، فقال الوالي: ما أطيب ريحها وإني لأشتهيها لولا تحريمها، فنظر فإذا الذي أمسك على أنفه كل منهم. وحدثني أبو بكر الكرجي، قال: كان بالكرج قاض ظريف فدخل عليه نصراني يوماً يعبق منه طيب ورائحة خمر، وكان عنده جماعة من العدول فضم أحدهم على أنفه، وكان متهماً بالشراب، فلما خرج النصراني، قال: أخزى الله هذا الخبيث دخل وكأنه جيفة، فقال القاضي: ردوه ردوه، فقال لعدلين عنده تشمما هل تجدان رائحة كريهة، فقالا: لا، إنا لنجد منه رائحة كرائحة الجنة طيباً، فقال: اشهدا أني قد جرحت هذا البارد فما يعدو حاله كذباً أو حمقاً وجهلاً، وكلتا الحالتين تنافيان العدالة، وما أصدق القائل:

قد يشتمُ الخمرَ قومٌ يكلفونَ بها ... وقد يسبُّ بنيه الوالدُ الحدِبُ[2]

وقال بعضهم:

تركوا النبيذَ وشمّروا أثوابَهم ... ومشوا رويداً لاختلاس الدِّرْهَم

● مَنْ تَرَكَ الشُّرْبَ خَوْفاً من السُّلْطان

قال أبو نواس لمّا نهاه الأمين عن الشرب:

أعاذلُ بعتُ الجهل حيث يباعُ ... وأبرزت رأساً ما عليه قناعُ
نهاني أميرُ المؤمنين عن الصِّبا ... وأمرُ أميرِ المؤمنينَ مُطاعُ
ولهوٌ لتأنيبِ الأمين تركتُهُ ... وفيه لِلاهي منظرٌ وسماعُ

● من حَدَّ في شُرْبها

سمع أبو حرابة رجلاً يقول وهو مجلود: من رآني فلا يشرب النبيذ، فقال: في إستك

---

(١) دققوا المعيشة: قللوا المعيشة وصغروها.

(٢) يكلفون بها: يعشقونها ـ الوالد الحدب: الوالد العطوف.

وإست من حملك على هذه المشورة وبست من قبلها منك، ثم قال

ستغصي وتُقْصى ثم تمنى شُرْبها   وإدمانها إن كنت حراً مهذّباً

ومرّ النخاسي بأبي السماك في شهر رمضان، فقال: هل لك في رؤس وشراب كالورس يطيب النفس ويهضم الطعام ويسهل للفدم الكلام؟ فنزل وتغدّيا فأخبر أمير المؤمنين بذلك، فأفلت أبو السماك، وأخذ النخاسي فأتي به فضربه ثمانين وزاده عشرين، فقال: يا أمير المؤمنين وما هذه العلاوة؟ فقال: لجراءتك على ربّك في شهر رمضان.

● مَنْ تَخلَّصَ مِن الحَدِّ في شُرْبِ الخَمْر

دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون، فقال: ألم أنهكم عن الشرب فشربتم، فقال أحدهم: ألم ينهك الله عن التجسس فلم تجسست؟ فقال: صدقت، فتجافى عنهم.

وقال العبدلي للواثق: ما قمرتني[1] إلا لكوني سكران، فقال: قد وجب عليك الحد لأنك أقررت، فقال: هذا افتخار لا إقرار اعتراف.

● التَّعريضُ بِمَنْ تَفرَّسَ به بأنّه شارِبٌ

دخل أمية بن عبد الله على عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: قمت في بعض الليل فأصابني الحائط، فتمثل عبد الملك بقول الشاعر:

رأتني صريعَ الخمر يوماً فرُعْتها   وللشاربيها المدمنيها مَصارعُ[2]

فقال أمية: لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك ولا يؤاخذك بسوء مصرعك

وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرساً أشقر فكبا بي، فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك، فعرّض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط.

وأنشد ابن الرقاع عبد الملك قصيدة، وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبد الملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب، فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

● وَصْفُ خَصائِصِ جَميعِ الأشْرِبة

قيل لبعض الحكماء صف لنا خصائص الأشربة، فقال: أما الماء فيعظم خطره عند الحاجة إليه بحسب تعذره عند العدم، وأما اللبن فشبع الغرثان وريّ الظمآن وزاد العجلان، وأما الماذي فكالمروزي[3] في الدثار والنرسي[4] في الشعار، وأما الزبيبي

---

(١) قمرتني: غلبتني في القمار، وقمره ماله: سلبه إياه..

(٢) رعتها: أخفتها   (٣) الماذي: العسل الأبيض - كالمروزي: نسبة إلى مرو

(٤) النرسي: نسبة إلى النرس وهو ضرب من التمر.

فنيل المنظر سحيف المحبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس.

وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار، فقيل فاللبن؟ قال: ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت، قيل فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة.

ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليها، قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا أستفتيك في سنة، فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثوراً، فلم دعوتني؟ قال: لأسألك عن الفتوة، فقال: أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل، فقال: ما تقول في نبيذ التمر قال: أشربه حتى تحر قال فنبيذ الدبس. قال: أشربه حتى تجي، قال فالدادي، قال: أحلى من الماذي، قال فنبيذ الزبيب، فستر وجهه وقال: المعظمة لله، قال فالخمر، قال: لا أرى شربها، قال ولم، قال لأني لا أؤدي شكرها

قال أبو العيناء: النبيذ[1] ـ الخمر.

قال أبو نواس:

ولا تأخُذْ عنِ الإخوانِ لهواً ... ولا عيشاً فعيشُهُمُ جديبُ
دع الألبان يشربها رجالٌ ... رقيقُ العيشِ بينهم غريبُ
بأرضٍ نبتُها عشبٌ وطلحٌ ... وأكثر صيدها ضبع وذيبُ
إذا رابَ الحليبُ فبُلْ عليه ... ولا تُحرَجْ فما في ذاك حُوبُ[2]
فأطيبُ منه صافيةٌ شمولٌ ... يطوفُ بكأسِها ساقٍ أديبُ
يمدّ لكَ القِنانَ إذا حساها ... ويفسح عقد تكته الدبيبُ[3]
فذاكَ العيشُ لا جيمَ البوادي ... وذاك العيش لا اللبَنُ الحليبُ

وقال آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لبيب يشرب الداء

● وَصْفُ الشَّرابِ بإزالةِ الغَمِّ

قيل لأعرابي أتحب الخمر؟ فقال: أي والله، فمنها تسرح في بدني بنورها وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الماء والعلاء والنساء والباه، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء، ونحوه لأبي نواس:

إنّــمــا الــعــيــشُ سَــمَــاعٌ ... ومُــــدامٌ وغُــــلامُ

---

(١) ورد في موضع الفراغ لفظة مكسورة ولعلها تحريف ولم نجد لها تفسيراً فيما بين أيدينا من المراجع.

(٢) الحوب: الإثم

(٣) القنان: كم القميص ـ التكة: رباط السروال ـ الدبيب: المشي البطيء.

فإذا فاتك هذا ... فعلى العيش السلامُ

سأل معاوية الأحنف عن أطيب الأشربة، فقال: الخمر، قال: وما يدريك ولست من أصحابها، قال: رأيت من أحلت له لا يتخطى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها، فعرفت طيبها وفضيلتها. وقيل: النبيذ صابون الغمّ. وقيل لبعضهم: فلان ترك النبيذ، فقال: طلق الدنيا. وقيل لدهقان ما أصباك بالخمر؟ فقال: لأني رأيت لها أفعالاً لم أرها لغيرها، إذا رأيت الهم تمكن في قلبي فقرب الكاس من الباب خرج الهم. وأخذ ذلك أبو نواس فقال:

إذا ما أتتْ دونَ اللهاةِ مِنَ الفتى ... دعا همّه من صدرِه برَحيلِ

وقيل لشيخ: لم تشرب النبيذ؟ فقال: لأن فيه شيئاً يحمده أهل الجنة، قيل وما هو، قال: ما تقول أهل الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والنبيذ هو ذاهب بالحزن. وقال أبو نواس فيها: الراح صديقة الروح قيد الحدث ومفتاح المسرات، وقال:

وما استقرت في فؤادِ فتىً ... فدرى ما لوعةُ الحُزْنِ

وله

كأسٌ إذا ما الشيخُ والى بها ... خمساً تردّى برداءِ الغُلام

وذمّ بعضهم الخمر، فقال: أولها دوار وآخرها خمار، فرد عليه آخر فقال

إن يكُنْ أولُ المُدام دُواراً ... أو يكُنْ آخرُ المُدام صُداعاً

فلها بين ذا وذاك هِنَاتٌ ... وصفها بالسرورِ لن يُستطاعا

وقال ابن المعتز:

يزيلُ همّاً ويحشُر اللهوَ والطَّرَبا

وله في وصفه:

وأصلَح بيني وبيْن الزمانِ ... وأبدلني بالهموم الطَّرَب

● وَصْفُها بأنها تدرُجُ الكبر وتورثُ اليُسْر.

قال لقيط بن زرارة:

شربتُ الخمر حتى خِلْتُ أني ... أبو قابوس أو عَبْدُ المدانِ

أمشي في بني عدس بن زيد ... رخيَّ البالِ منطلقَ اللسانِ

وقال المنخل:

وإذا سكِرْتُ فإنني ... ربُّ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ

وإذا صَحَوْتُ فإنني ... ربُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعيرِ

● وَصْفُها بالصَّفاءِ والرقّة

قال الحسن بن الضحاك: كنت مع أبي نواس بمكة فسمع صبياً يقرأ: يكاد البرق

يختطف أبصارهم فلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا، فقال: هذا يجب أن يكون صفة الخمر، ثم أنشدني:

وسيّارةٍ ضلّت عن القصْدِ بعدما ... بدا دونَهم أُفْقٌ من الليلُ مظْلِمُ
فلاحت منّا على النار قهوةً ... كأنّ سناها ضوءُ نار تصرّم[1]
إذا ما حسوْناها أقامُوا مكانَهم ... وإن أظهرت حثّوا الركاب ويمّمُوا[2]

قال ابن الأعرابي: جميع ما قاله أبو نواس حسن، وأحسنه قوله:

لا يـنـزلُ اللـيـلُ حيثُ حلّت ... فـلـيـلُ شـرّابـهـا نـهـارُ

وقال آخر:

واهـتـدى سـارُ الـظّـلامُ بـهـ ... كـاهـتـداء الـسـفْـر بـالـعَـلَـمِ

قيل: رق وصفا حتى كاد يخفى، وقيل: أصفى من الشراب وأخفى من السراب

كـمـعـنـى دقّ فـي لـفْـظٍ بـديـع

وقال ابن المعتز:

كـأن بـكـأسـهـا نـاراً تـلـظّـى ... فـلـولا الـمَـاء كـانَ لـهَـا حَـريـقٌ

- **وَصْفُ رِقّة الإناءِ والخَمْرِ معاً**

قال البحتري:

يُخْفي الزجاجة لونُها فكأنّها ... في الكفّ قائمةٌ بغير إناء

وقال الصاحب، وقيل هما لأبي نواس:

رقّ الـزجـاجُ وراقـتِ الـخَـمْـرُ ... وتـقـاربـا فـتـشـابـه الأمْـرُ
فـكـأنّـمـا خـمـرٌ ولا قـدَحٌ ... وكـأنّـمـا قـدَحٌ ولا خَـمْـرُ

- **وَصفُها بأنها تُخضّب الكفّ**

قال شاعر:

تـحـسـب الـظّـبْـيُ إذا طـاف بـهـا ... قـبْـل أن يـسـقـيكها مـخـتـضـبـا[3]

وقال الخباز البلدي:

وهـيَ تـكْـسـو كـفّ شـاربـهـا ... دسـتـبـانـاتٍ مـن الـذّهَـبِ

وقال ابن المعتز:

كـأنّـهـم الـهـبـوا بـيـنـهـم ... حَـريـقـاً وأيـديـهـم تـسـتـعـر[4]

---

(١) سناها: ضياؤها - القهوة: من أسماء الخمر.

(٢) حثّوا الركاب: أعجلوا بالسير - يمّموا: قصدوا وتوجهوا.

(٣) مختضباً: ملطّخاً بها.

(٤) الهبوا حريقاً: أشعلوا ناراً.

● وَصْفُ خُمْرتِها

قال أبو نواس:

أقولُ لما تحاكي شبهاً ... أيهما للتشابه الذهبُ
هما سواءٌ وفرقُ بينهما ... أنهما جامدٌ ومنسكبُ

وأخذه ابن المعتز، فقال:

وخمارة من بناتِ المجوسِ ... ترى الزقَّ في بيتها شائلا[1]
وزنّا لها ذهباً جامداً ... فكالتْ لنا ذهباً سائلا

● وَصْفُ الخمْرِ وشاربِها

قال الحسين بن الضحّاك، أنشدت أبا نواس:

كأنما نصب كاسه قمرٌ ... يكرَع في بعض أنجُمِ الفُلُكِ

فأنشدني:

إذا عبّ فيها شاربُ القوْم خلْتَه ... يقبّل في داجٍ من الليلِ كوْكَبا

فقلت: يا أبا علي، هذه مثل ما أنشدتكه، فقال: أتظن أن يروى لك بيت حسن، وقد أحسن القائل:

وكأنهُ والكاسُ في فيه ... قمرٌ يقبّل عارِض الشمس

● وَصْفُها بالصّلابة

قال أبو تمّام:

إذا اليدُ نالتها بوتْر توقّرت ... على ضِغْنها ثم استقادت من الرجلِ[2]

وأخذه من عطء

أسروها وجه النهار من الـ ... ـدنّ فأمسوا وهم لها أسراءُ

ونحوه لديك الجن.

فظللنا بأيدينا نتعتعُ روحها ... وتأخذُ من أقدامنا الرّاح ثارَها

وقال آخر:

قهوة تتركُ الحليمَ سفيهاً

وقال أحمد بن طاهر:

ما تمّ منها ثلاثاً قطّ شاربُها ... إلا رأى عقلَه منه على سفرِ

---

(١) شائلاً: قل ماؤه

(٢) الضغن: الحقد ـ استقاد منه. طلب منه، يقال استقده فأقاده أي طلب منه قتل القاتل فعمل

● وَصْفُ لذّاتِها

وصف الله تعالى خمر الجنة، فقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[1] فنفى عنها جميع عيوبها بالكلمتين، كما وصف فاكهتها، فقال: لا مقطوعة ولا ممنوعة. قال ابن أبي فنن:

أطــيَــبُ فــي الــكــأسِ إذا ... جــاءتْــك مــن ريــحِ الــوَلَــد

وله:

أطيبُ من قبلةِ الحبيبِ وقدْ ... جادَ بها مسْرعاً على حَذَرِ

وقال أبو نواس كنت يوماً في الحمام، فقلت قصيدة وفيها

فــتــمــشّــت فــي مــفــاصِــلِــهــم ... كــتــمــشّــي الــنّــارِ فــي الــفَــحْــمِ

ولم يك معي أحد فتراءى لي شبح، فقال: قطع الله لسانك، فإنك لا تفلح، أتقول مثل ما يقول العوام، ألا قلت:

فــتــمــشّــت فــي مــفــاصِــلِــهــم ... كــتــمــشّــي الــبُــرْءِ فــي الــسّــقَــمِ

فقلت هكذا قلت، فقال أتكابر إبليس

ألـــذُّ مـــن غـــفْـــلـــةِ الـــرقـــيـــبِ ... شـــكْـــوى مـــحـــبٍّ إلـــى حـــبـــيـــبِ

وقال الحسين بن السري:

وإذا احتساها شاربٌ فكأنّما ... [illegible] المُنى في فيهِ يحلبُ قاطرَه

وقال ابن الرومي:

والله مـــا أدري بـــأيـــةِ عـــلّـــةٍ ... يدعونَها في الرّاحِ باسْمِ الرّاحِ[2]

ألريحِها ولروحِها تحتَ الحَشَا ... أمْ لارتياحِ نديمِها المُرْتاحِ

إن حرمت فيحقها من حرة ... ما كانَ مثلَ حريمِها بمُباحِ

أو حُلّلَتْ فبحقِّها من نشْوة ... تشفي سَقامَ قلوبِنا بصِحاحِ[3]

● وَصْفُها بالعِتْقِ

قال أبو نواس:

اســقــنِــيــهــا ســلافــةً ... ســبــقــت خــلْــقَ آدمــا

وقال آخر:

عـــاصـــرُهـــا آدمُ أبـــو الـــبَـــشَـــرِ

وقال شاعر:

عُـــتّـــقــت حـــتـــى لـــو اتـــصـــلَـــت ... بـــلـــســـانِ نـــاطـــقٍ وفَـــمِ

---

(١) القرآن الكريم: الواقعة/ ١٩. (٢) الراح: الارتياح، والراح: الخمرة

(٣) السقام والصحاح: المرض والعافية.

لاحتبتْ في البيْتِ مائلةً ثم قصَّتْ قصَّةَ الأمَمِ

وقال آخر:

قهوةٌ تذكُرُ نُوحاً حينَ شادَ الفُلْكَ نُوح

وقال آخر:

قهوة أبررت بحاتم كِسْرى

وقال ابن حجاج:

قوما إسقياني قهوةً روميّةً من عهْدِ كسْرى دنُّها لم يُمْسَسِ

- **وَصْفُها بأنّها تورِثُ السّخاءَ والشَّجاعَةَ**

قال أبو نواس:

وخذْها من مُشعشعةٍ كُمَيْتٍ تنزل درّةَ الرّجُلِ الشحيحِ[1]

وأخذه من عمرو بن كلثوم:

ترى اللحِزَ الشحيحَ إذا أمرّت عليْه لمالِه فيها مُهِيناً[2]

وقال آخر:

إذا سُقِيَ الفتى منها ثلاثاً تسربَل ثوبَ مكرمَةٍ وجُودِ[3]

وقال آخر:

نشربُها فتترُكُنا ملوكاً وأسوداً ما ينهْنِهُنا اللِّقاءُ[4]

- **وَصْفُ النيءِ والمَطبوخ**

سئل أبو نواس عن نبيذ طُبخ، فقال:

وما طبخوها غيْر أن غلامَهم سعَى في نواحي كرْمِها بشِهابِ

فقال بعضهم إحرقوه فأحرقهم الله. قال الأقيشر:

صفراءُ صافيَةُ الأقذاءِ حلّلها طَبْخُ السراجِ ولم يُجْمَع لها حَطَبُ[5]

وقال أبو نواس:

طَبَخَتْه الشَّمْسُ لمّا بخُلَ العِلْجُ بناره[6]

قال المطوق: قال لنا جحظة يوماً قد عملت بيتاً زدت فيه على أبي نواس في وصفه، وأنشد:

فظلّ يسقينا جنانيّةً صانت بها الشمْسُ عنِ النارِ[7]

---

(١) مشعشعة كميت: من أوصاف الخمر - الرجل الشحيح: الكثير البخل.

(٢) اللحز: الشح. وفي رواية اللحر أي البخيل.

(٣) تسربل: لبس. (٤) ما ينهنهنا: ما يمنعنا عنه.

(٥) الأقذاء: جمع قذى وهي الفضلات المتبقية في الشراب أو التراب المدقق.

(٦) العلج: الرجل الضخم، والكافر. (٧) الجنانية: أي الخمرة المنسوبة إلى الجنان.

وقد أحسن، فإن الخمر التي في الجنة لم تطبخ بنار، ثم قوله صنت بها الشمس عن النار مع صحة معناه ظريف اللفظ. قال عمرو بن الأهتم:

مِنْ كُمَيْتٍ أجادَها طابِخاها ... لم تَمُتْ كلّ موتِها في القُدورِ

- **وَصْفُها بأنها تُحمِّر الوَجْنَةَ**

قال الأعشى:

وسبيئةٍ مما تعتّقُ بابلُ ... كدمِ الذبيحِ سلبتُها جِريالها[1]

يُروى أن الأعشى سئل عن معناه، فقال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء. رُوي أن أبا نواس قال: إنما عنى به ما قلت

كأسٌ إذا انحدَرت عن حلْقِ شارِبها ... رأيت حمْرَتها في العَيْنِ والخَدّ

وقال الناجم:

تنازعها الخدّ جريالَها ... وتهديه للمقَيْن يومَ الخمار

وقال الناشيء:

نفضتْ على الأجسام ناصِعَ لونِها ... وسرت بلذّتِها إلى الأرواحِ

- **وَصْفُها عند المزاج**

قال أبو نواس:

من قهوةٍ جاءتك قبْل مِزاجِها ... عُطْلاً فألبسها المِزاجُ وِشاحا[2]

وقال الزاهي:

كأنما الماءُ حين خالَطها ... أهدى إليها علائِلَ الشَفقِ[3]

وقال أبو نواس:

كأن صُغْرى وكُبْرى من فواقِعها ... حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ منَ الذّهَبِ

وقال ابن المعتز:

راحٌ كأن حبابَها ... درٌّ يجولُ مموَّها

وقال آخر:

تنزو إذا مسّها قرعُ المزاجِ كما ... تنزو الجنادِبُ أوقاتَ الظُهيْراتِ[4]

وقال ابن طباطبا

إذا ما الماءُ مازَجها تراءتْ ... كما زوّجت بالتّبرِ اللجينا[5]

---

(١) **الجريال**: لون الخمر. (٢) **عطلاً**: خالية، عارية.

(٣) **الغلائل**: الدروع وما يوضع حول العنق وهنا كناية عن قلادة لون الشفق.

(٤) **تنزو**: تثب، وتفور ـ قرع المزاج: حينما تمزج بالماء.

(٥) **التبر**: الذهب، واللجين الفضة.

هُمَا ذَوْبانِ لو جمُدا جميعاً ... إذاً صارَا معاً وَرِقاً وعَيْناً[1]

وقال الصنوبري:

ناهيكَ من فضّة تجري على ذَهَبٍ ... ماءٌ من النّور في ماءٍ من اللّهَبِ

● طِيبُ رائحتها

قال الأخطل:

وإذا تعاورَتِ الأكفُّ زجاجَها ... نفَحت ونالَ رياحَها المزْكومُ[2]

وقال الرفاء:

فضّ النديم ختامَها فكأنّما ... فضّ الختامَ عن العبير ففاحا

● نبيذٌ رديءٌ أو أسْوَد

قال الصولي، وفي يده قدح وشاب هذا الليل إذا عسعس، وأومأ إلى قدح صاف وقال: وذاك الصبح إذا تنفس. قال أبو تمّام:

وكأنّ الأنامِلَ اعتصَرَتها ... بعد كدٍّ من ماءِ وجهِ البَخيلِ[3]

وقال البحتري:

فجاءَ نبيذٌ لهُ حامضٌ ... يَـ[illegible] على الكَبِدِ المقفِرَة

إذا صبّ مسودّه في الزجا ... ج[illegible] النديمُ به مِخبَرَه[4]

وقال ابن المعتز:

كأن بأيدي شاربيها إذا اتّكوا ... محابرَ ورّاقين قد مُلئتْ حِبْراً

ودفع إلى رجل شراب غليظ، وقيل له: كيف تراه؟ فأنشد:

هوَ في الجُوعِ طَعَامْ ... وهوَ في الظّمْءِ شرَابُ

سقى بعضهم ضيفاً له نبيذاً رديئاً، وقال: هذا نبيذ من عانة، فقال الضيف: بل من العانة على أربع أصابع

● استيهاب الشراب للأضياف

كتب أبو تمّام إلى صديق له يستوهب منه مشروباً لصديق، يزعم أنه نزل به:

جُعِلْتُ فِداكَ عبدُ الله عندي ... بعقب الصدِّ منه والبُعادِ

فأحسن يومنا إن لم تجدنا ... مصادف دعوةٍ منا جَمَادِ

---

(١) ورق وعيناً: الذهب والفضة المضروبان

(٢) تعاورتها الأكف: تداولتها ـ المزكوم: المصاب بالزكام

(٣) ماء وجه البخيل: كناية عن شدّة العصر (الاعتصار).

(٤) النديم: المصاحب في الشراب ـ مخبرة: وعاء الحبر.

فكم نوة من الصهباء سار | وآخرُ منك بالمعروف غادِ[1]
فهذا يستهلّ على غليلي | وهذا يستهل على بلادي

وكتب ابن الحجاج إلى صديق له:

يا سيدي قد جاء زوّاري | ظللتُ في نارٍ وفي عارِ
فامننْ بخمرٍ أو فوجّه بمن | يخرجهم بالصفع من داري

قال السري الرفاء مستدعياً شراباً:

الراحُ قد أعوزتْنا في صبيحتنا | بيْماً ولو وزن دينارٌ بدينارِ[2]
فامنُنْ بما شئتَ من راحٍ يكونُ لنا | ناراً فإنا بلا راحٍ ولا نارِ

● من استوهَبَهُ وَرامَ إكبارَ الظَّرْفِ أو تَرْكِ المزاج

قال الرفاء:

عندي ضيف لم يزل مضيفاً | فأهد لي خلوقك المدوفا[3]
تحوي لهُ الشكر له صنوفا | وكبر الظرف تكنْ ظريفا

وقال آخر:

واعلمْ بأن ظروفَ الراحِ إن كبرتْ | عند الهديةِ أبدَتْ ظرفَ مُهديها

وقال جحظة:

ومِنَ الغلامِ تركه من مزجه | إن المزوال بطيبٌ غيرَ مكدّرِ

وقال الراعي:

أرى المشروبَ عِزّ وذاك شيء | إذا حصّلته حصلت حمدي
فمرهم يبعثوه بغير مزجٍ | فإنَّ الماءَ ليس يضيقُ عمدي

● مُعاتبةُ مَنْ بَخِلَ بالنَّبيذ

كتب الكتنجي إلى بعض إخوانه يستهديه نبيذاً، فتباطأ عليه، ثم عاد الرسول، فقال هو يستدعي ظرفاً يجعله فيه، فكتب إليه:

مطلتنا بالنبيذ دهراً | ما بين مطل وبين خُلْفِ
وبعد دهرٍ طلبت ظرفاً | كأن قارورة بألف
فمن يرجيك بعد هذا | ولست ممن يفي بظَرْفِ

فدعا الرجل سقاءين فملأ قربتيهما، وبعثهما إليه

---

(١) نوه: عطاء ـ الصهباء: من أسماء الخمر ـ الغادي: المبكّر
(٢) الراح: الخمرة.
(٣) خلوقك المدوفا: الخلوق: الطيب من الزعفران، المدوف الممزوج

(٢)
ومما جاء في النِّدام والنُّدَمَاء والسُّقاة

■

● وُجوبُ حَقِّ المُنادَمةِ وَذِكرِ مَنْ عَظَّم نَديمَه

رُوي أن النبي ﷺ لم يُر ماداً رجليه بين يدي جليس له قط، ولا أخذ بيد أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي عليّ ثلاث، أرميه بنظري إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغي إليه إذا حدّث. قال شاعر:

أرى لـلـكـأسِ حـقّـاً لا أراه ... لـغـيـرِ الكـأسِ إلا لـلـنّـديـم[1]

وقال الجاحظ رويت هذا البيت دهراً لا أعرف له ثانياً، فسمعت يوماً حمامياً بوقد أتونه وينشد معه:

هـو الـقـطْبُ الـذي دارتْ عـلـيْـه ... رحَى الـلـذاتِ في الزّمنِ الـقـديمِ

وقال سعيد بن حميد:

الكأس حرمتها أولى من النسب[2]

وقال حصابة: إن المنادمة الرضاع الثاني. وكان القعقاع إذا جالسه جليس معرفه بالقصد إليه، جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له، وفيه يقول:

وكنْتَ جليسَ قعقاعِ بن شورٍ ... ولا يشْقَى بـقَـعْـقَـاعٍ جَـلـيـسُ

قال يحيى بن أكثم: ما رأيت أكرم من المأمون بتّ عنده ليلة فعطش فكره أن يصيح بالغلمان، وكنت منتبهاً فرأيته قد قام فمشى قليلاً إلى البرادة حتى شرب ورجع. ورأيته ليلة وأنا عنده وحدي وقد أخذه سعال يسدّ فاه بكمه كيلا انتبه.

● الإنْخراطُ في سِلْكِ الشُّرْبِ والصَّحْب

جلس المتوكل مع جماعة، وفيهم يحيى بن أكثم، فلما شرب الناس ثلاثة أرطال، أمر يحيى بالإنصراف، فقال له: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال لأن قد خلطنا، فقال: أحوج ما يكون إلى قاضٍ إذا خلطتم، فاستظرفه المتوكل وأمر أن تغلف لحيته بالغالية، ففعل، فقال: ضاعت الغالية وكان هذا يكفيني دهراً، فأمر ببورق من الفضة ودرج بخور، فجعلا في كمّه.

● طِيبُ المُدامِ بِطِيبِ النُّدَّام

قيل لأعرابي كم تشرب من النبيذ؟ فقال: مقدار النديم

---

(١) النديم: المصاحب في الشراب ـ وهو حق للنديم: أي تعظيم له.

(٢) أولى من النسب، وقيل أدنى من النسب أي يتوسل بها عن النسب، ولا أرجح في رأينا أولى من النسب.

وقال أبو نواس:

الراحُ طيِّبَةٌ وليس تمامُها … إلا بطيبِ خلائقِ الجُلاسِ

وقال آخر:

إنما تُستعذبُ الرا … حُ بأخلاقِ النديمِ

وقال العطوي:

تصفو الزجاجةُ بالنديم إذا صفَا … ويكدِّرُ الندمانَ صفوُ الرّاحِ

وقال آخر:

يقولون قبلَ الدارِ جارٌ مُوافِقٌ … وقبلَ الطريقِ النهجِ أنسُ رفيقُ

فقلتُ وندمانُ الفتى قبلَ كأسِه … وما حثَّ كأسَ اللهوِ مثلُ صديقِ

وقال آخر في صديق استطاب مجالسته

يا ليلةً لستُ أنسى طيبَها أبداً … كأنَّ كلَّ سرورٍ حاضرٌ فيها

باتت وبتُّ وباتَ الزقُّ ثالثَنا … حتى الصباحِ تسقيني وأسقيها

كأن سودَ عناقيدٍ بلمتها … أهدت سلافتَها صِرفاً إلى فيها[1]

• إختيارُ عَدَدِ النُّدمان

قال منصور الفقيه:

فليدعُ منها خمسةً … يستحسن ولا يزد

دونَ هذا وحشةٌ … وفوقَه سوقُ الأحد

وقال آخر في المعنى

إذا ما جاوزَ الندمانُ خمساً … فربُّ البيتِ والساقي اللبيبِ

فأيرٌ في حِرِ أمِّ فتًى دعانا … وأيرٌ في حِرِ أمِّ فتًى مجيبِ

• طَرْحُ الحِشْمَةِ في المُنادَمَةِ ومُراعاتُها

جاء محمد بن حماد إلى ابن الجنيد، فقال: يقول لك أمير المؤمنين المعتصم تهيأ لمزاملتي، قال: كيف أتهيأ؟ قال: إذا زمته فإياك أن تبزق أو تمخط أو تتثاءب أو تسعل أو تعطس، فقال ابن الجنيد: ارجع إليه وقل له: في حِرِ أم من يزاملك على هذا الشرط، فلما رجع إليه ضحك واستدعاه، فقال: آمرك بمزاملتي فتراسلني بذلك، فقال: إن هذا الأحمق شرط علي شروطاً يهرب منها الشيطان، فإن رضيت أن تفسو عليّ وأفسو عليك وإلا فلست بصاحبك.

وقيل لبعضهم: ما العيش؟ فقال: طرح الحشمة وترك التطلب. قال إسحاق

(١) بلمتها: اللثة الشعر المجاور لشحمة الأذن ـ سلافة الخمرة: خالصها وأفضلها

الموصلي: كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة، وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا عنهم، ولم يُرَ أبو جعفر قط يشرب إلا الماء، وكان المهديّ في أول أمره يحتجب متشبهاً بمن قبله ثم ظهر لهم، **وقال**: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب.

- **الوَصيةُ بِطيِّ حَديثِ الشُّرْبِ**

قال المأمون رحمه الله. اطووا خبر أمس مع ذهاب أمس، فهو أدوم للسرور وأسلم للصدور. **وقال**: النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر.

وقال علي بن صالح:

حكمُ العقار إذا قصدت لشربها ... في لذّةٍ من مَسْمعٍ أو قيان
أن لا تعودَ لذِكْرِ ما أبصرت من ... أحدوثةٍ من شاربٍ سكران

وقال آخر:

إذا ذكرَ النبيذُ فليس حقاً ... إعادةُ ما يكونُ مع النبيذ
إعادةُ ما يكونُ من السَّكارى ... يكدِّرُ صفوة العيشِ اللذيذِ

- **الممدوحُ بتركِ إعادةِ الحديثِ ومُعاتبةِ النَّديمِ**

قال شاعر:

ولستُ بلاحٍ لي نديماً بزلّةٍ ... ولا هفوةٍ كانت ونحنُ على خَمْرِ[1]
عركت بجنبي قول خذني وصاحبي ... ونحنُ على صهباء طيبةِ النشر[2]
وأيقنتُ أن السكْرَ طارَ بلبّه ... وأعرق في شتمي وقالَ وما يَدْري[3]

وقال ابن الجهم:

تنازَعوا لذّة الصهباء بينهم ... وأوجَبوا الرّضيع الكاس ما يجبُ[4]
لا يحفَظون على السكران زلّته ... ولا يريبك من أخلاقهم ريَبُ

- **استقالةُ مَنْ بَدَرَ منه في السُّكْرِ بادِرةٌ**

قال شاعر:

إذا حكّمتَ كوسَك في الندامى ... فحقُّهمُ الإقالةُ للعِثارِ[5]

---

(١) **لاحٍ**: لائم ـ **الزلة**: الهفوة. (٢) **الخدن**: الصاحب.
(٣) **أعرق في شتمي**: صار عريقاً في سبّي. (٤) **رضيع الكاس**: أخوه (في الرضاعة).
(٥) **الإقالة للعثار**: الصفح عن، والإنهاض من السقوط.

وقال آخر:

مـا عـلـى مـثـقـلٍ مـن الـنّـوم   والـسـكـران فـيـمـا أتـى من الآثـام

وقال آخر:

ومن يقرعِ الكأسَ اللئيمةَ سنّه   فـلا بـدّ يـومـاً أن يُـسـيء ويـجْـهَـلا

● المَمْدوحُ بِمسامَحَةِ رَفيقِهِ في الشُّرْبِ

قال بعضهم:

هلمّ اسقني كأساً ودَعْ عنك مَنْ أبى   وروِّ عِـظـامـاً قـصـرهـنّ إلـى بـلا
فـإنّ نـديـمـي غـيـر شـكّ مـكـرّم   لديّ وعندي من هواه الذي ارْتَضى
ولسْت له في فضلةِ الكاس قائلاً   لأصـرعَـه سـكْـراً تـحـسّ وقـدْ أبَى
ولـكـنْ أفـديـهِ وأكْـرِمُ وجـهَـه   واشْرَبُ ما يسقي وأسقِيه ما اشتهَى

وقال أبو نواس:

ولـسْـتُ بـقـائِلٍ لـنـديـم صـدْقٍ   وقـد أخـذَ الـشـرابُ بـوجـنـتَـيْـهِ
تـنـاولْـهـا وإلاّ لـمْ أذقْـهـا   فـيـأخـذُهـا وقـد ثُـقـلـت عـلـيْـه
ولـكـنّـي أداري الـشُّـربَ عـنْـه   وأصـرفُـهـا بـغَـمْـزَة حـاجـبَـيْـه
فـإن مـدّ الـوسـاد لـنـوم سُـكْـرٍ   دفـعْـتُ وسـادتـي أيـضـاً إلـيْـه

● مَنْ لا يُعتدُّ بمجالَسَتِهِ وَمَنْ يُعرِّضُ بِمَقْعَدِهِ

قال بعض المحدثين:

خـرجْـنـا جـمـيـعـاً إلـى نـزْهـة   وفـيـمـا زيـاد أبـو صَـعْـصَـعَـة
فـسـتّـة رهـطٍ بـه خـمْـسَـة   وخـمْـسـة رهْـطٍ بـهِ أربَـعَـة

وقال آخر:

عـنـدي جـعـلْـت لـك الـفـدا   سـهْـلٌ وسـهْـلٌ لـيْـس يُـجْـدي
إن لـم تـكُـنْ لـي ثـانِـيـاً   فـكـأنّـنـي فـي الـبـيْـت وحْـدي

وأصله لأبي حية:

أصمّ إذا ناديْتَ جهْراً وإن تشِر   فأعمَى وإن تفعَل جميلاً فجاحِدُ
وأقـسِـم بـرّاً أن لـولا خـيـالـه   لـما كنت إلاّ مِثْلَ من هو واحِدُ

وقال صاحب وفي يده كأس:

تـطـيـبُ كـؤوسُـنـا لـولا قـذاهـا   ويـحـتـمِلُ الـجـلـيـس عـلى أذاهـا

فقال النابغة:

قـذاهـا أن صـاحـبَـهـا لـئـيـمٌ   يـحـاسِـب نـفْـسه بـكـمِ اشـتَـراهـا

● طِيبُ مُجالَسةِ الإخوانِ ومُحادَثَتِهِم

قال شبيب بن شبة: لم يبق من لذات الدنيا إلا أربعة مجالسة الإخوان ومناسمة الولدان وملامسة النسوان ومداولة الكاس مع الندمان. **قيل لبعضهم:** ما بقي من لذتك، **فقال:** محادثة الإخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر.

وقيل لبعضهم: تمنَّ، **فقال:** وجه حبيب ومعين مصيب وساق أريب ونديم لبيب. وقيل لآخر: ما العيش؟ **فقال:** لون مشبع ومعين ممتع وكاس مترع ونديم مقنع. **وقيل:** مجالسة أهل الفضل ذكاء العقل.

● إيثارُ مُحادَثَةِ الإخوانِ عَلى غِناءِ القِيان

قال علي بن الجهم:

شـهـدتُـهـا وفـتـيـةٌ أخـيـارُ ... لـهـو هـم الإسـمـارِ والأشـعـارُ
ومـلـحٌ تـقـدّح مـثـلـهـا الـنـارُ ... بـمـثـلـهـم يُـعـاقَـر الـعـقـارُ[1]

وقال ابن المعتز في مدح ذلك:

بـيـن أقـداحِـهـم كـلامٌ قـصـيـرٌ ... هـو سـحـر ومـا سـواه كـلامُ

● إيثارُ التَفرّدِ بِالشرابِ وذَمُّه

قال أبو نواس في ذلك:

خـلـوتُ بـالـرّاح أنـاجـيـهـا ... آخـذ مـنـهـا وأعـاطـيـهـا
شـربـتـهـا صِـرفـاً عـلـى وجـهـهـا ... وكـنـت حـاسـيـهـا وسـاقـيـهـا

وقال المطوي:

أحـطبُ لـكـاسـك نـدمـاناً تـسـرّ بـه ... أو لا فـدِمْ عـلـيـه حـكـمـة الـعِـنَـبِ[2]

وقال آخر:

يـئـسـتُ مـن الألى أقـبَـلـتُ أسـقـى ... إلـيـهـم، إنـنـي رجُـلٌ يـؤوسُ

● التناهد

قال شاعر:

مـا الـعـيـش إلا لـلـمـنـاهـديـنـا ... مـؤنـة قـضـت عـلـى عـشـريـنـا[3]
ولـو تـفـرّدنـا بـهـا حـريـنـا

---

(١) الملح: الطرف والكلام الظريف جمع ملحة ـ يعاقر العقار: يداوم على شرب الخمر.
(٢) حكمة العنب: الخمر.
(٣) المناهدين: الذين يشتركون في شراء الطعام وأكله.

وقال بعضهم في متناهدين

وقال حفصٌ لزيدٍ حين ناهدَه ... منك النبيذ ومنّي اللذُّ والكوزُ
واللحم منك ومنّي النار أُنضِجُه ... والماءُ منّي ومنك الخبزُ مخبوزُ

وتناهد قوم وفيهم مفلس، فقال أحدهم: عليّ كذا، وقال الآخر: وأنا عليّ كذا، إلى أن قالوا للمفلس وأنت ما عليك، فقال: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قال الحسن بن سهل في جماعة من القوّاد يتناهدون

كنا نذمّ إلى التناهد بيننا ... حتى رأيت تناهد القوّادِ
لا خير في القوّاد إلا هكذا ... يتناهدون تناهُدَ الأوغادِ[1]
ترضى لنفسك أن تصاحِبَ معشراً ... يتناهدون على خسيس الزادِ

● التّعفّفُ عن التّعرّضِ لأخدانِ النّدماء

كان بعض الفضلاء ينادم صديقاً له فعشقته امرأته، فتعرضت له فامتنع عليها، وقال:

ربَّ حسناء كالمهاةِ تهادى ... قد دعتني لوصلِها فأبيتُ[2]
لم يكن بي تحرّجٌ غيرَ أنّي ... كنت ندمان زوجها فاستحيتُ

وقال آخر:

إنّي على ما ترين من كبري ... أعرف من أين تؤكل الكتف

إنّي على ما فيّ من لهو ... عهد الشبيبة والغضارة
لأغضّ من طرفي حياءً ... ممّن المديم على التّجارة

وكفى بعيب ذلك ما حكى الله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

● المُعيبُ بتعرُّضِهِ لِحَرَم نَديمِهِ

قال بعضهم لنديم رآه يرمق بعض حرمه:

كلْ هنيئاً وما شربتَ مريئاً ... ثم قم صاغراً وغيرَ كريمِ
لا أحبّ النديم يرمُقُ بالـ ... ـعينِ إذا ما انتشى لِعِرس النديمِ[4]

● المُتبجّحُ بالتّعرّضِ لِلنّدماء

قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرق الناس شعراً، قال: والبة بن الحباب، قال: صدقت. قال عمارة: وما يمنع أمير المؤمنين من منادمته وهو شاعر ظريف، قال: يمنعني منه قوله:

قلتُ لساقينا على خلوةٍ ... أدنِ كذا رأسك من رأسي

---

(١) الأوغاد: الأرذال والدنيئون.
(٢) كالمهاة: كالبقرة الوحشية.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٢٥.
(٤) عرس النديم: الزوج المصاحب على الشراب.

وأدن وضعَ صدرَك لي ساعةً إنّي امرُؤ أنكَحُ جُلاسِي

أفتريد أن تكون جليسه

ولبعض الخاسرين:

لا أبغضن منادمي إن نكتُه إنّي لنيك منادمي معتادُ

وكذاكَ لستُ ألومُه إن ناكني فلقد علمتُ كما أكيد أكاد

● **العَرْبدة**

قال الأصمعي: العربدة حية تنفخ ولا تؤذي، ومنه قيل لمعربد بوجهه خموش ما هذه الكلوم؟ قال: آثار الكلام وكان رجل معربد له يسار، وكان إذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم، **فقال لإنسان** هل لك أن تنادمني؟ **قال**: على أن تعربد عليّ عربدة بحو مائتين، فإني لا أقوى على عربدة خمسمائة **وقال الحسين بن خليع** نادمت يوماً إبراهيم بن المهدي فسكر وعَرْبد عليّ، فدعا بالنطع والسيف، فتكلم في أصحابه فتجافى عني، ثم تأخرت عنه فدعاني، فكتبت إليه

أسيرُ حسيرُ منسوبٍ إلى شيءٍ من الحيفِ[1]

سقاني مثلَ ما يشـ ـربُ فعل الحرّ بالضّيفِ

فلمّا دارتُ الكاسُ دعا بالنطع والسيف

كذا من يشربُ الراحَ مع التنّين في الصيف[2]

فدعاني وأرضاني.

ثم كان المأمون يضاحك إبراهيم بهذه الأبيات ويولع بها.

وسئل عبيد الله بن محمد عن طنبوري به، **فقال** هو بليد حديد عربيد أن حث عثر وإن أمسك قصر، وان ابتدأ غلط، وإن اقترح عليه سحط، وإن دُعي مطل وإن ترك تطفل. **وقيل**: صاحب السكر يصير إمّا إلى قردية وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي، أو إلى كلبية وهو الذي يهارش، أو إلى خنزيرية وهو الذي يقيأ ويخرأ ويتلوّث فيه، أو إلى إنسانية وهو الذي يحسن خلقه. **ولبعضهم يصف معربداً**

إذا انتشى خاصم في الدين وإنْ صادفَ إنساناً يُمَارِيهِ[3]

ويدّعي الشرب ويهذي به والقدح الواحدُ يكفيهِ

يحبس كاسَ القوم في كفّه حتى إذا قالوا له إيهِ[4]

أفضل ثلث الكاس في قعرها ومجّ ثلثَ الكاسِ من فيهِ

---

(١) الحيف الظلم.

(٢) التّنين الحية العظيمة

(٣) يماريه. يجادله وينازعه.

(٤) قالوا له إيه. قالوا له أن يستزيد في الشراب.

وقال أبو نواس:

ومـعـربـدٍ أبـرزتـه ... لـلـريـح إذ سـبَّ الـنـدامـى
أغـلـقـت بـابـي دونـه ... وتـركـتـه يـرعـى الـخُـزامـى[1]

ويضاد ذلك ما حكي أنه أتى لعريان بشارب، فقال من أنت؟ قال أنا القائل

إذا صلمتني الكأسُ أبدت محاسني ... ولم يخش ندماتي على صدمها جَهْلي

فقال العريان أنعم الله بك عيناً، وقال لصاحبه: إحمله على دابتك وبلغه منزله.

- **مَدْحُ الصَّفْعِ واحتجاجُ الصفعانِ للملك**

الصفعُ علّة ولكنه مدلّة ويذهب بإحنة العليطة من العينين، إذا أردت أن يكثر نفع دارك فاصبر على الصفع المتدارك. الصفع في هذا الزمان خير من علّة ستان. الصفع على الريق أنفع من شرب السويق. وقيل لصفعان: ما تمعى في الصفع؟ قال: هو أول منزلة من التواضع وهو يحسن الخلق ويذهب بالصعار ويخفف من الخمار ويؤمن البدن من الاقشعرار، ومن فضائله أنه يونس المستوحش ويبسط المنقبض ويضحك الحزين وينشط الكسلان ويزيل النعاس ويقوي الرس. صفع رجل آخر فغضب المصفوع، فطأطأ رأسه، وقال له: حقك في يدك خذه ولا تغضب.

- **مُعارَضةُ صَفعان لِمَنْ صَفَعه**

كان صفعان مع قوم فصفعه بعض لم يكن يؤبه به من بينهم، فقال الصفعان: يا كشخان هذا يفعله من كان له قصر وفي داره طاوس وعلى بابه نعامة، لا من في داره ديك وعلى بابه كلب وحجرته بالكراء.

وصفع رجل آخر فالتفت إليه، وقال: صفع بصفع أو صفع بنعم.

- **المَهْجُو بأنه صَفْعان**

قال شاعر:

قـفـاه عـلـى أكُفّ الـشـرب وقْـفٌ ... وجـلـدةُ وجـهـه مـيـدانُ ريـق[2]

وصفع أحمد بن إسماعيل الكاتب صاحباً له، فقال

سـائـلْ طـلـولَ الـقـفـا ومـصـفـعَـهـ ... كـيـف تـرى راحـتـي ومـرقـعَـهـا
كـم صـائـنٍ هـامـة مـمـتـنـعـة ... ذلّـلـهـا صـافـعٌ وطـبّـعـهـا

ولابن حجاج في المتنبي:

يـا ديـمـةَ الـصَّـفـع هـبّـي ... عـلـى قـفـا الـمـتـنـبّـي

---

(١) الخزامى: نوع من الزهر طيب الرائحة. (٢) الريق: اللعاب

وأنتِ يا رِيحَ بطني ... على عذارَيه قُبَّتي[1]
ويا قفاه تداني ... واقعد قريباً بجنبي
وإن صفعتك ألفاً ... فلا تقولن حسبي

وله في بعض الكتاب

رأيتُ شيخاً رقيعاً ... للصفع فيه بقيه
مستعرباً نبطياً ... ويشتهي العجميه
فقلتُ دقنك في إستي ... هذا من العربيه
وريشك بباب كوني ... هذا من العجميه
أولا فدعج سوطني ... هذا من النبطيه
هذي لغاتٌ ثلاثٌ ... صحيحة مشتويه

وقال ابن الرومي:

وصفعان يجودُ بأخدعيه ... ويصفع نفسه في الصافعينا[2]
كهدم المشركينَ بيوتَ سوء ... بأيديهم وأيدي المؤمنينا

ومما يدخل في باب الصفع، خاطر رجل على أن يصفع المطلب الهاشمي بباب الطاق فيشكره المطلب على ذلك، فوقف يوماً على طريقه وصفعه من خلفه في النقرة، وقال: العقرب العقرب وكان معه عقرب منزوع الحمة فلما رأى المطلب العقرب شكره، وقال: جزيت خيراً فلولا أنت لدغتني.

● وصفُ ثقيل

ما الحمام على الإصرار وحلول الدين مع الإقتار[3] وشدة السقم على الأسفار بأثقل من لقاء فلان. وقال رجل لأبيه يا أبت: حدثني مستملي أبي حنيفة أن أبا حنيفة قال: إني ثقيل، فقال: يا بني أنت ثقيل بالإسناد. ووصف آخر ثقيلاً، فقال: هو ثقيل جاهل بثقله والثقيل إذا علم أنه ثقيل فليس بثقيل. قال شاعر:

أثقل مِنْ طلعة يوم سبتٍ ... على ابن كتاب بليد هيت[4]

وفسر سعيد بن المسيب قول الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[5]، إنه ثقيل لغير رشده. وقال إنسان لأحمد بن أبي خالد: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ، فقال له: لئن لم تخرج من ذلك لأقتلنك، فقال: إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب

---

(١) عذاريه: العذار جانب الخد. (٢) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق.
(٣) الإقتار: الضيق في النفقة.
(٤) الهيت: من هته هتاً ضربه والهييت والمهبوت الجبان الذاهب العقل.
(٥) القرآن الكريم: القلم/ ١٣.

لانفضوا من حولك﴾[1] وأنت فظ وما يبرحون حولك، فضحك منه

رأيتــه أثـقــل مــن رضــوى ... أثـقـلُ مـن واشٍ عـلـى عـاشـقِ[2]

قال أبو العتاهية لابنه: أنت ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم. وقال شاعر:

كـمـثـل غـريـم مـقـتـضٍ أو كـأنـه ... طـلـوعُ رقـيـبٍ أو نـهـوضُ حـبـيـبِ

وقال أبو نواس:

لـطـلـعـتـه وخـزةٌ فـي الحـشـا ... كوخز المشارطِ في المحتجم

وقال أحمد بن حمدون:

صـلـفٌ مـائـقٌ ضـعـيـفٌ مـقـيـتُ ... أحمقٌ سادخٌ ضعيفُ الكتابه[3]

وقال آخر:

وبـغـيـض لـو أنـه كـان صـوتـاً ... كـان إيـقـاعـه ثـقـيـلَ الـثـقـيـلِ

وللصاحب:

ثـقـيـلٌ قـد تـربـعَ فـي الـطـنـافـس ... يـنـافـس فـي لـجـاجـتِـه الـخـنـافـس

• الحثُّ على مُصابرَة الثَّقيل

سأل رجل صديقاً له أن يمشي معه إلى إنسان في حاجة، فقال: أحب أن تعفيني، فإنه ثقيل بغيض غث، فقال صاحبه: يا سيدي أحسبه الكنيف الذي تأتيه كل يوم مرتين.

• صُعوبةُ مُلاقاةِ الثُّقلاء

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلا اشتكت عيني، وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت، لما يداخلني منه. وقال ابن عمر رضي الله عنه: اتقوا من تبغضه قلوبكم. وقال مالك لطبيبه: أنظر مجسي مجسه، وقال: مزاجك معتدل إلا أن فيه كدراً فهل وصل إليك اليوم بغيض؟ قال: نعم، قال: فهو من ذاك. وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح، ومنه أخذ أبو عمان:

أورثـتـنـي بـجـلـوسـي ... إلـيـك حـمّـى مـلـيـلـه

وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمس مجالسة الثقيل، فقال: لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح.

• الأحوالُ المُفضِيةُ لِلثِّقل

قال ابن سيرين: مكتوب في كتب سوء الأدب إذا أتيت منزل قوم فلم ترض بما

(١) القرآن الكريم: آل عمران/١٥٩.
(٢) أثقل من رضوى: أثقل من جبل رضوى - الواشي: النمام.
(٣) صلف: متكبر - مائق: أحمق - المقيت: الممقوت.

يأكلون، وسألتهم ما لا يجدون، وكلفتهم ما لا يطيقون، وأسمعتهم ما يكرهون، فإن لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون.

وقيل: من مقتضيات الثقل أن يكون الإنسان يتناعس وهو يقدر أن يتكايس. ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس، فلما خرج الناس **قال**: هل من حاجة؟ **قال**: لا، فانظره ساعة، ثم قال ما اسمك؟ **قال**: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، **فقال لحاجبه**: خذ بيد أبي عبد الله محمد بن عبد الله واطرحه إلى لعنة الله.

● التَّعريضُ بِثَقيل

قال ابن عائشة: ذكر الله تعالى الثقلاء، **فقال**: فإذا طعمتم فانتشروا. وشرب بغيض عند رجل، فلما أمسى لم يأته بسراج، **فقال**: أين السراج؟ **قال**: إن الله يقول وإذا أظلم عليهم قاموا.

قال ثعلب لرجل استثقله: خاتم طاوس، فلم يعلم الرجل ما عناه، فقال له ثعلب: إن طاوساً نقش على خاتمه أبرمت فقم، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه.

وعاد الشعبيَّ ثقيلٌ فأطال الجلوس، ثم قال: ما أشد ما مرّ عليك في مرضك، **قال**: قعودك عندي. ودخل ثقيل إلى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به، فكتب رقعة ودفعها إليه فيها:

إن كنتَ تزعمُ أن الدار تملكُها حتى بقومَ فمبغي غيرِها دارا
أو كنتَ تعلمُ أن الدار أملِكُها فَقُمْ لكيْ تذهبَ الأحزانُ والعارا

ودخل علي ابن مكرم أخوان من أولاد دينار، فاستثقل أحدهما واستطاب الآخر، فانزعج الثقيل وبقي الآخر.

فقال له ما مثلك ومثلُ أخيك إلا ما قال الله تعالى. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

● اغتيابُ الثُّقَلاءِ والوقيعةُ فيهم

قال معمر: لا غيبة للثقلاء والوقيعة فيهم من اللذات. وفي مجالسات أبي بكر بن دريد لم يبق من لذة الدنيا إلا أكل القديد وحك الجرب والوقيعة في الثقلاء.

وفي وصف بارد: هو جبل همدان وماء سيدان، **قال يوسف بن المغيرة**:

ومن يقتلِ الأبطالَ بأساً ونجدةً فإن أبا يعقوب يقتُلُهم بَرْدا

وقال آخر:

إنما ظرفُ أبي العيناء في المجلسِ لحظُه فإذا طاولتَه استبردتَ معناه ولفظَه

---

(١) القرآن الكريم: الرعد/١٩.

- **وَصْفُ ساقٍ يَشْغَفُ الشَّرْبَ بِحُسنه ويُلْهيهم بِغُنجِه**

لأبي فراس وقد حضر مجلساً فثمل، فقيل له: سكرت، فأنشأ يقول:

مسكرْتُ من لحْظه لا من مُدامَته — ومالَ بالنَّوْمِ عن عيْني تمايلُه

وما السّلاف دهتْني بلْ سوالفُه — وما الشّمولُ دهتْني بل شمائِلُه[1]

لوَى بعَقْلي أصداغٌ لُوينَ له — وغالَ صبْري ما تحْوي غلائِلُه[2]

وقال آخر:

وساعٍ على صحْبي بصهباء — كالغصْن المغتص بالماءِ

أغارُ من وقفته كلّما — قال لحاسي الكاسِ مولائي

حتّى لقد صاروا وهم أخوتي — من شدّة الغيرة أعدائي

- **وَصْفُ ساقٍ تُشبهُ وَجْنتُه خَمْرَة**

قال ديك الجن:

مقام بخمر يخضب الكفّ كأسُها — وتحسَبه من وجنَتَيه استعارَها[3]

أخذه ابن المعتزّ وزاد عليه، فقال:

تدورُ علينا الراحُ من كفّ شادنٍ — له لحظُ عينٍ يشتكي السقْم مدنفُ[4]

كأن سلاف الخمرِ من ماءِ خدّه — وعنقودَها من شعْره الجعْدِ يُقطفُ

وقال جحظة:

وخَمارةٍ منْ بنَات القُسوس — تبيعُ المُدامَة في دارِها

وجاءت تهادَى كقدّ القَضيب — سقتْه الغَوادي بأمطارِها[5]

وفي كفّها قهوةٌ في الإناءِ — وكالنّار لم تعلِ في نارِها

كوجنةِ منْ هيَ في كفّها — ونكهتها وقتَ أسحارِها

فمن قارصٍ وردتيّ خدّها — ومن جادب فضْل زنّارِها[6]

وقال الفرج الصالحي:

ثملٌ من خمْر ريقته — عطرٌ من ورْد وجنَتِه

---

(١) السلاف: أفضل الخمر ـ الشمول: من أسماء الخمرة.

(٢) الأصداغ: جمع صدغ، ما بين العين والأذن من جانب الوجه ـ وغال صبري: سرقه وذهب به ـ ما تحوي غلائله: أو ما تضم ثيابه من مفاتنه.

(٣) استعارها من وجنتيه: أي مورّدة.

(٤) الشادن: ولد الغزال ـ المدنف والدنف: الذي برمه المرض الشديد.

(٥) الغوادي: جمع الغادية، وهي السحابة التي تنشأ وتمطر غدوة.

(٦) فضل زنارها: الزائد من ثوبها.

قــامَ والأردافُ تُــقْــعِــدُهُ — والــدُّجــا مِــن لَــوْنِ طُــرَّتِــه
فَــسَــقــانــي الــخَــمْــرَ مِــن يَــدِه — وحــلــلْــنــا عــقْــدَ تِــكَّــتِــه[1]

● ساقٍ يَطيبُ مِنْ يدِهِ المُدام

قال شاعر:

ولَــم يــكُــنِ الــشّــرابُ كــذا لذيذاً — ولَــكِــن طــابَ حــامِــلُــه فــطــابَــا

وقال ابن المعتز:

إشْــربْ عــقــاراً كــأنّــهــا قَــبَــسٌ — قــد سَــبَــكَ الــدهــرُ تــبــرَهــا فَــصَــفَــا
بِــيَــدَي لِــثَــامِ الإبــريــقِ مِــن دمِــهــا — كــأنّــه راعِــفٌ ومــا رَعَــفَــا
بِــكَــفِّ ســاقٍ حــلــوٍ شــمــائــلــه — مُــكْــرٍ لِــلَــحْــظِ عــيــنِــه صَــلَــفَــا[2]

● وَصْفُ الشّرابِ والسّاقي

وقال السري الرفاء، وقد أحسن في وصف الساقي

وكــأنّــمــا أبــدى لــنــا بــمُــدامِــه — وجــمــالِــه صــاحَ الــعــزيــزَ ويــوسُــفــا[3]

وقال أبو نضلة

قــامَ الــغــلامُ يُــديــرُهــا فــي كــأسِــه — فــكــأنّ بــدرَ الــتِّــمّ يــحــمِــلُ كــوكَــبَــا

وقال الخوارزمي

يــدورُ بــهــا ظَــبْــيٌ تــدورُ عــيــونُــنــا — على عينيه من شرط يحيى بن أكثمِ
يُــمَــزِّجُــنــا مــن ثــغْــرِه ومُــدامِــه — وخــدَّيــه فــي شَــمْــسٍ وبــدْرٍ وأنْــجُــمِ

● حَثُّ الساقي على السَّقْي.

قال شاعر:

أيُّــهــا الــسّــاقــي أجِــدْ حــثَّ الــقَــدَحِ — واسْــقِــنــي ويْــحَــكَ مِــفْــتــاحَ الــفَــرَحِ

وقال أبو نواس:

أيُّــهــا الــسّــاقــي غــلامــا — تــحــبِــسُ الــكــأسَ عــلامَــا
بَــعْــدَ مــا لــذّت وطــابَــتْ — ونَــفَــتْ عــنّــا اهــتِــمَــامَــا
سُــمّــيَ الــخَــمْــرُ مُــدامــا — فــأدِم هــذا الــمُــدامَــا
وصِــلِ الــكــأسَ بــكــأسٍ — تَــدَعِ الــشّــيْــخَ غُــلامَــا[4]

---

(1) تكته: رباط سرواله.
(2) صلفاً: تكبراً.
(3) يوسف: النبي يوسف، والمقصود جماله.
(4) تدع الشيخ غلاماً: تعيد إليه نضارة الشباب.

● حَثُّ القَوْمِ على الشُّرْب

كان رجل يشرب مع قوم، فردّ أحد القدح أطال إمساكه، فقال ساقيهم: إشرب وهبه في كمك من يوم مولدك. وقال آخر لمن يحبس الكأس: أليس لو بقي في كمك أياماً وقد مزجته كان يتغير؟ قال: نعم، قال: فلا أرى ساعة تمضي إلا ولها قسط من التغير، فاشربه.

وكتب بعضهم على كأس:

قـالَـتِ الـكـأسُ لـسـاقِـيـهـا إلـى ... كـــمْ تـــحـــتَـــبـــرونـــي

إنّ جـــســـمـــي مـــنْ زُجـــاجٍ ... فـــاحـــذَرُوا ألا تـــكـــســـرونـــي

واجـعَـلـوا الـسّـاقـي حـشـفـ ... ـاً ومـع الـخـشـف ذرونـي[1]

وإذا أنـــتـــم ثـــقـــلـــتـــم ... فـــخـــذونـــي فـــي ســـكـــونـــي

● الحثُّ على المَزْجِ والمَنْعِ مِنْه

قال أبو نواس:

فـقـومـاً فـامـزُجـا خـمْـراً بـمـاءٍ ... فـإن نـتـاجَ بـيـنـهـمـا الـسـرورُ

وكان رجل يسقي آخر صرفاً، ويغني له:

يـديـرونـني عـن سـالـم وأديـرُهـم ... وجـلـدةُ بيْن العيْن والأنفِ سالمُ

فكان ينشد وجلدة ما بين العين والأنف سالم فيكسر البيت ويريد فيه لفظة ما، فقال صاحبه: الأولى أن تجعل ما التي في بيتك في قدحك، وقال حسان في المنع من المزج

إن الـتـي نـاولـتـنـي فـرددتُـهـا ... قُـتِـلـت قـتـلـت فـهـاتـهـا لـم تُـقْـتَـلِ

كـلـتـاهـمـا حـلـبُ الـعـصـيرِ فـعاطِني ... بـزجـاجـةٍ أرخـاهـمـا لـلـمِـفْـصَـلِ

وقال أبو نواس:

أثْـنِ عـلـى الـخـمْـر بـآلائِـهـا ... وسـمِّـهـا أحـسـنَ أسـمـائِـهـا

لا تـجْـعَـلِ الـمـاءَ لـهـا قـاهِـراً ... ولا تُـسَـلِّـطْـهـا عـلـى مـائِـهـا[2]

وأنكر بعض الشرب على الساقي كثرة المزج، فقال: تريدون في مائكم نبيذاً.

● حثُّ الساقي على العَدْل بَيْنَ القَوْمِ

قال علي بن داود في كتاب الزهرة: ليتحرّ الساقي العدل فإنه والي العقول وإلا ناله من خجلة الاستعفاء ما ينال الوالي من خجلة العزل.

---

(1) الخشف: ولد الغزالة أوّل ما يولد.

(2) لا تجعل الماء لها قاهراً: لا تمزجها بالماء.

(٣)
ومما جاء في وصف المجالس وأمكنة الشرب.

●

● اختيارُ المَجْلِسِ الفسيح

قيل للأحنف: أي المجالس أحب إليك؟ **قال:** ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن. **وقيل:** المنازل الضيقةُ العمى الأصغر. **وسئل بعضهم عن الغنى، فقال:** سعة البيوت ودوام القوت. **وقيل لبعضهم:** ما السرور؟ **فقال:** دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مربوطة بالفناء. **وقيل لبعضهم:** أي المجالس أطيب؟ **فقال:** لولا أن الشمس تحرق والمطر يغرق لما كان في الدنيا أحسن من شرب في الفضاء على وجه السماء.

وحدثني أبو سعيد بن مرداس أنه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون فأصابهم مطر، فقال ابن بابك:

وشى بريّا إليّ ... طيفٌ ألمّ وحيّا
وسقتني شمولٌ ... تموتُ فيّ وأحيا
يا صخرةَ الرّعدِ رشّي ... مَنْعَ الغمامِ عليّا
فحبّذا الرّوحُ وِرْدًا ... ومستحمى الورقيّا
هذي سماءُ مُدامٍ ... لم تَمْشِ فيها الحُميّا
فكُلّ كرمٍ سماءٌ ... وكلّ نجمٍ ثريّا

● حَديثُ كلِّ مَجْلس

قال أرسطاطاليس للإسكندر: احفظ ما أقول لك، إذا كنت في مجلس الشرب فعليك مذاكرتك الغزل فإنهم يأنسون إلى ذلك، وإذا جلست إلى خاصّتك فاذكر الحكمة فإنهم لها أفهم، وإذا خلوت للنوم فاذكر العفّة فإنها تمنعك أن تضع النطفة في ما لا معنى له.

● مَدْحُ القُعودِ في طَرَفِ المَجْلِس والاعْتِذارُ للملك

دخل بعض الصوفية على الجنيد وقعد في طرف المجلس، **وقال:** حسبي يا سيدي من مجلسك مكاني من قلبك. **وقيل:** الأطراف مجالس الأشراف. ودخل رجل على بعض الكبار فصدّره، ثم دخل آخر **فقال له:** تنحّ قليلاً فرفعه إلى جنبه، ثم دخل آخر **فقال له مثل قوله.** فلم يزل الداخل الأول يتنحى حتى صار في طرف البساط، **فقال لصاحب المنزل:** قد تفرزنت أقوم فأرجع إلى موضعي، فضحك منه ورفعه إلى موضعه الأول.

● الجلوسُ على الطُّرقِ وفي المَساجِد

مر رسول الله ﷺ على رهط، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **فقال:** إيّاكم

والجلوس بهذه فإنها سبيل من سبل النار، أو قال من سبل الشيطان، ثم التفت فقال: فإن أبيتم فأدوا حق الطريق، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: رد السلام وغض البصر وكف الأذى وهداية الضال وإغاثة الملهوف.

وقال الشعبي: من أراد أن يكثر علمه فليجتنب مجالس قومه. وقيل: المساجد مجالس الكرام.

● **ذَمُّ الجُلوسِ في الشَّمْسِ وَحَمْدُهُ**

رُوي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً جالساً في الشمس، فقال: قم عنها فإنها مبخرة مجفرة تخلق الريح وتظهر الداء الدفين وتذهب شهوة الشتاء.

وقال أبو تمام:

وإن صريحَ الحزْمِ والرأيِ لامرئٍ إذا أدركَتْه الشمسُ أن يتحوّلا

● **ضِيقُ المَجْلِس**

ما ضاق مجلس على محبين ولا اتسع لمتباغضين.

وقال الصاحب في معناه، وقد نقله من أبيات خراسانية:

كنا وأسبابُ الهوى متّسقةْ نُخكى من الورد معاً في ورقه[1]

واليومَ إذ أسبابُه مفترِقة ضاقت الدنيا علينا خَلِقه

وكثر تمثل الناس بقول الشاعر:

لعمرُكَ ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها ولكنّ أخلاقَ الرّجالِ تضيقُ

وقال ابن المعتز، وقد حضر قوماً ضاق بهم المجلس:

لا تحسبَنّ الدّهرَ يجمع حبه في تشرةٍ إلا كما نحن هُنا

وقال آخر يعتذر من ضيق داره وقلّة زاده

إن يضِقْ منزلي فإنّي كريم واسِعُ الخلْقِ واسعُ الآدابِ

لستُ آسى على الكثيرِ من الزا دِ إذا كانَ فيه قوتُ صِحابي

● **الحَثُّ على التوسُّعِ لِمَنْ حَضَرَ المَجْلِس**

قال النبي ﷺ: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا. وقال الله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2] (الآية). حضر بعض الناس مجلس الحسن بن سهل، وكان المجلس ضيقاً، فقال: تحفروا فإن في التحفر توسعة الجالس المستوفر. قيل: اثنان ظالمان رجل وسع له في مكان ضيق

---

(1) في ورقه: في بهجة.

(2) القرآن الكريم: المجادلة/ ١١.

فقعد فيه متربعاً متصحاً، وآخر أهديت له نصيحة فاتخذها ذنباً

● تَفَقُّدُ الجِلْسة

قال عبد الملك: إني لأعرف عزّة الرجل في جلسته. وقيل: اختلاف صور جلوس الناس على اختلاف أحوالهم. وقيل: للمملوك جلسة وللراعب جلسة وللندام جلسة وللملاعب جلسة وللمطرب جلسة وللضيف جلسة.

● الانتقالُ مِنَ مَجْلِسٍ إلى مَجْلِس

قال الصولي: شرب عندي ابن أبي عون يوماً، فقلت له قم بنا ننتقل إلى مجلس آخر، فقال: النقلة من الإسلام كفر ومن النسب لؤم ومن المجلس سخف. وقيل لبعضهم: انتقل، فقال: النقلة مثلة.

وكان المأمون كثير التنقل في مجالسه، ويتمثل بقول أبي العتاهية:

لا بدّ للنفسِ إن كانَتْ مدبِّرَةً ... من التنقّلِ من حالٍ إلى حالِ

● حَمْدُ الرّاضي بالقُعود دون ما يَسْتَحِق

قال الأحنف رحمه الله: ما جلست مجلساً خفت أن أقام منه لغيري. وقال الشعبي: لأن أدعى من بعيد أحب إليّ من أن أدفع من قريب.

● مَجْلِسٌ أو وقْتٌ مُسْتطَابٌ

قال ابن أبي البغل:

جلسنا مجلساً حسناً نظيفاً ... خَلا من كلّ ذي صلَفٍ وبغضِ[1]

وقال آخر:

ومجلسٌ عابَ عنه عاذِلُه ... تُبدّل فيه الهمومُ بالطّربِ

وقال ابن المعتز:

كأنا من بشاشتنا ظللنا ... بيومٍ ليسَ مِنْ هذا الزّمانِ

● إيثارُ الشُّرْبِ واللّهوِ باللّيل

كان ابن المعتز لا يشرب إلا ليلاً، ويقول: الليل أمتع، لا يطرقك فيه خبر قاطع ولا سبب مانع، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور. أخذ ذلك كشاجم، فقال:

اتخذ الليلَ جملاً ... ما حمَلَ الليلُ حمَلْ

آمنٌ فيه زائراً ... يشغلُني عنِ الشُّغُلْ[2]

---

(١) ذو صلف: ذو تكبر.

(٢) الشغل: ضد الفراغ.

وقال آخر:

ولم أرَ مثل الليلِ جنّة فاتِكٍ　　إذا همَّ أمضى أو غنيمة ناسِك

وقال بشار:

قد نامَ واشٍ وغابَ ذو حسدٍ　　فاشرَبْ هنيئاً خلا لكَ الجَوّ

ويروى لمحمد بن بشير ويقال: كتب معاوية إلى إبنه يزيد بهذه الأبيات:

شمّر نهاراً في طِلابِ العُلا　　واصبر على هجرِ الحبيبِ القريبِ

حتى إذا الليلُ أتى مُقبِلاً　　واكتحلَتْ بالغمضِ عينُ الرّقيبِ

فَبَاشِرِ الليلَ بما تشتهي　　فإنَّما الليلُ نهارُ الأريبِ

كم فاسقٍ تحسبُه ناسِكاً　　يستقبلُ الليلَ بأمرٍ عجيبِ

ويُروى أن يحيى بن خالد كتب إلى الفضل ابنه، وهو بخراسان، وقد بلغه اشتماله باللهو

أما بعد فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره، وقد يهفو الحكيم ويزل الحليم ثم يرجع إلى ما هو به أولى، حتى كان أهل دهره لم يعرفوه إلا به، وقد كتبت إليك بأبيات إن أنت خالفتها هجرتك وعزلتك. وكتب إليه بالأبيات المتقدمة، فلما قرأها آلى على نفسه أن لا يشرب النبيذ بخراسان.

● الحثُّ على مُبادَرَةِ الصّباحِ في تَناوُلِ الرّاحِ

قال جحظة:

قد بدا إلي الصبحُ يا مو　　لاي يحدو بالظّلامِ

فانتبه نقضِ لُبانا　　تِ اعتناقٍ والتزامِ

قبلَ أن تفضحنا عو　　رة أنفاسِ النّيامِ

وقال أبو نواس:

بادِر صباحَكَ بالصّبوحِ ولا تكنْ　　كمسوّفينَ غدوا عليكَ شِحاحَا[1]

وخَدينِ لذاتٍ مُعَلِّلٍ صاحبٍ　　يقْتاتُ منه فكاهةً ومُزاحا

نبهتهُ والليلُ ملتبِسٌ به　　وأزحتُ عنه نعاسَه فانزاحا

قال إبغني المصباحَ قلت له اتئِد　　حسبي وحسبكَ ضوؤها مِصْباحا

● إيثارُ الشُّربِ بالنّهارِ والصّبوحِ

قال المعلوي.

إنّ شربَ النبيذِ سيرٌ إلى اللهـ　　ـو وخيرُ المسيرِ صدْرُ النّهارِ

---

(1) كمسوّفين. كمماطلين ـ حسبي وحسبك مصباحاً يكفيها ضوء الخمرة نوراً

وقال آخر:

ومن العجائبِ أن يكونَ نبيذُه … كدمِ الذبيحِ وأمرُه متظاهِرُ
فتراه يَنفطِرُ الغَنِيّ بشُربِه … واليومُ منهملُ السحائبِ ماطرُ

وقال كشاجم:

وأحبُّ أوقاتِ النعيـ … ـمِ إليَّ في وقتِ السَّحَرْ

● أوقاتُ الشُّربِ في الأسبوع

كان الوليد يشرب يوماً ويدع يوماً، وسليمان يشرب في كل ليلة، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار، وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات، وكان المأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة.

● قَصْدُ الحاناتِ

من عادتهم: التبجح بقصد الحانات وبيع الخمر، ولذلك قال طرفة

متى تَبْغِني في حلْقَةِ القومِ تلقَني … وإن تلتمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ[1]

وبكر أبو الهندي على خمار فاصطبح وسكر ونام، ودخل على الخمار فتيان فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى ناموا، فلما استيقظ أبو الهندي رآهم فسأله عنهم فأخبره بهم، فقال: ألحقني بهم فأقاموا على ذلك عشرة أيام، فقال أبو الهندي يصف ذلك:

ندامي بعد عاشرة تلاقَوا … تضمّهم بكوذبان راحُ[2]
رأوني في الشروق على وسادٍ … بفيضُ سمهجتي وردٌ وراحُ
فقالوا أيها الخمار من ذا … فقال أخ تخوّنه صلاحُ
فقالوا قُمْ فألحقنا وعجل … به إنا لمصرعه نراحُ
وحان تنبّهي فسألتُ عنهم … فقال أتاحهم قدرٌ متاحُ
فقلت له فسرّحني إليهم … حثيثاً والسّراحُ هو النجاحُ
فما إن زال ذاك الدأبُ منا … إلى عشر نُفيقُ ونستباحُ

وله:

وصاحب حانوتٍ عشوتُ لنارِه … وقد مالتِ الجوزاء نحوَ المغاربِ[3]
فقالَ ألا عجّل لنا النقْد إننا … أناسٌ أخذْنا بالكرا والضرائبِ[4]

---

(١) حلقة القوم: مجلس أشراف العشيرة. الحوانيت: الخمارات.
(٢) كوذبان: مثنى كوذب وهو موضع (معجم البلدان لياقوت: ٤/ ٥٥٥)
(٣) الجوزاء: أحد الأبراج في السماء. (٤) الكرا: الكراء، أجرة المستأجر.

شربتُ له عشرين بيضاً كأنّها | على كفّةِ الميزان زهرُ الكواكبِ
نصبتْ لنا حمراءَ ينزوُ حبابُها | إذا شعشعت بالدنّ نزوَ الجَنادبِ[1]

وقال ابن المعتز، وهي أبيات مستحسنة ولذلك ذكرت جملتها

وفتيانِ صدقٍ قد بعثتُ بسحرةٍ | إلى بيتِ خمّارٍ فحطّوا به رحْلا
وقامَ إلى مخزونةٍ بابليةٍ | كسَتْ دنّها أيدي عناكبِها غَزْلا[2]
مسنّدةٍ قامت ثلاثين حِجّةً | كواصعةٍ رِجْلاً وقد رفعَتْ رِجْلا
وأخرجَ بالميزانِ منها سبيكةً | كما فتلَ الصواغُ خلخالَه فتْلا
إذا قرِعتْ بالماءِ خلتَ بكأسِها | مدبّاً تعلو أكارعه رمْلا
فلما رأوها في الزجاجةِ سبّحوا | وكبّر إجلالاً لها العِلْجُ أو صلّى
وظلّ يُناجي شحَّ نفسٍ وجودَها | تطوّراً بها صعباً وطوراً بها سهْلا
فما زالَ حتى زالَ بالمالِ حكمه | ولم ندّخر عنها السماحةَ والبَذْلا[3]
وجاؤوا بها كالشمسِ يأكلُ نورَها | زجاجتها في كفّ شاربِها أكْلا
عروسٌ جعلْنا مهرَها بعضَ ديننا | فما رضِيَتْ حتى وهبْنا لها الكُلاّ

وله:

لا علمَ لي أين يثوي الخضر من بلدٍ | لكنّ إبليس في قطربل ثاوي[4]
بحيثُ لا لومَ في سكْرٍ ولا طربٍ | ولا يقيمُ في أفعالِه غاوي

(٤)
ومما جاء في وصف آلات الشرب والمجالس

•

● **الأباريقُ المفدّمة والطّوالُ الأعناق**

وقال أبو الهندي:

مفدّمةٌ قزّاً كأنّ رقابَها | رقابُ بناتِ الماءِ أفزعَها الرّعْدُ[5]

وقد زاد هذا على قول علقمة:

كأنّ إبريقَهم ظبيٌ على شرفٍ | مفدّمٌ لبسِ الكتّانِ ملثومُ

---

(١) ينزو حبابها: تثب فقاقيعها.
(٢) المخزونة البابلية: الخمرة المعتقة ـ الدن: وعاء الخمر.
(٣) البذل: العطاء السخي.
(٤) القطربل: اسم بلد موصوف خمره.
(٥) بنات الماء: ما يألف الماء من أجناس الطير.

وقال آخر:

كأنّ أباريقَ الشمولِ عشيّة ... أوزٌ بأعلى الطفّ عوجُ الحناجرِ

وقال ابن المعتزّ في إبريق في فمه قطرة:

كأن إبريقَنا والراحُ في فمِه ... طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقارِ

● قَرْقَرةُ الإبريق

قال ابن المعتزّ:

وكأن إبريقَ المُدامةِ بيننا ... ظبيٌ على شرَفٍ أنافَ مدلّها[1]

لما استحثتْها السقاةُ حنا لها ... فبكى على قدحِ النديمِ وقهقَها

وقال الزاهي:

كأن إبريقَها فينا مُعطّرةً ... مدّتْ جناحاً وقد غنّت بتغريدِ

وقال أبو نواس:

كأنَّ قهقهةَ الإبريقِ إذ سُكِبَت ... رجْعُ المزاميرِ وتعريدُ فأفاءِ[2]

وقال آخر:

والكونُ يضحكُ كالغزالِ مسبِّحاً ... عندَ الركوعِ بلفظةِ الفأفاء

وقال ابن أبي البغل:

نادمْتُ إبريقَها فتمثَّل لي ... بهِ لليلةٍ طرمساءَ ظلماءِ[3]

حتى إذا عاذَ في فصاحتِه ... صارَ لساني لسانَ فأفاءِ

وقال علي بن عصام الأصفهاني:

متى يبكِ الإبريقُ في كفِّه ... أعربت الأرطالُ في الضحكِ[4]

● إبريقٌ مبذولُ العُروة

قال البسّامي في وصفه:

إبريقُ صفرٍ كأنّه قبسٌ ... يشبهُ لوني بفرطِ صُفرتِهِ

يمناه ممدودةٌ لمسألةٍ ... منه ويُسراه فوقَ هامتِهِ

ولبعض المحدثين، ويعرف بالمخرومي البصري، في صفة إبريق فضة وقد استطرد إليه من مدح:

لقد ظلَّم الفضّةَ المقتناةَ ... يداك فيها سريعٌ حثيثُ

---

(١) المدلّه: الذاهب العقل من عشق أو نحوه. (٢) الفأفاء: الذي يكثر من ترديد الفاء في كلامه

(٣) ليلة طرمساء. ليلة مظلمة.

(٤) الأرطال: جمع رطل، وهو الغلام الضعيف أو الرجل الكبير الضعيف.

فأقبل إبريقها يشتكيه مستعدياً لك فيما تعيثُ
فإحدى يديه على رأسه وأخرى ممدة تستغيثُ

وقال آخر:

كأنه مسترفد مد يداً والصق الأخرى بأعلى رأسه

● كؤوس مُصَوَّرة

قال أبو نواس:

تدارُ علينا الراحُ في عسجديّة حبتها بأنواع التصاوير فارسُ[1]
قرارتُها كِسْرى وفي جنباتها مهاً تدريها بالقسيّ الفوارسُ
فللخمرِ ما زرّت عليه جيوبها وللماءِ ما دارتْ عليهِ القلانسُ[2]

وقال السري الرفاء:

وموسومة كاساتُها بفوارسٍ من العزمِ تطفو في المُدام وتغرقُ
أقبَل منه كلّ شاكٍ سلاحه وفي يدِهِ سهم إليّ مفوّقُ

● كأسٌ وخمرٌ

قال أبو تمام:

نارٌ ونورٌ قيدا بوعاء

وقال ابن سباط:

وكأس من الشمس مخلوقة بدتْ لك في قدحٍ من نهارِ
هواءٌ ولكنه جامدٌ وماءٌ ولكنه غير جارِ

وقال ابن المعتزّ:

كأن الكأس في يدهِ عروسٌ لها من لؤلؤٍ رطبٍ وشاحُ

وقال الصنوبري:

عقارٌ إذا رديت بالزجاج تردّى الزجاجُ رداء البهاء
فيأتي الوعاءُ لها حاملاً وتُحسبُ حاملةً للوعاء

ونحوهما قول الصاحب:

رقّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ

البيتين وقد تقدما.

---

(١) عسجدية: أوعية من ذهب.

(٢) القلانس: جمع قلنسوة، وهي نوع من ملابس الرأس، على هيئات متعددة

وقال الأخطل:

أناخوا فجزوا شاصياتٍ كأنّها　　رجالٌ من السّودان لم تتسرّبَل[1]

وقال بشار:

وكأن الزقّ زنجيٌ سرق

وقال أبو الهندي يصفه:

حبَشيٌ قطعَتْ منه الرّكب

وقال الأعشى:

حبَشيٌ كُبّ عمْداً فانبَطَح

والأول أحسن.

● مقصرة

قال بيشاه يصفها.

ومقصَرَةٍ أنخْتُ بها　　وقرنُ الشمسِ لم يَغِبِ

فخِلْتُ قرارَها بالرا　　حِ بعضَ معادنِ الذهبِ

وقد ذرفَتْ لفقد الكر　　م فيها أعيُنُ العِنَبِ

● الرّاووق

قال كشاجم:

كأنما الراووقُ وانتصابُه　　خرطومُ فيلٍ قلِعَت أنيابُه

● الدّن

قال ابن المعتز:

ودنان كمثل صفّ الرجالِ　　قد أقيموا ليرقصُوا دستبَنْدا[2]

وقال آخر:

قهوةٌ بنتُ دنان　　عتقَتْ خمسينَ عامَا

خلتُها في البيْت جنْداً　　صففوا حولي قياما

وقال السري في دنان خاليات:

وشعثِ دنانٍ خالياتٍ كأنّها　　صدورُ رجال فارقتْها قلوبُها[3]

---

(١) شاصيات. جمع شاصية، وهي إناء كبير للخمر - لم تسربل لم تلبس السربال

(٢) دستبندا. ضرب من الرقص واللفظة فارسيّة　　(٣) شعث دنان: دنان متفرقة

● كيزانُ الفُقاع

قال الخوارزمي:

وضيِّقةِ الفمِ دحداحةٍ ... عليها قميصٌ لدى أخضرِ[1]

وقال أبو طالب المأموني:

تثورُ إذا كشفوا رأسَها ... وإن قتلوا فمَها تهدُرُ

وقال آخر

وربَّ فقاعةٍ رأيتُ بها ... ثدي كعابٍ مسوَّدَ الحلمَه[2]

حللتُ زنارها فأظهر لي ... شهب بُزاةٍ تطيرُ من أكمَه[3]

(٥)
ومما جاء في الغناء والمغنين والملاهي وآلاتها

●

● الرُّخصةُ في الغِناء

قيل لأبي حنيفة وسفيان رحمهما الله: ما تقولان في الغناء؟ فقالا: ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر. وقيل للعتابي: فقال: حلال من الفاتق حرام من غير الحاذق. وسئل بعضهم فقال: هو من ارتياح الكرم واهتياج النعم، من قال: هو مباح وإلا قال ليس فيه جناح، قد يعفو الله عما فوقه ويأخذ بما دونه. وقال ابن الراوندي اختلفوا في جواز الغناء، وأنا أخالف الفريقين، فأقول: هو واجب.

مرّ عمر رضي الله عنه بدار قوم فسمع ضجة، فقال: ما هو؟ فقيل: عرس، فقال: وما يمنعهم أن يخرجوا غرابيلهم فإنها من أمرة العرس.

وحضر الشعبي وليمة، فقال: كأنكم في نائحة أين الدف؟ وقال عبد الملك لعبد الله بن جعفر: من أين استجرتم معشر أهل المدينة الغناء الذي تستحسنونه؟ فقال له ابن جعفر: أنت تأتي ما هو أقبح من هذا وأنت في غفلة عنه، يأتيك أعرابي جلف مهلب المجان منتن الأبطين فيقذف عندك المحصنات ويشبب بربّات الحجال، ويقول فيهن الزور، ثم يشبهك مرة بالحجر ومرة بالشجر ومرة بالأسد والسيل والبحر فتصغي إليه وتخلع عليه.

قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع المغني: يفطر الصائم، فقال: ما تقول في بيت عمر بن أبي ربيعة إذا أنشد: أمن آل نعم أنت غاد فمبكر، أيفطر الصائم؟ قال: لا قال: إنما هو أن أمد به صوتي وأحرك به رأسي.

---

(١) دحداحة: قصيرة كبيرة البطن. (٢) ثدي كعاب: نهد فتاة. (٣) أكمة: تلة.

● فَضْلُ الغِناء

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: مدر الدنيا على أربع، البناء والنساء والطلاء والغناء. **وقيل:** اللذات أربع، أكل وشرب وسماع ونكاح، وكل يوصل إليه بتعب إلا الغناء. لا يكره الغناء إلا من عرضت له آفة في حاسته، كما لا يكره الطيب إلا من في شمه آفة. وحكى أهل الهند أن الزنديل إذا أحد امتنع من العلف فيغني له بالألحان الشجيّة حتى تطيب نفسه من سمع الغناء، فإن لم يرتح له كان عديم الحس أو سقيم النفس.

وكان حكماء الهند يسمعون المريض الغناء، ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوي الطبيعة، وبالأصوات الطيبة ينوّم الطفل وتحدى الإبل وتجمع السمك في حظائرها وتصطاد الظباء والأسود من مرابضها.

وقيل: الغناء غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح. وهو يصفي الفهم ويرقق الذهن ويلين العريكة ويثني الأعطاف ويشجع الجبان ويسخي البخيل.

● ذَمُّ الغِناء

قال يزيد بن الوليد لأهله: إياكم والغناء فإنه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدي العورة ويزيد في الشهوة، وإنه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنعه السكر، فإن كان ولا بد فجنبوه النساء فإنه داع إلى الزنا.

سئل صالح بن عبد الجليل عن السماع، **فقال:** إن وجدت قلبك يصلح له فافعله. مر مسلمة بن عبد الملك يوماً بقصر أخيه سليمان، فسمع صوت مغن فغدا إلى سليمان، **وقال: يا أمير المؤمنين:** مررت أمس بالقصر الذي فيه حرمك فسمعت فيه غناء، أما علمت أن الفرس يصهل فتشال الحجر، والحمار ينهق فتستودق له الأتان والثور يخور فتستحرم له البقر، والتيس ينب فيثغو له المعز، والكلب يعوي فتصرف له الكلبة والمغني يغني فترتاح له النساء. **فقال سليمان:** قد وعظت وأحسنت، والله عليّ راع وكفيل لا يدخل داري مغن ذكر ولا أنثى.

ونزل قوم بالكميت فأضافهم، فتغنى رجل منهم وكان حسن الصوت، **فقال:** حق على الرجل أن يحصن سمع امرأته كما يحصن فرجها.

● كَيفيةُ جُودة الغِناء

قيل لبعضهم ما أجود الغناء، **فقال:** ما أطربك وألهاك أو أحزنك وأشجاك. **وقال إسحاق:** قال لي المأمون يوماً: ما ألذ الغناء عندك؟ فقلت: ما وافق شهوة النفس، **فقال** رد فيه، وطرب له السامع خطأ كان أو صواباً.

● مشاهيرُ المُغنين وَواضِعي الغِناء

ابن شريح ومعبد وإسحاق، **وقيل:** كل ما صنعه إسحاق من الغناء سبعة وثمانون

صوتاً، ومخارق وعلويه وزلزل وابن بانة وإبراهيم بن المهدي، كان من حذاق المغنين، وللذلك قال فيه دعبل لما ولي الخلافة:

إن كانَ إبراهيم مضطلعاً لها فلتصلحن من بعده لمخارقِ
ولتصلحن منْ بعدِ ذاك لزلزلٍ ولتصلحن من بعْده للمارِق[1]

ومنهم ابن محرز الغريض ومالك بن أبي السمح.

● كراهيةُ غِناءٍ بلا شُرْبٍ وشُرْبٍ بِلا غِناء

قيل: غناء بلا شراب كنحلة بلا عطية وهيبة بلا نية ورعد بلا مطر وشجر بلا ثمر وحداء بلا بعير وروضة بلا غدير. قال الرشيد. النكس للذي يشرب على غير سماع. وقال أبو نواس.

وليس الشرب إلا بالملاهي وبالحركات من بم وزير[2]

قال صاحب الموسيقا: السماع كالروح والخمر كالجسد فباجتماعهما يتولد السرور

وقيل لأبي العطوف هل ترى في الغناء، فقال: أما قبل الأكل ومع غير الشراب فلا

● الإقتراحُ على المُغنِي

قيل لمغن: غن لنا كذا ثم بعده كذا، فقال: يا ابن الفاعلة لا تقترح صوتاً إلا بولي عهد. قال الحسن بن علي العلوي: قلت لمغن: غنني، قال: هذا أمر. قلت: أسألك، قال: هذا حاجة، قلت إن رأيت، قال: هذا إبرام، قلت فلا تغن، قال: هذا عربدة.

كان هرمس إذا قعد للشرب يقول لموسيقا أطلق النفس من رباطها. من هنا أخذ كشاجم قوله:

أطلق عقالَ الروح بالراح إنَّ إليها جدُ مرتاحِ
قدْ كذّتِ الحكمَةُ رُوحي فروحُها بأوتارٍ وأقداحِ

وكان مروان يقول: أطعمتنا طيباً فأطعم أرواحنا حسناً. قال أبو العتاهية لمغن: صب في هذه الآذان ما تطعم به القلوب في الأبدان، فلو كان الكلام طعاماً كان كلامك أداماً

قال رجل لمغنية: غنيني، قالت. ليس معي عود، قال: فاضربي على حرك قالت قطعت أوتاره بالمخيط وحياتك. وقيل لآخر: غن بغير عود، فقال. أنا فارس لا أقاتل راجلاً. وقال آخر لمغن في دعوته: أنعم علينا بما لا يتعب ضرساً ولا يسقم نفساً.

● استعادةُ الغناء

حَقُّ الصوت الحسن أن يعاد أربع مرات، الأول بديهة والثاني تفهم والثالث للشرب والرابع للشبع.

---

(١) المارق: الخارج عن الدين. (٢) البم: أغلظ أوتار العود. الزير: الدقيق من أوتار العود.

● **التَّرْهَزَةُ للمُغني**

قيل: أول صلة المغني أن يقال له أحسنت. وحضر جحظة مجلس بعض الكبار مراراً، وكان إذا تغنى **يقول له:** أحسنت، ولم يكن يخوله شيئاً، **فقال فيه:**

إن تغنيت قال أحسنت زدني ... وبأحسنت لا يباعُ الدَّقيقُ

● **استطابةُ الغِناء والمُغنّي**

سمع رجل غناء طيباً، فقيل له كيف تسمعه؟ **فقال:** وددت أن جميع أعضائي مسامع أسمعه بها، فأخذ ذلك الشاعر، **فقال:**

غنّتْ فلَم تَبْقَ فيَّ جارِحَةٌ ... إلا تمنّيتُ أنَّها أذُنُ

وقال آخر:

إذا هي غنّت أبهتَ الناسَ حسنُها ... وأطرق إجلالاً لها كل حاذقِ[1]

وصف ابن شريح مغنياً، **فقال:** كأنه خلق من كل قلب فيغني لكل ما أحب. **وقيل لابن جامع:** إنك حسن الإيقاع، **فقال:** برئت من الإسلام إن كنت ضربت منذ ثلاثين سنة إلا بالإيقاع، فكيف أخرج منه في الغناء.

وقال الواثق: غناء علوية مثل نقر الطست يبقى في السمع بعد سكوته. **قال إبراهيم الموصلي:** عشقت جارية فهجرت اللذات من أجلها، فبينا أنا جالس إذ استؤذن عليّ لشيخ معه جارية، فأذنت له فدخل، فإذا هي صاحبتي، فجلس الشيخ **وقال:** أشرب، فدعوت بالنبيذ فشرب ثلاثة أقداح، **وقال لي:** غنِّ يا أبا إسحاق فتعجبت من جراءته عليّ، وذلك أن الخليفة كان ينزهني عن ذلك، ثم غنيت، فأخذ العود واندفع يغني.

سرى يخبُط الظلماء والليلُ عاكِفٌ ... غزالٌ بأوقاتِ الزِّيارَةِ عارِفُ[2]

فما راعني إلا سلامٌ عليكم ... أأدخل قلْت أدخل لما أنت واقِفُ

فترعرعت الحيطان وأغمي عليّ وعلى الحاضرين من الغلمان، فلما أفقت إذا بجارية جالسة والشيخ لم أره، فسألت البواب، **فقال:** لم أره، وسألت الجارية، **فقالت:** لا أدري، إلا أنه جاءني على لسانك فلم أجسر على مخالفته، فعلمت أنه أبو مرّة.

وسمع إبراهيم الموصلي غناء مخارق وعلوية، **فقال:** نعم الفسيلتان أنتما لإبليس في الأرض. **وقيل:** لم يكن في الإسلام أحسن صوتاً من مخارق، غنى يوماً في متنزه وقد سنحت ظباء فجاءت إعجاباً بغنائه، وتوسط دجلة يوماً وغنى فلم يبق أحد إلا بكى، وكان أبوه جزّاراً فكان ينادي على اللحم في صغره فيفتن الناس بحسن صوته، وكان إذا تنفس يطرب من سمع تنفسه.

---

(١) **أبهت:** أدهش وحيّر ـ **أطرق إجلالاً:** انحنى احتراماً.

(٢) **سرى:** سار ليلاً ـ **الليل عاكف:** مقيم.

● مَنْ يُستطابُ سَماعُ الغِناءِ مِنْه

سُئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال، فقال: ما خلقت الأغاني إلا للحواني. وقيل: نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله.

قال الجاحظ: كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فم تشتهي أن تصرف بصرك عنه، وأيهما أملح أن يميتك. محل ملتف اللحية وشيخ متخلع الأسنان متغضن الوجه أو تغنيك جارية كطاقة نرجس أو آس، وأنشد:

مِن كَفِّ جارِيَةٍ كأنَّ بنانَها ... مِن فِضَّةٍ قد طُرِّفَتْ عُنّابا

وقيل: أطيب الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك. قال يحيى بن خالد لابن جامع: من أحسن الناس غناء، فقال: من أطرب الخاشع وأفهم السامع. قال الموصلي: إذا تغنيت بالمديح فحمم أو بالنسب فأخضع أو بالمراثي فأحزن أو بالهجاء فشدد.

● غِناءٌ يُستطابُ له الشَّرابُ

سمع رجل غناء حسناً، فقال: السكر على هذا شهادة. وقال كشاجم:

فلست آبى وإن سقوني ... على أغانيه سيلَ مصر

وقال الخبزارزي:

ولو أنّ البحورَ خمرٌ لدينا ... وغُنّيتُ لارتشفتُ البحورا

● غِناءٌ غَيرُ مَفهومِ المَعْنى

قال أبو تمام في وصف جارية:

ومسمعةٍ يحارُ السمعُ فيها ... طربتُ لحُسنِها بصدى غناها

ولم أفهَم معانيها ولكنْ ... ورَت كبدي ولم أجهَل شجاها[1]

فكنتُ كأنني أعمى معنّى ... بحُبِّ الغانيات وما رآها

● اقتراحُ الفارسي

قال بعض الأصفهانيين:

غنّنا يا غلامنا وأمهِنّا ... وتنكّبْ غناءكَ العربيّا[2]

إنّنا معشرٌ من العربِ الـ ... غرِّ كرامٌ فغنّنا الفارسيّا

وأسقناها مدامةً نازعتها ... وبين دامين بكرةً وعشيّا

● مغنٍّ قَبيحُ الغِناء

قال بعضهم: كأنه مكوك يتدحرج على درجة. وغنى مغن فقيل لبعض الندماء: كيف ترى؟ فقال.

---

(١) ورت كبدي. البيت كبدي. (٢) أمهن (ها): عمل في صنعته

ويحسن الندمان في خَلْقِه دجاجة يحنُقها ثعلبُ

واقترح على مغن فامتنع، فقال بعض الحاضرين: غن لهم صوتاً فإنهم يقترحون عليك حينئذ بالسكوت. قال:

كلَّما قلتَ اقترحْ قا لَ اقتراحي أن تكُفَّا

وقيل لهارون: فلان إذا غنى غمض عينيه، فقال: أظنه يفعل ذلك استحياء لقبح غنائه. وقيل لآخر، فقال: نائحة تندب في مأتم. وقيل لآخر، فقال

نحمد الله فرنا قد سمعنا ما كرهنا

وقيل لآخر، فقال:

فأحسن بحالك أنْ لو خرِسْتَ وأحسَنُ بِنا لو رُزِقنا الصَّمَم

وقال ابن الرومي:

وكأنّ جرذان المحلّةِ كلّها في حلقِه يقرِضْن خبْزاً يابسا

وله:

وإن سكوتَها عندي لبشرى وإن غناءها عندي لمقعَى
لقرّطها بعقرب شهرزورٍ إذا غنت وطوّقها بأفعَى[1]

وقال جحظة:

وانصرفنا لما تغنت عطاشاً والمغاني كما دخلنا ملاءُ

وقيل غناني فلان فعناني
وقال ابن الحجّاج:

وعوّادة من جَواري القِيانِ سرار البطون عليها محلُ
إذا ما تغنّت بثاني الثقيلِ طرَحنا عليها خفيفَ الرملُ

وقال جحظة، وقد دعاه صديق له كان يعده بجارية حاذقة فائقة، فلما حضره أخرج جارية قبيحة، فقال:

قد دَعانا فأرانا خمساة خلف عودِ
وتغنّت من قيام كالمغني من قُعودِ

وقال الجماز لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2]

---

(١) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان أحدثها زور بن الضحاك وشهر بالفارسية مدينة.
(٢) القرآن الكريم: لقمان/١٩.

● مُغنٍّ موصوفٌ بالشُّؤمِ والقُبحِ

قال كشاجم:

ومــغــنٍ بــارد الــنــغــــمــةِ مــحــتــمــلَ الــيــدَيْــنِ
مــا رآه أحــدٌ فــي دارِ قــومٍ مــرتــيــن

وقال آخر:

إنّ ســمــعــي فــي نــعــيــمٍ وعــيــونــي فــي جَــحــيــمِ

وقال أبو الفضل بن العميد:

إذا غـــنّـــى لـــنـــا أنـــمـــا حشـوَتْ مـسـامـعـي صَـمَـمـا
وإن أبـصـرتُ طـلـعـتَـه كـحّـلْـتُ نـواظـري بـعـمـى

● تأثير الغِناء والصوتِ وإنْ لم يُفهم

قال إسحاق الموصلي: أمر الصوت عجيب، منه ما يسر سروراً يرقص، ومنه ما يبكي ومنه ما يكمد ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، وليس يعتري ذلك من قبل المعاني لأنهم في كثير من الأحوال لا يفهمون. وقد بكى ما سرجويه من قراءة أبي رضي الله عنه، فقيل له: كيف تبكي لكتاب لا تصدق به؟ فقال: أبكاني الشجا وقد تسكن النفوس إليه وذلك موجود في أكثر البهائم والدواب، إذا غنى المكاري صرت آذانها.

● اختلافُ الأصوات

قال الموصلي: سألني المعتصم عن معرفة النغم، فقال بيّنها إليّ، فقلت: إن من الأشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة. وسألني عن شعرين متقاربين ففضلت أحدهما على الآخر، فقال من أين؟ فقلت: لو تفاوتا لأمكني التبيين ولكن تقاربا، ففضل أحدهما على الآخر مما يشهد به الطبع ولا يعبّر عنه اللسان.

(٦)
ومما جاء في آلات الملاهي

●

● العُودُ

أتى عبد الملك بعود، فقال للوليد بن مسعدة ما هذا؟ فقال: خشبة تشقق ثم ترقق ثم يعلق عليها أوتار ثم تنطق فتضرب الكرام رؤوسها بالحيطان سروراً به، وامرأته طالق إن كان في المجلس أحد إلا وهو يعلم ما أعلمه، وأنت أولهم يا أمير المؤمنين، فضحك. وقالت الفرس: نغمات العود من صرير باب الجنة، ولهذا سموه بربط معناه باب النجاة. قال كشاجم في أبيات له:

خـلـخـالُـه فـي نـحـره ولـسـانُـه فـي أذنِـه وجـبـيـنُـه مـن أسـفَـلِ

مزْحٌ بكف على الأكفّ ولفظُه | يعلو بتأليف الثقيلِ الأولِ
فكأنما شخصُ القريضِ ممثّلٌ | في العُودِ أو سكَنَتْه روحُ الموصلي

رأى أعرابي عوداً، فلما عاد إلى البادية نعته لأصحابه، فقال: رأيت شيئاً محدودب الظهر أرسخ البطن أكلف الجلد أجوف أسقف أحنف، حبيبه في إسته وعيناه في صدره وإمعاؤه من خارج بطنه، بها يتكلم ومنها يترجم، معروك الآذان ممشوق المعلق.

كان أبو محصن الأعرابي عند أبي إسحق وعنده من يضرب بالعود والطنبور، فقال: أيهما أحب إليك؟ قال: أبعدهما صوتاً وأكثرهما جلبة وأحسنهما حلية، وأشار إلى الطنبور بأن صوته كطنين ذباب بروضة.

● **الزامر**

قال إسحاق: الزمر زهو الغناء. **وقيل**: الزمر يستر من حسن الغناء، **كما يستر من** قبحه. **قال المتوكل لزنام الزامر** تأهب للخروج معي، **فقال**: الناي في كمّي والريح في فمي فأعزم إذا شئت. **قال ابن المعتز يصف زامرة**:

كأنما تلثم طفلاً لها | أتيحت به من ولد الزنجِ

وقال الناجم يذم زامرة:

نايٌ قتولٍ قابلٍ | بالمنتن منه السرمجِ
يشبهُ عندي مخرجاً | مركباً في المخرجِ

وقال الصنوبري:

وكأنما المزمارُ في أشداقها | غرمولُ عيرٍ في حياءِ أتانِ[1]
وترى أناملها على مزمارها | كخنافسٍ دبّت على ثعبانِ

تخاصم رجلان عند ابن المدبر، وحلف أحدهما بالطلاق أن صاحبه أحمق ولا يبرح حتى يشهد القاضي بذلك، فذكر أن عنده زامرتين بلا معنية، **فقال القاضي**: أشهد أنه أحمق.

● **الرقّاص**

قال المصعب الهندي

عجبتُ من رجلين يتبعانه | يعلوهما طوراً وتعلوانه
كأن أفعيين يلسعانه

وقيل لجارية رقاصة: أفي يدك عمل؟ قالت: لا، إنما هو في رجلي.

---

(١) **الغُرمول**: الذكر ـ حياء الأتان: رحم الحمارة.

● وُجُوبُ الاستِماعِ

وقال بعضهم:

إذا حضر الغناءُ فليس إلا — سكوتٌ واستماعٌ للمغنّي

وقال أحمد بن علوية:

حكمُ الغناء تسمع وندامٌ — ما للحديث مع الغِناء نظامُ
لو كانَ لي أمرٌ قضيتُ قضية — إن الحديث مع الغِناء حرامُ

● غِناءٌ يُمزّقُ لَهُ الثوبُ

سُئل إبراهيم الصوفي المارستاني عن تمزيق الثوب في السماع، فقال: إن موسى عليه السلام قرأ على بني إسرائيل فمزق واحد منهم قميصه، فقال الله تعالى لموسى: قل له مزق قلبك لا ثوبك.

كان لبعض الظرفاء مغنيتان: محسنة إذا غنت خرق قميصه، ومسيئة إذا غنت فعد يخيطه. طرب بعض الكبار على غناء، فشق قميصه وقال لنديمه: بحياتي شق قميصك، فقال: إذاً أبقى عرياناً، فقال: أنا أخلعه عدا، قال: فأشقه غداً، قال أبو مالك الأعرج:

إذا غنّت قديماً أو حديثاً — فما للجيب من شيك واقي

● أنواعٌ مختلفةٌ من الغناء

اجتمع على شرابٍ في بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع، فقيل للأعمى غنِّ فغنى:

إنّي رأيتُ عشيّة النفر — حوراً نفين عزيمة الصبر

قيل: ويلك، كيف رأيت وأنت أعمى؟ وقيل للمفلوج غنّ، فقال:

إذا اشتدَّ شوقي وهاج الألمْ — عدوتُ على بابكم في الظُّلَم

فقيل: مفلوج يعدو لا تكذب. وقيل للأقطع: هات غنّ، فقال:

شبكت كفيّ على رأسي وقلتُ له — يا راهبَ الدَّيرِ هل مرّت بك الإبل

فقالوا: أنت أكذبنا وأجودنا غناء.

غنى معن صوتاً، فقال له بعض الحاضرين: أين الصيحة؟ فقال: أحدثها لثالثك. كان أبو العيينين يعشق جارية يقال لها مكنونة، فغنى صوتاً فقالت له: ألقه عليّ، قال: بما اشتريته، قالت: بكم قال برأس مالي، ماكمي فلان وعلميه، فقالت: إجعل الصرف على الإست صوتاً آخر وتقدّم.

ولام رجل آخر في معصية، فقال: والله لو غنيت لما أدركنا ذكاتك. وقال المأمون الطبل لهو غليظ. وهذا ما قال علوية القمي لابنه المحسن: قد تأذيت بصوت طبلك يا ابن الفاعلة، فقال: إن كنت تريد أن لا يكون لصناعتي صوت فسلّمني لمن يرفو الثوب، فالغناء لا يكون بلا صوت.

(٧)
وممّا جاء في آلات القمر

•

• أسماء القِداح

تسمى القداح الأزلام والأقلام، وهي عشرة سبعة منها ذات حظوظ قد نظم أساميها الصاحب في قوله:

إن الـقـداح أمـرُهـا عـجـيـبُ   الـفـذُ والـتـوأمُ والـرقـيـبُ
والحلس ثم النافس المصيبُ   والمصفح المشهرُ العجيبُ
ثم المعلى حظها الرغيبُ   هاك فقد جاد بها الترتيبُ

والمصفح يسمى المسبل، والرقيب يقال له الضريب، والأغفال التي لا حظوط لها المنيح والسفيح والوغد. قال ابن قتيبة والمنيح له موضعان، أحدهما لا حظ له والثاني له حظ. قال: وعلى ذلك قول عمرو بن قميئة:

بأيديهم مقرونة ومغالق   يعود بأرزاق العيال منيحها

وقال عروة بن الورد في أسمائها:

أتت بالمعلّى عند أول سورة   وبالمسبل الثاني وبالحِلْس والتوم
وجاءت بفَذٍّ والضريب يليهما   وبالنافسِ المغلوبِ في الرأس والقدَم
فراحَ بها غنم وتغرم ما جنت   وقد يُغرم المرءُ الكريمُ إذا اجترَم
وأنت منيحٌ باليدين متى تعد   تعد صاغرَ الأمال نال ولا غرَم

وقال تميم بن مقبل في صفة القدح:

خروجٌ من الحصى إذا صك صكّة   بدا والعيونُ المستكنة تلمَحُ
مفدى مؤدى باليَدَيْن ملعَنٌ   خليعُ لجامٍ فائزٌ مُتمَنِّحُ

وقال طفيل:

واصفر مسهومُ الفؤادِ كأنّه   غداه الندى بالزعفران مطيّبُ

والياسر الضارب بها، والبرم الذي لا يدخل معهم، وفي صفته:

بـه عـلـمـان مـن عـقـب وضـرس

ويسمى ذلك مقرونة. وأما مثنى لأيادي، قيل هو ما تفصل عنه، وقيل هو أن تعود بعد خروج القور على الخط الأول. والربابة ما يجمع فيه القداح، وأفاض بالقداح ضرب بها، والرقيب من يحفظهم.

● **المَمْدوحُ بِضَرْبِ القِداحِ**

قال عنترة:

زيد يداه بالقدح إذا شتا ... هتاك غايات النجوم ملوم[1]

وقال آخر:

هينون لينون أيسار ذوو يسر ... سواس مكرمة أبناء أنباء[2]

وقال متمم بن نويرة في مرثية أخيه:

ولا برم تهدى النساء لعرسه ... إذا القشع من حس الشتاء تقعقعا[3]

يقال: فلان برم قرون، إذا لم يدخل في الميسر، ثم يأكل تمرتين تمرتين. **قال المرقش:**

إذا أيسروا لم يورث اليسر بينهم ... فواحش يبقى ذكرها بالمصائف

● **تَحْرِيمُ ضَرْبِ القِداحِ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[4] الآية وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5]. وقد أبيح القرعة وهي من جنس ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾

وكذلك يونس عليه السلام حين جنحت بهم السفينة ويمن معهم ساهم القوم أيهم يلقى في البحر، فكان من المدحضين أي من المقمورين

● **وَضْعُ الشِّطْرَنْجِ**

قيل: وضعها فيلسوف لملك رام أن يرى الحرب وتدبيرها في حفض ودعة، فلما وضعه له أعجب الملك به، فقال له: اقترح ما شئت وسل كلما تمنيت، فقال: أولني لأول بيت من بيوته درهماً، ثم أضعف في الثاني فالثالث إلى أن تنتهي إلى آخر البيوت، فاستقل الملك ذلك، وقال: رأيتك حكيماً في وضعك ذلك واستحقرتك في مقترحك، فقال: إني يقنعني ما سألت إن وفيت لي، فقام رأس وزرائه وقال: أيها الملك إنه لا يفي ملكك ولا ملك بما سأل، فقال: كيف؟ فعملوا به حساباً، فإذا هو عشرة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف ألف وستة آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسون ألفاً وستمائة وستة عشر ألفاً، فقال الملك: لا أدري أيهما أعجب الشطرنج أم الأمنية.

---

(١) إذا شتا: إذا أجدب. (٢) أبناء أنباء: الذين تنبو سيوفهم
(٣) القشع: الرجل الذي لا يثبت على أمر - تقعقع: أحدث صوتاً عند التحرك
(٤) القرآن الكريم: المائدة/٩٣. (٥) القرآن الكريم: البقرة/٢١٦

● الرُّخصَةُ في الشِّطْرنج

مرّ أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ولم يأمرهم أن يرفضوه. وقيل: إنما قال لهم ذلك لأنها كانت على صورة الأفراس والفيلة. وسأل الرشيد يحيى بن عيسى عنه، فقال: ما فقدناه من مجالس قريش التي كنا نهاب أن نمر بها.

وكان الشعبي يلعب مستدير الحلقة. وسئل عنه الحسن رضي الله عنه، فقال: لا بأس به ما لم يكن قماراً فإنه احتيال. وسئل أبو العباس بن شريح عنه، فقال: إذا سلمت أيديهما من الطغيان ولسانهما من العدوان وصلواتهما من النسيان، فهو مباح بين الإخوان غير محرم على الخلان.

● كَراهِيَةُ الشِّطْرنج وذَمُّه

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه فيه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، فسماها تماثيل. ومر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقوم يلعبون، فقال: قد وضعت الحرب أوزارها ثم خلطه. وروي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه كره اللعب. وكان المأمون يستهزىء بالشطرنج مع جودة لعبه به، ويقول: لا يموق المرء فيه إلا باستفراغ الذهن كله له ولا يبلغ قدر ذلك وكان الفضل بن يحيى يجيد اللعب به، وكان يذمه ويقول: لا يقمر اللاعب به إلا بكد الجوارح ولا يبلغ قدره ذلك. قال المتنبي:

وغَيْرُ فؤادي للغواني رَمِيّةٌ ... وغيرُ بَنَاني للرِخاخِ رِكابُ[1]

وقال شاعر:

لعب الشطرنج شومٌ ... فاجتنبها يا قشومُ
إنّما عدّت لقومِ ... شأنهم شأنٌ عظيمُ
ملك يُحبى إليه ... أو وزيرٌ أو نديمُ
هبْك فيها ألعب الناس ... فماذا يا حكيمُ

وكان أهل المدينة إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوّجوه، ويزعمون أنه إحدى الضرتين. وقيل: إنما وضع للعجم الذين لا علم لهم فإذا اجتمعوا تلاحظوا تلاحظ البقر، فجعلوا ألعبهم به مشغلة.

● وَصْفُ الشِّطْرنج

قال شاعر:

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين حلّين موصوفَيْن بالكَرَمِ

(١) الغواني: المومسات ـ الرخاخ: جمع رخ وهو حجر الشطرنج.

تذكرا الحرب فاحتارا لها شبهاً — من غيرِ أن عفيا فيها بسَفْكِ دَمِ
أنظر إلى فطن جاشت بكرهما — في عسكرَيْن بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ
هذا يُغير على هذا فيغلبُه — وذا يغيرُ وعيْنُ الحزْمِ لم تنَمِ

وقال السري الرفاء:

وكتيبتَا رنْجٍ ورومٍ أذكِيا — حرْباً يظلُّ بها الدكاةُ مناضِلا
في معرك قسم الزمانُ بقاعه — بين الكماةِ المعلمين منازِلا
لم يسفحا فيه دماً وكأنما — رشح الدماء أعاليا وأسافِلا
وكان ذا صاحٍ يسيرُ مقوّماً — وكانَ ذا نشوانَ يخطر مائِلا
أعجِبْ بها حرْباً تثيرُ إذا التظت — فصْلَ الرحالِ ولا تثيرُ قساطِلا[1]

● الماهرُ بالشِّطْرَنج والرَّديءُ اللّعِب

ليس لإجادة اللعب بالشطرنج بهجة ولا غاية، ومن معجزاته أنه لا يكاد يتفق فيه دستان، ومن مجيديهم الصولي، ولبعضهم

ولربما مهر السخيفُ بها — وتراهُ يمصعُ لفظُه حمقا

مرّ بعضهم بقوم يلعبون بالشطرنج وكان سمحاً، فقال. ما أوسع شطرنجهم، فقال بعضهم: اللعب أوسخ

● النوادِرُ في الشِّطْرنج

قيل النوادر في الشطرنج عدة للاعب كالحذاء للاعب وقال شاعر

نوادرُ الشطرنج في وقتها — أحرز من ملتهب الجمر
كم من ضعيفِ اللعب كانت له — عوناً على مستحسن القمر

ورُوي أن أبا مسلم كان يلعب بالشطرنج، فوقع له شاه مات، فتمثل بقول الشاعر

ذَرُوني ذروني ما كمنتُ فإنني — إذا ما تهيجوني تميدُ بكُم أرضي
وأنهض في ردّ الحديث إليكم — كتائب سوداً طال ما انتظرَتْ نهْضي

كان المأمون عند قدومه من خراسان يشتهي الشطرنج، فاستحضر كبار أهله زيرب وجابر الكوفي وعبد المعار الأنصاري، وكانوا يتوقرون بين يديه، فقال: إن الشطرنج لا يطيب مع الهيبة قولوا ما تقولون إذا خلوتم.

● النَّرد

قال بعض الحكماء شبهت رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنيها، ومنازل الرقعة

---

(١) التظت حمي أوارها واستعرت ـ قساطلاً: الغبار الساطع في الحرب.

وهي أربعة وعشرون بساعات النهار والليل، وبيادقها وهي ثلاثون بعدد أيام الشهر، **واختلاف ألوانها** باختلاف بياض النهار وسواد الليل، ثم أقيمت المنازل على **أربع مراتب كعدد الطبائع الأربع**: الأرض والماء والهواء والنار، **والفصول الأربع** الشتاء والصيف والربيع والخريف، **وجوانب الفص وهي ستة بالجهات الست فوق** وأسفل ويمين ويسار وإمام وخلف، **والفصان المحيطان** بالجوانب الإثني عشر كشهور السنة، والشهور محيطة بالأيام إحاطة ما يخرج بالفصين وبالبيادق الثلاثين أو الأيام محيطة بالساعات إحاطة البيادق **بالمنازل الأربعة**، وعشرين ثم جعل نكت الفصين **كلها إثنين وأربعين**، ولست تجد شيئاً من عدد جوانب الفص إلا إذا ضممت إليه عدد مقابله وجدته سبعة، وهو عدد الأيام السبعة وشبه النكت السبعة، التي يكون بعضها فوق الأرض وبعضها تحتها في كل حال وتقلبها بأفعال العباد وما يخرج بالقضاء الجاري عليهم، وشبه فعل اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاء، وشبه إخراج اللاعبين بالمعاد وفلج المقامر بما حصل للمجتهد من الثواب، وكذا ما يلحق المقصر بتقصيره من الحسرة.

وكان رؤبة في قوم يلعبون بالنرد، فأتى بالخوان، **فقال**:

يا إخْوتي جاء الخوان فارفعوا [illegible] حمانة كعابها تقعقعُ

لم أدرِ ما [illegible]ثلاثها وأربع

سأل الزبيري أبا بكر بن فريعة في مجلس المهلبي عن النرد، **فقال**: ما أدري غير أني أرى لبداً مخططاً وخشباً مخرطاً وعظماً منقطاً وأيدياً تضرب ميطاً، وكل يطلب بصاحبه شططا.

● فَضْلُ الشِّطْرنجِ على النَّرد

قال بعض المتكلمين: الشطرنج معتزلي والنرد مجبر، وذلك أن اللاعب بالشطرنج موكول إلى اختياره ومتروك مع إيثاره، واللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج به الفصان **وقيل لرجل**: كيف معرفة فلان بالشطرنج؟ **فقال**: ما أحسن ما يلعب، قيل فكيف يلعب بالنرد؟ **فقال**: ما أحسن ما يخرج له الفصان، فلم ينسب الفعل في النرد إليه كما نسبه إليه في الشطرنج.

● المُلاعَبَةُ بِهِما عَلى القَمَر

قال يزيد بن أبي خالد: دخلت على ابن أبي أوفى وهو يلاعب امرأته بالفصّين **وقال إسحاق**: قال لي محمد الأمين: كيف لعبك بالشطرنج؟ فقلت: فوق المنصفين ودون البالغين، ليس من اللعاب أحد يلقى لي فرزاناً لا أنتصف منه، **فقال**: لاعبني، فلاعبته بخلعة فقمرني، فقمت أخلع ثوبي، **فقال**: ما تصنع فقلت أنزعه لتلبس، **فقال**: ألبس خلعة

مملوءة قملاً، فقلت: دعني من ذا. تلبس أو تفادي، فقال بماذا؟ قلت: بثيابك. فقال: ما رأيت قامراً مقموراً، فنزع ثوبه وأولانيه.

وكان أبو أيوب يلاعب مدنياً بالشطرنج فتأخر عنه المدني يوماً، فاستدعاه، فكتب إليه المدني:

لا تدعوني لشطرنج فيَشْغَلني ... دعْني فإني عنِ الشطرنج مشغولُ
أنت امرؤٌ تدمن من الشطرنجَ من يمَنٍ ... وإنـــني يـــا أبـــا أيـــوب مـــهـــزولُ

فبعث إليه بعشرة آلاف درهم.

* * *

تمّ بحَمْدِ الله وعونه الجزء الأول من كتاب:
مجالِسُ الأُدبَاء ومحاوراتُ الشعراء والبلغَاء
للراغب الأصبهاني
ويليه إن شاء الله الجزء الثاني
وأوّله: الحدّ الثاني عشر في «الإخوانيات»

كتاب «محاضرات الأدباء»

●

فهرس الجزء الأول

الحدّ السابع

●

الحد الثامن

■

الحدّ التاسع

●

الحد العاشر

●

الحد الحادي عشر

●